COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثامن عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

BP
130.4
.T28
v. 18-21

JAN 12 1973

فهارس الجزء الثامن عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة المؤمنين	
١	قد أفلح المؤمنون	١
٢	الذين هم فى صلاتهم خاشعون . . .	١
٣	والذين هم عن اللّغو معرضون . . .	١
٤	والذين هم للزّكاة فاعلون . . .	٤
٥	والذين هم لفروجهم حافظون . . .	٤
٦	إلا على أزواجهم . . .	٤
٧	فمن ابتغى وراء ذلك . . .	٤
٨	والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . . .	٥
٩	والذين هم على صلواتهم يحافظون . . .	٥
١٠	أولئك هم الوارثون . . .	٥
١١	الذين يرثون الفردوس . . .	٦
١٢	ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة . . .	٧
١٣	ثم جعلناه نُطْفة فى قَرار مكين . . .	٩
١٤	ثم خلقنا النطفة عَلَقة . . .	٩
١٥	ثم إنكم بعد ذلك لميتون . . .	١١
١٦	ثم إنكم يوم القيامة تبعثون . . .	١١
١٧	ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق . . .	١٢
١٨	وأنزلنا من السماء ماء بقدَر . . .	١٢
١٩	فأنشأنا لكم به جنات من نخيل . . .	١٢
٢٠	وشجرة تخرج من طُور سَيْناء . . .	١٣
٢١	وإنّ لكم فى الأنعام لعِبرة . . .	١٥
٢٢	وعليها وعلى الفُلك تحمَلون . . .	١٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٣	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	١٦
٢٤	فقال الملأ الذين كفروا من قومه . . .	١٦
٢٥	إن هو إلاّ رجل به جِنة . . .	١٦
٢٦	قال ربّ انصرنى بما كذّبون . . .	١٦
٢٧	فأوحينا إليه أن اصنع الفُلك بأعيننا . . .	١٦
٢٨	فإذا استويت أنت ومن معك . . .	١٨
٢٩	وقل ربّ أنزلنى مُنْزلا مباركا . . .	١٨
٣٠	إن فى ذلك لآيات . . .	١٨
٣١	ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين . . .	١٨
٣٢	فأرسلنا فيهم رسولا منهم . . .	١٨
٣٣	وقال الملأ من قومه الذين كفروا . . .	١٩
٣٤	ولئن أطعتم بشرا مثلَكم . . .	١٩
٣٥	أيَعِدُكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا . . .	١٩
٣٦	هيهاتَ هيهات لما توعدون . . .	٢٠
٣٧	إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا . . .	٢٠
٣٨	إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا . . .	٢٢
٣٩	قال ربّ انصرنى بما كذّبون . . .	٢٢
٤٠	قال عما قليل ليُصبحن نادمين . . .	٢٢
٤١	فأخذتهم الصيحة بالحقّ . . .	٢٢
٤٢	ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين . . .	٢٣
٤٣	ما تسبق من أمة أجلها . . .	٢٣
٤٤	ثم أرسلنا رسلنا تترى . . .	٢٣
٤٥	ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون . . .	٢٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	إلى فرعون وملئه فاستكبروا . . .	٢٤
٤٧	فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا . . .	٢٥
٤٨	فكذّبوهما فكانوا من المُهلَكين . . .	٢٥
٤٩	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	٢٥
٥٠	وجعلنا ابن مريم وأمه آية . . .	٢٥
٥١	يا أيها الرسُل كلوا من الطيبات . . .	٢٨
٥٢	وإن هذه أمتكم أمةً واحدة . . .	٢٨
٥٣	فتقطّعوا أمرهم بينهم زُبُرا . . .	٢٩
٥٤	فذَرْهم فى غَمرتهم حتى حين . . .	٣٠
٥٥	أيحسَبون أنما نمدّهم به من مال وبنين . . .	٣٠
٥٦	نسارع لهم فى الخيرات . . .	٣٠
٥٧	إن الذين هم من خشية ربهم مُشْفقون . . .	٣١
٥٨	والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . . .	٣١
٥٩	والذين هم بربهم لايشركون . . .	٣١
٦٠	والذين يُؤتون ما آتوا . . .	٣٢
٦١	أولئك يسارعون فى الخيرات . . .	٣٢
٦٢	ولا نكلف نفسا إلا وُسعها . . .	٣٥
٦٣	بل قلوبهم فى غَمرة من هذا . . .	٣٥
٦٤	حتى إذا أخذنا مُترفيهم بالعذاب . . .	٣٦
٦٥	لاتجأروا اليوم . . .	٣٦
٦٦	قد كانت آياتى تُتلى عليكم . . .	٣٨
٦٧	مستكبرين به سامرا تَهْجرون . . .	٣٨
٦٨	أفلم يدَّبَّروا القول أم جاءهم . . .	٤١
٦٩	أم لم يعرفوا رسولهم . . .	٤١
٧٠	أم يقولون به جِنَّة بل جاءهم . . .	٤١
٧١	ولو اتبع الحقّ أهواءهم . . .	٤٢
٧٢	أم تسألهم خَرْجا فخَراج ربك خير . . .	٤٣
٧٣	وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم . . .	٤٣
٧٤	وإن الذين لايؤمنون بالآخرة . . .	٤٤
٧٥	ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضرّ . . .	٤٤
٧٦	ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا . . .	٤٤
٧٧	حتى إذا فتحنا عليهم بابا . . .	٤٥
٧٨	وهو الذى أنشأ لكم السمع . . .	٤٦
٧٩	وهو الذى ذرأكم فى الأرض . . .	٤٦
٨٠	وهو الذى يحيي ويميت . . .	٤٦
٨١	بل قالوا مثلَ ما قال الأوّلون . . .	٤٦
٨٢	قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما . . .	٤٦
٨٣	لقد وعِدْنا نحن وآباؤنا هذا . . .	٤٧
٨٤	قل لمن الأرض ومن فيها . . .	٤٧
٨٥	سيقولون لله ، قل أفلا تذكّرون . . .	٤٧
٨٦	قل من ربّ السموات السبع . . .	٤٧
٨٧	سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . . .	٤٧
٨٨	قل من بيده ملكوت كل شىء . . .	٤٨
٨٩	سيقولون لله ، قل فأنى تُسْحَرون . . .	٤٨
٩٠	بل أتيناهم بالحقّ وإنهم لكاذبون . . .	٤٩
٩١	ما اتخذ الله من ولد . . .	٤٩
٩٢	عالم الغيب والشهادة . . .	٤٩
٩٣	قل ربّ إما تريِّنى مايوعدون . . .	٥٠
٩٤	ربّ فلا تجعلنى فى القوم الظالمين . . .	٥٠
٩٥	وإنا على أن نُريك مانعدُهم . . .	٥٠
٩٦	ادفع بالتى هى أحسن . . .	٥١
٩٧	وقل ربّ أعوذ بك . . .	٥١
٩٨	وأعوذ بك ربّ أن يحضرون . . .	٥١
٩٩	حتى إذا جاء أحدَهم الموت . . .	٥٢
١٠٠	لعلى أعمل صالحا فيما تركت . . .	٥٢
١٠١	فإذا نُفخ فى الصور . . .	٥٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٢	فمن ثقُلت موازينه . . .	٥٥
١٠٣	ومن خفَّت موازينه . . .	٥٥
١٠٤	تلفَحُ وجوهَهم النار . . .	٥٥
١٠٥	ألم تكن تُتلى عليكم . . .	٥٦
١٠٦	قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا . . .	٥٦
١٠٧	ربنا أخرجنا منها فإن عدنا . . .	٥٨
١٠٨	قال اخسئوا فيها ولاتكلمون . . .	٥٨
١٠٩	إنه كان فريق من عبادى يقولون . . .	٦٠
١١٠	فاتخذتموهم سُخريا . . .	٦٠
١١١	إنى جزيتهم اليوم بما صَبَروا . . .	٦٠
١١٢	قال كم لبثتم فى الأرض . . .	٦٢
١١٣	قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم . . .	٦٢
١١٤	قال إن لبثتم إلا قليلا . . .	٦٣
١١٥	أفحسبتم أنما خلقناكم عَبَثا . . .	٦٣
١١٦	فتعالى الله الملك الحقّ . . .	٦٤
١١٧	ومن يَدْعُ مع الله إلها آخر . . .	٦٤
١١٨	وقل ربّ اغفر وارحم . . .	٦٥

سورة النور

١	سورة أنزلناها وفرضناها . . .	٦٥
٢	الزانية والزانى فاجلدوا كلّ واحد . . .	٦٦
٣	الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة . . .	٧٠
٤	والذين يرمون المحصَنات . . .	٧٥
٥	إلا الذين تابوا من بعد ذلك . . .	٧٦
٦	والذين يرمون أزواجهم . . .	٨١
٧	والخامسة أن لعنة الله عليه . . .	٨١
٨	ويدرأ عنها العذاب أن تشهد . . .	٨٥
٩	والخامسة أنّ غضب الله عليها . . .	٨٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	٨٦
١١	إن الذين جاءوا بالإفك . . .	٨٦
١٢	لولا إذ سمعتوه ظن المؤمنون . . .	٩٦
١٣	لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء . . .	٩٧
١٤	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	٩٧
١٥	إذ تلَقَّونه بألسنتكم . . .	٩٧
١٦	ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا . . .	٩٩
١٧	يعظُكم الله أن تعودوا لمثله أبدا . . .	٩٩
١٨	ويبين الله لكم الآيات . . .	٩٩
١٩	إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة . . .	١٠٠
٢٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	١٠٠
٢١	يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خُطوات . . .	١٠٠
٢٢	ولا يأتلِ أولوا الفضل منكم . . .	١٠١
٢٣	إن الذين يرمون المحصَنات . . .	١٠٣
٢٤	يوم تشهد عليهم ألسنتهم . . .	١٠٥
٢٥	يومئذ يوفيهم الله دينهم الحقّ . . .	١٠٦
٢٦	الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات . .	١٠٦
٢٧	يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا . . .	١٠٩
٢٨	فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها . . .	١١٢
٢٩	ليس عليكم جناح أن تدخلوا . . .	١١٣
٣٠	قل للمؤمنين يغضُّوا . . .	١١٦
٣١	وقل للمؤمنات يغضضن . . .	١١٧
٣٢	وأنكحوا الأيامى منكم . . .	١٢٥
٣٣	وليستعفف الذين لايجدون نكاحا . . .	١٢٦
٣٤	ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات . . .	١٣٤
٣٥	الله نور السموات والأرض .	١٣٤
٣٦	فى بيوت أذِن الله أن تُرفع . . .	١٤٣
٣٧	رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع . . .	١٤٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٨	ليجزيَهم الله أحسن ما عملوا . . .	١٤٤
٣٩	والذين كفروا أعمالهم كسراب . . .	١٤٨
٤٠	أو كظلمات فى بحر لُجِّىٍّ . . .	١٥٠
٤١	ألم تر أن الله يسبح له . . .	١٥١
٤٢	ولله مُلك السموات والأرض . . .	١٥١
٤٣	ألم تر أن الله يُزْجِى سحابا . . .	١٥٣
٤٤	يقلب الله الليل والنهار . . .	١٥٣
٤٥	والله خلق كلّ دابة من ماء . . .	١٥٥
٤٦	لقد أنزلنا آيات مبينات . . .	١٥٥
٤٧	ويقولون آمنا بالله وبالرسول . . .	١٥٥
٤٨	وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله . . .	١٥٦
٤٩	وإن يكن لهم الحقّ يأتوا . . .	١٥٦
٥٠	أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا . . .	١٥٦
٥١	إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا . . .	١٥٧
٥٢	ومن يُطع الله ورسوله . . .	١٥٧
٥٣	وأقسموا بالله جَهد أيمانهم . . .	١٥٧
٥٤	قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . . .	١٥٨
٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم . . .	١٥٨
٥٦	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . .	١٦٠
٥٧	لاتحسبنّ الذين كفروا معجزين . . .	١٦٠
٥٨	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم . . .	١٦١
٥٩	وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم . . .	١٦٤
٦٠	والقواعد من النساء اللاتى لايرجون . . .	١٦٥
٦١	ليس على الأعمى حرَج . . .	١٦٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٢	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله . . .	١٧٥
٦٣	لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم . . .	١٧٧
٦٤	ألا إن لله ما فى السموات والأرض . . .	١٧٩
	سورة الفُرقان	
١	تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده . . .	١٧٩
٢	الذى له ملك السموات والأرض . . .	١٨٠
٣	واتخذوا من دونه آلهة . . .	١٨١
٤	وقال الذين كفروا إن هذا . . .	١٨١
٥	وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها . . .	١٨٢
٦	قل أنزله الذى يعلم السرّ . . .	١٨٢
٧	وقالوا مال هذا الرسول . . .	١٨٣
٨	أو يُلْقَى إليه كنز، أو تكُون له جنة . . .	١٨٣
٩	انظر كيف ضربوا لك الأمثال . . .	١٨٤
١٠	تبارك الذى إن شاء جعل لك . . .	١٨٤
١١	بل كذّبوا بالساعة . . .	١٨٦
١٢	إذا رأتهم من مكان بعيد . . .	١٨٦
١٣	وإذا أُلْقُوا منها مكانا ضيقا . . .	١٨٧
١٤	لاتدْعوا اليوم ثُبورا واحدا . . .	١٨٧
١٥	قل أذلك خير أم جنة الخُلد . . .	١٨٨
١٦	لهم فيها مايشاءون خالدين . . .	١٨٨
١٧	ويوم يحشرهم وما يعبدون . . .	١٨٩
١٨	قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا . . .	١٩٠
١٩	فقد كذّبوكم بما تقولون . . .	١٩٢
٢٠	ومن يظلم منكم نذقه . . .	١٩٣
٢١	وما أرسلنا قبلك من المرسلين . . .	١٩٣

٢ — فهرس الموضوعات

الصفحة

تفسير سورة قد أفلح المؤمنون

٥ المحافظة على الصلاة بفعلها فى أوقاتها .

٩ بيان أن الجنين بنفخ الروح يكون إنسانا ، وقبل ذلك كان صورة .

١٦ قصة نوح عليه السلام .

٢٦ المكان الذى أوت إليه مَريم وابنها .

٢٩ كل فريق من أهل الكتاب أحدث كتابا من نفسه يحتجّ به لمقاله .

٣٢ تأويل قوله تعالى « والذين يُؤْتون ما أَتَوا » ، وبيان أن وجلهم ليس من الذنوب ، بل من عدم قبول العمل .

٣٧ التوبة عند الأخذ بالعذاب لاتفيد .

٤٢ تأويل قوله تعالى « بل أَتيناهم بالحقّ » . . . الآيات ، وما اشتملت عليه من بليغ الحجة .

٥١ ما أمِر به صلى الله عليه وسلم من الصبر على ما يلقَى قبل الأمر بالحرب .

٥٣ بيان معنى البرزَخ .

٥٤ تأويل قوله تعالى « فإذا نُفخَ فى الصُّور » . . . وبيان أيَّةُ النفختين أريدت ، وذكر المحاسبة يوم القيامة .

٥٧ ما يحصل لأهل النار من اليأس .

٦٥ تفسير سورة النور

٦٧ المراد بالرأفة المنهىّ عنها فى إقامة الحدود .

الصفحة

٧٠ تأويل قوله تعالى « الزانى لاينكح إلا زانية » . . . الآية .

٧١ الخلاف فيمن نزلت فيه ، وفى المراد منه .

٧٥ حدّ القاذف ، وما تُسقطه توبته عنه .

٨١ اللِّعان ، وفيمن يكون ، وأسباب نزول آيته .

٨٦ حديث الإفك .

٩٦ تأويل قوله تعالى « لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون » . . . وما فيه من العتاب .

١٠٢ ما كان من أبى بكر رضى الله عنه من إعادة الإنفاق على مِسْطح ، عملا بقوله « ولا يأتلِ » . . . الآية .

١٠٣ تأويل قوله « إن الذين يرمون المحصنات » . . . الآية .

١١٠ لايحلّ للإنسان أن يدخل بيت غيره إلا بعد استئذانه .

١١٣ إذا استأذن المرء على غيره ولم يُؤْذن له ، فرجوعه يكون أطهر له .

١١٥ للإنسان أن يدخل حوانيت التُّجار إذا علم أنهم آذنون لمن يدخل .

١١٦ ما يجب على الرجال والنساء من غضّ أبصارهم ، وحفظ فروجهم .

١٢٠ من يجوز للمرأة إظهار زينتها لديه .

١٢٥ تأويل قوله تعالى « وأنكحوا الأيامى » . . . الآية .

الصفحة

١٢٦ هل تجب كتابة العَبْد إذا طلب أم لا ؟
١٣٢ ما كان يفعله أهل الجاهلية من إعداد الإماء للزنا، وإكراههنّ عليه، ونهى المسلمين عنه .
١٣٥ تأويل قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » .
١٤٥ ما يُنْدَب فيه ذكر الله من البيوت .
١٤٨ العمل فى الكفر يكون هباء لاغناء فيه ، مع ضرب الأمثال له .
١٥٢ تأويل قوله « ألم تر أن الله يسبِّح له ما فى السموات » . . . الآية ، وبيان المراد من الصلاة والتسبيح .
١٥٨ ما وعد الله المؤمنين من استخلافهم فى الأرض ، وإنجاز وعده .

الصفحة

١٦١ الساعات التى نُدِب إلى الاستئذان فيهنّ .
١٦٥ ما يجوز من وضع الجلباب للمرأة الهَرِمة .
١٦٨ تأويل قوله تعالى « ليس على الأعمى حَرَج » . . . الآية ، وبيان الخلاف فيها .
١٧٦ ما كان عليه المؤمنون من استئذان رسول الله إذا أرادوا الانصراف .
١٧٩ تفسير سورة الفرقان
١٨١ تأويل قوله « وقال الذين كفروا » ... الآية.
١٨١ الشُّبَه التى كانت كفار قريش تتمسك بها .
١٨٦ معنى تغيُّظ النار وزفيرها .
١٩٠ تأويل قوله تعالى « قالوا سبحانك » . . . الآية ، ومعنى البُورْ ، والشاهد عليه .

٣ — فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ء	
الجزَاء	٨٨
وِقاءُ	٨٨
الفِدَاءُ	٨٨
الدَّلاءُ	٨٨
ب	
لُهُوبُ	٢٨
عَصِيبِ	١٧
ج	
الفَلَجْ	١٤
بالفَرَجْ	١٤
ح	
كَلَحْ	٥٦
د	
وَعَدُوا	١٤٧
الشُّرُدَا	١٧

القافية	الصفحة
ر	
بُورُ	١٩١
غَمْرُ	٣٩
مَشْبُورُ	١٨٨
لا يَسِيرُ	٤٨
وَزِيرُ	٤٨
لا يَفْرِى	١١
جُؤَارَا	٣٧
ف	
مُتْرَفا	١٩
ق	
وَزُمَلِقْ	٩٨
تَلِقْ	٩٨
الخُلُقْ	٩٨
اليَلامِقِ	٩٨
آلِقِ	٩٨

القافية	الصفحة
ل	
بَغْلُ	٨
البَقْلُ	١٤
سَلائِلُهْ	٨
نُوَاصِلُهْ	٢٠
المُبْدَلِ	١٥٩
بالسَّلائِلِ	٨
الغَوَافِلِ	٨٨
إبْقَاهَا	١٥٣
م	
أَتَأَيَّمِ	١٢٥
بالمِيْسَمِ	٢١
ن	
حَصِينِ	٨
ى	
الغَوَانِيا	١٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة قد أفلح المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)

قال أبو جعفر : يعنى جلّ ثناؤه بقوله (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) : قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله ، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى فى هذه الآيات الخلود فى جنّات ربهم ، وفازوا بطَلِبتهم لديه .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) قال : قال كعب : لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عَدْن بيده ، ثم قال لها تكلمى ، فقالت (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) لما علمت فيها من الكرامة .

حدثنا سهل بن موسى الرازىّ ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن عبد العزيز ابن رفيع ، عن مجاهد ، قال : لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة ، نظر إليها فقال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)

قال : ثنا حفص بن عمر ، عن أبى خلدة ، عن أبى العالية ، قال : لما خلق الله الجنة قال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) فأنزل الله به قرآنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جبير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : « لم يخلق الله شيئا بيده غير أربعة أشياء : خلق آدم بيده ، وكتب الألواح بيده ، والتوراة بيده ، وغرس عدْنا بيده ، ثم قال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) ».

وقوله (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) يقول تعالى ذكره : الذين هم فى صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون ، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته ، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها . وقيل : إنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها ، فنُهُوا بهذه الآية عن ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت خالدا ، عن محمد بن سيرين ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّى نظر إلى السماء ، فأنزلت هذه الآية (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ) قال : فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن أبي جعفر ، عن الحجاج الصوّاف ، عن ابن سيرين ، قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم فى الصلاة إلى السماء ، حتى نزلت (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ) فقالوا بعد ذلك برءوسهم هكذا » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : « نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء ، فنزلت آية ، إن لم تكن (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ) فلا أدرى أية آية هى ، قال : فطأطأ » . قال : وقال محمد : وكانوا يقولون : لايجاوز بصره مصلّاه ، فإن كان قد استعاد النظر فليغْمِض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن عون ، عن محمد نحوه .

واختلف أهل التأويل فى الذى عنى به فى هذا الموضع من الخشوع ، فقال بعضهم : عنى به : سكون الأطراف فى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ) قال : السكون فيها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ) قال : سكون المرء فى صلاته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، عن الثورىّ ، عن أبي سفيان الشيبانى ، عن رجل ، عن علىّ ، قال : سئل عن قوله (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ) قال : لاتلتفت فى صلاتك .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملىّ ، قال : قال ضَمْرة بن ربيعة ، عن أبي شَوْذب ، عن الحسن ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ) قال : كان خشوعهم فى قلوبهم ، فغضوا بذلك البصر ، وخفضوا به الجَنَاح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (خاشِعُونَ) قال : الخشوع فى القلب ، وقال : ساكنون .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى خالد بن عبد الله ، عن المسعودىّ ، عن أبي سنان ، عن رجل من قومه ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : الخشوع فى القلب ، وأن تُلين للمرء المسلم كَنَفك ، ولا تلتفت .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبى رباح ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) قال : التخشع فى الصلاة . وقال لى غير عطاء : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا قام فى الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووُجاهه ، حتى نزلت (قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) فما رُؤى بعد ذلك ينظر إلا إلى الأرض .

وقال آخرون : عنى به الخوف فى هذا الموضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) قال : خائفون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) قال الحسن : خائفون . وقال قتادة : الخشوع فى القلب .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) يقول : خائفون ساكنون .

⁂ وقد بيّنا فيما مضى قبل من كتابنا ، أن الخشوع : التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وإذ كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى فى عقل ولا خبر ، كان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم . وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام ما وصفت من قبل ، من أنه : والذين هم فى صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته ، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه فى سكون أطرافه ، وشغله بفرضه ، وتركه ما أمر بتركه فيها .

وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) يقول تعالى ذكره : والذين هم عن الباطل ، وما يكرهه الله من خلقه معرضون .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) يقول : الباطل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) قال : عن المعاصى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ، ممن آمن به واتبعه وصدقه ، كانوا عن اللغْوِ معرضين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : والذين هم لزكاة أموالهم التى فرضها الله عليهم فيها مؤدّون ، وفعلهم الذى وصفوا به هو أداؤهموها . وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) يقول : والذين هم لفروج أنفسهم ، وعنى بالفروج فى هذا الموضع : فروج الرجال ، وذلك أقبالهم ، حافظون : يحفظونها من أعمالها فى شىء من الفروج (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) يقول : إلا من أزواجهم اللاتى أحلهنّ الله للرجال بالنكاح (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) يعنى بذلك : إماءهم . و « ما » التى فى قوله (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) فى محلّ خفض ، عطفا على الأزواج (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) يقول : فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه ، وحفظه عن غيره من الخلق ، فإنه غير مُوَبَّخ على ذلك ، ولا مذموم ، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) يقول : رضى الله لهم إتيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم .

وقوله (فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ) يقول : فمن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه ، (فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) يقول : فهم العادون حدود الله ، المجاوزون ما أحلّ الله لهم ، إلى ما حرّم عليهم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : نهاهم الله نهيا شديدا ، فقال (فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) فسمى الزانى من العادين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) قال : الذين يتعدّون الحلال إلى الحرام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن ، فى قوله (فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) قال : من زنى فهو عاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ) التى ائتمنوا عليها وعهدهم ، وهوعقودهم التى عاقدوا الناس (رَاعُونَ) يقول : حافظون لايضيعون ، ولكنهم يوفون بذلك كله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار إلا ابن كثير (وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ) على الجمع ، وقرأ ذلك ابن كثير (لأَمَانَتِهِمْ) على الواحدة .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : (لأَمَانَاتِهِمْ) لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) يقول : والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون ، فلا يضيعونها ، ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ، ولكنهم يراعونها حتى يؤدّوها فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : على وقتها .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) على ميقاتها .

حدثنا ابن عبد الرحمن البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قال : أخبرنا ابن زَحْر ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، قال (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : أقام الصلاة لوقتها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : على صلواتهم دائمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : دائمون ، قال : يعنى بها المكتوبة .

وقوله (أُولَٰئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم فى الدنيا ، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، رُوى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأوّله أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاَّ وَلَهُ مَنْزِلانِ : مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ ، ومَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، وَإنْ ماتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ » فذلك قوله (أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، فى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ) قال : يرثون مساكنهم ، ومساكن إخوانهم ، التى أعدّت لهم لو أطاعوا الله .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن أبى هريرة (أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ) قال : يرثون مساكنهم ، ومساكن إخوانهم الذين أعدّت لهم لو أطاعوا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : الوارثون الجنة أورثتموها ، والجنة التى نورث من عبادنا ، هن سواء ؛ قال ابن جريج : قال مجاهد : يرث الذى من أهل الجنة أهله وأهل غيره ، ومنزل الذين من أهل النار ، هم يرثون أهل النار ، فلهم منزلان فى الجنة وأهلان ، وذلك أنه منزل فى الجنة ، ومنزل فى النار . فأما المؤمن فَيَبْنِى منزله الذى فى الجنة ، ويهدم منزله الذى فى النار . وأما الكافر فيهدم منزله الذى فى الجنة ، ويبنى منزله الذى فى النار . قال ابن جُرَيج عن ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد ، أنه قال مثل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره (الَّذِينَ يَرِثُونَ) البستان ذا الكَرْم ، وهو (الفِرْدَوْسُ) عند العرب . وكان مجاهد يقول : هو بالرومية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، فى قوله (الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ) قال : الفردوس : بستان بالرومية .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : عدن : حديقة فى الجنة قصرها فيها عدنها خلقها بيده ، تفتح كل فجر فينظر فيها ، ثم يقول (قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ) قال : هى الفردوس أيضا تلك الحديقة ، قال مجاهد : غرسها الله بيده ؛ فلما بلغت قال (قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ) ثم أمر بها تغلق ، فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرّب ، ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول (قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنونَ) ثم تغلق إلى مثلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قَتادة ، قال : « قتل حارثة بن سُراقة يوم بدر ، فقالت أمه : يارسول الله ، إن كان ابنى من أهل الجنة لم أبك عليه ، وإن كان من أهل النار بالغت فى البكاء ، قال : يا أُمَّ حارِثَةَ ، إنَّها جَنَّتانِ فِي جَنَّةٍ ، وَإنَّ ابْنَكِ قَدْ أصَابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَى مِنَ الجَنَّةِ » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن كعب ، قال : خلق الله بيده جنة الفردوس ، غرسها بيده ، ثم قال : تكلمى ، قالت (قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن حُسام بن مِصَكّ ، عن قتادة أيضا ، مثله ، غير أنه قال : تكلمى ، قالت : طوبى للمتّقين .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى داود نفيع ، قال : لما خلقها الله ، قال لها تزينى ، فتزينت ؛ ثم قال لها : تكلمى ، فقالت : طوبى لمن رضيت عنه .

وقوله (هُمْ فِيها خالِدُونَ) يعنى ماكثون فيها ، يقول : هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون ، يعنى ماكثون فيها أبدا ، لايتحوّلون عنها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢)

يقول تعالى ذكرُهُ (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ) أسللناه منه ، فالسلالة هى المستلة من كلّ تربة ، ولذلك كان آدم خُلق من تربة أخذت من أديم الأرض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى المعنىّ بالإنسان فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ طِينٍ) قال : اُستُلّ آدم من الطين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ) قال : اُستُلّ آدم من طين ، وخُلقت ذرّيته من ماء مَهِينٍ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد خلقنا ولد آدم ، وهو الإنسان الذى ذكر فى هذا الموضع ، من سلالة ، وهى النطفة التى اُستُلّت من ظَهر الفحل من طين ، وهو آدم الذى خُلق من طين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبى يحيى ، عن ابن عباس (مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ) قال : صفوة الماء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (مِنْ سُلالَةٍ) من منىّ آدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم ، وهى صفة مائه وآدم هو الطين ، لأنه خُلق منه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لدلالة قوله (ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ) على أن ذلك كذلك ، لأنه معلومٌ أنه لم يُصِرَ فى قرار مكين ، إلا بعد خلقه فى صُلب الفحل ، ومن بعد تحوّله من صُلبه صار فى قرار مكين ؛ والعرب تسمى ولد الرجل ونطفته : سليله وسلالته ، لأنهما مسلولان منه ؛ ومن السُّلالة قول بعضهم :

حَمَلَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنْفَرًا سُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ[1]

وقول الآخر :

وَهَلْ كُنْتُ إلاَّ مُهْرَةً عَرَبِيَّةً سُلالَةَ أفْرَاسٍ تَحَلَّلَها بَغْلُ[2]

فمن قال : سلالة جمعها سلالات ، وربما جمعوها سلائل ، وليس بالكثير ، لأن السلائل جمع للسليل ؛ ومنه قول بعضهم :

إذا أُنْتِجَتْ مِنْها المَهارَى تَشابَهَتْ عَلَى القَوْدِ إلاَّ بالأُنُوفِ سَلائِلُهْ[3]

وقول الراجز : يَقْذِفْنَ فِى أسْلابِها لسَّلائِلِ[4]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت (اللسان : سلل) وفيه : فجاءت فى موضع حملت . وهو شاهد على أن السلالة بمعنى نطفة الإنسان ، وسلالة الشىء : ما استل منه . واستشهد به المؤلف على أن العرب تسمى ولد الرجل ونطفته : سلالة . وفى اللسان : وقال الفراء : السلالة الذى سل من كل تربة . وقال أبو الهيثم : السلالة : ما سل من صلب الرجل وترائب المرأة ، كما يسل الشىء سلا . والسليل : الولد حين يخرج من بطن أمه ، لأنه خلق من السلالة . وعن عكرمة أنه قال فى السلالة : إنه الماء يسل من الظهر سلا . وعضب الأديم : غليظ الجلد ، ولعله يريد وصفه بالشدة والقسوة . ولم أجد هذا التعبير فى معاجم اللغة ، ووجدته فى حاشية جانبية على نسخة مصورة من مجاز القرآن محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ، رقمها ٢٦٠٥٩ عند تفسير قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » .

(٢) البيت لهند بنت النعمان (اللسان : سلل) . وروايته : « وما هند إلا مهرة » . وهو شاهد على أن السليل الولد ، والأنثى سليلة ، قال أبو عمرو : السليلة بنت الرجل من صلبه . وتجللها : علاها . والمراد بالبغل هنا : الرجل الشبيه بالبغل ، والبغل مذموم عند العرب . وفى اللسان : سلل : قال ابن برى : وذكر بعضهم أنها تصحيف ، وأن صوابه « نغل » بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدواب ، لان البغل لا ينسل . وقال ابن شميل : يقال للإنسان أول ما تضعه أمه : سليل . والسليل والسليلة : المهر والمهرة .

(٣) لم أجد هذا البيت فى معانى القرآن للفراء ، ولا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ، ولا فى شواهد معاجم اللغة . وهو شاهد على أن السلائل جمع سلالة ، وقد شرحنا معناها فى الشاهدين السابقين ، بما أغنى عن تكراره هنا .

(٤) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول محرفا . وحسبه المؤلف من الرجز ، ويلوح لى أن هذا جزء من بيت للنابغة الذبيانى ، مسخه بعض النساخ فى بعض الكتب ، ولم يفطن له المؤلف . وبيت النابغة من البحر الطويل ، وهو من قصيدة له يصف الخيل فى وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغسانى ببنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، قال فيها :

وَقَدْ خِفْتُ حتى ما تَزِيدُ مَخافَتِى عَلَى وَعِلٍ فِى ذى المَطارَةِ عاقِلِ
مَخافَةَ عَمْرٍو أنْ تَكُونَ جِيادُهُ يُقَدْنَ إلَيْنا بينَ حافٍ وَنَاعِلِ
إذا اسْتَعْجَلُوها عَنْ سَجِيَّةِ مَشْيِها تَتَلَّعُ فِى أعْناقِها بالجَحافِلِ
ويَقْذِفْنَ بالأوْلادِ فى كُلِّ مَنْزِلٍ تَشَحَّطُ فى أسْلائِها كالوَصَائِلِ

وهذا البيت الأخير هو محل الشاهد فى بحثنا ، وليس فيه شاهد للمؤلف على السلائل جمع السلالة ، لأنها لم تذكر فى البيت ولا فى القصيدة كلها. وأصل تشحط : تتشحط ، أى تضطرب ، يريد أولاد الخيل . والسلى : الجلدة التى يكون فيها الولد من الإنسان أو الحيوان إذا ولد . =

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ) ثم : جعلنا الإنسان الذى جعلناه من سلالة من طين ، نطفة فى قرار مكين ، وهو حيث استقرّت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ، ووصفه بأنه مكين ، لأنه مُكِّن لذلك ، وهيئ له ، ليستقرّ فيه إلى بلوغ أمره الذى جعله له قرارا . وقوله (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) يقول : ثم صَيَّرنا النطفة التى جعلناها فى قرار مكين علقةً ، وهى القطعة من الدم ، (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) يقول : فجعلنا ذلك الدم مضغة ، وهى القطعة من اللحم . وقوله (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) يقول : فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما .

وقد اختلفت القُرّاءُ فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق سوى عاصم (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) على الجماع ، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك (عَظْمًا) فى الحرفين على التوحيد جميعا .

والقراءة التى نختار فى ذلك : الجماع ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) يقول : فألبسنا العظام لحما . وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَظْمًا) وعصبا ، فكسوناه لحما . وقوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) يقول : ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر ، وهذه الهاء التى فى (أَنْشَأْنَاهُ) عائدة على الإنسان فى قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ) قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة ، جُعِلَ ذلك كلّه كالشىء الواحد ، فقيل : ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) فقال بعضهم : إنشاؤه إياه خلقا آخر : نفخه الروحَ فيه ، فيُصيرُ حينئذٍ إنسانًا ، وكان قبل ذلك صُورةً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : الروح .

= والوصائل : الثياب الحمر المخططة . والمراد أن الأسلاب كانت موشحة بالدم ، وانظر البيت فى (اللسان : شحط) وفى المخصص . لا بن سيده (١ : ١٧) ومختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا (طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ص ٢١١) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهانى عن عكرمة ، فى قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سلمة ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : نفخ فيه الروح .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : نفخ فيه الروح ، فهو الخلق الآخر الذى ذكر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سَمِعْتُ أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا) يعنى الروح تنفخ فيه بعد الخلق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : الروح الذى جعله فيه .

وقال آخرون : إنشاؤه خلقا آخر ، تصريفُه إياه فى الأحوال بعد الولادة : فى الطفُولة ، والكهولة ، والاغْتِذاء ، ونباتِ الشَعْرِ ، والسِنّ ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ) يقول : خرج من بطن أمه بعدما خلق ، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهلّ ، ثم كان من خلقه أن دُلّ على ثدى أمه ، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه ، إلى أن قعد ، إلى أن حبا ، إلى أن قام على رجليه ، إلى أن مشى إلى أن فُطِم ، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام ، إلى أن بلغ الحلم ، إلى أن بلغ أن يَتَلَقَّبَ فى البلاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : يقول بعضهم : هو نبات الشعر ، وبعضهم يقول : هو نفخ الروح .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره .

وقال آخرون : بل عنى بإنشائه خلقا آخر : سُوِّىَ شبابُه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : حين استوى شبابه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال مجاهد : حين استوى به الشباب .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بذلك نُفخ الروح فيه ، وذلك أنه بنفخ الروح فيه ، يتحوّل خلقا آخر إنسانًا ، وكان قبل ذلك بالأحوال التى وصفه الله أنه كان بها ، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم ، وبنفخ الروح فيه ، يَتَحَوَّلُ عن تلك المعانى كُلِّها إلى معنى الإنسانية ، كما تحوَّل أبوه آدم بنفخ الروح فى الطينة التى خلق منها إنسانا ، وخلقا آخر غير الطين الذى خلق منه .

وقوله (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه فتبارك الله أحسن الصانعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ) قال : يصنعون ويصنع الله ، والله خير الصانعين .

وقال آخرون : إنما قيل (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ) لأن عيسى بن مريم كان يخلق ، فأخبر جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، فى قوله (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ) قال : عيسى بن مريم يخلق .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول مجاهد ، لأن العرب تسمى كل صانع خالقا ؛ ومنه قول زهير :

وَلأَنْتَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِى[1]

ويروى :

وَلأَنْتَ تَخْلُقُ ما فَرَيْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لايَفْـرِي

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا ، كما بدأناكم أوّل مرّة . وإنما قيل (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلكَ لَمَيِّتُونَ) لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن . وكذلك تقول

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى يمدح رجلا (اللسان : خلق) يقول : أنت إذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه ، لأنه ليس بماض العزم وأنت مضاء على ما عزمت عليه . والخلق : التقدير ، يقال : خلق الأديم يخلقه خلقا : قدره لما يريد قبل القطع ، وقاسه ليقطع منه مزادة أوقربة أوخفا . ولذلك سمت العرب كل صانع كالنجار والخياط ونحوهما خالقا ، لأنه يقيس الخشب ويقدره على ما يريده له . والفرى القطع بعد التقدير ، وقد يكون قبله ، بأن يقطع قطعة من جلد أوثوب قطعا مقاربا ، ثم يصلحها ويسويها بالحساب والتقدير على ما يريده . ولذلك جاءت رواية أخرى فى البيت : ولأنت تخلق ما فريت . . . الخ البيت .

العرب لمن لم يمت : هو مائت وميت عن قليل ، ولا يقولون لمن قد مات مائت ، وكذلك هو طَمِع فيما عندك ، إذا وصف بالطمع ، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا ، وكذلك ذلك فى كلّ ما كان نظيرا لما ذكرناه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ، وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ (١٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات ، بعضهنّ فوق بعض ، والعرب تسمى كل شىء فوق شىء طريقة . وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق ، لأن بعضهنّ فوق بعض ، فكلّ سماء منهنّ طريقة .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) قال : الطرائق : السموات .

وقوله (وَما كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غافِلِينَ) يقول : وما كنا فى خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذى تحتها غافلين ، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ ، فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ، وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : وأنزلنا من السماء ما فى الأرض من ماء ، فأسكناه فيها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وأنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فأسْكَنَّاهُ فِي الأرْضِ) ماء هو من السماء .

وقوله (وَإنَّا على ذهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وإنا على الماء الذى أسكناه فى الأرض لقادرون أن نذهب به ، فنهلكوا أيها الناس عطشا ، وتخرب أرضوكم ، فلا تنبت زرعا ولاغرسا ، وتهلك مواشيكم ، يقول : فمن نعمتى عليكم تركى ذلك لكم فى الأرض جاريا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ، لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : فأحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء ، بساتين من نخيل وأعناب ، لكم فيها يقول : لكم فى الجنات فواكه كثيرة (وَمِنْها تَأْكُلُونَ) يقول : ومن الفواكه تأكلون . وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات ، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب ، وخصّ جل ثناؤه

الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع ، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب ، دون وصفها بسائر ثمار الأرض ، لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها ، فكانت النخيل لأهل المدينة ، والأعناب لأهل الطائف ، فذكّر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم ، بما أنعم به عليهم من ثمارها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء ، وشجرة منصوبة عطفا على الجنات ، ويعنى بها : شجرة الزيتون .

وقوله (تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ) يقول : تخرج من جبل يُنْبِت الأشجار .

وقد بيّنت معنى الطور فيما مضى بشواهده ، واختلاف المختلفين ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (سَيْنَاءَ) فان القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (سِيناءَ) بكسر السين . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (سَيْنَاءَ) بفتح السين ، وهما جميعا مجمعون على مدّها .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأَة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : المبارك ، كأن معنى الكلام عنده : وشجرة تخرج من جبل مبارك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (طُورِ سِيناءَ) قال : المبارك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِيناءَ) قال : هو جبل بالشام مبارك .

وقال آخرون : معناه : حسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (طُورِ سِيناءَ) قال : هو جبل حسن .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ طُورِ سِيناءَ) الطور : الجبل بالنبطية ، وسيناء : حسنة بالنبطية .

وقال آخرون : هو اسم جبل معروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخُراسانىّ ، عن عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ طُورِ سِيناءَ) قال : الجبل الذى نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (طُورِ سِيناءَ) قال : هو جبل الطور الذى بالشام ، جبل ببيت المقدس ، قال : ممدود هو بين مصر وبين أَيْلة .

وقال آخرون : معناه : أنه جبل ذو شجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عمن قاله .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن سيناء اسم أضيف إليه الطور ، يعرف به ، كما قيل جبلا طيئ ، فأضيفا إلى طيئ ، ولو كان القول فى ذلك كما قال من قال : معناه : جبل مبارك ، أو كما قال : من قال معناه حسن ، لكان الطور منوّنا ، وكان قوله سيناء ، من نعته ، على أن سيناء بمعنى : مبارك وحسن ، غير معروف فى كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعت الجبل ، ولكن القول فى ذلك - إن شاء الله - كما قال ابن عباس ، من أنه جبل عرف بذلك ، وأنه الجبل الذى نُودى منه موسى صلى الله عليه وسلم ، وهو مع ذلك مبارك ، لا أن معنى سيناء معنى مبارك .

وقوله (تَنْبُتُ بالدُّهْنِ) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (تَنْبُتُ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (تَنْبُتُ) بفتح التاء ، بمعنى : تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن ، وقرأه بعض قرّاء البصرة (تُنْبِتُ) بضم التاء ، بمعنى : تنبت الدهن : تخرجه . وذكر أنها فى قراءة عبد الله (تُخْرِجُ الدُّهْنَ) وقالوا : الباء فى هذا الموضع زائدة ، كما قيل : أخذت ثوبه ، وأخذت بثوبه وكما قال الراجز :

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبابُ الفَلَجْ نَضْرِبُ بالْبِيضِ وَنَرْجُو بالفَرَجْ[1]

بمعنى : ونرجو الفرج والقول عندى فى ذلك أنهما لغتان : نبت ، وأنبت ؛ ومن أنبت قول زهير :

رأيْتَ ذَوِي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينا لَهُمْ حتى إذَا أنْبَتَ البَقْلُ[2]

---

(١) البيت لنابغة بنى جعدة (خزانة الأدب للبغدادى ٤ : ١٦٠) والفلج فى الأصل : النهر الصغير ، والماء الجارى . والمراد به فى البيت : موضع فى أعلى بلاد قيس . ويروى : « يضرب بالسيف » . والبيض : جمع أبيض ، وهو السيف . والبيت شاهد على زيادة الباء فى قوله بالفرج ، أى ونرجو الفرج . وهى زائدة فى المفعول به سماعا . قال ابن عصفور فى الضرائر : زيادة الباء هنا : ضرورة ، وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب لابن قتيبة : إنما عدى الرجاء بالباء ، لأنه بمعنى الطمع ، والطمع يتعدى بالباء ، كقولك : طمعت بكذا . قال الشاعر :

طَمِعْتُ بلَيْلَى أنْ تَجُودَ وإنَّمَا تُقَطِّعُ أعْناقَ الرِّجالِ المَطامِعُ

وبنو جعدة يروى بالرفع على أنه خبر نحن ، وبالنصب على الاختصاص ، والخبر : أرباب . اهـ .

(٢) البيت فى (اللسان : نبت) : قال : ونبت البقل وأنبت بمعنى ، وأنشد لزهير بن أبى سلمى :

إذا السَّنَةُ الشَّهْباء بالنَّاسِ أجْحَفَتْ ونالَ كِرَامَ النَّاسِ فى الحُجُرَةِ الأكلُ =

ويروى : نبت ، وهو كقوله (فأَسْرِ بأهْلِكَ) وفاسر ، غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإن القراءة التى لاأختار غيرها فى ذلك ، قراءة من قرأ (تَنْبُتُ) بفتح التاء ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها . ومعنى ذلك : تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَنْبُتُ بالدُّهْنِ) قال : بثمره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

والدهن الذى هو من ثمره الزيت ، كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَنْبُتُ بالدُّهْنِ) يقول : هو الزيت يؤكل ويُدَّهن به .

وقوله (وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ) يقول : تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين ، يُصْطَبَغ بالزيت الذين يأكلونه .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ) قال : هذا الزيتون صبغ للآكلين ، يأتدمون به ويصطبغون به .

قال أبو جعفر : فالصبغ عطف على الدهن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهَا ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : (وَإِنَّ لَكُمْ) أيها الناس (فِى الأَنْعامِ لَعِبْرَةً) تعتبرون بها ، فتعرفون بها أيادىَ الله عندكم ، وقدرته على مايشاء ، وأنه الذى لايمتنع عليه شىء أراده ، ولا يُعْجِزه شىء شاءه . (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِها) من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . (وَلَكُمْ) مع ذلك (فِيها) يعنى فى الأنعام (مَنافِعُ كَثِيرَةٌ) وذلك كالإبل التى يُحمل عليها ، ويُركب ظهرها ، ويُشرب دَرّها . (وَمِنْها تَأْكُلُونَ) يعنى من لحومها تأكلون . وقوله (وَعَلَيْها وَعَلَى الفُلْكِ تُحْمَلُونَ) يقول : وعلى الأنعام وعلى السفن تحملون على هذه فى البرّ ، وعلى هذه فى البحر .

= ثم قال : يعنى بالشهباء البيضاء من الجدب ، لأنها تبيض بالثلج أوعدم النبات . والحجرة السنة الشديدة التى تحجر الناس فى بيوتهم ، فينحروا كرائم إبلهم ليأكلوها . والقطين : الحشم ، وسكان الدار . وأجحفت أضرت بهم ، وأهلكت أموالهم . قال : ونبت وأنبت : مثل قولهم مطرت السماء وأمطرت . وقال فى قوله تعالى : « تنبت بالدهن » قرأ ابن كثير وأبوعمرو الحضرمى : « تنبت » بالضم فى التاء ، وكسر الباء . وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى وابن عامر : بفتح التاء . وقال الفراء : هما لغتان : نبتت الأرض وأنبتت ، قال ابن سيده : أما تنبت (بضم التاء) فذهب كثير من الناس إلى أن معناه : تنبت الدهن ، أى شجر الدهن ، أو حب الدهن ، وأن الباء فيه زائدة ، وكذلك قول عنترة « شربت بماء الدحرضين . . . البيت » ، قالوا : أراد شربت ماء الدحرضين . قال : وهذا عند حذاق أصحابنا على غير وجه الزيادة ، وإنما تأويله والله أعلم — تنبت ما تنبته والدهن فيها ، كما تقول : خرج زيد بثيابه ، أى بثيابه عليه ؛ وركب الأمير بسيفه ، أى وسيفه معه . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ، أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحا إلى قَوْمِهِ) داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا ، والبراءة من كلّ معبود سوانا . (فَقَالَ) لهم نوح : (يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) يقول : قال لهم : ذلوا ياقوم لله بالطاعة (مالَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ) يقول : ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره (أفَلا تَتَّقُونَ) يقول : أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحلّ بكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ : مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰئِكَةً ، مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ءَابَآئِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فقالت جماعة أشراف قوم نوح ، الذين جحدوا توحيد الله ، وكذّبوه لقومهم : مانوح أيها القوم إلا بشر مثلكم ، إنما هو إنسان مثلكم ، وكبعضكم (يُرِيدُ أنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) يقول : يريد أن يصير له الفضل عليكم ، فيكون متبوعا وأنتم له تبع (وَلَوْ شاءَ اللهُ لأنْزَلَ مَلائِكَةً) : يقول : ولو شاء الله أن لانعبد شيئا سواه لأنزل ملائكة ، يقول : لأرسل بالدعاء إلى مايدعوكم إليه نوح ملائكة ، تؤدّى إليكم رسالته . وقوله (ما سَمِعْنا بِهَذَا) الذى يدعونا إليه نوح ، من أنه لاإله لنا غير الله فى القرون الماضية ، وهى آباؤهم الأوّلون .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ، فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ، فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧)

يعنى تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ الذين كفروا من قوم نوح (إنْ هُوَ إلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) : مانوح إلا رجل به جنون . وقد يقال أيضا للجنّ جنة ، فيتفق الاسم والمصدر ، وهو من قوله « إن هو » كناية اسم نوح . وقوله (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حتى حِينٍ) يقول : فتلبثوا به ، وتنظروا به حتى حين : يقول :

إلى وقت ما، ولم يَعْنُوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل : دعه إلى يوم مَّا ، أو إلى وقت مَّا .

وقوله (قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) يقول : قال نوح داعيا ربه، مستنصرا به على قومه، لما طال أمره وأمرهم، وتمادَوا فى غيهم : (رَبِّ انْصُرْنِي) عَلى قَوْمِى (بِما كَذَّبُونِ) يعنى بتكذيبهم إياى، فيما بلَّغتهم من رسالتك ، ودعوتهم إليه من توحيدك . وقوله (فأَوْحَيْنا إلَيْهِ أنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا) يقول : فقلنا له حين استنصرَنا على كَفَرة قومه : اصنع الفُلْك ، وهى السفينة . بأعيننا : يقول : بمرأى منا ومنظر ، ووحينا : يقول : وبتعليمنا إياك صنعتها . (فإذَا جاء أمْرُنا) يقول : فإذا جاء قضاؤنا فى قومك، بعذابهم وهلاكهم (وَفارَ التَّنُّورُ) .

وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين فى صفة فور التنور ، والصواب عندنا من القول فيه بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

(فاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : فأدخل فى الفلك واحمل، والهاء والألف فى قوله (فيها) من ذكر الفلك (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقال سلكته فى كذا وأسلكته فيه؛ ومن سلكته قول الشاعر :

وكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ [1]

وبعضهم يقول : أسلكت بالألف ؛ ومنه قولى الهُذَلِىّ :

حتى إذَا أسْلَكُوهُمْ فِي قُتائِدَةٍ ... شَلاًّ كَمَا تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا [2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول لنوح : اجعل فى السفينة من كل زوجين اثنين (وأهْلَكَ) وهم ولده ونساؤهم (إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ) من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك ، وهو يام الذى غرق . ويعنى بقوله (مِنْهُمْ) مِن أهلك ، والهاء والميم فى قوله منهم من ذكر الأهل . وقوله (وَلا تخاطِبْنِي) . . . الآية ، يقول : ولا تسألنى فى الذين كفروا بالله أن أنجيهم (إنَّهُم مُغْرَقُونَ) يقول : فانى قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم .

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى (انظر شرحنا له فى ص ٨٢ من الجزء الثانى عشر من هذا التفسير ، وقد استشهد به المؤلف هناك عند قوله تعالى « وقال هذا يوم عصيب » أى شديد . واستشهد به هنا على أنه يقال سلكته فى كذا : بمعنى أدخلته فيه ، وأسلكته فيه، والبيت شاهد على الأول . قال فى (اللسان : سلك) : والسلك ، بالفتح : مصدر سلكت الشىء فى الشىء ، فانسلك ، أى أدخلته فيه فدخل . قال عدى بن زيد : « وكنت لزاز . . . البيت » . كما استشهد به المؤلف مرة أخرى فى (١٤ : ٩) من هذه الطبعة عند قوله تعالى : « كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين » ، فراجعه ثمة .

(٢) البيت لعبد مناف بن ربع الهذلى (اللسان : سلك) . قال : وسلك المكان يسلكه سلكا وسلوكا ، وسلكه غيره (بنصب غير) وفيه ، وأسلكه إياه، وفيه ، وعليه (بمعنى أدخله فيه) قال عبد مناف بن ربع الهذلى : « حتى إذا أسلكوهم . . . . البيت » . وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت فى (ص ٩ من الجزء الرابع عشر من هذه الطبعة) عند قوله تعالى : « كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) . فراجعه ثمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٢٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله (فإذَا اسْتَوَيْتَ أنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ) : فإذا اعتدلت فى السفينة أنت ومن معك ، ممن حملته معك من أهلك ، راكبا فيها ، عاليا فوقها (فَقُلِ الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى نَجَّانا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) يعنى من المشركين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَـٰرَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام : وقل إذا سلمك الله وأخرجك من الفلك ، فنزلت عنها (رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلًا) من الأرض (مُبارَكًا ، وأَنْتَ خَيرُ) من أنزل عباده المنازل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مُنْزَلًا مُبارَكًا) قال : لنوح حين نزل من السفينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (رَبِّ أنْزِلْنِى مُنْزَلًا مُبارَكًا) بضم الميم ، وفتح الزاى ، بمعنى : أنزلنى إنزالا مباركاً . وقرأه عاصم (مَنْزِلًا) بفتح الميم ، وكسر الزاى ، بمعنى : أنزلنى مكانا مباركا وموضعا .

وقوله (إنَّ فِى ذلكَ لَآياتٍ) يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلنا بقوم نوح يامحمد من إهلاكناهم إذ كذبوا رسلنا ، وجحدوا وحدانيتنا ، وعبدوا الآلهة والأصنام ، لعبرا لقومك من مشركى قريش ، وعظات وحُجَجا لنا ، يستدلون بها على سنتنا فى أمثالهم ، فينزجروا عن كفرهم ، ويرتدعوا عن تكذيبك ، حذرا أن يصيبهم مثل الذى أصابهم من العذاب . وقوله (وَإنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) يقول تعالى ذكره : وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا ، لننظر ماهم عاملون قبل نزول عقو بتنا بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ : أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ، أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ (٣٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم أحدثنا من بعد مَهْلِك قوم نوح ، قرنا آخرين ، فأوجدناهم (فأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ) داعيا لهم (أنِ اعْبُدُوا اللهَ) ياقوم ، وأطيعوه دون الآلهة والأصنام ، فإن العبادة لاتنبغى إلا له (مالَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ) يقول : مالكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه (أفَلا تَتَّقُونَ) : أفلا تخافون عقاب الله ، بعبادتكم شيئا دونه ، وهو الإله الذى لاإله لكم سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ، يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣)

⁂ يقول تعالى ذكره: وقالت الأشراف من قوم الرسول الذى أرسلنا بعد نوح ، وعَنَى بالرسول فى هذا الموضع : صالحا ، وبقومه : ثمود (الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقاءِ الآخِرَةِ) يقول : الذين جحدوا توحيد الله ؛ وكذّبوا بلقاء الآخرة : يعنى كذّبوا بلقاء الله فى الآخرة . وقوله (وأَتْرَفْناهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا) يقول : ونعّمناهم فى حياتهم الدنيا ، بما وسّعنا عليهم من المعاش ، وبسطنا لهم من الرزق ، حتى بَطِروا وعَتَوْا على ربهم ، وكفروا ؛ ومنه قول الراجز :

* وَقَدْ أُرَانِي بالدِّيارِ مُتْرَفا[1] *

وقوله (ما هَذا إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) يقول : قالوا : بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيننا ، وخصه بالرسالة دوننا ، وهو إنسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ، ويشرب مما نشرب ، وكيف لم يرسل ملَكا من عنده يبلغنا رسالته ؟ قال (وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) معناه : مما تشربون منه ، فحذف « من » الكلام « منه » ، لأن معنى الكلام : ويشرب من شرابكم ، وذلك أن العرب تقول : شربت من شرابك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ؟ (٣٥)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم (وَلَئِنْ أطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ) فاتبعتموه ، وقبلتم ما يقول وصدّقتموه ، (إنَّكُمْ) أيها القوم (إذًا لَخاسِرُونَ) : يقول : قالوا : إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة فى الدنيا ، باتباعكم إياه .

(١) البيت للعجاج (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكرى ص ١٩) قال فى شرحه له : وقد أرانى : أى قد كنت أرانى . والمترف من الترف ، وهو النعيم والرفه . وفى (اللسان : ترف) : والمترف : المتنعم المتوسع فى ملاذ الدنيا وشهواتها . ورجل مترف ، ومترف كمعظم : موسع عليه . وترف الرجل وأترفه : دلله وملكه . وقوله تعالى : « إلا قال مترفوها » : أى أولو الترفه ، وأراد رؤساءها وقادة الشر منها .

قوله (أيَعِدُكُمْ أنَّكُمْ إذَا مِتُّمْ وكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظاماً) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : قالوا لهم : أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم تراباً فى قبوركم ، وعظاماً قد ذهبت لحوم أجسادكم ، وبقيت عظامها ، أنكم مخرجون من قبوركم أحياء ، كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت « أنكم » مرّتين . والمعنى : أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً ، مخرجون مرّة واحدة ، لما فرق بين « أنكم » الأولى ، وبين خبرها بإذا ، وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظنّ وأخواته ، ثم اعترضت بالجزاء دون خبره ، فتكرّر اسمه مرّة ، وتحذفه أخرى ، فتقول : أظنّ أنك إن جالستنا أنك محسن ، فإن حذفت أنك الأولى أو الثانية صلح ، وإن أثبتهما صلح ، وإن لم تعترض بينهما بشىء لم يجز ، خطأ أن يقال : أظنّ أنك أنك جالس؛ وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (أيَعِدُكُمْ إذَا مِتُّمْ وكُنْتُمْ تُرَابا وَعِظاماً أنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)﴾

⁂ وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول الملأ من ثمود ، أنهم قالوا : هيهاتَ هيهاتَ : أى بعيد ما توعدون أيها القوم ، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما ، مخرجون أحياء من قبوركم ، يقولون ذلك غير كائن . وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ) يقول : بعيد بعيد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) قال : يعنى البعث . والعرب تُدخل اللام مع هيهات فى الاسم الذى يصحبها ، وتنزعها منه ، تقول : هيهات لك هيهات ، وهيهاتَ ما تبتغى هيهات ؛ وإذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات ، كأنه قال : بعيد ما ينبغى لك ؛ كما قال جرير :

فهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بالعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ[1]

---

(١) البيت لجرير بن عطية الخطفى (لسان العرب : هيه) . والرواية فيه : « العقيق وأهله » . وفى الديوان (طبعة الصاوى ص ٤٧٩)

فأيهاتَ أيهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وأيهاتَ وَصْلٌ بالعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ

وهو من قصيدة يجيب بها الفرزدق . والعقيق : واد لبنى كلاب ، نقله البكرى فى معجم مااستعجم ، عن عمارة بن عقيل ، وهيهات وأيهات : كلمة معناها البعد ، وقيل : هيهات كلمة تبعيد قال جرير : « فهيهات . . . البيت » . والتاء مفتوحة مثل كيف ، وأصلها هاء ، وناس يكسرونها على كل حال ، قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلادا حتى صارت فى القفار :

هَيْهَاتَ مَنْ مُصْبَحُها هَيْهَاتَ حَجْرٌ مِن صُنَيْبِعاتِ

وقال الفراء : نصب هيهات بمنزلة نصب ربه وثمه ، وأنشد :

ماوِىَّ يا رُبَّتَما غارَةٍ شَعْوَاءَ كاللَّذْعَةِ بالمِيسَمِ

كأنه قال : العقيق وأهله ، وإنما أدخلت اللام مع هيهات فى الاسم ، لأنهم قالوا : هيهات أداة غير مأخوذة من فعل ، فأدخلوا معها فى الاسم اللام ، كما أدخلوها مع هلمّ لك ، إذ لم تكن مأخوذة من فعل ، فإذا قالوا أقبل ، لم يقولوا لك ، لاحتمال الفعل ضمير الاسم .

واختلف أهل العربية فى كيفية الوقف على هيهات ، فكان الكسائى يختار الوقوف فيها بالهاء ، لأنها منصوبة ؛ وكان الفرّاء يختار الوقوف عليها بالتاء ، ويقول : من العرب من يخفض التاء ، فدلّ على أنها ليست بهاء التأنيث ، فصارت بمنزلة دَرَاكِ ونَظَارِ ؛ وأما نصب التاء فيهما ، فلأنهما أداتان ، فصارتا بمنزلة خمسةَ عشر ؛ وكان الفراء يقول : إن قيل : إن كل واحدة مستغنية بنفسها ، يجوز الوقوف عليها ، وإن نصبها كنصب قوله : ثُمَّتَ جلست ؛ وبمنزلة قول الشاعر :

ماوِيَّ يَارُبَّتَما غارةٍ شَعْوَاءَ كاللَّذْعَةِ بالمِيسَمِ[1]

قال : فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التى فى « ربت » ، لأنها دخلت على حرف ، على ربّ ، وعلى ثم ، وكانا أداتين ، فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قرّاء الأمصار غير أبى جعفر (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ) بفتح التاء فيهما . وقرأ ذلك أبو جعفر (هيهاتِ هيهاتِ) بكسر التاء فيهما . والفتح فيهما هو القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (إنْ هِىَ إلاَّ حَيَاتُنا الدُّنْيا) يقول : ما حياة إلا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيا ، يقول : تموت الأحياء منا فلا تحيا ، ويحدث آخرون منا ، فيولدون أحياء (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) : يقول : قالوا : وما نحن بمبعوثين بعد الممات .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنْ هِىَ إلاَّ حَيَاتُنا الدُّنْيا ، نَمُوتُ وَنَحْيا ، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) قال : يقول ليس آخرة ولا بعث ، يكفرون بالبعث ، يقولون : إنما هى حياتنا هذه ، ثم نموت ولا نحيا ، يموت هؤلاء ، ويحيا هؤلاء ، يقولون : إنما الناس كالزرع يحصد هذا ، وينبت هذا : يقولون : يموت هؤلاء ، ويأتى آخرون ، وقرأ (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، إنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) وقرأ (لا تَأْتِينا السَّاعَةُ ، قُلْ بَلى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ) .

(١) البيت فى (اللسان : هيه ، رب) قال فى الثانى : الفرق بين ربما ورب أن رب لايليه غير الاسم ، وأما ربما فإنه زيدت (ما) مع (رب) ليليها الفعل ، تقول : رب رجل جاءنى ، وربما جاءنى زيد ، وكذلك ربتما ، وأنشد ابن الأعرابى « ماوى . . . الخ » . وقال الكسائى : أظنهم امتنعوا من جزم الباء (أى تسكين باء رب) لكثرة دخول التاء فيها فى قولهم : ربت رجل . يريد أن تاء التأنيث لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا ، أو فى نية الفتح ، فلما كانت تاء التأنيث تدخلها كثيرا امتنعوا من إسكان ما قبل هذا التأنيث ، وآثروا النصب (يعنى بالنصب الفتح) اه . وقال فى شعا : أشعى القوم الغارة إشعاء : أشعلوها ، وغارة شعواء . فاشية متفرقة ، وأنشد ابن الأعرابى : « ماوى . . . البيت » . والميسم : المكواة ، أو الشىء الذى يوسم به الدواب ، والجمع : مواسم ومياسم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا فى قوله ما لكم من إله غير الله وفى وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مُخْرجون . . وقوله (هُوَ) من ذكر الرسول ، وهو صالح (وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) يقول : وما نحن له بمصدّقين فيما يقول : إنه لاإله لنا غير الله ، وفيما يعدنا من البعث بعد الممات . وقوله (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) يقول : قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله ، ومن تصديقهم إياه بقولهم (وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) ربّ انصرنى على هؤلاء بما كذّبون ، يقول : بتكذيبهم إياى فيما دعوتهم إليه من الحقّ ، فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه ، وتكذيبهم له ، فقال الله له مجيبا ، فى مسئلته إياه ما سأل : عن قليل ياصالح ليصبحُنّ مكذّبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين ، وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ، فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ، فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : فانتقمنا منهم ، فأرسلنا عليهم الصيحة ، فأخذتهم بالحقّ ، وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه ، بكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) يقول : فصيرناهم بمنزلة الغُثاء ، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه ، كما لاينتفع به فى شىء ، فإنما هذا مَثَل . والمعنى : فأهلكناهم ، فجعلناهم كالشىء الذى لامنفعة فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ، فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول : جعلوا كالشىء الميت البالى من الشجر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (غُثَاءً) كالرميم الهامد ، الذى يحتمل السيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) قال : كالرميم الهامد ، الذى يحتمل السيل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) قال : هو الشىء البالى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فجَعَلْناهُمْ غُثاءً) قال : هذا مثل ضربه الله .

وقوله (فَبُعْدًا للْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول : فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم ، إذ كفروا بربهم ، وعَصَوا رسله ، وظلموا أنفسهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : أولئك ثمود ، يعنى قوله (فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْدًا للْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَنْشَأْنا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءاخَرِينَ (٤٢) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين . وقوله(ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أجَلَها): يقول : ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التى أنشأناها بعد ثمود ، قبل الأجل الذى أجلنا لهلاكها ، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذى أجلنا لهلاكها ، والوقت الذى وقتنا لفنائها ، ولكنها تهلك لمجيئه . وهذا وعيد من الله لمشركى قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإعلام منه لهم ، أن تأخيره فى آجالهم مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله ، ليبلغوا الأجل الذى أجّل لهم ، فيحلّ بهم نقمته ، كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ، فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُم بَعْضًا، وَجَعَلْنَهُمْ أَحادِيثَ ، فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره(ثُمَّ أرْسَلْنا) إلى الأمم التى أنشأنا بعد ثمود (رُسُلَنا تَتْرَى) يعنى : يتبع بعضها بعضا ، وبعضها فى أثر بعض ، وهى من المواترة ، وهى اسم لجمع مثل شىء ، لايقال : جاءنى فلان تترى ، كما لايقال : جاءنى فلان مواترة ، وهى تنوّن ولا تنوّن ، وفيها الياء ، فمن لم ينوّنها فَعْلَى من وترت ، ومن قال «تتراً» يوهم أن الياء أصلية كما قيل : مِعْزًى بالياء ، ومَعْزاً و بُهْمَى بُهْماً ونحو ذلك ، فأجريت أحيانا ، وترك إجراؤها أحيانا ، فمن جعلها « فَعْلَى » وقف عليها ، أشار إلى الكسر ، ومن جعلها ألف إعراب لم يشر ، لأن ألف الإعراب لاتكسر ، لايقال : رأيت زيدا ، فيشار فيه إلى الكسر .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ أرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى) يقول : يَتْبع بعضها بعضا .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنَا تَتْرَى) يقول : بعضها على أثر بعض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (تَتْرَى) قال : اتباع بعضها بعضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى) قال : يتبع بعضها بعضا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى) قال : بعضهم على أثر بعض ، يتبع بعضهم بعضا .

واختلفت قرّاء الأمصار فى قراءة ذلك ، فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة ، وبعض أهل المدينة ، وبعض أهل البصرة (تَتْرًا) بالتنوين . وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قرّاء الكوفة يقرءونه : (تَتْرَى) بإرسال الياء على مثال « فَعْلَى » ، والقول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان فى كلام العرب ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أنى مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين ، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما .

وقوله (كُلَّما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ) يقول : كلما جاء أمة من تلك الأمم التى أنشأناها بعد ثمود رسولها الذي نرسله إليهم ، كذّبوه فيما جاءهم به من الحقّ من عندنا . وقوله (فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضًا) : يقول : فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك ، فأهلكنا بعضهم فى إثر بعض . وقوله (وَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ) للناس ، ومثلا يُتَحدّث بهم فى الناس ، والأحاديث فى هذا الموضع جمع أُحدوثة ، لأن المعنى ما وصفت ، من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدّث بهم ، وقد يجوز أن يكون جمع حديث ، وإنما قيل : (وَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ) لأنهم جُعلوا حديثا ، ومثلا يُتمثّل بهم فى الشرّ ، ولا يقال فى الخير : جعلته حديثا ولا أُحدوثة . وقوله (فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) يقول : فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ، ولا يصدّقون برسوله .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية ، موسى وأخاه هارون ، إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا ، يقول : بحججنا (فاسْتَكْبَرُوا) عن اتباعها ، والإيمان بما جاءهم به من عند الله (وكانُوا قَوْمًا عالِينَ) يقول : وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ، ومن فى بلادهم من بنى إسرائيل وغيرهم بالظلم ، قاهرين لهم .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقوله (وكانُوا قَوْما عالِينَ) قال : عَلَوا على رسلهم ، وعصَوا ربهم ، ذلك علوّهم ، وقرأ (تِلكَ الدَّارُ الآخِرَةُ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : فقال فرعون وملؤه (أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا) فنتبعهما (وَقَوْمُهُما) من بنى إسرائيل (لَنا عابِدُونَ) يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون ، يأتمرون لأمرهم ، ويدينون لهم ، والعرب تسمى كل من دان لملك عابدا له . ومن ذلك قيل لأهل الحيرة : العباد ، لأنهم كانوا أهل طاعة للملوك العجم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال فرعون (أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا) . . . الآية ، نذهب نرفعهم فوقنا ، ونكون تحتهم ، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا ، كيف نصنع ذلك ؟ وذلك حين أتوهم بالرسالة ، وقرأ (وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِى الأَرْضِ) قال : العلوّ فى الأرض .

وقوله (فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ المُهْلَكِينَ) يقول : فكذّب فرعون وملؤه موسى وهارون ، فكانوا ممن أهلكهم الله ، كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ، وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة ، ليهتدى بها قومه من بنى إسرائيل ، ويعملوا بما فيها ، (وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ) يقول : وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم ، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل ، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمر ، عن قتادة ، فى قوله : (وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ) قال : ولدته من غير أب هو له ، ولذلك وُحِّدت الآية ، وقد ذكر مريم وابنها .

وقوله (وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ) يقول : وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة ، يقال : أوى فلان إلى موضع كذا ، فهو يأوى إليه : إذا صار إليه ؛ وعلى مثال « أفعلته » فهو يُؤْويه . وقوله (إلى رَبْوَةٍ) يعنى : إلى مكان مرتفع من الأرض على ماحوله ، ولذلك قيل للرجل يكون فى رفعة من قومه ، وعزّ وشرف وعدد :

هو فى ربوة من قومه ، وفيها لغتان : ضمّ الراء وكسرها ، إذا أريد بها الاسم ، وإذا أريد بها الفعلة من المصدر ، قيل رَبَا رَبْوة .

واختلف أهل التأويل فى المكان الذى وصفه الله بهذه الصفة ، وآوَى إليه مريم وابنها ، فقال بعضهم : هو الرَّملة من فلسطين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا بشر بن رافع ، قال : ثنى ابن عمّ لأبى هريرة ، يقال له أبو عبد الله ، قال : قال لنا أبو هريرة : الزموا هذه الرملة من فلسطين ، فإنها الربوة التى قال الله (وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) .

حدثنى عصام بن رَوّاد بن الجراح ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عباد أبو عتبة الخوّاص ، قال : ثنا يحيى ابن أبى عمرو السيبانى ، عن ابن وَعْلة ، عن كريب ، قال : ما أدرى ماحدثنا مُرّة البَهْزىّ ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أن الربوة : هى الرملة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن بشر بن رافع ، عن أبى عبد الله بن عمّ أبى هريرة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول فى قول الله (إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال : هى الرملة من فلسطين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا بشر بن رافع ، قال : ثنى أبو عبد الله ابن عمّ أبى هريرة ، قال : قال لنا أبو هريرة : الزموا هذه الرملة التى بفلسطين ، فإنها الربوة التى قال الله : (وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)

وقال آخرون : هى دمشق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد القرشى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال فى هذه الآية (وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال : زعموا أنها دمشق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : بلغنى ، عن ابن المسيب أنه قال دمشق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى ، قال : ثنا ابن بكير ، قال : ثنا الليث بن سعد ، قال : ثنى عبد الله بن لهيعة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، فى قوله (وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال : إلى ربوة من رُبا مصر قال : وليس الرُّبَا إلا فى مصر ، والماء حين يُرسَل تكون الربَا عليها القرى ، لولا الربَا لغرقت تلك القرى .

وقال آخرون : هى بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هو بيت المقدس .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان كعب يقول : بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن كعب ، مثله .

⁂ وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك : أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر ، وليس كذلك صفة الرملة ، لأن الرملة لاماء بها مُعين ، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومَعين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وآوَيْناهُما إلى رَبْوَةٍ) قال : الربوة : المستوية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلى رَبْوَةٍ) قال : مستوية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) يقول تعالى ذكره : من صفة الربوة التى آوينا إليها مريم وابنها عيسى ، أنها أرض منبسطة ، وساحة ، وذات ماء ظاهر لغير الباطن ، جار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَعِينٍ) قال : المَعِين : الماء الجارى ، وهو النهر الذى قال الله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، فى قوله (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال : المَعِين : الماء .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مَعِين ، قال : ماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصَّلْت ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، فى قوله (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال : المكان المستوى ، والمَعِين : الماء الظاهر .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَعِينٍ) : هو الماء الظاهر .

وقال آخرون : عنى بالقرار : الثمار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) هى ذات ثمار ، وهى بيت المقدس .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

⁂ قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله قتادة فى معنى (ذَاتِ قَرَارٍ) وإن لم يكن أراد بقوله : إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار ، لما فيها من الثمار ، ومن أجل ذلك ، يستقرّ فيها ساكنوها ، فلا وجه له نعرفه . وأما (مَعِينٍ) فإنه مفعول من عِنْته فأنا أعينه ، وهو معين ؛ وقد يجوز أن يكون فعيلا من مَعَن يمعن ، فهو معين من الماعون ؛ ومنه قول عَبيد بن الأبرص :

وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمْعِنٌ أَوْ هَضْبَةٌ دُونَها لُهُوبُ[1]

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ، إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقلنا لعيسى : يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذى طيبه الله لكم ، دون الحرام ، (وَاعْمَلُوا صَالِحا) تقول فى الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كفوا عنّا أذاكم ، وكما قال الذين قال لهم الناس » ، وهو رجل واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى عبيد بن إسحاق الضبىّ العطار ، عن حفص بن عمر الفزارىّ ، عن أبى إسحاق السبيعىّ ، عن عمرو بن شرحبيل (يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَاعْمَلُوا صَالِحا) قال : كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه .

وقوله (إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) يقول : إنى بأعمالكم ذو علم ، لا يخفى علىّ منها شىء ، وأنا مجازيكم بجميعها ، وموفّيكم أجوركم وثوابكم عليها ، فخذوا فى صالحات الأعمال واجتهدوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ، وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (٥٢)

(١) البيت لعبيد بن الأبرص من قصيدته البائية المطولة (اللسان : معن) واستشهد به المؤلف ، عند قوله تعالى : وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » . وقال فى اللسان : قال الفراء : ذات قرار : أرض منبسطة . ومعين : الماء الظاهر الجارى . قال ولك أن تجعل المعين مفعولا من العيون ، (واختاره المؤلف) ، ولك أن تجعله فعيلا من الماعون ، يكون أصله المعن . والمعن والمعين : الماء السائل ، وقيل الجارى على وجه الأرض ، وقيل العذب الغزير ؛ وكل ذلك من السهولة ، والمعن : الماء الظاهر . واللهوب : جمع لهب (بكسر اللام) : الفرجة والهواء بين الجبلين . وفى المحكم : مهراة ما بين كل جبلين . وقيل : هو الصدع فى الجبل ، عن اللحيانى . وقيل : هو الشعب الصغير فى الجبل . وقيل : هو وجه من الجبل كالحائط ، لا يستطاع ارتقاؤه . اهـ

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة (وأنَّ) بالفتح ، بمعنى : إنى بما تعملون عليم ، وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، فعلى هذا التأويل « أن » فى موضع خفض ، عطف بها على « ما » من قوله (بِمَا تَعْمَلُونَ) ، وقد يحتمل أن تكون فى موضع نصب إذا قرئ ذلك كذلك . ويكون معنى الكلام حينئذ : واعلموا أن هذه ، ويكون نصبها بفعل مضمر . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين بالكسر (وَإِنَّ) هذه على الاستئناف ، والكسر فى ذلك عندى على الابتداء: هو الصواب ، لأن الخبر من الله عن قيله لعيسى (يا أيُّها الرُّسُلُ) مبتدأ ، فقوله (وَإِنَّ هَـٰذِهِ) مردود عليه عطفا به عليه ، فكان معنى الكلام : وقلنا لعيسى : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، وقلنا : وإن هذه أمتكم أمة واحدة . وقيل : إن الأمة الذى فى هذا الموضع : الدِّين والملة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : الملة والدين .

وقوله (وأنا رَبُّكُمْ فاتَّقُونِ) يقول : وأنا مولاكم فاتقون ، بطاعتى تأمنوا عقابى ، ونصبت أمة واحدة على الحال . وذُكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعا . وكان بعض نحوِيِّى البصرة يقول: رَفْع ذلك إذا رفع على الخبر ، ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه . وأما نحويو الكوفة فيأبُّون ذلك إلا فى ضرورة شعر ، وقالوا : لايقال : مررت بهذا غلامكم ، لأن هذا لاتتبعه إلا الألف واللام والأجناس ، لأن هذا إشارة إلى عدد ، فالحاجة فى ذلك إلى تبيين المراد من المشار إليه أىّ الأجناس هو ؟ وقالوا : وإذا قيل : هذه أمتكم أمة واحدة ، والأمة غائبة ، وهذه حاضرة ، قالوا : فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب ، قالوا : فلذلك لم يجز : إن هذا زيد قائم ، من أجل أن هذا محتاج إلى الجنس لاإلى المعرفة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (زُبُرًا) فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق (زُبُرًا) بمعنى جمع الزَّبور . فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء : فتفرّق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد ، والملة الواحدة ، دينهم الذى أمرهم الله بلزومه (زُبُرًا) كُتُبا ، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذى دان به الفريق الآخر ، كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة ، وكذّبوا بحكم الإنجيل والقرآن ، وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم ، وكذّبوا بحكم الفرقان .

ذكر من تأوّل ذلك كذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قَتادة (زُبُرًا) قال : كُتُبا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَيْنَهُمْ زُبُرًا) قال : كُتُب الله فرّقوها قطعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا) قال مجاهد : كُتُبهم فرّقوها قطعا .

وقال آخرون من أهل هذه القراءة : إنما معنى الكلام : فتفرّق قوادينهم بينهم كُتُبا أحدثوها ، يحتجون فيها لمذاهبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) قال : هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب ، كلّ معجبون برأيهم ، ليس أهل هواء إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم ، وصاحبهم الذى اخترق ذلك لهم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الشام (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبَرًا) بضم الزاى ، وفتح الباء ، بمعنى : فتفرّقوا أمرهم بينهم قِطَعا كزُبَر الحديد ، وذلك القِطَع منها ، واحدتها زُبْرة ، من قول الله (آتُونِى زُبَرَ الحَدِيدِ) فصار بعضهم يهودا ، وبعضهم نصارى .

والقراءة التى نختار فى ذلك : قراءة من قرأه بضم الزاى والباء ، لإجماع أهل التأويل فى تأويل ذلك ، على أنه مراد به الكتب ، فذلك يبين عن صحة ما اخترنا فى ذلك ، لأن الزُّبُر هى الكتب ، يقال منه : زَبَرْت الكتاب : إذا كتبته .

فتأويل الكلام : فتفرّق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم ، دينهم بينهم كتبا ، كما بيّنا قبل .

وقوله (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) يقول : كل فريق من تلك الأمم بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب فرحون ، معجبون به ، لايرون أن الحقّ سواه .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) قطعة ، وهؤلاء هم أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (كُلُّ حِزْبٍ) قطعة أهل الكتاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ ؟ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فدع يامحمد هؤلاء الذين تقطّعوا أمرهم بينهم زبرا ، فى غمرتهم : فى ضلالتهم وغيهم . حتى حين : يعنى إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ) قال : فى ضلالهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَذَرْهُم فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ) قال : الغَمْرة : الغَمْر .

وقوله (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ) يقول تعالى ذكره : أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زُبُرا ، أن الذى نعطيهم فى عاجل الدنيا من مال وبنين (نُسارِعُ لَهُمْ) يقول : نسابق لهم فى خيرات الآخرة ، ونبادر لهم فيها ؟ و« ما » من قوله (أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ) نصب ، لأنها بمعنى الذى (بَلْ لا يَشْعُرُونَ) يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم : ما ذلك كذلك ، بل لايعلمون أن إمدادى إياهم بما أمدّهم به من ذلك ، إنما هو إملاء واستدراج لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ) قال : نعطيهم ، نسارع لهم ، قال : نَزيدهم فى الخير ، نُمْلى لهم ، قال : هذا لقريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمر بن علىّ ، قال : ثنى أشعث بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن خالد الحذّاء ، قال : قلت لعبد الرحمن بن أبى بكرة ، قول الله (نُسارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ) قال : يسارع لهم فى الخيرات ، وكأن عبد الرحمن بن أبى بكرة وجه بقراءته ذالك كذلك ، إلى أن تأويله : يسارع لهم إمدادنا إياهم بالمال والبنين فى الخيرات .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩)

يعنى تعالى ذكره (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون ، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون فى طاعته ، جادّون فى طلب مرضاته .

(وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) يقول : والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدّقون ، والذين هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) يقول : والذين يُخلصون لربهم عبادتهم ، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ، ولا لصنم ، ولا يُراءون بها أحدا من خلقه ، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا ، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة ، دون كل شيء سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) والذين يعطون أهل سُهْمان الصدقة مافرض الله لهم فى أموالهم (مَا آتَوْا) يعنى : ما أعطوهم إياه من صدقة ، ويؤدّون حقوق الله عليهم فى أموالهم إلى أهلها . (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) يقول : خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون ، فلا ينجيهم مافعلوا من ذلك من عذاب الله ، فهم خائفون من المرجع إلى الله لذلك ، كما قال الحسن : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبجر ، عن رجل ، عن ابن عمر (يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قال : الزكاة .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قال : المؤمن ينفق ماله وقلبه وجِل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، قال (يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قال : يعملون ما عملوا من أعمال البرّ ، وهم يخافون ألّا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قال : المؤمن ينفق ماله ويتصدّق وقلبه وَجِل أنه إلى ربه راجع .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا ، ثم تلا الحسن (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) إلى (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) وقال المنافق : إنما أوتيته على علم عندى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة (يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) قال : يُعْطون ما أعطوا (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) يقول : خائفة .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قال : يفعلون مايفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت ، وهى من المبشّرات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ) قال : يُعْطُون ما أعطَوا ، ويعملون ما عملوا من خير ، وقلوبهم وجلة خائفة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا علىّ ، قال : ثنى معاوية ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَأْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) يقول : يعملون خائفين .

قال : حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قال : يعطون ما أعطوا فرَقا من الله، ووجلا من الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يُؤْتُونَ ما آتَوْا) ينفقون ما أنفقوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قال : يعطون ما أعطوا ، وينفقون ما أنفقوا ، ويتصدّقون بما تصدّقوا وقلوبهم وجلة ، اتقاء لسخط الله والنار . وعلى هذه القراءة ، أعنى على (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا) قرأة الأمصار ، وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، ووفاقه خطّ مصاحف المسلمين .

ورُوى عن عائشة رضى الله عنها فى ذلك ، ما حدثناه أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا علىّ ابن ثابت ، عن طلحة بن عمر ، عن أبى خلف ، قال : دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة ، فسألها عبيد ، كيف نقرأ هذا الحرف (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا) فقالت : (يَأْتُونَ ما أتَوْا) ، وكأنها تأوّلت فى ذلك والذين يفعلون مايفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله .

وكأنها تأوّلت فى ذلك : والذين يفعلون مايفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله ، كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن قيس ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمدانى ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : قالت عائشة : « يا رسول الله (وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَاأتَوْا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ) هو الذى يذنب الذنب وهو وجل منه ؟ فقال : لا ، وَلَكِنْ مَنْ يَصُومُ وَيُصَلِّى وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ وَجِلٌ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن مالك بن مِغْوَل ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ، أن عائشة قالت : قلت : « يا رسول الله (الَّذِينَ يَأْتُونَ ما أتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أهم الذين يُذنبون وهم مشفقون ! وَيَصُومُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ » ؟

(١) لعل فيه سقطا ، والأصل : قال لا ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ، ويصومون الخ ، كما يتضح من حديث عائشة الآتى بعد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا ليث ، عن مغيث ، عن رجل من أهل مكة ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله (الَّذِينَ يَأْتُونَ ما أتَوْا وقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قال : فذكر مثل هذا .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الرحمن بن سعيد ، عن عائشة أنها قالت : « يا رسول الله (الَّذِينَ يَأْتُونَ ما أتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أهو الرجل يزنى ويسرق ويشرب الخمر؟ قال : لا يا بِنْتَ أبي بَكْرٍ ، أو يا بِنْتَ الصِّدّيقِ ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ ، وَيَخافُ أنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى جرير ، عن ليث بن أبي سليم ، وهشيم عن العوّام بن حَوْشب جميعا ، عن عائشة ، أنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يابِنْتَ أبي بَكْرٍ ، أو يا بِنْتَ الصِّدِّيقِ ، هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَيَفْرَقُونَ أنْ لا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ » . وأن من قوله (أنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) : فى موضع نصب ، لأن معنى الكلام (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) من أنهم ، فلما حذفت « مِنْ » اتصل الكلام قبلها ، فنصبت . وكان بعضهم يقول : هو فى موضع خفض ، وإن لم يكن الخافض ظاهرا .

وقوله (أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم ، يبادرون فى الأعمال الصالحة ، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ) قال : والخيرات : المخافة والوجل والإيمان ، والكفّ عن الشرك بالله ، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات ، وقوله (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) كان بعضهم يقول : معناه : سبقت لهم من الله السعادة ، فذلك سبوقهم الخيرات التى يعملونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) يقول : سبقت لهم السعادة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُمْ لَهَا سابِقُونَ) ، فتلك الخيرات .

وكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى : وهم إليها سابقون . وتأوّله آخرون : وهم من أجلها سابقون .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : القول الذى قاله ابن عباس ، من أنه سبقت لهم من الله السعادة ، قبل مسارعتهم فى الخيرات ، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها .

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام ، لأن ذلك أظهر معنييه ، وأنه لاحاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك ، إلى تحويل معنى اللام التى فى قوله (وَهُمْ لَهَا) إلى غير معناها الأغلب عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ، وَلَدَيْنَا كِتَبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ولانكلف نفسا إلا ما يَسَعها ، ويصلح لها من العبادة ، ولذلك كلّفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله ، وشرعنا لها ماشرعنا من الشرائع (وَلَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بالحَقّ) يقول : وعندنا كتاب أعمال الخلق ، بما عملوا من خير وشرّ (يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) يقول : يبين بالصدق عما عملوا من عمل فى الدنيا ، لازيادة عليه ولا نقصان ، ونحن موفو جميعهم أجورهم ، المحسن منهم بإحسانه ، والمسىء بإساءته (وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) يقول : وهم لايظلمون ، بأن يزاد على سيئات المسىء منهم مالم يعمله ، فيعاقب على غير جُرْمه ، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه ، فينقص عما له من الثواب .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا ، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون ، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين ، بخير نسوقه بذلك إليهم ، والرضا منا عنهم ، ولكن قلوبهم فى غمرة عمى عن هذا القرآن . وعنى بالغمرة : ما غمر قلوبهم ، فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج . وعنى بقوله (مِنْ هَـٰذَا) من القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِى غَمْرَةٍ مِنْ هَـٰذَا) قال : فى عمى من هذا القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (فِى غَمْرَةٍ مِنْ هَـٰذَا) قال : من القرآن .

وقوله (وَلَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ) يقول تعالى ذكره : ولهؤلاء الكفار أعمال لايرضاها الله من المعاصى . من دون ذلك : يقول : من دون أعمال أهل الإيمان بالله ، وأهل التقوى والخشية له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد (وَلَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ) قال : الخطايا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ) قال : الحق .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذلك) قال : خطايا من دون ذلك الحق .

قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ) . . . الآية ، قال : أعمال دُون الحق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ، ثم قال للكفار (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ) قال : من دون الأعمال التي منها قوله (مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) والذين ، والذين .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، قال : أعمال لابدّ لهم من أن يعملوها .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن عن قول الله (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ) قال : أعمال لم يعملوها سيعملونها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ هُمْ لَهَا عامِلُونَ) قال : لم يكن له بدّ من أن يستوفي بقية عمله ، ويصلي به .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ ، هُمْ لَهَا عامِلُونَ) قال : أعمال لابدّ لهم من أن يعملوها .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذلكَ) قال : أعمال لابدّ لهم من أن يعملوها .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ، إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ)

قال: المُتْرَفُون : العظماء (إذَا هُمْ يَجْئَرُونَ) يقول : فإذا أخذناهم به جأروا ، يقول : ضجُّوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا ، ولعلّ الجُؤار : رفع الصوت ، كما يجأر الثور ؛ ومنه قول الأعشى :

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيـــكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارَا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) يقول : يستغيثون .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن علقمة بن قردد ، عن مجاهد ، فى قوله (حتى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهم بالعَذَابِ إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) قال : بالسيوف يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) قال : يجزعون .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج (حتى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بالعَذَابِ) قال : عذاب يوم بدر (إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) قال : الذين بمكة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حتَّى إذَا أخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بالعَذَابِ) يعنى أهل بدر ، أخذهم الله بالعذاب يوم بدر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول فى قوله (إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) قال : يجزعون .

وقوله (لاَ تَجْأَرُوا اليَوْمَ) يقول : لاتضجُّوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذى لايدفع عن الذين ظلموا أنفسهم ، فإن ضجيجكم غير نافعكم ، ولا دافع عنكم شيئا مما قد نزل بكم من سخط الله ، (إنَّكُمْ مِنَّا لاتُنْصَرُونَ) يقول : إنكم من عذابنا الذى قد حلّ بكم لاتستنقذون ، ولا يخلصكم منه شىء .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (لاَ تَجْأَرُوا اليَوْمَ) : لاتجزعوا اليوم .

---

(١) البيت للأعشى (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٣) وهو من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب . ويراوح بين العملين : يتداول هذا مرة ، وهذا مرة . والجؤار : مصدر جأر إلى الله إذا تضرع ورفع صوته . يقول إن ممدوحه مع ما وصف به من كرم وقوة ووفاء ، تقى يراقب ربه ، ويتضرع إليه ويجأر فى صلواته . واستشهد به المؤلف على أن الجؤار : رفع الصوت كما يجأر الثور .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا الربيع بن أنس (لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ) لاتجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب ، إنه لاينفعكم ، فلو كان هذا الجزع قبلُ نفعكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ، فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)

⁂ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش : لاتضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه ، بما كسبت أيديكم ، واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ) يعنى : آيات كتاب الله ، يقول : كانت آيات كتابى تقرأ عليكم ، فتكذّبون بها ، وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها ، كراهية منكم لسماعها . وكذلك يقال لكلّ من رجع من حيث جاء : نكص فلان على عقبه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ) قال : تستأخرون .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ) يقول : تدبرون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ) يعنى أهل مكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (تَنْكِصُونَ) قال : تستأخرون .

وقوله (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) يقول : مستكبرين بحرم الله ، يقولون : لايظهر علينا فيه أحد ، لأنا أهل الحرم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) يقول : مستكبرين بحرم البيت أنه لايظهر علينا فيه أحد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) قال : بمكة بالبلد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) قال : مستكبرين بحرمى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله : (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) بالحرم .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) قال : مستكبرين بالحرم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) قال : بالحرم .

وقوله (سامِرًا) يقول : تَسْمُرون بالليل ، ووحد قوله (سامِرًا) وهو بمعنى السُّمَّار ، لأنه وضع موضع الوقت . ومعنى الكلام : وتهجُرون ليلا ، فوضع السامر موضع الليل، فوحد لذلك . وقد كان بعض البصريين يقول : وُحِّد ومعناه الجمع ، كما قيل : طفل فى موضع أطفال . ومما يبين عن صحة ماقلنا فى أنه وضع موضع الوقت ، فوحد لذلك ، قول الشاعر :

مِنْ دُونِهِمْ إنِ جِئْتَهُمْ سَمَرًا عَزْفُ القِيانِ وَمَجْلِسٌ غَمْرُ[1]

فقال : سمرا لأن معناه : إن جئتهم ليلا وهم يسمُرون ، وكذلك قوله (سامِرا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سامِرًا) يقول : يَسْمُرون حول البيت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سامِرًا) قال : مجلسا بالليل .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (سامِرًا) قال : مجالس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن حُصين ، عن سعيد بن جُبير (سامِرًا) قال : تَسْمُرون بالليل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سامِرًا) قال : كانوا

(١) البيت لابن أحمر الباهلى : (اللسان : سمر) قال : قال ابن أحمر ، وجعل السمر ليلا : « من دونهم . . . البيت » أراد : إن جئتهم ليلا ، وبهذا المعنى أورده المؤلف . والشطر الثانى من البيت فى رواية اللسان مختلف عنه فى رواية المؤلف، فى اللسان « حى حلال لملم عكر » . والحى الحلال : يريد الجماعة النازلين على الماء أو نحوه . ولملم : كثير مجتمع . وكذلك العكر . والمجلس الغمر : الجماعة الكثيرة ، يجتمعون للحديث والسمر .

يسمرون ليلتهم ويلعبون : يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لايدرون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (سامِرًا) قال : يعنى سَمَر الليل .

وقال بعضهم فى ذلك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سامِرًا) يقول : سامرا من أهل الحرم ، آمنا لايخاف ، كانوا يقولون : نحن أهل الحرم ، لا يخافون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، عن معمر ، عن قتادة (سامِرًا) يقول : سامرا من أهل مكة آمنا لايخاف ، قال : كانوا يقولون : نحن أهل الحرم لانخاف .

وقوله (تَهْجُرُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (تَهْجُرُونَ) بفتح التاء وضم الجيم . ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى : أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت ، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه . والآخر : أن يكون عنى أنهم يقولون شيئا من القول كما يهجُر الرجل فى منامه ، وذلك إذا هَذَى ، فكأنه وصفهم بأنهم يقولون فى القرآن ، ما لامعنى له من القول ، وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذى لايضرّه ، وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل .

ذكر من قال : كانوا يُعْرِضون عن ذكر الله والحقّ ويهجُرونه

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَهْجُرُونَ) قال : يهجُرون ذكر الله والحقّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، فى قوله (سامرًا تَهْجُرُونَ) قال : السبّ .

ذكر من قال : كانوا يقولون الباطل والسيئ من القول فى القرآن

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جُبير (تَهْجُرُونَ) قال : يهجُرون فى الباطل .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير (سامِرًا تَهْجُرُونَ) قال : يسمرون بالليل يخوضون فى الباطل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَهْجُرُونَ) قال : بالقول السيئ فى القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَهْجُرُونَ) قال : الهَذَيان الذى يتكلم بما لايريد ولا يعقل ، كالمريض الذى يتكلم بما لايدرى ، قال : كان أبىّ يقرؤها (سامِرًا تَهْجُرُونَ) .

وقرأ ذلك آخرون (سامِرًا تُهْجِرُونَ) بضم التاء وكسر الجيم ، وممن قرأ ذلك كذلك من قرّاء

الأمصار : نافع بن أبى نعيم ، بمعنى : يُفْحِشون فى المنطق ، ويقولون الخَنَا ، من قولهم : أهجر الرجل : إذا أفحش فى القول ، وذكر أنهم كانوا يسبُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (تُهْجِرُونَ) قال : تقولون هُجْرًا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن أبى نَهِيك ، عن عكرِمة ، أنه قرأ (سامِرًا تَهْجِرُونَ) : أى تسبون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (سامِرًا تُهْجِرُونَ) رسولى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قَتادة ، قال : قال الحسن (تُهْجِرُونَ) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، عن معمر ، عن قتادة (تُهْجِرُونَ) يقول : يقولون سوءا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن (تُهْجِرُونَ) كتاب الله ورسوله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (تُهْجِرُونَ) يقول : يقولون المنكر والخنا من القول ، كذلك هَجْر القول .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا : القراءة التى عليها قرّاء الأمصار ، وهى فتح التاء ، وضم الجيم ، لإجماع الحجة من القرّاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ؟ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ، وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه ، فيعلموا ما فيه من العبر ، ويعرفوا حجج الله التى احتجّ بها عليهم فيه ؟ (أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأتِ آباءَهُمُ الأَوَّلِينَ)؟ يقول : أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم ، فاستكبروا ذلك وأعرضوا ، فقد جاءت الرسل من قبلهم ، وأنزلت معهم الكتب ، وقد يحتمل أن تكون « أم » فى هذا الموضع بمعنى : بل ، فيكون تأويل الكلام : أفلم يدّبروا القول ؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين ، فتركوا لذلك التدبر ، وأعرضوا عنه ، إذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك . وقد ذُكر عن ابن عباس فى نحو هذا القول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (أفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الأوَّلِينَ) قال : لعمرى لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين ، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين .

وقوله (أمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ) يقول تعالى ذكره : أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمدا ، وأنه من أهل الصدق والأمانة ، فهم له منكرون ، يقول : فينكروا قوله ، أو لم يعرفوه بالصدق ، ويحتجوا بأنهم لايعرفونه ، يقول جلّ ثناؤه : فكيف يُكَذّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة ! (أمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) يقول : أيقولون بمحمد جنون ، فهو يتكلم بما لامعنى له ولا يُفهم ، ولايَدْرِى مايقول (بَلْ جاءَهُمْ بالحَقّ) يقول تعالى ذكره : فإن يقولوا ذلك فكَذِبُهم فى قيلهم ذلك واضح بيّن ، وذلك أن المجنون يَهذِى ، فيأتى من الكلام بما لامعنى له ، ولا يعقل ، ولا يفهم ، والذى جاءهم به محمد هو الحكمة التى لا أحكم منها ، والحقّ الذى لاتخفى صحته على ذى فطرة صحيحة ، فكيف يجوز أن يقال : هو كلام مجنون . وقوله (وأكْثَرُهُمْ للْحَقّ كارِهُونَ) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ، ولا أن محمدا عندهم مجنون ، بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول ، وفيما يدعوهم إليه ، ولكن أكثرهم للإذعان للحقّ كارهون ، ولأتباع محمد ساخطون ، حسدا منهم له ، وبغيا عليه ، واستكبارا فى الأرض .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ؛ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ، فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ (٧١)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوَى هؤلاء المشركون ، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم ، وترك الحقّ الذى هم له كارهون ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ ، وذلك أنهم لايعرفون عواقب الأمور ، والصحيحَ من التدبير والفاسد ؛ فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم ، مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ ، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله ، لأن ذلك قام بالحقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا السدىّ ، عن أبى صالح (وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أهْوَاءَهُمْ) قال : الله .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح (وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أهْوَاءَهُمْ) قال : الحقّ : هو الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ) قال : الحقّ : الله .

وقوله (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل الذكر فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو بيان الحقّ لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ) يقول : بيَّنا لهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل أتيناهم بشَرَفهم ، وذلك أن هذا القرآن كان شَرَفا لهم ، لأنه نزل على رجل منهم ، فأعرضوا عنه ، وكفروا به ، وقالوا ذلك نظير قوله (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) وهذان القولان متقاربا المعنى . وذلك أن الله جلّ ثناؤه ، أنزل هذا القرآن بيانا بيّن فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم ، وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه ، وشَرَف لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : أم تسأل هؤلاء المشركين يامحمد من قومك خَرَاجا ، يعنى أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحقّ (فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ) : فأجر ربك على نفاذك لأمره ، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ، ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا ، قال لهم كما قال الله له ، وأمره بقيله لهم (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبى) وإنما معنى الكلام : أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا ، فنكصُوا على أعقابهم إذا تلوتَه عليهم ، مستكبرين بالحرم ، فخراج ربك خير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ) قال : أجرا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن ، مثله ، وأصل الخراج والخَرْج : مصدران لايُجْمعان .

وقوله (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقول : والله خير من أعطى عوضا على عمل ، ورزق رزقا .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول تعالى ذكره : وإنك يامحمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام ، وهو الطريق القاصد ، والصراط المستقيم ، الذى لاأعوجاج فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : والذين لايصدّقون بالبعث بعد الممات ، وقيام الساعة ، ومجازاة الله عباده فى الدار الآخرة (عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) يقول : عن محجّة الحق ، وقصد السبيل ، وذلك دين الله الذى ارتضاه لعباده ، لعادلون ، يقال منه : قد نكب فلان عن كذا : إذا عدل عنه ، ونكّب عنه : أى عدل عنه .

وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) قال : لعادلون .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) يقول : عن الحقّ عادلون .

وقوله (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) يقول تعالى : ولو رحمنا هؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة ، ورفعنا عنهم مابهم من القحط والجدب ، وضرّ الجوع والهزال . (لَلَجُّوا فِى طُغْيَانِهِمْ) يعنى فى عتوّهم ، وجرأتهم على ربهم . (يَعْمَهُونَ) يعنى : يتردّدون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) قال : الجوع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا ، وأنزلنا بهم بأسنا ، وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم ، وأجدبنا بلادهم ، وقتلنا سراتهم بالسيف . (فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ) يقول : فما خضعوا لربهم ، فينقادوا لأمره ونهيه ، ويُنيبوا إلى طاعته (وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) يقول : وما يتذللون له .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسنى الجدب ، إذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء أبو سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أَنْشُدُكَ الله والرحم ، فقد أكلنا العِلْهِز ، يعنى الوبر والدم ، فأنزل الله : (وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بالعَذَابِ ، فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَما يَتَضَرَّعُونَ) ».

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن عِلباء بن أحمر ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، أن ابن أُثالٍ الحنفيّ «لما أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو أسير ، فخلّى سبيله ، فلحق بمكة ، فحال بين أهل مكة وبين المِيرة من اليمامة ، حتى أكلت قريش العِلْهِز ، فجاء أبو سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أليس تزعم بأنك بُعثت رحمة للعالمين ؟ فقال : بَلى ، فقال : قد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ؛ فأنزل الله (وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بالعَذَابِ) ... الآية » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : قال الحسن : إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء ، فإنما هى نقمة ، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحَمِيَّة ، ولكن استقبلوها بالاستغفار ، وتضرّعوا إلى الله ، وقرأ هذه الآية (وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بالعَذَابِ ، فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَمايَتَضَرَّعُونَ).

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بالعَذَابِ) قال : الجوع والجدب (فَمَا اسْتَكانُوا لرَبِّهِمْ) فصبروا (وما اسْتَكانُوا لرَبِّهِم ، وَما يَتَضَرَّعُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال ، فقتلوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، فى قوله (حتى إذَا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ) قد مضى ، كان يوم بدر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (حتى إذَا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ) قال : يوم بدر .

وقال آخرون : معناه : حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضرّ ، وهو الباب ذو العذاب الشديد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حتى إذَا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ) قال : لكفار قريش الجوع ، وما قبلها من القصة لهم أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : وما قبلها أيضا . وهذا القول الذى قاله مجاهد : أولى بتأويل الآية ، لصحة الخبر الذى ذكرناه قبل عن ابن عباس ، أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قصة المجاعة التى أصابت قريشا ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، وأمر ثمامة بن أثال ، وذلك لاشكّ أنه كان بعد وقعة بدر .

وقوله (إذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) يقول : إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حَزَنى ، نادمون على ما سلف منهم فى تكذيبهم بآيات الله ، فى حين لاينفعهم الندم والحزن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله الذى أحدث لكم أيها المكذّبون بالبعث بعد الممات ، السمع الذى تسمعون به ، والأبصار التى تبصرون بها ، والأفئدة التى تفقهون بها ، فكيف يتعذّر على من أنشأ ذلك ابتداء عادته بعد عدمه وفقده ، وهو الذى يوجد ذلك كله إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد قليلا ما تشكرون ، يقول : تشكرون أيها المكذّبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله الذى خلقكم فى الأرض ، وإليه تُحشرَون من بعد مماتكم ، ثم تُبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (٨٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله الذى يحيي خلقه : يقول : يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نُطَفا أمواتا ، بنفخ الروح فيها بعد التارات التى تأتى عليها ، ويميت : يقول : ويميتهم بعد أن أحياهم (وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ والنَّهارِ) يقول : وهو الذى جعل الليل والنهار مختلفين ، كما يقال فى الكلام : لك المنّ والفضل ، بمعنى : إنك تَمُنّ وتُفْضِل . وقوله (أفَلا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا تعقلون أيها الناس أن الذى فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل ، لايمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم ، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟ (٨٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ، ولا تدبّروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كلّ مايشاء ، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم ، من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم ، (قالُوا أئِذَا متْنا وكُنَّا تُرَابا وَعِظاما) يقول : أئذا متنا ، وعدنا ترابا ، قد بليت أجسامنا ، وبرأت عظامنا من لحومنا (أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) يقول : إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء ، كهيئتنا قبل الممات ؟ إن هذا لشيء غير كائن .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ، إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : قالوا : لقد وعدنا هذا الوعد الذى تعدنا يامحمد ، ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك ، فلم نره حقيقة أن هذا يقول : ما هذا الذى تعدنا من البعث بعد الممات (إلاّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ) يقول : ماسطّره الأوّلون فى كتبهم ، من الأحاديث والأخبار التى لاصحة لها ولا حقيقة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ؟ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ؛ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ (٨٥)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك : لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق ، إن كنتم تعلمون مَنْ مالكها ، ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكا ، دون سائر الأشياء غيره (قُلْ أفَلا تَذَكَّرُونَ) يقول : فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون ، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء ، فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم ، وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ؟ (٨٦) سَيَقُولُونَ ، لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ (٨٧)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد ، من ربّ السموات السبع ، وربّ العرش المحيط بذلك ؟ سيقولون ذلك كله لله ، وهو ربه ، فقل لهم : أفلا تتقون عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم خبره وخبر رسوله ؟

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق والشام : (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) سوى أبى عمرو ، فإنه خالفهم فقرأه (سَيَقُولُونَ اللَّهُ) فى هذا الموضع ، وفى الآخر الذى بعده ، اتباعا لخط المصحف ، فإن ذلك كذلك فى مصاحف الأمصار ، إلا فى مصحف أهل البصرة ،

فإنه فى الموضعين بالألف ، فقرءوا بالألف كلّها اتباعا لخط مصحفهم ، فأما الذين قرءوه بالألف فلا مؤنة فى قراءتهم ذلك كذلك ، لأنهم أجروا الجواب على الابتداء ، وردّوا مرفوعا على مرفوع . وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم : قل من ربّ السموات السبع ، وربّ العرش العظيم ، سيقولون ربّ ذلك الله ، فلا مؤنة فى قراءة ذلك كذلك . وأما الذين قرءوا ذلك فى هذا والذى يليه بغير ألف ، فإنهم قالوا : معنى قوله قل من ربّ السموات : لمن السموات ، لمن ملك ذلك ؟ فجعل الجواب على المعنى ، فقيل : لله ، لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو ؟ قالوا : وذلك نظير قول قائل لرجل : مَن مولاك ؟ فيجيب المجيب عن معنى ما سئل ، فيقول : أنا لفلان ، لأنه مفهوم بذلك من الجواب ، ماهو مفهوم بقوله : مولاى فلان . وكان بعضهم يذكر أن بعض بنى عامر أنشده :

وأعْلَمُ أنَّنِى سأكُونُ رَمْسا إذَا سارَ النَّوَاجِعُ لايَسِيرُ

فَقالَ السَّائِلُونَ لِمَنْ حَفَرْتُمْ فَقالَ المُخْبِرُونَ لَهُمْ : وَزِيرُ[1]

فأجاب المخفوض بمرفوع ، لأن معنى الكلام : فقال السائلون : من الميت ؟ فقال المخبرون : الميت وزير . فأجابوا عن المعنى دون اللفظ .

والصواب من القراءة فى ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القرّاء ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أنى مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف ، لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك ، سوى خط مصحف أهل البصرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ؛ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد من بيده خزائن كلّ شىء .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ) قال : خزائن كلّ شىء .

(١) البيتان مما أنشده الفراء عن بعض بنى عامر ، فى كتابه معانى القرآن (الورقة ٢١٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) قال الفراء : وقوله « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله » هذه مسالة فيها ؛ لأنه قد استفهم بلام ، فرجعت فى خبر المستفهم . وأما الأخريان ، فإن أهل المدينة وعامة أهل الكوفة يقرءونهما كقراءة أبى كذلك : لله ، لله ، لله ، ثلاثتهن . وأهل البصرة يقرءون الأخريين الله ، الله ، وهو فى العربية أبين ، لأنه مردود مرفوع ؛ ألا ترى أن قوله « قل من رب السموات » مرفوع ، لاخفض فيه ، فجرى جوابه على مبتدأ به ، وكذلك هى فى قراءة عبد الله . والعلة فى إدخال اللام فى الأخريين فى قول أبى وأصحابه : أنك لوقلت لرجل : من مولاك ؟ فقال : أنا لفلان ، كفاك من أن يقول : مولاى فلان ، فلما كان المعنيان واحدا ، جرى ذلك فى كلامهم ؛ أنشدنى بعض بنى عامر « وأعلم أننى سأكون رمسا » . . . البيتين . فرفع . أراد : الميت وزير . والنواجع : جمع ناجعة ، وهى الجماعة تترك منازلها فى طلب الكلأ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مجاهد ، فى قول الله (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) قال : خزائن كلّ شىء .

وقوله (وَهُوَ يُجِيرُ) من أراد ممن قصده بسوء (وَلا يُجارُ عَلَيْهِ) يقول : ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء ، فيدفع عنه عذابه وعقابه (إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) من ذلك صفته ، فإنهم يقولون : إن ملكوت كلّ شىء ، والقدرة على الأشياء كلها لله ، فقل لهم يامحمد (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) يقولون : فمن أىّ وجه تُصْرَفون عن التصديق بآيات الله ، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله ، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء ، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم ، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته .

وكان ابن عباس فيما ذُكر عنه يقول فى معنى قوله (تُسْحَرُونَ) ما حدثنى به علىّ ، قال : ثنا عبد الله قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) يقول : تكذبون .

وقد بيّنت فيما مضى السِّحْر : أنه تخييل الشىء إلى الناظر ، أنه على خلاف ماهو به من هيئته ، فذلك معنى قوله (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) إنما معناه : فمن أىّ وجه يُخَيَّل إليكم الكذب حقا ، والفاسد صحيحا ، فتصرفون عن الإقرار بالحقّ ، الذى يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ، إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)

يقول : ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله ، من أن الملائكة بناتُ الله ، وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ) اليقين ، وهو الدين الذى ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك الإسلام ، ولا يُعْبَد شىء سوى الله ، لأنه لا إله غيره (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) يقول : وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله ، ويَنْحَلُونه من الولد والشريك . وقوله (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ) يقول تعالى ذكره : ما لله من ولد ، ولا كان معه فى القديم ، ولا حين ابتدع الأشياء ، مَنْ تصلح عبادته ، ولو كان معه فى القديم ، أو عند خلقه الأشياء ، مَنْ تصلح عبادته (مِنْ إلهٍ ، إذًا لَذَهَبَ) يقول : إذن لاعتزل كلّ إله منهم (بِمَا خَلَقَ) من شىء ، فانفرد به ، ولتغالبوا ، فلعلا بعضهم على بعض ، وغلب القوىّ منهم الضعيف ، لأن القوىّ لا يرضى أن يعلُوَه ضعيف ، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها ، فسبحان الله ما أبلغها من حجة ، وأوجزها لمن عقل وتدبر ! وقوله (إذًا لَذَهَبَ) جواب لمحذوف ، وهو : لو كان معه إله إذن لذهب كل إله بما خلق ، اجتزئ بدلالة ماذكر عليه عنه . وقوله (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون ، من أن له ولدا ، وعما قالوه ، من أن له شريكا ، أو أن معه فى القدم إلها يُعبد ، تبارك وتعالى .

وقوله (عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) يقول تعالى ذكره : هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء ، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه ، وما رأوه وشاهدوه ، إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين : اتخذ الله ولدا ، وعبدوا من دونه آلهة ، إنهم فيما يقولون ويفعلون مُبْطِلون مخطئون ، فإنهم يقولون مايقولون من قول فى ذلك عن غير علم ، بل عن جهل منهم به ، وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها ، وشاهدها وغائبها عنهم ، الله الذى لايخفى عليه شىء ، فخبره هو الحق دون خبرهم ، وقال : (عالمُ الغَيْب) فرفع على الابتداء ، بمعنى : هو عالم الغيب ، ولذلك دخلت الفاء فى قوله (فَتَعالَى) كما يقال : مررت بأخيك المحسن ، فأحسنت إليه ، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء ، لأن معنى الكلام إذا كان كذلك : مررت بأخيك هو المحسن ، فأحسنت إليه . ولو جعل الكلام بالواو فقيل : وأحسنت إليه لم يكن وجه الكلام فى المحسن إلا الخفض على النعت للأخ ، ولذلك لوجاء فتعالى بالواو ، كان وجه الكلام فى عالم الغيب الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله ، وكان يكون معنى الكلام : سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى ! فيكون قوله « وتعالى » حينئذ معطوفا على سبحان الله ، وقد يجوز الخفض مع الفاء ، لأن العرب قد تبدئ الكلام بالفاء ، كابتدائها بالواو ، وبالخفض كان يقرأ (عَالِمِ الغَيْب) فى هذا الموضع أبو عمرو ، وعلى خلافه فى ذلك قَرَأَة الأمصار .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : الرفع ، لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القرّاء عليه ، والثانى : صحته فى العربية .

وقوله (فَتَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره : فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ، ووصفهم إياه بما يصفون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد : ربّ إنْ تُرِيَنِّى فى هؤلاء المشركين ماتعدهم من عذابك ، فلا تهلكنى بما تهلكهم به ، ونجنى من عذابك وسخطك ، فلا تجعلنى فى القوم المشركين ولكن اجعلنى ممن رضيت عنه من أوليائك . وقوله (فَلَا تَجْعَلْنِى) جواب لقوله : إما تُرِيَنِّى ، اعترض بينهما بالنداء ، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك فى الكلام ، لايقال : يا زيد فقم ، ولا ياربّ فاغفر ، لأن النداء مستأنف ، وكذلك الأمر بعده مستأنف ، لاتدخله الفاء والواو ، إلا أن يكون جوابا لكلام قبله . وقوله (وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرونَ) يقول تعالى ذكره : وإنا يامحمد على أن نريك فى هؤلاء المشركين مانعدهم من تعجيل العذاب لهم ، لقادرون ، فلا يَحْزُنَنَّك تكذيبهم إياك بما نعدهم به ، وإنما نؤخر ذلك ، ليبلغ الكتاب أجله .

القول فى تأويل قوله تعالى

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه : ادفع يامحمد بالخَلَّة التى هى أحسن ، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين ، والصبر على أذاهم ، وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم ، وعنى بالسيئة : أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : اصبر على ماتلقى منهم فى ذات الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد، فى قوله (ادْفَعْ بالَّتِى هِىَ أحْسَنُ السَّيِّئَةَ) قال : أعرض عن أذاهم إياك .

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجَزَرِىّ ، عن مجاهد (ادْفَعْ بالَّتِى هِىَ أحْسَنُ السَّيِّئَةَ) قال : هو السلام ، تُسَلِّم عليه إذا لقيته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذَة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (ادْفَعْ بالَّتِى هِىَ أحْسَنُ السَّيِّئَةَ) قال : والله لايصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ، ويصفَح عما يكره .

وقوله (نَحْنُ أعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يصفون الله به ، وينحلُونه من الأكاذيب والفرية عليه، وبما يقولون فيك من السوء، ونحن مجازوهم على جميع ذلك، فلا يحزُنْك ماتسمع منهم من قبيح القول .

وقوله (وَقُلْ رَبِّ أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّياطِينِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يامحمد ربِّ أستجير بك من خَنْق[1] الشياطين وهمزاتها، والهَمْز : هو الغَمْز ، ومن ذلك قيل للهمز فى الكلام : هَمْزة ، والهَمَزَات جمع همزة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقُلْ رَبِّ أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّياطِينِ) قال : همزات الشياطين : خَنْقهم الناس ، فذلك هَمَزاتهم .

وقوله (وأعُوذُ بِكَ رَبِّ أنْ يَحْضُرُونِ) يقول : وقل أستجير بك ربِّ أن يحضرون فى أمورى .

كالذى حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأعُوذُ بِكَ رَبِّ أنْ يَحْضُرُونِ) فى شىء من أمرى .

(١) فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى : (همز) : « الهمز كالعصر » وهو مناسب لقول المؤلف : خنق الشياطين . لأن الخنق : هو عصر الرقبة وضغطها ، لينقطع النفس .

القول فى تأويل قوله تعالى

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ؛ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ، وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ ، وعاين نزول أمر الله به ، قال لعظيم ما يعاين مما يَقْدَم عليه من عذاب ، الله تندّما على مافات ، وتلهُّفا على مافرّط فيه قبل ذلك من طاعة الله ، ومسئلته للإقالة (رَبِّ ارْجِعُونِ) إلى الدنيا ، فردّونى إليها (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا) يقول : كى أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل ، فضيعته ، وفرّطت فيه .

وبنحو الذى قلنا فيه قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، قال : كان محمد بن كعب القُرَظىّ يقرأ علينا (حتى إذَا جاءَ أحَدَهُمْ المَوْتُ قالَ رَبّ ارْجِعُون) قال محمد : إلى أىّ شىء يريد ؟ إلى أىّ شىء يرغب ؟ أجمع المال ، أو غَرْس الغِراس ، أو بَنْى بُنيان ، أوشقّ أنهار ؟ ثم يقول (لَعَلِّي أعْمَلُ صَالِحًا فِيما تَرَكْتُ) يقول الجبار : كلاّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (رَبّ ارْجِعُونِ) قال : هذه فى الحياة الدنيا ، ألا تراه يقول (حتى إذَا جاءَ أحَدَهُمُ المَوْتُ) قال : حين تنقطع الدنيا ، ويعاين الآخرة ، قبل أن يذوق الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم لعائشة : « إذَا عايَنَ المُؤْمِنُ المَلائِكَةَ قالُوا : نُرْجِعُكَ إلى الدُّنْيا ؟ فَيَقُولُ : إلى دار الهُمُومِ وَالأحْزَانِ ، فَيَقُولُ بَل قَدِّمانِي إلى اللهِ ؛ وأمَا الكافِرُ فَيُقالُ : نُرْجِعُكَ ؟ فيَقُولُ : لَعَلِّي أعْمَلُ صَالِحًا فِيما تَرَكْتُ » . . . الآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حتىَّ إذَا جاءَ أحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ رَبّ ارْجِعُونِ) : يعنى أهل الشرك ، وقيل : ربّ ارجعون ، فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ، ثم قيل : ارجعون ، فصار إلى خطاب الجماعة ، والله تعالى ذكره واحد . وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن مسألة القوم الردّ إلى الدنيا ، إنما كانت منهم للملائكة الذين يَقبِضون روحهم ، كما ذكر ابن جُرَيج أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قاله . وإنما ابتُدِئ الكلام بخطاب الله جلّ ثناؤه ، لأنهم استغاثوا به ، ثم رجعوا إلى مسئلة الملائكة الرجوع ، والردّ إلى الدنيا .

وكان بعض نحوِيِّى الكوفة يقول : قيل ذلك كذلك ، لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) فى غير مكان من القرآن ، فجرى هذا على ذاك .

وقوله (كَلاَّ) يقول تعالى ذكره : ليس الأمر على ماقال هذا المشرك ، لن يُرْجع إلى الدنيا ، ولن يُعاد إليها (إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) يقول : هذه الكلمة ، وهو قوله (رَبِّ ارْجِعُونِ) كلمة هو قائلها : يقول : هذا المشرك هو قائلها .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) لابد له أن يقولها (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) يقول : ومن أمامهم حاجز يحجُز بينهم وبين الرجوع ، يعنى إلى يوم يبعثون من قبورهم ، وذلك يوم القيامة ؛ والبرزخ والحاجز والمُهْلة متقاربات فى المعنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول : أجل إلى حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) قال : ما بعد الموت .

حدثنى أبو حميد الحِمْصىّ أحمد بن المغيرة ، قال : ثنا أبو حَيْوة شريح بن يزيد ، قال : ثنا أرطاة ، عن أبى يوسف ، قال : خرجت مع أبى أمامة فى جنازة ، فلما وُضِعت فى لحدها ، قال أبو أمامة : هذا برزخ إلى يوم يُبعثون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا مطر ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : مابين الموت إلى البعث .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : حِجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : برزخ بقية الدنيا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : البرزخ ما بين الموت إلى البعث .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (فإذَا نُفِخَ فى الصُّور) من النفختين أيُّتهما عُنِىَ بها ، فقال بعضهم : عُنِىَ بها النفخة الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، قال : ثنا عمرو بن مطرف ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبير ، أن رجلا أتى ابن عباس فقال : سمعت الله يقول (فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) . . . الآية . وقال فى آية أخرى (وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) فقال : أما قوله (فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ) فذلك فى النفخة الأولى ، فلا يبقى على الأرض شىء (فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ) وأما قوله (وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، فى قوله (فإذَا نُفِخَ فى الصُّورِ فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ) قال : فى النفخة الأولى .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلا أنْسابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ) فذلك حين ينفخ فى الصور ، فلا حىّ يبقى إلا الله (وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) فذلك إذا بُعثوا فى النفخة الثانية .

قال أبو جعفر : فمعنى ذلك على هذا التأويل : فإذا نفخ فى الصور ، فصَعِق مَنْ فى السموات ومَنْ فى الأرض إلا مَنْ شاء الله ، فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ، ولا يتساءلون ، ولا يتزاورون ، فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم .

وقال آخرون : بل عُنِىَ بذلك النفخة الثانية :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن هارون بن أبى وكيع ، قال : سمعت زاذان يقول : أتيت ابن مسعود ، وقد اجتمع الناس إليه فى داره ، فلم أقدِر على مجلس ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، من أجل أنى رجل من العجم تَحْقِرُنى ؟ قال : ادْنُ ، قال : فدنوت ، فلم يكن بينى وبينه جليس ، فقال : « يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة ، على رءوس الأوّلين والآخرين ، قال : وينادِى مناد : ألا إن هذا فلان بن فلان ، فمن كان له حقّ قبله فليأت إلى حقه ، قال : فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حقّ على ابنها ، أو على أبيها ، أو على أخيها ، أو على زوجها (فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن هارون بن عنترة ، عن زاذان ،

قال : سمعت ابن مسعود يقول : « يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة ، فينصب على رءوس الأوّلين والآخرين ، ثم ينادى مناد ، ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فيقول الربّ تبارك وتعالى للعبد : أعطِ هؤلاء حقوقهم ، فيقول : أى ربّ ، فَنِيتِ الدنيا ، فمن أين أعطيهم ؟ فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة ، وأعطوا لكل إنسان بقدر طِلبته ، فإن كان له فضلُ مثقال حبة من خردل ، ضاعفها الله له ، حتى يدخله بها الجنة ، ثم تلا ابن مسعود (إنَّ اللهَ لايَظلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ ، وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْها ، وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أجْرًا عَظِيما) وإن كان عبدا شقيا قالت الملائكة : ربنا ، فنيت حسناتُه ، وبقى طالبون كثير ، فيقول : خذوا من أعمالهم السيئة ، فأضيفوها إلى سيئاته ، وصُكُّوا له صَكًّا إلى النار » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج « (فإذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ) قال : لايُسأل أحد يومئذ بنسب شيئا ، ولايتساءلون ، ولا يمتّ إليه برحم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى محمد بن كثير ، عن حفص بن المغيرة ، عن قتادة ، قال : « ليس شىء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافُه ، مخافة أن يذوب له عليه شىء ، ثم قرأ (يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أخِيهِ وأُمِّهِ وأبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأْنٌ يُغْنِيهِ ») .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا الحكَم بن سِنان ، عن سَدُوس صاحب السائرىّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وأهْلُ النَّارِ النَّارَ ، نادَى مُنادٍ مِنْ أهْلِ العَرْشِ : يا أهْلَ التَّظالُمِ تَدارَكُوا مَظالِمَكُمْ ، وَادْخُلُوا الجَنَّةَ . »

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) : موازين حسناته وخفت موازين سيئاته (فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) يعنى الخالدون فى جنات النعيم (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) يقول : ومن خفّت موازين حسناته ، فرجَحَتْ بها موازين سيئاته (فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ) يقول : غَبَنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله (فى جَهَنَّمَ خالِدُونَ) يقول : هم فى نار جهنم .

وقوله (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) يقول : تَسْفَع وجوهَهم النار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) قال : تنفَح (وَهُمْ فِيها كالِحُونَ) والكُلوح : أن تتقلّص الشفتان عن الأسنان ، حتى تبدو الأسنان ، كما قال الأعشى :

وَلَهُ المُقَدَّمُ لا مِثْلَ لَهُ ساعَةَ الشِّدْقُ عَنِ النَّابِ كَلَحْ[1]

فتأويل الكلام : يَسْفَع وجوههم لهب النار ، فتُحْرقها ، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان، من إحراق النار وجوههم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَهُمْ فِيها كالِحُونَ) يقول : عابسون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص عن عبد الله ، فى قوله (وَهُمْ فِيها كالِحُونَ) قال: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه ، وقلصت شفتاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص عن عبد الله ، قرأ هذه الآية (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) . . . الآية ، قال : ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفتاه ، وبدت أسنانه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُمْ فِيها كالِحُونَ) قال ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هى ؟ .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : يقال لهم (أَلَمْ تَكُنْ آياتى تُتْلَى عَلَيْكُمْ) يعنى آيات القرآن تتلى عليكم فى الدنيا (فَكُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ) وترك ذكر يقال، لدلالة الكلام عليه . (قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا) بكسر الشين ، وبغير ألف . وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة (شَقاوَتُنا) بفتح الشين والألف.

والصواب من القول فى ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان ، وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وتأويل الكلام : قالوا : ربنا غلبت علينا ما سبق لنا فى سابق علمك وخطّ لنا فى أمّ الكتاب .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٤١ بشرح الدكتور محمد حسين ، طبع القاهرة) . والرماية فيه فى الحرب « إذا » فى موضع « لا مثل له » . والمقدم بضم الميم : مصدر بمعنى الإقدام . وكلح الشدق : كشر عن الأنياب فى عبوس .
يمدح إياس بن قبيصة الطائى ، بأن من صفاته الإقدام فى الحرب حين تكره الأبطال النزال ، وتكشر أشداقهم عن أنيابهم ، كرها للحرب. واستشهد به المؤلف هنا على أن معنى الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، قوله (غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا) قال : التى كتبت علينا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا) التى كتبت علينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال : قال ابن جريج : « بلغنا أن أهل النار نادوا خَزَنة جهنم : أنْ (ادْعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) فلم يجيبوهم ما شاء الله ؛ فلما أجابوهم بعد حين ، قالوا : (ادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) . قال : ثم نادوا مالكا : يامالك ليقضِ علينا ربك ، فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ، ثم أجابهم فقال : (إنَّكُمْ ماكِثُونَ) . ثم نادى الأشقياء ربهم ، فقالوا (رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ، رَبَّنا أخْرِجْنا مِنْها ، فإنْ عُدْنا فانَّا ظالِمُونَ) فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى (اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ) » .

قال[1] : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : « ينادى أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ماشاء الله ، ثم يقال : أجيبوهم ، وقد قطع الرَّحِمَ والرحمة ، فيقول أهل الجنة : يا أهل النار ، عليكم غضب الله ، يا أهل النار ، عليكم لعنة الله ، يا أهل النار ، لا لَبَّيْكم ولا سَعْدَيْكم ، ماذا تقولون ؟ فيقولون : ألم نك فى الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم ؟ فيقولون : بلى ، فيقولون (أفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ ، أوْ مِما رَزَقَكُمُ اللهُ ، قالُوا إنَّ اللهَ حَرَّمَهُما عَلَى الكافِرِينَ) » .

قال[1] : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ؛ قال : وثنى عَبْدة المُرُوزِىّ ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن عمرو بن أبى ليلى ، قال : سمعت محمد بن كعب ، زاد أحدهما على صاحبه : قال محمد ابن كعب : بلغنى ، أو ذُكر لى ، أن أهل النار استغاثوا بالخَزَنة ، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ، فردّوا عليهم ما قال الله : فلما أيسوا نادَوا : يامالك ، وهو عليهم ، وله مجلس فى وسطها ، وجسور تمرّ عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها ، فقالوا : يا مالك ، ليقض علينا ربك ، سألوا الموت ، فمكث لايجيبهم ثمانين ألفَ سنة من سنى الآخرة ، أو كما قال : ثم انحطّ إليهم ، فقال (إنَّكُمْ ماكِثُونَ) فلما سمعوا ذلك قالوا : فاصبروا ، فلعلّ الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، قال : فصَبَروا ، فطال صبرهم ، فنادَوا (سَوَاءٌ عَلَيْنا أجَزِعْنا أمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ) : أى مَنْجًى ، فقام إبليس عند ذلك فخطبهم ، فقال (إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأخْلَفْتُكُمْ ، وَما كانَ لِى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ) ؛ فلما سمعوا مقالتهم ، مَقَتُوا أنفسهم ، قال : فنُودوا (لَمَقْتُ

(١) لعل القائل هنا أيضا : هو القاسم ، راوى الحديث بالإسناد السابق على هذا .

الله أكبرُ من مقتكم أنفسكم ، إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون . قالوا ربنا أمتنا) ... الآية ، قال : فيجيبهم الله فيها (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير) قال : فيقولون : ما أيسنا بعد . قال : ثم دعوا مرة أخرى ، فيقولون ، (ربنا أبصرنا وسمعنا ، فارجعنا نعمل صالحا ، إنا موقنون) قال : فيقول الرب تبارك وتعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) يقول الرب : لو شئت لهديت الناس جميعا ، فلم يختلف منهم أحد (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) يقول : بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا (إنا نسيناكم) : أي تركناكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) قال : فيقولون : ما أيسنا بعد . قال : فيدعون مرة أخرى (ربنا أخرنا إلى أجل قريب ، نجب دعوتك ونتبع الرسل) قال : فيقال لهم (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ، وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) . . . الآية ، قال : فيقولون : ما أيسنا بعد . ثم قالوا مرة أخرى (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) ، قال : فيقول (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) . . . إلى (نصير) . ثم مكث عنهم ما شاء الله ، ثم ناداهم (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) فلما سمعوا ذلك قالوا : الآن يرحمنا ، فقالوا عند ذلك (ربنا غلبت علينا شقوتنا) : أي الكتاب الذي كتب علينا (وكنا قوما ضالين ، ربنا أخرجنا منها) . . . الآية ، فقال عند ذلك (اخسئوا فيها ولا تكلمون) قال : فلا يتكلمون فيها أبدا ، فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم . وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض ، فأطبقت عليهم . قال عبد الله بن المبارك في حديثه : فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال : فذلك قوله (هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، أنه قال : فوالذي أنزل القرآن على محمد ، والتوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا الشهيق والزعيق في الخلد أبدا ، ليس له نفاد .

قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، قال : كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ ، فجلسنا ، فتنحى أبو جعفر ، فبكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال : أخبرني زيد بن أسلم ، أن أهل النار لا يتنفسون .

وقوله (وكنا قوما ضالين) يقول : كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد ، وقصد الحق .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم : ربنا أخرجنا من النار ، فإن عدنا لما تكره منا من عمل ، فإنا ظالمون .

وقوله (قالَ اخْسَئُوا فِيها) يقول تعالى ذكره : قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيبا : (اخْسَئُوا فِيها) : أى اقعدوا فى النار ، يقال منه : خَسَأْتُ فلانا أخْسَؤُه خَسْأ وخُسُوءا ، وخَسِئَ هو يخسَأ وما كان خاسئا ، ولقد خَسِئَ . (وَلا تُكَلِّمُونِ) فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ، ولقد كانوا طامعين فيه .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن سَلَمة بن كُهَيل ، قال ثنى أبو الزعراء ، عن عبد الله ، فى قصة ذكرها فى الشفاعة ، قال : فإذا أراد الله أنْ لا يُخْرج منها ، يعنى من النار أحدا ، غير وجوههم وألوانها ، فيجىء الرجل من المؤمنين ، فيشفع فيهم ، فيقول : يا ربّ ، فيقول من عرف أحدا فليخرجه ؛ قال : فيجىء الرجل فينظر ، فلا يعرف أحدا ، فيقول : يا فلان يا فلان ، فيقول : ما أعرفك ، فعند ذلك يقولون (رَبَّنا أخْرِجْنا مِنْها ، فإنْ عُدْنا فإنَّا ظالِمُونَ) فيقول (اخْسَئُوا فيها وَلا تُكَلِّمُونِ) فإذا قالوا ذلك ، انطبقت عليهم جهنم ، فلا يخرج منها بشر .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن شَهر ابن حَوْشب ، عن معدى كرب ، عن أبى الدَّرْداء ، قال : يُرْسل ، أو يصبّ على أهل النار الجوع ، فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بالضَّريع الذي لا يُسْمِن ولا يُغْنِي من جوع ، فلا يغنى ذلك عنهم شيئا ، فيستغيثون ، فيغاثون بطعام ذى غُصّة ، فإذا أكلوه نَشِب فى حلوقهم ، فيذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يحدرون الغصة بالماء ، فيستغيثون ، فيرفع إليهم الحميم فى كلاليب الحديد ، فاذا انتهى إلى وجوههم شوى وجوههم ، فإذا شربوه قطع أمعاءهم ، قال : فينادون مالكا لِيَقْضِ علينا ربك ، قال : فيتركهم ألف سنة ، ثم يجيبهم : إنكم ماكثون ، قال : فينادون خَزَنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ، قالوا : أو لم تَكُ تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فادعوا ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ؛ قال : فيقولون ما نجد أحدا خيرا لنا من ربنا ، فينادون ربهم : (رَبَّنا أخْرِجْنا مِنْها ، فإنْ عُدْنا فإنَّا ظالِمُونَ) ، قال : فيقول الله (اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ) قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير ، فيدْعُون بالويل والشَّهيق والثُّبور .

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عاصم بن يوسف اليربوعىّ ، قال : ثنا قُطْبة بن عبد العزيز الأسدىّ ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أمّ الدرداء ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُلْقَى عَلى أهْلِ النَّارِ الجُوعُ » . . . ثم ذكر نحوا منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّى ، عن هارون بن عنترة ، عن عمرو بن مَرّة ، قال : يرى أهل النار فى كل سبعين عاما ساق مالك خازن النار ، فيقولون (ياما لِكُ ، لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) ! فيجيبهم بكلمة ، ثم لا يرونه سبعين عاما ، فيستغيثون بالخَزَنة ، فيقولون لهم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ! فيجيبونهم : (أوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بالبَيِّناتِ) . . . الآية ، فيقولون : ادعوا ربكم ، فليس أحد أرحم من ربكم ، فيقولون (رَبَّنا أخْرِجْنا مِنْها ، فإنْ عُدْنا فإنَّا ظالِمُونَ) . قال : فيجيبهم (اخْسَئُوا فيها وَلا تُكَلِّمُونِ) فعند ذلك ييأسُون من كلّ خير ، ويأخذون فى الشهيق والوَيْل والثُّبور .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (اخْسَئُوا فيها وَلا تُكَلِّمُونِ) : قال : بلغنى أنهم ينادُون مالكا فيقولون : ليقض علينا ربك ، فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ، ثم يقول (إنَّكُمْ ماكِثُونَ) قال : ثم ينادُون ربهم ، فيسكت عنهم قدر الدنيا مرّتين ، ثم يقول (اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ) قال : فييأس القوم ، فلا يتكلمون بعدها كلمة ، وكان إنما هو الزفير والشهيق . قال قتادة : صوت الكافر فى النار مثل صوت الحمار : أوّله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الله بن عيسى ، قال : أخبرنى زياد الخراسانىّ ، قال : أسنده إلى بعض أهل العلم ، فنسيته هى قوله (اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ) قال : فيسكتون ، قال : فلا يسمع فيها حِسّ إلا كطنين الطَّسْت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ) هذا قول الرحمن عزّ وجلّ ، حين انقطع كلامهم منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ : رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ، وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره (إنَّهُ) وهذه الهاء فى قوله « إنه » هى الهاء التى يسميها أهل العربية المجهولة . وقد بينت معناها فيما مضى قبلُ ، ومعنى دخولها فى الكلام ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع (كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِى) يقول : كانت جماعة من عبادى ، وهم أهل الإيمان بالله ، يقولون فى الدنيا : (رَبَّنا آمَنَّا) بك وبرسلك ، وما جاءوا به من عندك ، (فاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَارْحَمْنا) وأنت خير من رحم أهل البلاء ، فلا تعذّبنا بعذابك .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ، وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ ، أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : فاتخذتم أيها القائلون لربهم (رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وكُنا قَوْما ضالِّينَ) فى الدنيا ، القائلين فيها (رَبنا آمَنَّا فاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وأنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) سُخْريا . والهاء والميم فى قوله (فاتَّخَذْتُمُوهُمْ) من ذكر الفريق .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سُخْرِيًّا) فقرأه بعض قرّاء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة (فاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا) بكسر السين ، ويتأوّلون فى كسرها أن معنى ذلك الهزء ، ويقولون : إنها إذا ضُمت ، فمعنى الكلمة : السُّخْرة والاستعباد . فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء : فاتخذتم أهل الإيمان بى

فى الدنيا هُزُؤًا ولعبا، تهزءون بهم، حتى أنسوكم ذكرى . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (فاتَّخذْتموهمْ سُخْرِيًّا) بضم السين ، وقالوا : معنى الكلمة فى الضمّ والكسر واحد . وحكى بعضهم عن العرب سماعا لِحِىّ ولُحِىّ ، ودِرِىّ ، ودُرِّىّ، منسوب إلى الدرّ، وكذلك كِرسىّ وكُرسىّ ؛ وقالوا ذلك من قيلهم كذلك : نظير قولهم فى جمع العصا : العِصِىّ بكسر العين ، والعُصِىّ بضمها ؛ قالوا : وإنما اخترنا الضمّ فى السَّخرىّ ، لأنه أفصح اللغتين .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان، بمعنى واحد ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب، وليس يُعْرف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت ، لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ماحكيت عنه .

ذكر الرواية به عن بعض من فرّق فى ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد (فاتَّخذْتموهمْ سِخْرِيًّا) قال : هما مختلفتان : سِخريا ، وسُخريا ، يقول الله (وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سِخْرِيًّا) قال : هذا سِخريًا : يُسَخِّرونهم ، والآخرون : الذين يستهزئون بهم هم سُخريًّا ، فتلك سِخريًّا يُسَخرونهم عندك، فسخَّرك: رفعك فوقه ؛ والآخرون: استهزءوا بأهل الإسلام هى سُخريًا يَسْخَرون منهم، فهما مختلفتان . وقرأ قول الله (كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ، قالَ إنْ تَسْخَرُ مِنَّا وا فإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ) وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح ، اتخذوهم سُخريًّا : اتخذوهم هُزُؤًا ، لم يزالوا يستهزئون بهم .

وقوله (حتى أنْسَوكُمْ ذِكْرِى) يقول : لم يزل استهزاؤكم بهم، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكرى ، فألهاكم عنه (وكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ) .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حتى أنْسَوْكُمْ ذِكْرِى) قال: أنسى هؤلاء اللهَ استهزاؤهم بهم، وضحكهم بهم، وقرأ(إنَّ الَّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) حتى بلغ (إنَّ هَؤُلاءِ لَضالُّونَ) ، وقوله (إنِّى جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِمَا صَبَروا) يقول تعالى ذكره : إنى أُثيبهم المشركون بالله المخلّدون فى النار ، جزَيت الذين اتخذتموهم فى الدنيا سخريا من أهل الإيمان بى، وكنتم منهم تضحكون . اليومَ بما صبروا على ما كانوا يلقَون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم فى الدنيا ، إنهم هم الفائزون .

اختلفت القرّاء فى قراءة (إنَّهُمْ) فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (أنَّهُمْ)، بفتح الألف من « أنهم » بمعنى : جزيتهم هذا ، فأن فى قراءة هؤلاء: فى موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها ، لأن معنى الكلام عندهم : إنى جزيتهم اليوم الفوز بالجنة ؛ وقد يحتمل النصب من وجه آخر ، وهو أن يكون موجَّها معناه إلى: إنى جزيتهم اليوم بما صبروا، لأنهم هم الفائزون بما صبروا فى الدنيا ، على مالقُوا

فى ذات الله . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (إنّى » بكسر الألف منها ، بمعنى الابتداء ، وقالوا : ذلك ابتداء من الله مدحهم .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأ بكسر الألف ، لأن قوله : جزيتهم ، قد عمل فى الهاء والميم ، والجزاء إنما يعمل فى منصوبين ، وإذا عمل فى الهاء والميم ، لم يكن له العمل فى « أن » فيصير عاملا فى ثلاثة إلا أن يُنْوَى به التكرير ، فيكون نصب « أنّ » حينئذ بفعل مضمر ، لا بقوله : جزيتهم ، وإن هى نصبت بإضمار لام ، لم يكن له أيضا كبير معنى ، لأن جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة ، إنما هو على ماسلف من صالح أعمالهم فى الدنيا ، وجزاؤه إياهم ، وذلك فى الآخرة هو الفوز ، فلا معنى لأن يَشْرُط لهم الفوز بالأعمال ، ثم يخبر أنهم إنما فازوا لأنهم هم الفائزون .

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ماذكرنا : إنى جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا فى الدنيا على أذاكم بها ، فى أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم ، والكرامة الباقية أبدا ، بما عملوا من صالحات الأعمال فى الدنيا ، ولقوا فى طلب رضاى من المكاره فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ (١١٣)

⁂ اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ) ، وفى قوله (لَبِثْنا يَوما أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر (قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ) ، وكذلك قوله (قالَ إنْ لَبِثْتُمْ) . ووجّه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال لهؤلاء الأشقياء من أهل النار ، وهم فى النار (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟) وأنهم أجابوا الله فقالوا (لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) ، فنسى الأشقياء ، لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب ، مدة مكثهم التى كانت فى الدنيا ، وقَصُر عندهم أمد مكثهم الذى كان فيها ، لما حلّ بهم من نقمة الله ، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوما أو بعض يوم . ولعلّ بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل ، والسنين الكثيرة .

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة ، على وجه الأمر لهم بالقول ، كأنه قال لهم : قولوا كم لبثتم فى الأرض؟ وأخرج الكلام مُخْرَج الأمر للواحد ، والمعنىّ به الجماعة ، إذ كان مفهوما معناه ، وإنما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة ، لأن ذلك فى مصاحفهم ، قُلُ بغير ألف ، وفى غير مصاحفهم بالألف .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ذلك (قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ) على وجه الخبر ، لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا ، أن يكون « قُولوا » على وجه الخطاب للجمع ، لأن الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار ، فالذى هو أولى أن يكون كذلك قوله « قولوا » : لو كان الكلام جاء على وجه الأمر ، وإن كان الآخر جائزا ، أعنى التوحيد ، لما بيّنت من العلة لقارئ ذلك كذلك ، وجاء الكلام بالتوحيد

فى قراءة جميع القرّاء ، كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه ، إذا كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قال الله كم لبثتم فى الدنيا من عدد سنين ؟ قالوا مجيبين له : لبثنا فيها يوما أو بعض يوم ، فاسأل العادّين ، لأنا لاندرى ، قد نسينا ذلك .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالعادّين ، فقال بعضهم : هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم ، ويُحْصُون عليهم ساعاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فاسأَلِ العادِّينَ) قال : الملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل هم الحُسّاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قَتادة (فاسأَلِ العادِّينَ) قال : فاسأل الحُسّاب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة (فاسأَلِ العادّينَ) قال : فاسأل أهل الحساب .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه (فاسأَلِ العادّينَ) وهم الذين يَعُدّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك ، وجائز أن يكونوا الملائكة ، وجائز أن يكونوا بنى آدم وغيرهم ، ولا حجة بأىّ ذلك من أىّ ثبتت صحتها ، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادّين دون بعض .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَلْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ، وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ (١١٥)

⁂ اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قالَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً) اختلافهم فى قراءة قوله (قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ) والقول عندنا فى ذلك فى هذا الموضع ، نحو القول الذى بيّناه قبلُ ، فى قوله (كَمْ لَبِثْتُمْ) وتأويل الكلام على قراءتنا : قال الله لهم : ما لبثتم فى الأرض إلا قليلا يسيرا ، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها .

وقوله (أفَحَسِبْتُمْ أنَّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثًا ؟) يقول تعالى ذكره : أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعبا وباطلا ، وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لاتصيرون أحياء ، فتجزون بما كنتم فى الدنيا تعملون ؟

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة والكوفة (لاتُرْجَعُونَ) بضمّ التاء : لاتُردّون ، وقالوا : إنما هو من مَرْجِع الآخرة ، لا من الرجوع إلى الدنيا ، وقرأ ذلك عامة قرّاء

الكوفة (لاتَرْجِعُونَ) وقالوا : سواء فى ذلك مرجع الآخرة ، والرجوع إلى الدنيا .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، لأن من ردّه الله إلى الآخرة من الدنيا بعد فنائه ، فقد رَجَع إليها ، وأن من رجع إليها ، فبردّ الله إياه إليها رجع . وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (أفَحَسِبْتُمْ أنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أفَحَسِبْتُمْ أنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) قال : باطلا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ، لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ (١١٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون ، من أن له شريكا ، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات (لا إلَهَ إلاَّ هُوَ) يقول : لامعبود تنبغى له العبودة إلا الله الملك الحقّ ، ربّ العرش الكريم ، والربّ : مرفوع بالردّ على الحقّ ، ومعنى الكلام : فتعالى الله الملك الحقّ ، ربّ العرش الكريم ، لاإله إلا هو .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ، إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (١١٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : ومن يدع مع المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له معبودا آخر ، لاحجة له بما يقول ويعمل من ذلك ، ولا بينة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لابُرْهانَ لَهُ بِهِ) قال : بينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لابُرْهانَ لَه بِهِ) قال : حُجة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن مجاهد ، فى قوله (لابُرْهانَ لَهُ بِهِ) قال : لاحجة .

وقوله (فإنَّمَا حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) يقول : فإنما حساب عمله السَّيِّئ عند ربه ، وهو مُوَفِّيه جزاءه إذا

قدم عليه (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ) يقول : إنه لاينجح أهل الكفر بالله عنده ، ولا يدركون الخلود والبقاء فى النعيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ، وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. (١١٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يامحمد، ربّ استر علىّ ذنوبى بعفوك عنها، وارحمنى بقبول توبتك ، وتركك عقابى علىّ ما اجترمت (وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) يقول : وقل أنت ياربّ خير من رحم ذا ذنب ، فقبل توبته ، ولم يعاقبه على ذنبه .

آخر تفسير سورة المؤمنين

تفسير سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ، وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاها) وهذه السورة أنزلناها ، وإنما قلنا معنى ذلك كذلك ، لأن العرب لاتكاد تبتدئ بالنكرات قبل أخبارها إذا لم تكن جوابا ، لأنها توصل كما يوصل «الذى» ، ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة ، فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر إذا لم تكن موصولة، إذ كان يصير خبرها إذا ابتدئ بها كالصلة لها ، ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها ، بعد إذ كان الخبر عنها بعدها ، كالصلة لها ، وإذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها ، لم يدخل الشك على سامع الكلام فى مراد المتكلم . . وقد بيّنا فيما مضى قبلُ أن السورة وصف لما ارتفع بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (وَفَرَضْناها) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأه بعض قرّاء الحجاز والبصرة (وَفَرَّضْناها) ويتأوّلونه : وفصّلناها ونزّلنا فيها فرائض مختلفة . وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوّله .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن مهدىّ ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه كان يقرؤها (وَفَرَّضْناها) يعنى بالتشديد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَفَرَضْناها) قال : الأمر بالحلال ، والنهى عن الحرام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله . وقد يحتمل

ذلك إذا قرئ بالتشديد وجها غير الذى ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يوجه إلى أن معناه : وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس إلى قيام الساعة . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والشأم (وَفَرَضْناها) بتخفيف الراء ، بمعنى : أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم ، وألزمناكموه وبيّنا ذلك لكم .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وذلك أن الله قد فصلها ، وأنزل فيها ضروبا من الأحكام ، وأمر فيها ونهى ، وفرض على عباده فيها فرائض ، ففيها المعنيان كلاهما : التفريض ، والفرض ، فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب .

ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الفَرْض والبيان من أهل التأويل

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَفَرَضْناها) يقول : بيناها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها) قال : فرضناها لهذا الذى يتلوها مما فرض فيها ، وقرأ فيها (آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

وقوله (وأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ) يقول تعالى ذكره : وأنزلنا فى هذه السورة علامات ودلالات على الحقّ بينات ، يعنى واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل ، أنها من عند الله ، فإنها الحقّ المبين ، وإنها تهدى إلى الصراط المستقيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ) قال : الحلال والحرام والحدود (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول : لتتذكروا بهذه الآيات البينات التى أنزلناها

القول فى تأويل قوله تعالى

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ، إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)

يقول تعالى ذكره : من زنى من الرجال ، أو زنت من النساء ، وهو حُرّ بكر غير مُحْصَن بزوج ، فاجلدوه ضربا مئة جلدة ، عقوبة لما صنع ، وأتى من معصية الله (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : لاتأخذكم بالزانى والزانية أيها المؤمنون رأفة ، وهى رقة الرحمة فى دين الله ، يعنى فى طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحدّ عليهما ، على ما ألزمكم به .

واختلف أهل التأويل فى المنهىّ عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما ، فقال بعضهم : هو ترك إقامة حدّ الله عليهما ، فأما إذا أقيم عليهما الحدّ ، فلم تأخذهم بهما رأفة فى دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبى مُلَيكة ، عن عبيد الله

ابن عبد الله بن عمر ، قال : جلد ابن عمر جارية له أحدثت ، فجلد رجليها ، قال نافع : وحسبت أنه قال : وظهرها ، فقلت (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ) فقال : وأخذتنى بها رأفة ، إن الله لم يأمرنى أن أقتلها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عبد الله بن أبى مليكة يقول : ثنى عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، أن عبد الله بن عمر حدّ جارية له ، فقال للجالد : وأشار إلى رجلها ، وإلى أسفلها ، قلت : فأين قول الله (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ) قال : أفأقتلها ؟

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ) قال : أن تقيم الحدّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، ابن جُرَيج (وَلا تأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ) قال : لاتضيعوا حدود الله .

قال ابن جُرَيج : وقال مجاهد : (لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ) : لاتضيعوا الحدود فى أن تقيموها ، وقالها عطاء بن أبى رباح .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبد الملك وحجاج ، عن عطاء (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ) قال : يقام حدّ الله ولا يعطل ، وليس بالقتل .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : ثنى محمد بن فضيل ، عن داود ، عن سعيد بن جبير ، قال : الجلد .

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهَبّارىّ ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فى دين الله) قال : الضرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال : قلت لأبى مجلز (الزّانِيَةُ وَالزّانى فاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُما) . . . إلى قوله (والْيَوْمِ الآخِرِ) إنا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدّا ، أو تقطع يده ، قال : إنما ذاك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحدّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فى دِينِ اللهِ) قال : لاتقام الحدود .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ) فتدعوهما من حدود الله التى أمر بها ، وافترضها عليهما .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أجبرنا ابن لَهيعة ، عن خالد بن أبى عمران ، أنه سأل سليمان بن يسار ، عن قول الله (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فى دِينِ اللهِ) أى فى الحدود ، أو فى العقوبة ؟ قال : ذلك فيهما جميعا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِىّ ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن عطاء فى قوله (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فى دِينِ اللهِ) قال : أن يقام حدّ الله ، ولا يعطّل ، وليس بالقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر فى قوله (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فى دين الله) قال : الضرب الشديد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (وَلا تَأْخُذْكُمْ بهما رأفَةٌ) فتُخَفِّفوا الضرب عنهما ، ولكن أوجعوهما ضربا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكر ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن قَتادة ، عن الحسن وسعيد ابن المسيب (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِى دِينِ اللهِ) قال : الجلد الشديد .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن حماد ، قال : يُحَدّ القاذف والشارب وعليهما ثيابهما . وأما الزانى فتخلع ثيابه ، وتلا هذه الآية (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِى دِينِ اللهِ) فقلت لحماد : أهذا فى الحكم ؟ قال : فى الحكم والجلد .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، قال : يجتهد فى حدّ الزانى والفرية ، ويخفف فى حدّ الشرب . وقال قَتادة : يخفف فى الشراب ، ويجتهد فى الزانى .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا تأخذكم بهما رأفة فى إقامة حدّ الله عليهما ، الذى افترض عليكم إقامته عليهما .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لدلالة قول الله بعده « فى دين الله » ، يعنى فى طاعة الله التى أمركم بها ، ومعلوم أن دين الله الذى أمر به فى الزانيين : إقامة الحدّ عليهما ، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة ، مع أن الشدّة فى الضرب لاحدّ لها يوقف عليه ، وكلّ ضرب أوجع فهو شديد ، وليس للذى يوجع فى الشدّة حدّ لازيادة فيه ، فيؤمر به . وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لاسبيل للمأمور به إلى معرفته . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى للمأمورين إلى معرفته السبيل هو عدد الجَلد على ما أمر به ، وذلك هو إقامة الحد على ماقلنا . وللعرب فى الرأفة لغتان : الرأفة بتسكين الهمزة ، والرآفة بمدّها ، كالسأمة والسآمة ، والكأبة والكآبة . وكأنّ الرأفة المرّة الواحدة ، والرآفة المصدر ، كما قيل : ضَؤُل ضآلة ، مثل فَعُل فعالة ، وقَبُح قباحة .

وقوله (إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ) يقول : إن كنتم تصدّقون بالله ربكم وباليوم الآخر ، وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة ، وللثواب والعقاب ، فإن من كان بذلك مصدّقا ، فإنه لايخالف الله فى أمره ونهيه ، خوف عقابه على معاصيه . وقوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : وليحضر جلد الزانيين البِكْرَين وحدّهما إذا أقيم عليهما طائفةٌ من المؤمنين . والعرب تسمى الواحد فما زاد : طائفة . وقوله (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : من أهل الإيمان بالله ورسوله .

وقد اختلف أهل التأويل فى مبلغ عدد الطائفة الذى أمر الله بشهود عذاب الزانيين البِكْرين ، فقال بعضهم : أقله واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : رجل .

حدثنا علىّ بن سهل بن موسى بن إسحاق الكنانىّ وابن القوّاس ، قالا : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : الطائفة رجل ، قال علىّ : فما فوق ذلك ؛ وقال ابن القوّاس : فأكثر من ذلك .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا زيد ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : رجل .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : قال ابن أبى نجيح (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال مجاهد : أقله رجل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : الطائفة : الواحد إلى الألف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد فى هذه الآية (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِن الْمُؤْمِنِينَ) قال : الطائفة واحد إلى الألف (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : الرجل الواحد إلى الألف ، قال (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) : إنما كانا رجلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت عيسى بن يونس ، يقول : ثنا النعمان بن ثابت ، عن حماد وإبراهيم قالا : الطائفة : رجل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : الطائفة : رجل واحد فما فوقه .

وقال آخرون : أقله فى هذا الموضع رجلان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، فى قوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : قال عطاء : أقله رجلان .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة قال : ليحضر رجلان فصاعدا .

وقال آخرون : أقلّ ذلك ثلاثة فصاعدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن ابن أبى ذئب ، عن الزهرىّ ، قال : الطائفة : الثلاثة فصاعدا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : نفر من المسلمين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا أشعث ، عن أبيه ، قال : أتيت أبا برزة الأسلمىّ فى حاجة ، وقد أخرج جارية إلى باب الدار ، وقد زنت ، فدعا رجلا فقال : اضربها خمسين ، فدعا جماعة ، ثم قرأ (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا يحيى ، عن أشعث ، عن أبيه ، أن أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ، ضربا غير مبرّح ، قال : فألقى عليها ثوبا وعنده قوم ، وقرأ (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما) الآية .

وقال آخرون : بل أقلّ ذلك أربعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : فقال : الطائفة التى يجب بها الحدّ أربعة .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : أقلّ ماينبغى حضور ذلك من عدد المسلمين : الواحد فصاعدا ، وذلك أن الله عمّ بقوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ) والطائفة : قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا . فإذ كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاصّ من العدد ، كان معلوما أن حضور ماوقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحدّ ، مما أمره الله به بقوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ، غير أنى وإن كان الأمر على ماوصفت ، أستحبّ أن لايقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس ، عدد من تقبل شهادته على الزنا ، لأن ذلك إذا كان كذلك ، فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدّى المقيم الحدّ ماعليه فى ذلك ، وهم فيما دون ذلك مختلفون .

القول فى تأويل قوله تعالى

الزَّانِى لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٥)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية فى بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح نسوة كنّ معروفات بالزنا ، من أهل الشرك ، وكنّ أصحاب رايات ، يُكْرِين أنفسهنّ ، فأنزل الله تحريمهنّ على المؤمنين ، فقال الزانى من المؤمنين لايتزوّج إلا زانية أو مشركة ، لأنهنّ

كذلك ؛ والزانية من أولئك البغايا لاينكحها إلا زان من المؤمنين أو المشركين ، أو مشرك مثلها ، لأنهن كن مشركات (وَحُرِّمَ ذلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ) فحرّم الله نكاحهن فى قول أهل هذه المقالة بهذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنى الحضرمىّ ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو : أن رجلا من المسلمين استأذن نبىّ الله فى امرأة يقال لها أمّ مهزول ، كانت تسافح الرجل ، وتشترط له أن تنفق عليه ، وأنه استأذن فيها نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر له أمرها ، قال : فقرأ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم (الزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) أو قال : فأنزلت « الزانية » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى هُشَيم ، عن التيمىّ ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو فى قوله (الزَّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) قال : كنّ نساء معلومات ، قال : فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوّج المرأة منهنّ لتنفق عليه ، فنهاهم الله عن ذلك .

قال : أخبرنا سليمان التيمى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كنّ نساء موارد بالمدينة .

حدثنا أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبى ، قال : ثنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب فى هذه الآية (وَالزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) قال : نزلت فى نساء موارد كنّ بالمدينة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابىّ ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن رجل ، عن عمرو بن شعيب ، قال كان لمرثد صديقة فى الجاهلية يقال لها عناق ، وكان رجلا شديدا ، وكان يقال له دُلْدُل ، وكان يأتى مكة فيحمل ضَعَفة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقى صديقته ، فدعته إلى نفسها ، فقال : إن الله قد حرّم الزنا ، فقالت : أنّى تَبْرُز ، فخشى أن تشيع عليه ، فرجع إلى المدينة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كانت لى صديقة فى الجاهلية ، فهل ترى لى نكاحها ؟ قال : فأنزل الله (الزَّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) قال : كنّ نساء معلومات يُدْعَوْن القليقيات [1] .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية (الزَّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً) قال : كنّ بغايا فى الجاهلية .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عمن أخبره ، عن مجاهد ، نحوا من حديث ابن المثنى ، إلا أنه قال : كانت امرأة منهنّ يقال لها : أمّ مهزول ، يعنى فى قوله (الزَّانِى لاينْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً) قال : فكنّ نساء معلومات ، قال : فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوّج المرأة منهنّ لتنفق عليه ، فنهاهم الله عن ذلك ، هذا فى حديث التيمىّ .

(١) كذا جاءت هذه الكلمة فى الأصول . ولعل أصلها : القلقيات ، نسبة إلى القلق ، وهو ضرب من القلائد المنظومة باللؤلؤ ، كن يلبسنه يستهوين به الرجال . أو نسبة إلى القلق ، لكثرة اضطرابهن وتحركهن . (أنظر التاج : قلق) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً) قال : رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعالمات كنّ في الجاهلية ، فقيل لهم هذا حرام ، فأرادوا نكاحهن ، فحرم الله عليهم نكاحهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : بغايا مُعْلِنات كنّ كذلك في الجاهلية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ وابن أبي ذئب ، عن شعبة ، عن ابن عباس ، قال : كنّ بغايا في الجاهلية ، على أبوابهنّ رايات مثل رايات البيطار ، يعرفن بها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : نساء بغايا متعالمات ، حرّم الله نكاحهنّ ، لاينكحهنّ إلا زان من المؤمنين ، أو مشرك من المشركين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لاَيَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وحُرِّمَ ذلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ) قال : كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية ، وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهنّ ، وكانت بيوتا معلومة للزنا ، لايدخل عليهنّ ولا يأتيهنّ ، إلا زان من أهل القبلة ، أو مشرك من أهل الأوثان ، فحرّم الله ذلك على المؤمنين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، في قوله (الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَيَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) قال : بغايا متعالمات كنّ في الجاهلية بغيّ آل فلان ، وبغيّ آل فلان ، فأنزل الله (الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيَةُ لاَيَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرِّمَ ذلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ) فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام ، فقال له سليمان بن موسى ، أبلغك ذلك عن ابن عباس ؟ فقال : نعم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك : كنّ بغايا متعالمات ، بغيّ آل فلان ، وبغيّ آل فلان ، وكنّ زواني مشركات ، فقال (الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لاَيَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرِّمَ ذلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ) قال : أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا ، قيل له : أبلغك هذا عن ابن عباس ؟ قال : نعم .

قال ابن جريج : وقال عكرمة : إنه كان يسمّى تسعا بعد صواحب الرايات ، وكنّ أكثر من ذلك ، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات : أمّ مهزول جارية السائب بن أبى السائب المخزومىّ ، وأمّ عُلَيط جارية صفوان بن أمية ، وحنّة القبطية ، جارية العاصى بن وائل ، ومَرِيّة جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وحلالة ، جارية سهيل بن عمرو ، وأمّ سويد ، جارية عمرو بن عثمان المخزومى ، وسريفة ، جارية زمعة بن الأسود ، وفرسة ، جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤىّ ، وقريبا ، جارية هلال ابن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، وقال الزهرى وقتادة ، قالوا : كان فى الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهنّ ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ ، فأنزل الله (الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لاَيَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) . . . الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، وقاله الزهرىّ وقتادة ، قالوا : كانوا فى الجاهلية بغايا ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن القاسم بن أبى بزّة : كان الرجل ينكح الزانية فى الجاهلية التى قد علم ذلك منها ، يتخذها مأكلة ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ على تلك الجهة ، فنُهوا عن ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، قال : قال القاسم بن أبى بزّة ، فذكر نحوه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سليمان التيمىّ ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كنّ نساء مَوارِدَ بالمدينة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبى سليمان ، عن سعيد بن جُبير أن نساء فى الجاهلية كنّ يُؤاجرن أنفسهنّ ، وكان الرجل إنما ينكح إحداهنّ ، يريد أن يصيب منها عَرَضا ، فنُهوا عن ذلك ، ونزل (الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لاَيَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) ومنهنّ امرأة يقال لها أمّ مهزول .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن الشعبىّ ، فى قوله (الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لاَيَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) قال : كنّ نساء يُكْرِين أنفسهنّ فى الجاهلية .

وقال آخرون : معنى ذلك : الزانى لايزنى إلا بزانية أو مشركة ، والزانية لايزنى بها إلا زان أو مشرك . قالوا : ومعنى النكاح فى هذا الموضع : الجماع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حُصَين ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله (الزَّانِي لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً) قال : لايزنى إلا بزانية أو مشركة .

حدثنا ابن المثنى قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يَعْلَى بن مسلم ، عن سعيد بن جُبير أنه قال فى هذه الآية (وَالزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زانٍ أوْ مُشْرِكٌ) قال : لايزنى الزانى إلابزانية مثله . أو مشركة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن شُبْرُمة ، عن سعيد بن جُبير وعكرمة فى قوله (الزَّانِي لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً) قالا : هو الوطء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال سعيد بن جُبير ومجاهد (الزَّانِي لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً) قالا : هو الوطء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم وشعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، قوله (الزَّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زانٍ أوْ مُشْرِكٌ) قالا : لايزنى الزانى حين يزنى إلا بزانية مثله أو مشركة ، ولا تزنى مشركة إلا بمثلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (الزَّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) قال : هؤلاء بغايا كنّ فى الجاهلية ، والنكاح فى كتاب الله الإصابة ، لايصيبها إلا زان أو مشرك ، لايحرم الزنا ، ولا تصيب هى إلا مثلها .

قال : وكان ابن عباس يقول : بغايا كنّ فى الجاهلية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن سعيد بن جُبير ، قال : إذا زنى بها فهو زان .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الزَّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً) قال : الزانى من أهل القبلة لايزنى إلا بزانية مثله أو مشركة . قال : والزانية من أهل القبلة لاتزنى إلا بزان مثلها من أهل القبلة ، أو مشرك من غير أهل القبلة ، ثم قال (وَحُرِّمَ ذلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ) .

وقال آخرون : كان هذا حكم الله فى كلّ زان وزانية ، حتى نسخه بقوله (وأنْكِحُوا الأيامَى منْكُمْ) ، فأحلّ نكاح كلّ مسلمة ، وإنكاح كلّ مسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، فى قوله (الزّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ ، وحُرِّمَ ذلكَ عَلَى

المُؤْمِنِينَ) قال : يَرَوْن الآية التى بعدها نسختها (وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ) قال : فهن من أيامى المسلمين .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب (الزَّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيَةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ) قال : نسختها التى بعدها (وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ) وقال : إنهنّ من أيامى المسلمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : وذكر عن يحيى ، عن ابن المسيب ، قال : نسختها (وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : نسختها قوله (وأنْكِحُوا الأيامَى) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن يحيى ، قال : ذكر عند سعيد بن المسيب (الزّانِى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً) قال : فسمعته يقول : إنها قد نسختها التى بعدها ، ثم قرأها سعيد ، قال يقول الله (الزَّانِى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً) ثم يقول الله (وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ) فهنّ من أيامى المسلمين .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عنى بالنكاح فى هذا الموضع : الوطء ، وأن الآية نزلت فى البغايا المشركات ذوات الرايات ، وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كلّ مشرك ، وأن الزانى من المسلمين حرام عليه كلّ مشركة من عَبَدة الأوثان . فمعلوم إذا كان ذلك كذلك ، أنه لم يُعْنَ بالآية أن الزانى من المؤمنين لايعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة . وإذ كان ذلك كذلك ، فبين أن معنى الآية : الزانى لايزنى إلا بزانية لاتستحلّ الزنا ، أو بمشركة تستحله .

وقوله (وَحُرِّمَ ذلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ) يقول : وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله ، وذلك هو النكاح الذى قال جلّ ثناؤه (الزّانى لايَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : والذين يَشْتُمون العفائف من حرائر المسلمين ، فيرمونهنّ بالزنا ، ثم لم يأتوا على ما رمَوْهن به من ذلك بأربعة شهداء عُدول ، يشهدون عليهنّ أنهنّ رأوهنّ يفعلن ذلك ، فاجلدوا الذين رموْهنّ بذلك ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله ، وخرجوا من طاعته ، ففسقوا عنها .

وذُكر أن هذه الآية إنما نزلت فى الذين رموا عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الإفك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب وإبراهيم بن سعيد ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن خَصِيف ، قال : قلت لسعيد بن جُبير : الزنا أشدّ ، أو قذف المحصنة ؟ قال : لا ، بل الزنا ، قلت : إن الله يقول (والَّذِين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ) قال : إنما هذا فى حديث عائشة خاصة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) . . . الآية فى نساء المسلمين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأُولَئِكَ هُمُ الفاسقونَ) قال : الكاذبون .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

اختلف أهل التأويل فى الذى استثنى منه قوله (إلاَّ الَّذِينَ تابُوا منْ بَعْدِ ذَلكَ وأصْلَحُوا) فقال بعضهم : استثنى من قوله (وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أبَدًا ، وأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) وقالوا : إذا تاب القاذف قُبلت شهادته ، وزال عنه اسم الفسق ، حُدّ فيه أو لم يحدّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن حماد الدّولابىّ ، قال : ثنى سفيان ، عن الزهرى ، عن سعيد إن شاء الله ، أن عمر قال لأبى بكرة : إن تبت قبلت شهادتك ، أو رَدَّيْت شهادتك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبلَ بن معبد ونافع بن الحارث بن كَلَدة حَدّهم ، وقال لهم : من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ، ومن لم يفعل لم أجز شهادته ، فأكذب شبلٌ نفسَه ونافع ، وأَبَى أبو بكرة أن يفعل . قال الزهرىّ : هو والله سنة فاحفظوه .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : ثنا داود ، عن الشعبىّ ، قال : إذا تاب ، يعنى القاذف ، ولم يعلم منه إلا خير ، جازت شهادته .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن الشعبى ، قال : على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجَلْد ، فان تاب وأونس منه خير ، جازت شهادته ، وإن لم يتب فهو خليع ، لا تجوز شهادته .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أنه قال فى القاذف إذا تاب وعلم منه خير ، إن شهادته جائزة ، وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته ، وتوبته إكذابه نفسه .

قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن الشعبىّ ، نحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا : ثنا ابن إدريس، قال : أخبرنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، قال فى القاذف إذا تاب وأكذب نفسه ، قُبلت شهادته ، وإلا كان خليعا لاشهادة له ، لأن الله يقول : (لَوْلا جاءُوا عَلَيْهِ بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ : أنه كان يقول فى شهادة القاذف : إذا رجع عن قوله حين يُضرب ، أو أكذب نفسه ، قُبلت شهادته .

قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى أنه كان يقول : يقبل الله توبته ، وتردّون شهادته ؟ وكان يقبل شهادته إذا تاب .

قال : أخبرنا إسماعيل عن الشعبىّ : أنه كان يقول فى القاذف : إذا شهد قبل أن يُضرب الحدّ ، قُبلت شهادته.

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبيدة ، عن إبراهيم وإسماعيل بن سالم ، عن الشعبى ، أنهما قالا فى القاذف : إذا شهد قبل أن يُجلد فشهادته جائزة .

حدثنى يعقوب ، قال : قال أبو بشر ، يعنى ابن عُلَيَة ، سمعت ابن أبى نجيح يقول : القاذف إذا تاب تجوز شهادته ، وقال : كنا نقوله ، فقيل له من ؟ قال : قال عطاء وطاوس ومجاهد .

حدثنا ابن بشار ، وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن خالد بن عَشْمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن عمر بن طلحة ، عن عبد الله ، قال : إذا تاب القاذف جلد ، وجازت شهادته ، قال أبوموسى : هكذا قال ابن أبى عَشْمة .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا ابن أبى عَشْمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، عن سليمان ابن يسار والشعبى قالا : إذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة : أن عمر بن عبد الله بن أبى طلحة جلد رجلا فى قذف ، فقال : أَكْذِبْ نفسك ، حتى تجوز شهادتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى الهيثم ، قال : سمعت إبراهيم والشعبىّ يتذاكران شهادة القاذف ، فقال الشعبىّ لإبراهيم : لِم لاتقبل شهادته ؟ فقال : لأنى لاأدرى تاب أم لا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : تُقبل شهادته إذا تاب .

قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن يعقوب بن القعقاع ، عن محمد بن زيد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن ابن جُرَيج ، عن عمران بن موسى ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : قال الشعبىّ : إذا تاب جازت شهادته ، قال ابن المثنى ، قال : عندى ، يعنى فى القذف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مسعر ، عن عمرآن بن عمير ، أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف إذا تاب .

حدثني يعقوب ، قال : ثني هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : إذا تاب وأصلح قُبلت شهادته يعني القاذف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قَتادة ، عن ابن المسيب ، قال : تقبل شهادة القاذف إذا تاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة ، عن ابن المسيب ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال الزُهريّ : إذا حدّ القاذف ، فإنه ينبغي للإمام أن يستتيبه ، فان تاب قُبلت شهادته ، وإلا لم تقبل ، قال : كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة ، فتابوا إلا أبا بكرة ، فكان لاتقبل شهادته .

وقال آخرون : الاستثناء في ذلك من قوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) .

وأما قوله (وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا أشعث بن سوّار ، قال : ثني الشعبيّ ، قال : كان شريح يجيز شهادة صاحب كلّ عمل إذا تاب إلا القاذف ، فإن توبته فيما بينه وبين ربه ، ولا نجيز شهادته .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا أشعث بن سوار ، قال : ثنا الشعبيّ ، عن شُريح بنحوه ، غير أنه قال : صاحب كلّ حدّ إذا كان عدلا يوم شهد .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، قال : كان لايجيز شهادة القاذف ، ويقول : توبته فيما بينه وبين ربه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن مُطَرِّف ، عن أبي عثمان ، عن شريح في القاذف : يقبل الله توبته ، ولا أقبل شهادته .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الشعبيّ ، قال : أتاه خصمان ، فجاء أحدهما بشاهد أقطع ، فقال الخصم : ألا ترى مابه ؟ قال : قد أراه ، قال : فسأل القوم ، فأثنوا عليه خيرا ، فقال شريح : نجيز شهادة كل صاحب حدّ ، إذا كان يوم شهد عدلا ، إلا القاذف ، فإن توبته فيما بينه وبين ربه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الشعبيّ ، قال : جاء خصمان إلى شُرَيح ، فجاء أحدهما ببينة ، فجاء بشاهد أقطع ، فقال الخصم : ألا ترى إلى مابه ؟ فقال شريح : قد رأيناه ، وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا ، ثم ذكر سائر الحديث ، نحو حديث أبي كريب .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الشيبانىّ ، عن الشعبىّ ، عن شريح أنه كان يقول : لاتُقبل له شهادة أبدا ، توبته فيما بينه وبين ربه ، يعنى القاذف .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الأشعث ، عن الشعبىّ ، بأن ربابا قطع رجلا فى قطع الطريق ، قال : فقطع يده ورجله ، قال : ثم تاب وأصلح ، فشهد عند شريح ، فأجاز شهادته ، قال : فقال المشهود عليه : أتجيز شهادته علىّ وهو أقطع ؟ قال : فقال شريح : كل صاحب حدّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح ، فشهادته جائزة إلا القاذف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوالوليد ، قال : ثنا شعبة ، قال المغيرة : أخبرنى ، قال : سمعت إبراهيم يحدّث عن شريح ، قال : قضاء من الله لاتقبل شهادته أبدا ، توبته فيما بينه وبين ربه ، قال أبو موسى : يعنى القاذف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : قال شريح : لايقبل الله شهادته أبدا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوالوليد ، قال : ثنا حماد ، عن قَتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لاتجوز شهادة القاذف ، توبته فيما بينه وبين الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، عن الحسن ، أنه قال : القاذف توبته فيما بينه وبين الله ، وشهادته لاتُقبل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوالوليد ، قال : ثنا حماد ، عن قَتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لاتجوز شهادة القاذف ، توبته فيما بينه وبين الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، عن الحسن ، أنه قال : القاذف توبته فيما بينه وبين الله ، وشهادته لاتُقبل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم أنه قال فى الرجل يُجلَد الحدّ ، قال : لاتجوز شهادته أبدا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان لايقبل له شهادة أبدا ، وتوبته فيما بينه وبين الله ، يعنى القاذف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن حجاج ، عن عمرو بن سعيد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لاَتَجُوزُ شَهَادَةُ مَحْدُودٍ فِى الإِسْلاَمِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) قال : كان يقول : لاتقبل شهادة القاذف أبدا ، إنما توبته فيما بينه وبين الله . وكان شريح يقول : لاتُقبل شهادته .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) ، ثم قال (فَمَنْ تابَ وأَصْلَحَ) فشهادته فى كتاب الله تقبل .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن الاستثناء من المعنيين جميعا ، أعنى من قوله (وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) ، ومن قوله (وأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) ، وذلك أنه لاخلاف بين الجميع أن ذلك كذلك ، إذا لم يحدّ فى القذف حتى تاب ، إما بأن يرفع إلى السلطان بعفو المقذوفة عنه ، وإما بأن ماتت قبل المطالبة بحدّها ولم يكن لها طالب يطلب بحدّها . فإذ كان ذلك كذلك ، وحدثت منه توبة ، صحت له بها العدالة .

فإذ كان من الجميع إجماعا ، ولم يكن الله تعالى ذكره شرط فى كتابه أن لاتقبل شهادته أبدا بعد الحدّ فى رميه ، بل نهى عن قبول شهادته فى الحال التى أوجب عليه فيها الحدّ ، وسماه فيها فاسقا ، كان معلوما بذلك أنّ إقامة الحدّ عليه فى رميه ، لاتحدث فى شهادته مع التوبة من ذنبه ، ما لم يكن حادثا فيها قبل إقامته عليه ، بل توبته بعد إقامة الحدّ عليه من ذنبه ، أحرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه ، لأن الحدّ يزيد المحدود عليه تطهيرا من جُرمه الذى استحقّ عليه الحدّ .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله (فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً) فتكون التوبة مُسقطة عنه الحدّ ، كما كانت لشهادته عندك قبل الحدّ وبعده مجيزة ، ولاسم الفسق عنه مزيلة ؟ قيل : ذلك غير جائز عندنا ، وذلك أن الحدّ حقّ عندنا للمقذوفة ، كالقصاص الذى يجب لها من جناية يجنيها عليها ، مما فيه القصاص ، ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لاتضع عنه الواجب لها من القصاص منه ، فكذلك توبته من القذف لاتضع عنه الواجب لها من الحدّ ، لأن ذلك حقّ لها ، إن شاءت عفته ، وإن شاءت طالبت به ، فتوبة العبد من ذنبه ، إنما تضع عن العبد الأسماء الذميمة ، والصفات القبيحة . فأما حقوق الآدميين التى أوجبها الله لبعضهم على بعض فى كلّ الأحوال ، فلا تزول بها ولا تبطل .

واختلف أهل العلم فى صفة توبة القاذف ، التى تقبل معها شهادته ، فقال بعضهم : هو إكذابه نفسه فيه . وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى قبل ، ونحن نذكر بعض ماحضرنا ذكره ، مما لم نذكره قبل .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن طاوس ، قال : توبة القاذف أن يكذّب نفسه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، قال : رأيت رجلا ضرب حدّا فى قذف بالمدينة ، فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه ، ثم قال : أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات ، قال : فلقيت أبا الزناد ، فذكرت ذلك له ، قال : فقال : إن الأمر عندنا هاهنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ، ولم نعلم منه إلا خيرا قُبلت شهادته .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ إلاَّ الَّذِينَ تابُوا) . . . الآية ، قال : من اعترف وأقرّ على نفسه علانية أنه قال البهتان ، وتاب إلى الله توبة نصوحا . والنصوح : أن لايعودوا وإقراره واعترافه عند الحدّ حين يؤخذ بالجلد ، فقد تاب والله غفور رحيم .

وقال آخرون: توبته من ذلك: صلاح حاله، وندمه على مافرط منه من ذلك، والاستغفار منه، وتركه العود فى مثل ذلك من الجُرم. وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم، وقد ذكرنا بعض قائليه فيما مضى، وهو قول مالك بن أنس.

⁂ وهذا القول أولى القولين فى ذلك بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذى ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ماسلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه، دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم، والقاذف إذا أُقيم عليه فيه الحدّ، أوعُفى عنه، فلم يبق عليه إلا توبته من جرمه بينه وبين ربه، فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه. فإذ كان الصحيح فى ذلك من القول ما وصفنا، فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من جُرمهم الذى اجترموه، بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه. (فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول: ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، رحيم بهم بعد التوبة أن يعذّبهم عليها، فاقبلوا شهادتهم، ولا تسموهم فَسَقة، بل سموهم بأسمائهم التى هى لهم فى حال توبتهم.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ) من الرجال (أَزْوَاجَهُمْ) بالفاحشة، فيقذفونهنّ بالزنا، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) يشهدون لهم بصحة ما رموهنّ به من الفاحشة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَاداتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (أَرْبَعَ شَهَاداتٍ) نصبا، ولنصبهم ذلك وجهان: أحدهما: أن تكون الشهادة فى قوله (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مرفوعة بمضمر قبلها، وتكون الأربع منصوبا بمعنى الشهادة، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فعلى أحدهم أن يشهد أربعَ شهادات بالله: والوجه الثانى: أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله (إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) والأربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها، كما يقال: شهادتى ألف مرّة: إنك لرجل سَوْء. وذلك أن العرب ترفع الأيمان بأجوبتها، فتقول: حَلِيفٌ صادق لأقومنّ، وشهادة عمرو ليقعدنّ. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: (أَرْبَعُ شَهَاداتٍ)، برفع الأربع، ويجعلونها للشهادة مرافعة، وكأنهم وجهوا تأويل الكلام، فالذى يلزم من الشهادة، أربعُ شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

⁂ وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب: قراءة من قرأ: (فشهادةُ أحدِهِمْ أربعَ شَهاداتٍ باللهِ إنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) بنصب أربع، بوقوع الشهادة عليها، والشهادة مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين

قبل . وأحبّ وجهيهما إلىّ : أن تكون به مرفوعة بالجواب ، وذلك قوله (إنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) وذلك أن معنى الكلام : والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، تقوم مقام الشهداء الأربعة ، فى دفع الحدّ عنه . فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة ، اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذُكِر من الكلام ، فصار مُرافِع الشهادة ماوصفت . ويعنى بقوله (فَشَهَادَةُ أحَدِهِمْ أرْبَعُ شَهَاداتٍ بالله) : فحلف أحدهم أربع أيمان بالله ، من قول القائل : أشهد بالله إنه لمن الصادقين ، فيما رَمَى زوجته به من الفاحشة . (والخامِسَةَ) يقول : والشهادة الخامسة . (أن لعنة الله عليه) يقول : إن لعنة الله له واجبة ، وعليه حالّة ، إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت به جماعة من أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك ، وذكر السبب الذى فيه أُنزلت هذه الآية

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرِمة ، قال : « لما نزلت (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً) قال سعد بن عبادة : الله إن أنا رأيت لَكَاعِ متفخذَها رجل ، فقلت بما رأيت ، إن فى ظهرى لثمانين ، إلى ما أجمع أربعة قد ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ ، ألا تَسْمَعونَ إلى ما يَقولُ سَيِّدُكُمْ ؟ قالوا : يا رسول الله لاتَلُمْه ، وذكروا من غَيرته ، فما تزوّج امرأة قطّ إلا بكرا ، ولا طلق امرأة قطّ فرجع فيها أحد منا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنّ اللهَ يأبَى إلاّ ذَاكَ ، فقال : صدق الله ورسوله » . قال : فلم يلبثوا أن جاء ابن عمّ له ، فرَمى امرأته ، فشقّ ذلك على المسلمين ، فقال : لاوالله ، لايَجْعَل فى ظهرى ثمانين أبدا ، لقد نظرت حتى أيقنت ، ولقد استمعت حتى استشفيت . قال : فأنزل الله القرآن باللِّعان ، فقيل له : احلف ، فحلف ، قال : قفوه عند الخامسة ، فإنها موجبة . فقال : لايُدْخله الله النار بهذا أبدا ، كما درأ عنه جلد ثمانين ، لقد نظرت حتى أيقنت ، ولقد استمعت حتى استشفيت ، فحلف ؛ ثم قيل : احلفى ، فحلفت ؛ ثم قال : قفوها عند الخامسة ، فإنها مُوجِبة ، فقيل لها : إنها مُوجِبة ، فتلكأت ساعة ، ثم قالت : لاأُخْزِى قومى ، فحلفت . فقال رسول لله صلى الله عليه وسلم : إنْ جاءَتْ بِهِ كَذَا وكَذَا ، فَهُوَ لِزَوْجِها ، وَإنْ جاءَتْ بِهِ كَذَا وكَذَا ، فَهُوَ للَّذِى قِيلَ فِيهِ ماقِيلَ . قال : فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق ، فكان بعد أميرا بمصر ، لايُعرف نسبه ، أو لايُدْرَى من أبوه » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا عباد ، قال : سمعت عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً ، وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أبَدًا ، وأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) قال سعد بن عبادة : لهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ لو أتيت لَكَاعِ قد تفخذها رجل ، لم يكن لى أن أهيجه ولا أحرّكه ، حتى آتىَ بأربعة شهداء ، فوالله ما كنت لآتىَ بأربعة شهداء ، حتى يفرغ من حاجته ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ ، أما تَسْمَعُونَ إلى ما يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ، قالوا : لاتلُمه فإنه رجل غَيُور ، ما تزوّج فينا قطّ إلا عذراء ، ولا طلق امرأة له ، فاجترأ رجل منا أن يتزوّجها ؛ قال سعد : يارسول الله ، بأبى وأمى ، والله إنى لأعرف أنها من الله ، وأنها حقّ ، ولكن عجبت لو وجدت لَكَاعِ قد تفخذها رجل ، لم يكن لى أن أهيجه ولا أحرّكه ، حتى آتىَ بأربعة شهداء ، والله لآتى بأربعة شهداء ، حتى يفرُغ من حاجته . فوالله ما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلالُ بن أمية من حديقة له ، فرأى بعينيه ، وسمع بأذنيه ، فأمسك حتى أصبح ، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس مع أصحابه ، فقال : يا رسول الله ، إنى جئت أهلى عِشاء ، فوجدت رجلا مع أهلى ، رأيت بعينى ، وسمعت بأذنى ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به ، وثقل عليه جدا ، حتى عُرف ذلك فى وجهه ، فقال هلال : والله يارسول الله إنى لأرى الكراهة فى وجهك مما أتيتك به ، والله يعلم أنى صادق ، وماقلت إلا حقا ، فإنى لأرجو أن يجعل الله فرجا . قال : واجتمعت الأنصار ، فقالوا : ابتلينا بما قال سعد ، أيُجْلَد هلال بن أميّة ، وتبطلَ شهادته فى المسلمين ؟ فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه ، فإنه لكذلك ، يريد أن يأمر بضربه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه ، إذ نزل عليه الوحى ، فأمسك أصحابه عن كلامه ، حين عرفوا أن الوحى قد نزل ، حتى فرغ ، فأنزل الله (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاَّ أنْفُسُهُمْ) . . . إلى (أنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبْشِرْ ياهِلالُ ، فإنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ فَرَجا ، فقال : قد كنت أرجو ذلك من الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرْسِلُوا إلَيْهَا ، فجاءت ، فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها ، فكذّبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ يَعْلَمُ أنَّ أحَدَكما كاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُما تائِبٌ ؟ فقال هلال : يا رسول الله ، بأبى وأمى لقد صَدَقْتُ ، وما قلتُ إلا حقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعِنُوا بَيْنَهُما ، قيل لهلال : ياهلال اشهد ، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، فقيل له عند الخامسة : ياهلال اتق الله ، فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس ، وإنها الموجبة ، التى توجب عليك العذاب ، فقال هلال : والله لايعذّبنى الله عليها ، كما لم يجلدنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد الخامسة : (أنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إنْ كانَ مِنَ الكاذِبِينَ) ؛ ثم قيل لها : اشهدى ، فشهدت أربعَ شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، فقيل لها عند الخامسة : اتقى الله ، فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس ، وإن هذه الموجبة ، التى توجب عليك العذاب ، فتلكّأت ساعة ، ثم قالت : والله لأفضحَ قومى ، فشهدت الخامسة : (أنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ففرّق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقضى أن الولد لها ، ولا يُدْعَى لأب ، ولا يُرْمَى ولدها » .

حدثنى أحمد بن محمد الطُّوسىّ ، قال : ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : لمّا قَذف هلال بن أميّة امرأته ، قيل له : والله ليجلدنّك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة ، قال : الله أعدل من ذلك ، أن يضربنى ضربة وقد علم أنى

قد رأيت حتى استيقنت ، وسمعت حتى استثبتُّ ، لا والله لايضربنى أبدا ؛ فنزلت آية الملاعنة ، فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية ، فقال : الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ فقال هلال : والله إنى لصادق ، فقال له : احْلِفْ بالله الَّذى لاإلَهَ إلاَّ هُوَ : إنّى لَصَادِقٌ ، يقول ذلك أربعَ مرّات ، فإن كنتُ كاذبا فعلىّ لعنة الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِفُوهُ عِنْدَ الخامِسَةِ ، فإنّها مُوجِبَةٌ ، فحلف ، ثم قالت أربعا : والله الذى لاإله إلاهو : إنه لمن الكاذبين ، فإن كان صادقا فعليها غضب الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِفُوها عِنْدَ الخامِسَةِ ، فإنّها مُوجِبَةٌ ، فتردّدت وهمّت بالاعتراف ، ثم قالت لاأفضح قومى » .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعىّ ، قالا : ثنا عَبْدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنا ليلة الجمعة فى المسجد ، فدخل رجل فقال : لو أن رجلا وجَد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه . فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله آية اللِّعان ، ثم جاء الرجل بعد ، فقذف امرأته ، فلاعَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، فقال : عَسَى أنْ تَجىءَ بِهِ أسْوَدَ جَعْدًا ، فجاءت به أسود جَعْدا » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن سعيد بن جُبير قال : سألت ابن عمر ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أيُفَرَّق بين المتلاعنين ؟ فقال : نعم ، سبحان الله ! إن أوّل من سأل عن ذلك فلان ، أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال : أرأيت لو أن أحدنا رأى صاحبته على فاحشة ، كيف يصنع ؟ فلم يجبه فى ذلك شيئا . قال : فأتاه بعد ذلك فقال : إن الذى سألت عنه قد ابتليتَ به ، فأنزل الله هذه الآية فى سورة النور ، فدعا الرجلَ فوعظه وذكّره ، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ؛ قال : والذى بعثك بالحقّ ، لقد رأيتُ وما كذبت عليها ؛ قال : ودعا المرأة فوعظها ، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقالت : والذى بعثك بالحقّ إنه لكاذب ، وما رأى شيئا ؛ قال : فبدأ الرجل ، فشهد أربع شهادات بالله : إنه لمن الصادقين ، والخامسة : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ؛ ثم إن المرأة شهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أنّ غَضَبَ الله عليها إن كان من الصادقين ، وفرق بينهما .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عامر ، قال : لما أنزل (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً) قال عاصم بن عدىّ : إن أنا رأيت فتكلّمت جُلدت ثمانين ، وإن أنا سكت ، سكت على الغيظ ! قال : فكأنّ ذلك شقّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأنزلت هذه الآية : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاَّ أنْفُسُهُمْ) قال : فما لبثوا إلا جمعة ، حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته ، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ) . . . الآية ، والخامسة : أن يقال له : إن عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين ، وإن أقرّت المرأة بقوله رُجمت ، وإن أنكرت شهدت أربع شهادات بالله : إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن يقال لها : غضب الله عليك إن كان من الصادقين ، فيُدْرأ عنها العذاب ، ويُفَرَّق بينهما ، فلا يجتمعان أبدا ، ويُلحق الولد بأمه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عكرِمة ، قوله (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) قال هلال بن أميَّة : والذى رُمِيَتْ به شريك بن سحماء ، والذى استفتى عاصم ابن عدىّ .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى الزهرىّ عن الملاعنة والسنة فيها ، عن حديث سهل بن سعد ، أن رجلا من الأنصار جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أرأيتَ رجلا وجد مع امرأته رجلا ، أيقتله فتقتلونه ؟ أم كيف يفعل ؟ فأنزل الله فى شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَدْ قَضَى اللهُ فِيكَ وَفِى امْرأتكَ ، فتلاعنا وأنا شاهد ، ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت السنة بعدها أن يُفَرّق بين المتلاعنين ، وكانت حاملة ، فأنكره ، فكان ابنها يُدعى إلى أمه ، ثم جرت السنة أن ابنها يَرِثها ، وترث ما فرض الله لها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) . . . إلى قوله (إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ) قال : إذا شهد الرجل خمس شهادات ، فقد برئ كل واحد من الآخر ، وعِدَّتُها إن كانت حاملا أن تضع حملها ، ولا يجْلد واحد منهما ، وإن لم تحلف أقيم عليها الحدّ والرجْم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ : إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ : أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)

يعنى جلّ ذكره بقوله (وَيَدْرَأُ عَنْهَا العَذَابَ) : ويدفع عنها الحدّ .

واختلف أهل العلم فى العذاب الذى عناه الله فى هذا الموضع ، أنه يدرؤه عنها شهاداتها الأربع ، فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك ، من أنّ الحدّ جَلْدُ مئة إن كانت بكرا ، أو الرجْم إن كانت ثيبا قد أحصنت .

وقال آخرون : بل ذلك الحبس ، وقالوا : الذى يجب عليها إن هى لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع والْتعانه : الحبس دون الحدّ .

وإنما قلنا : الواجب عليها إذا هى امتنعت من الالْتعان بعد الْتعان الزوج ، الحدّ الذى وصفنا ، قياسا على

إجماع الجميع ، على أن الحدّ إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع ، على تصديقه فيما رماها به ، أن الحدّ عليها واجب ، فجعل الله أيمانه الأربع ، والْتعانه فى الخامسة ، مخرجا له من الحدّ الذى يجب لها ، برميه إياها ، كما جعل الشهداء الأربعة ، مخرجا له منه فى ذلك ، وزائلا به عنه الحدّ ، فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحدّ عنه بذلك ، واجبا عليها حدّها ، كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها ، لافرق بين ذلك ، وقد استقصينا العلل فى ذلك فى باب اللعان من كتابنا المسمى « لطيف القول فى شرائع الإسلام » ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (أنْ تَشْهَدَ أرْبَعَ شَهادَاتٍ باللهِ) يقول : ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان : أن زوجها الذى رماها بما رماها به من الفاحشة ، لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا . وقوله (والخامِسَةُ أنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْها) . . . الآية ، يقول : والشهادة الخامسة : أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ؛ ورفع قوله (والخامِسَةُ) فى كلتا الآيتين ، بأنّ التى تليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم ، وأنه عوّاد على خلقه بلطفه وطَوْله ، حكيم فى تدبيره إياهم ، وسياسته لهم ، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم ، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم ، وترك فضيحتكم بها عاجلا ، رحمة منه بكم ، وتفضلا عليكم ، فاشكروا نعمه ، وانتهوا عن التقدّم عما عنه نهاكم من معاصيه . وترك الجواب فى ذلك ، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ : لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن الذين جاءوا بالكذب والبُهتان . (عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) يقول : جماعة منكم أيها الناس . (لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : لاتظنوا ما جاءوا به من الإفك شرّا لكم عند الله ، وعند الناس ، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين ، وذلك أن الله يجعل ذلك ، كَفّارة للمرمىّ به ، ويُظهر براءته مما رُمى به ، ويجعل له منه مخرجا . وقيل : إن الذى عَنَى الله بقوله (إنَّ الَّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ ، عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) : جماعة ، منهم حسان بن ثابت ، ومِسْطَح بن أُثاثة ، وحَمْنة بنت جحش .

كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة : أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : كتبت إلىّ تسألنى فى الذين جاءوا بالإفك ، وهم كما قال الله (إنَّ الَّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) ، وأنه لم يُسَمّ منهم أحد إلا حسان بن ثابت ، ومِسْطَح بن أُثاثة ، وحَمْنة بنت جَحْش ، وهو يقال فى آخرين لاعلم لى بهم ، غير أنهم عصبة ، كما قال الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) هم أصحاب عائشة ، قال ابن جُرَيج : قال ابن عباس : قوله (جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) . . . الآية ، الذين افْتَرَوا على عائشة : عبد الله بن أُبَيّ ، وهو الذى تولى كِبْره ، وحسان بن ثابت ، ومِسْطَح ، وحَمْنة بنت جحش .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الَّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ الَّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : الشرّ لكم بالإفك الذى قالوا ، الذى تكلّموا به ، كان شرًّا لهم ، وكان فيهم من لم يقله ، إنما سمعه ، فعاتبهم الله ، فقال : أوّلَ شىء (إنَّ الَّذِين جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) ثم قال : (والَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

وقوله (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ) يقول : لكلّ امرئ من الذين جاءوا بالإفك جزاء ما اجترم من الإثم ، بمجيئه بما جاء به ، من الأولى عبدالله . وقوله (وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنهُمْ) يقول : والذى تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم : هو الذى بدأ بالخوض فيه .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) يقول : الذى بدأ بذلك .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) قال : أصحاب عائشة عبد الله بن أبىّ ابن سَلُول ، ومِسْطَح ، وحَسّان .

قال أبو جعفر : له من الله عذاب عظيم يوم القيامة .

وقد اختلف القرّاء فى قراءة قوله (كِبْرَهُ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (كِبْرَهُ) بكسر الكاف ، سوى حميد الأعرج ، فإنه كان يقرؤه (كُبْرَهُ) بمعنى : والذى تحمل أكبره .

⁂ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب : القراءة التى عليها عوامّ القرّاء ، وهى كسر الكاف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وأن الكِبر : بالكسر : مصدر الكبير من الأمور ، وأن الكُبْر بضم الكاف : إنما هو من الولاء والنسب ، من قولهم : هو كُبْر قومه ؛ والكِبر فى هذا الموضع : هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك . فإذا كان ذلك كذلك ، فالكسر فى كافه هو الكلام الفصيح ، دون ضمها ، وإن كان لضمها وجه مفهوم .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) . . . الآية ، فقال بعضهم : هو حسان بن ثابت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن قزعة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن عائشة قالت : ماسمعت بشيء أحسن من شعر حسان ، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة ، قوله لأبي سفيان :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
أَتَشْتُمُهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ ... وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ[1]

فقيل : يا أمّ المؤمنين ، أليس هذا لغوا ؟ قالت : لا ، إنما اللّغو ماقيل عند النساء . قيل : أليس الله يقول : (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قالت : أليس قد أصابه عذاب عظيم ، أليس قد ذهب بصره ، وكُنِّع بالسيف[2] .

قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : كنت عند عائشة ، فدخل حسان بن ثابت ، فأمرت ، فألقى له وسادة ؛ فلما خرج قلت لعائشة : ما تصنعين بهذا وقد قال الله ماقال ؟ فقالت : قال الله (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقد ذهب بصره ، ولعلّ الله يجعل ذلك العذاب العظيم : ذهاب بصره .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : دخل حسان بن ثابت على عائشة ، فشبّب بأبيات له ، فقال :

* وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ *[3]

فقالت عائشة : أما إنك لست كذلك ! فقلت : تدعين هذا الرجل يدخل عليك ، وقد أنزل الله فيه (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ) . . . الآية ؟ فقالت : وأيّ عذاب أشدّ من العمى ، وقالت : إنه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المُعَلَّى بن عرفان ، عن محمد بن عبد الله ابن جحش ، قال : تفاخرت عائشة وزينب ، قال : فقالت زينب : أنا التي نزل تزويجي من السماء ،

(١) هذه الأبيات الأربعة لحسان بن ثابت الأنصاري ، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، يهجو بها أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، شاعر قريش قبل إسلامه . وهي من قصيدته التي مطلعها : «عفت ذات الأصابع فالجواء» . والأبيات قرب نهاية القصيدة ، وقبلها * ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء * (وانظر القصيدة في سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ج ٤ : ٦٤ - ٦٦) وقد استشهد بها المؤلف على أن حسان كان ممن خاض في حديث الأفك ، الذي رميت به أم المؤمنين عائشة المبرأة ، رضي الله عنها .

(٢) كنع بالسيف : ضرب به حتى يبس جلده (اللسان) .

(٣) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت ، من أبيات له في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد أن نزلت براءتها في سورة النور ، من الإفك الذي خاض فيه بعض الصحابة ، وكان حسان من أشدهم خوضا فيه ، حتى إذا حصحص الحق ، وظهرت براءة أم المؤمنين ، ندم حسان واعتذر ، وقال يمدحها في أبيات له . وصدر البيت : * حصان رزان ما تزن بريبة * والحصان : العفيفة والرزان : الرزينة الثابتة التي لا يستخفها الطيش . وتزن : ترمى وتتهم . والريبة : التهمة والشك . وغرثى : جائعة ، يريد لا تغتاب النساء ، والغوافل : جمع غافلة ، وهي التي غفل قلبها عن الشر (وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ٣ : ٣١٩ ، ٣٢٠) .

قال : وقالت عائشة : أنا التى نزل عذرى فى كتابه، حين حملنى ابن المعطّل على الراحلة، فقالت لها زينب : ياعائشة ، ماقلت حين ركبتيها ، قالت : قلت : حسبى الله ونعم الوكيل ، قالت : قلتِ كلمةَ المؤمنين .

وقال آخرون : هو عبد الله بن أُبىّ ابن سَلُول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان الذين تكلموا فيه : المنافق عبد الله بن أُبىّ ابن سَلول، وكان يستوشيه ويجمعه، وهو الذى تولى كِبْره، ومِسْطَحا ، وحسان بن ثابت .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن علقمة بن وقّاص وغيره أيضا ، قالوا : قالت عائشة : كان الذى تولى كبره : الذى يجمعهم فى بيته ، عبد الله بن أُبىّ ابن سَلُول .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن شهاب ، قال : ثنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان الذى تولى كبره : عبد الله بن أُبىّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس (إنَّ الَّذِينَ جاءُوا) . . . الآية ، الذين افْتَرَوا على عائشة : عبد الله بن أُبىّ، وهو الذى تولى كِبْره، وحسان، ومِسْطَح ، وحَمْنة بنت جحش .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة فى الذين جاءوا بالإفك ، يزعمون أنه كان كِبْرُ ذلك عبدَ الله بن أُبىّ ابن سلول، أحد بنى عوف بن الخزرج، وأخبرت أنه كان يحدّث به عنهم ، فيقرّه ويسمعه ويستوشيه .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أما الذى تولى كبره منهم، فعبد الله ابن أُبىّ ابن سلول الخبيث ، هو الذى ابتدأ هذا الكلام، وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقود بها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، والذى تولى كِبْره هو عبد الله بن أُبىّ ابن سلول ، وهو بدأه .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : الذى تولى كِبْره من عصبة الإفك، كان عبدَ الله بن أبىّ ، وذلك أنه لاخلاف بين أهل العلم بالسير ، أن الذى بدأ بذكر الإفك ، وكان يجمع أهله ويحدثهم ، عبدُ الله بن أُبىّ ابن سَلُول ، وفعله ذلك على ما وصفت ، كان توليه كِبْر ذلك الأمر .

وكان سبب مجىء أهل الإفك ، ما حدّثنا به ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،

عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، قال : ثنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقّاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، حين قال لها أهل الإفك ماقالوا ، فبرأها الله ، وكلهم حدثنى طائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض ، وأثبت اقتصاصا ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدق بعضا :

زعموا أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها ؛ قالت عائشة : فأقرع بيننا فى غزاة غزاها ، فخرج سهمى ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد ما أُنْزِل الحجاب ، وأنا أُحْمَل فى هودجى ، وأنزل فيه ، فسرنا ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ، وقفل إلى المدينة ، آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ؛ فلما قضيت شأنى ، أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدرى ، فإذا عِقد لى من جَزْع ظَفَارِ قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدى ، فحبسنى ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرْحَلون لى ، فاحتملوا هودجى ، فرَحَلوه على بعيرى الذى كنت أركب ، وهم يحسبون أنى فيه ؛ قالت : وكانت النساء إذ ذاك خِفافا ، لم يُهَبِّلْهُن ولم يَغْشَهن اللحم ، إنما يأكلن العُلْقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقلَ الهودج حين رَحَلُوه ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السنّ ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عِقْدى بعد ما استمرّ الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلى الذى كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدونى ، ويرجعون إلىّ ، فبينا أنا جالسة فى منزلى ، غلبتنى عينى ، فنمت حتى أصبحت . وكان صفوان بن المعطّل السُّلمىّ ثم الذَّكْوانىّ ، قد عَرَّس من وراء الجيش ، فادلّج فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتانى ، فعرفنى حين رآنى ، وكان يرانى قبل أن يُضرب الحجاب علَىّ ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى ، فخمَّرت وجهى بجلبابى ، والله ماتكلمت بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته ، فوطِئ على يديها ، فركبتها ، فانطلق يقود بى الراحلة ، حتى أتينا الجيش ، بعد ما نزلوا مُوغِرِينَ فى نحر الظهيرة ، فهلك من هلك فى شأنى ، وكان الذى تولى كِبْره عبد الله بن أُبىّ ابن سلول .

فقدمنا المدينة ، فاشتكيت شهرا ، والناس يُفيضون فى قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشىء من ذلك ، وهو يَرِيبنى فى وجعى ، أنى لاأعرف من رسول الله اللُّطْف الذى كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذلك يريبنى ، ولا أشعر بالشرّ ، حتى خرجت بعد ما نَقَهت ، فخرجت مع أمّ مِسْطَح قِبَلَ المَنَاصع ، وهو مُتَبَرَّزنا ، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قَبل أن نتخذ الكُنُف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأُوَل فى التنزّه [1] ، وكنا نتأذّى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأمّ مسطح ، وهى ابنة أبى رُهْم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبى بكر الصدّيق ، وابنها مِسْطَح بن أُثاثة بن عباد بن المطّلب ؛ فأقبلت أنا وابنة أبى رُهْم قبل بيتى ، حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أمّ مِسْطَح فى مِرْطها ، فقالت : تَعِسَ مِسْطح ! فقلت لها : بِئْسَ ماقلت ! أتسبين رجلا قد شهد بدرا ؟ فقالت : أى هَنْتاه ، أوَلم تسمعى ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ فأخبرتنى بقول أهل

(١) كذا رواه الإمام مسلم فى صحيحه (١٧ : ١٠٦) بشرح النووى . وفى صحيح البخارى طبعة الحلبى (٥ : ١٥٠) : البرية قبل الغائط ، فى مكان : التنزه .

الإفك ، فازددت مَرَضا على مرضى ؛ فلما رجعت إلى منزلى ، ودخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : كَيْفَ تِيكُمْ ؟ فقلت : أتأذن لى أن آتىَ أبوىّ ؟ قال : نعم . قالت : وأنا[1] حينئذ أريد أن أستثبت الخبر من قِبَلهما . فأذِن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت أبوىّ ، فقلت لأمى : أى أمتاه ، ماذا يتحدّث الناس ؟ فقالت : أى بُنية ، هوّنى عليك ! فوالله لقلما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا أكثرن عليها . قالت : قلت : سبحان الله ، أَوَ قد تحدّث الناس بهذا ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت ، لايرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت ، فدخل علىّ أبو بكر وأنا أبكى ، فقال لأمى : مايبكيها ؟ قالت : لم تكن علمت ما قيل لها ، فأكبّ يَبْكى ، فبكى ساعة ، ثم قال : اسكتى يابنية ، فبكيت يومى ذلك ، لايرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلى المقبِل لايرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتى المقبلة ، لا يرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم ، حتى ظنّ أبواى أن البكاء سيفلق كبدى .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب ، وأُسامة بن زيد ، حين استلبث الوحى ، يستشيرهما فى فراق أهله ؛ قالت : فأما أُسامة ، فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله ، وبالذى فى نفسه من الودّ ، فقال : يا رسول الله ، هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا . وأما علىّ فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تَصْدُقك ، يعنى بَرِيرة . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرة ، فقال : هَلْ رأيْتِ مِنْ شَىْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عائِشَةَ ؟ قالت له بَرِيرة : والذى بعثك بالحقّ ، ما رأيت عليها أمرا قطّ أَغْمِصُه عليها ، أكثرَ من أنها حديثة السنّ ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتى الداجن فتأكله . فقام النبىّ صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : مَنْ يَعْذِرُنِى مِمَنْ قَدْ بَلَغَنى أذاهُ فِى أهْلى ؟ يعنى عبدَ الله بن أُبىّ ابن سَلُول . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر أيضا : يا مَعْشَرَ المُسْلِمينَ ، مَنْ يَعْذِرُنِى مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنى أذاهُ فِى أهْلى ، فَوَاللهِ ماعَلِمْتُ عَلى أهْلى إلاّ خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً ما عَلِمْتُ عَلَيْهِ إلاّ خَيْرًا ، وَما كانَ يَدْخُلُ عَلى أهْلى إلاّ مَعى . فقام سعد بن مُعاذ الأنصارىّ ، فقال : أنا أعذِرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عُنُقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ؛ فقام سعد بن عُبادة ، فقال ، وهو سيد الخزرج ، وكان رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحَمِيّة ، فقال : أَىْ سعدَ بنَ معاذ ، لعمرُ الله لاتقتله ، ولا تقدر على قتله . فقام أُسَيد بن حُضَير ، وهو ابن عمة سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عُبادة : كذبت ، لعمر الله لنقتلنّه ، فإنك منافق ، تجادل عن المنافقين . فثار الحيان : الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهم حتى سكتوا ، ثم أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى بيت أبوىّ ، فبينا هما جالسان عندى وأنا أبكى ، استأذنتْ علىّ امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ؛ قالت : فبينا نحن على ذلك ، دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس عندى ، ولم يجلس عندى منذ قيل ماقيل ، وقد لبث شهرا لايوحَى إليه

(١) هذه رواية مسلم . وفى صحيح البخارى (٥ : ١٥٠) : قالت : أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما . قالت : فأذن . . . الخ .

فى شأنى بشىء ؛ قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : أمَّا بَعْدُ يا عائشَةُ فإنَّهُ بَلَغَنِى عَنْكِ كَذَا وكَذا ، فإنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ ، وَإنْ كُنْتِ أَلَمَمْتِ بِذَنْبٍ ، فاسْتَغْفِرِى اللهَ ، وَتُوبِى إلَيْهِ ، فإنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تابَ ، تابَ اللهُ عَلَيْهِ . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ، قَلَصَ دمعى ، حتى ما أحسّ منه دمعة ؛ قلت لأبى : أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمى : أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، : فقلت وأنا جارية حديثة السنّ ، لاأقرأ كثيرا من القرآن : إنى والله لقد عرفت أنْ قد سمعتم بهذا ، حتى استقرّ فى أنفسكم ، حتى كِدْتم أن تصدِّقوا به ، فإن قلت لكم : إنى بريئة ، والله يعلم أنى بريئة ، لاتصدّقونى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لتصدِّقُنّى ، وإنى والله ما أجد لى ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف[1] : (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى ما تَصِفُونَ).

ثم تولَّيت واضطجعت على فراشى ، وأنا والله أعلم أنى بريئة ، وأن الله سيبرّئنى ببراءتى ، ولكنى والله ما كنت أظنّ أن ينزل فى شأنى وحْى يُتلى ، ولَشأنى كان أحقَر فى نفسى من أن يتكلَّم الله فىّ بأمر يُتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام رؤيا يبرّئنى الله بها . قالت : والله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج من البيت أحد ، حتى أنزل الله على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء عند الوحى ، حتى إنه ليتحدّر منه مثلُ الجُمان من العرق فى اليوم الشاتى ، من ثقل القول الذى أُنزل عليه ؛ قالت : فلما سُرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، كان أوّل كلمة تكلم بها أن قال : أبْشِرِى يا عائشَةُ ، إنَّ اللهَ قَدْ برَّأكِ . فقالت لى أمى ، قومى إليه ، فقلت : والله لاأقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ، هو الذى أنزل براءتى . فأنزل الله (إنَّ الَّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) عشر آيات ، فأنزل هذه الآيات براءة لى . قالت : فقال أبو بكر : وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته وفقره : والله لاأنفق عليه شىء أبدا بعد الذى قال لعائشة . قالت : فأنزل الله : (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ) حتى بلغ (غَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال أبو بكر : إنى لأحبّ أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مِسْطَح النفقةَ التى كان يُنفق عليه ، وقال : لاأنزعها منه أبدا .

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسأل زينب بنت جحش عن أمرى ، وما رأت ، وما سمعت ، فقالت : يارسول الله ، أحمى سمعى وبصرى ، والله مارأيت إلا خيرا . قالت عائشة : وهى التى كانت تسامينى ، فعصمها الله بالوَرَع ، وطفقت أختها حَمْنة تحارب ، فهلكت فيمن هلك .

قال الزهرىّ بن شهاب : هذا الذى انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، وعن علقمة بن وقّاص الليثىّ ، عن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود . قال الزهرىّ : كلّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان له أوعى من بعض . قال : وقد جمعت لك كل الذى قد حدثنى .

(١) لم تذكر أم المؤمنين رضى الله عنها اسم النبى يعقوب أبى يوسف عليهما السلام ، لأنها كانت جارية حديثة السن ، ولم تقرأ كثيرا من القرآن بعد .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ؛ قال : وثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قال : وثنى عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىّ ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : وكل قد اجتمع فى حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها ، حين قال أهل الإفك فيها ماقالوا ، وكله قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا ، ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض ، وكلّ كان عنها ثقة ، وكلّ قد حدث عنها ماسمع .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزاة بنى المصطلق ، أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهنّ ، فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق ، لم يهيِّجهن اللحم فيثقلن ؛ قالت : وكنت إذا رحل بعيرى جلست فى هَوْدَجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون بى بعيرى ويحملونى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فنيطلقون به ؛ قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، نزل منزلا ، فبات بعض الليل ، ثم أذّن فى الناس بالرحيل ؛ فلما ارتحل الناس ، خرجت لبعض حاجتى ، وفى عنقى عقد لى من جَزْعَ ظَفارِ ، فلما فرغت انسلّ من عنقى وما أدرى ؛ فلما رجعت إلى الرحْل ، ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ؛ قالت : فرجعت عَوْدِى إلى بَدْئِى ، إلى المكان الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ؛ وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون بى البعير .

ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما ذكر من شأنى الذى ذكر ، وما علمت به ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وماعلمت ، فتشهد ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمَّا بَعْدُ أشِيرُوا عَلَىَّ فِى أُناسٍ أبَنُوا أهْلِى ، وَاللهِ ماعَلِمْتُ عَلى أهْلِى سُوءً قَطُّ ، وأبَنُوْهُمْ بِمَنْ وَاللهِ ما عَلِمْتُ عَلَيْهِ سُوءًا قَطُّ ، وَلا دَخَلَ بَيْتِى قَطُّ إلاَّ وأنا حاضِرٌ ، وَلا أغِيبُ فِى سَفَرٍ إلاَّ غابَ مَعِى ، فقام سعد بن مُعاذ فقال : يا رسول الله ، نرى أن نضرب أعناقهم ، فقام رجل من الخزرج ، وكانت أمّ حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل ، فقال : كذبتَ ، أما والله لو كانوا من الأوس ، ما أحببت أن تضرب أعناقهم ، حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج فى المسجد شرّ ، وما علمت به ؛ فلما كان مساء ذلك اليوم ، خرجت لبعض حاجتى ومعى أمّ مِسْطَح ، فعثرت ، فقالت : تَعَس مِسْطح ! فقلت علام تسبين ابنك ؟ فسكتت ، ثم عثرت الثانية ، فقالت : تَعَس مسطح ! قلت : علام تسبين ابنك ؟ فسكتت الثانية ، ثم عثرت الثالثة ، فقالت : تَعَس مسطح ! فانتهرتها ، وقلت : علام تسبين ابنك ؟ قالت : والله ما أسبه إلا فيك ، قلت : فى أىّ شأنى ، فبقَرَت(١) لى الحديث ، فقلت : وقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله ؛ قالت : فرجعت إلى بيتى فكأن الذى خرجت له لم أخرج له ، ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ، ووُعِكْت ، فقلت : يا رسول الله ، أرسلنى إلى بيت أبى ، فأرسل معى الغلام ، فدخلت الدار ، فإذا أنا بأمى أمّ رومان ، قالت : ما جاء بك يا بُنية ؟

(١) بقرت لى الحديث : أخبرتنى به مفصلا .

فأخبرتها ، فقالت : خَفِّضى عليك الشأن ، فإنه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا حسدنها وقلن فيها . قلت : وقد علم بها أبى ؟ قالت : نعم . قلت : ورسول الله ؟ قالت : نعم . فاستعبرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتى وهو فوق البيت يقرأ ، فنزل فقال لأمى : ما شأنها ؟ قالت : بلغها الذى ذُكر من أمرها ، ففاضت عيناه ، فقال : أقسمت عليك إلاّ رَجَعْتِ إلى بيتك . فرجعت .

فأصبح أبواى عندى ، فلم يزالا عندى حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بعد العصر ، وقد اكتنفنى أبواى ، عن يمينى ، وعن شمالى ، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمَّا بَعْدُ يا عائشةُ ، إنْ كُنْتِ قارَفْتِ سُوءًا أوْ ألَمَمْتِ ، فتُوبى إلى الله ، فإنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ . وقد جاءت امرأة من الأنصار وهى جالسة ، فقلت : ألا تستحى من هذه المرأة أن تقول شيئا ؟ فقلت لأبى : أجبه . فقال : أقول ماذا ؟ قلت لأمى : أجيبيه . فقالت : أقول ماذا ؟ فلما لم يجيباه تشهَّدت ، فحمدت الله ، وأثنيت عليه بما هو أهله ، ثم قلت : أما بعد ، فوالله لئن قلت لكم إنى لم أفعل ، والله يعلم إنى لصادقة ، ماذا بنافعى عندكم ، لقد تُكُلِّم به ، وأُشْرِبته قلوبكم ؛ وإن قلت إنى قد فعلت ، والله يعلم أنى لم أفعل ، لَتقولُنّ قد باءت به على نفسها ، وايم الله مَا أجدلى ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه : (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ) . وأنزل الله على رسوله ساعتئذ ، فُرفع عنه ، وإنى لأتبين السرور فى وجهه ، وهو يمسح جبينه يقول : أبْشِرِى يا عائشةُ ، فَقَدْ أنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ ، فكنت أشدّ ما كنت غضبا ، فقال لى أبواى : قومى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : والله لاأقوم إليه ، ولا أحمده ، ولاأحمد كما ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ، ولاغيرتموه ، ولكنى أحمد الله الذى أنزل براءتى ، ولقد جاء رسول الله بيتى ، فسأل الجارية عنى ، فقالت : والله ما أعلم عليها عيبا ، إلا أنها كانت تنام ، حتى كانت تدخل الشاة ، فتأكل حصيرها أو عجينها ، فانتهرها بعض أصحابه ، وقال لها : اصْدُقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عروة : فعَتَب على من قاله ، فقال : لا ، والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، وبلغ ذلك الرجل الذى قيل له ، فقال : سبحان الله ! ما كشفت كَنَفَ أنثى قطّ ، فقتل شهيدا فى سبيل الله . قالت عائشة : فأما زينب بنت جحش ، فعصمها الله بدينها ، فلم تقل إلا خيرا ؛ وأما حَمْنة أختها ، فهلكت فيمن هلك . وكان الذين تكلموا فيه : المنافقَ عبد الله بن أُبىّ ابن سلول ، وكان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذى تولى كِبْره ، ومِسْطحا ، وحسانَ بن ثابت ، فحلف أبو بكر أن لاينفع مِسْطَحا بنافعة ، فأنزل الله : (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ) يعنى أبا بكر (أنْ يُؤْتُوا أُولى القُرْبى وَالمَساكِينَ) يعنى مِسْطحا (ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال أبو بكر : بلى والله ، إنا لنحبّ أن يغفر الله لنا ، وعاد أبو بكر لمِسْطَح بما كان يصنع به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا ، قال : خرجت عائشة تريد المَذْهب[1] ، ومعها أمّ مسطح ، وكان مِسطح بن أثاثة ممن قال ما قال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك ، فقال :

(١) المذهب : مكان التبرز فى الخلاء .

كَيْفَ تَرَوْنَ فِيمَنْ يُؤْذِينِي فِي أَهْلِي، وَيَجْمَعُ فِي بَيْتِهِ مَنْ يُؤْذِينِي ؟ فقال سعد بن مُعاذ : أى رسول الله ، إن كان منا معشرَ الأوس جلدنا رأسه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج ، أمرتنا فأطعناك . فقال سعد بن عبادة : يا بن معاذ ، والله مابك نُصْرة رسول الله ، ولكنها قد كانت ضغائن فى الجاهلية وإحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد ، فقال ابن معاذ : الله أعلم ما أردت ، فقام أُسَيد بن حُضَير ، فقال : يا بن عبادة ، إن سعدا ليس شديدا ، ولكنك تجادل عن المنافقين ، وتدفع عنهم ، وكثر اللَّغَط فى الحيين فى المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر ، فما زال النبىّ صلى الله عليه وسلم يومئ بيده إلى الناس ههنا وههنا ، حتى هدأ الصوت .

وقالت عائشة : كان الذى تولى كِبْره ، والذى يجمعهم فى بيته ، عبد الله بن أُبىّ ابن سلول ، قال : فخرجت إلى المَنْهَب ومعى أمّ مسطح ، فعثرتْ ، فقالتْ : تَعِسَ مِسْطح ! فقلت : غفر الله لك ، أتقولين هذا لابنك ، ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت ذلك مرّتين ، وما شعرت بالذى كان ، فحُدثت ، فذهب عنى الذى خرجت له ، حتى ما أجد منه شيئا ، ورجعت على أبوىّ : أبى بكر ، وأمّ رُومان ، فقلت : أما اتقيتما الله فىّ وما وصلتما رحمى ؟ قال النبىّ صلى الله عليه وسلم الذى قال ، وتحدّث الناس بالذى تحدثوا به ، ولم تُعْلِمانى ، فأُخْبِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : أى بنية ، والله لقلما أحبّ رجل قطّ امرأته ، إلا قالوا لها نحو الذى قالوا لك ، أى بنية ارجعى إلى بيتك ، حتى نأتيك فيه ، فرجعت وارتكبنى صالِبٌ من حُمَّى ، فجاء أبواى فدخلا ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريرى وُجاهى ، فقالا : أى بنية ، إن كنت صنعت ماقال الناس ، فاستغفرى الله ، وإن لم تكونى صنعتيه ، فأخبرى رسول الله بعذرك . قلت : ما أجد لى ولكم إلا كأبى يوسف (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى ما تَصِفُونَ) . قالت : فالتمست اسم يعقوب ، فما قدرت ، أوفلم أقدر عليه ، فشخص بصر رسول الله إلى السقف ، وكان إذا نزَل عليه وَجَد ، قال الله (إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) فوالذى هو أكرمه ، وأنزل عليه الكتاب ، ما زال يضحك ، حتى إنى لأ نظر إلى نواجذه سرورا ، ثم مسح عن وجهه ، فقال : يا عائِشَةُ أَبْشِرِى ، قَدْ أَنْزَلَ اللهُ عُذْرَكِ . قلت : بحمد الله لابحمدك ، ولا بحمد أصحابك ، قال الله (إِنَّ الَّذِينَ جاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) . . . حتى بلغ (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) وكان أبو بكر حلف أن لاينفع مسطحا بنافعة ، وكان بينهما رَحم ، فلما أنزلت (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ) . . . حتى بلغ (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال أبو بكر : بلى ، إى ربّ ، فعاد إلى الذى كان لمسطح (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) . . حتى بلغ (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قالت عائشة : والله ماكنت أرجو أن ينزل فىّ كتاب ، ولا أطمع به ، ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تُذْهب ما فى نفسه ؛ قالت : وسأل الجارية الحَبَشية ، فقالت : والله لعائشة أطيب من طيب الذهب ، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها ، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ، ليخبرنّك الله ، قال : فعجب الناس من فقهها .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا، وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (٦٣)

وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الإيمان به، فيما وقع فى أنفسهم من إرجاف من أرجف فى أمر عائشة، بما أرجف به، يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك فى عائشة، ظنّ المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا: يقول: ظننتم بمن قُرِف بذلك منكم خيرا، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة، وقال بأنفسهم، لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة، لأنهم أهل ملة واحدة.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن بعض رجال بنى النجار، أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أمّ أيوب: أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أمّ أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن، ذكر الله من قال فى الفاحشة ما قال من أهل الإفك (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ) . . . الآية: أى كما قال أبو أيوب وصاحبته.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا) ما هذا الخير ظنّ المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه، وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها، إن أراد أن يفجر فجر بغير أمه، يقول: إنما كانت عائشة أما، والمؤمنون بنون لها، محرّما عليها، وقرأ (لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) . . . الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا) قال لهم خيرا، ألا ترى أنه يقول: لاتقتلوا أنفسكم، يقول بعضكم بعضا، وسلموا على أنفسكم، قال: يسلم بعضكم على بعض.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هَوْذة، قال: ثنا عوف عن الحسن، فى قوله (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا) يعنى بذلك المؤمنين والمؤمنات.

وقوله (وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذى سمعناه من القول الذى رُمِىَ به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم، يبين لمن عقل وفكر فيه، أنه كذب وإثم وبهتان.

كما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: أخبرنا عوف عن الحسن (وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) قالوا: إن هذا لاينبغى أن يتكلم به إلا من أقام عليه أربعة من الشهود، وأقيم عليه حدّ الزنا.

القول فى تأويل قوله تعالى

لَوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ، فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَآءِ فَأُولَـٰٓئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَـٰذِبُونَ (١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورمَوا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها، وما رَمَوها به، فإذ لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة مارمَوْها به (فأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكاذِبُونَ)يقول : فالعُصْبة الذين رَمَوها بذلك عند الله هم الكاذبون ، فيما جاءوا به من الإفك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ، لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَلَوْلا فَضْلُ اللهُ عَلَيْكُمْ) أيها الخائضون فى أمر عائشة ، المُشيعُون فيها الكذب والإثم، بتركه تعجيل عقوبتكم (وَرَحْمَتُهُ) إياكم، لعفوه عنكم (فى الدُّنْيا والآخِرَةِ) بقبول توبتكم مما كان منكم فى ذلك ، (لَمَسَّكُمْ فيما) خضتم فيه من أمرها عاجلا فى الدنيا (عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) هذا للذين تكلموا ، فنشروا ذلك الكلام (لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيه عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره : لمسَّكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم ، حين تلقَّونه بألسنتكم ، و « إذ » من صلة قوله لمسَّكم . ويعنى بقوله (تَلَقَّوْنَهُ) تتلقون الإفك الذى جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه ، ويرويه بعضكم عن بعض ، يقال : تلقَّيت هذا الكلام عن فلان، بمعنى أخذته منه ؛ وقيل ذلك، لأن الرجل منهم فيما ذُكر يَلْقى آخر ، فيقول : أوَ مَا بلغك كذا وكذا عن عائشة ؟ ليُشيع عليها بذلك الفاحشة. وذكر أنها فى قراءة أُبىّ (إذْ تَتَلَقَّوْنَهُ) بتاءين ، وعليها قَرَأَة الأمصار، غير أنهم قرءوها (تَلَقَّوْنَهُ) بتاء واحدة ، لأنها كذلك فى مصاحفهم .

وقد رُوِى عن عائشة فى ذلك ، ما حدثنى به محمد بن عبد الله بن عبدالحكَم ، قال : ثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقرأ هذه الآية (إذْ تَلِقُوْنَهُ بألْسِنَتِكُمْ) تقول : إنما هو وَلْق الكذب ، وتقول : إنما كانوا يَلِقُون الكذب . قال ابن أبى مليكة : وهى أعلم بما فيها أنزلت . قال نافع : وسمعت بعض العرب [1] يقول : اللَّيْق : الكذب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجَمَحِىّ ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة ، أنها كانت تقرأ (إذْ تَلِقُونَهُ بألْسِنَتُكُمْ) وهى أعلم بذلك وفيها أنزلت ، قال ابن أبى مليكة : هو من وَلْق الكذب .

قال أبو جعفر : وكأن عائشة وَجَّهت معنى ذلك بقراءتها (تلِقُونَهُ) بكسر اللام وتخفيف القاف ، إلى إذ تستمرّون فى كذبكم عليها ، وإفككم بألسنتكم ، كما يقال : وَلَق فلان فى السير فهو يَلِق : إذا استمرّ فيه ؛ وكما قال الراجز :

إنَّ الجُلَيْدَ زَلِقٌ وَزُمَلِقْ جاءتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّأْمِ تَلِقِ
مُجَوَّعُ البَطْنِ كِلابِىُّ الخُلُقْ [2]

وقد روى عن العرب فى الوَلْق : الكذب : الأَلْق ، والإِلِق : بفتح الألف وكسرها ، ويقال فى فعلت منه : ألقت ، فأنا ألق ؛ وقال بعضهم :

مَنْ لِىَ بالمُزَرَّدِ اليَلامِقِ صاحِبِ أدْهانٍ وألْقٍ آلِقِ [3]

والقراءة التى لاأستجيز غيرها (إذْ تَلَقَّوْنَهُ) على ماذكرت من قراءة الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وبنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (إذْ تَلَقَّوْنَهُ بألْسِنَتِكُمْ) قال : تَرْوُونه بعضُكم عن بعض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إذْ تَلَقَّوْنَهُ) قال : تَرْوُونه بعضُكم عن بعض .

---

(١) لم نقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة ، فلعله مصحف .

(٢) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، للقلاخ بن حزن المنقرى ، نقلها صاحب (اللسان : زلق) . قال . : رجل زلق وزملق مثال هدبد وزمالق وزملق (بتشديد الميم) ، وهو الذى ينزل قبل أن يجامع . قال القلاخ بن حزن المنقرى . . . الأبيات . ثم قال : والجليد : هو الجليد الكلابى . التهذيب : والعرب تقول : زلق وزملق ، وهو الشكاز ، الذى ينزل إذا حدث المرأة من غير جماع . قال ويقال للخفيف الطياش : زملق وزملوق وزمالق وفى (اللسان : ولق) قال : وولق فى سيره ولقا : أسرع . ونسب أبيات الشاهد للشماخ ، ولم أجدها فى ديوان الشماخ المطبوع بمصر سنة ١٣٢٧ اه .

(٣) هذان بيتان من الرجز أنشدهما الأزهرى عن بعضهم (اللسان : ولق) . وألق الكلام : متابعته فى سرعة . والألق : الاستمرار فى الكذب وألق يألق ألقا مثال ضرب يضرب ضربا . واليلامق : جمع يلمق ، وهو القباء (فارسى معرب) . . واستشهد المؤلف بالبيتين على أن بعضهم قرأ قوله تعالى : « إذ تلقونه بألسنتكم » بكسر اللام ، وتخفيف القاف ، على أنه بمعنى الاستمرار فى الكذب .

قوله (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) يقول تعالى ذكره : وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذى تَرْوُونه ، فتقولون : سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ، ولا تعلمون حقيقة ذلك ، ولا صحته (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً) وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم ، وتلقّيكموه بعضكم عن بعض ، هيّن سهل ، لاإثم عليكم فيه ولا حرج (وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ) يقول : وتلقّيكم ذلك كذلك ، وقولكموه بأفواهكم ، عند الله عظيم من الأمر ، لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ، سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)

يقول تعالى ذكره : (فَلَوْلا) أيها الخائضون فى الإفك ، الذى جاءت به عصبة منكم (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) ممن جاء به (قُلْتُمْ) ما يحلّ لنا أن نتكلم بهذا ، وما ينبغى لنا أن نتفوّه به (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) ، تنزيها لك يا ربّ ، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء . (هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) يقول : هذا القول بهتان عظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : يذكّركم الله ، وينهاكم بآى كتابه ، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذى فعلتموه فى أمر عائشة ، من تلقّيكم الإفك الذى رُوى عليها بألسنتكم ، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم تتعظون بعظات الله ، وتأتمرون لأمره ، وتنتهون عما نهاكم عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) قال : والذى هو خير لنا من هذا ، أن الله أعلمنا هذا لكيلا نقع فيه ، لولا أن الله أعلمناه لهلكنا كما هلك القوم ، أن يقول الرجل : أنا سمعته ولم أخترقه[1] ولم أتقوّله ، فكان خيرا حين أعلمناه الله ، لئلا ندخل فى مثله أبدا ، وهو عند الله عظيم ؛ وقوله (وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ) : ويفصّل الله لكم حججه عليكم ، بأمره ونهيه ، ليتبين المطيع له منكم من العاصى ، والله عليم بكم وبأفعالكم ، لايخفى عليه شىء ، وهو مجاز المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، حكيم فى تدبير خلقه ، وتكليفه ما كلّفهم من الأعمال ، وفرضه مافرض عليهم من الأفعال .

---

(١) اخترق الكذب : مثل اخترعه ، وافتعله ، وصنعه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يحبون أن يذيع الزنا فى الذين صدّقوا بالله ورسوله ، ويظهر ذلك فيهم ، لهم عذاب أليم : يقول : لهم عذاب وجيع فى الدنيا ، بالحدّ الذى جعله الله حدّا لرامى المحصَنات والمحصَنين إذا رموهم بذلك ، وفى الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرّا على ذلك غير تائب .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ) قال : تظهر فى شأن عائشة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : الخبيث عبد الله بن أبىّ ابن سَلول ، المنافق ، الذى أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية ، لهم عذاب أليم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ) قال : تظهر ، يتحدّث عن شأن عائشة .

وقوله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم كذبَ الذين جاءوا بالإفك من صدقهم ، وأنتم أيها الناس لاتعلمون ذلك ، لأنكم لاتعلمون الغيب ، وإنما يعلم ذلك علّام الغيوب . يقول : فلا تَرْوُوا ما لاعلم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله ، ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتهلكوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ولولا أن تفضّل الله عليكم أيها الناس ورحمكم ، وأن الله ذو رأفة ، ذو رحمة بخلقه ، لهلكتم فيما أفضتم فيه ، وعاجلتْكم من الله العقوبة . وترك ذكر الجواب ، لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده ، وهو قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطانِ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ،

⁂ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، لاتسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ، ولا تقتفوا آثاره ، بإشاعتكم الفاحشة فى الذين آمنوا ، وإذاعتكموها فيهم ، وروايتكم ذلك عمن جاء به ، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء ، وهى الزنا ، والمنكر من القول .

وقد بيّنا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ، وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ، ما تطهّر منكم من أحد أبدا ، من دنس ذنوبه وشركه ، ولكن الله يطهّر من يشاء من خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَدًا) يقول : ما اهتدى منكم من الخلائق لشىء من الخير ، ينفع به نفسه ، ولم يتق شيئا من الشرّ يدفعه عن نفسه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَدًا) قال : ما زكى : ما أسلم ، وقال : كلّ شىء فى القرآن من زكى أو تزكّى فهو الإسلام .

وقوله (وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : والله سميع لما تقولون بأفواهكم ، وتلقّونه بألسنتكم ، وغير ذلك من كلامكم ، عليم بذلك كله ، وبغيره من أموركم ، محيط به ، محصيه عليكم ، ليجازيكم بكل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم ، يعنى ذوى التفضل والسّعة : يقول : وذوو الجِدَة .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (وَلا يَأْتَلِ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (وَلا يَأْتَلِ) بمعنى : يفتعل من الأَلِيّة ، وهى القسم بالله ، سوى أبى جعفر وزيد بن أسلم ، فإنه ذُكِر عنهما أنهما قرآ ذلك (وَلا يَتَأَلّ) بمعنى : يتفعل من الأَلِية .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى : قراءة من قرأ : ولا يَأْتَلِ بمعنى : يفتعل من الأَلِية ، وذلك أن

ذلك فى خطّ المصحف كذلك ، والقراءة الأخرى مخالفة خطّ المصحف ، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القرّاء، وصحّة المقروء به، أولى من خلاف ذلك كله. وإنما عُنِى بذلك أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، فى حلفه بالله لاينفق على مِسْطَح ، فقال جلّ ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون، بالله ألاّ يُعْطُوا ذَوِى قَرابتهم ، فيصِلوا به أرحامهم، كمِسْطح ، وهو ابن خالة أبى بكر، (والمساكين) : يقول: وذوى خَلّة الحاجة ، وكان مِسْطح منهم ، لأنه كان فقيرا محتاجا، (والمهاجرين فى سبيل الله) ، وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم فى جهاد أعداء الله، وكان مِسْطَح منهم، لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا (وَلْيَعْفُوا) يقول وليعفُوا عما كان منهم إليهم من جُرم، وذلك كجرم مِسْطح إلى أبى بكر ، فى إشاعته على ابنته عائشة، ما أشاع من الإفك . (وَلْيَصْفَحُوا) يقول: وليتركوا عقوبتهم على ذلك، بجرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذى كانوا لهم عليه، من الإفضال عليهم ، (ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ) يقول : ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم ، بأفضالكم عليهم ، فيترك عقوبتكم عليها (وَاللهُ غَفُورٌ) لذنوب من أطاعه ، واتبع أمره ، رحيم بهم أن يعذّبهم مع اتباعهم أمره ، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة، قد استغفروه منها ، وتابوا إليه من فعلها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عَلقمة بن وقّاص الليثىّ ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة . قال : وثنى ابن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قال : وثنى ابن إسحاق ، قال : ثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىّ ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة، قالت: لما نزل هذا، يعنى قوله (إنَّ الَّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال . قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته : والله لاأنفق على مسطح شيئا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا، بعد الذى قال لعائشة ما قال ، وأدخل عليها ما أدخل ، قالت : فأنزل الله فى ذلك (وَلا يأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ) . . . الآية ، قالت : فقال أبو بكر : والله إنى لأحبّ أن يغفر الله لى ، فرجّع إلى مسطح نفقته التى كان يُنفِق عليه ، وقال : والله لاأنزعها منه أبدا .

حدثنى علىّ ، قال ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) يقول : لاتُقْسِموا ألاّ تنفعوا أحدا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رَمَوا عائشة بالقبيح ، وأفشَوا ذلك، وتكلموا به ، فأقسم ناس من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم أبو بكر، ألا يتصدّق على رجل تكلم بشىء من هذا ولا يصله، فقال: لايُقْسِم أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم، وأن يعطوهم من أموالهم كالذى كانوا يفعلون قبل ذلك، فأمر الله أن يُغْفَر لهم، وأن يُعْفَى عنهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ): لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء، قال أبو بكر وآخرون من المسلمين، والله لانصل رجلا منهم تكلّم بشىء من شأن عائشة، ولا ننفعه. فأنزل الله (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) يقول: ولا يحلف.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى القُرْبَى) قال: كان مِسْطَح ذا قرابة (وَالمَساكِينَ) قال: كان مسكينا (وَالمُهاجِرِينَ فِى سَبِيلِ الله) كان بدْريا.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ) قال: أبو بكر حلف أن لاينفع يتيما فى حِجْره، كان أشاع ذلك، فلما نزلت هذه الآية قال: بلى أنا أحبّ أن يغفر الله لى، فَلأكوننّ ليتيمى خيرَ ما كنت له قطُّ.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) بالفاحشة (المُحْصَنَاتِ) يعنى العفيفات (الغافِلاتِ) عن الفواحش (المُؤْمِناتِ) بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله (لُعِنُوا فِى الدُّنْيا والآخِرَةِ) يقول: أُبْعِدوا من رحمة الله فى الدنيا والآخرة (وَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابٌ عَظِيمٌ) وذلك عذاب جهنم.

واختلف أهل التأويل فى المحصنات اللاتى هذا حكمهن، فقال بعضهم: إنما ذلك لعائشة خاصة، وحكم من الله فيها وفيمن رماها، دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبى الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا خَصِيف، قال: قلت لسعيد ابن جُبير: الزنا أشدّ أم قذف المحصَنة؟ فقال: الزنا، فقلت: أليس الله يقول (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَناتِ)... الآية، قال سعيد: إنما كان هذا لعائشة خاصة.

حدثنا أحمد بن عبدة الضبى، قال: ثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبى سَلَمة، عن أبيه، قال: قالت عائشة: رُميت بما رُميت به وأنا غافلة، فبلغنى بعد ذلك، قالت: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم

عندى جالس ، إذ أوحى إليه ، وكان إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات ، وإنه أوحى إليه وهو جالس عندى ، ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه ، وقال : يا عائشة أبشرى ، قالت : فقلت : بحمد الله لا بحمدك فقرأ (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ) . . . حتى بلغ (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) .

وقال آخرون : بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، دون سائر النساء غيرهنّ .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ) . . . الآية ، أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية فى شأن عائشة ، وعنى بها كلّ من كان بالصفة التى وصف الله هذه الآية ، قالوا : فذلك حكم كلّ من رَمى محصنة ، لم تقارف سُوءا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد ، عن جعفر بن برقان ، قال : سألت ميمونا ، قلت : الذى ذكر الله (الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) . . . إلى قوله (إلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ وأَصْلَحُوا ، فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فجعل فى هذه توبة ؛ وقال فى الأخرى : (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ) . . . إلى قوله (لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قال ميمون : أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت ، وأما هذه ، فهى التى لم تقارف شيئا من ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن شيخ من بنى أسد ، عن ابن عباس ، قال : فسّر سورة النور ، فلما أتى على هذه الآية (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ) . . . الآية ، قال هذا فى شأن عائشة وأزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهى مبهمة ، وليست لهم توبة ، ثم قرأ (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) . . . إلى قوله (إلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ وأَصْلَحُوا) . . . الآية ، قال : فجعل لهؤلاء توبة ، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة ، قال : فهمّ بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسّر سورة النور .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِى الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قال : هذا فى عائشة ، ومن صنع هذا اليومَ فى المسلمات ، فله ما قال الله ، ولكن عائشة كانت إمام ذلك .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية فى أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك كذلك ، حتى نزلت الآية التى فى أوّل السورة فأوجب الجَلْد ، وقبل التوبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الْمُؤْمِنات) . . . إلى (عَذَابٌ عَظِيمٌ) يعنى أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، رماهنّ أهل النفاق ، فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباءوا بسخط من الله . وكان ذلك فى أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) . . . إلى قوله (فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فأنزل الله الجلد والتوبة ، فالتوبة تُقبل ، والشهادة تردّ .

⁂ وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآية فى شأن عائشة ، والحكم بها عامّ فى كلّ من كان بالصفة التى وصفه الله بها فيها .

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب ، لأن الله عمّ بقوله (إنَّ الَّذِينَ يَرمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ) كلّ محصنة غافلة مؤمنة ، رماها رام بالفاحشة ، من غير أن يخصّ بذلك بعضا دون بعض ، فكلّ رام محصنة بالصفة التى ذكر الله جلّ ثناؤه فى هذه الآية ، فملعون فى الدنيا والآخرة ، وله عذاب عظيم ، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته ، فإن الله دلّ باستثنائه بقوله (إلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ وأَصْلَحُوا) على أن ذلك حكم رامى كل محصنة بأىّ صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية ، وعلى أن قوله (لُعِنُوا فِى الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) معناه : لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولهم عذاب عظيم (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ) فاليوم الذى فى قوله (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ) من صلة قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . وعُنِى بقوله (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ) يوم القيامة ، وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب فى الدنيا من الذنوب ، عند تقرير الله إياه بها ، فيختم الله على أفواههم ، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

فإن قال قائل : وكيف تشهد عليهم ألسنتهم ، حين يختم على أفواههم ، قيل : عُنِى بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض ، لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ عرفَ الكافِرُ بعَمَلِهِ ، فَيَجْحَدَ وَخاصَمَ ، فَيُقالُ لَهُ هَؤُلاءِ جِيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ ، فَيَقُولُ : كَذَبُوا ، فَيَقُولُ أَهْلُكَ وعَشِيرَتُكَ ، فَيَقُولُ كَذَبُوا ، فَيَقُولُ : أَتَحْلِفُونَ ؟ فَيَحْلِفُونَ ، ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ اللهُ ، وتَشْهَدُ أَلْسِنَتُهُمْ ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارُ » .

١٤ - ١٨

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)

يقول تعالى ذكره (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحقّ على أعمالهم .

والدِّين فى هذا الموضع : الحساب والجزاء كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يقول : حسابهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (الْحَقَّ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (دِينَهُمُ الْحَقَّ) نصبا على النعت للدين ، كأنه قال : يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ، ثم أدخل فى الحقّ الألف واللام ، فنصبه بما نصب به الدين . وذُكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك (يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ) برفع الحقّ على أنه من نعت الله .

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه قرأها الحقُّ بالرفع . قال جرير : وقرأتها فى مصحف أُبىّ بن كعب (يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ الْحَقُّ دِينَهُمْ) .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ما عليه قرّاء الأمصار ، وهو نصب الحقّ على إتباعه إعراب الدين لإجماع الحجة عليه .

وقوله (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) يقول : ويعلمون يومئذ أن الله هو الحقّ الذى يبين لهم حقائق ما كان يعدهم فى الدنيا من العذاب ، ويزول حينئذ الشكّ فيه عن أهل النفاق ، الذين كانوا فيما كان يَعِدُهم فى الدنيا يمترون .

القول فى تأويل قوله تعالى

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ، أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : الخبيثات من القول ، للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس ، للطيبات من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ) يقول : الخبيثات من القول ، للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال ، للخبيثات من القول .

وقوله (والطَّيِّبَاتُ للطَّيِّبِينَ) يقول : الطيبات من القول ، للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، نزلت فى الذين قالوا فى زوجة النبىّ صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ، ويقال : الخبيثات للخبيثين : الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين ، والطيبات من الأعمال تكون للطيبين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ عن ابن أبى نجيح ، فى قول الله (الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِينَ ، والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ ، والطَّيِّباتُ للطَّيِّبِينَ ، والطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ) قال : الطيبات : القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن ؛ والخبيثات : القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحقّ من الكلام .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِينَ ، والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ ، والطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ ، والطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ) يقول : الخبيثات والطيبات : القول السيئ والحسن ، للمؤمنين الحسن ، وللكافرين السيئ (أُولَئِكَ مُبَرءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبه فهى للمؤمنين ، وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهى للكافرين ، كلّ برىء مما ليس بحقّ من الكلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِينَ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام .

حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِينَ) . . . الآية ، يقول : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، فهذا فى الكلام ، وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا ، هم الخبيثون . والطيبون هم المبرّءون مما قال الخبيثون .

حدثنا أبو زرعة ، قال ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة ، يعنى ابن نبيط الأشجعىّ ، عن الضحاك (الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِين) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح وعثمان بن الأسود ، عن مجاهد (الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِينَ ، والخَبِيثُونَ للْخَبِيثاتِ ، والطَّيِّباتُ للطَّيِّبِينَ ، والطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، قال (الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، والخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ ، والطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، والطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) قال : الخبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

قال : ثنى محمد بن بكر بن مقدم ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، يعنى ابن أبى سليمان ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، عن سعيد بن جبير ، عن مجاهد (والخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ) قال : الخبيثات من القول للخبيثين من الناس .

قال : ثنا عباس بن الوليد النَّرسىّ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، والخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ ، والطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ ، والطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ) يقول : الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : الطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات ، قال : الطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، والخبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (الخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، والخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ ، والطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ ، والطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ) قال : نزلت فى عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفِرْية ، فبرأها الله من ذلك . وكان عبد الله بن أُبىّ هو خبيث ، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكونَ لها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا ، وكان أولى أن تكون له الطيبة ، وكانت عائشة الطيبة ، وكانَ أولى أن يكون لها الطيب . (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) قال : هاهنا بُرِّئت عائشة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .

⁂ وأولى هذه الأقوال فى تأويل الآية : قول من قال : عَنَى بالخبيثات : الخبيثات من القول ، وذلك قبيحه وسيئه ، للخبيثين من الرجال والنساء ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، هم بها أولى ، لأنهم أهلها ، والطيبات من القول ، وذلك حسنه وجميله ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، لأنهم أهلها ، وأحقّ بها .

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية ، لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين فى عائشة الإفك ، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإخبارهم ما خَصَّهم به على إفكهم ، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامى والمرمى به ، أشبه من الخبر عن غيرهم .

وقوله (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ) يقول : الطيبون من الناس مبرّءون من خبيثات القول ، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها ، ويغفرها لهم ، وإن قيلت فيهم ضرّت قائلها ولم تضرّهم ، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به ، لأن الله لايتقبّله ، ولو قيلت له لضرّته ، لأنه يلحقه عارها فى الدنيا ، وذلها فى الآخرة .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث ، يقول : يغفره الله ؛ ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح ، فإنه يردّه الله عليه ، لايقبله منه ، وقد قيل : عُنِى بقوله (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) عائشة وصفوان بن المعطّل الذى رُمِيت به ، فعلى هذا القول قيل أولئك ، فجمع ، والمراد ذانك ، كما قيل : فإن كان له إخوة ، والمراد أخوان

وقوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول لهؤلاء الطيبين من الناس : مغفرة من الله لذنوبهم ، والخبيث من القول إن كان منهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة ، وذلك الجنة ، وما أُعِدّ لهم فيها من الكرامة .

كما حدثنا أبو زُرْعة ، قال : ثنا العباس بن الوليد النّرسىّ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) مغفرة لذنوبهم ، ورزق كريم فى الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧)

اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم تأويله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أهْلِها) قال : وإنما تستأنسوا وَهَمٌ من الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس فى هذه الآية (لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا على أهْلِها) وقال : إنما هى خَطَأ من الكاتب : حتى تستأذنوا وتسلموا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، بمثله ، غير أنه قال : إنما هى حتى تستأذنوا ، ولكنها سقط من الكاتب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا معاذ بن سليمان ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد عن ابن عباس (حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أهْلِها) قال : أخطأ الكاتب . وكان ابن عباس يقرأ (حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا) وكان يقرؤها على قراءة أُبيّ بن كعب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش أنه كان يقرؤها (حتى تَسْتَأْذِنوا وتُسَلِّمُوا) قال سفيان : وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها (حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا) وقال : إنها خَطَأ من الكاتب .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا على أهلِها) قال : الاستئناس : الاستئذان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال في مصحف ابن مسعود (حتى تُسَلِّموا عَلى أهْلِها وَتَسْتَأذِنُوا) .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جعفر بن إياس ، عن سعيد ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تُسَلِّمُوا عَلى أهْلِها وَتَسْتَأذِنُوا) قال : وإنما تستأنسوا وَهَم من الكُتَّاب .

قال : ثنا هشيم ، قال مغيرة ، قال مجاهد : جاء ابن عمر من حاجة ، وقد آذاه الرَّمْضاء ، فأتى فُسطاط امرأة من قريش ، فقال : السلام عليكم ، أدخل؟ فقالت : ادخل بسلام ، فأعاد ، فأعادت ، وهو يراوح بين قدميه ، قال : قولي أُدْخل ، قالت : ادخل ، فدخل .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن ابن سيرين ، وأخبرنا يونس بن عبيد ، عن عمرو بن سعيد الثقفيّ ، أنّ رجلا استأذن على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَلِج أو أَنَلِج ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها رَوْضة : قُومي إلى هَذَا فَعَلِّميهِ ، فإنَّهُ لا يُحْسِنُ يَسْتَأْذِنُ ، فَقُولي لَهُ يَقُولُ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، أدْخُل ؟ فسمعها الرجل ، فقالها ، فقال : اُدْخُل .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (حتى تَسْتَأْنِسوا) قال : الاستئذان ، ثم نُسخ واستثنى (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قوله (لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ) قال : حتى تسلِّموا على أهلها وتستأذنوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة (حتى تَسْتَأْنِسُوا) قال : حتى تستأذنوا وتسلِّموا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن ابن مسعود ، قال : عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأَخَواتكم ، قال أشعث ، عن عديّ بن ثابت ،

أن امرأة من الأنصار، قالت : يا رسول الله ، إنى أكون فى منزلى على الحال التى لا أحبّ أن يرانى أحد عليها : والدولا ولد ، وإنه لا يزال يدخل علىّ رجل من أهلى وأنا على تلك الحال ، قال : فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا على أهْلِها) . . . الآية .

وقال آخرون : معنى ذلك : حتى تُؤْنِسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه ، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد ، فى قوله (لا تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أهْلِها) قال : حتى تتنحنحوا وتتنخموا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (حتى تَسْتَأْنِسُوا) قال : حتى تَجَسَّسوا وتسلموا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (حتى تَسْتَأْنِسُوا) قال : تَنَحْنحوا وتَنَخَّموا .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عطاء بن أبى رباح يخبر عن ابن عباس ، قال : ثلاث آيات قد جحدهنّ الناس ، قال الله (إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ) قال : ويقولون : إن أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا ؛ قال : والإذن كله قد جحده الناس ، فقلت له أستأذن على أخَواتى أيتامٍ فى حِجرى معى فى بيت واحد ؟ قال : نعم [1] ، فرددت على من حضرنى ، فأبى ، قال : أتحبّ أن تراها عريانة ، قلت : لا ، قال : فاستأذِن ، فراجعته أيضا ، قال : أتحبّ أن تطيع الله ؟ قلت : نعم ، قال : فاستأذِن ، فقال لى سعيد بن جُبير : إنك لَتُتَرَدِّد عليه ، قلت : أردت أن يرخص لى .

قال ابن جُرَيج : وأخبرنى ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : مامن امرأة أكره إلىّ أن أرى ، كأنه يقول عريتها أو عريانة ، من ذات محرم ، قال : وكان يشدّد فى ذلك .

قال ابن جُرَيج ، وقال عطاء بن أبى رباح : وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ، فواجب على الناس أجمعين إذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس ، قلت لعطاء : أواجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومَنْ وراءَها من ذات قرابته ؟ قال : نعم ، قلت : أبِرّ وَجَب ؟ قال قوله (وَإذَا بَلَغَ الأطْفالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتأْذِنُوا) .

قال ابن جُرَيج : وأخبرنى ابن زياد : أن صفوان مولى لبنى زُهْرة ، أخبره عن عطاء بن يسار « أن

(١) فى ابن كثير فرددت عليه ليرخص لى ، فأبى ، فلعله تصحف عنه .

رجلا قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم: أَسْتأذِنُ على أمى ؟ قال : نَعَمْ ، قال : إنها ليس لها خادم غيرى، أفأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : أَتُحِبُّ أنْ تَراها عُرْيانَةً ؟ قال الرجل : لا ، قال : فاسْتأْذِنْ عَلَيْها » .

قال ابن جُرَيج عن الزهرىّ ، قال : سمعت هزيل بن شُرَحبيل الأَوْدِىّ الأعمى ، أنه سمع ابن مسعود يقول : عليكم الإذن على أمهاتكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قلت لعطاء : أيستأذن الرجل على امرأته ؟ قال : لا .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن حازم ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن يحيى بن الجزّار ، عن ابن أخى زينب امرأة ابن مسعود ، عن زينب قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب ، تنحنح وبَزَق ، كراهة أن يَهْجُم منا على أمر يكرهه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتأْنِسُوا) قال : الاستئناس : التنحنح والتجرس ، حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد ، قال : والتجرّس : كلامه وتنحنحه .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الاستئناس : الاستفعال من الأنس ، وهو أن يستأذن أهل البيت فى الدخول عليهم ، مخبرا بذلك من فيه ، وهل فيه أحد ؟ وليؤذنهم أنه داخل عليهم ، فليأنس إلى إذنهم له فى ذلك ، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم . وقد حُكِى عن العرب سماعا : اذهب فاستأنس ، هل ترى أحدا فى الدار ؟ بمعنى : انظر هل ترى فيها أحدا ؟ .

فتأويل الكلام إذن ، إذا كان ذلك معناه : يا أيها الذين امنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا ، وذلك أن يقول أحدكم : السلام عليكم ، أدخل ؟ وهو من المقدم الذى معناة التأخير إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا ، كما ذكرنا من الرواية ، عن ابن عباس .

وقوله (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذى تريدون دخوله ، فإن دخولكموه خير لكم ، لأنكم لاتدرون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن ، على ماذا تهجُمون ؟ على ما يسوءكم أو يسرّكم ؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن ، لم تدخلوا على ماتكرهون ، وأدّيتم بذلك أيضا حقّ الله عليكم فى الاستئذان والسلام . وقوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول : لتتذكروا بفعلكم ذلك أو الله عليكم ، واللازم لكم من طاعته ، فتطيعوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ، هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : فإن لم تجدوا فى البيوت التى تستأذنون فيها أحدا ، يأذن لكم بالدخول إليها ، فلا تدخلوها ، لأنها ليست لكم ، فلا يحلّ لكم دخولها إلا بإذن أربابها ، فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها ، فادخلوها (وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فارْجِعُوا) يقول : وإن قال لكم أهل البيوت التى تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها ، وارجعوا عنها ولا تدخلوها (هُوَ أَزْكَى لَكُمْ) يقول : رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا ، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها ، أطهر لكم عند الله . وقوله (هُوَ) : كناية من اسم الفعل[1] ، أعنى من قوله (فارْجِعُوا) . وقوله (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه : والله بما تعملون من رجوعكم ، بعد استئذانكم فى بيوت غيركم ، إذا قيل لكم ارجعوا ، وترك رجوعكم عنها ، وطاعتكم الله فيما أمركم ، ونهاكم فى ذلك وغيره ، من أمره ونهيه ، ذو علم محيط بذلك كله ، مُحْصٍ جميعه عليكم ، حتى يجازيكم على جميع ذلك .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فإنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أحَدًا) قال : إن لم يكن لكم فيها متاع ، فلا تدخلوها إلا بإذن (وَإنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فارْجِعُوا) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هاشم بن القاسم المزنىّ ، عن قتادة ، قال : قال رجل من المهاجرين : لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها : أن أستأذن على بعض إخوانى ، فيقول لى : ارجع ، فأرجع وأنا مغتبط ، لقوله (وَإنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فارْجِعُوا ، هُوَ أَزْكَى لَكُمْ) . وهذا القول الذى قاله مجاهد فى تأويل قوله (فإنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أحَدًا) بمعنى : إن لم يكن لكم فيها متاع ، قول بعيد من مفهوم كلام العرب ، لأن العرب لاتكاد تقول : ليس بمكان كذا أحد ، إلا وهى تعنى ليس بها أحد من بنى آدم . وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بنى آدم ، ومن كان سبيله سبيلهم ، فلا تقول ذلك فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : ليس عليكم أيها الناس إثم وحرج ، أن تدخلوا بيوتا لاساكن بها ، بغير استئذان . ثم اختلفوا فى ذلك أىّ البيوت عَنَى ، فقال بعضهم : عَنَى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التى ليس بها سكان معروفون ، وإنما بنيت لمارّة الطريق والسابلة ، ليأوُوا إليها ، ويُؤْوُوا إليها أمتعتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن سالم المكىّ ، عن محمد بن الحنفية ،

(١) يريد باسم الفعل : المصدر ، لأنه اسم الحدث ، ولا يريد ما اصطلح النحاة على تسميته اسم فعل كصه وأف .

فى قوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ) قال : هى الخانات التى تكون فى الطرق .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا عمر بن فَرُّوخ ، قال : سمعت قَتادة يقول : (بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ) قال : هى الخانات ، تكون لأهل الأسفار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) قال : كانوا يضعون فى بيوت فى طرق المدينة متاعا وأقتابا ، فرُخِّص لهم أن يدخلوها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ) قال : هى البيوت التى ينزلها السفْر ، لايسكنها أحد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بُيُوتا غيرَ مسْكُونَةٍ) قال : كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة ، فى بيوت ليس فيها أحد ، فأحلّ لهم أن يدخلوها بغير إذن .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شكّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله ، غير أنه قال : كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ) هى البيوت التى ليس لها أهل ، وهى البيوت التى تكون بالطرق والخَرِبة (فِيها مَتَاعٌ) منفعة للمسافر فى الشتاء والصيف ، يأوى إليها .

وقال آخرون : هى بيوت مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن سعيد بن سائق ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن سالم بن محمد بن الحنفية ، فى (بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ) قال : هى بيوت مكة .

وقال آخرون : هى البيوت الخَرِبة . والمتاع الذى قال الله فيها لكم : قضاء الحاجة ، من الخلاء والبول فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عطاء يقول (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) قال : الخلاء والبول .

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا حسن بن عيسى بن زيد ، عن أبيه ، فى هذه الآية (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) قال : التخلّى فى الخراب .

وقال آخرون : بل عنى بذلك بيوت التجار ، التى فيها أمتعة الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ ، فيها مَتَاعٌ لَكُمْ) قال : بيوت التجار ، ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن ، الحوانيت التى بالقيساريات والأسواق . وقرأ (فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) متاع للناس ، ولبنى آدم .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عمّ بقوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) كلّ بيت لاساكن به ، لنا فيه متاع ، ندخله بغير إذن ، لأن الإذن إنما يكون ليؤْنَس المأذون عليه قبل الدخول ، أو ليأذن للداخل إن كان له مالكا ، أو كان فيه ساكنا . فأما إن كان لامالك له ، فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه ، فيحتاج الداخل إلى إيناسه ، والتسليم عليه ، لئلا يهجُم على ما لايحبّ رؤيته منه ، فلا معنى للاستئذان فيه . فإذا كان ذلك ، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض ، فكلّ بيت لامالك له ولا ساكن ، من بيت مبنىّ ببعض الطرق للمارّة والسابلة ليأووا إليه ، أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه ، حيث كان ذلك ، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان ، لمتاع له يؤويه إليه ، أو للاستمتاع به ، لقضاء حقه ، من بول أو غائط أو غير ذلك . وأما بيوت التجار ، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها .

فإن ظنّ ظانّ أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس ، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه فى دخوله ، فإن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره ، بغير ضرورة ألجأته إليه ، أو بغير سبب أباح له دخوله ، إلا بإذن ربه ، لاسيما إذا كان فيه متاع ، فإن كان التاجر قد عُرِف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله فى الدخول ، فذلك بعدُ راجع إلى ماقلنا ، من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن من معنى قوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) فى شئ ، وذلك أن التى وضع الله عنا الجُناح فى دخولها بغير إذن من البيوت ، هى ما لم يكن مسكونا ، إذ حانوت التاجر لاسبيل إلى دخوله إلا بإذنه ، وهو مع ذلك مسكون ، فتبين أنه مما عَنَى الله من هذه الآية بمعزل .

وقال جماعة من أهل التأويل : هذه الآية مستثناة من قوله (لاتَدْخُلُوا بُيُوتاً غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا على أَهْلِها) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : (لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتكُمْ) ثم نسخ واستثنى فقال (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (حتى تَستأنِسُوا)

. . . الآية ، فنسخ من ذلك ، واستثنى فقال (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) . وليس فى قوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) دلالة على أنه استثناء من قوله (لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا) ، لأن قوله (لاتَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ بُيُوتكِمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أهْلِها) : حكم من الله فى البيوت التى لها سكان وأرباب . وقوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتا غيرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتَاعٌ لَكُمْ) : حكم منه فى البيوت التى لاسكان لها ولا أرباب معروفون ، فكل واحد من الحكمين حكم فى معنى غير معنى الآخر ، وإنما يستثنى الشىء من الشىء إذا كان من جنسه أو نوعه ، فى الفعل أو النفس . فأما إذا لم يكن كذلك ، فلا معنى لاستثنائه منه . وقوله (وَاللهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم ، من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة (وَما تَكْتُمُونَ) يقول : وما تضمرونه فى صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذى تقصدون به : إطاعة الله والانتهاء إلى أمره ، أم غير ذلك ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ، ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ للمؤْمِنِينَ) بالله وبك يامحمد (يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ) يقول : يكفوا من نظرهم إلى مايشتهون النظر إليه ، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) أن يراها مَنْ لايحلّ له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم (ذلكَ أزْكَى لَهُمْ) يقول : فإنّ غضها من النظر عما لايحلّ النظر إليه ، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين ، أطهر لهم عند الله وأفضل (إنَّ اللهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) يقول : إن الله ذوخبرة بما تصنعون أيها الناس ، فيما أمركم به من غضّ أبصاركم عما أمركم بالغض عنه ، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل الرملىّ ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله (قُلْ للْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) قال : كل فرج ذُكِر حفظه فى القرآن ، فهو من الزنا ، إلا هذه (وَقُلْ للْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) فإنه يعنى الستر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ

للْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ - وَقُلْ للْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) قال : يغضوا أبصارهم عما يكره الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ للْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) قال : يغضّ من بصره : أن ينظر إلى ما لايحلّ له ، إذا رأى ما لايحلّ له غضّ من بصره ، لاينظر إليه ، ولا يستطيع أحد أن يغضّ بصره كله ، إنما قال الله (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ .

☆☆يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَقُلْ) يامحمد (للْمُؤْمِنَاتِ) من أمتك (يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما يكره الله النظر إليه ، مما نهاكم عن النظر إليه (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) يقول : ويحفظن فروجهنّ عن أن يراها من لايحلّ له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم .

وقوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : ولا يُظْهرن للناس الذين ليسوا لهنّ بمحرم زينتهنّ ، وهما زينتان : إحداهما : ما خفى ، وذلك كالخَلْخال والسِّوارين والقُرْطَين والقلائد . والأخرى : ما ظهر منها ، وذلك مختلف فى المعنىّ منه بهذه الآية ، فكان بعضهم يقول : زينة الثياب الظاهرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن الحجاج ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود ، قال : الزينة زينتان : فالظاهرة منها : الثياب ، وما خفى : الخلخالان والقُرطان والسِّواران .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى الثورىّ ، عن أبى إسحاق الهمدانىّ ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، أنه قال (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) : قال : هى الثياب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، قال (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الثياب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا سفيان ، عن علقمة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) : قال : الثياب .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا بعض أصحابنا ، إما يونس ، وإما غيره ، عن الحسن ، فى قوله (إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الثياب .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله (إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الثياب .

قال أبو إسحاق : ألا ترى أنه قال (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا محمد بن الفضل ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن ابن مسعود (إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : هو الرداء .

وقال آخرون : الظاهر من الزينة التى أبيح لها أن تبديه : الكحل ، والخاتم ، والسواران ، والوجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان ، قال : ثنا مسلم الملائى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ ماظَهَرَ مِنْها) قال : الكحل والخاتم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلىّ ، قال : ثنا مروان ، عن مسلم الملائىّ ، عن سعيد بن جُبير ، مثله ، ولم يذكر ابن عباس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن أبى عبد الله نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : الظاهر منها : الكحل والخَدّان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمز ، عن سعيد ابن جُبير ، فى قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الوجه والكفّ .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عبد الله بن مسلم بن هُرمز المكىّ ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، عن عطاء فى قول الله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الكفّان والوجه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ عن سعيد ، عن قَتادة قال : الكحل ، والسواران والخاتم .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : والزينة الظاهرة : الوجه ، وكُحل العين ، وخِضاب الكفّ ، والخاتم ؛ فهذه تظهر فى بيتها لمن دخل من الناس عليها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : المسكتان والخاتم والكحل ، قال قتادة : وبلغنى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم

قال « لايحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج يدها إلاّ إلى هاهنا، وقبض نصف الذراع »

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن رجل، عن المِسْوَر ابن مخرمة ، فى قوله (إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : القلبين ، والخاتم ، والكحل : يعنى السوار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الخاتم والمسكة .

قال ابن جُرَيج ، وقالت عائشة : القُلْب والفَتْخَة ، قالت عائشة : « دخلت علىّ ابنة أخى لأمى عبد الله ابن الطفيل مزينَّة ، فدخل النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، فقالت عائشة : يا رسول الله إنها ابنة أخى وجارية ، فقال : إذا عَرَكَت المرأة لم يحلّ لها أن تظهر إلا وجهها، وإلا ما دون هذا ، وقبض على ذراع نفسه ، فترك بين قبضته وبين الكفّ مثل قبضة أخرى » . وأشار به أبو علىّ .

قال ابن جُرَيج ، وقال مجاهد : قوله (إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الكحل والخضاب والخاتم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن عامر (إلاّ ماظَهَرَ مِنْها) قال : الكحل ، والخضاب ، والثياب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها) من الزينة : الكحل ، والخضاب والخاتم ، هكذا كانوا يقولون ، وهذا يراه الناس .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا عمر بن أبى سلمة ، قال : سئل الأوزاعى عن (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الكفين والوجه .

حدثنا عمرو بن بندق ، قال : ثنا مروان، عن جُوَيبر ، عن الضحاك فى قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) قال : الكفّ والوجه .

وقال آخرون : عَنَى به الوجه والثياب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : قال يونس (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال الحسن : الوجه والثياب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قَتادة ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها) قال : الوجه والثياب .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِى بذلك : الوجهُ والكفان ، يدخل فى ذلك إذا كان كذلك : الكحل ، والخاتم ، والسِّوار ، والخِضاب .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالتأويل : لإجماع الجميع على أن على كلّ مصلّ أن يستر عورته فى صلاته ، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها فى صلاتها ، وأن عليها أن تستر ماعدا ذلك من بدنها ، إلا ما رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديه، من ذراعها إلى قدر النصف . فإذ كان ذلك

(١) عركت الجارية تعرك (كتنصر) عركا وعراكا وعروكا : حاضت ، فهى عارك ؛ وأعركت فهى معرك .

من جميعهم إجماعا ، كان معلوما بذلك أن لها أن تبدى من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال ، لأن ما لم يكن عورة ، فغير حرام إظهاره . وإذا كان لها إظهار ذلك ، كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره ، بقوله (إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها) ، لأن كل ذلك ظاهر منها .

وقوله (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : وليلقين خُمُرَهنّ ، وهى جمع خمار ، على جيوبهنّ ، ليسترن بذلك شعورهنّ وأعناقهن وقُرْطَهُنَّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم بن نافع ، قال : ثنا الحسن بن مسلم بن يناق ، عن صفية بنت شيبة ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت هذه الآية (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ) قال : شققن البُرد مما يلى الحواشى ، فاختمرن به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، أن قرة بن عبد الرحمن ، أخبره ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم أنها قالت : يرحم الله النساء المهاجرات الأول ! لما أنزل الله (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ) شققن أكثف مروطهنّ ، فاختمرن به .

وقوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) التى هى غير ظاهرة ، بل الخفية منها ، وذلك الخَلخال والقُرط والدُّمْلُج ، وما أُمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب ، وما وراء ما أبيح لها كشفه وإبرازه فى الصلاة وللأجنبيين من الناس ، والذراعين إلى فوق ذلك ، إلا لبعولتهنّ .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن إبراهيم (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أوْ آبائِهِنَّ) قال : هذه ما فوق الذراع .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، قال : سمعت رجلا يحدّث عن طلحة ، عن إبراهيم ، قال فى هذه الآية (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أوْ آبائِهِنَّ أو آباءِ بُعُولَتِهِنَّ) قال : ما فوق الجيب ، قال شعبة : كتب به منصور إلىّ ، وقرأته عليه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، فى قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ) قال : تبدى لهؤلاء الرأس .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ) . . . إلى قوله (عَوْرَاتِ النِّساءِ) قال : الزينة التى يبدينها لهؤلاء : قرطاها وقلادتها وسِوارها ، فأما خلخالاها ومِعْضداها ونحرها وشعرها ، فإنه لا تبديه إلا لزوجها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قال ابن مسعود ، فى قوله (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ) قال : الطوق والقُرطين ، يقول الله تعالى ذكره :

قل للمؤمنات الحرائر: لايظهرن هذه الزينة الخفية، التى ليست بالظاهرة، إلا لبعولتهن ، وهم أزواجهن، واحدهم: بعل ، أو لآبائهن ، أو لآباء بعولتهن ، يقول : أو لآباء أزواجهن ، أو لأبنائهن ، أو لأبناء بعولتهن، أو لإخوانهن، أو لبنى إخوانهن . ويعنى بقوله (أَوْ لِإِخْوَانِهِنَّ) أو لإِخْوَانِهِنَّ، أو لبنى إخوانهن، أو بنى أخواتهن ، أو نسائهن . قيل : عنى بذلك نساء المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (أَوْ نِسَائِهِنَّ) قال : بلغنى أنهن نساء المسلمين ، لايحل لمسلمة أن ترى مشركة عريتها ، إلا أن تكون أمة لها ، فذلك قوله : (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) .

قال : ثنى الحسين، قال : ثنى عيسى بن يونس ، عن هشام بن الغازى ، عن عبادة بن نسى ، أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة ، أو ترى عَوْرتها ، ويتأوّل أو نسائهن .

قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن هشام ، عن عبادة ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبى عُبيدة بن الجرّاح رحمة الله عليهما : أما بعد ، فقد بلغنى أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب ، فامنع ذلك، وحُلْ دونه . قال : ثم إن أبا عُبيدة قام فى ذلك المقام مبتهلا : اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم ، تريد البياض لوجهها ، فسوّد وجهها يوم تبيض الوجوه .

وقوله (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : أو مماليكهن ، فإنه لابأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى عمرو بن دينار ، عن مخلد التميمى ، أنه قال، فى قوله (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) قال : فى القراءة الأولى : أيمانكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو ما ملكت أيمانهن من إماء المشركين ، كما قد ذكرنا عن ابن جُرَيج قبل، من أنه لما قال (أَوْ نِسَائِهِنَّ) عنى بهن النساء المسلمات دون المشركات، ثم قال : أو ماملكت أيمانهن من الإماء المشركات .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ، وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

يقول تعالى ذكره: والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لاأرب له فى النساء من الرجال، ولا حاجة به إليهن ، ولا يريدهن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (أوِ التَّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ) قال : كان الرجل يتبع الرجل فى الزمان الأوّل لايغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده ، وهو الأحمق الذى لاحاجة له فى النساء .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَوِ التَّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ) فهذا الرجل يتبع القوم ، وهو مُغَفَّل فى عقله ، لايكترث للنساء ، ولا يشتهيهنّ ، فالزينة التى تبديها لهؤلاء : قرطاها ، وقلادتها ، وسِواراها ؛ وأما خَلْخالاها ، ومِعْضداها ، ونحرها ، وشعرها ، فإنها لاتبديه إلا لزوجها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أوِ التَّابِعِينَ) قال : هو التابع يتبعك يصيب من طعامك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أوِ التَّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ) قال : الذى يريد الطعام ، ولا يريد النساء .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أوِ التَّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ) الذين لايهمهم إلا بطونهم ، ولا يُخافون على النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا إسماعيل بن موسى السُّدىّ قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (غيرِ أُولى الإرْبَةِ) قال : الأَبْلَه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قوله (غيرِ أُولى الإرْبَةِ قال : هو الأبلَه ، الذى لايعرف شيئا من النساء .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ) الذى لاأرب له بالنساء مثل فلان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق عمن حدثه ، عن ابن عباس (غيرِ أُولى الإرْبَةِ) قال : هو الذى لاتستحيى منه النساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن الشعبىّ (غيرِ أُولى الإرْبَةِ) قال : من تَبَع الرجل وحشمه : الذى لم يبلغ أَرَبه أن يطلّع على عَورة النساء .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبىّ (غيرِ أُولى الإرْبَةِ) قال : الذى لاأرب له فى النساء .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سَلَمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، قال : المعتوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرىّ فى قوله (أوِ التَّابِعِينَ غَيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ) قال : هو الأحمق ، الذى لاهمة له بالنساء ولا أرب .

وبه عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، فى قوله (غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ) يقول : الأحمق ، الذى ليست له همة فى النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : الذى لاحاجة له فى النساء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أوَ التَّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ مِنَ الرجالِ) قال : هو الذى يَتْبَع القوم ، حتى كأنه كان منهم ، ونشأ فيهم ، وليس يتبعهم لإربة نسائهم ، وليس له فى نسائهم إربة ، وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة قالت « كان رجل يدخل على أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم مُخَنَّث ، فكانوا يعدّونه من غير أولى الإربة ، فدخل عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه ، وهو ينعت امرأة ، فقال : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : لاأرَى هَذَا يَعْلَمُ ما هَاهُنا ، لايَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُمْ ، فحَجَبُوه » .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكَم المِصرىّ ، قال : ثنا حفص بن عمر العَدَنىّ ، قال : ثنا الحكم ابن أبان ، عن عكرِمة فى قوله (أوِ التَّابِعِينَ غيرِ أُولى الإرْبَةِ) قال : هو المُخَنَّث ، الذى لايقوم زُبّه .

واختلف القرّاء فى قوله (غيرِ أُولى الإرْبَةِ) فقرأ ذلك بعض أهل الشام ، وبعض أهل المدينة والكوفة ، (غيرَ أُولى الإرْبَةِ) بنصب غير ؛ ولنصب غير هاهنا وجهان : أحدهما على القطع من التابعين ، لأن التابعين معرفة وغير نكرة ، والآخر على الاستثناء ، وتوجيه غير إلى معنى « إلا » ، فكأنه قيل : إلّا . وقرأ غير من ذكرت بخفض (غَيرِ) ، على أنها نعت للتابعين ، وجاز نعت التابعين بغير ، والتابعون معرفة ، وغيرُ نكرة ، لأن التابعين معرفة غير مؤقتة . فتأويل الكلام على هذه القراءة ، أو الذين هذه صفتهم .

والقول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مستفيضةٌ القراءة بهما فى الأمصار ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الخفض فى غير : أقوى فى العربية ، فالقراءة به أعجب إلىّ ، والإربة : الفِعْلة من الأَرَب ، المثل الجِلسة من الجُلوس ، والمِشية من المَشْى ، وهى الحاجة : يقال : لاأرب لى فيك : لاحاجة لى فيك ؛ وكذا أَرِبْتُ لكذا وكذا : إذا احتجت إليه ، فأنا آرب له أربا . فأما الأُرْبة ، بضم الألف : فالعُقْدة :

وقوله (أوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا على عَوْرَاتِ النِّساءِ) يقول تعالى ذكره : أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهنّ ، فيظهروا عليهن ، لصغرهنّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على عَوْرَاتِ النِّساءِ) قال : لم يَدْرُوا ما ثَمَّ ، من الصِّغَر قبل الحُلُم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنَّ ، لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : ولا يجعلن فى أرجلهنّ من الحُلِىّ ، ما إذا مَشَيْن أو حرّكنهنّ ، علم الناس الذين مشين بينهم ، ما يخفين من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم حَضْرمىّ ، أن امرأة اتخذت بُرَتَيْن (١) من فضة ، واتخذت جَزْعا ، فمرّت على قوم ، فضربت برجلها ، فوقع الخلخال على الجَزْع . فصوّت ، فأنزل الله (وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : كان فى أرجلهن خَرَز ، فكنّ إذا مررن بالمجالس ، حرّكن أرجلهنّ ، ليعلم ما يُخْفين من زينتهنّ .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنَّ) فهو أن تَقَرَع الخَلْخال بالآخر عند الرجال ، ويكون فى رجليها خلاخل ، فتحرّكهنّ عند الرجال ، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، لأنه من عمل الشيطان .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : هو الخَلْخال ، لا تضرب امرأة برجلها ، ليسمع صوت خَلْخالها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا يَضْرِبْنَ بأرْجُلِهِنَّ ، لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : الأجراس من حُلِيهنّ يجعلنها فى أرجلهنّ ، فى مكان الخلاخل ، فنهاهنّ الله أن يضربن بأرجلهنّ ، لتسمع تلك الأجراس .

---

(١) مثنى برة ، بتخفيف الراء وهى كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها . قال * وقعقعن الخلاخل والبرينا * وفى الأصل : « مرين » بدون نقط . وانظر (اللسان : برا) .

وقوله (وَتُوبُوا إلى الله جَمِيعا أيُّها المُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم ، من غَضّ البصَر ، وحفظ الفرج ، وترك دخول بيوت غير بيوتكم ، من غير استئذان ولا تسليم ، وغير ذلك من أمره ونهيه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يقول : لتفلحوا وتدركوا طَلِباتكم لديه ، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ، إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : وزوّجوا أيها المؤمنون من لازوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم . والأيامَى : جمع أيِّم ، وإنما جمع الأيّم أيامَى ، لأنها فعيلة فى المعنى ، فجُمعت كذلك ، كما جمعت اليتيمة : يتامَى ؛ ومنه قول جميل :

أُحِبُّ الأيامَى إذْ بُثَيْنَةُ أيِّمٌ وأحْبَبْتُ لَمَّا أنْ غَنِيتِ الغَوَانِيا[1]

ولو جمعت أيائم كان صوابا ، والأيِّم يوصف به الذكر والأنثى ، يقال : رجل أيِّم ، وامرأة أيِّم وأيِّمة : إذا لم يكن لها زوج ؛ ومنه قول الشاعر :

فإنْ تَنْكِحِى أنْكِحْ وَإنْ تَتَأَيَّمِى (وإنْ كُنْتُ أفْتَى منكمُ) أتَأَيَّمِ[2]

(إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ) يقول : إن يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامَى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم ، أهلَ فاقة وفقر ، فإن الله يغنيهم من فضله ، فلا يمنعنكم فقرهم من إنكاحهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإمائِكُمْ) قال : أمر الله سبحانه بالنكاح ، ورغّبهم فيه

---

(١) البيت لجميل العذرى صاحب بثينة ، كما قال المؤلف ، وكما فى (اللسان : غنا) . قال : والغانية : التى غنيت بالزوج ، وقال جميل : « أحب الأيامى . . . البيت » وغنيت المرأة بزوجها غنيانا . أى استغنت . والأيامى : جمع أيم ، وهى فى الأصل : التى لازوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، مطلقة كانت أو متوفى عنها (اللسان) . وفى التنزيل العزيز : « وأنكحوا الأيامى منكم » : دخل فيه الذكر والأنثى ، والبكر والثيب . واستشهد به المؤلف على أن الأيم : التى ليس لها زوج .

(٢) البيت أنشده صاحب (اللسان) فى أيم ، قال : وتأيم الرجل زمانا ، وتأيمت المرأة : إذا مكثا أياما وزمانا لايتزوجان ، وأنشد ابن برى :

فإنْ تَنْكِحِى أنْكِحْ وَإنْ تَتَأيَّمِى (يَدَ الدَّهْرِ ما لَمْ تَنْكِحِى) أتَأَيَّمِ

وفى رواية الشطر خلاف بين ما أنشده المؤلف ، وما أنشده ابن برى . والشاهد فيه عند المؤلف ، كما قدمناه فى الشاهد الذى قبله ، وهو أن الأيم من الرجال أو النساء : من لازوج له أولها . والفعل منه آم يئيم ، وتأيم يتأيم .

وأمرهم أن يزوّجوا أحرارَهم وعبيدَهم ، ووعدهم فى ذلك الغنى ، فقال (إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن أبو الحسن ، وكان إسماعيل بن صُبيح مَوْلى هذا ، قال : سمعت القاسم بن الوليد ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « التمسوا الغنى فى النكاح ، يقول الله (إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءُ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) » .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنْكِحُوا الأيامَى مِنكُمْ) قال : أيامى النساء : اللاتى ليس لهنّ أزواج .

وقوله (وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه : والله واسع الفضل ، جواد بعطاياه ، فزوجوا إماءكم ، فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله ، إن كانوا فقراء . عليم : يقول : هو ذو علم بالفقير منهم والغنىّ ، لايخفى عليه حال خلقه فى شىء وتدبيرهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ، وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ، وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ

يقول تعالى ذكره : (وليَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ) ماينكحون به النساء عن إتيان ماحرّم الله عليهم من الفواحش (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ) سعة (فَضْلِهِ) ، ويوسِّع عليهم من رزقه .

وقوله (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم (فكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) .

واختلف أهل العلم فى وجه مكاتبة الرجل عبده الذى قد علم فيه خيرا ، وهل قوله (فَكاتِبُوهُم إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) على وجه الفرض ، أم هو على وجه الندب ؟ فقال بعضهم : فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذى قد علم فيه خيرا ، إذا سأله العبد ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، قال : قلت لعطاء : أواجب علىّ إذا علمت مالا أن أكاتبه ، قال : ما أراه إلا واجبا ، وقالها عمرو بن دينار ، قال : قلت لعطاء : أتأثِرُه عن أحد ؟ قال : لا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن سيرين ، أراد أن يكاتبه ، فتلكّأ عليه ، فقال له عمر : لتكاتبنه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لاينبغى لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح الذى له المال ، يريد أن يكاتب ألّا يكاتبه .

وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد، وإنما قوله (فَكَاتِبُوهُمْ): نَدْب من الله سادةَ العبيد إلى كتابة من علم فيه منهم خير ، لاإيجاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال مالك بن أنس : الأمر عندنا: أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه، إذا سأله ذلك ، ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده . وقد سمعت بعض أهل العلم، إذا سُئل عن ذلك ، فقيل له : إن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه (فَكَاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) يتلو هاتين الآيتين (فإذَا حَلَلْتُمْ فاصْطادُوا ، فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فى الأرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) قال مالك : فإنما ذلك أمر أذن الله فيه للناس، وليس بواجب على الناس ، ولا يلزم أحدا . وقال الثورىّ : إذا أراد العبد من سيده أن يكاتبه ، فإن شاء السيد أن يكاتبه كاتبه ، ولا يُجْبر السيد على ذلك .

حدثنى بذلك علىّ عن زيد عنه ؛ وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَكَاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : ليس بواجب عليه أن يكاتبه ، إنما هذا أمر أذن الله فيه ودليل .

⁂ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكاتبه ، إذا علم فيه خيرا ، وسأله العبد الكتابة ، وذلك أن ظاهر قوله (فَكَاتِبُوهُمْ) ظاهر أمر ، وأمر الله فرضٌ الانتهاء إليه ، ما لم يكن دليلٌ من كتاب أو سنة ، على أنه ندب ، لما قد بيَّنا من العلة فى كتابنا المسمى « البيان عن أصول الأحكام » .

وأما الخير الذى أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم ، فهو القُدْرة على الاحتراف والكسب ، لأداء ما كوتبوا عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كره أن يكاتب مملوكه إذا لم تكن له حرفة ، قال : تطعمنى أوساخ الناس .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) يقول : إن علمتم لهم حيلة ، ولا تلقوا مُؤْنتهم على المسلمين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : سئل مالك بن أنس ، عن قوله (فكاتبوهم إن علمتم فيه خيرا) فقال : إنه ليقال : الخير : القوة على الأداء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن زيد ، عن أبيه ، قول الله (فَكَاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : الخير : القوة على ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن علمتم فيهم صدقا ، ووفاء ، وأداء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله (فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : صدقا ، ووفاء ، وأداء ، وأمانة .

قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وطاوس ، أنهما قالا في قوله (فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قالا : مالا ، وأمانة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (فكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : أداء ، وأمانة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، قال : كان إبراهيم يقول في هذه الآية (فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : صدقا ، ووفاء ، أو أحدهما .

حدثنا أبو بكر ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، في قوله (فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : أداء ومالا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، قال : قال عمرو بن دينار : أحسبه كل ذلك المال والصلاح .

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان (إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرا) يعني : صدقا ، ووفاء ، وأمانة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) ، قال : إن علمت فيه خيرا لنفسك ، يؤدّي إليك ويصدّقك ما حدثك ، فكاتبه .

وقال آخرون بل معنى ذلك : إن علمتم لهم مالا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) يقول : إن علمتم لهم مالا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس (إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : مالا .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : (فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : مالا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال لهم مالا ، فكاتبوهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : إن علمتم لهم مالا ، كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زَاذان ، عن عطاء بن أبى رَباح (فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : مالا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، قال : إن علمتم عندهم مالا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى محمد بن عمرو اليافعىّ ، عن ابن جُرَيج ، أن عطاء بن أبى رَباح ، كان يقول : ما نراه إلا المال ، يعنى قوله (إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : ثم تلا (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ إنْ تَرَكَ خَيْرًا) .

⁂ وأولى هذه الأقوال فى معنى ذلك عندى : قول من قال : معناه : فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوّة على الاحتراف والاكتساب ، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها ، وصدق لهجة . وذلك أن هذه المعانى هى الأسباب التى بمولى العبد الحاجةُ إليها إذا كاتب عبده ، مما يكون فى العبد ؛ فأما المال وإن كان من الخير ، فإنه لايكون فى العبد ، وإنما يكون عنده أوله لا فيه ، والله إنما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيرا ، لا إذا علمنا عنده أو له ، فلذلك لم نقل : إن الخير فى هذا الموضع معنىّ به المال .

وقوله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) يقول تعالى ذكره : وأعطُوهم من مال الله الذى أعطاكم .

ثم اختلف أهل التأويل فى المأمور بإعطائه من مال الله الذى أعطاه مَنْ هو؟ وفى المال أىّ الأموال هو؟ فقال بعضهم : الذى أمر الله بإعطاء المكاتب من مال الله : هو مولَى العبد المكاتَب ، ومال الله الذى أُمر بإعطائه منه هو مال الكِتابة ، والقدر الذى أمر أن يعطيه منه : الربع .

وقال آخرون : بل ما شاء من ذلك المولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ ، عن علىّ فى قول الله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : ربع المكاتبة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ ، فى قول الله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : ربع الكتابة يحطُّها عنه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن ليث ، عن عبد الأعلى ، عن أبى عبد الرحمن ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قول الله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : الربع من أوّل نجومه .

قال : أخبرنا ابن عُلَيَة ، قال : عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ ، فى قوله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : الربع من مكاتبته .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأَحمسىّ ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك بن أبى سليمان ، عن عبد الملك بن أعين ، قال : كاتب أبو عبد الرحمن غلاما فى أربعة آلاف درهم ، ثم وضع له الربع ، ثم قال : لولا أنى رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ، ثم وضع له الربع ، ما وضعت لك شيئا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الأعلى ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى أنه كاتب غلاما له على ألف ومِئتين ، فترك الربع وأشهدنى ، فقال لى : كان صديقك يفعل هذا ، يعنى عليا رضوان الله عليه ، يتأوّل (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، قال : ثنى فضالة بن أبى أمية ، عن أبيه ، قال : كاتبنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فاستقرض لى من حَفْصة مِئَتى درهم . قلت : ألا تجعلها فى مكاتبتى ؟ قال : إنى لاأدرى أدرك ذاك أم لا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، بلغنى أنه كاتبه على مِئَة أوقية : قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، قال : ذكرت ذلك لعكرِمة ، فقال : هو قول الله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قول الله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) يقول : ضعوا عنهم من مكاتبتهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) يقول : ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك بن أبى سليمان ، عن عطاء ، فى قوله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : مما أخرج الله لكم منهم .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : آتِهِم مما فى يديك .

حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى ، قال : ثنى أبى ، عن أسباط ، عن السدىّ ، عن أبيه ، قال : كاتبتْنى زينب بنت قيس بن مَخْرمة من بنى المطلب بن عبد مناف ، على عشرة آلاف ، فتركت لى ألفا ، وكانت زينب قد صلّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا أبو مسعود الجريرىّ ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد ، مولى أبى أَسِيد ، قال : كاتبنى أبو أَسِيد ، على ثنتى عشرة مئة ، فجئته بها ، فأخذ منها ألفا ، وردّ علىّ مِئتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه ، لم يضع عنه شيئا من أوّل نجومه ، مخافة أن يعجِز ، فترجع إليه صدقته ، ولكنه إذا كان فى آخر مكاتبته ، وضع عنه ما أحبّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى مَخْرَمة ، عن أبيه ، عن نافع ، قال : كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف ، على خمسة وثلاثين ألف درهم ، فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ، ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيئا غير الذى وضع له .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال مالك : سمعت بعض أهل العلم يقول : إن ذلك أن يكاتب الرجل غلامه ، ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمًّى ، قال مالك : وذلك أحسن ماسمعت ، وعلى ذلك أهل العلم ، وعملُ الناس عندنا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان : أحبّ إلىّ أن يعطيه الربع ، أو أقلّ منه شيئا ، وليس بواجب ، وأن يفعل ذلك حسن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن حبيب أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ رضى الله عنه (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : هو ربع المكاتبة .

وقال آخرون : بل ذلك حضّ من الله أهل الأموال ، على أن يعطوهم سهمهم الذى جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم فى أموالهم بقوله : (إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْها والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهم وفِي الرِّقابِ) قال : فالرِّقاب التى جعل فيها أحد سُهْمان الصدقة الثمانية : هم المكاتَبون ، قال : وإياه عنى جلّ ثناؤه بقوله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) : أى سَهمْهم من الصدقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنى يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن ابن زيد ، عن أبيه ، قوله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : يحثّ الله عليه ، يُعْطَوْنه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : حثّ الناسَ عليه : مولاه وغيره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، فى قوله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : يعطِى مكاتَبَه وغيره ، حَثَّ الناس عليه .

حدثنى يعقوب قال : ثنا هُشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال فى قوله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : أمر المسلمين أن يُعْطُوهم مما آتاهم الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن زيد ، عن أبيه (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : ذلك فى الزكاة على الوُلاة يعطونهم من الزكاة ، يقول الله (وفِي الرِّقابِ) .

قال : ثنى ابن زيد ، عن أبيه (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) قال : الفَىْء والصدقات . وقرأ قول الله (إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ) ، وقرأ حتى بلغ (وفِي الرِّقابِ) فأمر الله أن يوفّوها

منه، فليس ذلك من الكتابة، قال: وكان أبي يقول ماله وللكتابة، هو من مال الله الذى فَرَض له فيه نصيبا.

⁂ وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندى: القول الثانى، وهو قول من قال: عَنَى به إيتاءَهم سهمهم من الصدقة المفروضة.

وإنما قلنا ذلك أولى القولين؛ لأن قوله (وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِى آتاكُمْ) أمر من الله تعالى ذكره بإيتاء المكاتَبِين من ماله الذى آتى أهل الأموال، وأمر الله فرض على عباده الانتهاءُ إليه، ما لم يخبرهم أن مراده النَّدْب، لما قد بيَّنا فى غير موضع من كتابنا، فإذ كان ذلك كذلك، ولم يكن أخبرنا فى كتابه، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، أنه نَدْب، ففرض واجب. وإذ كان ذلك كذلك، وكانت الحجة قد قامت أن لاحقَّ لأحد فى مال أحد غيره من المسلمين، إلا ما أوجبه الله لأهل سُهمان الصدقة، فى أموال الأغنياء منهم، وكانت الكتابة التى يقتضيها سيد المكاتَب من مكاتَبِه مالا من مال سيد المكاتَب، فيفاد أن الحقّ الذى أوجب الله له على المؤمنين، أن يؤتوه من أموالهم، هو مافُرِض على الأغنياء فى أموالهم له، من الصدقة المفروضة، إذ كان لاحقّ فى أموالهم لأحد سواها.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا، وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)

⁂ يقول تعالى ذكره: زَوِّجوا الصالحين من عبادكم وإمائكم، ولا تُكْرِهوا إماءَكم على البغاء، وهو الزنا: (إنْ أرَدْنَ تَحَصُّنا) يقول: إن أردن تعففا عن الزنا (لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَياةِ الدُّنْيا) يقول: لتلتمسوا بإكراهكم إياهنّ على الزنا عَرَض الحياة، وذلك ما تعرِض لهم إليه الحاجة، من رياشها وزينتها وأموالها، (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ) يقول: ومن يُكْرِه فَتياته على البغاء، فإن الله من بعد إكراهه إياهنّ على ذلك، لهم (غَفُورٌ رَحِيمٌ)، ووِزْر ما كان من ذلك عليهم دونهن..

وذُكر أن هذه الآية أنزلت فى عبد الله بن أبىّ ابن سَلُول، حين أكره أمته مُسَيكة على الزنا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن الصباح، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جُرَيج، قال: أخبرنى أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: جاءت مسيكة لبعض الأنصار فقالت: إن سيدى يكرهنى على الزنا، فنزلت فى ذلك (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ على البِغاءِ).

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى، قال: ثنا أبى، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن أبى سفيان عن جابر، قال: كانت جارية لعبد الله بن أبىّ ابن سَلول، يقال لها مُسَيْكة، فآجرها وأكرهها «الطبرىّ شكّ» فأتت النبىّ صلى الله عليه وسلم، فشكَتْ ذلك إليه، فأنزل الله (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى

البِغاءِ إنْ أرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَياةِ الدُّنْيا ، وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فإنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعنى بهنّ .

حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عَبْثَر، قال: ثنا حصين، عن الشعبىّ، فى قوله (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغاءِ) قال: رجل كانت له جارية تفجر، فلما أسلمت نزلت هذه .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: أخبرنى أبو الزبير، عن جابر، قال: جاءت جارية لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدى أكرهنى على البغاء، فأنزل الله فى ذلك: (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغاءِ) قال ابن جُرَيج: وأخبرنى عمرو بن دينار، عن عكرِمة، قال: أمة لعبد الله بن أُبىّ، أمرها فزنت، فجاءت بُبْرد، فقال لها ارجعى فازنى، قالت: والله لاأفعل، إن يك هذا خيرا، فقد استكثرت منه، وإن يك شرّا فقد آن لى أن أدعه. قال ابن جُرَيج، وقال مجاهد نحو ذلك، وزاد قال: البِغاء: الزنا. (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال: للمكرَهات على الزنا، وفيها نزلت هذه الآية .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهرىّ، أن رجلا من قريش أُسِر يوم بدر. وكان عبد الله بن أُبىّ أسره، وكان لعبد الله جارية يقال لها مُعاذة، فكان القرشىّ الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة، فكانت تمتنع منه، لإسلامها، وكان ابن أُبىّ يُكرهها على ذلك ويضربها، رجاء أن تحمل للقرشىّ، فيطلب فِداء ولده، فقال الله: (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغاءِ إنْ أرَدْنَ تَحَصُّنًا) قال الزهرىّ (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فإنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول: غفور لهنّ ما أُكْرِهن عليه .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جُبير: أنه كان يقرأ (فإنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البَغاءِ إنْ أرَدْنَ تَحَصُّنًا) يقول: ولا تكرهوا إماءكم على الزنا، فإن فعلتم فإن الله سبحانه لهنّ غفور رحيم، وإثمهنّ على من أكرههنّ .

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغاءِ) . . . إلى آخر الآية، قال: كانوا فى الجاهلية يُكْرِهون إماءهم على الزنا، يأخذون أجورهنّ، فقال الله: لاتكرهوهنّ على الزنا من أجل المَنالة فى الدنيا، ومن يكرههنّ فإن الله من بعد إكراههنّ غفور رحيم لهن: يعنى إذا أكرهن .

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغاءِ) على الزنا، قال عبد الله بن أُبىّ ابن سَلُول أمر أمة له بالزنا، فجاءته بدينار أو بُبرد، شكّ أبو عاصم، فأعطته، فقال: ارجعى فازنى بآخر، فقالت: والله ما أنا براجعة، فالله غفور رحيم للمكرَهات على الزنا، فى هذا أنزلت هذه الآية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : أمر أمة له بالزنا ، فزنت ، فجاءته ببرد فأعطته ، فلم يشكّ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغاءِ) يقول : على الزنا (فإنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : غفور لهنّ ، للمكرهات على الزنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فإنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ) قال : غفور رحيم لهنّ حين أكرهن ، وقُسِرْن على ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يأمرون ولائدهم يُباغين ، يفعلن ذلك ، فيصبن ، فيأتينهم بكسبهنّ ، فكانت لعبد الله بن أُبيّ ابن سَلُولَ جارية ، فكانت تُباغي ، فكرهت وحلفت أن لاتفعله ، فأكرهها أهلها ، فانطلقت فباغت ببرد أخضر ، فأتتهم به ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغاءِ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ، وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دِلالات وعلامات مبيِّنات : يقول : مفصِّلاتٍ الحقّ من الباطل ، وموضِّحات ذلك .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين (مُبَيَّناتٍ) بفتح الياء : بمعنى مفصَّلات ، وأن الله فصَّلهن وبيَّنهنّ لعباده ، فهنّ مفصَّلات مبيَّنات . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (مُبَيِّناتٍ) بكسر الياء ، بمعنى أن الآيات هن تبين الحقّ والصواب للناس ، وتهديهم إلى الحقّ .

⁂ والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذ فصّلها وبيَّنها صارت مبيِّنة بنفسها الحقّ ، لمن التمسه من قِبَلها ، وإذا بيَّنت ذلك لمن التمسه من قِبَلها ، فبيين الله ذلك فيها ، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ ، فمصيب في قراءته الصواب .

وقوله (وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) من الأمم ، وموعظة لمن اتقى الله ، فخاف عقابه وخشي عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ، ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ

زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ، يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ، وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ، وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) هادى من فى السموات والأرض ، فهم بنوره إلى الحقّ يهتدون ، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : فيه نحو الذى قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول : الله سبحانه هادى أهل السموات والأرض .

حدثنى سليمان بن عمر بن خَلْدة الرَّقى ، قال : ثنا وهب بن راشد ، عن فرقد ، عن أنس بن مالك ، قال : إن إلهى يقول : نورى هُداى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الله مدبِّر السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال مجاهد وابن عباس فى قوله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يدبِّر الأمر فيهما : نجومَهما وشمسَهما وقمرَهما .

وقال آخرون : بل عنى بذلك النور : الضياء . وقالوا : معنى ذلك : ضياء السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع ابن أنَس ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب ، فى قول الله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) قال : فبدأ بنور نفسه ، فذكره ، ثم ذكر نور المؤمن .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك ؛ لأنه عَقِيب قوله (وَلَقَدْ أنْزَلْنا إلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ ، وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه . ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه ، أولى وأشبه ، ما لم يأت ما يدلّ على انقضاء الخبر عنه من غيره . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : ولقد أنزلنا إليكم أيُّها الناس ، آيات مبينات الحق من الباطل . (وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) فهديناكم بها ، وبيَّنا لكم معالم دينكم بها ، لأنى هادى أهل السموات وأهل الأرض ، وترك وصل الكلام باللام ، وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء ، وفيه المعنى الذى ذكرْت ، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره ، ثم ابتدأ فى الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التى أنزلها إليهم ، فقال (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيها مِصْبَاحٌ) يقول : مثل ما أنار من الحقّ بهذا التنزيل فى بيانه : كمشكاة .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالهاء فى قوله (مَثَلُ نُورِهِ) علام هى عائدة ، ومن ذكر ماهى ؟ فقال بعضهم : هى من ذكر المؤمن ، وقالوا : معنى الكلام : مثل نور المؤمن الذى فى قلبه من الإيمان والقرآن : مثل مشكاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب ، فى قول الله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : ذكر نور المؤمن فقال : مثل نوره ، يقول : مثل نور المؤمن . قال : وكان أبىّ يقرؤها كذلك : مَثَلُ المؤمن ، قال : هو المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن فى صدره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ ابن كعب (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) قال : بدأ بنور نفسه ، فذكره ، ثم قال (مَثَلُ نُورِهِ) يقول : مثل نور مَنْ آمن به . قال : وكذلك كان يقرأ أُبىّ ، قال : هو عبد جعل الله القرآن والإيمان فى صدره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير (مَثَلُ نُورِهِ) قال : مثل نور المؤمن .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدى ، قال : ثنا يحيى بن اليمان ، عن أبى سِنان ، عن ثابت ، عن الضحاك فى قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : نور المؤمن .

وقال آخرون : بل عُنِى بالنور : محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : الهاء التى فى قوله (مَثَلُ نُورِهِ) : عائدة على اسم الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمِّىّ ، عن حفص ، عن شَمِر ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له : حدثنى عن قول الله عزّ وجلّ (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) . . . الآية ، فقال كعب : الله نور السموات والأرض ، مَثَل نوره : مثل محمد صلى الله عليه وسلم : كمشكاة .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدى ، قال : ثنا يحيى بن اليمان ، عن أشعث ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جُبير فى قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : هَدْى الله وبيانه ، وهو القرآن ، قالوا : والهاء من ذكر الله ، قالوا : ومعنى الكلام : الله هادى أهل السموات والأرض بآياته المبينات ، وهى النور الذى استنار به السموات والأرض ، مَثَلُ هداه وآياته التى هَدَى بها خلقه ، ووعظهم بها فى قلوب المؤمنين : كمشكاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (مَثَلُ نُورِهِ) مثل هُدَاه فى قلب المؤمن .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : مثل هذا القرآن فى القلب : كمشكاة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَثَلُ نُورِهِ) : نورِ القرآن الذى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده ، هذا مثل القرآن (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبد الله بن عَيَّاش ، قال : قال زيد بن أسلم ، فى قول الله تبارك وتعالى (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) ونوره الذى ذكر : القرآن ، ومَثَلُه الذى ضَرَب له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مثل نور الله ، وقالوا : يعنى بالنور : الطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد : كيف يَخلُص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مَثَلَ ذلك لنوره ، فقال (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال : وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمَّى طاعته نورا ، ثم سماها أنوارا شتَّى .

وقوله (كَمِشْكَاةٍ) اختلف أهل التأويل فى معنى المِشكاة والمصباح ، وما المراد بذلك ، وبالزجاجة ، فقال بعضهم : المِشكاة كل كَوّة لامنفذَ لها ، وقالوا : هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شَمِر ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له : حدثنى عن قول الله (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال : المشكاة وهى الكَوّة ، ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، المِشكاة (فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ) قلبه (فِى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ) صدره الزجاجة (كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) شبه صدر النبىّ صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدرىّ ، ثم رجع المصباح إلى قلبه ، فقال (تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) لم تمسّها شمس المشرق ولا شمس المغرب (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) يكاد محمد يبين للناس ، وإن لم يتكلم أنه نبىّ ، كما يكاد ذلك الزيت يضىء (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَمِشْكَاةٍ) يقول : موضع الفتيلة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) . . . إلى (كَمِشْكَاةٍ) قال : المِشكاة : كَوّة البيت .

وقال آخرون : عنى بالمشكاة : صدر المؤمن ، وبالمصباح : القرآن والإيمان ، وبالزجاجة : قلبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبوجعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيها مِصْباحٌ) قال : مَثَل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن فى صدره كمشكاة ، قال : المشكاة : صدره (فِيها مِصْباحٌ) قال : والمصباح القرآن والإيمان الذى جعل فى صدره (المِصْباحُ فِى زُجاجَةٍ) قال : والزجاجة : قلبه . (الزُّجاجَةُ كأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ توقَدُ) ، قال : فمثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب درّىّ ، يقول : مُضِىء (تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ) والشجرة المباركة ، أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته ، لاشريك له (لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال : فمثله مَثَل شجرة التفّ بها الشجر ، فهى خضراء ناعمة ، لاتصيبها الشمس على أىّ حال كانت ، لا إذا طلعت ، ولا إذا غَرَبت ، وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شىء من الغِير ، وقد ابتُلِى بها ، فثبته الله فيها ، فهو بين أربع خلال ، إن أُعْطِى شكر ، وإن ابتُلِى صبر ، وإن حَكَم عدل ، وإن قال صدق ، فهو فى سائر الناس كالرجل الحىّ يمشى فى قبور الأموات ، قال (نُورٌ عَلى نُورٍ) فهو يتقلّب فى خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومَدْخله نور ، ومَخْرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة فى الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى يحيى بن اليمان ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب ، قال : المشكاة : صدر المؤمن (فيها مصباح) ، قال : القرآن .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب ، نحو حديث عبد الأعلى ، عن عبيد الله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال : مثل هداه فى قلب المؤمن ، كما يكاد الزيت الصافى يضىء قبل أن تمسّه النار ، فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء ، كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيَه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ، ونورا على نور ، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة (قالَ هذا رَبّى) حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا ، فلما أخبره الله أنه ربه ، ازداد هُدًى على هدى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيها مِصْباحٌ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : كيف يخلص نور الله من دون السماء ، فضرب الله مَثَل ذلك لنوره ، فقال (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيها مِصْباحٌ) والمِشكاة : كَوّة[1] البيت فيها مصباح ،

(١) الكوة : بفتح الكاف ، والضم لغة (اللسان) .

(المِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) والمصباح : السراج يكون فى الزجاجة ، وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمى طاعته نورا ، وسماها أنواعا شتى .

قوله (تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال : هى شجرة لايئ عليها ظلّ شرق ، ولا ظلّ غرب ، ضاحية ، ذلك أصفى للزيت[1] ، (يَكادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ) قال معمر ، وقال الحسن : ليست من شجر الدنيا ، ليست شرقية ولا غربية .

وقال آخرون : هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده ، والمشكاة مثل لجوفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد وابن عباس جميعا ، المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه ، المصباح مثل الفؤاد ، والكوّة مثل الجوف .

قال ابن جُرَيج (كَمِشْكَاةٍ) : كوّة غير نافذة . قال ابن جُرَيج ، وقال ابن عباس : قوله (نُورٌ عَلَى نُورٍ) يعنى : إيمان المؤمن وعمله .

وقال آخرون : بل ذلك مثل للقرآن فى قلب المؤمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال : ككوّة (فِيها مِصْباحٌ ، المِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) نور القرآن الذى أنزل على رسوله وعباده ، فهذا مثل القرآن (كَمِشْكَاةٍ فِيها مِصْباحٌ ، المِصْباحُ فِى زُجَاجَةٍ) فقرأ حتى بلغ (مُبَارَكَةٍ) فهذا مثل القرآن يستضاء به فى نوره ويعلمونه ويأخذون به ، وهو كما هو لاينقص ، فهذا مثل ضربه الله لنوره.وفى قوله (يَكادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) قال : الضوء : إشراق ذلك الزيت ، والمشكاة : التى فيها الفتيلة التى فى المصباح ، والقناديل تلك المصابيح .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن عياض فى قوله (كَمِشْكَاةٍ) قال : الكَوّة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن عطية ، فى قوله (كَمِشْكَاةٍ) قال : قال ابن عمر : المشكاة : الكَوّة .

وقال آخرون : المِشكاة : القنديل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (كَمِشْكَاةٍ) قال : القنديل ، ثم العمود الذى فيه القنديل .

(١) فى الأصل : الزيت ، بدون لام قبلها ، وأظنه محرفا عما أثبتناه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَمِشْكَاةٍ): الصُّفْر الذى فى جوف القنديل .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله عن داود ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : المِشكاة : القنديل .

وقال آخرون : المشكاة : الحديد الذى يعلق به القنديل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن المفضل ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن مجاهد ، قال : المشكاة : الحدائد التى يعلق بها القنديل .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك مثل ضربه الله للقرآن فى قلب أهل الإيمان به ، فقال : مَثَل نور الله الذى أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذى أنزله إليهم، فآمنوا به، وصدّقوا بما فيه، فى قلوب المؤمنين ، مثل مِشكاة، وهى عمود القنديل الذى فيه الفتيلة ، وذلك هو نظير الكَوّة التى تكون فى الحيطان التى لامنفذ لها ، وإنما جعل ذلك العمود مِشكاة ، لأنه غير نافذ ، وهو أجوف مفتوح الأعلى ، فهو كالكَوّة التى فى الحائط التى لاتنفذ ، ثم قال (فِيها مِصْباحٌ) وهو السراج ، وجعل السراج وهو المصباح مثلا لما فى قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ، ثم قال (المِصْباحُ فِى زُجاجَةٍ) يعنى : أن السراج الذى فى المِشكاة : فى القنديل ، وهو الزجاجة ، وذلك مثل للقرآن ، يقول : القرآن الذى فى قلب المؤمن الذى أنار الله قلبه فى صدره ، ثم مثل الصدر فى خلوصه من الكفر بالله، والشكّ فيه ، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات ، ومواعظه فيها ، بالكوكب الدرّىّ، فقال : الزجاجة ، وذلك صدر المؤمن الذى فيه قلبه كأنها كوكب درّىّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (دُرّىّ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز (دُرِّىّ) بضم الدال، وترك الهمز . وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة: (دِرِّىء) بكسر الدال وهمزة . وقرأ بعض قرّاء الكوفة (دُرّىء) بضم الدال وهمزة، وكأن الذين ضموا داله ، وتركوا الهمزة، وجهوا معناه إلى ماقاله أهل التفسير الذى ذكرنا عنهم، من أن الزجاجة فى صفائها وحسنها كالدرّ ، وأنها منسوبة إليه لذلك من نعتها وصفتها . ووجه الذين قرءوا ذلك بكسر داله وهمزه، إلى أنه فِعِّيل من دُرَّىء الكوكبُ : أى دُفِع ورجم به الشيطان، من قوله (وَيَدْرَأُ عَنْها العَذابَ) : أى يدفع ، والعرب تسمى الكواكب العظام التى لاتعرف أسماءها الدرارىّ بغير همز .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : هى الدرارئ بالهمز ، من يَدْرأن . وأما الذين قرءوه بضمّ داله وهمزه، فإن كانوا أرادوا به درّوء مثل سُبُّوح وقدوس من درأت ، ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه، فصرفوا بعضها إلى الكسرة، فقالوا: دِرِّىء، كما قيل: (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا) وهو فُعُول، من عتوت عُتُوّا ، ثم حوّلت بعض ضماتها إلى الكسر، فقيل : عِتِيا ، فهو مذهب، وإلا فلا

أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها، وذلك أنه لا يُعرف فى كلام العرب فِعِّيل ، وقد كان بعض أهل العربية يقول : هو لحن .

والذى هو أولى القراءات عندى فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأ (دُرِّىّ) بضمّ داله، وترك همزه، على النسبة إلى الدرّ، لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا، وقد ذكرنا أقوالهم فى ذلك قبل، ففى ذلك مُكْتَفًى عن الاستشهاد على صحتها بغيره ، فتأويل الكلام : الزجاجة : وهى صدر المؤمن ، (كأنها) : يعنى كأن الزجاجة ، وذلك مثل لصدر المؤمن (كَوْكَب) : يقول : فى صفائها وضيائها وحسنها . وإنما يصف صدره بالنقاء من كلّ ريب وشكّ، فى أسباب الإيمان بالله، وبعده من دنس المعاصى ، كالكوكب الذى يُشبه الدرّ فى الصفاء والضياء والحسن .

واختلفوا أيضا فى قراءة قوله (تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ) فقرأ ذلك بعض المكّيين والمدنيّين وبعض البصريين (تَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ) بالتاء، وفتحها، وتشديد القاف، وفتح الدال، وكأنهم وجهوا معنى ذلك إلى تَوَقَّدَ المصباحُ من شجرة مباركة . وقرأه بعض عامة قرّاء المدنيين (يُوقَدُ) بالياء ، وتخفيف القاف، ورفع الدال ، بمعنى : يُوقِدُ المصباح مُوْقِدُه من شجرة ، ثم لم يُسَمّ فاعله . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (تُوقَدُ) بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال ، بمعنى : يُوقِدُ الزجاجةَ مُوقِدُها من شجرة مباركة [1] لما لم يسمّ فاعله ، فقيل تُوقد . وقرأه بعض أهل مكة (تَوَقَّدُ) بفتح التاء ، وتشديد القاف ، وضم الدال ، بمعنى : تَتَوَقَّد الزجاجة من شجرة ، ثم أسقطت إحدى التاءين ، اكتفاء بالباقية من الذاهبة .

وهذه القراءات متقاربات المعانى ، وإن اختلفت الألفاظ بها، وذلك أن الزجاجة إذا وُصِفت بالتوقد، أو بأنها تَوَقَّد ، فمعلوم معنى ذلك، فإن المراد به تَوَقَّدَ فيها المصباح، أو يُوقَد فيها المصباح، ولكن وجّهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك، أقرب فى الكلام منها ، وفهم السامعين معناه . والمراد منه، فإذا كان ذلك كذلك ، فبأىّ القراءات قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءات إلىّ ، أن أقرأ بها فى ذلك (تَوَقَّدَ) بفتح التاء، وتشديد القاف، وفتح الدال، بمعنى : وصف المصباح بالتوقد، لأن التوقد والاتقاد لاشكّ أنهما من صفته، دون الزجاجة، فمعنى الكلام إذن : كمشكاة فيها مصباح، المصباح من دهن شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية.

وقد ذكرنا بعض ما رُوى عن بعضهم من الاختلاف فى ذلك فيما قد مضى ، ونذكر باقى ماحضرنا مما لم نذكره قبل ، فقال بعضهم : إنما قيل لهذه الشجرة : لاشرقية ولا غربية : أى ليست شرقية وحدها، حتى لاتصيبها الشمس إذاغربت ، وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذى يلى الشرق ، ثم لايكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب ؛ ولا هى غربية وحدها ، فتصيبها الشمس بالعشىّ، إذا مالت إلى جانب الغرب ، ولا تصيبها بالغدَاة ، ولكنها شرقية غربية ، تطلع عليها الشمس بالغداة ، وتغرب عليها ، فيصيبها حرّ الشمس بالغداة والعشىّ ، قالوا : وإذا كانت كذلك ، كان أجود لزيتها .

(١) لعل هنا سقطا فى العبارة ، تقديره : « ثم بنى » كما يفهم من السياق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هنّاد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (زَيْتُونَةٍ لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال : لايسترها من الشمس جبل ولا واد ، إذا طلعت ، وإذا غربت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرميّ بن عُمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عُمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال : الشجرة تكون فى مكان لايسترها من الشمس شىء ، تطلع عليها ، وتغرب عليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال مجاهد وابن عباس (لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قالا : هى التى بشِقّ الجبل ، التى يصيبها شروق الشمس وغروبها ، إذا طلعت أصابتها ، وإذا غربت أصابتها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليست شرقية ولا غربية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنى محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال : هى شجرة وَسْط الشجر ، ليست من الشرق ، ولا من الغرب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (زَيْتُونَةٍ لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) متيامنة الشأم ، لاشرقىّ ولا غربىّ .

وقال آخرون : ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال : والله لو كانت فى الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنها هو مثل ضربه الله لنوره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان ، يعنى ابن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (زَيْتُونَةٍ لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال : لو كانت فى الأرض هذه الزيتونة ، كانت شرقيه أو غربية ، ولكن والله ماهى فى الأرض ، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال : هذا مَثَل ضربه الله ، ولو كانت هذه الشجرة فى الدنيا ، لكانت إما شرقية ، وإما غربية .

⁂ وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك : قول من قال : إنها شرقية غربية ؛ وقال : ومعنى الكلام : ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشىّ دون الغداة ، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب ، فهى شرقية غربية .

وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام ، لأن الله إنما وصف الزيت الذى يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة ، فإذا كان شجره شرقيا غربيا ، كان زيته لاشك أجود وأصفى وأضوأ .

وقوله (يَكادُ زيْتُها يُضِيءُ) يقول تعالى ذكره : يكاد زيت هذه الزيتونة يضىء من صفائه ، وحسن ضيائه . (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ) يقول : فكيف إذا مسته النار .

وإنما أُريد بقوله (تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ) أن هذا القرآن من عند الله ، وأنه كلامه ، فجعل مَثَله ومَثَل كونه من عنده ، مثلَ المصباح الذى يوقد من الشجرة المباركة ، التى وصفها جلّ ثناؤه فى هذه الآية . وعُنِى بقوله (يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ) : أن حُجَج الله تعالى ذكره على خلقه ، تكاد من بيانها ووضوحها تضىء لمن فكر فيها ونظر ، أو أعرض عنها ولَهَا (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ) يقول : ولو لم يَزِدها الله بيانا ووضوحا ، بإنزاله هذا القرآن إليهم ، منبها لهم على توحيده ، فكيف إذا نبههم به ، وذكّرهم بآياته ، فزادهم به حجة إلى حُجَجه عليهم قبل ذلك ، فذلك بيان من الله ، ونور على البيان ، والنور الذى كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله .

وقوله (نُورٌ عَلى نُورٍ) يعنى النار على هذا الزيت الذى كاد يضىء ، ولو لم تمسسه النار .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نُورٌ عَلى نُورٍ) قال : النار على الزيت .

قال أبو جعفر : وهو عندى كما ذكرت مَثَلُ القرآن ، ويعنى بقوله (نُورٌ عَلى نُورٍ) هذا القرآن نور من عند الله ، أنزله إلى خلقه يستضيئون به . (على نور) على الحُجج والبيان الذى قد نصبه لهم قبل مجىء القرآن إنزاله إياه ، مما يدلّ على حقيقة وحدانيته ، فذلك بيان من الله ، ونور على البيان ، والنور الذى كان وضعه لهم ، ونصبه قبل نزوله .

وذكر عن زيد بن أسلم فى ذلك ، ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم ، فى قوله (نُورٌ عَلى نُورٍ) يضىء بعضه بعضا ، يعنى القرآن .

وقوله (يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ) : يقول تعالى ذكره : يُوَفِّق الله لاتباع نوره ، وهو هذا القرآن ، من يشاء من عباده . وقوله (وَيَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ لِلنَّاسِ) يقول : ويُمثّل الله الأمثال والأشباه للناس ، كما مثّل لهم مثل هذا القرآن فى قلب المؤمن ، بالمصباح فى المشكاة ، وسائر ما فى هذه الآية من الأمثال . (وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله بضرب الأمثال ، وغيرها من الأشياء كلها ، ذو علم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا

تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) الله نور السموات والأرض، مَثَل نوره كمشكاة فيها مصباح ، فى بيوت أذن الله أن ترفع .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المِشكاة : التى فيها الفتيلة التى فيها المصباح ، قال : المصابيح فى بيوت أذن الله أن ترفع .

قال أبو جعفر : قد يحتمل أن تكون من فى صلة توقد ، فيكون المعنى : تُوقَد من شجرة مباركة ذلك المصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع ، وعنى بالبيوت : المساجد .

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، ونصر بن عبد الرحمن الأَوْدِىّ ، قالا : ثنا حَكَّام ، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن أبى صالح فى قول الله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) قال : المساجد .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) وهى المساجد تُكْرَم ، ونهى عن اللغو فيها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال: ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) يعنى : كل مسجد يصلى فيه ، جامع أو غيره .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) قال : مساجد تُبْنى .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) قال : فى المساجد .

قال : أخبرنا معمر ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : المساجد : بيوت الله ، وإنه حقّ على الله أن يُكْرِم من زاره فيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سالم بن عمر ، فى قوله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) قال : هى المساجد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) قال : المساجد .

وقال آخرون : عنى بذلك البيوت كلَّها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، ونصر بن عبد الرحمن الأَوْدىّ، قالا : حدثنا حَكَّام بن سلم، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عكرمة (فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) قال : هى البيوت كلها .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك ، لدلالة قوله (يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوِّ والآصَالِ رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) على أنها بيوت بنيت للصلاة ، فلذلك قلنا هى المساجد .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) فقال بعضهم : معناه : أذن الله أن تُبْنَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) قال : تُبْنَى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد مثله .

وقال آخرون : معناه : أذن الله أن تعظَّم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) يقول : أن تعظَّم لذكره .

⁂ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : القول الذى قاله مجاهد ، وهو أن معناه : أذن الله أن ترفع بناء ، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِذْ يَرْفَعُ إبْراهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ) وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع فى البيوت والأبنية .

وقوله (وَيُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ) يقول : وأَذِن لعباده أن يذكروا اسمه فيها . وقد قيل : عُنِى به، أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال : (وَيُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ) يقول : يُتْلَى فيها كتابه . وهذا القول قريب المعنى مما قلناه فى ذلك، لأن تلاوة كتاب الله من معانى ذكر الله ، غير أن الذى قلنا به أظهر معنييه ، فلذلك اخترنا القول به .

وقوله (يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوِّ والآصَالِ رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) : اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُسَبِّحُ لَهُ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (يُسَبِّحُ لَهُ) بضم الياء، وكسر الباء ، بمعنى : يصلّى له فيها رجال ، وبجعل يسبِّح فعلا للرجال ، وخبرا عنهم ، وترفع به الرجال ، سوى عاصم وابن عامر ، فإنهما قرأا ذلك (يُسَبَّحُ له) بضمّ الياء، وفتح الباء، على ما لم يسمّ فاعله، ثم يرفعان الرجال بخبر ثان مضمر ، كأنهما أرادا : يسبِّح الله فى البيوت التى أذن الله أن ترفع ، فسبِّح له رجال فرفعا الرجال ، بفعل مضمر .

والقراءة التى هى أولاهما بالصواب : قراءة من كسر الباء ، وجعله خبرا للرجال وفعلا لهم . وإنما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل ، لو كان الخبر عن البيوت لايتمّ إلا بقوله (يُسَبِّحُ لَهُ فِيها) ، فأما والخبر عنها دون ذلك تامّ ، فلا وجه لتوجيه قوله (يُسَبِّحُ لَهُ) إلى غيره ، أىْ [1] غير الخبر عن الرجال . وعُنِى بقوله (يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ) يصلّى له فى هذه البيوت بالغُدُوات والعَشيات رجال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدىّ ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن سفيان ، عن عَمَّار الدُّهنى [2] ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كلّ تسبيح فى القرآن فهو صلاة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال (يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ) يقول : يصلى له فيها بالغداة والعشىّ ، يعنى بالغدوّ : صلاة الغَداة ، ويعنى بالآصال : صلاة العصر ، وهما أوّل ما افترض الله من الصلاة ، فأحبّ أن يذكرهما ، ويذكر بهما عبادته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن (يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ) أذن الله أن تبنى ، فيصلّى فيها بالغدوّ والآصال .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول فى قوله (يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ) يعنى الصلاة المفروضة .

وقوله (رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : لايشغل هؤلاء الرجال الذين يصلُّون فى هذه المساجد ، التى أذن الله أن ترفع ، عن ذكر الله فيها ، وإقام الصلاة ، تجارة ولا بيع .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سعيد بن أبى الحسن عن رجل نسى اسمه فى هذه الآية (فِى بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ ، وَيُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بالغُدُوّ والآصَالِ رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) . . . إلى قوله (والأبْصَارِ) قال : هم قوم فى تجاراتهم وبيوعهم ، لاتلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن دينار ، عن سالم بن عبد الله ، أنه نظر إلى قوم من السُّوق ، قاموا وتركوا بياعاتهم إلى الصلاة ، فقال هؤلاء الذين ذكر الله فى كتابه (لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) . . . الآية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، عمن حدثه ، عن ابن مسعود ، نحو ذلك .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هُشَيم ، عن سيار ، قال : حُدِّثت عن ابن مسعود ، أنه رأى قوما من أهل السوق حيثُ نودى بالصلاة ، تركوا بياعاتهم ، ونهضوا إلى الصلاة ، فقال عبد الله : هؤلاء

(١) فى الأصل : إلى غير . ولعله تحريف . (٢) هو عمار بن معاوية الدهنى بضم المهملة ، الكوفى ، وثقه أحمد . مات سنة ١٣٣ هـ .

من الذين ذكر الله فى كتابه (لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) .

وقال بعضهم : معنى ذلك (لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ) عن صلاتهم المفروضة عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدّثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال (رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) يقول : عن الصلاة المكتوبة .

وقوله (وَإقامِ الصَّلاةِ) يقول : ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها فى أوقاتها .

وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبى الحسن ، عن رجل نسى عوف اسمه فى (وَإقامِ الصَّلاةِ) قال : يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة .

فإن قال قائل : أوليس قوله (وَإقامِ الصَّلاةِ) مصدرا من قوله أقمت ؟ قيل : بلى . فإن قال : أو ليس المصدر منه إقامة ، كالمصدر من آجرت إجارة ؟ قيل : بلى . فإن قال : وكيف قال (وَإقامِ الصَّلاةِ) ، أو تجيز أن نقول : أقمت إقاما ؟ قيل : ولكنى أجيز أعجبنى إقام الصلاة . فإن قيل : وما وجه جواز ذلك ؟ قيل : إن الحكم فى أقمت إذا جعل منه مصدر ، أن يقال إقواما ، كما يقال : أقعدت فلانا إقعادا ، وأعطيته إعطاء . ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمت ، فسقطت لاجتماعها وهى ساكنة ، والميم وهى ساكنة ، بنَوا المصدر على ذلك ، إذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الإفعال وهى ساكنة ، فسقطت الأولى منهما ، فأبدلوا منها هاء فى آخر الحرف ، كالتكثير للحرف ، كما فعلوا ذلك فى قولهم : وَعَدته عِدَة ، ووزنته زِنة ، إذ ذهبت الواو من أوّله ، كثّروه من آخره بالهاء ؛ فلما أضيفت الإقامة إلى الصلاة ، حذفوا الزيادة التى كانوا زادوها للتكثير ، وهى الهاء فى آخرها ، لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد ، فاستغنَوا بالمضاف إليه من الحرف الزائد ، وقد قال بعضهم فى نظير ذلك :

إنَّ الخَلِيطَ أجَدُّوا البَيْنَ فانْجَرَدوا وأخْلَفوكَ عِدَ الأمْرِ الَّذِى وَعَدُوا (١)

يريد : عدة الأمر ، فأسقط الهاء من العدة لما أضافها ، فكذلك ذلك فى إقام الصلاة .

وقوله (وَإيتاءِ الزَّكاةِ) قيل : معناه : وإخلاص الطاعة لله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ) وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وقوله (وأوْصَانِى بالصَّلاةِ والزَّكاةِ) ، وقوله

(١) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب ، وهو فى (اللسان : وعد) قال : وقال الفراء : وعدت عدة ، ويحذفون الهاء إذا أضافوا ، وأنشد : « إن الخليط ... البيت » . وقال ابن الأنبارى وغيره : الفراء يقول عدة وعدى ، وأنشد : « وأخلفوك عدى .. البيت » . وقال : أراد : عدة الأمر ، فحذف الهاء عند الإضافة ، قال : ويكتب بالياء . وقال الجوهرى : والعدة الوعد ، والهاء عوض من الواو . والخليط : اسم لمن يخالطك بجوار أو قرابة أو عمل أو نحوه . وأجدوا البين : أسرعوا فى الفراق ، واجتهدوا فيه . وانجردوا : أسرعوا وشمروا . والشاهد فى البيت عند المؤلف ، أن الهاء فى عدة ونحوها تحذف منها عند الإضافة ، استغناء عنها بالمضاف إليه عن الحرف الزائد .

(وَلَوْلا فَضْلُ اللهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) ، وقوله (وَحَنانا مِنْ لَدُنَّا وَزَكاةً) ونحو هذا فى القرآن ، قال : يعنى بالزكاة : طاعة الله والإخلاص ، وقوله (يَخافُونَ يَوْما تَتَقَلَّبُ فيهِ القُلُوبُ والأَبْصارُ) يقول : يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هوله ، بين طمع بالنجاة ، وحذر بالهلاك . (والأبصار) : أىّ ناحية يؤخذ بهم : أذات اليمين أم ذات الشمال ؟ ومن أين يُؤْتون كتبهم : أمن قبل الأيمان ، أم من قبل الشمائل ؟ وذلك يوم القيامة .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الله بن عياش ، قال زيد بن أسلم ، فى قول الله (فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) . . . إلى قوله (تَتَقَلَّبُ فيهِ القُلُوبُ والأَبْصارُ) يوم القيامة .

وقوله (لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا) يقول : فعلوا ذلك ، يعنى أنهم لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأقاموا الصلاة ، وآتَوُا الزكاة ، وأطاعوا ربهم ، مخافة عذابه يوم القيامة ، كى يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، ويزيدهم على ثوابه إياهم على أحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، من فضله ، فيُفْضِل عليهم من عنده ، بما أحبّ من كرامته لهم . وقوله (وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ) : يقول تعالى ذكره : يتفضل على من شاء وأراد ؛ من طَوْله وكرامته ، مما لم يستحقه بعمله ، ولم يبلغه بطاعته (بغير حساب) يقول : بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ ، فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)

⁂ وهذا مَثَل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به ، فقال : والذين جحدوا توحيد ربهم ، وكذّبوا بهذا القرآن ، وبمن جاء به ، مَثَل أعمالهم التى عملوها (كسراب) يقول : مثلُ سَراب ، والسراب : ما لَصِق بالأرض ، وذلك يكون نصف النهار ، وحين يشتدّ الحرّ . والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض ، وذلك يكون أوّل النهار ، يرفع كلّ شىء ضُحًى . وقوله (بِقيعَةٍ) وهى جمع قاع ، كالجِيرة جمع جار ، والقاع : ما انبسط من الأرض واتسع ، وفيه يكون السراب . وقوله (يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً) يقول : يظن العطشان من الناس السراب ، ماء (حتى إذا جاءه) والهاء من ذكر السَّراب ، والمعنى : حتى إذا جاء الظمآن السراب ، ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه ، لم يجده شيئا ، يقول : لم يجد السراب شيئا ، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التى عملوها فى غُرور ، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه ، كما حسِب الظمآن الذى رأى السراب ، فظنه ماء يُرْويه من ظمئه ، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذى كان يرى أنه نافعه عند الله ، لم يجده ينفعه شيئا ، لأنه كان عمله على كفر بالله ، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمِرصاد ، فوفّاه يوم القيامة حساب أعماله التى عملها فى الدنيا ، وجازاه بها جزاءه الذى يستحقه عليها منه .

فإن قال قائل : وكيف قيل (حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) فإن لم يكن السراب شيئا ، فعلام أدخلت الهاء فى قوله (حتى إذا جاءه) ؟ قيل : إنه شئ يُرَى من بعيد كالضباب الذى يرى كثيفا من بعيد ، والهباء ، فإذا قرب منه المرء ، رقّ وصار كالهواء . وقد يحتمل أن يكون معناه : حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئا ، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه (واللهُ سَرِيعُ الْحِسابِ) يقول : والله سريع حسابه ، لأنه تعالى ذكره لايحتاج إلى عقد أصابع ، ولا حفظ بقلب ، ولكنه عالم بذلك كله ، قبل أن يعمله العبد ، ومن بعد ما عمله .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبَىّ بن كعب ، قال : ثم ضرب مثلا آخر ، فقال (والَّذِينَ كَفَرُوا أعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ) قال : وكذلك الكافر يجىء يوم القيامة ، وهو يَحْسِب أن له عند الله خيرا ، فلا يجد ، فيُدخله النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن أبى العالية ، عن أُبَىّ بن كعب بنحوه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أعمالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) يقول : الأرض المستوية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (والَّذِينَ كَفَرُوا أعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ) . . . إلى قوله (واللهُ سَرِيعُ الْحِساب) قال : هو مَثَل ضربه الله لرجل عطش ، فاشتدّ عطشه ، فرأى سرابا ، فحسبه ماء ، فطلبه وظنّ أنه قد قدر عليه ، حتى أتاه ، فلما أتاه لم يجده شيئا ، وقُبِض عند ذلك . يقول : الكافر كذلك ، يحسب أن عمله مُغْنٍ عنه ، أو نافعه شيئا ، ولا يكون آتيا على شىء حتى يأتيه الموت ، فإذا أتاه الموت ، لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشانَ المشتدّ إلى السرّاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) قال : بقاع من الأرض ، والسراب : عَمَلُه ، زاد الحارث فى حديثه عن الحسن : والسراب عمل الكافر (إذا جاءه لم يَجِدْهُ شَيْئا) . إتيانه إياه : موته وفراقه الدنيا . (ووَجَدَ اللهَ) عند فراقه الدنيا ، (فَوَفّاهُ حِسابَهُ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) قال : بقيعة من الأرض (يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً) : هو مثل ضربه الله لعمل الكافر ، يقول : يحسب أنه فى شىء ، كما يحسب هذا السراب ماء (حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) ، وكذلك الكافر إذا مات ، لم يجد عمله شيئا (ووَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ ، فَوَفّاهُ حِسابَهُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والَّذِينَ كَفَرُوا) . . .

إلى قوله (وَوَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ) قال : هذا مَثَل ضربه الله للذين كفروا (أعْمالُهُمْ كَسَرَاب بِقِيعَةٍ) : قد رأى السراب ، ووثق بنفسه أنه ماء ، فلما جاءه لم يجده شيئا ؛ قال : وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة ، وأنهم سَيَرْجعون منها إلى خير ، فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب ، فهذا مَثَلٌ ضربه الله جلّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ (٤٠)

⁂ وهذا مَثَل آخر ضربه الله لأعمال الكفار ، يقول تعالى ذكره : ومَثَل أعمال هؤلاء الكفار ، فى أنها عُمِلت على خطأ وفساد ، وضلالة وحيرة من عملها فيها ، وعلى غير هدى ، مَثَل ظلمات فى بحر لُجِّىّ ، ونسب البحر إلى اللُّجة ، وصفا له بأنه عميق كثير الماء ، ولجُة البحر : معظمه ، (يَغْشاهُ مَوْج) يقول : يغشى البحر موج ، (مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) : يقول : من فوق الموج موج آخر يغشاه ، (مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) : يقول : من فوق الموج الثانى الذى يغشى الموج الأوّل سحاب ، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم ، والبحر اللجىّ مثلا لقلب الكافر ، يقول : عَمِل بنية قلب قد غَمَره الجهل ، وتغشّته الضلالة والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللُّجِّىّ موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذى مَثَل عمله مَثَل هذه الظلمات ، يغشاه الجهل بالله ، بأن الله ختم عليه ، فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه ، فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة ، فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض[1] .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ) . . . إلى قوله (مِنْ نُورٍ) قال : يعنى بالظلمات : الأعمال ، وبالبحر اللُّجِّىّ : قلب الإنسان ، قال : يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، قال : ظلمات بعضها فوق بعض ، يعنى بذلك الغشاوة التى على القلب والسمع والبصر ، وهو كقوله (خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، وكقوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ) . . . إلى قوله (أَفَلا تَذَكَّرُونَ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) عميق ، وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل فى ضلالة وحيرة ، قال (ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ) .

---

(١) قال الشوكانى فى فتح القدير (٤ : ٣٨) ومن غرائب التفاسير : أن سبحانه وتعالى أراد بالظلمات أعمال الكافر ، وبالبحر اللجى قلبه ، وبالموج : ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة . والسحاب : الرين والختم والطبع على قلبه . وهذا تفسير هو عن لغة العرب بمكان بعيد . اهـ .

ورُوِى عن أُبَىّ بن كعب . ماحدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب ، فى قوله (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّىٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ) . . . الآية ، قال : ضرب مثلا آخر للكافر ، فقال : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّىٍّ) . . . الآية ، قال : فهو يتقلب فى خمس من الظلم ، فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومَدخله ظلمة ، ومَخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة ، إلى النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن أبى الربيع ، عن أبى العالية ، عن أُبَىّ بن كعب ، بنحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّىٍّ ، يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) . . . إلى قوله (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) قال : شرّ بعضه فوق بعض .

وقوله (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) يقول : إذا أخرج الناظر يده فى هذه الظلمات ، لم يكد يراها .

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : لم يكد يراها ، مع شدّة هذه الظلمة التى وصف ، وقد علمت أن قول القائل : لم أكد أرى فلانا ، إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدّة ، ومن دون الظلمات التى وصف فى هذه الآية ، ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه ، فكيف فيها ؟ قيل : فى ذلك أقوال نذكرها ، ثم نخبر بالصواب من ذلك . أحدها : أن يكون معنى الكلام : إذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها : أى لم يعرف من أين يراها ، فيكون من المقدّم الذى معناه التأخير ، ويكون تأويل الكلام على ذلك : إذا أخرج يده لم يقرب أن يراها . والثانى : أن يكون معناه : إذا أخرج يده لم يرها [1] ، ويكون قوله (لَمْ يَكَدْ) فى دخوله فى الكلام ، نظير دخول الظنّ فيما هو يقين من الكلام ، كقوله (وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) ونحو ذلك . والثالث : أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد ، كما يقول القائل لآخر : ما كدت أراك من الظلمة ، وقد رآه ، ولكن بعد إياس وشدة . وهذا القول الثالث أظهر معانى الكلمة من جهة ما تستعمل العرب « أكاد » فى كلامها . والقول الآخر الذى قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها ، قول أوضح من جهة التفسير ، وهو أخفى معانيه . وإنما حسُنَ ذلك فى هذا الموضع ، أعنى أن يقول : لم يكد يراها مع شدة الظلمة التى ذكر ، لأن ذلك مَثَل لاخبر عن كائن كان (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا) يقول : من من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ، ومعرفة بكتابه ، (فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ) يقول : فماله من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ، كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ (٤٢)

(١) فى فتح القدير للشوكانى (طبعة الحلبى ٤ : ٣٨) قال الزجاج وأبو عبيدة : لم يرها ولم يكد . وقال الفراء : إن كاد زائدة . وقال المحقق الرضى فى شرحه لكافية بن الحاجب (٢ : ٣٠٦) إن نفى القرب من الفعل ، أبلغ فى انتفاء ذلك الفعل ، من نفى الفعل نفسه ؛ فإن ما قربت من الضرب ، آكد فى نفى الضرب من ما ضربت . اهـ .

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يامحمد بعين قلبك ، فتعلم أن الله يصلى له من فى السموات والأرض، من ملك وإنس وجنّ (والطَّيْرُ صَافَّاتٍ) الهواء أيضا تسبح له (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) ، (١) والتسبيح عندك صلاة ، فيقال : قيل : إن الصلاة لبنى آدم ، والتسبيح لغيرهم من الخلق ، ولذلك فصّل فيما بين ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والطَّيْرُ صَافَّاتٍ ، كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) قال : والصلاة للإنسان ، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، والطَّيْرُ صَافَّاتٍ ، كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) قال : صلاته : للناس ، وتسبيحه : عامة لكلّ شىء .

ويتوجه قوله (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) لوجوه : أحدها : أن تكون الهاء التى فى قوله (صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) من ذكر كلّ ، فيكون تأويل الكلام : كل مصلّ ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه ، ويكون الكلّ حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره فى قوله (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وتَسْبِيحَهُ) ، وهو الهاء التى فى الصلاة .

والوجه الآخر : أن تكون الهاء فى الصلاة والتسبيح أيضا للكلّ ، ويكون الكلّ مرتفعا بالعائد من ذكره عليه فى (عَلِمَ) ، ويكون (عَلِمَ) فعلا للكلّ ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قد علم كلّ مصلّ ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه ، الذى كُلِّفه وأُلْزمه .

والوجه الآخر : أن تكون الهاء فى الصلاة والتسبيح من ذكر الله ، والعلم للكلّ ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قد علم كلّ مسبِّح ومُصَلّ صلاة الله التى كلفه إياها ، وتسبيحه . وأظهر هذه المعانى الثلاثة ، على هذا الكلام : المعنى الأوّل ، وهو أن يكون المعنى : كلّ مصلّ منهم ومسبِّح ، قد علم الله صلاته وتسبيحه .

وقوله (وَاللهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يفعل كلّ مصلّ ومسبح منهم ، لايخفى عليه شىء من أفعالهم ، طاعتها ومعصيتها ، محيط بذلك كله ، وهو مجازيهم على ذلك كله .

وقوله (وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يقول جلّ ثناؤه : ولله سلطان السموات والأرض وملكها ، دون كلّ من هو دونه من سلطان وملك ، فإياه فارهبوا أيها الناس ، وإليه فارغبوا ، لاإلى غيره ، فإن بيده خزائن السموات والأرض ، لايخشى بعطاياكم منها فقرا . (وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ) : يقول : وأنتم إليه

(١) يظهر أن فى الكلام سقطا . تقديره : فإن قيل : ما فائدة عطف « وتسبيحه » على صلاته . . . الخ . بدليل قوله : قيل ... الخ وهو جواب عن سؤال .

بعد وفاتكم ، مصيركم ومعادكم ، فيوفيكم أجور أعمالكم التى عملتموها فى الدنيا ، فأحسنوا عبادته ، واجتهدوا فى طاعته ، وقدّموا لأنفسكم الصالحات من الأعمال .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ، ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ، فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّن يَشَاءُ ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (أَلَمْ تَرَ) يا محمد (أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي) يعنى . يسوق (سَحَابا) حيث يريد . (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) : يقول : ثم يؤلف بين السحاب ، وأضاف بين إلى السحاب ، ولم يذكر معه غيره ، وبين لاتكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين ، لأن السحاب فى معنى جمع ، واحده سحابة ، كما يجمع النخلة : نَخْل ، والتمرة : تمر ، فهو نظير قول قائل : جلس فلان بين النخل ؛ وتأليف الله السحاب : جمعه بين متفرّقها .

وقوله (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاما) يقول : ثم يجعل السحاب الذى يزجيه ، ويؤلف بعضه إلى بعض (رُكاما) : يعنى : متراكما بعضه على بعض .

وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا خالد ، قال : ثنا مطر ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن عُبيد بن عُمير الليثىّ ، قال : الرياح أربع : يبعث الله الريح الأولى ، فتقمّ الأرض قَمّا ، ثم يبعث الثانية ، فتنشئ سحابا ، ثم يبعث الثالثة ، فتؤلف بينه ، فتجعله رُكاما ، ثم يبعث الرابعة فتمطره .

وقوله (فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) يقول : فترى المطر يخرج من بين السحاب ، وهو الوَدْق ، قال الشاعر :

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ... وَلا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا[1]

والهاء فى قوله (مِنْ خِلالِهِ) من ذكر السحاب ، والخلال : جمع خَلَل . وذُكر عن ابن عباس وجماعة ، أنهم كانوا يقرءون ذلك (مِنْ خَلَلِهِ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حِرْمىّ بن عُمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا قَتادة ، عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف (فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) : مِنْ خَلَلِهِ .

---

(١) البيت لعامر بن جوين الطائى (اللسان : ودق) قال : الودق المطر كله : شديده وهينه . وقد ودق يدق ودقا : أى قطر . قال عامر بن جوين الطائى : « فلا مزنة . . . البيت » . والمزنة : السحابة . واستشهد المؤلف بالبيت على أن معنى الودق : المطر .

قال : ثنا شُعبة ، قال : أخبرنى عُمارة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، أنه قرأ هذا الحرف (فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) : من خَلَلِه .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرنى عُمارة بن أبى حفصة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، أنه قرأها (مِنْ خَلَلِهِ) بفتح الخاء ، من غير ألف .

قال هارون : فذكرت ذلك لأبى عمرو ، فقال : إنها لحسنة ، ولكن خِلاله أعمّ .

وأما قرّاء الأمصار ، فإنهم على القراءة الأخرى : من خِلاله ، وهى التى نختار ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) قال : الودْق : القطر ، والخِلال : السحاب .

وقوله (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ) : قيل فى ذلك قولان : أحدهما : أن معناه : وأن الله ينزل من السماء من جبال فى السماء من بَرَد ، مخلوقة هنالك خلقة ، كأن الجبال على هذا القول ، هى من بَرَد ، كما يقال : جبال من طين . والقول الآخر : أن الله ينزل من السماء قَدْر جبال ، وأمثال جبال من بَرَد إلى الأرض ، كما يقال : عندى بَيْتان تبنا . والمعنى : قدر بيتين من التبن ، والبيتان ليسا من التبن .

وقوله (فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشاءُ) يقول : فيعذّب بذلك الذى ينزل من السماء ، من جبال فيها من بَرَد ، من يشاء فيهلكه ، أو يهلك به زروعه وماله (وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشاءُ) من خلقه ، يعنى عن زروعهم وأموالهم .

وقوله (يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأبْصارِ) : يقول : يكاد شدّة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره ، والسنا : مقصور ، وهو ضوء البرق .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخُراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَكادُ سَنا بَرْقِهِ) قال : ضوء برقه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (يَكادُ سَنا بَرْقِهِ) يقول : لَمَعان البرق يذهب بالأبصار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأبْصارِ) قال : سناه : ضوء يذهب بالأبصار .

وقرأت قرّاء الأمصار (يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ) بفتح الياء من يَذْهب ، سوى أبى جعفر القارئ ، فإنه قرأه بضم الياء (يُذْهِبُ بِالأبْصارِ) .

والقراءة التى لا أختار غيرها هى فتحها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وأن العرب إذا أدخلت الباء فى مفعول ذهبت ، لم يقولوا : إلا ذهبت به ، دون أذهبت به ، وإذا أدخلوا الألف فى أذهبت ، لم يكادوا أن يدخلوا الباء فى مفعوله ، فيقولون : أذهبته ، وذهبت به .

وقوله (يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ) يقول : يُعْقِب الله بين الليل والنهار ويصرفهما ، إذا أذهب هذا

جاء هذا ، وإذا أذهب هذا ، جاء هذا (إنَّ فِى ذلكَ لَعِبْرَةً لِأُولى الأبْصَارِ) يقول : إنّ فى إنشاء الله السحاب ، وإنزاله منه الوَدْقَ ، ومن السماء البردَ ، وفى تقليبه الليل والنهار ، لعبرةً لمن اعتبر به ، وعظةً لمن اتعظ به ، ممن له فهم وعقل ، لأن ذلك ينبئ ويدلّ على أن له مدبِّرا ومصرِّفا ومقلِّبا ، لايشبهه شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّآءٍ ، فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ، وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِنْ ماءٍ) فقرأته عامة قرّاء الكوفة غير عاصم : (وَاللهُ خالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ) وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وعاصم (وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ) بنصب كل ، وخَلَق على مثال فَعَل ، وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن الإضافة فى قراءة من قرأ ذلك « خالق » تدلّ على أن معنى ذلك المضىّ ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وقوله (خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ) يعنى : من نطفة ، (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ) كالحيات وما أشبهها ، وقيل إنما قيل : (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ) والمشى لايكون على البطن ، لأن المشى إنما يكون لما له قوائم ، على التشبيه ، وأنه لما خالط ماله قوائمُ ما لاقوائمَ له ، جاز ، كما قال (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ) كالطير (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ) كالبهائم .

فإن قال قائل : فكيف قيل : فمنهم من يمشى ، ومَن للناس ، وكلّ هذه الأجناس أو أكثرها لغيرهم ؟ قيل : لأنه تفريق ما هو داخل فى قوله (وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ) وكان داخلا فى ذلك الناس وغيرهم ، ثم قال : فمنهم ، لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم فى ذلك واختلاطهم ، فكنى عن جميعهم كنايته عن بنى آدم ، ثم فسرهم بمَن ، إذ كان قد كنى عنهم كناية بنى آدم خاصة . (يَخْلُقُ اللهُ ما يَشاءُ) يقول : يحدث الله مايشاء من الخلق (إنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : إن الله على إحداث ذلك وخلقه ، وخلق مايشاء من الأشياء غيره ، ذوقدرة لايتعذّر عليه شىء أراد .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ، وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : لقد أنزلنا أيُّها الناس علامات واضحات ، دالاّت على طريق الحقّ ، وسبيل الرشاد . (وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه ، فيهديه إلى دين الإسلام ، وهو الصراط المستقيم ، والطريق القاصد ، الذى لااعوجاج فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ، ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ، وَمَآ

أُولَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : ويقول المنافقون : صدّقنا بالله وبالرسول ، وأطعنا الله وأطعنا الرسول ، (ثُمَّ يَتَوَلَّى فريق مِنْهُمْ) يقول : ثم تُدْبِر كلّ طائفة منهم ، من بعد ما قالوا هذا القول ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها . (وَما أُولَئِكَ بالمُؤْمِنِينَ) يقول : وليس قائلو هذه المقالة ، يعنى قوله (آمَنَّا بالله وَبالرَّسُولِ وأطَعْنا) بالمؤمنين ، لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإعراضهم عنه إذا دُعُوا إليه . وقوله (وَإذَا دُعُوا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ) يقول : وإذا دُعِى هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) فيما اختصموا فيه بحكم الله (إذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) عن قبول الحقّ ، والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وإن يكن الحقّ لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، فيأبَون ويُعْرِضون عن الإجابة إلى ذلك ، قِبَلَ الذين يدعونهم إلى الله ورسوله ، يأتوا إلى رسول الله مذعنين ، يقول مذعنين : منقادين لحكمه ، مقرّين به ، طائعين غير مكرهين ؛ يقال منه : قد أذعن فلان بحقه : إذا أقرّ به طائعا غير مستكْرَه ، وانقاد له وسلّم .

وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول فى ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ؛ ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (يَأْتُوا إلَيهِ مُذْعِنِين) قال : سِراعا .

وقوله (أفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يقول تعالى ذكره : أفى قلوب هؤلاء الذين يُعْرِضون إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، شكٌّ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه لله رسول ، فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه ، والرضا به (أمْ يَخافُونَ أنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله ، وحكم رسوله ، وقال (أنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) والمعنى : أن يحيف رسولُ الله عليهم ، فبدأ بالله تعالى ذكره ، تعظيما لله ، كما يقال : ما شاء الله ، ثم شئت ، بمعنى : ماشئت . ومما يدلّ على أن معنى ذلك كذلك ، قوله (وَإذَا دُعُوا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) فأفرد الرسول بالحكم ، ولم يقُل : ليحكما . وقوله (بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول : ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله ، إذ أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك ، مما دُعوا إليه ، أن يحيف عليهم رسول الله ، فيجورَ فى حكمه عليهم ، ولكنهم

قوم أهل ظلم لأنفسهم، بخلافهم أمر ربهم ، ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما أحبوا وكرهوا ، والتسليم له .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : إنما كان ينبغى أن يكون قول المؤمنين إذا دُعُوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله، (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) وبين خصومهم (أنْ يَقُولُوا سَمِعْنا) ما قيل لنا ، (وأطَعْنا) من دعانا إلى ذلك . ولم يُعْنَ بكان فى هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى ، ولكنه تأنيب من الله الذين أُنزلت هذه الآية بسببهم ، وتأديب منه آخرين غيرهم . وقوله (وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول تعالى ذكره: والذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا . (المفلحون) : يقول : هم المنجِحون المدرُكون طَلِباتهم ، بفعلهم ذلك ، المخلدون فى جنات الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ، ويسلِّمْ لحكمهما له وعليه، وَيَخَفْ عاقبة معصية الله ويحذره، ويتق عذاب الله بطاعته إياه فى أمره ونهيه (فَأُولَئِكَ) يقول : فالذين يفعلون ذلك ، هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة ، وأمنهم من عذابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ،قُلْ لَا تُقْسِمُوا ،طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله ، إذ دعوا إليه (باللهِ جَهْدَ أيمانِهِمْ) يقول : أغلظ أيمانهم وأشدّها : (لَئِنْ أمَرْتَهُمْ) يامحمد بالخروج إلى جهاد عدوّك وعدوّ المؤمنين (لَيَخْرُجُنَّ ؛ قُلْ لاتُقْسِمُوا) : لاتحلفوا ، فإن هذه (طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) منكم ، فيها التكذيب .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ لاتُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) قال : قد عُرفت طاعتكم إلىّ أنكم تكذبون (إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) : يقول : إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله ، أوخلافكم أمرهما ، أو غير ذلك من أموركم ، لايخفى عليه من ذلك شىء ، وهو مجازيكم بكل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ، وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)

يقول تعالى ذكره (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجُنّ ، وغيرهم من أمتك (أَطِيعُوا اللهَ) أيها القوم ، فيما أمركم به ، ونهاكم عنه (وأَطِيعُوا الرَّسُولَ) فإن طاعته لله طاعة . (فإنْ تَوَلَّوْا) يقول : فإن تُعْرِضوا وتُدْبِروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو نهاكم عنه ، وتأبَوا أن تُذْعنوا لحكمه لكم وعليكم . (فإنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ) يقول : فإنما عليه فعل ما أُمِر بفعله ، من تبليغ رسالة الله إليكم ، على ما كلّفه من التبليغ (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) يقول : وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم ، وأوجب عليكم ، من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم .

وقلنا : إن قوله (فإنْ تَوَلَّوْا) بمعنى : فإن تتولوا ، فإنه فى موضع جزم ، لأنه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم (أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ) يدلّ على أن ذلك كذلك ، قوله (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) ، ولو كان قوله (تَوَلَّوْا) فعلا ماضيا ، على وجه الخبر عن غيب ، لكان فى موضع قوله (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا)

وقوله (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) يقول تعالى ذكره : وإن تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ، تَرْشُدوا ، وتصيبوا الحقّ فى أموركم (وَما عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) يقول : وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلِّغهم رسالته ، بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به ، يقول : فليس على محمد أيها الناس إلا أداء رسالة الله إليكم ، وعليكم الطاعة ؛ وإن أطعتموه[1] لحظوظ أنفسكم تصيبون ، وإن عصيتموه بأنفسكم فتوبقون .[2]

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (مِنْكُمْ) أيها الناس (وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) يقول : وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرْضِ) يقول : لَيُورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم ، فيجعلهم ملوكها وساستها (كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : كما فعل من قبلهم ذلك ببنى إسرائيل ، إذ أهلك الجبابرة بالشأم ، وجعلهم ملوكها

(١) كأنه على تقدير الفاء فى جواب الشرط ، أى فلحظوظ . . . الخ .

(٢) كان الأولى أن يقول : وإن عصيتموه فلأنفسكم توبقون .

وسكانها (وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ) يقول : وليوطئنّ لهم دينهم ، يعنى ملتهم التى ارتضاها لهم ، فأمرهم بها . وقيل : وعد الله الذين آمنوا ، ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ) لأن الوعد قول يصلح فيه « أن » ، وجواب اليمين كقوله : وعدتك أن أكرمك ، ووعدتك لأكرمنك .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (كَمَا اسْتَخْلَفَ) فقرأته عامة القرّاء (كَمَا اسْتَخْلَفَ) بفتح التاء واللام ، بمعنى : كما استخلف الله الذين من قبلهم من الأمم . وقرأ ذلك عاصم (كَمَا اسْتُخْلِفَ) بضم التاء ، وكسر اللام ، على مذهب ما لم يُسَمَّ فاعله .

واختلفوا أيضا فى قراءة قوله (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم (وَلَيُبَدِّلَنَّهُم) بتشديد الدال ، بمعنى : وليغيّرنّ حالهم عما هى عليه ، من الخوف إلى الأمن ، والعرب تقول : قد بُدِّل فلان : إذا غيرت حاله ، ولم يأت مكان فلان غيره ، وكذلك كلّ مغير عن حاله ، فهو عندهم مبدَّل بالتشديد . وربما قيل بالتخفيف ، وليس بالفصيح . فأما إذا جعل مكان الشىء المبدل غيره ، فذلك بالتخفيف : أبدلته فهو مُبْدَل . وذلك كقولهم : أُبدل هذا الثوب : أى جُعِل مكانه آخر غيره ، وقد يقال بالتشديد ، غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت . وكان عاصم يقرؤه (وَلَيُبْدِلَنَّهُمْ) بتخفيف الدال .

والصواب من القراءة فى ذلك : التشديد ، على المعنى الذى وصفت قبلُ ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه ، وأن ذاك تغيير حال الخوف إلى الأمن ، وأرى عاصما ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف ، وجّه المعنى إلى أنه ذهب بحال الخوف ، وجاء بحال الأمن ، فخفّف ذلك .

ومن الدليل على ما قلنا ، من أن التخفيف إنما هو ما كان فى إبدال شىء مكان آخر ، قول أبى النجم :

* عَزْلُ الأميرِ للأميرِ المُبْدَلِ [1] *

وقوله (يَعْبُدُونَنِى) يقول : يخضعون لى بالطاعة ، ويتذللون لأمرى ونهيى (لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا) يقول : لا يشركون فى عبادتهم إياى الأوثان والأصنام ولا شيئا غيرها ، بل يخلصون لى العبادة ، فيفردونها إلىّ ، دون كلّ ما عُبد من شىء غيرى . وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه إليه ، فى بعض الأوقات التى كانوا فيها من العدوّ فى خوف شديد ، مما هُمْ فيه من الرُّعب والخوف ، وما يَلْقَون بسبب ذلك من الأذى والمكروه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قوله (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . . . الآية ، قال : « مكث النبىّ صلى الله عليه وسلم عَشْر سنين خائفا ، يدعو إلى الله سرّا وعلانية ، قال : ثم أُمر بالهجرة إلى المدينة ، قال : فمكث بها

(١) البيت من مشطور الرجز ، لأبى النجم العجلى الراجز (اللسان : بدل) قال : قال أبو العباس (يعنى ثعلبا) وحقيقته : أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها ؛ والإبدال : تنحية الجوهرة ، واستئناف جوهرة أخرى . منه قول أبى النجم * عزل الأمير للأمير المبدل * ألا ترى أنه نحى جسما ، وجعل مكانه جسما غيره ؟

هو وأصحابه خائفون ، يُصبحون فى السلاح ، ويُمسون فيه ، فقال رجل : مايأتى علينا يوم نأمن فيه ، ونضع عنا السلاح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لاتَغْبُرُونَ إلاَّ يَسِيرًا ، حتى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِى المَلإِ العَظِيمِ مُحْتَبِيا فِيهِ ، لَيْسَ فِيهِ[1] حَدِيدَةٌ ، فأنزل الله هذه الآية (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) . . . إلى قوله (فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ) » قال : يقول : من كفر بهذه النعمة (فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) وليس يعنى الكفر بالله . قال : فأظهره الله على جزيرة العرب ، فآمنوا ، ثم تجبَّروا ، فغيّر الله ما بهم ، وكفروا بهذه النعمة ، فأدخل الله عليهم الخوف الذى كان رفعه عنهم ؛ قال القاسم : قال أبو على[2] : بقتلهم عثمان بن عفان رضى الله عنه .

واختلف أهل التأويل فى معنى الكفر الذى ذكره الله فى قوله (فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ) فقال أبو العالية ماذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله .

ورُوى عن حُذيفة فى ذلك ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ابن أبى الشعثاء ، قال : كنت جالسا مع حُذيفة وعبد الله بن مسعود ، فقال حُذيفة : ذهب النفاق ، وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان ، قال : فضحك عبد الله ، فقال : لم تقول ذلك ؟ قال : علمت ذلك ، قال (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ) . . . حتى بلغ آخرها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى الشَّعْثاء ، قال : قعدت إلى ابن مسعود وحُذيفة ، فقال حذيفة : ذهب النِّفاق فلا نفاق ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان ، فقال عبد الله : تعلم ما تقول ؟ قال : فتلا هذه الآية (إِنَّمَا كانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ) . . . حتى بلغ (فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) قال : فضحك عبد الله ، قال : فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام ، فقلت : من أىّ شىء ضحك عبد الله ؟ قال : لاأدرى ، إن الرجل ربما ضحك من الشىء الذى يُعْجبه ، وربما ضحك من الشىء الذى لايعجبه ، فمن أىّ شىء ضحك ؟ لاأدرى . والذى قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر فى هذه الآية ، أنه منعم به عليهم ؛ ثم قال عقيب ذلك : فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك (فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قول : (يَعْبُدُونَنِى لايُشْرِكُونَ بِى شَيْئا) قال : تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (أمنا يَعْبُدُونَنِى لايُشْرِكُونَ بِى شَيْئا) قال : لايخافون غيرى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ ، وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ، وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)

(١) فى فتح القدير للشوكانى (٤ : ٤٧) ليست فيهم جديدة . ولعلها رواية أخرى . (٢) لعله أبو العالية ، راوى الحديث .

⁂ يقول تعالى ذكره (وأقيمُوا) أيها الناس (الصَّلاةَ) بحدودها ، فلا تضيعوها (وآتُوا الزَّكاةَ) التى فرضها الله عليكم أهلها ، وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : كى يرحمكم ربكم ، فينجيكم من عذابه ، وقوله (لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : لاتحسبنّ يامحمد الذين كفروا بالله معجزيه فى الأرض ، إذا أراد إهلاكهم (ومأْوَاهُمُ) بعد هلاكهم (النَّارُ ، وَلَبِئْسَ المَصِيرُ) الذى يصيرون إليه ذلك المأوى . وقد كان بعضهم يقول : لايحسبنّ الذين كفروا بالياء ، وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية ، وذلك أن تحسب محتاج إلى منصوبين . وإذا قرئ (يَحْسَبَنَّ) لم يكن واقعا إلاّ على منصوب واحد ، غير أنى أحسب أن قائله بالياء ظنّ أنه قد عمل فى معجزين ، وأن منصوبه الثانى فى الأرض ، وذلك لامعنى له إن كان ذلك قصد .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨)

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) فقال بعضهم : عُنى بذلك : الرجال دون النساء ، ونهوا عن أن يدخلوا عليهم فى هذه الأوقات الثلاثة ، هؤلاء الذين سُمُّوا فى هذه الآية إلا بإذن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عَنبسة ، عن ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قوله : (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) قال : هى على الذكور دون الإناث .

وقال آخرون : بل عُنِى به الرجال والنساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن أبى عبد الرحمن ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) قال : هى فى الرجال والنساء ، يستأذنون على كلّ حال ، بالليل والنهار .

⁂ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عُنى به الذكور والإناث ، لأن الله عمّ بقوله (الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) جميع أملاك أيماننا ، ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى ، فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل .

فتأويل الكلام : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، ليستأذنكم فى الدخول عليكم عبيدُكم وإماؤكم، فلا يدخلوا عليكم إلا بإذن منكم لهم .

(وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ) يقول : والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرّات ، يعنى ثلاث مرات ، فى ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ) قال : عبيدكم المملوكون (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ) قال : لم يحتلموا من أحراركم .

قال ابن جُرَيج : قال لى عطاء بن أبى رباح : فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن ، كما قال (ثَلاثَ مرّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ) قالوا : هى العَتَمة ، قلت : فإذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة ، استأذنوا عليهم حتى يصبحوا ، قال نعم : قلت لعطاء : هل استئذانهم إلا عند وضع الناس ثيابهم ؟ قال لا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن صالح بن كيسان ويعقوب ابن عُتبة ، وإسماعيل بن محمد ، قالوا : لااستئذان على خدم الرجل عليه ، إلا فى العورات الثلاث .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ) يقول : إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء ، فلا يدخل عليه خادم ولا صبىّ إلا باذن ، حتى يصلّى الغداة ، فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى قرة بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب ، عن ثعلبة ، عن أبى مالك القرظى ، أنه سأل عبد الله بن سُوَيد الحارثىّ ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإذن فى العورات الثلاث ، فقال : إذا وضعت ثيابى من الظهيرة ، لم يلج علىّ أحد من الخدم الذى بلغ الحلم ، ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الأحرار ، إلا بإذن .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عطاء يقول : قال ابن عباس : ثلاث آيات جَحَدَهنّ الناس : الإذن كله ، وقال (إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ) وقال الناس : أكرمكم أعظمكم بيتا ، ونسيت الثالثة .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى هذه الآية : (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ) قال : كان الحسن يقول : إذا أبات الرجل خادمه معه ، فهو إذنه ، وإن لم يبته معه ، استأذن فى هذه الساعات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى موسى بن أبى عائشة ، عن الشعبىّ فى قوله (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ) قال : لم تُنسخ ، قلت : إن الناس لايعملون به ، قال الله المستعان .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن الشعبىّ ، وسألته عن هذه الآية (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ) قلت : منسوخة هى ؟ قال : لا والله ما نُسخت ، قلت : إن الناس لايعملون بها ، قال : الله المستعان .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عَوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، قال : إن ناسا يقولون نسخت ، ولكنها مما يتهاون الناس به .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير فى هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : لايعمل بها اليوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حنظلة ، أنه سمع القاسم بن محمد يُسْأَل عن الإذن ، فقال : يستأذن عند كلّ عورة ، ثم هو طوّاف ، يعنى الرجل على أمه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا عبد العزيز بن أبى رَوّاد ، قال : أخبرنى رجل من أهل الطائف ، عن غَيلان بن شُرَحبيل ، عن عبد الرحمن بن عوف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايَغْلِبَنَّكُمُ الأعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلاتِكُمْ ، قالَ اللهُ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) وإنَّمَا العَتَمَةُ عَتَمَةُ الإبِلِ . »

وقوله (ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة : (ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) برفع الثلاث ، بمعنى الخبر عن هذه الأوقات التى ذكرت ، كأنه عندهم قيل : هذه الأوقات الثلاثة التى أمرناكم بأن لايدخل عليكم فيها من ذكرنا إلا بإذن ، ثلاثُ عورات لكم ، لأنكم تضعون فيها ثيابكم ، وتخلُون بأهليكم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (ثَلاثَ عَوْرَاتٍ) بنصب الثلاث على الردّ على الثلاث الأولى . وكأن معنى الكلام عندهم : ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاثَ مرّات ، ثلاثُ عورات لكم .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) يقول تعالى ذكره : ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ، ولا عليهم ، يعنى : ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء ، والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا إثم بعدهنّ ، يعنى بعد العورات الثلاث ، والهاء والنون فى قوله (بَعْدَهُنَّ) عائدتان على الثلاث من قوله (ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) ، وإنما يعنى بذلك أنه لاحرج ولا جُناح على الناس ، أن يدخل عليهم مماليكهم البالغون ، وصبيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات الثلاث ، اللاتى ذكرهنّ فى قوله (مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم رخص لهم فى الدخول فيما بين ذلك بغير إذن ، يعنى فيما بين صلاة الغداة إلى الظهر ، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء ، أنه رخص لخادم الرجل والصبىّ أن يدخل عليه منزله بغير إذن ، قال : وهو قوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ) فأما من بلغ الحلُم ، فإنه لايدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال .

وقوله (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) رفع الطوّافون بمضمر ، وذلك هم ، يقول لهؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوّافون عليكم أيها الناس ، ويعنى بالطوّافين : أنهم يدخلون ويخرجون على مواليهم وأقربائهم فى منازلهم غدوة وعشية بغير إذن ، يطوفون عليهم ، بعضكم على بعض فى غير الأوقات الثلاث التى أمرهم أن لايدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها إلا بإذن (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ) يقول جلّ ثناؤه : كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان فى هذه الآية ، كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله ذو علم بما يصلح عباده ، حكيم فى تدبيره إياهم ، وغير ذلك من أموره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا اسْتَئْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وإذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ، ويعنى بقوله (مِنْكُمْ) من أحراركم . (الحُلُمَ) يعنى الاحتلام واحتلموا (فَلْيَسْتَأْذِنُوا) يقول : فلا يدخلوا عليكم فى وقت من الأوقات إلا بإذن ، لافى أوقات العورات الثلاث ولا فى غيرها . وقوله (كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) : يقول : كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار ، وخصّ الله تعالى ذكره فى هذه الآية الأطفال بالذكر ، وتعريف حكمهم عباده فى الاستئذان ، دون ذكر ماملكت أيماننا ، وقد تقدّمت الآية التى قبلها ، بتعريفهم حكم الأطفال الأحرار والمماليك ، لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد ، سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم ، فى أن الإذن عليهم فى الساعات الثلاث التى ذكرها الله فى الآية التى قبل .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : أما من بلغ الحُلُم ، فإنه لايدخل على الرجل وأهله ، يعنى من الصبيان الأحرار ، إلا بإذن على كل حال ، وهو قوله (وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء (وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) قال : واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا إذا احتلموا ، على من كان من الناس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابن المسيب ، قال : يستأذن الرجل على أمه ، قال : إنما أنزلت (وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ) فى ذلك (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ) يقول : هكذا يبين الله لكم آياته ، أحكامه وشرائع دينه ، كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال فى الاستئذان بعد البلوغ (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء ، حكيم فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ، وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : واللواتى قد قعدن عن الولد ، من الكبر ، من النساء ، فلا يحضن ولا يلدن ، واحدتهن قاعد (اللاَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) يقول : اللاتى قد يئسن من البعولة ، فلا يطمعن فى الأزواج (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) يقول : فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهن ، يعنى جلابيبهن ، وهى القناع الذى يكون فوق الخمار ، والرداء الذى يكون فوق الثياب ، لاحرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال ، وغير المحارم من الغرباء ، غير متبرجات بزينة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (والقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) وهى المرأة لاجناح عليها أن تجلس فى بيتها بدرع وخمار ، وتضع عنها الجلباب ، ما لم تتبرج لما يكره الله ، وهو قوله (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) ثم قال (وأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) يعنى : الجلباب ، وهو القناع ، وهذا للكبيرة التى قد قعدت عن الولد ، فلا يضرها أن لاتجلبب فوق الخمار . وأما كل امرأة مسلمة حرّة ، فعليها إذا بلغت المحيض أن تدنى الجلباب على الخمار . وقال الله فى سورة الأحزاب (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرّت بهم امرأة سيئة الهيئة والزىّ ، حَسِب

المنافقون أنها مزنية ، وأنها من بغيتهم ، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ، ولا يعلمون الحرّة من الأمة ، فأنزل الله فى ذلك (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ، ذلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ) يقول : إذا كان زِيهنّ حسنا ، لم يطمع فيهنّ المنافقون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، فى قوله (وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّساءِ) التى قعدت من الوَلد وكبرت . قال ابن جُرَيج : قال مجاهد : (اللاتى لايَرْجُونَ نِكاحا) قال : لايردنه (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ) قال : جلابيبهنّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والقَوَاعِدُ مِنَ النِّساءِ اللاَّتى لايَرْجُونَ نِكاحا ، فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غيرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ) قال : وضع الخمار ، قال : التى لاترجو نكاحا ، التى قد بلغت أن لايكون لها فى الرجال حاجة ، ولا للرجال فيها حاجة ، فإذا بلغن ذلك وضعن الخمار ، غير متبرّجات بزينة ، ثم قال (وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) كان أبى يقول هذا كله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن علقمة بن مَرْثَد ، عن ذرّ ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، فى قوله (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ) قال : الجلباب أو الرداء ، شكّ سفيان .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله (لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ) قال : الرداء .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مالك ابن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله فى هذه الآية (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ) قال : هى المِلْحَفة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت أبا وائل قال : سمعت عبد الله يقول فى هذه الآية (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ) قال : الجلباب .

حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : أخبرنى الحَكَم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثَّورى ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود ، فى قوله (أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غيرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ) قال : هو الرداء .

قال الحسن ، قال : عبد الرزاق ، قال الثورىّ : وأخبرنى أبو حصين وسالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير ، قال : هو الرداء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ (أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غيرَ مُتَبَرِّجاتٍ

بِزِينَةٍ) قال : تضع الجلباب المرأة التى قد عجزت ولم تزوّج . قال الشعبىّ : فإن أُبىّ بن كعب يقرأ (أنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِيابِهِنَّ) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : قلت لابن أبى نجيح ، قوله (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غيرَ مُتَبَرّجاتٍ بِزِينَةٍ) قال : الجلباب ، قال يعقوب ، قال أبو يونس : قلت له : عن مجاهد ؟ قال : نعم ، فى الدار والحجرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ) قال : جلابيبهنّ .

وقوله (غيرَ مُتَبَرّجاتٍ بِزِينَةٍ) يقول : ليس عليهنّ جناح فى وضع أرديتهنّ إذا لم يُرِدن بوضع ذلك عنهنّ ، أن يبدين ما عليهنّ من الزينة للرجال . والتبرّج : هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغى لها أن تستره .

وقوله (وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) يقول : وإن تعففن عن وضع جلابيبهنّ وأرديتهنّ ، فيلبسنها ، خير لهنّ من أن يضعنها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) قال : أن يلبسن جلابيبهنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغِيرة ، عن الشعبىّ (وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) قال : تركُ ذلك ، يعنى ترك وضع الثياب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) والاستعفاف : لبس الخمار على رأسها ، كان أبى يقول هذا كله (وَاللهُ سَمِيعٌ) ما تنطقون بألسنتكم (عَلِيمٌ) بما تضمره صدوركم ، فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ، ماقد نهاكم عن أن تنطقوا بها ، أو تضمروا فى صدوركم ماقد كرهه لكم ، فتستوجبوا بذلك منه عقوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

خَلَّتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ، فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)

⁂ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى هذه الآية فى المعنى الذى أنزلت فيه ، فقال بعضهم : أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين فى الأكل مع العُمْيان والعُرْجان والمرضى وأهل الزَّمانة من طعامهم ، من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم ، خشية أن يكونوا قد أَتَوْا بأكلهم معهم من طعامهم ، شيئا مما نهاهم الله عنه بقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالباطِلِ ، إلاَّ أنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنكمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) . . . إلى قوله (أوْ أشْتاتا) وذلك لَمّا أنزل الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالباطِلِ) فقال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والطعام من أفضل الأموال ، فلا يحلّ لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكفّ الناس عن ذلك ، فأنزل الله بعد ذلك (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ) . . . إلى قوله (أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ) . . . الآية ، كان أهل المدينة قبل أن يُبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم لايخالطهم فى طعامهم أعمى ولا مريض ، فقال بعضهم : إنما كان بهم التقذّر والتقزّز . وقال بعضهم : المريض لايستوفى الطعام كما يستوفى الصحيح ، والأعرج المنحبس لايستطيع المزاحمة على الطعام ، والأعمى لايبصر طيب الطعام ، فأنزل الله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ) فى مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج ، فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء : ليس عليكم أيها الناس فى الأعمى حرج ، أن تأكلوا منه ومعه ، ولا فى الأعرج حرج ، ولا فى المريض حرج ، ولا فى أنفسكم ، أن تأكلوا من بيوتكم ، فوجّهوا معنى « على » فى هذا الموضع إلى معنى « فى » . .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية ترخيصا لأهل الزمانة ، فى الأكل من بيوت من سمى الله فى هذه الآية ، لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا لم يكن عندهم فى بيوتهم مايطعمونهم ، ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم ، أو بعض من سمّى الله فى هذه الآية ، فكان أهل الزمانة يتخوّفون من أن يطعموا ذلك الطعام ، لأنه أطعمهم غير ملكه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أنْ تأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ) قال : كان رجال زَمْنَى . قال ابن عمرو فى حديثه : عُمْيان وعُرْجان . وقال الحارث : عُمْى عُرْج أولو حاجة ، يستتبعهم رجال إلى بيوتهم ، فإن لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم ، ومن عدد منهم من البيوت ، فكره ذلك المستتبعون ، فأنزل الله فى ذلك (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) ، وأحلّ لهم الطعام حيث وجدوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض والأعرج إلى بيت أبيه ، أو إلى بيت أخيه ، أو عمه ، أو خاله ، أو خالته ، فكان الزَّمنى يتحرّجون من ذلك ، يقولون : إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم ، فنزلت هذه الآية رُخْصة لهم.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، نحو حديث ابن عمرو ، عن أبى عاصم .

وقال آخرون : بل نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله فى هذه الآية ، أن يأكلوا من بيوت من خلّفهم فى بيوته من الغزاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : قلت للزهرّى ، فى قوله (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ) ما بال الأعمى ذكر هاهنا ، والأعرج والمريض ، فقال : أخبرنى عُبيد الله بن عبد الله ، أن المسلمين كانوا إذا غزَوا خلّفوا زَمْناهم ، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ، يقولون : قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا ، وكانوا يتحرّجون من ذلك ، يقولون : لاندخلها وهم غُيَّب ، فأنزلت هذه الآية رخصة لهم .

وقال آخرون : بل عُنى بقوله (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ ، وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ) فى التخلف عن الجهاد فى سبيل الله ، قالوا : وقوله (وَلا عَلَى أنْفُسِكُمْ أنْ تأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) كلام منقطع عما قبله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ ، وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ) قال : هذا فى الجهاد فى سبيل الله ، وفى قوله (وَلا عَلَى أنْفُسِكُمْ أنْ تأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) . . . إلى قوله (أوْ صَدِيقِكُمْ) قال : هذا شىء قد انقطع ، إنما كان هذا فى الأوّل ، لم يكن لهم أبواب ، وكانت الستور مُرْخاة ، فربما دخل الرجل

البيت وليس فيه أحد، فربما وجد الطعام وهو جائع، فسوّغه الله أن يأكله . قال: وقد ذهب ذلك اليوم، البيوت اليوم فيها أهلها، وإذا أخرجوا أغلقوها، فقد ذهب ذلك .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة فى مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم، عن مِقْسم ، فى قوله (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ) قال : كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج ، فنزلت (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أوْ أشْتَاتا) .

واختلفوا أيضا فى معنى قوله (أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) فقال بعضهم : عنى بذلك : وكيل الرجل وَقيِّمَه ، أنه لابأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ، ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) وهو الرجل يوكّل الرجل بضيعته، فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ، ويشربَ اللبن .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : منزل الرجل نفسه ، أنه لابأس عليه أن يأكل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) يعنى : بيت أحدهم ، فإنه يملكه ، والعبيد منهم مما ملكوا .

حدثنا الحسن ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) مما تحبون يا بن آدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال (أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) قال : خزائن لأنفسهم ، ليست لغيرهم .

⁂ وأشبه الأقوال التى ذكرنا فى تأويل قوله (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ) . . . إلى قوله (أوْ صَدِيقِكُمْ) القول الذى ذكرنا عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، وذلك أن أظهر معانى قوله (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ، وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ): أنه لاحرج على هؤلاء الذين سُمُّوا فى هذه الآية، أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها ، على ما أباح لهم من الأكل منها ، فإذ كان ذلك أظهر معانيه ، فتوجيه معناه إلى الأغلب الأعرف من معانيه، أولى من توجيهه إلى الأنكر منها . فإذ كان ذلك كذلك، كان ماخالف من التأويل قول من قال : معناه : ليس فى الأعمى والأعرج حرج ، أولى بالصواب . وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله (وَلا عَلَى أنْفُسِكُمْ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) أنه بمعنى : ولا عليكم أيها الناس، ثم جمع هؤلاء

والزَّمْنَى الذين ذكرهم قبل فى الخطاب ، فقال : أن تأكلوا من بيوت أنفسكم ، وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب ، غلَّبت المخاطب ، فقالت : أنت وأخوك قمتما ، وأنت وزيد جلستما ، ولا تقول : أنت وأخوك جلسا ، وكذلك قوله (وَلا عَلَى أنْفُسِكُمْ) والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض ، غلَّب المخاطب ، فقال : أن تأكلوا ، ولم يقل : أن يأكلوا .

فإن قال قائل : فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه ، كان لهم حلالا ، إذ كان ملكا لهم ، أَوَكانَ أيضا حلالا لهم الأكل من مال غيرهم ؟ قيل له : ليس الأمر فى ذلك على ماتوهَّمتَ ، ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله ابن عبد الله ، أنهم كانوا إذا غابوا فى مغازيهم ، وتخلف أهل الزمانة منهم ، دفع الغازى مفتاح مسكنه إلى المتخلف منهم ، فأطلق له فى الأكل مما يخلف فى منزله من الطعام ، فكان المتخلفون يتخوّفون الأكل من ذلك وربه غائب ، فأعلمه الله أنه لاحرج عليه فى الأكل منه ، وأذن لهم فى أكله ، فإذ كان ذلك كذلك تبين أن لامعنى لقول من قال : إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبع أكل طعام غير المستتبع ، لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك ، لقيل : ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم ، أو من طعام آباء من دعاكم ، ولم يقل : أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ، وكذلك لاوجه لقول من قال : معنى ذلك : ليس على الأعمى حرج فى التخلف عن الجهاد فى سبيل الله ، لأن قوله (أنْ تأْكلُوا) خبر ليس ، وأن فى موضع نصب على أنها خبر لها ، فهى متعلقة بليس ، فمعلوم بذلك أن معنى الكلام : ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته ، لاما قاله الذين ذكرنا ، من أنه لاحرج عليه فى التخلف عن الجهاد . فإذ كان الأمر فى ذلك على ماوصفنا ، تبين أن معنى الكلام : لاضِيقَ على الأعمى ، ولا على الأعرج ، ولا على المريض ، ولا عليكم أيها الناس ، أن تأكلوا من بيوت أنفسكم ، أو من بيوت آبائكم ، أو من بيوت أمهاتكم ، أو من بيوت إخوانكم ، أو من بيوت أخواتكم ، أو من بيوت أعمامكم ، أو من بيوت عماتكم ، أو من بيوت أخوالكم ، أومن بيوت خالاتكم ، أو من البيوت التى ملكتم مَفاتحها ، أو من بيوت صديقكم ، إذا أذنوا لكم فى ذلك ، عند مغيبهم ومشهدهم . والمفاتح : الخزائن ، واحدها : مَفْتح ، إذا أريد به المصدر ، وإذا كان من المفاتيح التى يفتح بها ، فهى مِفْتح ومفاتح ، وهى هاهنا على التأويل الذى اخترناه جمع مِفتح الذى يفتح به .

وكان قَتادة يتأوّل فى قوله (أوْ صَدِيقِكُمْ) : ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق عن معمر ، عن قَتادة (أوْ صَدِيقِكُمْ) فلو أكلْت من بيت صديقك من غير أمره ، لم يكن بذلك بأس ، قال معمر : قلت لقتادة : أَوَلا أشربُ من هذا الحُبّ ، قال : أنت لى صديق .

وأما قوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تأْكُلُوا جَمِيعاً أوْ أشْتاتا) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : كان الغنىّ من الناس يتخوّف أن يأكل مع الفقير ، فرخَّصَ لهم فى الأكل معهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن

ابن عباس ، قوله (أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أَوْ أَشْتَاتا) قال : كان الغنيّ يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصديقه ، فيدعُوَه إلى طعامه ليأكل معه ، فيقول : والله إنى لأجنح أن آكل معك ، والجنح : الحرج ، وأنا غنيّ وأنت فقير ، فأُمروا أن يأكلوا جميعا ، أو أشتاتا .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك حيّ من أحياء العرب ، كانوا لايأكل أحدهم وحده ، ولا يأكل إلا مع غيره ، فأذِن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ، ومن شاء منهم مع غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : كانوا يأنفون ويتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، حتى يكون معه غيره ، فرخص الله لهم ، فقال (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أَوْ أَشْتَاتا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : كانت بنو كنانة يستحى الرجل منهم أن يأكل وحده ، حتى نزلت هذه الآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كانوا لايأكلون إلا جميعا ، ولا يأكلون متفرّقين ، وكان ذلك فيهم دينا ، فأنزل الله : ليس عليكم حرج فى مؤاكلة المريض والأعمى ، وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أَوْ أَشْتَاتا) قال : كان من العرب من لايأكل أبدا جميعا ، ومنهم من لايأكل إلا جميعا ، فقال الله ذلك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : نزلت (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أَوْ أَشْتَاتا) فى حىّ من العرب كان الرجل منهم لايأكل طعامه وحده ، كان يحمله بعض يوم ، حتى يجد من يأكله معه ؛ قال : وأحسب أنه ذكر أنهم من كِنانة .

وقال آخرون : بل عُنِىَ بذلك قوم كانوا لايأكلون إذا نزل بهم ضيف إلامع ضيفهم ، فرخّص لهم فى أن يأكلوا كيف شاءوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليمان ، عن أبى صالح وعكرمة ، قالا : كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف ، لايأكلون حتى يأكل الضيف معهم ، فرُخِّص لهم ، قال الله (لاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعا أَوْ أَشْتَاتا) .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله وضع الحَرَج عن المسلمين ، أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا ، أو أشتاتا متفرّقين إذا أرادوا ، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوّف من الأغنياء الأكل مع الفقير ، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لايَطْعَمون وُحْدانا ، وبسبب

غير ذلك ، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ، ولادلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه . والصواب التسليم لما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل .

وقوله (فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً منْ عِنْد اللهِ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم ، فسلموا على أهليكم وعيالكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهريّ وقتادة في قوله (فسَلِّموا عَلَى أنْفُسِكُمْ) قالا : ببيتك إذا دخلته ، فقل : سلام عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج (فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسكُمْ) قال : سلم على أهلك . قال ابن جُرَيج ، وسُئل عن عطاء بن أبي رباح : أحقّ على الرجل إذا دخل على أهله أن يسلم عليهم ، قال : نعم ، وقالها عمرو بن دينار ، وتَلَوا (فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ ، تَحِيَّةً مِنْ عِنْد اللهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً) قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرّة .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرني أبو الزُّبير ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم (تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً) قال : ما رأيته إلا يوجبه .

قال ابن جُرَيج ، وأخبرني زياد ، عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم بيته فليسلم .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قلت لعطاء : إذا خرجت أواجب السلام ، هل أسلم عليهم ؟ فإنما قال (إذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا) قال : ما أعلمه واجبا ، ولا آثرُ عن أحد وجوبه ، ولكن أحبّ إليّ ، وما أدعه إلا ناسيا .

قال ابن جُرَيج ، وقال عمرو بن دينار : لا ، قال : قلت لعطاء : فإن لم يكن في البيت أحد ؟ قال : سلم ، قل : السلام على النبيّ ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله ، قلت له : قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحدعمن تَأْثِره؟ ، قال: سمعته ولم يؤثر لي عن أحد .

قال ابن جُرَيج ، وأخبرني عَطَاءٌ الخُراسانيّ ، عن ابن عباس ، قال : السلام علينا من ربنا ، وقال عمرو بن دينار : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

حدثنا أحمد بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : تنا صدقة ، عن زُهَير ، عن ابن جُرَيج ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، تحية من عند الله مباركة طيبة ، قال : ما رأيته إلاّ يوجبه .

حدثنا محمد بن عباد الرازي ، قال : ثنا حجاج بن محمد الأعور ، قال : قال لي ابن جُرَيج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول ، فذكر مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) يقول : سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم ، وعلى غير أهاليكم ، فسلموا إذا دخلتم بيوتهم .

وقال آخرون : بل معناه : فإذا دخلتم المساجد فسلِّموا على أهلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس (إذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) قال : هى المساجد ، يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، فى قوله (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) قال : إذا دخلت المسجد فقل : السلام على رسول الله ، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتك فقل : السلام عليكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم ، فليسلم بعضكم على بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله ، فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) أى ليسلم بعضكم على بعض ، كقوله (وَلا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) قال : إذا دخل المسلِّم سُلِّم عليه ، كمثل قوله (لاتَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ) إنما هو : لاتقتل أخاك المسلم .

وقوله (ثُمَّ أنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أنْفُسَكُمْ) قال : يقتل بعضكم بعضا ، قُريظة والنَّضير .

وقال آخرون : معناه : فإذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد ، فسلموا على أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك ، قال : إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين ، فقل مثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سِنان ، عن ماهان ، قال : إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ، قال : تقولوا : السلام علينا من ربنا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا شعبة عن منصور ، قال شعبة : وسألته عن

هذه الآية (فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ) قال : قال إبراهيم : إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشجّ ، عن نافع ، أن عبد الله كان إذا دخل بيتا ليس فيه أحد ، قال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا منصور ، عن إبراهيم (فاذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) قال : إذا دخلت بيتا فيه يهود ، فقل : السلام عليكم ، وإن لم يكن فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال معناه : فإذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين ، فليسلم بعضكم على بعض .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله جلّ ثناؤه قال (فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتا) ولم يخصُصْ من ذلك بيتا دون بيت ، وقال (فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) يعنى : بعضكم على بعض ، فكان معلوما إذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض ، أنه معنىّ به جميعها ، مساجدها وغير مساجدها . ومعنى قوله (فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) نظير قوله (وَلا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ) ، وقوله (تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ) ونصب تحية ، بمعنى : تُحيُّون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية ، فكأنه قال : فليحىّ بعضكم بعضا تحية من عند الله . وقد كان بعض أهل العربية يقول : إنما نصبت بمعنى : أمَرَكم بها تفعلونها تحيّة منه ، ووصف جلّ ثناؤه هذه التحية المباركة الطيبة ، لما فيها من الأجر الجزيل ، والثواب العظيم .

وقوله (كَذلكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ) يقول تعالى ذكره : هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم ، فيبينها لكم ، كما فصل لكم فى هذه الآية ما أحلّ لكم فيها ، وعرّفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه ، (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : لكى تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ، وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ، إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ، فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : ما المؤمنون حقّ الإيمان ، إلا الذين صدّقوا الله ورسوله (وَإذَا كانُوا مَعَهُ) ، يقول : وإذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (عَلَى أمْرٍ جامِعٍ) يقول : على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت ، أو صلاة اجتمع لها ، أو تشاور فى أمر نزل (لَمْ يَذْهَبُوا) يقول : لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر ، حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ) يقول : إذا كان أمر طاعة لله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) قال : أمر من طاعة الله عامّ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، قال : سأل مكحولا الشامىَّ إنسان وأنا أسمع ، ومكحول جالس مع عطاء ، عن قول الله فى هذه الآية (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ) فقال مكحول : فى يوم الجمعة ، وفى زَحْف ، وفى كلّ أمر جامع ، قد أمر أن لايذهب أحد فى يوم جمعة حتى يستأذن الإمام ، وكذلك فى كل جامع ، ألا ترى أنه يقول (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، قال : كان الرجل إذا كانت له حاجة والإمام يخطب ، قام فأمسك بأنفه ، فأشار إليه الإمام أن يخرُج ، قال : فكان رجل قد أراد الرجوع إلى أهله ، فقام إلى هَرِم بن حيان وهو يخطب ، فأخذ بأنفه ، فأشار إليه هرم أن يذهب ، فخرج إلى أهله ، فأقام فيهم ، ثم قدم ، قال له هرم : أين كنت ؟ قال : فى أهلى ؟ قال : أبإذن ذهبت ؟ قال : نعم ، قمت إليك وأنت تخطب ، فأخذت بأنفى ، فأشرت إلىّ أن اذْهَب فذهبت ، فقال : أفاتخذت هذا دَغَلا ، أو كلمة نحوها ، ثم قال : اللهمّ أخِّر رجال السوء إلى زمان السوء .

حدثنى الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، فى قوله (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) قال : هو الجمعة إذا كانوا معه ، لم يذهبوا حتى يستأذنوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ) قال : الأمر الجامع حين يكونون معه فى جماعة الحرب أو جمعة ، قال : والجمعة من الأمر الجامع ، لاينبغى لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلا بإذن سلطان ، إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ، ولا يخرج إلا بإذن ، وإذا كان حيث لايراه ولا يقدر عليه ، ولا يصل إليه ، فالله أولى بالعذر .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ) يقول تعالى ذكره : إن الذين لاينصرفون يامحمد إذا كانوا معك فى أمر جامع ، عنك إلا بإذنك لهم ، طاعة منهم لله ولك ، وتصديقا بما أتيتهم به من عندى ، أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا ، لامن يخالف أمر الله وأمر رسوله ، فينصرف عنك بغير إذن منك له ، بعد تقدّمك إليه أن لاينصرف عنك إلّا باذنك . وقوله (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ

لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ، فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره : فإذا استأذنك يامحمد الذين لايذهبون عنك إلا بإذنك فى هذه المواطن لبعض شأنهم ، يعنى لبعض حاجاتهم التى تعرض لهم ، فأْذن لمن شئت منهم فى الانصراف عنك لقضائها (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) يقول : وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات مابينه وبينهم (إنَّ اللهَ غَفُورٌ) لذنوب عباده التائبين (رَحِيمٌ) بهم أن يعاقبهم عليها ، بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (لَا تَجْعَلُوا) أيها المؤمنون (دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : نَهَى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرّضوا لدعاء الرسول عليهم ، وقال لهم : اتقوا دعاءه عليكم ، بأن تفعلوا ما يسخطه ، فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا ، فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس ، فإن دعاءه موجبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) دعوة الرسول عليكم موجبة ، فاحذروها .

وقال آخرون : بل ذلك نهى من الله أن يَدْعُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلَظ وجَفاء ، وأمر لهم أن يَدْعوه بلين وتواضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد (كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) قال : أمرهم أن يَدْعوا : يارسول الله ، فى لين وتواضع ، ولا يقولوا : يا محمد ، فى تجهُّم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله : (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) قال : أمرهم أن يَدْعوه : يا رسول الله ، فى لين وتواضع .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمر ، عن قَتادة ، فى قوله (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) قال : أمرهم أن يفخّموه ويشرّفوه .

⁂ وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى : التأويل الذى قاله ابن عباس، وذلك أن الذى قبل قوله (لاَ تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) نهىٌ من الله المؤمنين، أن يأتوا من الانصراف عنه، فى الأمر الذى يجمع جميعهم، مايكرهه، والذي بعده وعيد للمُنْصرفين بغير إذنه عنه ، فالذى بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سُخْطه، أن يضطرّه إلى الدعاء عليهم، أشبه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجر له ذكر، من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء .

وقوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا) يقول تعالى ذكره : إنكم أيها ، المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه ، تسترا وخفية منه ، وإن خفى أمر من يفعل ذلك منكم ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله يعلم ذلك ، ولا يخفى عليه، فليتّق من يفعل ذلك منكم ، الذين يخالفون أمر الله فى الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه ، أن تصيبهم فتنة من الله ، أو يصيبهم عذاب أليم ، فيطبَع على قلوبهم ، فيكفروا بالله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن جُويبر ، عن الضحاك ، فى قول الله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا) قال : كانوا يستتر بعضهم ببعض ، فيقومون ، فقال : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، قال: يطبَع على قلبه ، فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه ، فتُضرب عُنُقه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا) قال : خلافا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا) قال : هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : اللِّواذ : يلوذ عنه ويروغ : ويذهب بغير إذن النبىّ صلى الله عليه وسلم (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ)الذين يصنعون هذا (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم). الفتنة هاهنا: الكفر، واللِّواذ : مصدر لاوذت بفلان مُلاوذة ولِواذا ، ولذلك ظهرت الواو، ولو كان مصدرا للُذت لقيل : لِياذا ، كما يقال : قُمت قياما ، وإذا قيل : قاومتك ، قيل: قواما طويلا . واللَّواذ : هو أن يلوذ القوم بعضُهم ببعض ، يستتر هذا بهذا ، وهذا بهذا ، كما قال الضحاك .

وقوله (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : أو يصيبهم فى عاجل الدنيا عذاب من الله موجع ، على صنيعهم ذلك ، وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ) وأدخلت « عن » ، لأن معنى الكلام : فليحذر الذين يلوذون ، عن أمره ، ويُدبِرون عنه معرضين .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ، وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ، وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٦٤) .

يقول تعالى ذكره : ألا إن لله مُلك جميع السموات والأرض : يقول : فلا ينبغى لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه ، فيستوجب بذلك عقوبته . يقول : فكذلك أنتم أيها الناس ، لايصلح لكم خلاف ربكم الذى هو ما لككم ، فأطيعوه ، وأْتمروا لأمره ، ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع ، إلا بإذنه .

وقوله (قَدْ يَعْلَمُ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ) من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك ، كما حدثنى أيضا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَدْ يَعْلَمُ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ) صنيعكم هذا أيضا (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إلَيْهِ) يقول : ويوم يَرْجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ، (فيُنَبِّئُهُمْ) يقول : فيخبرهم حينئذ (بِمَا عَمِلُوا) فى الدنيا ، ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها ، من خلافهم على ربهم (وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله ذو علم بكل شىء عملتموه أنتم وهم وغيركم ، وغير ذلك من الأمور ، لايخفى عليه شىء ، بل هو محيط بذلك كله ، وهو مُوَفٍّ كلّ عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه .

آخر تفسير سورة النور

تفسير سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (١)

قال أبو جعفر : تبارك : تَفاعَلَ من البركة ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، قال : ثنا أبو رَوق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : تبارك : تَفَاعَلَ من البركة ، وهو كقول القائل : تقدّس ربنا ، فقوله (تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقانَ) يقول : تبارك الذى نزّل الفصل بين الحقّ والباطل ، فصلا بعد فصل ، وسورة بعد سُورة ، على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، ليكون محمد لجميع الجنّ والإنس ، الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه ، نذيرا : يعنى منذِرا يُنذرهم عِقابه ، ويخوّفهم عذابه ، إن لم يوحدوه ، ولم يخلصوا له العبادة ، ويخلعوا كلّ ما دونه من الآلهة والأوثان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

[ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيرًا) قال النبىّ النذير ، وقرأ (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ) وقرأ (وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَها مُنْذِرُونَ) قال : رسل ، قال : المنذرون : الرسل قال : وكان نذيرا واحدا بلّغ ما بين المشرق والمغرب ، ذوالقرنين ، ثم بلغ السدّين ، وكان نذيرا ، ولم أسمع أحدا يُحِقّ أنه كان نبيا (وأُوحِىَ إِلىَّ هذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) قال : من بلغه القرآن من الخلق ، فرسول الله نذيره ، وقرأ (يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا) وقال : لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحا ، بدأ به الخلق ، فكان رسولَ أهل الأرض كلهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم خَتَم به .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)

يقول تعالى ذكره : (تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقانَ - الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) فالذى الثانية من نعت الذى الأولى ، وهما جميعا فى موضع رفع ، الأولى بقوله تبارك ، والثانية نعت لها ، ويعنى بقوله (الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) الذى له سلطان السموات والأرض يُنْفِذ فى جميعها أمره وقضاءه ، ويُمْضِى فى كلها أحكامه ، يقول : فحقّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ، ومَنْ فى سلطانه ، ولا يعصُوه ، يقول : فلا تعصُوا نذيرى إليكم أيها الناس ، واتبعوه ، واعملوا بما جاءكم به من الحقّ (وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) يقول : تكذيبا لمن أضاف إليه الولد ، وقال : الملائكة بنات الله ، ما اتخذ الذى نزّل الفرقان على عبده ولدا ، فمن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فى المُلْكِ) يقول تكذيبا لمن كان يضيف الأُلوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركى العرب ، ويقول فى تلبيته : لَبَّيْك لاشريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ، كذب قائلو هذا القول ، ما كان لله من شريك فى مُلكه وسلطانه ، فيصلح أن يُعْبد من دونه ، يقول تعالى ذكره : فأفردوا أيها الناس لربكم الذى نزّل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الألُوهة ، وأخلصوا له العبادة ، دون كلّ ماتعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام ، والملائكة والجنّ والإنس ، فإن كلّ ذلك خلقه وفى ملكه ، فلا تصلح العبادة إلا لله الذى هو مالك جميع ذلك ، وقوله (وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ) يقول تعالى ذكره : وخلق الذى نزّل على محمد الفرقان كل شىء ، فالأشياء كلها خلقه وملْكه ، وعلى المماليك طاعة مالكهم ، وخدمة سيدهم دون غيره ، يقول : وأنا خالقكم ومالككم ، فأخلصوا لى العبادة دون غيرى ، وقوله (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) يقول : فسوّى كلّ ما خلق ، وهيأه لما يصلح له ، فلا خَلَل فيه ولا تفاوت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا (٣)

يقول تعالى ذكره: مُقَرِّعا مشركى العرب بعبادتهم مادونه من الآلهة ، ومعجِّبا أولى النهى منهم، ومنبِّههُم على موضع خطأ فِعْلهم، وذهابهم عن منهج الحقّ ،وركوبهم من سُبُل الضلالة ما لايركبه إلا كل مدخول الرأى ، مسلوب العقل ، واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذى له مُلك السموات والأرض وحده ، من غير شريك ، الذى خلق كلّ شىء فقدّره ، آلهة : يعنى أصناما بأيديهم يعبدونها ، لاتخلق شيئا وهى تُخْلق، ولا تملك لأنفسها نفعا تجرّه إليها ، ولا ضرّا تدفعه عنها ممن أرادها بضرّ ، ولا تملك إماتة حىّ ، ولا إحياء ميت ، ولا نشره من بعد مماته ، وتركوا عبادة خالق كلّ شىء ، وخالق آلهتهم ، ومالك الضرّ والنفع ، والذى بيده الموت والحياة والنشور . والنشور : مصدر نُشِر الميت نشورا ، وهوأن يُبعث ويحيا بعد الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ افْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ، فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا (٤)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بالله ، الذين اتخذوا من دونه آلهة : ما هذا القرآن الذى جاءنا به محمد (إِلَّآ إِفْكٌ) يعنى : إلا كذب وبُهتان (افْتَرَاهُ) اختلقه وتخرّصه بقوله (وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) ذكر أنهم كانوا يقولون: إنما يُعَلِّم محمدا هذا الذى يجيئنا به اليهود، فذلك قوله (وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) يقول : وأعان محمدا على هذا الإفك الذى افتراه يهود .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) قال : يهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (فَقَدْ جاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) يقول تعالى ذكره : فقد أتى قائلو هذه المقالة ، يعنى الذين قالوا : (إِنْ هَذَا إِلَّآ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) ظلما ، يعنى بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله، إلى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم . وقد بيّنا فيما مضى أن معنى الظلم : وضع الشىء

فى غير موضعه ، فكأنّ ظلم قائلى هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا، وصفُهم إياه بغير صفته . والزور : أصله تحسين الباطل . فتأويل الكلام : فقد أتى هؤلاء القوم فى قيلهم (إنْ هَذَا إلاَّ إفْكٌ افْتَرَاهُ وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) كذبا محضا .

وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَقَدْ جاءُوا ظُلْما وَزُورًا) قال : كذبا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا ، فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ : أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦)

⁂ ذكر أن هذه الآية نزلت فى النَّضْر بن الحارث ، وأنه المعنىّ بقوله (وَقالُوا أساطيرُ الأوَّلِينَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : « ثنا شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ ، من شياطين قريش ، وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدِم الحيرة ، تعلّم بها أحاديث ملوك فارس ، وأحاديث رُسْتم وأسفنديار ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا ، فذكّر بالله ، وحدّث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم ، من نقمة الله ، خلَفه فى مجلسه إذا قام ، ثم يقول : أنا والله يامعشر قُريش أحسن حديثا منه ، فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورسْتم وأسفنديار ، ثم يقول : ما محمد أحسن حديثا منى ، قال : فأنزل الله تبارك وتعالى فى النضر ثمانىَ آيات من القرآن ، قوله (وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أساطيرُ الأوَّلِينَ) وكلّ ما ذُكِر فيه الأساطير فى القرآن . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس نحوه ، إلا أنه جعل قوله « فأنزل الله فى النضْر ثمانى آيات ، » عن ابن إسحاق ، عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (أساطِيرُ الأوَّلِينَ) أشعارهم وكَهانتهم ، وقالها النضر بن الحارث .

فتأويل الكلام : وقال هؤلاء المشركون بالله ، الذين قالوا لهذا القرآن : إن هذا إلا إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا الذى جاءنا به محمد ، أساطير الأوّلين ، يعنُون أحاديثهم التى كانوا يُسَطِّرونها فى كتبهم ، اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود ، (فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ) يعنون بقوله (فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ) فهذه الأساطير تُقرأ عليه ، من قولهم : أمليت عليك الكتاب ، وأملَلْت (بُكْرَةً وأصِيلاً) يقول : وتملى عليه غُدْوة وعشيا .

وقوله (قُلْ أنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بآيات الله من مشركى قومك : ما الأمر كما تقولون ، من أن هذا القرآن أساطير الأوّلين ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ، بل هو الحقّ ، أنزله الربّ الذى يعلم سرّ من فى السموات ومن فى الأرض ، ولا يخفى عليه شىء ، ومُحْصِى ذلك على خلقه ، ومُجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم ، وأضمروه فى نفوسهم (إنَّهُ كانَ غَفُورًا رَحِيما) يقول : إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم ، فيتفضلُ عليهم بعفوه ، يقول : فلأن ذلك من عادته فى خلقه ، يُمْهِلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك ، والفاعلون ما فعلتم من الكفر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (قُلْ أنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ) قال : ما يسرّ أهل الأرض وأهل السماء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُواْ : مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ؟ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ : إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٨)

ذُكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة ، وعرضوا عليه أشياء ، وسألوه الآيات .

فكان فيما كلّموه به حينئذ ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد ابن أبى محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جُبير ، أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، «أن قالوا له : فإن لم تفعل لنا هذا ، يعنى ماسألوه من تسيير جبالهم عنهم ، وإحياء آبائهم ، والمجىء بالله والملائكة قبيلا ، وما ذكره الله فى سورة بنى إسرائيل ، فخذ لنفسك ، سلْ ربك يبعثْ معك ملَكا يصدّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسَلْه فيجعل لك قصورا وجنانا ، وكنوزا من ذهب وفضة ، تغنيك عما نراك ،

تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ، إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، فأنزل الله فى قولهم : أنْ خُذْ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها : أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا ، أو يبعث معه ملكا يصدّقه بما يقول ، ويردّ عنه من خاصمه ، (وقالوا ما لهذا الرَّسُولِ يأْكُلُ الطَّعامَ ، ويَمْشِي فِي الأسْوَاقِ ، لَوْلا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ، أوْ يُلْقَى إلَيْهِ كَنْزٌ ، أوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يأْكُلُ مِنْها ، وَقالَ الظَّالِمُونَ إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا) .

فتأويل الكلام : وقال المشركون (ما لِهَذا الرَّسُولِ) : يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ، الذى يزعم أن الله بعثه إلينا (يَأْكُلُ الطَّعامَ) كما نأكل ، (وَيَمْشِي) فى أسواقنا كما نمشى . (لَوْلا أُنْزِلَ إلَيْهِ) : يقول : هلا أنزل إليه (ملَك) إن كان صادقا من السماء (فَيَكُونَ مَعَهُ) منذرا للناس ، مصدّقا له على مايقول ، أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب ، فلا يحتاج معه إلى التصرّف فى طلب المعاش (أوْ تكون له جنة) : يقول : أو يكون له بستان (يَأْكُلُ مِنْها) .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (يَأْكُلُ) بالياء ، بمعنى : يأكل منها الرسول . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (نَأْكُلُ مِنْها) بالنون ، بمعنى : نأكل من الجنة.

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بالياء ، وذلك للخبر الذى ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لالهم ؛ فإذ كانت مسألتهم إياه ذلك كذلك ، فغير جائز أن يقولوا له : سلْ لنفسك ذلك ، لنأكل نحن .

وبعدُ ، فإن فى قوله تعالى ذكره : (تَبارَكَ الَّذِى إنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ) ، دليلا بيِّنا على أنهم إنما قالوا له : اطلب ذلك لنفسك ، لتأكل أنت منه ، لا نحن .

وقوله (وَقالَ الظَّالِمُونَ) يقول : وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله (إنْ تَتَّبِعُونَ) أيُّها القوم ، باتباعكم محمدا (إلاَّ رَجُلاً) به سحر .

القول فى تأويل قوله تعالى

انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٩) تَبَارَكَ الَّذِى إنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يامحمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك : هو مسحور ، فضلّوا بذلك عن قصد السبيل ، وأخطئوا طريق الهُدَى والرشاد ، فلا يستطيعون : يقول : فلا يجدون سبيلا إلى الحقّ ، إلا فيما بعثتك به ، ومن الوجه الذى ضلوا عنه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جُبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) أى التمسوا الهدى فى غير ما بعثتك به إليهم فضلوا ، فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهُدَى فى غيره .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) قال : مَخْرجا يخرجهم من الأمثال التى ضربوا لك .

وقوله (تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذلكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنهَارُ) يقول تعالى ذكره : تقدس الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ « بذلك » التى فى قوله (جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذلكَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يامحمد ، هلا أوتيته وأنت لله رسول ، ثم بين تعالى ذكره عن الذى لو شاء جعل له من خير مما قالوا ، فقال (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنهَارُ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذلكَ) خيرا مما قالوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (تَبَارَكَ الَّذِى إِن شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذلكَ) قال : مما قالوا ، وتمنَّوا لك ، فيجعل لك مكان ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار .

وقال آخرون : عُنِى بذلك المشى فى الأسواق ، والتماس المعاش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، فيما يرى الطبرىّ ، عن سعيد بن جُبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال : (تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) من أن تمشىَ فى الأسواق ، وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس ، (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) .

⁂ قال أبو جعفر : والقول الذى ذكرناه عن مجاهد فى ذلك : أشبه بتأويل الآية ، لأن المشركين إنما استعظموا أن لاتكون له جنة يأكل منها ، وأن لايُلْقى إليه كنز ، واستنكروا أن يمشى فى الأسواق ، وهو لله رسول ، فالذى هو أولى بوعد الله إياه ، أن يكون وعدا بما هو خير ما كان عند المشركين عظيما ، لامما

كان منكرا عندهم ، وعُنِى بقوله (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) : بساتين تجرى فى أصول أشجارها الأنهار .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) قال : حوائط .

وقوله (وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) يعنى بالقصور : البيوت المبنية .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) قال : بيوتا مبنية مشيدة ، كان ذلك فى الدنيا ، قال : كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) مشيدة فى الدنيا ، كل هذا قالته قريش ، وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا [١] قَصْرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب قال : « قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ، ما لم يعط نبى قبلك ، ولا يعطى من بعدك ، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى ، فقال : اجمعوها لى فى الآخرة ، فأنزل الله فى ذلك (تَبارَكَ الَّذِى إنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذلكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ ، وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) » .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ، وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢)

يقول تعالى ذكره : ما كذّب هؤلاء المشركون بالله ، وأنكروا ماجئتهم به يامحمد من الحقّ ، من أجل أنك تأكل الطعام ، وتمشى فى الأسواق ، ولكن من أجل أنهم لايوقنون بالمعاد ، ولا يصدّقون بالثواب والعقاب ، تكذيبا منهم بالقيامة ، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة . وأعتدنا : يقول : وأعددنا لمن كذّب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة ، نارا تسعّر عليهم ، وتتقد إذا رأتهم من مكان بعيد ، يقول : إذا رأت هذه النار التى أعتدناها لهؤلاء المكذّبين ، أشخاصهم من مكان بعيد ، تغيظت

(١) الظاهر أنه سقط من قلم الناسخ « أو كبيرا » كما يفيده ماقبله . والذى فى ابن كثير « صغيرا كان أو كبيرا » .

عليهم ، وذلك أن تغلى وتفور ، يقال : فلان تغيظ على فلان ، وذلك إذ غضب عليه ، فغلى صدره من الغضب عليه ، وتبين فى كلامه ، وزفيرا ، وهو صوتها .

فإن قال قائل : وكيف قيل (سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا) والتغيظ : لايسمع ، قيل : معنى ذلك : سمعوا لها صوت التغيظ ، من التلهب والتوقد .

حدثنى محمود بن خداش ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطىّ ، قال : ثنا أصبغ بن زيد الورّاق ، عن خالد بن كثير ، ، عن فُدَيك ، عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُولُ عَلَيَّ ما لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ بينَ عَيْنَىْ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا » قالوا : يا رسول الله ، وهل لها من عين ؟ قال : أَلَمْ تَسْمَعُوا إلى قَوْلِ اللهِ (إذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) . . الآية » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر فى قوله (سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا) قال : أخبرنى المنصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن جهنم لتزفر زفرة لايبقى ملك ولا نبىّ إلا خرّ ترعد فرائصه حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه ، فيقول : يا ربّ لاأسألك اليوم إلا نفسى .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقى ، قال : ثنا عُبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « إن الرجل ليُجَرّ إلى النار ، فتنزوى ، وينقبض بعضها إلى بعض ، فيقول لها الرحمن : مالك ؟ فتقول : إنه ليستجير منى ، فيقول : أرسلُوا عبدى ، وإن الرجل ليُجَرّ إلى النار ، فيقول : يا ربّ ما كان هذا الظنّ بك ؟ فيقول : فما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسعنى رحمتك ، قال : فيقول أرسلوا عبدى . وإن الرجل ليجرّ إلى النار ، فتشهق إليه النار شُهوق البغلة إلى الشعير ، وتزفر زفرة لايبقى أحد إلا خاف . »

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا ألقى هؤلاء المكذّبون بالساعة من النار مكانا ضيقا ، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال (دَعَوْا هُنالكَ ثُبُورًا) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الثّبور ، فقال بعضهم : هو الوَيْل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) يقول : وَيْلا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا : يقول : لاتدعوا اليوم ويلا واحدا ، وادعوا ويلا كثيرا .

وقال آخرون : الثبور : الهلاك .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (لاتَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا) الثبور : الهلاك .

قال أبو جعفر : والثبور فى كلام العرب : أصله انصراف الرجل عن الشىء ، يقال منه : ما ثَبَرك عن هذا الأمر : أى ماصرفك عنه ، وهو فى هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم ، على انصرافهم عن طاعة الله فى الدنيا ، والإيمان بما جاءهم به نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استوجبوا العقوبة منه ، كما يقول القائل : واندامتاه ، واحسرتاه على مافرّطت فى جنب الله . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى قوله (دَعَوْا هُنالكَ ثُبُورًا) أى هَلَكة ، ويقول : هو مصدر من ثُبر الرجل : أى أهلك ، ويستشهد لقيله فى ذلك ببيت ابن الزِّبَعْرَى :

إذْ أُجارِى الشَّيْطانَ فِى سَنَنِ الْغَـ ـىِّ وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ[1]

وقوله (لاتَدْعُوا اليَوْمَ) أيها المشركون ندما واحدا : أى مرّة واحدة ، ولكن ادعوا ذلك كثيرا ، وإنما قيل (لاتَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا) لأن الثبور مصدر ، والمصادر لاتجمع ، وإنما توصف بامتداد وقتها وكثرتها ، كما يقال : قعد قعودا طويلا ، وأكل أكلا كثيرا .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا علىّ بن زيد ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أوَّلُ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ إبْلِيسُ ، فَيَضَعُها عَلَى حاجِبَيْهِ ، وَيَسْحَبُها مِنْ خَلْفِهِ ، وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ خَلْفِه ، وَهُوَ يَقُولُ : يا ثُبُوراه ، وَهُمْ يُنادُونَ يا ثُبُورَهُمْ حتى يَقِفُوا عَلَى النَّارِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يا ثُبُوراهُ ، وَهُمْ يُنادُونَ يا ثُبُورَهُمْ فَيُقالُ (لاتَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورًا واحِدًا ، وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) » .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ، كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَٰلِدِينَ ، كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا (١٦)

(١) البيت لعبد الله بن الزبعرى شاعر قريش ، الذى كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم خرج إليه وأسلم بعد فتح مكة ، وقال حين أسلم شعرا ، منه هذا البيت ، من مقطوعة أربعة أبيات ، أنشدها ابن إسحاق فى السيرة (طبعة الحلبى ٤ : ٦١) ومعنى أجارى : أبارى وأعارض . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور : هالك . والشاهد فيه عند المؤلف أن الثبور معناه الهلاك ، والمثبور : الهالك .

* يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء المكذّبين بالساعة : أهذه النار التى وصف لكم ربُّكم صفتها وصفة أهلها، خير؟ أم بستان الخلد الذى يدوم نعيمه ولا يبيد، الذى وَعَد من اتقاه فى الدنيا، بطاعته فيما أمره ونهاه ؟ وقوله (كانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) يقول : كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله فى الدنيا بطاعته ، وثواب تقواهم إياه ، ومصيرا لهم ، يقول : ومصيرا للمتقين يصيرون إليها فى الآخرة . وقوله (لَهُمْ فِيها ما يَشاءُونَ) يقول: لهؤلاء المتقين فى جنة الخلد التى وعَدَهموها الله، ما يشاءون مما تشتهيه الأنفس ، وتلذّ الأعين (خالدِينَ) فيها ، يقول : لابثين فيها ماكثين أبدا ، لايزولون عنها ، ولا يزول عنهم نعيمها . وقوله (كانَ عَلى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً) وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك فى الدنيا حين قالوا (آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ) يقول الله تبارك وتعالى : كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التى وصف صفتها فى الآخرة ، وعْدا وعدهُمُ الله على طاعتهم إياه فى الدنيا ، ومسئلتهم إياه ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (كانَ عَلى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً) قال : فسألوا الذى وعدَهُم وتنجزوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كانَ عَلى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً) قال : سألوه إياها فى الدنيا ، طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم، إذ سألوه أن يعطيهم ، فأعطاهم، فكان ذلك وعدا مسئولا ، كما وقّت أرزاق العباد فى الأرض قبل أن يخلقهم ، فجعلها أقواتا للسائلين ، وقّت ذلك على مسئلتهم ، وقرأ (وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها فِى أرْبَعَةِ أيَّامٍ سَوَاءً للسَّائِلِينَ) .

وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله (وَعْدًا مَسْئُولاً) إلى أنه معنىّ به وعدا واجبا ، وذلك أن المسئول واجب ، وإن لم يُسْأل كالدين ، ويقول ذلك نظير قول العرب : لأعطينك ألفا وعدا مسئولا ، بمعنى واجب لك ، فتسأله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧)

* يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المكذّبين بالساعة ، العابدين الأوثان ، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجنّ :

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) فيقول (أأنْتُمْ أضْلَلْتُمْ عِبادِى هَؤُلاءِ) قال : عيسى وعُزيرٌ والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، نحوه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ) بالياء جميعا ، بمعنى : ويوم يحشرهم ربك ، ويحشر مايعبدون من دونه فيقول . وقرأته عامة قرّاء الكوفيين (نَحْشُرُهُمْ) بالنون ، فنقول . وكذلك قرأه نافع .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ) يقول : فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله : أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء : يقول : أنتم أزللتموهم عن طريق الهدى ، ودعوتموهم إلى الغىّ والضلالة ، حتى تاهوا وهلكوا ، أم هم ضلوا السبيل ، يقول : أم عبادى هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحقّ ، وسلكوا العَطَب .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨)

يقول تعالى ذكره : قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى : تنزيها لك يا ربنا ، وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون ، ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم ، أنت ولينا من دونهم ، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا فى الدنيا والصحة ، حتى نَسُوا الذكر ، وكانوا قوما هَلْكى ، قد غلب عليهم الشقاء والخِذْلان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) يقول : قوم قد ذهبت أعمالهم وهم فى الدنيا ، ولم تكن لهم أعمال صالحة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) يقول : هلكى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) يقول : هَلْكَى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن (وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) قال : هم الذين لاخير فيهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكانُوا قَوْما بُورًا) قال : يقول : ليس من الخير فى شىء . البور : الذى ليس فيه من الخير شىء .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ما كانَ يَنْبَغِى لَنا أنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أوْلِياءَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (نَتَّخِذَ) بفتح النون ، سوى الحسن ، ويزيد بن القَعقاع ، فإنهما قرآه (أنْ نُتَّخَذَ) بضمّ النون ، فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذى بيّنّاه فى تأويله ، من أن الملائكة وعيسى ، ومن عُبد من دون الله من المؤمنين ، هم الذين تبرّءوا أن يكون كان لهم ولىّ غير الله تعالى ذكره . وأما الذين قرءوا ذلك بضمّ النون ، فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين فى الدنيا ، إنما تبرّءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يُعْبدوا من دون الله جلّ ثناؤه ، كما أخبر الله عن عيسى ، أنه قال : إذا قيل (أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتَّخِذُونِى وأُمِّىَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لى أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لى بِحَقٍّ - ماقُلْتُ لَهُمْ إلاّ ما أمَرْتَنِى بِهِ : أنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبّى وَرَبَّكُمْ) .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بفتح النون ، لعلل ثلاث : إحداهنّ إجماع الحجة من القرّاء عليها ، والثانية أن الله جلّ ثناؤه ذكر نظير هذه القصة فى سورة سَبَأ ، فقال (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعا ثم يقولُ للملائكة : أهؤلاءِ إيّاكُم كانُوا يَعْبُدون ؟ قالوا : سُبْحانَك أنتَ وَلِيُّنا من دُونِهِمْ) ، فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سُئلوا عن عبادة من عبدهم ، تبرّءُوا إلى الله من ولايتهم ، فقالوا لربهم : (أنت وليُّنا من دونهم) ، فذلك يوضّح عن صحة قراءة من قرأ ذلك (ما كانَ يَنْبَغِى لَنا أنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أوْلِياءَ) بمعنى : ما كان ينبغى لنا أن نتخذهم من دونك أولياء . والثالثة : أن العرب لاتدخل « مِنْ » هذه التى تدخل فى الجحد إلا فى الأسماء ، ولا تدخلها فى الإخبار ، لايقولون : مارأيت أخاك من رجل ، وإنما يقولون : مارأيت من أحد ، وما عندى من رجل ، وقد دخلت هاهنا فى الأولياء ، وهى فى موضع الخبر ، ولو لم تكن فيها « مِن » ، كان وجها حسنا . وأما البُور : فمصدر واحد ، وجمع للبائر ، يقال : أصبحت منازلهم بُورا : أى خالية لاشىء فيها ، ومنه قولهم : بارت السُّوق ، وبار الطعام : إذا خلا من الطّلاب والمشترى ، فلم يكن له طالب ، فصار كالشىء الهالك ؛ ومنه قول ابن الزِّبَعْرَى :

يا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لِسانِى ... رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ[1]

وقد قيل : إن بور : مصدر ، كالعدل والزور والقطع ، لايثنى ولايجمع ولا يؤنث ، وإنما أريد بالبور فى هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة ، لأنها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس .

(١) البيت لعبد الله بن الزبعرى ، قاله حين أسلم عند فتح مكة . وهو فى أول المقطوعة قبل البيت الذى مضى شرحه قبل هذا . وراتق : مصلح لما أفسدت ، وأصل الرتق : السد للثوب الممزق ، بإصلاح ما تقطع منه . وفتقت : أى أفسدت من الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة رتق وإصلاح . وبور : هالك . يقال رجل بور وبائر ، وقوم بور ، وأصل البور : مصدر باربيور بورا ، ثم وصف به ، فلزم الإفراد ، لأن المصادر لاتجمع . وقال المؤلف إنه مصدر واحد (غير مجموع) ، وجمع للبائر ، قال يقال : أصبحت مازلهم بورا ، أى خالية .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَدْ كَذَّبُوكُم ، بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبرّى من كانوا يعبدونه فى الدنيا من دون ، الله منهم ، قد كذّبوكم أيها الكافرون ، من زعمتم أنهم أضلوكم ، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون ، يعنى بقولكم ، يقول : كذّبوكم بكذبكم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ) يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعُزيرا والملائكة ، يكذّبون المشركين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ) قال : عيسى وعُزير والملائكة ، يكذّبون المشركين بقولهم .

وكان ابن زيد يقول فى تأويل ذلك ، ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) قال : كذّبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به ، وكذب هؤلاء ، فوجه ابن زيد تأويل قوله (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ) إلى : فقد كذّبوكم أيها المؤمنون المكذّبون بما جاءهم به محمد من عند الله ، بما تقولون من الحقّ ، وهو أن يكون خبرا عن الذين كذّبوا الكافرين ، فى زعمهم أنهم دعَوْهم إلى الضلالة ، وأمروهم بها ، على ماقاله مجاهد من القول الذى ذكرناه عنه ، أشبه وأولى ، لأنه فى سياق الخبر عنهم . والقراءة فى ذلك عندنا (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ، بالتّاء) على التأويل الذى ذكرناه ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه . وقد حُكى عن بعضهم أنه قرأه (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا يَقُولُونَ) بالياء ، بمعنى : فقد كذّبوكم بقولهم .

وقوله جلّ ثناؤه (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) يقول : فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ، ولا نَصرَها من الله حين عذّبها وعاقبها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) قال : المشركون لايستطيعونه .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْرًا) قال : المشركون لايستطيعونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْرًا) قال : المشركون . قال ابن جُرَيج : لايستطيعون صرف العذاب عنهم ، ولا نصر أنفسهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلا نَصْرًا) قال : لايستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذى نزل بهم حين كُذّبوا ، ولا أن ينتصروا . قال : وينادى مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق : مالكم لاتناصرون ، قال : من عبد من دون الله لاينصر اليوم من عبده ، وقال العابدون من دون الله لاينصره اليوم إلهه الذى يعبد من دون الله ، فقال الله تبارك وتعالى : (بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) ، وقرأ قول الله جلّ ثناؤه (فإنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ) .

ورُوى عن ابن مسعود فى ذلك ما حدثنا به أحمد بن يونس ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : هى فى حرف عبد الله بن مسعود (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفا) فإن تكن هذه الرواية عنه صحيحة ، صحّ التأويل الذى تأوّله ابن زيد فى قوله (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ) ، ويصير قوله (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ) خبرا عن المشركين أنهم كذّبوا المؤمنين ، ويكون تأويل قوله حينئذ (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْرًا) فما يستطيع يامحمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحقّ الذى هداك الله له ، ولا نصر أنفسهم ، مما بهم من البلاء الذى همّ فيه ، بتكذيبهم إياك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به (وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ) أيها المؤمنون ، يعنى بقوله (وَمَنْ يَظْلِمْ) ومن يشرك بالله فيظلم نفسه ، فذلك نذقه عذابا كبيرا ، كالذى ذكرنا أنا نذيقه الذين كذّبوا بالساعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، فى قوله (وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ) قال : بشرك (نُذِقْهُ عَذَابا كَبِيرًا) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ) قال : هو الشرك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ، أَتَصْبِرُونَ ؟ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢١)

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركى قومه الذين قالوا (مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) وجواب لهم عنه يقول لهم جلّ ثناؤه : وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ، من أكلك الطعام ، ومشيك فى الأسواق ، وأنت لله رسول ، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلّا إنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون فى الأسواق ، كالذى تأكل أنت وتمشى ، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة .

فإن قال قائل : فإن « مَنْ » ليست فى التلاوة ، فكيف قلت : معنى الكلام : إلا مَنْ إنهم ليأكلون الطعام ؟ قيل : قلنا فى ذلك : معناه : أن الهاء والميم فى قوله : إنهم ، كناية أسماء لم تُذكر ، ولا بدّ لها من أن تعود على من كُنِى عنه بها ، وإنما ترك ذكر « مَنْ » وإظهاره فى الكلام ، اكتفاء بدلالة قوله (مِنَ الْمُرْسَلِينَ) عليه ، كما اكتفى فى قوله (وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) من إظهار « مَنْ » ، ولا شكّ أن معنى ذلك : وما منا إلا من له مقام معلوم ، كما قيل (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) ومعناه : وإن منكم إلا من هو واردها ، فقوله (إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) صلة لمَنِ المتروك ، كما يقال فى الكلام : ما أرسلت إليك من الناس إلا مَنْ إنه ليبلغك الرسالة ، فإنه ليبلغك الرسالة : صلة لمَنْ .

وقوله (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) يقول تعالى ذكره : وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض ، جعلنا هذا نبيا ، وخصصناه بالرسالة ، وهذا ملكا ، وخصصناه بالدنيا ، وهذا فقيرا ، وحرمناه الدنيا ، لنختبر الفقير بصبره على ما حُرِم مما أعطيه الغنىّ ، والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة ، وكيف رضى كل إنسان منهم بما أعطى ، وقُسِم له ، وطاعته ربه مع ما حُرِم مما أعطى غيره . يقول : فمن أجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا ، وجعلته يطلب المعاش فى الأسواق ، ولأبتليكم أيها الناس ، وأختبر طاعتكم ربكم ، وإجابتكم رسوله إلى مادعاكم إليه ، بغير عَرَض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه ، لأنى لو أعطيته الدنيا ، لسارع كثير منكم إلى اتباعه ، طمعا فى دنياه أن ينال منها .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : ثنى عبد القدوس ، عن الحسن ، فى قوله (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) . . . الآية ، يقول : هذا الأعمى لو شاء الله لجعلنى بصيرا مثل فلان ، ويقول هذا الفقير : لو شاء الله لجعلنى غنيا مثل فلان ، ويقول هذا السقيم : لو شاء الله لجعلنى صحيحا مثلا فلان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله « وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ؟) قال : يُمسك عن هذا ، ويُوَسِّع على هذا ، فيقول : لم يعطنى مثل ما أعطى فلانا ، ويبتلى بالوجع كذلك ، فيقول : لم يجعلنى ربى صحيحا مثل فلان ، فى أشباه ذلك من البلاء ، ليعلم من يصبر ممن يجزع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبى محمد ، فيما يروى

الطبرى ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : وأنزل عليه فى ذلك من قولهم (مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) . . . الآية (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) : أى جعلت بعضكم لبعض بلاء، لتصبروا على ما تسمعون منهم ، وترون من خلافهم ، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ، ولوشئت أن أجعل الدنيا مع رسلى ، فلا يخالفون لفعلت ، ولكنى قد أردت أن أبتلى العباد بكم ، وأبتليكم بهم .

وقوله (وكانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) يقول : وربك يامحمد بصير بمن يجزع ، ومن يصبر على ما امتُحِن به من المحن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وكانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) إن ربك لبصير بمن يجزع ، ومن يصبر .

تمّ الجزء الثامنَ عَشَرَ من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ

ويليه الجزء التاسعَ عَشَر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَقالَ الَّذِينَ لايَرْجُونَ) . . .

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء التاسع عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس

الجزء التاسع عشر من جامع البيان للإمام محمد بن جرير الطبرى

١ — فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١	وقال الذين لايرجُون لقاءنا . . .	١
٢٢	يوم يرون الملائكة لابُشْرَى . . .	١
٢٣	وقدمنا إلى ما عملوا . . .	٣
٢٤	أصحاب الجنة يومئذ خير . . .	٣
٢٥	ويوم تَشَقق السماء بالغمام . . .	٦
٢٦	الملك يومئذ الحقّ للرحمن . . .	٦
٢٧	ويوم يعضّ الظالم على يديه . . .	٧
٢٨	يا ويْلَتَى ليتنى لم أتخذ فلانا . . .	٧
٢٩	لقد أضلنى عن الذكر . . .	٧
٣٠	وقال الرسول يارَبّ إن قومى . . .	٩
٣١	وكذلك جعلنا لكلّ نبىّ عدوّا . . .	٩
٣٢	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه . . .	١٠
٣٣	ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحقّ . . .	١١
٣٤	الذين يحشرون على وجوههم . . .	١١
٣٥	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	١٣
٣٦	فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذّبوا . . .	١٣
٣٧	وقوم نوح لما كذّبوا الرسل . . .	١٣
٣٨	وعادا وثمودَ وأصحاب الرسّ . . .	١٣
٣٩	وكلا ضربنا له الأمثال . . .	١٣
٤٠	ولقد أَتَوا على القرية التى أُمْطرت . . .	١٦
٤١	وإذا رأوك إن يتخذونك . . .	١٧
٤٢	إن كاد ليضلّنا عن آلهتنا . . .	١٧
٤٣	أرأيت من اتخذ إلهه هواه . . .	١٧
٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون . . .	١٧
٤٥	ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ . . .	١٨
٤٦	ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا . . .	١٨
٤٧	وهو الذى جعل لكم الليل لباسا . . .	٢٠
٤٨	وهو الذى أرسل الرياح بُشْرا . . .	٢١
٤٩	لنحيىَ به بلدة ميتا ونُسْقِيه مما خلقنا . . .	٢١
٥٠	ولقد صرّفناه بينهم ليذكروا . . .	٢٢
٥١	ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا . . .	٢٢
٥٢	فلا تطع الكافرين وجاهدهم به . . .	٢٢
٥٣	وهو الذى مرج البحرين . . .	٢٣
٥٤	وهو الذى خلق من الماء بشرا . . .	٢٥
٥٥	ويعبدون من دون الله ما لاينفعهم . . .	٢٦
٥٦	وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا . . .	٢٧
٥٧	قل ما أسألكم عليه من أجر . . .	٢٧
٥٨	وتوكل على الحىّ الذى لايموت . . .	٢٧
٥٩	الذى خلق السموات والأرض . . .	٢٨
٦٠	وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن . . .	٢٨
٦١	تبارك الذى جعل فى السماء بُروجا . . .	٢٩
٦٢	وهو الذى جعل الليل والنهار خِلْفة . . .	٣٠
٦٣	وعباد الرحمن الذين يمشون على . . .	٣٢
٦٤	والذين يبيتون لربهم سُجَّدا وقياما . . .	٣٥
٦٥	والذين يقولون ربنا اصرف عنا . . .	٣٥
٦٦	إنها ساءت مستقرّا ومقاما . . .	٣٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا . . .	٣٧
٦٨	والذين لايدعون مع الله إلها آخر . . .	٤٠
٦٩	يضاعف له العذاب يوم القيامة . . .	٤٠
٧٠	إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا . . .	٤٠
٧١	ومن تاب وعمل صالحا . . .	٤٠
٧٢	والذين لايشهدون الزور . . .	٤٨
٧٣	والذين إذا ذكروا بآيات ربهم . . .	٥١
٧٤	والذين يقولون ربنا هب لنا . . .	٥٢
٧٥	أولئك يُجزون الغرفة بما صبروا . . .	٥٤
٧٦	خالدين فيها حسنت مستقرّا ومُقاما . . .	٥٥
٧٧	قل ما يعبأ بكم ربى . . .	٥٥

سورة الشعراء

١	طسمّ .	٥٨
٢	تلك آيات الكتاب المبين .	٥٨
٣	لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين .	٥٨
٤	إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية . . .	٥٩
٥	وما يأتيهم من ذكر من الرحمن . . .	٦٢
٦	فقد كذّبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا . . .	٦٢
٧	أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها . . .	٦٣
٨	إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٦٣
٩	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	٦٣
١٠	وإذ نادى ربك موسى . . .	٦٤
١١	قوم فرعون ألا يتقون .	٦٤
١٢	قال ربّ إنى أخاف أن يكذّبون .	٦٤
١٣	ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى . . .	٦٤
١٤	ولهم علىّ ذنب فأخاف أن يقتلون .	٦٤
١٥	قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم . . .	٦٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٦	فأْتيا فرعون فقولا إنا رسول . . .	٦٥
١٧	أن أرسل معنا بنى إسرائيل .	٦٥
١٨	قال ألم نربك فينا وليدا . . .	٦٥
١٩	وفعلت فعلتك التى فعلت . . .	٦٥
٢٠	قال فعلتها إذا وأنا من الضالين .	٦٦
٢١	ففررت منكم لما خفتكم . . .	٦٧
٢٢	وتلك نعمة تَمُنها علىّ . . .	٦٨
٢٣	قال فرعون وما ربّ العالمين ؟	٦٨
٢٤	قال ربّ السموات والأرض . . .	٦٨
٢٥	قال لمن حوله ألا تستمعون ؟	٦٩
٢٦	قال ربكم وربّ آبائكم الأولين . . .	٦٩
٢٧	قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم . . .	٦٩
٢٨	قال ربّ المشرق والمغرب وما بينهما . .	٦٩
٢٩	قال لئن اتخذت إلها غيرى . . .	٦٩
٣٠	قال أو لو جئتك بشىء مبين .	٧٠
٣١	قال فأْت به إن كنت من الصادقين .	٧٠
٣٢	فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين .	٧٠
٣٣	ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين .	٧٠
٣٤	قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم .	٧١
٣٥	يريد أن يخرجكم من أرضكم . . .	٧١
٣٦	قالوا أرجِهْ وأخاه . . .	٧١
٣٧	يأتوك بكلّ سحّار عليم . . .	٧١
٣٨	فجمع السَّحَرَة لميقات يوم معلوم . . .	٧٢
٣٩	وقيل للناس هل أنتم مجتمعون .	٧٢
٤٠	لعلنا نتبعُ السَّحَرَة . . .	٧٢
٤١	فلما جاء السحرة قالو الفرعون . . .	٧٢
٤٢	قال نعم وإنكم إذا لمن المقرّبين .	٧٢
٤٣	قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون .	٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	فألقوا حبالهم وعصيهم . . .	٧٢
٤٥	فألقى موسى عصاه . . .	٧٣
٤٦	فأُلْقِيَ السحرة ساجدين .	٧٣
٤٧	قالوا آمنا بربّ العالمين .	٧٣
٤٨	ربّ موسى وهارون .	٧٣
٤٩	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . . .	٧٣
٥٠	قالوا لاضير إنا إلى ربنا منقلبون .	٧٣
٥١	إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا . . .	٧٤
٥٢	وأوحينا إلى موسى أن أسر . . .	٧٤
٥٣	فأرسل فرعون فى المدائن . . .	٧٤
٥٤	إن هؤلاء لشِرْذمة قليلون .	٧٤
٥٥	وإنهم لنا لغائظون .	٧٤
٥٦	وإنا لجميع حاذرون .	٧٤
٥٧	فأخرجناهم من جنات وعيون .	٧٨
٥٨	وكنوز ومقام كريم .	٧٨
٥٩	كذلك وأورثناها بنى إسرائيل .	٧٨
٦٠	فأتبعوهم مُشْرقين .	٧٨
٦١	فلما تَراءَى الجمعان . . .	٧٨
٦٢	قال كَلاّ إن معى ربى سيهدين .	٧٨
٦٣	فأوحينا إلى موسى . . .	٧٨
٦٤	وأزلفنا ثم الآخرين .	٨١
٦٥	وأنجينا موسى ومن معه أجمعين .	٨١
٦٦	ثم أغرقنا الآخرين .	٨١
٦٧	إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٨١
٦٨	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	٨١
٦٩	واتل عليهم نبأ إبراهيم .	٨٣
٧٠	إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟	٨٣
٧١	قالوا نعبد أصناما ، فنظلّ لها عاكفين .	٨٣
٧٢	قال هل يسمعونكم إذ تدعون ؟	٨٣
٧٣	أو ينفعونكم أو يضرّون ؟	٨٣
٧٤	قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ؟	٨٣
٧٥	قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ؟	٨٤
٧٦	أنتم وآباؤكم الأقدمون .	٨٤
٧٧	فإنهم عدوّ لى إلا ربّ العالمين .	٨٤
٧٨	الذى خلقنى فهو يهدين .	٨٥
٧٩	والذى هو يطعمنى ويسقين .	٨٥
٨٠	وإذا مرضت فهو يشفين .	٨٥
٨١	والذى يميتنى ثم يحيين .	٨٥
٨٢	والذى أطمع أن يغفر لى . . .	٨٥
٨٣	رَبِّ هب لى حكما ، وألحقنى بالصالحين .	٨٥
٨٤	واجعل لى لسان صدق فى الآخرين .	٨٥
٨٥	واجعلنى من وَرَثة جنة النعيم .	٨٦
٨٦	واغفر لأبى إنه كان من الضالين .	٨٦
٨٧	ولا تخزنى يوم يُبعثون .	٨٦
٨٨	يوم لاينفع مال ولا بنون .	٨٦
٨٩	إلا من أتى اللهَ بقلب سليم .	٨٦
٩٠	وأُزْلِفت الجنة للمتقين .	٨٧
٩١	وبُرِّزت الجحيم للغاوين .	٨٧
٩٢	وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون .	٨٧
٩٣	من دون الله هل ينصرونكم . . . ؟	٨٧
٩٤	فكبكبوا فيها هم والغاوون .	٨٧
٩٥	وجنود إبليس أجمعون .	٨٧
٩٦	قالوا وهم فيها يختصمون .	٨٨
٩٧	تالله إن كنا لفى ضلال مبين .	٨٨
٩٨	إذ نسوّيكم بربّ العالمين .	٨٨
٩٩	وما أضلنا إلا المجرمون .	٨٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٠	فما لنا من شافعين .	٨٩
١٠١	ولا صديق حميم .	٨٩
١٠٢	فلو أن لنا كرّة فنكون من المؤمنين .	٨٩
١٠٣	إن فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم . . .	٨٩
١٠٤	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	٨٩
١٠٥	كذّبت قوم نوح المرسلين .	٩٠
١٠٦	إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ؟	٩٠
١٠٧	إنى لكم رسول أمين .	٩٠
١٠٨	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٠
١٠٩	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٠
١١٠	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٠
١١١	قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟	٩٠
١١٢	قال وما علمى بما كانوا يعملون ؟	٩٠
١١٣	إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون ؟	٩٠
١١٤	وما أنا بطارد المؤمنين .	٩١
١١٥	إن أنا إلا نذير مبين .	٩١
١١٦	قالوا لئن لم تنته يا نوح . . .	٩١
١١٧	قال ربّ إن قومى كذّبون .	٩١
١١٨	فافتح بينى وبينهم فتحا . . .	٩١
١١٩	فأنجيناه ومن معه فى الفلك . . .	٩١
١٢٠	ثم أغرقنا بعد الباقين .	٩١
١٢١	إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٩٢
١٢٢	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	٩٢
١٢٣	كذّبت عاد المرسلين .	٩٢
١٢٤	إذ قال لهم أخوهم هود . . .	٩٢
١٢٥	إنى لكم رسول أمين .	٩٢
١٢٦	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٣
١٢٧	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٢٨	أتبنون بكلّ رِيع آية ؟	٩٣
١٢٩	وتتخذون مصانع لعلكم .	٩٣
١٣٠	وإذا بطشتم بطشتم جبارين .	٩٣
١٣١	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٦
١٣٢	واتقوا الذى أمدّكم بما تعلمون .	٩٦
١٣٣	أمدكم بأنعام وبنين .	٩٦
١٣٤	وجنات وعيون .	٩٦
١٣٥	إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم .	٩٦
١٣٦	قالوا سواء علينا أوعظت . . .	٩٧
١٣٧	إن هذا إلا خلق الأولين .	٩٧
١٣٨	وما نحن بمعذّبين .	٩٧
١٣٩	فكذّبوه فأهلكناهم . . .	٩٨
١٤٠	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	٩٨
١٤١	كذّبت ثمود المرسلين .	٩٨
١٤٢	إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ؟	٩٨
١٤٣	إنى لكم رسول أمين .	٩٨
١٤٤	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٩
١٤٥	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٩
١٤٦	أتتركون فى ما هاهنا آمنين .	٩٩
١٤٧	فى جنات وعيون .	٩٩
١٤٨	وزروع ونخل طلعها هضيم .	٩٩
١٤٩	وتنحِتون من الجبال بيوتا فارهين .	٩٩
١٥٠	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٩
١٥١	ولا تطيعوا أمر المسرفين .	١٠٢
١٥٢	الذين يفسدون فى الأرض . . .	١٠٢
١٥٣	قالوا إنما أنت من المسحرين .	١٠٢
١٥٤	ما أنت إلا بشر مثلنا . . .	١٠٣
١٥٥	قال : هذه ناقة لها شِرْب . . .	١٠٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٦	ولا تمسوها بسوء . . .	١٠٣
١٥٧	فعقروها فأصبحوا نادمين .	١٠٤
١٥٨	فأخذهم العذاب . . .	١٠٤
١٥٩	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	١٠٤
١٦٠	كذّبت قوم لوط المرسلين .	١٠٤
١٦١	إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ؟	١٠٤
١٦٢	إنى لكم رسول أمين .	١٠٤
١٦٣	فاتقوا الله وأطيعون .	١٠٤
١٦٤	وما أسألكم عليه من أجر . . .	١٠٤
١٦٥	أتأتون الذّكران من العالمين ؟	١٠٥
١٦٦	وتذرون ما خلق لكم ربكم . . .	١٠٥
١٦٧	قالوا لئن لم تنته يا لوط . . .	١٠٥
١٦٨	قال إنى لعملكم من القالين .	١٠٥
١٦٩	رب نجنى وأهلى مما يعملون .	١٠٦
١٧٠	فأنجيناه وأهله أجمعين .	١٠٦
١٧١	إلا عجوزا فى الغابرين .	١٠٦
١٧٢	ثم دمرنا الآخرين .	١٠٦
١٧٣	وأمطرنا عليهم مطرا . . .	١٠٦
١٧٤	إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	١٠٦
١٧٥	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	١٠٦
١٧٦	كذّب أصحاب الأيكة المرسلين .	١٠٦
١٧٧	إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ؟	١٠٦
١٧٨	إنى لكم رسول أمين .	١٠٦
١٧٩	فاتقوا الله وأطيعون .	١٠٦
١٨٠	وما أسألكم عليه من أجر .	١٠٧
١٨١	أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين .	١٠٧
١٨٢	وزنوا بالقسطاس المستقيم .	١٠٨
١٨٣	ولا تبخسوا الناس أشياءهم .	١٠٨
١٨٤	واتقوا الله الذى خلقكم . . .	١٠٨
١٨٥	قالوا إنما أنت من المسحرين .	١٠٨
١٨٦	وما أنت إلا بشر مثلنا . . .	١٠٨
١٨٧	فأسقط علينا كسفا من السماء . . .	١٠٨
١٨٨	قال ربى أعلم بما تعملون . .	١٠٩
١٨٩	فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلّة .	١٠٩
١٩٠	إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	١١١
١٩١	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	١١١
١٩٢	وإنه لتنزيل ربّ العالمين .	١١١
١٩٣	نزل به الروح الأمين .	١١١
١٩٤	على قلبك لتكون من المنذرين .	١١١
١٩٥	بلسان عربىّ مبين .	١١١
١٩٦	وإنه لفى زبر الأوّلين .	١١٢
١٩٧	أو لم يكن لهم آية . . .	١١٢
١٩٨	ولو نزّلناه على بعض الأعجمين .	١١٢
١٩٩	فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين .	١١٢
٢٠٠	كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين .	١١٢
٢٠١	لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم .	١١٢
٢٠٢	فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون .	١١٦
٢٠٣	فيقولوا هل نحن منظرون ؟	١١٦
٢٠٤	أفبعذابنا يستعجلون ؟	١١٦
٢٠٥	أفرأيت إن متعناهم سنين ؟	١١٦
٢٠٦	ثم جاءهم ما كانوا يوعدون .	١١٦
٢٠٧	ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون .	١١٦
٢٠٨	وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون .	١١٧
٢٠٩	ذكرى وما كنا ظالمين .	١١٧
٢١٠	وما تنزّلت به الشياطين .	١١٧
٢١١	وما ينبغى لهم وما يستطيعون .	١١٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١٢	إنهم عن السمع لمعزولون .	١١٧
٢١٣	فلا تدع مع الله إلها آخر . . .	١١٨
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين .	١١٨
٢١٥	واخفض جناحك لمن اتبعك . . .	١١٨
٢١٦	فإن عصوك فقل إنى برىء . . .	١٢٣
٢١٧	وتوكل على الله العزيز الرحيم .	١٢٣
٢١٨	الذى يراك حين تقوم .	١٢٣
٢١٩	وتقلبك فى الساجدين .	١٢٣
٢٢٠	إنه هو السميع العليم . . .	١٢٣
٢٢١	هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين ؟	١٢٥
٢٢٢	تنزل على كلّ أفاك أثيم .	١٢٥
٢٢٣	يلقون السمع وأكثرهم كاذبون .	١٢٥
٢٢٤	والشعراء يتبعهم الغاوون .	١٢٦
٢٢٥	ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون .	١٢٦
٢٢٦	وأنهم يقولون ما لايفعلون .	١٢٦
٢٢٧	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٢٦

سورة النمل

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	طسّ تلك آيات القرآن وكتاب مبين .	١٣١
٢	هدى وبشرى للمؤمنين .	١٣١
٣	الذين يقيمون الصلاة . . .	١٣١
٤	إنّ الذين لايؤمنون بالآخرة . . .	١٣٢
٥	أولئك لهم سوء العذاب . . .	١٣٢
٦	وإنك لتُلقّى القرآن من لدن . . .	١٣٢
٧	إذ قال موسى لأهله إنى آنست نارا .	١٣٢
٨	فلما جاءها نودِى أن بُورك . . .	١٣٢
٩	يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم .	١٣٥
١٠	وألق عصاك ، فلما رآها تهتزّ . . .	١٣٥
١١	إلا من ظلم ثم بدّل حسنا . . .	١٣٥
١٢	وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء . . .	١٣٨
١٣	فلما جاءتهم آياتنا مبصرة . . .	١٣٩
١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم . . .	١٣٩
١٥	ولقد آتينا داود وسليمان علما . . .	١٤٠
١٦	وورث سليمان داود . . .	١٤١
١٧	وحُشِر لسليمان جنوده . . .	١٤١
١٨	حتى إذا أتوا على واد النمل . . .	١٤٢
١٩	فتبسّم ضاحكا من قولها . . .	١٤٣
٢٠	وتفقد الطير . . .	١٤٣
٢١	لأعذبنه عذابا شديدا . . .	١٤٣
٢٢	فمكث غير بعيد فقال أحطت . . .	١٤٧
٢٣	إنى وجدت امرأة تملكهم . . .	١٤٨
٢٤	وجدتها وقومها يسجدون للشمس . . .	١٤٨
٢٥	ألاّ يسجدوا لله الذى يخرج الخبْءَ . . .	١٤٩
٢٦	الله لاإله إلا هو ربّ العرش العظيم .	١٤٩
٢٧	قال سننظر أصدقت . . .	١٥١
٢٨	اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم . . .	١٥١
٢٩	قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلىّ . . .	١٥٢
٣٠	إنه من سليمان . . .	١٥٢
٣١	ألاّ تعلوا علىّ وأتونى مسلمين .	١٥٢
٣٢	قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى . . .	١٥٣
٣٣	قالوا نحن أولوا قوّة . . .	١٥٣
٣٤	قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية . . .	١٥٤
٣٥	وإنى مرسلة إليهم بهدية . . .	١٥٥
٣٦	فلما جاء سليمان قال أتمدوننن بمال . . .	١٥٥
٣٧	ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود . . .	١٥٥
٣٨	قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها . . .	١٥٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٩	قال عفريت من الجنّ . . .	١٥٨
٤٠	قال الذى عنده علم من الكتاب . . .	١٥٨
٤١	قال نكروا لها عرشها . . .	١٦٥
٤٢	فلما جاءت قيل أهكذا عرشك . . ؟	١٦٦
٤٣	وصدّها ما كانت تعبد من دون الله . .	١٦٧
٤٤	قيل لها ادخلى الصرح . . .	١٦٨
٤٥	ولقد أرسلنا إلى ثمود . . .	١٧٠
٤٦	قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة . . ؟	١٧٠
٤٧	قالوا اطيرنا بك وبمن معك . . .	١٧١
٤٨	وكان فى المدينة تسعة رهط . . .	١٧١
٤٩	قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله . . .	١٧١
٥٠	ومكروا مكرا ومكرنا مكرا . . .	١٧٣
٥١	فانظر كيف كان عاقبة مكرهم . . .	١٧٣
٥٢	فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا . . .	١٧٤
٥٣	وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون .	١٧٤
٥٤	ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة . . .	١٧٥
٥٥	أئنكم لتأتون الرجال شهوةً . . .	١٧٥

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تأويل قوله تعالى « وقال الذين لايرجون لقاءنا » ، وأن رؤية الملائكة لاتصلح لعموم الناس إلا فى الدار الآخرة .

٥ ينتهى الحساب يوم القيامة فى نصف يوم ، حتى يقيل أصحاب الجنة فى منازلهم .

٧ ما كانت عليه قريش من إضلال بعضهم بعضا وطعنهم فى القرآن .

١١ فوائد نزول القرآن على حسب الوقائع .

١٣ خبر أصحاب الرسّ .

٢٤ معنى البرزخ .

٢٦ الكافر يظاهر الشيطان على ربه .

٣٣ تأويل قوله « وعباد الرحمن » . . . الآية .

٣٤ فضيلة الحلم والتأنى .

٣٥ عذاب جهنم يلازم الإنسان كالغريم .

٣٧ تخلى المؤمنين عن وصفى الإسراف والتقتير .

٤٠ تأويل قوله تعالى « والذين لايدعون مع الله إلها آخر » .

٤١ كبائر الذنوب .

٤٢ التوفيق بين هذه الآية وآية « ومن يقتل مؤمنا » الخ .

٤٩ محاسن الغضّ عن سَفْسَاف الأمور .

تفسير سورة الشعراء

٦٤ قصة موسى عليه السلام مع فرعون .

٨٣ قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه .

الصفحة

٩٠ قصة نوح عليه السلام مع قومه .

٩٢ قصة هود عليه السلام مع قومه .

٩٨ خبر ثمود مع صالح عليه السلام .

١٠٤ خبر لوط مع قومه .

١٠٦ خبر شعيب مع أصحاب الأيكة .

١١٣ من كان يعلم من بنى إسرائيل صدق النبىّ ، وأن كفار قريش كان كفرهم عنادا ، حتى لو نزل هذا القرآن على بعض الحيوانات العجم ، وقرأه عليهم ما آمنوا .

١١٨ مافعله النبىّ صلى الله عليه وسلم فى دعوة عشيرته

١٢٦ ذمّ الشعراء قاصر على شعراء المشركين ومن كان على صفتهم .

تفسير سورة النمل

١٤١ ما أُوتيه سليمان من سعة الملك .

١٤٣ السبب فى تفقد سليمان الطير ، وذكر بعض خصال للهدهد .

١٤٧ سبأ وملكتهم .

١٥٢ كتاب سليمان إلى بِلقْيس واستشارتها قومها .

١٥٥ الهدية التى أرسلتها بلقيس إلى سليمان .

١٥٩ من أحضر عرشها لسليمان .

١٦٥ كيفية تنكير العرش وما قيل فيه .

١٧٢ التسعة الذين كانوا يفسدون فى الأرض من قوم صالح .

٣ ـ فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ا	
مُنْتَهاها	٦٥
لايَرَاها	٣٧
ب	
الخِضَابُ	٥٢
الجِلْبابُ	٥٢
الأركابُ	٥٢
لُعابُ	٥٢
فَتَصَوَّبُوا	٥٩
تُرَابِ	١٥٦
الطَّلَبِ	١٠١
تَأْوِيبِ	٣٦
ومُنْتَقَبا	٣٩
ت	
الفَتاةِ	١٤٢
الكُماةِ	٦١
أبْعَدَتْ	٦٠
ج	
مَمْرَجا	٢٣
د	
لاتَرِدْ	١١٦
تَبْتَرِدْ	١١٦
بالإثْمِدِ	١٠٧
مُوقِدِ	٤٥
أطْوَادِ	٨١
ر	
حَذِرْ	٧٧
تَنْتَظِرْ	٦٩
المَحْجَرُ	٢
المَقادِرُ	٥٨
الدَّهْرِ	١٤٩
المُسَحَّرِ	١٠٣
النَّاشِرِ	٢١
وأحْجارِ	٣١
بأمِيرِ	٥٤
س	
الفَرَسُ	١١٦
عَرُوسُ	٥٥
الدَّهارِيسُ	٢
القَبَسِ	١٣٣
الجَوَامِيسِ	١٤٧
الرِّساسا	١٤
ع	
وازِعُ	١٤٢
جَمَعا	٣١
بيَعَا	٣١
انْقِطاعَا	٢٨
ف	
المُسَجَّفُ	٦٠
اللَّقِيفُ	٥٦
أسْدَفا	١٣٥
رُجَّفا	١٣٥
خَيْطَفا	١٣٥
فَزُلَفا	٨١
احْقَوْقَفا	٨١
الوَجِيفا	٤٧
ق	
أخْلاقْ	٧٥
التَّوّاقْ	٧٥
خَيْفَقُ	٦٠
المُوَفَّق	٦٠
يَتَرَقْرَقُ	٩٣
فَرُوقُ	١٣٩
والأبَقا	٨٣

القافية	الصفحة
ل	
الضُّلاَّلُ	٣
وقالُوا	٣
حَلالُ	٣
آلُهَا	٩٣
الجِبْلِ	١٠٨
بِرَسُولِ	٦٥
الهِلالِ	٦٢
لايُبالى	٣٥
وَقِتالا	٥٧
م	
عُجْمُ	١١٣
أثامُ	٤٠
طاعِمُ	٦١
الدَّمِ	٦٠
مَجْشَمِ	٣٢
غَرَاما	٣٦
ن	
وعُبْدانُ	٦٨
وَاحِدِينا	٧٥
ى	
دَوَّارِىّ	١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا : لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ، لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)

يقول تعالى ذكره : وقال المشركون الذين لايخافون لقاءنا ، ولا يَخْشَون عقابنا ، هلا أنزل الله علينا ملائكة ، فتخبرَنا أن محمدا محقّ فيما يقول ، وأن ماجاءنا به صدق ، أو نرى ربنا ، فيخبرنا بذلك ، كما قال جلّ ثناؤه مخبرا عنهم (وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا) . ثم قال بعد (أوْ تَأْتِيَ باللهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً) يقول الله : لقد استكبر قائلو هذه المقالة فى أنفسهم ، وتعظّموا ، (وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا) يقول : وتجاوزوا فى الاستكبار بقيلهم ذلك حدّه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال كفار قريش : لولا أُنزل علينا الملائكة ، فيخبرونا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد استكبروا وعَتَوا عتوّا ؛ لأن عتا من ذوات الواو ، فأخرج مصدره على الأصل بالواو ، وقيل فى سورة مَرْيم (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا) وإنما قيل ذلك كذلك ، لموافقة المصادر فى هذا الوجه جمع الأسماء ، كقولهم : قعد قعودا ، وهم قوم قُعود ، فلما كان ذلك كذلك ، وكان العاتى يجمع عِتِيّا بناء على الواحد ، جعل مصدره أحيانا موافقا لجمعه ، وأحيانا مردودا إلى أصله .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ، وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢)

يقول تعالى ذكره : يوم يرى هؤلاء الذين قالوا : لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا بتصديق

محمد الملائكة، فلا بُشْرى لهم يومئذ بخير (يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) يعنى أن الملائكة يقولون للمجرمين: حجرا محجورا، حراما محرّما عليكم اليوم البُشْرى، أن تكون لكم من الله؛ ومن الحِجْر قول المتلمّس:

حَنَّتْ إلى نَخْلَةَ القُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا حِجْرٌ حَرَامٌ ألا تِلْكَ الدَّهارِيسُ[1]

ومنه قولهم: حَجَرَ القاضى على فلان، وحَجَرَ فلان على أهله؛ ومنه حِجْر الكعبة، لأنه لايدخل إليه فى الطواف، وإنما يطاف من ورائه؛ ومنه قول الآخر:

فَهَمَمْتُ أنْ أَلْقَى إلَيْها مَحْجَرا فَلَمِثْلُها يُلْقَى إلَيْهِ المَحْجَرُ[2]

أى مثلها يُركب منه المَحْرَم.

واختلف أهل التأويل فى المخبَر عنهم بقوله (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) ومن قائلوه؟ فقال بعضهم: قائلو ذلك الملائكة للمجرمين، نحو الذى قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأجلح، قال: سمعت الضحاك ابن مُزاحم، وسأله رجل عن قول الله (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال: تقول الملائكة: حراما محرّما أن تكون لكمُ البُشرى.

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنى أبى، عن جدى، عن الحسن، عن قَتادة: (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال: هى كلمة كانت العرب تقولها، كان الرجل إذا نزل به شدّة قال: حِجْرا يقول: حراما محُرّما.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (لابُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) لما جاءت زلازل الساعة، فكان من زلازلها أن السماء انشقّت، (فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ، وَالمَلَكُ على أرْجائها) على شفة كل شىء تشقّق

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح (عن معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى: رسم نخلة). وحنت: اشتاقت. وفى (اللسان: دهرس): حجت. ونخلة القصوى: موضع على ليلة من مكة. وقيل: هما نخلة الشامية ونخلة اليمانية؛ فالشامية: واد ينصب من الغمير. واليمانية: واد ينصب من بطن قرن المنازل، وهو طريق اليمن إلى مكة. وحجر: مثلث الحاء بمعنى حرام، وفى معجم البكرى: بسل عليك، وهو الحرام أيضا. والدهاريس جمع دهرس، مثلث الدال، وهى الداهية (عن اللسان). والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٦٧ من مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩) وعنه أخذه المؤلف.

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالى (اللسان: حجر. والديوان طبعة دار الكتب المصرية ص ٨٤). وفى رواية الديوان واللسان: أغشى فى موضع: ألقى. والمحجر: الحرام. قال فى اللسان: لمثلها يؤتى إليه الحرام. وقبل البيت ثلاثة أبيات، وهى:

لَمْ أَلْقَ عَمْرَةَ بعدَ إذْ هِيَ ناشِئٌ خَرَجَتْ مُعَطَّفَةً عَلَيْها مِئْزَرُ
بَرَزَتْ عَقِيلَةَ أرْبَعٍ هادَيْنَها بِيضِ الوُجُوهِ كأنَّهُنَّ العُنْقَرُ
ذَهَبَتْ بِعَقْلِكَ رَيْطَةٌ مَطْوِيَّةٌ وَهِيَ التِى تُهْدَى بِها لَوْ تَشْعُرُ

والبيت: شاهد على أن المحجر الحرام. وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٢٤ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩): ألقى: من لقيت أى مثلها يركب منه المحرم. وعنه أخذ المؤلف.

من السماء ، فذلك قوله (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ويقولون) : يعنى الملائكة تقول للمجرمين : حراما محرّما أيها المجرمون ، أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ) قال : يوم القيامة (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال : عَوْذا مَعاذا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه : الملائكة تقوله .

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ، وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال ابن جُرَيج : كانت العرب إذا كرهوا شيئا قالوا حجرا ، فقالوا حين عاينوا الملائكة . قال ابن جُرَيج : قال مجاهد : (حِجْرًا) : عَوْذا ، يستعيذون من الملائكة .

⁂ قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك ، من أجل أن الحِجْر هو الحرام ، فمعلوم أن الملائكة هى التى تخبر أهل الكفر أن البُشرى عليهم حرام . وأما الاستعاذة ، فإنها الاستجارة ، وليست بتحريم ، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم ، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا (٢٣) أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقدمنا : وعَمَدْنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون من عمل ؛ ومنه قول الراجز :

وَقَدِمَ الخَوَارِجُ الضُّلاَّلُ إلى عِبادِ رَبِّهِمْ وَقالُوا
إنَّ دِماءَكُمْ لَنا حَلالُ[1]

يعنى بقوله : قدم : عمد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

(١) الرجز من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٦٧ مصورة الجامعة ٢٦٠٥٩) . وقدم إلى الشىء : عمد إليه وقصد . وهو محل الشاهد عند المؤلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَقَدِمْنَا) قال : عَمَدنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) يقول : فجعلناه باطلا ، لأنهم لم يعملوه لله ، وإنما عملوه للشيطان . والهباء : هو الذى يُرَى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كَوّة ، يحسبه الناظر غبارا ، ليس بشىء تقبض عليه الأيدى ولا تمسه ، ولا يُرَى ذلك فى الظلّ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شُعبة ، عن سِماك ، عن عِكرِمة : أنه قال فى هذه الآية : (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : الغبار الذى يكون فى الشمس .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : الشعاع فى كُوّة أحدهم ، إن ذهب يَقْبِضُ عليه لم يستطع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : شعاع الشمس من الكَوّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : ما رأيت شيئا يدخل البيت من الشمس ، تُدْخله من الكَوّة ، فهو الهباء .

وقال آخرون : بل هو ما تسفيه الرياح من التراب ، وتذروه من حطام الأشجار ، ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : ما تسفى الريح وتَبُثُّه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : هو ما تذرو الريح من حُطام هذا الشجر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : الهَباء : الغُبار .

وقال آخرون : هو الماء المُهْراق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) يقال : الماء المهراق .

وقوله جلّ ثناؤه (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) يقول تعالى ذكره : أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًا ، وهو الموضع الذى يستقرّون فيه من منازلهم فى الجنة ، من مستقرّ هؤلاء المشركين ، الذين يفتخرون بأموالهم ، وما أوتوا من عَرَض هذه الدنيا فى الدنيا ، وأحسن منهم فيها مَقيلا .

فإن قال قائل : وهل فى الجنة قائلة ؟ فيقال (وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) فيها ؟ قيل : معنى ذلك : وأحسن فيها قرارا فى أوقات قائلتهم فى الدنيا ، وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمرّ فيهم فى الآخرة إلا قدر ميقات النهار ، من أوّله إلى وقت القائلة ، حتى يَسكنوا مساكنهم فى الجنة ، فذلك معنى قوله (وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) .

ذكر الرواية عمن قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) يقول : قالُوا فى الغرف فى الجنة ، وكان حسابهم أن عُرِضوا على ربهم عَرْضة واحدة ، وذلك الحساب اليسير ، وهو مثل قوله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا) .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، فى قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) قال : كانوا يَرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة فى نصف النهار ، فيقيل هؤلاء فى الجنة ، وهؤلاء فى النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) قال : لم ينتصف النهار حتى يقضى الله بينهم ، فيَقِيل أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار . قال : وفى قراءة ابن مسعود : ثم إن مَقِيلهم لإلى الجحيم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) قال : قال ابن عباس : كان الحساب من ذلك فى أوّله ، وقال القوم حين قالوا فى منازلهم من الجنة ، وقرأ (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصوّاف حدثه ، أنه بلغه أن يوم القيامة يُقْضَى على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس ، وأنهم يَقِيلون فى رياض الجنة ، حتى يُفْرَغ من الناس ، فذلك قول الله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) .

⁂ قال أبو جعفر : وإنما قلنا : معنى ذلك : خير مستقرًا فى الجنة منهم فى الدنيا ، لأن الله تعالى ذكره عمّ بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلا ، جميع أحوال الجنة فى الآخرة ، أنها خير فى الاستقرار فيها ، والقائلة من جميع أحوال أهل النار ، ولم يخصّ بذلك أنه خير من أحوالهم فى النار دون الدنيا ، ولا

فى الدنيا دون الآخرة ، فالواجب أن يَعُمّ كما عمّ ربنا جلّ ثناؤه ، فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرّ فى الجنة من أهل النار فى الدنيا والآخرة ، وأحسن منهم مقيلا . وإذا كان ذلك معناه ، صحّ فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله (خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم فى قولهم : هذا خير من هذا ، وهذا أحسن من هذا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذِ الْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)

اختلف القرّاء فى قراءة قوله (تَشَقَّقُ) فقرأته عامّة قرّاء الحجاز (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ) بتشديد الشين بمعنى : تتشقق ، فأدغموا إحدى التاءين فى الشين ، فشدّدوها ، كما قال (لا يَسَّمَّعُونَ إلى المَلإِ الأعْلَى). وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين ، والاجتزاء بإحدى التاءين من الأخرى .

والقول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان مستفيضتان فى قَرَأَة الأمصار بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وتأويل الكلام : ويوم تُشقق السماء عن الغمام . وقيل : إن ذلك غمام أبيض ، مثل الغمام الذى ظلل على بنى إسرائيل ، وجُعلت الباء ، فى قوله (بالغَمامِ) مكان « عن » ، كما تقول : رميت عن القوس وبالقوس ، وعلى القوس ، بمعنى واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بالغَمامِ) قال : هو الذى قال : (فى ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ) الذى يأتى الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن فى تلك قطّ إلا لبنى إسرائيل . قال ابن جُرَيج : الغمام الذى يأتى الله فيه غمام زعموا فى الجنة .

قال : « ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل ، عن أبى حازم ، عن عبد الله بن عمرو قال : يَهبط الله حين يهبط ، وبينه وبين خلقه سبعون حجابا ، منها النور والظلمة والماء ، فيصوّت الماء صوتا تنخلع له القلوب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عكرمة فى قوله (يَأْتِيهِمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلائِكَةِ) يقول : والملائكة حوله .

قال : ثنى حجاج ، عن مبارك بن فضالة ، عن علىّ بن زيد بن جُدْعان ، عن يوسف بن مهران ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجنّ والإنس ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقى أهل السماء وأهل الأرض ، فيقول أهل الأرض : جاء ربنا ، فيقولون : لم يجئ وهو

آت ، ثم تتشقق السماء الثانية ، ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف ، إلى السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ، ومن الجنّ والإنس ، قال : فتنزل الملائكة الكُروبيون ، ثم يأتى ربنا تبارك وتعالى فى حملة العرش الثمانية ، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة ، قال : وكل ملَك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكلّ ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه ، يقول : سبحان الملك القُدُّوس ، وعلى رءوسهم شىء مبسوط كأنه القَباء ، والعرش فوق ذلك ، ثم وقف .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن هارون بن وثاب ، عن شهر بن حوشب ، قال : حملة العرش ثمانية ، فأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك . وأربعة يقولون : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يَهبط عليهم فوقهم ، شخصت إليه أبصارهم ، ورجفت كُلاهم فى أجوافهم . قال : وطارت قلوبهم من مقرّها فى صدورهم إلى حناجرهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بالغَمامِ ونُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنْزِيلاً) يعنى يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام ، وتنزل الملائكة تنزيلا .

وقوله (وَنُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنْزِيلاً) يقول : ونزّل الملائكة إلى الأرض تنزيلا (المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ للرَّحْمَنِ) يقول : الملك الحقّ يومئذ خالص للرحمن ، دون كلّ من سواه ، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه . وقد كان فى الدنيا ملوك ، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار (وكانَ يَوْما عَلى الكافِرِينَ عَسِيرًا) : يقول : وكان يومُ تشقّق السماء بالغمام ، يوما على أهل الكفر بالله عسيرا ، يعنى صعبا شديدا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً (٢٩)

يقول تعالى ذكره ويوم يعَضّ الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ، ندَما وأسفا على ما فرط فى جنب الله ، وأوبق نفسه بالكفر به ، فى طاعة خليله الذى صدّه عن سبيل ربه ، يقول : يا ليتنى اتخذت فى الدنيا مع الرسول سبيلا ، يعنى طريقا إلى النجاة من عذاب الله . وقوله (يا وَيْلَتا لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلانا خَلِيلا) اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (الظَّالِمُ) وبقوله (فلانا) ، فقال بعضهم : عنى بالظالم : عُقْبة بن أبى معيط ، لأنه ارتدّ بعد إسلامه ، طلبا منه لرضا أُبىّ بن خلف ، وقالوا : فلان هو أُبىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قال : كان أُبَىّ بن خلف يحضر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فزجره عُقْبة بن أبى مُعَيط ، فنزل (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) . . . إلى قوله (خَذُولاً) قال : الظالم : عُقْبة ، وفلانا خليلا : أُبَىّ بن خَلَف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن الشعبىّ فى قوله (لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلانا خَلِيلاً) قال : كان عقبة بن أبى معيط خليلا لأمية بن خلف ، فأسلم عقبة ، فقال أمية : وجهى من وجهك حرام إن تابعتَ محمدا ، فكفر ؛ وهو الذى قال (لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلانا خَلِيلاً) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزرىّ ، عن مِقْسم فى قوله (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُول يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) قال : اجتمع عُقبة بن أبى معيط وأبىّ بن خلَف ، وكانا خليلين ، فقال أحدهما لصاحبه : بلغنى أنك أتيت محمدا ، فاستمعت منه ، والله لأرضى عنك حتى تتفُل فى وجهه وتكذّبه ، فلم يسلطه الله على ذلك ، فقُتل عقبة يوم بدر صَبْرا[1] . وأما أُبَىّ بن خلف ، فقتله النبىّ صلى الله عليه وسلم بيده يوم أُحد فى القتال ، وهما اللذان أنزل الله فيهما (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) . . . إلى قوله (فُلانا خَلِيلاً) قال : هو أُبَىّ بن خلف كان يحضر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فزجره عقبة بن أبى معيط .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) قال : عقبة ابن أبى معيط دعا مجلسا فيهم النبىّ صلى الله عليه وسلم لطعام ، فأبى النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يأكل ، وقال : «لا آكُلُ حتى تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فقال : ما أنت بآكل حتى أشهد ؟ قال : نعم ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فلقيه أُمية بن خلف فقال : صبوت ؟ فقال : إن أخاك على ماتعلم ، ولكنى صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك ، فقلته ، وليس من نفسى » .

وقال آخرون : عنى بفلان : الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فُلانا خَلِيلاً) قال : الشيطان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

(١) يقال : قتل فلان صبرا ؛ ومعناه : قدم فقتل ، وهو يرى وينظر ؛ وهو غير من يقتل فى حرب أو حادث . السقا .

وقوله (لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن هذا النادم على ماسلف منه فى الدنيا ، من معصية ربه فى طاعة خليله ، لقد أضلنى عن الإيمان بالقرآن ، وهو الذكر ، بعد إذ جاءنى من عند الله ، فصدّنى عنه ، يقول الله (وكانَ الشَّيْطانُ للإِنْسانِ خَذُولاً) يقول : مسلما لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)

يقول تعالى ذكره : وقال الرسول : يوم يَعَضّ الظالم على يديه : يا ربّ إن قومى الذين بعثتنى إليهم لأدعوهم إلى توحيدك ، اتخذوا هذا القرآن مهجورا .

واختلف أهل التأويل فى معنى اتخاذهم القرآن مهجورا ، فقال بعضهم : كان اتخاذهم ذلك هُجْرا ، قولهم فيه السيئ من القول ، وزعمهم أنه سحر ، وأنه شعر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (اتَّخَذُوا هَذَا القُرآنَ مَهْجُورًا) قال : يَهْجُرون فيه بالقول ، يقولون : هو سحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَقالَ الرَّسُولُ) . . . الآية ، يهجرون فيه بالقول ، قال مجاهد : وقوله (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِرًا تَهْجُرُونَ) قال : مستكبرين بالبلد سامرا مجالس تَهْجُرون ، قال : بالقول السيئ فى القرآن غير الحقّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قول الله (إنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا القُرآنَ مَهْجُورًا) قال : قالوا فيه غير الحقّ ، ألم تر إلى المريض إذا هذى قال غير الحقّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الخبر عن المشركين أنهم هَجَروا القرآن ، وأعرضوا عنه ، ولم يسمعوا له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا القُرآنَ مَهْجُورًا) لايريدون أن يسمعوه ، وإن دُعُوا إلى الله قالوا لا ، وقرأ (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : ينهون عنه ، ويبعدون عنه .

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بتأويل ذلك ، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا : لاتسمعوا لهذا القرآن والْغَوا فيه ، وذلك هجرهم إياه .

وقوله (وكَذلكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ المُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وكما جعلنا لك يامحمد أعداء من مشركى قومك، كذلك جعلنا لكلّ من نبأناه من قبلك عدوّا من مشركى قومه ، فلم تُخْصَص بذلك من بينهم ، يقول : فاصبر لما نالك منهم ، كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن عباس (وكَذلكَ جَعَلْنا لكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ المُجْرِمِينَ) قال : يُوَطِّن محمدا صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوّا من المجرمين ، كما جعل لمن قبله .

وقوله (وكَفَى بِرَبِّكَ هادِيا وَنَصِيرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه : وكفاك يامحمد بربك هاديا يهديك إلى الحقّ ، ويبصّرك الرُّشْد ، ونصيرا : يقول : ناصرا لك على أعدائك، يقول : فلا يهولَنَّك أعداؤك من المشركين ، فإنى ناصرك عليهم ، فاصبر لأمرى ، وامض لتبليغ رسالتى إليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ، كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا (٣٢)

يقول تعالى ذكره (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ) يقول : هلا نزّل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن (جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أُنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟قال الله : (كَذلكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) تنزيله عليك الآية بعد الآية ، والشىء بعد الشىء لنثبت به فؤادك نزلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً؟ كَذلكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَرَتَّلْناه تَرْتِيلاً) قال : كان الله ينزل عليه الآية ، فإذا علِمَها نبىّ الله نزلت آية أخرى، ليعلِّمه الكتاب عن ظهر قلب ، ويثبت به فؤاده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى ؟ قال (كذلكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : كان القرآن يُنَزَّل عليه جوابا لقولهم : ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحقّ . ويعنى بقوله (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) : لنصحح به عزيمة قلبك ، ويقين نفسك ، ونشجعك به .

وقوله (وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً) يقول : وشيئا بعد شيء علمناكه ، حتى تحفظته ، والترتيل فى القراءة : الترسل والتثبت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مُغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً) قال : نزل متفرّقا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً) قال : كان ينزل آية وآيتين وآيات ، جوابا لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم ، وردّا عن النبىّ فيما يتكلمون به ، وكان بين أوّله وآخره نحوٌ من عشرين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاَ) قال : كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين ، ومات النبىّ صلى الله عليه وسلم لثنتين أو لثلاث وستين .

وقال آخرون : معنى الترتيل : التبيين والتفسير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَرَتَّلْناهُ تَرْتيلاً) قال : فسرناه تفسيرا ، وقرأ (وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرْتِيلاً) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ، أُولَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولا يأتيك يامحمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحقّ ، بما نبطل به ما جاءوا به ، وأحسن منه تفسيرا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاَّ جِئْناكَ بالحَقّ) قال : الكتاب بما تردّ به ما جاءوا به من الأمثال التى جاءوا بها ، وأحسن تفسيرا .

وعُنى بقوله (وأحْسَنَ تَفْسِيرًا) : وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأحْسَنَ تَفْسِيرًا) يقول : أحسن تفصيلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وأحْسَنَ تَفْسِيرًا) قال بيانا .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأحْسَنَ تَفْسِيرًا) يقول : تفصيلا .

وقوله (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكانا) يقول تعالى ذكره لنبيه : هؤلاء المشركون يامحمد ، القائلون لك(لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) ومن كان على مثل الذى هم عليه من الكفر بالله ، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم ، فيساقون إلى جهنم ، شرّ مستقرّا فى الدنيا والآخرة من أهل الجنة فى الجنة ، وأضلّ منهم فى الدنيا طريقا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ) قال : الذى أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يمشيهم على وجوههم (أُولَئِكَ شَرٌّ مَكانا) من أهل الجنة (وأضَلُّ سَبِيلاً) قال : طريقا .

حدثنى محمد بن يحيى الأزدى ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، عن قَتادة ، قوله (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ) قال « حدثنا أنس بن مالك ، أن رجلا قال : يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ، قال : الَّذِى أمْشاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ قادِرٌ أنْ يُمْشِيَهِ عَلَى وَجْهِهِ » .

حدثنا أبوسفيان الغنوىّ يزيد بن عمرو ، قال : ثنا خلاد بن يحيى الكوفىّ ، قال : ثنا سفيان الثورىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، قال : أخبرنى من سمع أنس بن مالك يقول : « جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : كيف يحشرهم على وجوههم ؟ قال : الَّذِى يَحْشُرُهُمْ عَلَى أرْجُلِهِمْ قادِرٌ بأنْ يَحْشُرَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا عبيد بن محمد الورّاق ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى داود ، عن أنس بن مالك ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يُحشر أهل النار على وجوههم ؟ فقال : إنَّ الَّذِى أمْشاهُمْ عَلَى أقْدامِهِمْ ، قادِرٌ عَلَى أنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ) فقالوا : يا نبىّ الله كيف يمشون على وجوههم؟قال : أرأيْتَ الَّذِى أمْشاهُمْ عَلَى أقْدامِهِمْ ، أليْسَ قادِرًا أنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور بن زاذان ، عن علىّ بن زيد بن جُدْعان ، عن أبى خالد ، عن أبى هريرة ، قال : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف :

صنف على الدوابّ ، وصنف على أقدامهم ، وصنف على وجوههم ، فقيل : كيف يمشون على وجوههم؟ قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم ، قادر أن يمشيهم على وجوههم » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يتوعد مشركى قومه على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ويخوّفهم من حلول نقمته بهم ، نظير الذى يحلّ بمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا) يامحمد (مُوسَى الكِتابَ) يعنى التوراة ، كالذى آتيناك من الفرقان (وَجَعَلْنا مَعَهُ أخاهُ هارُونَ وَزِيرًا) ، يعنى معينا وظهيرا (فقُلْنا اذْهَبا إلى القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا) يقول : فقلنا لهما : اذهبا إلى فرعون وقومه ، الذين كذّبوا بإ علامنا وأدلتنا ، فدمرناهم تدميرا . وفى الكلام متروك ، استغنى بدلالة ماذكر من ذكره ، وهو : فذهبا فكذبوهما ، فدمرناهم حينئذ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وقوم نوح لما كذّبوا رسلنا ، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من الحقّ ، أغرقناهم بالطوفان (وَجَعَلْناهُمْ للنَّاسِ آيَةً) يقول : وجعلنا تغريقنا إياهم وإهلاكنا ، عظة وعبرة للناس يعتبرون بها (وأعْتَدْنا للظَّالِمِينَ عَذابا أليما) يقول : وأعددنا لهم من الكافرين بالله فى الآخرة عذابا أليما ، سوى الذى حلّ بهم من عاجل العذاب فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)

يقول تعالى ذكره : ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرسّ .

واختلف أهل التأويل فى أصحاب الرسّ ، فقال بعضهم : أصحاب الرسّ : من ثمود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : (وأصحابَ الرَسّ) قال : قرية من ثمود :

وقال آخرون : بل هى قرية من اليمامة يقال لها الفَلْج .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : قال قتادة : الرسّ : قرية من اليمامة يقال لها الفَلْج [١] .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قال عكرِمة : أصحاب الرسّ بفلج هم أصحاب يس [٣] .

وقال آخرون : هم قوم رَسُّوا نبيهم فى بئر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى بكر ، عن عكرِمة ، قال : كان الرسّ بئرا رَسُّوا فيها نبيهم .

وقال آخرون : هى بئر كانت تسمى الرسّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وأصحَابَ الرَسّ) قال : هى بئر كانت تسمى الرّسّ .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد فى قوله (وأصحَابَ الرَسّ) قال : الرّسّ بئر كان عليها قوم .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، قول من قال : هم قوم كانوا على بئر ، وذلك أن الرَّسَّ فى كلام العرب : كلّ محفور ، مثل البئر ، والقبر ، ونحو ذلك ؛ ومنه قول الشاعر :

سَبَقْتَ إلى فَرَطٍ باهِلٍ تَنابِلَةٍ يَحْفُرُونَ الرِّساسا [٢]

يريد أنهم يحفرون المعادن ، ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حُفرة ، ذكرهم الله فى كتابه ، إلا أصحاب الأخدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله (وأصحَابَ الرَّسّ) فإنا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج ، وإن يكونوا غيرهم ، فلا نعرف لهم خبرا ، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم ، أنهم قوم رَسُّوا نبيهم فى حفرة .

إلاّ ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يَدخُلُ الجَنَّةَ يَومَ القِيامَةِ العَبْدُ الأَسْوَدُ » . وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا إلى أهل قرية ، فلم يؤمن من أهلها أحد إلا ذلك الأسود ، ثم إن أهل

(١) فى تاج العروس : وقيل (فلج) : بلد . ومنه قيل لطريق مأخذه من البصرة إلى اليمامة : طريق بطن فلج . اهـ .

(٢) البيت للنابغة الجعدى (اللسان : رسس) . والفرط بالتحريك : القوم يتقدمون إلى الماء قبل الوراد ، فيهيئون لهم الأرسان والدلاء ، ويملئون الحياض ، ويستقون لهم (عن اللسان) . والباهل : المتردد بلا عمل . والتنابلة : جمع تنبل ، بوزن جعفر ، وهو الرجل القصير . ولعله كناية عن البطء والعجز عن العمل . والرساس : جمع رس ، وهى البئر القديمة أو المعدن (المنجم تستخرج منه المعادن كالحديد ونحوه) . استشهد به المؤلف على أن كل محفور مثل البئر والقبر والمعدن ، فهو رس عند العرب .

القرية عدوا على النبىّ عليه السلام ، فحفروا له بئرا، فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحَجَر ضخم . قال: وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ، ثم يأتى بحطبه فيبيعه ، فيشترى به طعاما وشرابا ، ثم يأتى به إلى ذلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، فيعينه الله عليها ، فيدلى إليه طعامه وشرابه ، ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ، ثم إنه ذهب يوما يحتطب ، كما كان يصنع ، فجمع حطبه ، وحزم حُزمته، وفرغ منها ، فلما أراد أن يحتملها وجد سِنَة ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ، ثم إنه هبّ فتمطّى ، فتحوّل لشقه الآخر ، فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ، ثم إنه هبّ، فاحتمل حزمته، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية ، فباع حزمته ، ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ، ثم ذهب إلى الحفرة فى موضعها التى كانت فيه، فالتمسه فلم يجده، وقد كان بدا لقومه فيه بَدَاء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدّقوه، قال : فكان النبىّ عليه السلام يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل ؟ فيقولون : ما ندرى، حتى قبض الله النبىّ ، فأهبّ الله الأسود من نومته بعد ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ ذلكَ الأسْوَدَ لأوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّة » غير أن هؤلاء فى هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم، واستخرجوه من حفرته ، فلا ينبغى أن يكونوا المعنيين بقوله (وأصحَابَ الرّسّ) لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه دَمَّرهم تدميرا ، إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذى استخرجوه من الحفرة وآمنوا به ، فيكون ذلك وجها (وَقُرُونا بينَ ذلكَ كَثِيرًا) يقول : ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التى سمّيناها لكم أمما كثيرة .

كما حدثنا الحسن بن شبيب ، قال: ثنا خلف بن خليفة ، عن جعفر بن علىّ بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: خلّفت بالمدينة عَمّى ممن يفتى على أن القرن سبعون سنة، وكان عمه عبيدُ الله بن أبى رافع كاتبَ علىّ رضى الله عنه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، قال : القرن أربعون سنة .

وقوله (وكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الأَمْثالَ) يقول تعالى ذكره : وكل هذه الأمم التى أهلكناها ، التى سميناها لكم أو لم نسمها، ضربنا له الأمثال ، يقول: مثلنا له الأمثال، ونبهناها على حججنا عليها ، وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ ، فلم نُهلك منهم أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم فى المعذرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الأَمْثالَ) قال : كلّ قد أعذر الله إليه ، ثم انتقم منه .

وقوله (وكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكلُّ هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم، استأصلناهم ، فدمرناهم بالعذاب إبادة ، وأهلكناهم جميعا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبيرًا) قال : تبر الله كلاًّ بعذاب تتبيرا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير (وكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبيرًا) قال : تتبير : بالنبطية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قوله (وكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبير) قال : بالعذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ، أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التى أمطرها الله مطر السَّوْء ، وهى سَدُوم ، قرية قوم لوط ، ومَطَر السوء : هو الحجارة التى أمطرها الله عليهم ، فأهلكهم بها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةَ التى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) قال : حجارة ، وهى قرية قوم لوط ، واسمها سَدُوم . قال ابن عباس : خمس قرَيَّات ، فأهلك الله أربعة ، وبقيت الخامسة ، واسمها صَعْوة ، لم تهلك صَعْوة ، كان أهلها لايعملون ذلك العمل ، وكانت سدوم أعظمها ، وهى التى نزل بها لوط ، ومنها بُعث ، وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم ينادى نصيحة لهم : ياسَدُوم ، يوم لكم من الله ، أنهاكم أن تعرضوا لعقوبة الله .

زعموأن لوطا ابن أخى إبراهيم صلوات الله عليهما .

وقوله (أفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها) يقول جلّ ثناؤه : أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التى أُمطرت مطر السَّوْء يرون تلك القرية ، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم ، فيعتبروا ويتذكروا ، فيراجعوا التوبة من كفرهم ، وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا لايرجون نشورا ، يقول تعالى ذكره : ماكذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله ، لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التى وُصِفت ، ولكنهم كذّبوه من أجل أنهم قوم لايخافون نشورا بعد الممات ، يعنى أنهم لايوقنون بالعقاب والثواب ، ولا يؤمنون بقيام الساعة ، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (أفَلَمْ يكُونُوا يَرَوْنَها ، بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا) : بعثا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ، أَهَٰذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم (إنْ يَتَّخِذُونَكَ إلاَّ هُزُوًا) يقول : ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك ، يقولون : أهذا الذى بعث الله إلينا رسولا من بين خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ، لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءُون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنهم يقولون إذا رأوه : قد كاد هذا يُضلنا عن آلهتنا التى نعبدها ، فيصدّنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها ، وثُبوتنا على عبادتها (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ) يقول جلّ ثناؤه : سَيَبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حلّ بهم على عبادتهم الآلهة (مَنْ أضَلُّ سَبِيلاً) يقول : من الراكب غير طريق الهدى ، والسالك سبيل الردَى أنت أوهم ؟

وبنحو ماقلنا فى تأويل قوله (لَوْلا أن صَبرْنا عَلَيْها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج (إنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا ، لَوْلا أنْ صَبرْنا عَلَيْها) قال : ثبتنا عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ؟ (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)

يعنى تعالى ذكره : أرأيت يامحمد من اتخذ إلهه شهوته التى يهواها ، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحَجَر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به ، وأخذ الآخر يعبده ، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه ،

فلذلك قال جلّ ثناؤه (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) يقول تعالى ذكره : أفأنت تكون يامحمد على هذا حفيظا فى أفعاله مع عظيم جهله ؟ أم تحسب يامحمد أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يُتلى عليهم ، فيعُون أو يعقلون مايعاينون من حُجج الله ، فيفهمون (إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ) يقول : ما هم إلا كالبهائم التى لاتعقل ما يقال لها ، ولا تفقه ، بل هم من البهائم أضلّ سبيلا ، لأن البهائم تهتدى لمراعيها ، وتنقاد لأربابها ، وهؤلاء الكفرة لايطيعون ربهم ، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم ، بل يكفرونها ، ويعصُون من خلقهم وبرَأهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : ألم تر يامحمد كيف مدّ ربك الظلّ ، وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . وبنحو ما قلنافى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) يقول : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : مدّه ما بين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) قال : الظلّ : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، عن أبى مالك ، قال (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : ظلّ الغداة قبل أن تطلع الشمس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : الظلّ : ظلّ الغداة .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عكرِمة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) يعنى من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس .

قوله (وَلَوْشاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) يقول : ولو شاء لجعله دائما لايزول ، ممدودا لا تذهبه الشمس ، ولا تنقصه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) يقول : دائما .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) قال : لاتصيبه الشمس ولا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) قال : لايزول .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) قال : دائما لايزول .

وقوله (ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) يقول جلّ ثناؤه : ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه ، أنه خلق من خلق ربكم ، يَوجده إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد ؛ والهاء فى قوله « عليه » من ذكر الظلّ . ومعناه : ثم جعلنا الشمس على الظلّ دليلا . قيل : معنى دلالتها عليه : أنه لو لم تكن الشمس التى تنسخه ، لم يعلم أنه شئ، إذ كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها، نظير الحلو الذى إنما يعرف بالحامض، والبارد بالحارّ ، وما أشبه ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) يقول : طلوع الشمس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) قال : تحويه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) قال : أحرجت ذلك الظلّ ، فذهبت به .

وقوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) يقول تعالى ذكره : ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظلّ إلينا قبضا خفيا سريعا ، بالنىء الذى نأتى به بالعشىّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) قال : حوى الشمس الظلّ . وقيل : إن الهاء التى فى قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا) عائدة على الظلّ ، وإن معنى الكلام : ثم قبضنا الظلّ إلينا بعد غروب الشمس ، وذلك أن الشمس إذا غربت غاب الظلّ الممدود ، قالوا : وذلك وقت قبضه .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (يَسِيرًا) فقال بعضهم : معناه : سريعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) يقول : سريعا .

وقال آخرون : بل معناه : قبضا خفيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن مجاهد (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) قال : خفيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج (قَبْضًا يَسِيرًا) قال : خفيا ، قال : إن مابين الشمس والظلّ مثل الخيط ، واليسير الفعيل من اليسر ، وهو السهل الهين فى كلام العرب . فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك ، يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد ، لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء . وقيل : إنما قيل (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) لأن الظلّ بعد غروب الشمس لايذهب كله دفعة ، ولا يقبل الظلام كله جملة ، وإنما يقبض ذلك الظلّ قبضا خفيا ، شيئا بعد شىء ، ويعقب كل جزء منه يقبضه ، جزء من الظلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ، وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا (٤٧)

يقول تعالى ذكره : الذى مدّ الظلّ ثم جعل الشمس عليه دليلا ، هو الذى جعل لكم أيها الناس الليل لباسا . وإنما قال جلّ ثناؤه (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) لأنه جعله لخلقه جُنة يجتنون فيها ويسكنون ، فصار لهم سترا يسترون به ، كما يسترون بالثياب التى يُكْسَوْنَها . وقوله (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) يقول : وجعل

لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم ، وتهدأ به جوارحكم . وقوله (وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُورًا) يقول تعالى ذكره : وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم : نَشَرَ الميتُ ، كما قال الأعشى :

حتى يقُولَ النَّاسُ مِمَّا رأَوْا يا عَجَبا للْمَيِّتِ النَّاشِرِ[1]

ومنه قول الله (لا يَمْلِكُونَ مَوْتا وَلا حَياةً وَلا نُشُورًا) .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ، ما حدثنى محمد بن عمر ، وقال ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (والنَّهارَ نُشُورًا) قال : يُنْشر فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

وإنما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك ، لأنه عقيب قوله (والنَّوْمَ سُباتا) فى الليل . فإذ كان ذلك كذلك ، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت . والذى قاله مجاهد غير بعيد من الصواب ، لأن الله أخبر أنه جعل النهار مَعاشا ، وفيه الانتشار للمعاش ، ولكن النشور مصدر من قول القائل : نَشَر ، فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه ، كما صحّت الرواية عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه : « الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أحْيانا بَعْدَما أماتَنا ، وَإلَيْهِ النُّشُورُ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ، وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا (٤٩)

يقول تعالى ذكره ، والله الذى أرسل الرياح الملقحة نُشْرا : حياة ، أو من الحيا والغيث ، الذى هو منزله على عباده (وأنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُورًا) يقول : وأنزلنا من السحاب الذى أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ، ماء طَهُورا (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتا) يعنى أرضا قَحِطة عَذِية لا تُنبت . وقال (بَلْدَةً مَيْتا) ولم يقل ميتة ، لأنه أريد بذلك ، لنحيىَ به موضعا ومكانا ميتا ، ونسقيه من خلقنا أنعاما من البهائم ، وأناسىّ كثيرا ، يعنى بالأناسىّ : جمع إنسان ، وجمع أناسىّ ، فجعل الياء عوضا من النون التى فى إنسان ، وقد يجمع إنسان : إناسين ، كما يجمع النَّشْيان[2] : نَشَايين . فإن قيل : أناسىّ : جمع واحده إنسىّ ، فهو مذهب أيضا

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤١) وهو من قصيدة يهجو بها علقمة ابن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل ، فى المنافرة التى جرت بينهما) . وقبل البيت قوله :

لَوْ أسْنَدَتْ مَيْتا إلى صَدْرِها عاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إلى قابِرِ

والبيت كذلك فى (اللسان : نشر) قال : ونشر الله الميت ينشره نشرا ونشورا ، وأنشره ، فنشر الميت (برفع الميت) لاغير : أحياه ، قال الأعشى : « حتى يقول . . . البيت » . وهذا محل الشاهد عند المؤلف .

(٢) يقال رجل نشوان ، من السكر ؛ ونشيان للخبر : يختبر الأخبار أول ورودها ، ويبحث عنها . وأصلها الواو .

محكى ، وقد يجمع أناسى مخففة الياء ، وكأن من جمع ذلك كذلك، أسقط الياء التى بين عين الفعل ولامه ، كما يجمع القُرقور : قراقير وقراقر . ومما يصحح جمعهم إياه بالتخفيف ، قول العرب : أناسية كثيرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد قسمنا هذا الماء الذى أنزلناه من السماء طهورا ، لنحيي به الميت من الأرض بين عبادى ، ليتذكروا نعمى عليهم ، ويشكروا أيادىّ عندهم، وإحسانى إليهم ، (فأبى أكْثَرُهُمْ إلاَّ كُفُورًا) يقول : إلا جحودا لنعمى عليهم ، وأيادىّ عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : سمعت الحسن بن مسلم يحدّث طاوسا ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس، قال : ما عام بأكثر مطرا من عام ، ولكنّ الله يصرّفه بين خلقه ؛ قال : ثم قرأ (وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ)

حدثنى يعقوب ، قال: ثنا ابن عُلَيّة ، عن سليمان التيمىّ ، قال : ثنا الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، قال : قال ابن عباس : ما عام بأكثر مطرا من عام، ولكنه يُصَرِّفه فى الأرضين ، ثم تلا (وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ) قال : المطر ينزله فى الأرض ، ولا ينزله فى الأرض الأخرى، قال : فقال عكرِمة : صرفناه بينهم ليذّكروا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) قال : المطر مرّة هاهنا ، ومرّة هاهنا .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازى ، قال: ثنا سفيان بن عيينة ، عن يزيد بن أبى زياد ، أنه سمع أبا جُحَيفة يقول : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ليس عام بأمطر من عام ، ولكنه يصرِّفه ، ثم قرأ عبد الله (ولقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ) .

وأما قوله (فأبى أكْثَرُ النَّاسُ إلاَّ كُفُورًا) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جُرَيج ، عن عكرِمة (فأبَى أكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُورًا) قال : قولهم فى الأنواء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولو شئنا يامحمد لأرسلنا فى كلّ مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسنا، على كفرهم بنا ، فيخفّ عنك كثيرا من أعباء ما حملناك منه ، ويسقط عنك بذلك مُؤْنة عظيمة ، ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى ، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت، ما أعدّ الله لك من الكرامة عنده ، والمنازل الرفيعة قِبَله ، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه، من أن تعبد آلهتهم ، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا ، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ، ويدينوا به ، ويذعنوا للعمل بجميعه ، طوعا وكرها .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَجاهِدْهُمْ بِهِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس ، قوله) فَلا تُطِعِ الكافِرِينَ ، وَجاهِدْهُمْ بِهِ) قال : بالقرآن .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهادًا كَبِيرًا) قال : الإسلام ، وقرأ (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) وقرأ (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وقال : هذا الجهاد الكبير .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله الذى خلط البحرين ، فأمرج أحدهما فى الآخر ، وأفاضه فيه ، وأصل المَرْج : الخلط ، ثم يقال للتخلية مَرْج ، لأن الرجل إذا خلى الشىء حتى اختلط بغيره ، فكأنه قد مرجه ، ومنه الخبر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقوله لعبد الله بن عمرو : « كَيْفَ بِكَ يا عَبْدَ اللهِ إذَا كُنْتَ فِى حُثالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وأمانَاتُهُمْ ، وَصَارُوا هَكَذَا ، وشَبَّكَ بين أصابعه » ؟ يعنى بقوله : قد مَرِجت : اختلطت ، ومنه قول الله (فِى أَمْرٍ مَرِيجٍ) : أى مختلط . وإنما قيل للمَرْج مَرْج من ذلك، لأنه يكون فيه أخلاط من الدوابّ، ويقال : مَرَجْتُ دابتك : أى خليتها تذهب حيث شاءت ، ومنه قول الراجز :

رَعَى بِها مَرَجَ رَبِيعٍ مَمْرَجَا[1]

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت من مشطور الرجز ، للعجاج الراجز (ديوان طبع ليبسج سنة ١٠٩٣ ص ٩) وهو البيت الثانى والثمانون من أرجوزته التى مطلعها * ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا * وضبط ناشره لفظة ممرج ، بضم الميم الأول وكسر الراء ، والصواب ما فى اللسان ، ونقلناه عنه ، وهو اسم مكان من مرج الدابة يمرجها (من باب نصر) إذا أرسلها ترعى فى المرج .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ البَحْرَيْنِ) يعنى أنه خلع أحدهما على الآخر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ) : أفاض أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ البَحْرَيْنِ) يقول : خلع أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (مَرَجَ) أفاض أحدهما على الآخر .

وقوله (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) الفرات : شديد العذوبة ، يقال : هذا ماء فرات : أى شديد العذوبة .

وقوله (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يقول : وهذا ملح مرّ ، يعنى بالعذب الفرات : مياه الأنهار والأمطار ، وبالملح الأجاج : مياه البحار .

وإنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه ، وعظيم سلطانه ، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج ، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته ، وإفساده إياه بقضائه وقدرته ، لئلا يضرّ إفساده إياه بركبان الملح منهما ، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء ، فقال جلّ ثناؤه (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) يعنى حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) يقول : وجعل كلّ واحد منهما حراما محرّما على صاحبه أن يغيره ويفسده .

وبنحو الذي قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يعنى أنه خلع أحدهما على الآخر ، فليس يفسد العذب المالح ، وليس يفسد المالح العذب ، وقوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال : البرزخ : الأرض بينهما (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) يعنى : حجر أحدهما على الآخر بأمره وقضائه ، وهو مثل قوله (وَجعل بين البحرين حاجزا) .

وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال : محبسا ، قوله (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : لايختلط البحر بالعذب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا) قال : حاجزا لايراه أحد ، لايختلط العذب فى البحر ، قال ابن جُرَيج : فلم أجد بحرا عذبا إلا الأنهار العِذاب ، فإن دجلَة تقع فى البحر ، فأخبرنى الخبير بها أنها تقع فى البحر ، فلا تمور فيه بينهما مثل الخيط الأبيض ، فإذا رجعت لم ترجع فى طريقها من البحر ، والنيل يصبّ فى البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو تميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (وَجعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا) قال : البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختلطان ، وقوله (حِجْرًا مَحْجُورًا) : أى لاتختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا ، لايبغى أحدهما على الآخر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : هذا اليبس .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : جعل هذا ملحا أجاجا ، قال : والأجاج : المرّ .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (مَرَجَ البَحْرَيْنِ : هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يقول : خلع أحدهما على الآخر ، فلا يغير أحدهما طعم الآخر (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا) هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) جعل الله بين البحرين حِجْرا ، يقول : حاجزا حَجَز أحدهما عن الآخر ، بأمره وقضائه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) وجعل بينهما سترا لايلتقيان . قال : والعرب إذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال : حِجْرا ، قال : سترا دون الذى تقول .

☆☆ قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى معنى قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) دون القول الذى قاله من قال معناه : إنه جعل بينهما حاجزا من الأرض أو من اليَبَس ، لأن الله تعالى ذكره أخبر فى أوّل الآية أنه مرج البحرين ، والمَرْج : هو الخلط فى كلام العرب ، على ما بيّنت قبل ، فلو كان البرزخ الذى بين العذب الفرات من البحرين ، والملح الأجاج ، أرضا أو يَبَسا ، لم يكن هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جلّ ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات ، مع اختلاط كلّ واحد منهما بصاحبه . فأما إذا كان كلّ واحد منهما فى حيز عن حيز صاحبه ، فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ، ويذكرون به ، وإن كان كلّ ما ابتدعه ربنا عجيبا ، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله الذى خلق من النُّطَف بشرا إنسانا ، فجعله نسبا ، وذلك سبعة ، وصهرا ، وهو خمسة .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) النسب : سبع ، قوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) . . . إلى قوله (وَبَنَاتُ الأُخْتِ) ، والصهر خمس ، قوله (وأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ) . . . إلى قوله (وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ) ،

وقوله (وكانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) يقول : وربك يامحمد ذوقدرة على خلق مايشاء من الخلق ، وتصريفهم فيما شاء وأراد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا (٥٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لاتنفعهم ، فتجلب إليهم نفعا إذا هم عبدوها ، ولا تضرّهم إن تركوا عبادتها ، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التى لاكفاء لأدناها ، وهى ما عدّد علينا جلّ جلاله فى هذه الآيات من قوله (أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) إلى قوله (قَدِيرًا) ، ومن قدرته القدرة التى لايمتنع عليه معها شىء أراده ، ولا يتعذّر عليه فعل شئ أراد فعله ، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده ، أحلّ به ما أحلّ بالذين وصف صفتهم ، من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرّسّ ، وقرونا بين ذلك كثيرا ، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ، ولا له عنه دافع (وكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الكافر معينا للشيطان على ربه ، مظاهرا له على معصيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكَّام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (وكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيرًا) قال : يظاهر الشيطان على معصية الله يعينه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلى رَبِّهِ ظَهِيرًا) قال : معينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جُرَيج : أبوجهل مُعينا ظاهرَ الشيطان على ربه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيرًا) قال : عونا للشيطان على ربه على المعاصى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيرًا) قال : على ربه عوينا . والظهير : العوين . وقرأ قول الله (فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكافِرِينَ) قال : لاتكونن لهم عوينا . وقرأ أيضا قول الله (وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ) قال : ظاهروهم : أعانُوهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيرًا) يعنى : أبا الحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبا جهل بن هشام .

وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله (وكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيرًا) . . . إلى : وكان الكافر على ربه هينا ؛ من قول العرب : ظهرت به ، فلم ألتفت إليه ، إذا جعله خلف ظهره ، فلم يلتفت إليه ، وكأنّ الظهير كان عنده فعيل ، صرف من مفعول ، إليه من مظهور به ، كأنه قيل : وكان الكافر مظهورا به .

والقول الذى قلناه هو وجه الكلام ، والمعنى الصحيح ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه ، فأَوْلَى الكلام أن يُتْبِع ذلك ذمه إياهم ، وذمّ فعلهم ، دون الخبر عن هوانهم على ربهم ، ولما يجر لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِلاَّ مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٥٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَما أرْسَلْناكَ يامحمد) إلى من أرسلناك إليه (إلاَّ مُبَشِّرًا) بالثواب الجزيل ، من آمن بك وصدّقك ، وآمن بالذى جئتهم به من عندى ، وعملوا به ، (ونَذِيرًا) من كذّبك وكذّب ماجئتهم به من عندى ، فلم يصدّقوا به ، ولم يعملوا (قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ) يقول له : قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم ، ما أسألكم ياقوم على ماجئتكم به من عند ربى أجرا ، فتقولون : إنما يطلب محمد أموالنا ، بما يدعونا إليه ، فلا نَتَّبعه فيه ، ولا نعطيه من أموالنا شيئا ، (إلاَّ مَنْ شاءَ أنْ يَتَّخِذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلاً) يقول : لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا ، طريقا بإنفاقه من ماله فى سبيله ، وفيما يقربه إليه من الصدقة ، والنفقة فى جهاد عدوّه ، وغير ذلك من سبل الخير .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وتوكل يامحمد على الذى له الحياة الدائمة ، التى لاموت معها ، فثق به فى أمر ربك ، وفوّض إليه ، واستسلم له ، واصبر على ما نابك فيه . قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ) يقول : واعبده شكرا منك

له على ما أنعم به عليك . قوله (وكَفَى به بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيرًا) يقول : وحسبك بالحى الذى لايموت خابرا بذنوب خلقه ، فإنه لايخفى عليه شىء منها ، وهو محصٍ جميعها عليهم ، حتى يجازيهم بها يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، الرَّحْمَٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩)

يقول تعالى ذكره : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ - الذى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أيَّامٍ) فقال : وما بينهما ، وقد ذكر السموات والأرض ، والسموات جماع ، لأنه وجّه ذلك إلى الصنفين والشيئين ، كما قال القُطامىّ :

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أنَّ حِبالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبايَنَتَا انْقِطاعا[1]

يريد : وحبالَ تغلبَ ، فثنى ، والحبال جمع ، لأنه أراد الشيئين والنوعين .

وقوله (فِى سِتَّةِ أيَّامٍ) قيل : كان ابتداء ذلك يوم الأحد ، والفراغ يوم الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرحمن) يقول : ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه ، وذلك يوم السبت فيما قيل . وقوله (فاسأَلْ بِهِ خَبِيرًا) يقول : فاسأل يامحمد خبيرا بالرَّحْمن ، خبيرا بخلقه ، فإنه خالق كلّ شىء ، ولا يخفى عليه ماخلق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (فاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) قال : يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتك شيئا ، فاعلم أنه كما أخبرتك ، أنا الخبير ، والخبير فى قوله (فاسأَلْ بِهِ خَبِيرًا) منصوب على الحال من الهاء التى فى قوله : به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ، قَالُوا : وَمَا الرَّحْمَٰنُ؟ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ؛ وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لاينفعهم ولا يضرّهم : اسجدوا للرحمن : أى اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والأوثان ، قالوا : أنسجد لما تأمرنا ؟

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (لِمَا تَأْمُرُنَا) بمعنى : أنسجد نحن

---

(١) البيت للقطامى ، وقد سبق الكلام عليه مفصلا . والشاهد فيه هنا : أن الشاعر قال « تباينتا » بالتثنية ، مع أن حبال جمع حبل . والمسوغ لذلك : أن حبال قيس جماعة ، وحبال تغلب جماعة أخرى ، فعاملهما فى إعادة الضمير عليهما معاملة المفردين ، ومثله فى القرآن : « الذى خلق السموات والأرض وما بينهما ، » لأنه وجه ذلك إلى الصنفين .

يامحمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له ؟ ! وقرأته عامة قرّاء الكوفة (لِمَا يَأْمُرُنا) بالياء، بمعنى : أنسجد لما يأمرنا الرحمن ، وذكر بعضهم أن مُسيلمة كان يُدعَى الرحمن ، فلما قال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم : اسجدوا للرحمن ، قالوا : أنسجد لما يأمرنا رَحْمَن اليمامة ؟ يعنون مُسَيلمة ، بالسجود له .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَزَادَهُمْ نُفُورًا) يقول : وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم : اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله ، وإفراد الله بالعبادة ، بعدا ومما دعوا إليه من ذلك وفرارا .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١)

يقول تعالى ذكره : تقدّس الربّ الذى جعل فى السماء بروجا . ويعنى بالبروج : القصور فى قول بعضهم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسَلْم بن جنادة ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن عطية بن سعد ، فى قوله (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : قصورا فى السماء ، فيها الحرس .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى أبو معاوية ، قال : ثنى إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، فى قوله (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : قصورا فى السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم (جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : قصورا فى السماء .

حدثنى إسماعيل بن سيف ، قال : ثنى علىّ بن مُسْهِر ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : قصورا فى السماء فيها الحرس .

وقال آخرون : هى النجوم الكبار :

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : النجوم الكبار .

قال : ثنا الضحاك ، عن مخلد ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : الكواكب .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بُرُوجا) قال : البروج : النجوم .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول من قال : هى قصور فى السماء ، لأن ذلك فى كلام العرب (وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) وقول الأخطل :

كأنَّهَا بُرْجُ رُومِىٍّ يُشَيِّدُهُ بانٍ بِجِصٍّ وآجُرٍّ وأحْجارِ[1]

يعنى بالبرج : القصر .

قوله (وَجَعَلَ فِيها سِرَاجا) اختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (وَجَعَلَ فِيها سِرَاجا) على التوحيد ، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس ، وهى السراج التى عنى عندهم ، بقوله (جَعَلَ فِيها سِرَاجا) .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَعَلَ فِيها سِرَاجا وَقَمَرًا مُنِيرًا) قال : السراج : الشمس .

وقرأته عامة قرّاء الكوفيين (وَجَعَلَ فِيها سُرُجا) على الجماع ، كأنهم وجهوا تأويله : وجعل فيها نجوما (وقَمَرًا مُنِيرًا) وجعلوا النجوم سُرُجا ، إذ كان يُهتدى بها .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار ، لكل واحدة منهما وجه مفهوم ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَقَمَرًا مُنِيرًا) يعنى بالمنير : المضىء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً) فقال بعضهم : معناه : أن الله جعل كل واحد منهما خلفا من الآخر ، فى أنّ ما فات فى أحدهما من عمل يعمل فيه لله ، أدرك قضاؤه فى الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، عن شقيق قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : فاتتنى الصلاة الليلة ، فقال : أدرك ما فاتك من ليلتك فى نهارك ، فإن الله جعل الليل والنهار خلفة لمن ، أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ

---

(١) البيت للأخطل كما قال المؤلف . والبرج : المراد به القصر كما قاله . وقد كثر فى كلام العرب تشبيه إبل السفر القوية الموثقة الخلق بأبنية الروم ، ومن ذلك قول طرفة فى وصف ناقته :

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أقْسَمَ رَبُّها لَتُكْتَنَفَنْ حتى تُشادَ بِقَرْمَدِ

والبيت شاهد على أن البرج معناه : القصر .

الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً) يقول : من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً) قال : جعل أحدهما خَلَفًا للآخر ، إن فات رجلا من النهار شيء ، أدركه من الليل ، وإن فاته من الليل ، أدركه من النهار .

وقال آخرون : بل معناه أنه جعل كلّ واحد منهما مخالفا صاحبه ، فجعل هذا أسود ، وهذا أبيض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اللَّيْلَ والنهَّارَ خِلْفَةً) قال : أسود وأبيض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر بن قيس ، بن أبى مسلم الماصر ، عن مجاهد (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً) قال : أسود وأبيض .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كل واحد منهما يخلف صاحبه ، إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا قيس ، عن عمر بن قيس الماصر ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً) قال : هذا يخلف هذا ، وهذا يخلف هذا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً) قال : لولم يجعلهما خلفة لم يَدْرِ كيف يَعْمَل ، لو كان الدهر ليلا كله ، كيف يدرى أحد كيف يصوم ؟ أو كان الدهر نهارا كله ، كيف يدرى أحد كيف يصلى . قال : والخلفة : مختلفان ، يذهب هذا ويأتى هذا ، جعلهما الله خلفة للعباد ، وقرأ (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ ، أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) والخِلْفة : مصدر ، فلذلك وُحِّدت ، وهى خبر عن الليل والنهار ؛ والعرب تقول : خَلَفَ هذا من كذا خَلْفة ، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله ، كما قال الشاعر :

وَلَهَا بِالمَاطِرُونِ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِى جَمَعَا
خِلْفَةٌ حتى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنَتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعَا[1]

(١) البيتان : ليزيد بن معاوية ، من مقطوعة له ذكرها صاحب (خزانة الأدب الكبرى ٣ : ٢٧٨ - ٢٨٠) قالها متغزلا فى امرأة نصرانية ، كانت قد ترهبت فى دير عند الماطرون ، وهو بستان بظاهر دمشق . وفى الأبيات « خرفة » فى موضع « خلفة » والخرفة بضم الخاء : ما يخترف ويجتنى ، وهذه رواية المبرد فى الكامل . ورواية المؤلف موافقة لرواية صاحب العباب ، وكذلك رواها العينى عن ابن القوطة قال : الرواية : هى الخلفة باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيب . قال البغدادى : والجيد عندى رواية الخلفة ، على=

وكما قال زُهَير :

بِهَا العِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وأطْلاؤُها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ (١)

يعنى بقوله : يمشين خلفة : تذهب منها طائفة ، وتخلف مكانها طائفة أخرى . وقد يحتمل أن زُهَيرا أراد بقوله : خلفة : مختلفات الألوان ، وأنها ضروب فى ألوانها وهيئاتها . ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب فى مشيها كذا ، وتجىء كذا .

وقوله (لِمَنْ أرَادَ أنْ يَذَّكَّرَ) يقول تعالى ذكره : جعل الليل والنهار ، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكّر أمر الله ، فينيب إلى الحقّ ، أو أراد شكورا : أو أراد شكر نعمة الله التى أنعمها عليه فى اختلاف الليل والنهار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أوْ أرَادَ شُكُورًا) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (لِمَنْ أرَادَ أنْ يَذَّكَّرَ) ذاك آية له (أوْ أرَادَ شُكُورًا) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَذَّكَّرَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (يَذَّكَّرُ) مشددة ، بمعنى يتذكر . وقرأه عامة قرّاء الكوفيين (يَذْكُرَ) مخففة ، وقد يكون التشديد والتخفيف فى مثل هذا بمعنى واحد ، يقال : ذكرت حاجة فلان وتذكرتها .

والقول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيهما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)

= أنها اسم من الاختلاف ، أى التردد . وارتبعت : دخلت فى الربيع . ويروى : ربعت ، بمعناه . ويروى : ذكرت : بدل سكنت . وجلق : مدينة بالشام ، والبيع : جمع بيعة بكسر الباء ، وهى متعبد قال الجوهرى وصاحبا العباب والمصباح : هى للنصارى ، وقال العينى : البيعة : لليهود ، والكنيسة للنصارى ، وهذا لا يناسب قوله إن الشعر فى نصرانية . ومعنى البيتين : إن لهذه المرأة ترددا إلى المناطرون فى الشتاء ، فإن النمل يخزن الحب فى الصيف ، ليأكله فى الشتاء ؛ وإذا دخلت فى أيام الربيع ارتحلت إلى البيع التى بجلق . اه . وأورد المؤلف الشعر شاهدا على معنى الخلفة كما شرحه البغدادى .

(١) البيت من معلقة زهير بن أبى سلمى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ص ٢٢٨) قال شارحه : العين : جمع عيناء ، بقر الوحش . والآرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض . وخلفة : يخلف بعضها بعضا . والأطلاء : جمع الطلا ، وهو الولد من ذوات الظلف . والمجثم : المربض والشاهد فى البيت عند المؤلف فى قوله « خلفة » كما فى الشاهد الذى قبله : أى يذهب بعضها ويخلفه بعض .

⁂ يقول تعالى ذكره (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) بالحلم والسكينة والوقار، غير مستكبرين، ولا متجبِّرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصى الله.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا، فقال بعضهم: عنى بقوله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار:

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال: بالوقار والسكينة.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن أبى الوضاح، عن عبد الكريم، عن مجاهد (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال: بالحلم والوقار.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نَجِيح، عن مجاهد، قوله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) قال: بالوقار والسكينة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثورىّ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) بالوقار والسكينة.

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد، وعبد الرحمن (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قالا: بالسكينة والوقار.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن شريك، عن جابر، عن عمار، عن عكرِمة، فى قوله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال: بالوقار والسكينة.

قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أيوب، عن عمرو الملائى (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال: بالوقار والسكينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) بالطاعة والعفاف والتواضع.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال: يمشون على الأرض بالطاعة.

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنى عمى ، عبد الله بن وهب ، قال : كتب إلىّ إبراهيم بن سويد ، قال : سمعت زيد بن أسلم يقول : التمست تفسير هذه الآية (الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأَرْضِ هَوْنا) فلم أجدها عند أحد ، فأتيت فى النوم ، فقيل لى : هم الذين لايريدون يفسدون فى الأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : لايفسدون فى الأرض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال : لايتكبرون على الناس ، ولا يتجبرون ، ولا يفسدون . وقرأ قول الله : (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلا فَسادًا ، وَالعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالحلم لايجهلون على من جهل عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن فى : (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال : حلماء ، وإن جُهِل عليهم لم يجهلوا .

حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال : حلماء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال : علماء حلماء لايجهلون .

وقوله (وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) يقول : وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول ، أجابوهم بالمعروف من القول ، والسداد من الخطاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن (وَإِذَا خاطَبَهُمُ) . . . الآية ، قال : حلماء ، وإن جُهل عليهم لم يجهلوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، فى قوله (وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) قال : إن المؤمنين قوم ذُلُلٌ ، ذلَّت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، والله ماحزنهم حزن الدنيا ، ولا تعاظم فى أنفسهم ماطلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، وإنه من لم يتعزّ بعزاء الله ، تَقَطَّع نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا فى مطعم ومشرب ، فقد قلّ علمه ، وحضر عذابه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) قال : سدادا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد (وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) قال : سَدَاد من القول .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثورىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) حلماء .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، قال : حلماء لايجهلون ، وإن جُهِلَ عليهم حلموا ولم يسفهوا ، هذا نهارهم فكيف ليلهم؟ خير ليل صفوا أقدامهم ، وأجْرَوا دموعهم على خدودهم ، يطلبون إلى الله جلّ ثناؤه فى فكاك رقابهم .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبادة ، عن الحسن ، قال : حلماء لايجهلون وإن جُهِلَ عليهم حلموا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦)

يقول تعالى ذكره : والذين يبيتون لربهم يصلون لله ، يراوحون بين سجود فى صلاتهم وقيام . وقوله (وَقِيامًا) جمع قائم ، كما الصيام جمع صائم (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ) يقول تعالى ذكره : والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا . وقوله (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) يقول إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما ، غير مفارق مَن عُذّب به من الكفار ، ومهلكا له ، ومنه قولهم : رجل مُغْرَم ، من الغُرْم والدين . ومنه قيل للغريم غَرِيم لطلبه حقه ، وإلحاحه على صاحبه فيه . ومنه قيل للرجل المولَع بالنساء : إنه لمغرَم بالنساء ، وفلان مغرَم بفلان : إذا لم يصبر عنه ؛ ومنه قول الأعشى :

إنْ يُعاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْـــطِ جَـــزِيلاً فإنَّهُ لا يُبـــالى[1]

يقول : إن يعاقب يكن عقابه عقابا لازما ، لايفارق صاحبه مهلكا له ، وقول بشر بن أبى حازم :

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ٩) وهو من قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمى ، وأولها * ما بكاء الكبير بالأطلال * والغرام : الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى « إن عذابها كان غراما » أى هلاكا ولزاما لهم . يقول : إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبال العذال .

وَيَوْمَ النِّسارِ وَيَوْمَ الجِفا رِ كانَ عِقابا وكانَ غَـرَاما[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسن اللانى ، قال: أخبرنا المعافى بن عمران الموصلىّ ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب فى قوله (إنَّ عَذَابها كانَ غَرَاما) قال : إن الله سأل الكفار عن نعمه ، فلم يردّوها إليه ، فأغرمهم ، فأدخلهم النار .

قال : ثنا المعافى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، فى قوله (إنَّ عَذَابها كانَ غَرَاما) قال : قد علموا أن كلّ غريم مفارق غريمه ، إلا غريم جهنم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ عَذَابها كانَ غَرَاما) قال : الغرام : الشرّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (إنَّ عَذَابها كانَ غَرَاما) قال : لايفارقه .

وقوله (إنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرّا وَمُقاما) يقول : إن جهنم ساءت مستقرّا ومقاما ، يعنى بالمستقرّ: القرار ، وبالمقام : الإقامة ، كأن معنى الكلام : ساءت جهنم منزلا ومُقاما ، وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة ، وإذا فتحت فهو من قمت ، ويقال : المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس ، ومن المُقام بضمّ الميم بمعنى الإقامة ، قول سلامة بن جندل :

يَوْمانِ : يَوْمُ مُقاماتٍ وأنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْداءِ تَأْوِيبِ[2]

---

(١) البيت لبشر بن أبى خازم كما قال المؤلف . وفى اللسان نسبه للطرماح . قال : والغرام : اللازم من العذاب ، والشر الدائم ، والبلاء ، والحب والعشق ، وما لا يستطاع أن يتفصى منه ، وقال الزجاج : هو أشد العذاب فى اللغة . قال الله عز وجل : « إن عذابها كان غراما » ، وقال الطرماح : « ويوم النسار . . . . البيت » . وقوله عز وجل : « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . وفى معجم ما استعجم للبكرى « طبعة القاهرة ص ٣٨٥ » الجفار : بكسر أوله ، وبالراء المهملة : موضع بنجد ، وهو الذى عنى بشر بن أبى خازم بقوله : « ويوم الجفار . . . . البيت » . وقال أبو عبيدة : الجفار : فى بلاد بنى تميم . وقال البكرى فى رسم النسار : النسار ، بكسر أوله : على لفظ الجمع ، وهى أجبل صغار ، شبهت بأنسر واقعة ، ذكر ذلك أبو حاتم . وقال فى موضع آخر : هى ثلاث قارات سود ، تسمى الأنسر . وهناك أوقعت طيىء وأسد وغطفان ، وهم حلفاء، ببنى عامر وبنى تميم ، ففرت تميم ، وثبتت بنو عامر ، فقتلوهم قتلا شديدا ؛ فغضبت بنو تميم لبنى عامر ، فتجمعوا ولقوهم يوم الجفار ، فلقيت أشد مما لقيت بنو عامر ، فقال بشر بن أبى خازم :

غَضِبَتْ تَمِيمُ أنْ تُقَتَّلَ عامِرًا يَوْمَ النِّسارِ فَأُعْقِبُوا بالصَّيْلَمِ

قلت : الصيلم : الداهية المستأصلة . وفى رواية : فأعتبوا .

(٢) البيت لسلامة بن جندل ، كما قال المؤلف . (وانظر اللسان : أوب) . والمقامات جمع المقامة ، بمعنى الإقامة . والتأويب فى كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل . يقول : إننا نمضى حياتنا على هذا النحو : نجعل يوما للإقامة ، يجتمع أولو الرأى فينا فى أنديتهم ومجالسهم ، ليتشاوروا ويدبروا أمر القبيلة ؛ واليوم الآخر نجعله للإغارة على الأعداء ، نشنها عليهم ، ولو سرنا إليهم النهار كله فما نبالى ، لأننا أهل عزة ومنعة . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى فى صفة جهنم : « إنها ساءت مستقرا ومقاما » أى إقامة .

ومن المُقام الذى بمعنى المجلس ، قول عباس بن مرداس :

فَأَيِّي ما وأيْكَ كانَ شَرًّا فَقِيدَ إلى المَقامَةِ لا يَرَاها[1]

يعنى : المجلس .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧)

يقول تعالى ذكره : والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا فى إنفاقها .

ثم اختلف أهل التأويل فى النفقة التى عناها الله فى هذا الموضع ، وما الإسراف فيها والإقتار ، فقال بعضهم : الإسراف : ما كان من نفقة فى معصية الله ، وإن قلت . قال وإياها ، عنى الله ، وسماها إسرافا . قالوا : والإقتار : المنع من حقّ الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) قال : هم المؤمنون لا يُسْرفون فينفقون فى معصية الله ، ولا يُقْترون فيمنعون حقوق الله تعالى .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : لو أنفقت مثل أبى قبيس ذهبا فى طاعة الله ، ما كان سرفا ، ولو أنفقت صاعا فى معصية الله كان سرفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) قال : فى النفقة فيما نهاهم ، وإن كان درهما واحدا ، ولم يقتروا ولم يُقَصِّروا عن النفقة فى الحقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) قال : لم يسرفوا فينفقوا فى معاصى الله ؛ كلّ ما أنفق فى معصية الله ، وإن قلّ فهو إسراف ، ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله . قال : وما أُمْسِك عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى إبرهيم بن نشيط ، عن عمر مولى غُفْرة ، أنه سئل عن الإسراف ماهو ؟ قال : كلّ شىء أنفقته فى غير طاعة الله فهو سرف .

وقال آخرون : السرف : المجاوزة فى النفقة الحدّ ؛ والإقتار : التقصير عن الذى لابدّ منه .

---

(١) البيت لعباس بن مرداس ، أنشده ابن برى فى (اللسان : قوم) وهو شاهد على أن المقام والمقامة ، بفتح الميم : المجلس . وقال ، البغدادى فى الخزانة (٢ : ٢٣٠) يدعو على الشر منهما ، أى من كان منا شرا أعماه الله فى الدنيا ، فلا يبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح اللباب : أى قيد إلى مواضع إقامة الناس وجمعهم فى العرصات لا يراها ، أى قيد أعمى لا يرى المقامة . والبيت من جملة أبيات للعباس بن مرداس السلمى ، قالها لخفاف بن ندبة ، فى أمر شجر بينهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) قال : لايجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن خُنَيس أبو عبد الله المخزومىّ المكىّ ، قال : سمعت وهيب بن الورد أبى الورد مولى بنى مخزوم ، قال : لقى عالم عالما هو فوقه فى العلم ، فقال : يرحمك الله أخبرنى عن هذا البناء الذى لاإسراف فيه ما هو ؟ قال : هو ما سترك من الشمس ، وأكنك من المطر ، قال : يرحمك الله ، فأخبرنى عن هذا الطعام الذى نصيبه لاإسراف فيه ما هو ؟ قال : ماسدّ الجوع ودون الشبع ، قال : يرحمك الله ، فأخبرنى عن هذا اللباس الذى لاإسراف فيه ما هو ؟ قال : ما ستر عورتك ، وأدفأك من البرد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن شريح ، عن يزيد بن أبى حبيب فى هذه الآية (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا) . . . الآية ، قال : كانوا لايلبسون ثوبا للجمال ، ولا يأكلون طعاما للذّة ، ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم ، ويكتنُّون به من الحرّ والقرّ ، ويريدون من الطعام ما سدّ عنهم الجوع ، وقوّاهم على عبادة ربهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن يزيد بن مرّة الجُعفىّ ، قال : العلم خير من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، يعنى : إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وخير الأعمال أوساطها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فروخ ، قال : ثنا قتادة ، عن مطرِّف ابن عبد الله ، قال : خير هذه الأمور أوساطها ، والحسنة بين السيئتين ، فقلت لقتادة : ما الحسنة بين السيئتين ؟ فقال (الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) . . . الآية .

وقال آخرون : الإسراف : هو أن تأكل مال غيرك بغير حقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا سالم بن سعيد ، عن أبى مَعْدان ، قال : كنت عند عون بن عبد الله ابن عتبة ، فقال : ليس المسرف من يأكل ماله ، إنما المسرف من يأكل مال غيره .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، قول من قال : الإسراف فى النفقة الذى عناه الله فى هذا الموضع : ماجاوز الحدّ الذى أباحه الله لعباده ، إلى مافوقه ، والإقتار : ما قصّر عما أمر الله به ، والقَوام : بين ذلك .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن المسرف والمقتر كذلك ، ولو كان الإسراف والإقتار فى النفقة مرخّصا فيهما ، ماكانا مذمومين ، ولاكان المسرف ولا المقتر مذموما ، لأن ما أذن الله فى فعله ، فغير مستحقّ فاعله الذمّ .

فإن قال قائل : فهل لذلك من حدّ معروف تبينه لنا ؟ قيل : نعم ، ذلك مفهوم فى كلّ شىء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البرّ وغير ذلك ، نكره تطويل الكتاب بذكر كلّ نوع من ذلك مفصلا ، غير أن جملة ذلك هو ما بيّنا ، وذلك نحو أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه ، وينهك قواه ، ويشغله عن طاعة ربه ، وأداء فرائضه ، فذلك من السرف ، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه ، ويَنْهَك قواه ، ويضعفه عن أداء فرائض ربه ، فذلك من الإقتار ، وبين ذلك القَوام على هذا النحو ، كلّ ماجانس ما ذكرنا . فأما اتخاذ الثوب للجمال ، يلبسه عند اجتماعه مع الناس ، وحضوره المحافل والجمع والأعياد ، دون ثوب مهنته ، أو أكله من الطعام ماقوّاه على عبادة ربه ، مما ارتفع عما قد يسدّ الجوع ، مما هو دونه من الأغذية ، غير أنه لايعين البدن على القيام لله بالواجب معونته ، فذلك خارج عن معنى الإسراف ، بل ذلك من القَوام ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك ، وحضّ على بعضه ، كقوله « ما عَلَى أحَدِكُمْ لَوِ اتَّخَذَ ثَوْبَيْنِ : ثَوْبا لِمِهْنَتِهِ ، وَثَوْبا لِجُمْعَتِهِ وَعِيدِهِ » وكقوله « إذَا أنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أحَبَّ أنْ يَرَى أثَرَهُ عَلَيْهِ » ، وما أشبه ذلك من الأخبار التى قد بيّناها فى مواضعها .

وأما قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) فإنه النفقة بالعدل والمعروف ، على ما قد بيّنا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سليمان ، عن وهب بن منبه ، فى قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) قال : الشطر من أموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) النفقة بالحقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) قال : القوام : أن ينفقوا فى طاعة الله ، ويمسكوا عن محارم الله .

قال : أخبرنى إبراهيم بن نشيط ، عن عمر مولى غُفْرة ، قال : قلت له : ما القَوام ؟ قال : القوام : أن لاتنفق فى غير حقّ ، ولا تمسك عن حقّ هو عليك . والقوام فى كلام العرب ، بفتح القاف ، وهو الشىء بين الشيئين ، تقول للمرأة المعتدلة الخلق : إنها لحسنة القوام فى اعتدالها ، كما قال الحُطَيئة :

طافَتْ أُمامَةُ بالرُّكبانِ آونَةً يا حُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مَّا وَمُنْتَقَبَا !(١)

فأما إذا كسرت القاف فقلت : إنه قِوام أهله ، فإنه يعنى به : أن به يقوم أمرهم وشأنهم . وفيه لغات

(١) البيت للحطيئة . وآونة : جمع أوان . والقوام : حسن الطول . والمنتقب : مصدر ميمى بمعنى الانتقاب . يقول : إن أمامة كانت أحيانا تطوف بالركبان ، فما أعدل قوامها ، وأحسن نقبتها . والنقاب . ما وضع على مارن الأنف من أغطية الوجه . والنقبة : هيئة الانتقاب به ، يقال إن فلانة لحسنة النقبة . ويكون معنى القوام كذلك : الشىء الوسط بين الشيئين . وقد حمل عليه المؤلف معنى البيت .

أُخَر، يقال منه : هو قيام أهله وقَيِّمهم ، فى معنى قوامِهم . فمعنى الكلام : وكان إنفاقهم بين الإسراف والإقتار قَواما مُعتدلا ، لامجاوزة عن حدّ الله ، ولا تقصيرا عما فرضه الله ، ولكن عدلا بين ذلك على ما أباحه جلّ ثناؤه ، وأذن فيه ورخّص .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ولَمْ يَقْتُرُوا) فقرأته عامة قرّاء المدينة (ولَمْ يُقْتِرُوا) بضمّ الياء ، وكسر التاء من : أقتر يقتر . وقرأته عامة قرّاء الكوفيين (ولم يَقْتُرُوا) بفتح الياء وضم التاء من قَتَر يَقْتُر . وقرأته عامة قرّاء البصرة (ولَمْ يَقْتِرُوا) بفتح الياء وكسر التاء ، من قَتَر يَقْتِر .

والصواب من القول فى ذلك : أن كلّ هذه القراءات على اختلاف ألفاظها ، لغات مشهورات فى العرب ، وقراءات مُسْتفيضات وفى قرّاء الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيّها قرأ القارئ فمصيب .

وقد بيّنا معنى الإسراف والإقتار بشواهدهما فيما مضى فى كتابنا فى كلام العرب ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع . وفى نصب القَوام وجهان : أحدهما ما ذكرت ، وهو أن يجعل فى كان اسم الإنفاق بمعنى : وكان إنفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواما : أى عدلا ، والآخر أن يجعل بين هو الاسم ، فتكون وإن كانت فى اللفظة نصبا فى معنى رفع ، كما يقال : كان دون هذا لك كافيا ، يعنى به : أقلّ من هذا كان لك كافيا ، فكذلك يكون فى قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) لأن معناه : وكان الوسط من ذلك قواما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا (٧١)

يقول تعالى ذكره : والذين لايعبدون مع الله إلها آخر ، فيشركون فى عبادتهم إياه ، ولكنهم يخلصون له العبادة ، ويفردونه بالطاعة ، ولا يقتلون النفس التى حرّم الله قتلها إلا بالحقّ ، إما بكفر بالله بعد إسلامها ، أو زنا بعد إحصانها ، أو قتل نفس ، فتقتل بها ، ولا يزنون ، فيأتون ماحرّم الله عليهم إتيانه من الفروج . (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ) يقول : ومن يأت هذه الأفعال ، فدعا مع الله إلها آخر ، وقتل النفس التى حرّم الله بغير الحقّ ، وزنى (يَلْقَ أثاما) يقول : يلق من عقاب الله عقوبة ونَكالا ، كما وصفه ربنا جلّ ثناؤه وهو أنه (يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانا) ، ومن الأثام قول بَلْعَاءَ بن قيس الكنانى :

جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عُقُوقا والعُقُوقُ لَهُ أثامُ (١)

يعنى بالأثام : العقاب .

(١) البيت لبلعاء بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر ، واسمه حميضة ، وهو من كنانة بن خزيمة ، وكان بلعاء رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم ، وكان كثير الغارات على العرب ، وله أخبار فى حروب الفجار . وهو شاعر محسن ، قال فى كل فن أشعارا =

وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول فى الإسلام ، ممن كان منه فى شركه هذه الذنوب ، فخافوا أن لاينفعهم مع ماسلف منهم من ذلك إسلام ، فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا ، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إن الذى تدعونا إليه لحسن ، لو تخبرنا أنّ لما عملنا كفارة ، فنزلت (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ ، ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ ، وَلا يَزْنُونَ) ، ونزلت (قُلْ ياعِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا عَلى أنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) . . . إلى قوله (مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وأنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ) . قال ابن جُرَيج : وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء .

حدثنا عبد الله بن محمد الفِريابى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى معاوية ، عن أبى عمرو الشيبانى ، عن عبد الله ، قال : « سألت النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما الكبائر ؟ قال : أنْ تَدْعُوَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ، وأنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أجْلِ أنْ يأكُلَ مَعَكَ ، وأنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جارِكَ ، وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الله : « وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ ، وَلا يَزْنُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور ، عن أبى وائل عن عمرو ابن شُرَحْبِيل ، عن عبد الله ، قال : « قلت : يا رسول الله ، أىّ الذنب أعظم ؟ قال : أنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ . قلت : ثم أىّ ؟ قال : أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يأكُلَ مَعَكَ . قلت : ثم أىٌّ ؟ قال : ثُمَّ أنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ » فأنزل تصديق قول النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ ، وَلا يَزْنُونَ) . . . الآية .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا علىّ بن قادم ، قال : ثنا أسباط بن نصر الهَمْدانى ، عن منصور ، عن أبى وائل ، عن أبى ميسرة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

= جيادا (انظر المؤتلف والمختلف ١٠٦ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٣٥٧) . والبيت أنشده صاحب (اللسان : أثم) ونسبه إلى شافع الليثى . ونسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن إلى بلعاء بن قيس الكنانى ، وعنه أخذ المؤلف . قال فى اللسان : قال أبو إسحاق : تأويل الأثام : المجازاة وقال أبو عمرو الشيبانى : لقى فلان أثام ذلك : أى جزاء ذلك ، فإن الخليل وسيبويه يذهبان إلى أن معناه : يلق جزاء الأثام . وقول شافع الليثى فى ذلك : * جزى الله بن عروة . . * . . له أثام » أى عقوبته مجازاة العقوق ، وهى قطيعة الرحم . وقال الليث : الأثام فى جملة التفسير : عقوبة الإثم . وقيل فى قوله تعالى « يلق أثاما » : قيل هو واد فى جهنم . قال ابن سيده : والصواب عندى : أن معناه : يلق عقاب الأثام . اهـ .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملىّ ، قال : ثنى عمى يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن عبد الله قال : « جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أىّ الذنب أكبر ؟ ثم ذكر نحوه » .

حدثنى أحمد بن إسحاق الأهوازى ، قال : ثنا عامر بن مدرك ، قال : ثنا السرىّ ، يعنى ابن إسماعيل قال : ثنا الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فاتبعته ، فجلس على نَشَز من الأرض ، وقعدت أسفل منه ، ووجهى حيال ركبتيه ، فاغتنمت خلوته ، وقلت : بأبى وأمى يارسول الله ، أىّ الذنوب أكبر ؟ قال : « أنْ تَدْعُوَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ . قلت : ثم مه ؟ قال : ـ أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ كَرَاهِيَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ . قلت : ثم مَهْ ؟ قال : أنْ تُزانِىَ حَلِيلَةَ جارِكَ ، ثم تلا هذه الآية « وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ » . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طَلْق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، أو حُدثت عن سعيد بن جُبير ، أن عبد الرحمن بن أبْزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التى فى النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا) . . . إلى آخر الآية ، والآية التى فى الفرقان (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما) . . . إلى (وَيَخْلُدْ فيهِ مُهانا) قال ابن عباس : إذا دخل الرجل فى الإسلام ، وعلم شرائعه وأمره ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فلا توبة له ، والتى فى الفرقان ، لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة : فقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التى حرّم الله بغير الحقّ ، فما ينفعنا الإسلام ؟ قال : فنزلت (إلاّ مَنْ تابَ) قال : فمن تاب منهم قُبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، أو قال : حدثنى الحكم عن سعيد بن جُبير ، قال : أمرنى عبد الرحمن بن أبزى ، فقال : سل ابن عباس ، عن هاتين الآيتين ، ما أمرهما عن الآية التى فى الفرقان (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ) . . . الآية ، والتى فى النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) . فسألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : لما أنزل الله التى فى الفرقان ، قال مشركو أهل مكة : قد قتلنا النفس التى حرّم الله ، ودعونا مع الله إلها آخر ، فقال (إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحا) . . . الآية . فهذه لأولئك . وأما التى فى النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) . . . الآية ، فإن الرجل إذا عرف الإسلام ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم ، فلا توبة له ، فذكرته لمجاهد ، فقال : إلا من ندم .

حدثنا محمد بن عوف الطائى ، قال : ثنا أحمد بن خالد الذهنىّ ، قال : ثنا شيبان ، عن منصور بن المعتمر ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، قال لى سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى : سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ) . . . إلى (مَنْ تابَ) ، وعن قوله (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا) . . . إلى آخر الآية . قال : فسألت عنها ابن عباس ، فقال : أنزلت

هذه الآية فى الفرقان بمكة إلى قوله (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانا) فقال المشركون : فما يغنى عنا الإسلام ، وقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التى حرّم الله ، وأتينا الفواحش ، قال : فأنزل الله (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأما من دخل فى الإسلام وعقله ، ثم قتل ، فلا توبة له .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال فى هذه الآية (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ) . . . الآية ، قال : نزلت فى أهل الشرك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن سعيد بن جُبير ، قال : أمرنى عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ) ، فذكر نحوه .

حدثنى عبد الكريم بن عمير ، قال : ثنا إبراهيم بن المنذر ، قال : ثنا عيسى بن شعيب بن ثَوْبان ، مولًى لبنى الديل من أهل المدينة ، عن فُلَيح الشماس ، عن عبيد بن أبى عبيد ، عن أبى هريرة ، قال : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العَتَمة ، ثم انصرفت ، فإذا امرأة عند بابى ، ثم سلمت ، ففتحت ودخلت ، فبينا أنا فى مسجدى أصلى ، إذ نقرت الباب ، فأذنت لها ، فدخلت فقالت : إنى جئتك أسألك عن عمل عملت ، هل لى من توبة ؟ فقالت : إنى زنيت وولدتُ ، فقتلته ، فقلت : ولا : لا نعمت العين ولا كرامة ، فقامت وهى تدعو بالحسرة تقول : ياحسرتاه ، أخُلِقَ هذا الحسن للنار ؟ قال : ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ، ثم جلسنا ننتظر الإذن عليه ، فأذن لنا ، فدخلنا ، ثم خرج من كان معى ، وتخلفت ، فقال : ما لَكَ يا أبا هُرَيْرَةَ ، أَلَكَ حاجَةٌ ؟ فقلت له : يا رسول الله صليت معك البارحة ، ثم انصرفت ، وقصصت عليه ماقالت المرأة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما قُلْتَ لَهَا ؟ قال : قلت لها : لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِئْسَ ما قُلْتَ أمَا كُنْتَ تَقْرأُ هَذِهِ الآيَةَ (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ) . . . الآية (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) فقال أبو هريرة : فخرجت ، فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا إلا وقفت عليها ، فقلت : إن تكن فيكم المرأة التى جاءت أبا هريرة الليلة ، فلتأتنى ولتبشر ؛ فلما صليت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم العشاء ، فإذا هى عند بابى ، فقلت : أبشرى ، فإنى دخلت على النبىّ ، فذكرت له ماقلتِ لى ، وما قلت لك ، فقال : بئس ما قلتُ لها ، أما كنت تقرأ هذه الآية ؟ فقرأتها عليها ، فخرّت ساجدة ، فقالت : الحمد لله الذى جعل مَخْرجا وتوبة مما عملت ، إن هذه الجارية وابنها حرّان لوجه الله ، وإنى قد تبت مما عملت » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، قال : اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما شىء من القرآن إلا سألته عنه ، ورسولى يختلف إلى عائشة ، فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب لاأغفره .

وقال آخرون : هذه الآية منسوخة بالتى فى النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى المغيرة بن عبد الرحمن الحرّانى ، عن أبى الزناد ، عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق ، وهو يسأله عن هذه الآية التى فى تبارك الفرقان ، والتى فى النساء (وَمَنْ يَقتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا) فقال زيد بن ثابت : قد عرفت الناسخة من المنسوخة ، نسختها التى فى النساء بعدها بستة أشهر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال الضحاك بن مزاحم : هذه السورة بينها وبين النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا) ثمان حجج . وقال ابن جُرَيج وأخبرنى القاسم بن أبى بَزّة ، أنه سأل سعيد بن جُبير : هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ فقال : لا ، فقرأ عليه هذه الآية كلها ، فقال سعيد بن جُبير : قرأتها على ابن عباس ، كما قرأتها علىّ ، فقال : هذه مكية ، نسختها آية مدنية ، التى فى سورة النساء .

وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول فى هذه الآية التى فى سورة النساء ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى الأثام من القول ، قال أهل التأويل ، إلا أنهم قالوا : ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر ، بواد فى جهنم يُدعى أثاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبى يحدّث ، عن قَتادة ، عن أبى أيوب الأزدىّ ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الأثام : واد فى جهنم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (يَلْقَ أثاما) قال : واديا فى جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، فى قوله (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما) قال : واديا فى جهنم فيه الزُّناة .

حدثنى العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد ، قال : ثنا شرقىّ بن قُطامىّ ، عن لقمان بن عامر الخزاعىّ ، قال : جئت أبا أُمامة صدىّ بن عجلان الباهلى ، فقلت : حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدعا لى بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أنَّ صَخْرَةً زِنَةَ عَشْرِ عَشْرَاوَاتٍ قُذِفَ بِها مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ ما بَلَغَتْ قَعْرَها خَمْسِينَ خَرِيفا ، ثُمَّ تَنْتَهى إلى غَىٍّ وأثامٍ » ، قلت : وما غىّ وأثام ؟ قال : بِئْرَانِ فِى أسْفَلِ جَهَنَّمَ ، يَسِيلُ فِيهِما

صَدِيدُ أهْلِ النَّارِ ، وهما اللذان ذكر الله فى كتابه (أضَاعُوا الصَّلاة وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) ، وقوله فى الفرقان (وَلا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَلْقَ أثاما) قال : الأثام الشرّ ، وقال : سيكفيك ماوراء ذلك (يُضَاعَفُ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانا) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَلْقَ أثاما) قال : نكالا ؛ قال : وقال إنه واد فى جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن هشيم ، قال : أخبرنا زكريا بن أبى مريم ، قال : سمعت أبا أمامة الباهلىّ يقول : إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفا بحجر يهوِى فيها ، أو بصخرة تهوِى ، عُظمها كعشر عشراوات سمان ، فقال له رجل : فهل تحت ذلك من شىء ؟ قال : نعم ، غىّ وأثام » .

قوله (يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم (يُضَاعَفْ) جزما (وَيَخْلُدْ) جزما . وقرأه عاصم : (يضَاعَفُ) رفعا (وَيَخْلُدُ) رفعا ، كلاهما على الابتداء ، وأن الكلام عنده قد تناهى عند (يَلْقَ أثاما) ثم ابتدأ قوله (يُضَاعَفُ لهُ العَذابُ) .

والصواب من القراءة عندنا فيه : جزم الحرفين كليهما : يضاعفْ ، ويخلدْ ، وذلك أنه تفسير للأثام ، لافعل له ، ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع ، كما قال الشاعر :

مَتَى تأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خيرَ نارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوقِدِ[1]

فرفع تعشو ، لأنه فعل لقوله تأته ، معناه : متى تأته عاشيا .

وقوله (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانا) ويبقى فيه إلى ما لانهاية فى هوان . وقوله (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) يقول تعالى ذكره : ومن يفعل هذه الأفعال التى ذكرها جلّ ثناؤه يلق أثاما (إلاَّ مَنْ

---

(١) البيت للحطيئة (اللسان : عشا) . قال : عشا إلى النار وعشاها عشوا وعشوا (كفعول) واعتشاها واعتشى بها : كله : رآها ليلا على بعد ، فقصدها مستضيئا بها ؛ قال الحطيئة : * متى تأته تعشو . . . » البيت . أى متى تأته لاتتبين ناره من ضعف بصرك . اهـ . وجملة تعشو : فى محل نصب على الحال : ولذلك قال المؤلف : فرفع تعشو لأنه فعل لقوله تأته ، أى هو حال من فاعل تأته . أى متى تأته عاشيا . أما ما رواه الطبرى من أن القراء مختلفون فى قراءة : « يضاعف » جزما ورفعا فهو كلام وجيه ، ولكل قراءة تأويلها من جهة النحو ، ولكنه يؤثر رواية الجزم على التفسير ، أى البدل مما قبله ، وهو « يلق » . والذى ذهب إليه المؤلف تبع فيه الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٢٦) قال : وقوله : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة » : قرأت القراء بجزم يضاعف ، ورفعه عاصم بن أبى النجود ؛ والوجه الجزم . وذلك إن فسرته ولم يكن فعلا لما قبله (أى مصاحبا الفعل الذى قبله) فالوجه الجزم . وما كان فعلا لما قبله رفعته ، فأما المفسر للمجزوم (أى المبدل منه) فقوله : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما » ثم فسر الاثام ، فقال : يضاعف له العذاب . ومثله فى الكلام : « إن تكلمنى توصنى بالخير والبر أقبل منك » . ألا ترى أنك فسرت الكلام بالبر ، ولم يكن فعلا له ، فلذلك جزمت — ولو كان الثانى فعلا للأول لرفعته ، كقولك : « إن تأتنا تطلب الخير تجده » . ألا ترى تجد تطلب فعلا للإتيان ، كقيلك : إن تأتنا طالبا للخير تجده ، قال الشاعر : متى تأته تعشو . . . البيت » ، فرفع تعشو لأنه أراد : متى تأته عاشيا . ورفع عاصم يضاعف له ، لأنه أراد الاستئناف ، كما تقول : إن تأتنا نكرمك ، نعطيك كل ما تريد ، لاعلى الجزاء .

تابَ) يقول : إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك ، وإنابته إلى مايرضاه الله (وآمَنَ) يقول : وصدق بما جاء به محمد نبيّ الله (وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) يقول : وعمل بما أمره الله من الأعمال ، وانتهى عما نهاه الله عنه .

قوله (فَأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فأولئك يبدّل الله بقبائح أعمالهم فى الشرك ، محاسن الأعمال فى الإسلام ، فيبدله بالشرك إيمانا ، وبقبيل أهل الشرك بالله قيل أهل الإيمان به ، وبالزناعفة وإحصانا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات ، فرغب الله بهم عن ذلك ، فحوّلهم إلى الحسنات ، وأبدلهم مكان السيئات حسنات .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة ، فيبدّل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن سعيد ، قال : نزلت (وَالّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ) . . . إلى آخر الآية ، فى وَحْشِىّ وأصحابه ، قالوا : كيف لنا بالتوبة ، وقد عبدنا الأوثان ، وقتلنا المؤمنين ، ونكحنا المشركات ، فأنزل الله فيهم (إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا ، فأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) ، فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين ، قتالا مع المسلمين للمشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قال ابن عباس ، فى قوله (فَأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : بالشرك إيمانا ، وبالقتل إمساكا ، وبالزنا إحصانا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَالّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ) وهذه الآية مكية نزلت بمكة (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ) يعنى : الشرك ، والقتل ، والزنا جميعا . لمّا أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة : يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار ، وليس له عند الله خير ، فأنزل الله (إلاّ مَنْ تابَ) من المشركين من أهل مكة ، (فَأُولَئِكَ يُبَدّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) يقول : يبدّل الله مكان الشرك والقتل والزنا : الإيمان بالله ، والدخول فى الإسلام ، وهو التبديل فى الدنيا . وأنزل الله فى ذلك (يا عِبادِيَ الّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ) يعنيهم بذلك (لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إنّ اللهَ يَغْفِرُ الذّنُوبَ جَمِيعا) يعنى ما كان فى الشرك ، يقول الله لهم : أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ، يدعوهم إلى الإسلام ، فهاتان الآيتان مكيتان ،

والتى فى النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا) . . . الآية ، هذه مدنية ، نزلت بالمدينة ، وبينها وبين التى نزلت فى الفرقان ثمان سنين ، وهى مبهمة ليس منها مخرج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تُمَيْلة ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : سُئل ابن عباس عن قول الله جلّ ثناؤه (يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) فقال :

بُدِّلْنَ بَعْدَ حَرِّهِ خَرِيفا وَبَعْدَ طُولِ النَّفَسِ الوَجِيفا[1]

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ) . . . إلى قوله (يَخْلُدْ فِيهِ مُهانا) فقال المشركون : ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا ، قال : فأنزل الله (إِلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ) قال : تاب من الشرك ، قال : وآمن بعقاب الله ورسوله (وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) ، قال : صدّق ، (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : يبدّل الله أعمالهم السيئة التى كانت فى الشرك بالأعمال الصالحة حين دخلوا فى الإيمان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، فأولئك يبدّل الله سيئاتهم فى الدنيا حسنات لهم يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن عمرو البصرىّ ، قال : ثنا قريش بن أنس أبو أنس ، قال : ثنى صالح بن رستم ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن سعيد بن المسيب (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا محمد بن حازم أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المعرور بن سويد ، عن أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّى لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجا مِنَ النَّارِ ، وآخِرَ أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً الجَنَّةَ ، قال : يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ القِيامَةِ ، فَيُقَالُ : نَحُّوا كِبارَ ذُنُوبِهِ وَسَلُوهُ عَنْ صِغارِها ، قال : فَيُقَالُ لَهُ : عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا ، وَعَمِلْتَ كَذَا وكَذَا ، قال : فَيَقُولُ : يا رَبِّ لَقَدْ عَمِلْتُ أَشْياءَ ما أَرَاها هَاهُنا ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، قال : فَيُقَالُ لَهُ : لَكَ مَكانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٌ » .

⁂ قال أبو جعفر : وأولَى التأويلين بالصواب فى ذلك : تأويل من تأوّله : فأولئك يبدّل الله سيئاتهم : أعمالهم فى الشرك ، حسنات فى الإسلام ، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى مايرضى .

---

(١) هذا بيت للبيد العامرى الشاعر . وروايته هكذا غامضة . ولم أجده فى أصل ديوانه ، وإنما وجدته فى الملحق بالديوان طبع ليدن ص ٥٦ ، وروايته فيه كرواية السيوطى فى (الاتقان) ١ : (وهذه الرواية أجود وأوضح ، وهى :

بُدِّلْنَ بَعْدَ النَّفَشِ الوَجِيفَا وَبَعْدَ طُولِ الجِرَّةِ الصَّرِيفا

يصف لبيد جماعة من الإبل ، بأنها كانت ترعى ليلا زمنا طويلا ، ثم بدلت بذلك الوجيف ، وهو ضرب من سير الإبل والخيل سريع ، يقال وجف البعير والفرس وجفا ، ووجيفا : أسرع . وبدلت بعد طول الاجترار فى مباركها الصريف . والاجترار : أن يخرج ذو الكرش جزءا من الطعام ليمضغه جيدا ثم يعيده . والصريف يطلق على معان ، منها اللبن ساعة يحلب ، والخمر ؛ والمراد به هنا : صوت ناب الناقة إذا حركته ، وإنما يكون ذلك إذا نالها الإعياء والكلال . فكأن لبيدا يقول : تبدلت أحوالها بعد النعيم بؤسا .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبح ، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة ، إلى خلاف ما كانت عليه ، إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها فى حال أخرى ، فيجب إن فعل ذلك كذلك ، أن يصير شرك الكافر الذى كان شركا فى الكفر بعينه إيمانا يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة ، وذلك ما لايقوله ذو حجاً .

وقوله (وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيما) يقول تعالى ذكره : وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده ، وراجع طاعته ، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها . قوله (وَمَنْ تابَ) يقول : ومن تاب من المشركين ، فآمن بالله ورسوله (وَعَمِلَ صَالِحا) يقول : وعمل بما أمره الله فأطاعه ، فإن الله فاعل به من إبداله سَيِئ أعماله فى الشرك ، بحسنها فى الإسلام ، مثل الذى فعل من ذلك ، بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ تابَ وَعَمِلَ صَالِحا فإنَّه يَتُوبُ إلى اللهِ مَتاباً) قال : هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ) . . . إلى قوله (وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيما) لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كان هؤلاء إلا معنا ، قال : (وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً) فإن لهم مثل ما لهؤلاء (فإنَّهُ يَتُوبُ إلى اللهِ مَتاباً) لم تخطر التوبة عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)

اختلف أهل التأويل فى معنى الزور الذى وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لايشهدونه ، فقال بعضهم : معناه الشرك بالله :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله : (لايَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : الشرك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ لايَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : هؤلاء المهاجرون ، قال : والزُّور قولهم لآلهتهم ، وتعظيمهم إياها .

وقال آخرون : بل عُنِى به الغناء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على بن عبد الأعلى المحاربىّ قال : ثنا محمد بن مروان ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله (وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : لا يسمعون الغناء .

وقال آخرون : هو قول الكذب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَالَّذِينَ لايشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : الكذب .

قال أبو جعفر : وأصل الزُّور تحسين الشىء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يخيَّل إلى من يسمعه أو يراه ، أنه خلاف ما هو به ، والشرك قد يدخل فى ذلك ، لأنه محسَّن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حقّ ، وهو باطل ، ويدخل فيه الغناء ، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت ، حتى يستحلى سامعُه سماعه ، والكذب أيضا قد يدخل فيه ، لتحسين صاحبه إياه ، حتى يظنّ صاحبه أنه حقّ ، فكل ذلك مما يدخل فى معنى الزُّور .

⁂ فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى الأقوال بالصواب فى تأويله : أن يقال : والذين لايشهدون شيئا من الباطل ، لاشركا ، ولا غناء ، ولا كذبا ولا غيره ، وكلّ ما لزمه اسم الزور ، لأن الله عمّ فى وصفه إياهم ، أنهم لايشهدون الزور ، فلا ينبغى أن يُخَصّ من ذلك شىء إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل .

وقوله (وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما) اختلف أهل التأويل فى معنى اللغو الذي ذُكر فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين ، ويكلمونهم به من الأذى ، ومرورهم به كراما : إعراضهم عنهم وصفحهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) قال : صفحوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) قال : إذا أوذوا مرّوا كراما ، قال : صفحوا .

وقال آخرون : بل معناه : وإذا مرّوا بذكر النكاح ، كفوا عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن مجاهد (وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) قال : إذا ذكروا النكاح كَنَّوا عنه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن مجاهد ، (وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما) قال : كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبى مخزوم ، عن سيار (وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما) قال : إذا مرّوا بالرفث كفُّوا .

وقال آخرون : إذا مرّوا بما كان المشركون فيه من الباطل مرّوا منكرين له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما) قال : هؤلاء المهاجرون ، واللغو ما كانوا فيه من الباطل ، يعنى المشركين ، وقرأ (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَان) .

وقال آخرون : عُنِى باللغو هاهنا : المعاصى كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما) قال : اللغو كله : المعاصى .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى ، أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم ، بأنهم إذا مرّوا باللغو مرّوا كراما ، واللغو فى كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لاحقيقة له ولا أصل ، أو ما يستقبح ، فسبُّ الإنسان الإنسان بالباطل الذى لاحقيقة له من اللَّغو ؛ وذكر النكاح بصريح اسمه مما يُستقبح فى بعض الأماكن ، فهو من اللغو ، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذى لاحقيقة لما عظموه ، على نحو ماعظموه ، وسماع الغناء مما هو مستقبح فى أهل الدين ، فكل ذلك يدخل فى معنى اللغو ، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو ، أن يقال : عُنِى به بعض ذلك دون بعض ، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل . فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وإذا مرّوا بالباطل فسمعوه أو رأوه ، مرّوا كراما ، مرورهم كراما فى بعض ذلك بأنّا لا يسمعوه ، وذلك كالغناء . وفى بعض ذلك : بأن يعرضوا عنه ويصفحوا . وذلك إذا أوذوا بإسماع القبيح من القول ، وفى بعضه بأن يَنهَوْا عن ذلك ، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغيرّ بالقول فيغيروه بالقول . وفى بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف ، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم ، فيستصرخهم المراد ذلك منهم ، فيصرخونهم ، وكلّ ذلك مرورهم كراما .

وقد حدثنى ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : مرّ ابن مسعود بلهو مسرعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنْ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكَرِيما » .

وقيل : إن هذه الآية مكية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت السدىّ يقول (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما) قال : هى مكية ، وإنما عنى السدىّ بقوله هذا إن شاء الله ، أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) ، وأمرهم إذا مرّوا باللَّغو الذى هو شرك أن يُقاتلوا أمراءه ، وإذا مرّوا باللغو الذى هو معصية لله أن يغيروه ، ولم يكونوا أُمروا بذلك بمكة ، وهذا القول نظير تأويلنا الذى تأوّلناه فى ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)

يقول تعالى ذكره : والذين إذا ذكّرهم مذكر بحجج الله، لم يكونوا صُمًا لايسمعون ، وعميا لايبصرونها. ولكنهم يقاظُ القلوب ، فهماء العقول ، يفهمون عن الله مايذكّرهم به ، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه، فيوعون مواعظه آذانا سمعته ، وقلوبا وعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) فلا يسمعون ، ولا يبصرون ، ولا يفقهون حقا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) قال : لايفقهون ، ولا يسمعون ، ولا يبصرون .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال: ثنا ابن عُلَية ، عن ابن عون ، قال : قلت للشعبىّ : رأيت قوما قد سجدوا ، ولم أعلم ما سجدوا منه ، أسجد[1] ؛ قال (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) قال: هذا مثل ضربه الله لهم ، لم يدّعوها إلى غيرها ، وقرأ قول الله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) . . . الآية .

فإن قال قائل: وما معنى قوله (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) أَوَ يخرّ الكافرون صُمًّا وعُمْيانا إذا ذُكروا بآيات الله، فيُنْتَفى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار؟قيل: نعم، الكافر إذا تُليت عليه آيات الله خرّ عليها أصمّ وأعمى ، وخرّه عليها كذلك ، إقامته على الكفر ، وذلك نظير قول العرب : سببت فلانا ، فقام يبكى ، بمعنى فظلّ يبكى ، ولا قيام هنالك، ولعله أن يكون بكى قاعدا ؛ وكما يقال : نهيت فلانا عن كذا ، فقعد يشتمنى ؛ ومعنى ذلك : فجعل يشتمنى ، وظلّ يشتمنى ، ولا قعود هنالك ، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب، حتى قد فهموا معناه وذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول : قعد يشتمنى ، كقولك : قام يشتمنى ، وأقبل يشتمنى ؛ قال : وأنشد بعض بنى عامر :

(١) أى فكنت أسجد معهم . ولكنه اختصر الكلام . وكثير من هؤلاء السائلين بين والمجيبين ، يختصرون الكلام إلى حد الرمز والإشارة ، اكتفاء بدلالة الحال .

لا يُقْنِعُ الجاريَةَ الخِضَابُ وَلا الوِشاحانِ وَلا الجِلْبابُ
مِن دونِ أن تَلْتَقِيَ الأرْكابُ وَيَقْعُدَ الأَيْرُ لَهُ لُعابُ[1]

بمعنى : يصير ، فكذلك قوله (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وعُمْيانا) إنما معناه : لم يَصَمُّوا عنها ، ولا عموا عنها ، ولم يصيروا على باب ربهم صُمًّا وعميانا ، كما قال الراجز :

وَيَقْعُدَ الهَنُ لهُ لُعابُ بمعنى : ويصير

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)

يقول تعالى ذكره : والذين يرغبون إلى الله فى دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا : (رَبَّنا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنا وَذُرِّيَّاتِنا) ما تقرّ به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعْيُنٍ) يعنون : من يعمل لك بالطاعة ، فتقرّ بهم أعيننا فى الدنيا والآخرة

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت كثيرا سأل الحسن ، قال : يا أبا سعيد ، قول الله (هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعْيُنٍ) فى الدنيا والآخرة ، قال : لا بل فى الدنيا ، قال : وما ذاك ؟ قال : المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله .

حدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا سالم بن قُتَيبة ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن فذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قرأ حضرمى (رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعْيُنٍ) قال : وإنما قرّة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جُرَيج فيما قرأنا عليه فى قوله (هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعْيُنٍ) قال : يعبدونك فيحسنون عبادتك ، ولا يجرون الجرائر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قوله (رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعْيُنٍ) قال : يعبدونك يحسنون عبادتك ، ولا يجرّون علينا الجرائر .

---

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز ، رواها الفراء فى معانى القرآن عن بعض العرب (مصورة الجامعة ص٢٢٧) قال : وسمعت العرب تقول : قعد يشتمنى ، كقولك : قام يشتمنى ، وأقبل يشتمنى ؛ وأنشدنى بعض العرب : لايقنع الجارية . . . . الأبيات . وفى البيت الرابع : « ويقعد الهن » . . . . الخ ، كقولك يصير . وقوله : الأركاب ، هو جمع ركب ، كسبب ، وهو العانة أو منبتها ، أوظاهر الفرج . قال الخليل : هو للمرأة خاصة . وقال الفراء : هو للرجل والمرأة . وأنشد الفراء : « لايقنع الجارية . . . . الأبيات» . وفى التهذيب : ولا يقال : ركب للرجل . وقيل يجوز أن يقال ركب للرجل . والهن (فى رواية الفراء) : الحر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال : يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام .

حدثنا محمد بن عون ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثنى أبى ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير ، عن أبيه ، قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود ، فقال : لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشدّ حالة بُعث عليها نبىّ من الأنبياء فى فترة وجاهلية ، ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فَرَق به بين الحقّ والباطل ، وفَرَّق بين الوالد وولده ، حتى إنْ كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام ، فيعلم أنه إن مات دخل النار ، فلا تقرّ عينه ، وهو يعلم أن حبيبه فى النار ، وإنها للتى قال الله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) . . . الآية .

حدثنى ابن عون ، قال : ثنى علىّ بن الحسن العسقلانىّ ، عن عبد الله بن المبارك ، عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير ، عن أبيه ، عن المقداد ، نحوه .

وقيل : هب لنا قرّة أعين ، وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع ، وقوله (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) واحدة ، لأن قوله : قرّة أعين : مصدر من قول القائل : قرّت عينك قرّة ، والمصدر لاتكاد العرب تجمعه .

وقوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : اجعلنا أئمة يَقتَدِى بنا من بعدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى عون بن سلام ، قال : أخبرنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس . فى قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) يقول : أئمة يُقتدى بنا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) أئمة التقوى ولأهله يقتدى بنا . قال ابن زيد : كما قال لإبراهيم (إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) .

وقال آخرون : بل معناه : واجعلنا للمتقين إماما : نأتمّ بهم ، ويأتمّ بنا من بعدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) قال : أئمة نقتدى بمن قبلنا ، ونكون أئمة لمن بعدنا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) قال : اجعلنا مؤتمين بهم ، مقتدين بهم .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ، ويخافون عقابك ؟ إماما يأتمون بنا فى الخيرات ، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ، ولم

يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما ، وقال (وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إماما) ولم يقل أئمة ، وقد قالوا : واجعلنا ، وهم جماعة ، لأن الإمام مصدر من قول القائل : أمّ فلان فلانا إماما ، كما يقال : قام فلان قياما ، وصام يوم كذا صياما . ومن جمع الإمام أئمة ، جعل الإمام اسما ، كما يقال : أصحاب محمد إمام ، وأئمة للناس ، فمن وحّد قال : يأتمّ بهم الناس . وهذا القول الذى قلناه فى ذلك قول بعض نحوىّ أهل الكوفة . وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية : الإمام فى قوله (لِلْمُتَّقِينَ إماما) جماعة ، كما تقول : كلهم عُدُول . قال : ويكون على الحكاية ، كما يقول القائل : إذا قيل له : من أميركم ، هؤلاء أميرنا ، واستشهد لذلك بقول الشاعر :

يا عاذِلاتى لا تُرِدْنَ مَلامَتِى إنَّ العَواذِلَ لَسْنَ لى بأمِيرِ[1]

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَـٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادى ، وذلك من ابتداء قوله (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأرْضِ هَوْنا) . . إلى قوله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْواجِنا) . . . الآية (يُجْزَوْنَ) يقول : يُثابون على أفعالهم هذه ، التى فعلوها فى الدنيا (الغُرْفَةَ) وهى منزلة من منازل الجنة رفيعة (بِمَا صَبَرُوا) يقول : بصبرهم على هذه الأفعال ، ومقاساة شدتها . وقوله (وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاما) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة (وَيُلَقَّوْنَ) مضمومة الياء ، مشدّدة القاف ، بمعنى : وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة : (وَيَلْقَوْنَ) بفتح الياء ، وتخفيف القاف .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قَرَأَة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلىّ أن أقرأ بها (وَيَلْقَوْنَ فِيها) بفتح الياء ، وتخفيف القاف ، لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد ، قالت : فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير ، ونحن نَتَلَقاهم بالسلام ، قرنته بالياء ، وقلما تقول : فلان يُلَقَّى السلام ، فكان وجه الكلام ، لو كان بالتشديد ، أن يقال : ويُتَلَقَّون فيها بالتحية والسلام .

وإنما اخترنا القراءة بذلك ، كما تجيز : أخذت بالخطام ، وأخذتُ الخطام .

وقد بيّنا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

---

(١) البيت من شواهد ابن هشام فى المغنى فى حرف اللام ، على أن قوله : « لاتردن ملامتى » أبلغ من : لا تلمنى ، لأنه نهى عن السبب ، والنهى عن إرادة الفعل أبلغ من النهى عن الفعل نفسه . وقال الأمير فى حاشيته : قوله : « بأمير » : أخبر به عن الجمع ، إما لكونه فعيلا يستوى فيه الواحد وغيره ، قال الله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » أو إنه صفة لمفرد لفظا جمع معنى محذوف ، أى بفريق أمير . فلاحظ فى الإخبار معناه ، وفى وصفه لفظه . قلت : ولم ينسب البيت ابن هشام ولا الأمير ، ولا ذكره السيوطى فى شرح شواهد المغنى ، فى حرف اللام . وتوحيد الأمير فى البيت نظير توحيد الإمام فى قوله تعالى : واجعلنا للمتقين إماما » ، وكلاهما يراد به الجمع فى المعنى . قال فى اللسان : وقوله تعالى : « واجعلنا للمتقين إماما » . قال أبو عبيدة : هو واحد يدل على الجمع اه .

القول فى تأويل قوله تعالى

خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ، فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧) .

يقول تعالى ذكره : أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، خالدين فى الغرفة ، يعنى أنهم ماكثون فيها ، لايبغون إلى غير أمد ، حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومُقاما : يقول : وإقامة . وقوله (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّى) يقول جلّ ثناؤه لنبيه : قل يامحمد لهؤلاء الذين أُرْسِلتَ إليهم : أىّ شىء يَعُدّكم ، وأىّ شىء يصنع بكم ربى ، يقال منه : عَبأت به أَعبأ عَبْئاً ، وعَبَأْت الطيب أعْبَؤُه : إذا هيأته ، كما قال الشاعر :

كأنَّ بِنَحْرِهِ وبِمَنْكِبَيْهِ عَبِيرًا باتَ يَعْبَؤُهُ عَرُوسُ[1]

يقول : يهيئه ويعمله ، يعبؤه عبئاً وعبوءا ، ومنه قولهم : عَبَّأت الجيش بالتشديد والتخفيف ، فأنا أُعَبِّئُه : أهيئه ، والعِبءُ : الثِّقل .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّى) : يصنع لولا دعاؤكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّى) قال : يعبأ : يفعل .

وقوله (لَوْلا دُعاؤُكُمْ) يقول : لولا عبادة من يعبده منكم ، وطاعة من يطيعه منكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّى لَوْلا دُعاؤُكُمْ) يقول : لولا إيمانكم ، وأخبر الله الكفار أنه لاحاجة له بهم ، إذ لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبَّبَ إليهم الإيمان ، كما حبَّبه إلى المؤمنين .

وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلا دُعاؤُكُمْ) قال : لولا دعاؤكم إياه ، لتعبدوه وتطيعوه .

(١) البيت لأبى زبيد الطائى يصف أسدا (اللسان : عبأ) . قال : وعبأ الطيب يعبؤه عبئا : صنعه وخلطه ، قال أبو زبيد يصف أسدا : « كأن بنحره . . . . البيت » . ويروى : « بات يخبؤه » . وقال الفراء فى معانى القرآن : وقوله : « ما يعبأ بكم ربى » : استفهام : أى ما يصنع بكم لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ؟ وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (ص ١٧٠) ومنه قولهم ؛ ما عبأت بك شيئا : أى ما عددتك شيئا . اهـ .

وقوله (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ) يقول تعالى ذكره لمشركى قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذى أرسل إليكم ، وخالفتم أمر ربكم الذى أمر بالتمسك به، لو تمسكتم به ، كان يَعبأ بكم ربى ، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم ، وخلافكم أمر بارئكم ، عذابا لكم ملازما ، قتلا بالسيوف ، وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضُكم بعضا ، كما قال أبو ذُؤَيب الهُذَلىّ :

فَفاجأَهُ بِعادِيَةٍ لِزَامٍ كَمَا يَتَفَجَّرُ الحَوْضُ اللَّقِيفُ!

يعنى باللزام: الكبير الذى يتبع بعضه بعضا ، وباللقيف : المتساقط الحجارة المتهدّم ، ففعل الله ذلك بهم ، وصدقهم وعده ، وقتلهم يوم بدر بأيدى أوليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فكان ذلك العذاب اللزام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سلمان أبا عبد الله ، قال : صليت مع ابن الزُّبير فسمعته يقرأ : فقد كذب الكافرون .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سعيد بن أدهم السدوسىّ ، قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة ، عن عبد المجيد ، قال : سمعت مسلم بن عمار ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف : فقد كذب الكافرون ، فسوف يكون لزاما .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاما) يقول : كذب الكافرون أعداء الله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : فسوف يلقون لزاما يوم بدر .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الرحمن : خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاما) قال أُبَىّ بن كعب : هو القتل يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اللزام : يوم بدر .

---

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى (اللسان : لقف) . قال : وحوض لقف ولقيف : تهور من أسفله واتسع ، ومنه قول أبى ذؤيب * فلم تر غير عادية لزاما * . . . البيت قال : ويقال : الملآن . والأول : هو الصحيح . قال : والعادية : القوم يعدون على أرجلهم أى : فحملتهم لزاما ، كأنهم لزموه ، لا يفارقون ما هم فيه . اه . وقال فى (لزم) : واللزام : الملازم قال أبو ذؤيب : (البيت كروايته فى لقف) ثم فسره كما فسره هناك . قال : واللقيف : المتهور من أسفله . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ص ١٧٠) : لزام : أى كثيرة ، بعضها فى إثر بعض . وبهامشه اللقيف المتهدم ، الذى سقطت حجاره بعضها على بعض . اه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن ليث ، عن مجاهد (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) قال : هو يوم بدر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) قال : يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن مَعْمر ، عن منصور ، عن سفيان ، عن ابن مسعود ، قال : اللزام : القتل يوم بدر .

حُدِّثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، فسوف يكون لزاما ، وهو يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : قد مضى اللزام ، كان اللزام يوم بدر ، أَسَرُوا سبعين ، وقَتَلوا سبعين .

وقال آخرون : معنى اللزام : القتال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) قال : فسوف يكون قتالا ؛ اللزام : القتال .

وقال آخرون : اللزام : الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) قال : موتا .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : معنى ذلك : فسوف يكون جزاء ، يلزم كل عامل ماعمل من خير أو شرّ. وقد بيَّنا الصواب من القول فى ذلك . وللنصب فى اللزام وجه آخر غير الذى قلناه ، وهو أن يكون فى قوله (يَكُونُ) مجهول ، ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل :

إذَا كان طَعْنا بَيْنَهُمْ وَقِتالا

وقد كان بعض من لاعلم له بأقوال أهل العلم ، يقول فى تأويل ذلك : قل ما يعبأ بكم ربى لولا دُعاؤكم ماتَدْعُون من دونه من الآلهة والأنداد . وهذا قول لامعنى للتشاغل به . لخروجه عن أقوال أهل العلم ، من أهل التأويل .

آخر سورة الفرقان والحمد لله وحده

تفسير سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٣)

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما فى ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء ، وما انتزع به كلّ قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة . وقد بيّنا الذى هو أولى بالصواب من القول فيه ، فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته ، وقد ذكر عنهم من الاختلاف فى قوله : طسمٓ وطسٓ ، نظير الذى ذكر عنهم فى المٓ والمرٓ والمصٓ .

وقد حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (طسم) قال : فإنه قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (طسمٓ) قال : اسم من أسماء القرآن .

فتأويل الكلام على قول ابن عباس : والجميع ، إن هذه الآيات التى أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة ، لآيات الكتاب الذى أنزلته إليه من قبلها ، الذى بين لمن تدبره بفهم ، وفكّر فيه بعقل ، أنه من عند الله جلّ جلاله ، لم يتخرّصْه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتقوّله من عنده ، بل أوحاه إليه ربه .

وقوله (لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : لعلك يا محمد قاتل نفسك ومُهلكها إن لم يؤمن قومك بك ، ويصدقوك على ما جئتهم به . والبخْع : هو القتل والإهلاك فى كلام العرب ؛ ومنه قول ذى الرُّمة :

ألا أيُّهَذَا الباخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ لِشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ المَقادِرُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : (بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ) : قاتل نفسك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) قال : لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك ، قال : ذلك البخع .

---

(١) البيت لذى الرمة ، وقد تقدم الاستشهاد به فى سورة الكهف (١٥ : ١٩٤) على أن معنى البخع : القتل ، فراجعه ثمة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ) عليهم حرصا ، وأنْ من قوله (أنْ لايَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) فى موضع نصب بباخع ، كما يقال : زُرْت عبد الله أنْ زارنى ،وهو جزاء؛ ولو كان الفعل الذى بعد أنْ مستقبلا، لكان وجه الكلام فى « أن » الكسر، كما يقال ؛ أزور عبد الله أنْ يزونى .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَةً ، فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ (٤)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ) ... الآية ، فقال بعضهم : معناه : فظلّ القوم الذين أُنزل عليهم من السماء آية ، خاضعة أعناقهم لها من الذلّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد فى قوله (فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ) قال : فظلوا خاضعة أعناقهم لها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خاضِعِينَ) قال : لوشاء الله لنزّل عليه آية يذلون بها ، فلا يَلْوِى أحد عنقه إلى معصية الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (أنْ لايَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إنْ نَشأْ نُنَزِّلْ عَلَيهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً) قال : لوشاء الله لأراهم أمرا من أمره لايعمل أحد منهم بعده بمعصية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ) قال : مُلْقين أعناقهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ) قال : الخاضع : الذليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلت سادتهم وكبراؤهم للآية خاضعين ، ويقول : الأعناق : هم الكبراء من الناس .

واختلف أهل العربية فى وجه تذكير خاضعين ، وهو خبر عن الأعناق ، فقال بعض نحوِّيى البصرة : يزعمون أن قوله (أعْناقُهُمْ) على الجماعات ، نحو هذا عُنُق من الناس كثير ، أو ذُكِّر كما يذكَّر بعض المؤنث ، كما قال الشاعر :

تَمَزَّزْتُها والدِّيكُ يَدْعُو صَباحَهُ إذا ما بنو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا(١)

(١) هذا البيت أنشده سيبويه للنابغة الجعدى ، (اللسان : نعش) وقبله بيت آخر ، يصف بهما الخمر ، وهو قوله :

وَصَهْباءُ لايَخْفَى القَذَى وَهْىَ دُونَهُ تُصَفَّقُ فى رأْوُوقِها ثُمَّ تُقْطَبُ

قال : وبنات نعش سبعة كواكب ، أربعة منها مربعة ، وثلاثة بنات نعش ، الواحد : ابن نعش لأن الكوكب مذكر ، فيذكرونه على تذكيره . وإذا قالوا : ثلاث أو أربع ، ذهبوا إلى البنات ، وكذلك بنات نعش الصغرى . واتفق سيبويه والفراء على تَرك صرف نعش للمعرفة=

فجماعات هذا أعناق، أو يكون ذكره لإضافته إلى المذكر كما يؤنث لإضافته إلى المؤنث، كما قال الأعشى :

وتَشْرَقُ بالقَوْلِ الَّذِى قَدْ أذَعْتَه كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ [١]

وقال العَجَّاج :

لَمَّا رأى مَتْنَ السَّمَاء أبْعَدَتْ [٢]

وقال الفرزدق :

إذَا القُنْبُضَاتُ السُّودُ طَوَّفْنَ بالضُّحَى رَقَدْنَ عَلَيْهِنَّ الحِجالُ المُسَجَّفُ [٣]

وقال الأعشى :

وَإنَّ امْرَأً أهْدَى إلَيْكَ وَدُونَهُ مِنَ الأرْضِ يَهْمَاءٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ

لَمَحْقُوقَةٌ أنْ تَسْتَجِيبِى لِصَوْتِهِ وأنْ تَعْلَمِى أنَّ المُعَانَ المُوَفَّقُ [٤]

= والتأنيث . وقيل شبهت بحملة النعش فى تربيعها . وجاء فى الشعر بنو نعش، أنشد سيبويه للنابغة الجعدى : * وصهباء لا يخفى ... البيتان» الصهباء الخمر . وقوله « لايخفى القذى وهى دونه » : أى لاتستره إذا وقع فيها، لكونها صافية ، فالقذى يرى فيها إذا وقع . وقوله وهى دونه : يريد أن القذى إذا حصل فى أسفل الإناء ، رآه الرائى فى الموضع الذى فوقه الخمر ، والخمر أقرب إلى الرائى من القذى . يريد أنها يرى ما وراءها . وتصفق تدار من إناء إلى إناء . وقوله تمززتها : أى شربتها قليلا قليلا . وتقطب : تمزج بالماء . قال الأزهرى : وللشاعر إذا اضطر أن يقول : بنو نعش ، كما قال الشاعر ، وأنشد البيت ، ووجه الكلام : بنات نعش ، كما قالوا : بنات آوى، وبنات عرس ، والواحد منها ابن عرس ، يؤنثون جمع ما خلا الآدميين ، ورواية أبى عبيدة فى مجاز القرآن ص ١٧١) شربت إذا ما الديك . . . الخ البيت .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (اللسان : شرق) قال شرق الشىء شرقا ، فهو شرق : اشتدت حمرته ، بدم ، أو بحسن لون أحمر ، قال الأعشى : « وتشرق بالقول » . . . البيت . والبيت هو الرابع والثلاثون من قصيدة فى ديوانه (طبع القاهرة ص ١٢١) يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنام الشاعر ليهاجيه . قال شارح الديوان : « وحتى تشرق بما أذعت من قول ، كما يشرق مقدم الرمح بالدم » . وصدر القناة : أعلاها . والشاهد فى البيت أنه أنث الفعل شرق بالتاء ، مع أن فاعله وهو « صدر » مذكر . ولكنه لما أضيف إلى القناة وهى مؤنثة ، فكأنه جعل الفعل للقناة لا لصدرها .

(٢) لم أجد البيت فى ديوان العجاج ورؤبة . ووجدت أرجوزة من نفس القافية للزفيان ملحقة بديوان العجاج (٩٤، ٩٥) وليس فيها البيت والمتن : الظهر . والشاهد فى هذا الرجز أنه أنث الفعل أبعدت بالتاء ، مع أن الضمير فيه راجع إلى المتن ، وهو مذكر ؛ لكن لما أضيف المتن إلى السماء وهى مؤنثة ، فكأن الشاعر أعاد الضمير على السماء ، وتناسى المتن ، فأنث لذلك ، وكأنه قال : « لما رأى السماء أبعدت » . وهو كالشاهد الذى قبله .

(٣) البيت للفرزدق (اللسان : قبض) والقنبضة من النساء : القصيرة ، والنون زائدة ، والضمير فى رقدن : يعود إلى نساء وصفهن بالنعمة والترف ، إذا كانت القنبضات السود فى خدمة وتعب . اه . يعنى بالقنبضات الولائد والإماء من الخدم . والحجال : جمع حجلة ، بالتحريك ، وهى بيت كالقبة يستر بالثياب ، ويكون له أزرار كبار . ومنه حديث : «أعروا النساء يلزمن الحجال» . وجمع الحجلة : حجل وحجال ، قال الفرزدق : * رقدن عليهن الحجال المسجف * قال الحجال ، وهى جماعة ، ثم قال المسجف فذكر ، لأن لفظ الحجال لفظ الواحد ، مثل الجراب . قال : ومثله قوله تعالى : «قال من يحيى العظام وهى رميم» ، ولم يقل رميمة . وانظر البيت أيضا فى ديوان الفرزدق (طبعة الصاوى ص ٥٥٢) قال : والتسجيف : إرخاء السجفين ، وهما سترا باب الحجلة للعروس ، وكل باب يستره سترات بينهما مشقوق ، فكل شق منهما سجف .

(٤) البيتان لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٢٣) من قافيته التى مطلعها : * أرقت وما هذا السهاد المؤرق * يمدح بها المحلق ابن خنثم بن شداد بن ربيعة . وفى رواية البيت الأول فيه وفى خزانة الأدب الكبرى (للبغدادى ١ : ٥٥١ ، ٢ : ٤١٠) أسرى : فى موضع : أهدى . و « أن المعان موفق » فى موضع « أنى المعان الموفق » . ومعنى أهدى من الهدية ، وهذا لا يصلح إلا على أن الخطاب للناقة ، وكان قد أهداها الممدوح إليه ، لاعلى أن الخطاب للمرأة المذكورة فى القصيدة قبل البيت فى قوله « وكم دون ليلى » وتمام رواية البيت على أنه خطاب للناقة هو :

وإن امرأ أهداك بينى وبينه فياف تنوفات ويهماء سملق

والأكثرون على رواية أسرى إليك ، وأنه خطاب للمرأة ، وعليه بنى الكوفيون كلامهم فى الاستشهاد بالبيت . وأسرى : لغة فى سرى أى=

قال : ويقولون : بنات نعش وبنو نعش، ويقال : بنات عِرس ، وبنو عِرس ؛ وقالت امرأة : أنا امرؤ لأأخبر السرّ، قال: وذُكِر لرؤبة رجل فقال : هو كان أحد بنات مساجد الله، يعنى الحَصَى ؛ وكان بعض نحوِيِّي الكوفة يقول : هذا بمنزلة قول الشاعر :

تَرَى أرْماحَهُمْ مُتَقَلِّدِيها إذَا صَدِئَ الحَدِيدُ على الكُماةِ [٢]

فمعناه عنده : فظلت أعناقهم خاضعيها هم ، كما يقال : يدك باسطها ، بمعنى : يدك باسطها أنت ، فاكتفى بما ابتدأ به من الاسم أن يكون ، فصار الفعل كأنه للأوّل، وهو للثانى ،وكذلك قوله: لمحقوقة أن تستجيبى لصوته إنما هو لمحقوقة أنت ، والمحقوقة : الناقة ، إلا أنه عطفه على المرء ، لمّا عاد بالذكر . وكان آخر منهم يقول : الأعناق : الطوائف ، كما يقال: رأيت الناس إلى فلان عُنقا واحدة ،فيجعل الأعناق الطوائف والعُصَب ؛ ويقول : يحتمل أيضا أن تكون الأعناق هم السادة والرجال الكبراء ، فيكون كأنه قيل : فظلت رءوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين . وقال : أحبّ إلىّ من هذين الوجهين فى العربية، أن يقال : إن الأعناق إذا خضعت، فأربابها خاضعون، فجعلتَ الفعل أوّلا للأعناق ، ثم جَعَلْتَ خاضعين للرجال، كما قال الشاعر :

عَلى قَبْضَةٍ مَرْجُوَّةٍ ظَهْرُ كَفِّهِ فَلا المَرْءُ مُسْتَحْيٍ وَلا هُوَ طاعِمُ [١]

فأنث فعل الظهر ، لأن الكفّ تجمع الظهر ، وتكنى منه ، كما أنك تكتفى بأن تقول : خضعت لك ، من أن تقول : خَضَعَتْ لك رقبتى ، وقال: ألا ترى أن العرب تقول : كل ذى عين ناظر وناظرة إليك ، لأن

= سار ليلا . والموماة : الأرض التى لاماء فيها . والبيداء واليهماء القفر . والسملق: الأرض المستوية . وقد اختلف النحويون فى تخريج قوله: « لمحقوقة أن تستجيبى » ، فقيل : لمحقوقة استجابتك ، أى استجابتك محقوقة . وعليه فالتأنيث فى محقوقة للمصدر المؤنث جوازا . وعليه أيضا فلا شاهد فى البيت . وقال الكوفيون : محقوقة خبر إن امرأ ، غير جار على من هو له ، وهو امرأ ، وإنما هو جار على المرأة المخاطبة بقوله إليك . والبصريون يوجبون إذا جرى الخبر على غير من هو له إبراز الضمير المستتر فيه ، فكان حقه أن يقول : لمحقوقة أنت أن تستجيبى لصوته . ويرى الكوفيون أن إبراز الضمير المستتر فى مثل هذه الحالة ، حكمه الجواز لا الوجوب ، واستدلوا بالبيت على ترك إبرازه . ورد البصريون كلامهم بما لا محل لذكره هنا . واستشهد المؤلف بالبيت على ما يستشهد به الكوفيون .

(١) البيت ذكره ابن الأنبارى فى الإنصاف ، ولم ينسبه ، وكذلك لم ينسبه البغدادى فى الخزانة (٢ : ٤١١) وهو كالشاهد الذى قبله قال البغدادى : الظاهر من كلام ابن الشجرى فى أماليه ، ومن كلام ابن الأنبارى فى مسائل الخلاف ، ومن كلام غيرهما : أن مذهب الكوفيين ، جواز ترك التأكيد مطلقا ، سواء أمن اللبس أم لا . قال ابن الأنبارى : احتج الكوفيون لمذهبهم بالشعر المتقدم ، وبقوله : « ترى أرباقهم » . . . البيت . ولو كان إبراز الضمير واجبا لقال : متقلديها هم . فلما لم يبرز الضمير دل على جوازه . وأجاب البصريون عن هذا بأنه على حذف مضاف ، أى ترى أصحاب أرباقهم متقلديها . ورواية البيت فى الخزانة والإنصاف : « ترى أرباقهم» فى موضع « ترى أرماحهم » . وكذلك أنشده الفراء فى معانى القرآن : أرباقهم (ص ٢٢٨) .

(٢) هذا البيت مما استشهد به الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٢٨) قال عند قوله تعالى : « فظلت أعناقهم لها خاضعين » : الفعل للأعناق ، فيقول القائل : كيف لم يقل خاضعة . وفى ذلك وجوه كلها صواب . أولها : أن مجاهدا جعل الأعناق الرجال الكبراء ، فكانت الأعناق هاهنا بمنزلة قولك : ظلت رءوسهم ، رءوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين ، الآية . والوجه الآخر : أن تجعل الأعناق : الطوائف ، كما تقول : رأيت الناس إلى فلان عنقا واحدا ، فتجعل الأعناق : الطوائف والعصب . وأحب إلى من هذين الوجهين فى العربية : أن الأعناق إذا خضعت ، فأربابها خاضعون ، فجعلت الفعل أولا للأعناق . ثم جعلت خاضعين للرجال ، كما قال الشاعر : « على قبضة مرجوة » . . . البيت . فأنث فعل الظهر ، لأن الكف تجمع الظهر ، وتكنى منه .

قولك : نظرتْ إليك عينى ، ونظرتُ إليك بمعنى واحد بترك كل ، وله الفعل وبرده إلى العين ، فلو قلت : فظلت أعناقهم لها خاضعة ، كان صوابا :

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل فى ذلك أن تكون الأعناق هى أعناق الرجال ، وأن يكون معنى الكلام : فظلت أعناقهم ذليلة ، للآية التى ينزلها الله عليهم من السماء ، وأن يكون قوله خاضعين مذكرا ، لأنه خبر عن الهاء والميم فى الأعناق ، فيكون ذلك نظير قول جرير :

أرَى مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ مِنِّى كَمَا أخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ (١)

وذلك أن قوله : مرّ ، لو أسقط من الكلام ، لأدى ما بقى من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه ، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله : فظلت أعناقهم ، لأدى ما بقى من الكلام عنها ، وذلك أن الرجال إذا ذلُّوا ، فقد ذلت رقابهم ، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا .

فإن قيل فى الكلام : فظلوا لها خاضعين ، كان الكلام غير فاسد ، لسقوط الأعناق ، ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها ، فصرف الخبر بالخضوع إلى أصحاب الأعناق ، وإن كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب فى كلامهم ، إذا كان الاسم المبتدأ به ، وما أضيف إليه يؤدّى الخبر كلّ واحد منهما عن الآخر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥)

يقول تعالى ذكره : وما يجىء هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك ويجحدون ما أتيتهم به يامحمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك ، وحقيقة ماتدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك ، لتذكرهم به ، إلا أعرضوا عن استماعه ، وتركوا إعمال الفكر فيه وتدبره .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : فقد كذّب يامحمد هؤلاء المشركون بالذكر الذى أتاهم من عند الله ، وأعرضوا عنه (فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : فسيأتيهم أخبار الأمر الذى كانو ايسخرون وذلك وعيد من الله لهم أنه محلّ بهم عقابه على تماديهم فى كفرهم ، وتمرّدهم على ربهم .

(١) البيت لجرير ، وقد سبق الا ستشهاد به فى الجزء (١٢ : ١٥٧) وذكره صاحب (اللسان : خضع) قال : جاز أن يخبر عن المضاف إليه كما قال الشاعر « رأت مر السنين » ، لما كانت السنون لاتكون إلا بمر أخبر عن السنين ، وإن كان أضاف إليها المرور . والسرار : الليلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر . ورواية « رأت مر السنين » : هى رواية الديوان (طبعة الصاوى ٤٢٦) . ورواية أبى عبيدة فى مجاز القرآن (ص ١٧١) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧)

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث والنشر إلى الأرض ، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لانبات فيها (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) يعنى بالكريم : الحسن ، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل : كريمة ، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا ، فكثرت ألبانهما : ناقة كريمة ، وشاة كريمة .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) قال : من نبات الأرض ، مما تأكل الناس والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) قال : حسن .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)

يقول تعالى ذكره : إن فى إنباتنا فى الأرض من كلّ زوج كريم لآية : يقول : لدلالة لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث ، على حقيقته ، وأن القدرة التى بها أنبت الله فى الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها ، لن يُعجزه أن يُنْشِر بها الأموات بعد مماتهم ، أحياء من قبورهم . وقوله (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذّبين بالبعث ، الجاحدين نبوّتك يامحمد ، بمصدقيك على ماتأتيهم به من عند الله من الذكر ، يقول جلّ ثناؤه : وقد سبق فى علمى أنهم لايؤمنون ، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمى فيهم . وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ) يقول : وإن ربك يامحمد لهو العزيز فى نقمته ، لايمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه ، يقول تعالى ذكره : وإنى إن أحللت بهؤلاء المكذّبين بك يامحمد ، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندى ، عقوبتى بتكذيبهم إياك ، فلن يمنعهم منى مانع ، لأنى أنا العزيز الرحيم ، يعنى أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته ، أن يعاقبه على ماسلف من جُرْمه بعد توبته .

وكان ابن جُرَيج يقول فى معنى ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى الحجاج ، عن ابن جُرَيج قال : كلّ شىء فى الشعراء من قوله (عَزِيزٌ رَحِيمٌ) فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم ، يقول عزيز ، حين انتقم من أعدائه ، رحيم بالمؤمنين ، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه .

⁂ قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك فى هذا الموضع ، لأن قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) عقيب وعيد الله قوما من أهل الشرك والتكذيب بالبعث ، لم يكونوا أهلكوا ، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه . ولعلّ ابن جُرَيج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من أهلك من الأمم ، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : واذكر يامحمد إذ نادى ربك موسى بن عمران (أنِ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعنى الكافرين قوم فرعون ، ونصب القوم الثانى ترجمة عن القوم الأوّل ، وقوله (أَلا يَتَّقُونَ) يقول : ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به . ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون ، وترك إظهار « فقل لهم » لدلالة الكلام عليه . وإنما قيل : ألا يتقون بالياء ، ولم يقل ألا تتقون بالتاء ، لأن التنزيل كان قبل الخطاب ، ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابا ، كما قيل : «قل للذين كفروا سيُغلبون وستُغلبون» .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره (قالَ) موسى لربه (رَبِّ إنّى أخافُ) من قوم فرعون الذين أمرتنى أن آتيهم (أنْ يُكَذّبُونِ) بقيلى لهم : إنك أرسلتنى إليهم . (وَيَضِيقُ صَدْرِى) من تكذيبهم إياى إن كذّبونى ، ورفع قوله (وَيَضِيقُ صَدْرِى) عطفا به على أخاف ، وبالرفع فيه قرأته عامة قرّاء الأمصار ، ومعناه : وإنى يضيق صدرى . وقوله (وَلا يَنْطَلِقُ لسانِى) يقول : ولا ينطلق بالعبارة عما ترسلنى به إليهم ، للعلة التى كانت بلسانه . وقوله (وَلا يَنْطَلِقُ لسانِى) كلام معطوف به على يضيق . وقوله (فأَرْسِلْ إلى هارُونَ) يعنى هارون أخاه ، ولم يقل : فأرسل إلى هارون ليؤازرنى وليعيننى ، إذ كان مفهوما معنى الكلام ، وذلك كقول القائل : لو نزلت بنا نازلة لفزعنا إليك ، بمعنى : لفزعنا إليك لتعيننا . وقوله (وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ) يقول : ولقوم فرعون علىّ دعوى ذنب أذنبت إليهم ، وذلك قتله النفس التى قتلها منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ فأخافُ أنْ يَقْتُلُونِ) قال : قتل النفس التى قتل منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : قَتْل موسى النفس .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قَتادة ، قوله (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ) قال قتل النفس ، وقوله (فَأخافُ أنْ يَقْتُلُونِ) يقول : فأخاف أن يقتلونى قَوَدا بالنفس التى قُتِلت منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)

يقول تعالى ذكره (كَلاَّ) : أى لن يقتلك قوم فرعون (فَاذْهَبا بآياتنا) يقول : فاذهب أنت وأخوك بآياتنا ، يعنى بأعلامنا وحُجَجنا التى أعطيناك عليهم . وقوله (إنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) من قوم فرعون مايقولون لكم ، ويجيبونكم به ، وقوله (فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا) . . . الآية ، يقول : فأت أنت ياموسى وأخوك هارون فرعون (فَقُولا إنَّا رَسُولُ رَبّ العالَمِينَ) إليك ، بـ (أنْ أرْسِلْ مَعَنا بَنِى إسْرائِيلَ) وقال رسول ربّ العالمين ، وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا ، لأنه أراد به المصدر من أرسلت ، يقال : أرسلت رسالة ورَسولا ، كما قال الشاعر :

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عِندَهُمْ بِسُوءٍ وَلا أرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ [1]

يعنى برسالة ، وقال الآخر :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّى خُفافاً رَسُولاً بَيْتُ أهْلِكَ مُنْتَهاها [2]

يعنى بقوله : رسولا : رسالة ، فأنث لذلك الهاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ، وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)

وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ماظهر عليه منه ، وهو : فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه ،

---

(١) البيت فى (اللسان : رسل) . وفى روايته « بليل » فى موضع « بسوء » . قال : والإرسال التوجيه ، وقد أرسل إليه . والاسم الرسالة (بكسر الراء المشددة وفتحها) والرسول والرسيل . الأخيرة عن ثعلب . وأنشد : « لقد كذب الواشون » . . . البيت قال : والرسول بمعنى الرسالة ، يؤنث ويذكر . وفى (اللسان : رسل) رواية أخرى للبيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى كثير .

(٢) البيت لعباس بن مرداس (اللسان : رسل) . قال : فأنث الرسول (بعود الضمير المؤنث) حيث كان بمعنى الرسالة . وهذا البيت من المقطوعة التى منها الشاهد السابق ص ٣٧ وهو : فأبى ما وأيك . . . البيت . يهجو به العباس بن مرداس خفاف بن ندبة لشىء كان بينهما (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٢٩) .

فقال فرعون : ألم نربك فينا يا موسى وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وذلك مكثه عنده قبل قتله القتيل الذى قتله من القبط ، وفعلت فعلتك التى فعلت : يعنى قتلَه النفس التى قَتَلَ من القبط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) . ، قال : قتل النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

وإنما قيل (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ) لأنها مرّة واحدة ، ولا يجوز كسر الفاء إذا أريد بها هذا المعنى . وذُكر عن الشعبىّ أنه قرأ ذلك (وَفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ) بكسر الفاء ، وهى قراءة لقرّاءة القرّاء من أهل الأمصار مخالفة .

وقوله (وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأنت من الكافرين بالله على ديننا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ) يعنى على ديننا هذا الذى تعيب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت من الكافرين نعمتنا عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ) قال : ربيناك فينا وليدا ، فهذا الذى كافأتنا ، أن قتلتَ منا نفسا ، وكفرت نعمتنا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ) يقول : كافرا للنعمة ، أن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية ، لأن فرعون لم يكن مُقِرّا لله بالربوبية ، وإنما كان يزعم أنه هو الربّ ، فغير جائز أن يقول لموسى : إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السُّدّىّ : فعلت الفَعلة وأنت من الكافرين ، الإيمان عنده : هو دينه الذى كان عليه موسى عنده ، إلا أن يقول قائل : إنما أراد : وأنت من الكافرين يومئذ ياموسى ، على قولك اليوم ، فيكون ذلك وجها يتوجه . فتأويل الكلام إذن : وقتلت الذى قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ، وإحساننا إليك ، فى قتلك إياه . وقد قيل : معنى ذلك : وأنت الآن من الكافرين لنعمتى عليك ، وتربيتى إياك .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ، فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا، وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون : فعلت تلك الفعلة التى فعلت : أى قتلت تلك النفس التى قتلت إذن وأنامن الضالين: يقول : وأنا من الجاهلين قبل أن يأتينى من الله وحى بتحريم قتله علىّ : والعرب تضع الضلال موضع الجهل ، والجهل موضع الضلال ، فتقول : قدجهل فلان الطريق ، وضلّ الطريق ، بمعنى واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنا مِنَ الضَّالِّينَ) قال : من الجاهلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جُرَيج : وفى قراءة ابن مسعود (وأنا مِنَ الجاهِلِينَ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن مَعْمَر ، عن قتادة (وأنا مِنَ الضَّالِّين) قال : من الجاهلين

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأنْتَ مِنَ الكافِرِينَ) فقال موسى : لم أكفر ، ولكن فعلتها وأنا من الضالّين . وفى حرف ابن مسعود (فَعَلْتُها إذًا وأنا مِنَ الجاهِلِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قالَ فَعَلْتُها إذًا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ) قبل أن يأتينى من الله شىء ، كان قتلى إياه ضلالة خطأ : قال : والضلالة ههنا الخطأ ، لم يقل ضلالة فيما بينه وبين الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قالَ فَعَلْتُها إذًا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ) يقول : وأنا من الجاهلين .

وقوله (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لفرعون : ففررت منكم معشر الملأ من قوم فرعون ، لما خفتكم أن تقتلونى بقتلى القتيل منكم (فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْما) يقول : فوهب لى ربى نُبوّة وهى الحكم .

كما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ (فَوَهَبَ لى رَبِّى حُكْما) والحكم : النبوّة .

وقوله (وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ) يقول : وألحقنى بعداد من أرسله إلى خلقه ، مبلغا عنه رسالته إليهم ، بإرساله إياى إليك يافرعون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُوقِنِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون (وَتِلكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ) يعنى بقوله وتلك : تربيةَ فرعون إياه ، يقول : وتربيتك إياى ، وتركك استعبادى ، كما استعبدت بنى إسرائيل ، نعمة منك تمنها علىّ بحقّ ، وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذُكر عليه عنه ، وهو : وتلك نعمة تمنها علىّ أن عبدت بنى إسرائيل وتركتنى ، فلم تستعبدنى ، فترك ذِكْر وتركتنى ، لدلالة قوله أنْ عَبَّدت بنى إسرائيل عليه ، والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام ، ونظير ذلك فى الكلام أن يستحقّ رجلان من ذى سلطان عقوبة ، فيعاقب أحدهما ، ويعفو عن الآخر ، فيقول المعفوّ عنه هذه نعمة علىّ من الأمير ، أن عاقب فلانا وتركنى ، ثم حذف وتركنى ، لدلالة الكلام عليه ، ولأن فى قوله (أنْ عبَّدْتَ بَنى إسْرائِيلَ) وجهين : أحدهما النصب ، لتعلق تمُنّها بها ، وإذا كانت نصبا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها علىّ لتعبدك بنى إسرائيل . والآخر : الرفع على أنها ردّ على النعمة . وإذا كانت رفعا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها علىّ تعبيدُك بنى إسرائيل . ويعنى بقوله (أنْ عَبَّدْتَ بَنِى إسْرَائِيلَ) : أن اتخذتهم عبيدا لك ؛ يقال منه : عَبَّدْت العبيد وأعبدتهم ، كما قال الشاعر :

عَلامَ يُعَبِّدُنِي قَوْمِى وقدْ كَثُرَتْ فِيها أباعِرُ ما شاءُوا وَعُبْدَانُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَمُنُّها عَلَيَّ أنْ عَبَّدْتَ بَنِي إسْرَائِيلَ) قال : قَهَرتهم واستعملتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : تمنّ علىّ أن عبَّدت بنى إسرائيل ، قال : قَهَرْت وغلبت واستعملت بنى إسرائيل .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أنْ عَبَّدْتَ بَنِي إسْرَائِيلَ) وربيتنى قبل وليدا .

---

(١) البيت من شواهد (اللسان : عبد) قال : تعبد الرجل (وعبده) بتشديد الباء فيهما ، وأعبده : صيره كالعبد . قال الشاعر : « حتام يعبدنى قومى . . . البيت » .

وقال آخرون : هذا استفهام كان من موسى لفرعون، كأنه قال : أتمنّ علىّ أن أتخذت بنى إسرائيل عبيدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) قال : يقول موسى لفرعون : أتمنّ علىّ أن اتخذت أنت بنى إسرائيل عبيدا .

واختلف أهل العربية فى ذلك ، فقال بعض نحويّى البصرة : وتلك نعمة تمنها علىّ ، فيقال : هذا استفهام كأنه قال : أتمنها علىّ ؟ ثم فسّر فقال : (أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟) وجعله بدلا من النعمة . وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول، ويقول : هو غلط من قائله،لايجوز أن يكون همز الاستفهام يُلْقَى، وهو يطلب ، فيكون الاستفهام كالخبر ، قال : وقد استقبح ومعه أم ، وهى دليل على الاستفهام واستقبحوا

تَرُوحُ مِنَ الحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرْ وَمَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ تَنْتَظِرْ ؟[1]

قال : وقال بعضهم : هو أتروح من الحىّ ، وحذف الاستفهام أوّلا اكتفاء بأم . وقال أكثرهم : بل الأوّل خبر ، والثانى استفهام ، وكأن أم إذا جاءت بعد الكلام فهى الألف ، فأما وليس معه أم ، فلم يقله إنسان .

وقال بعض نحوىّ الكوفة فى ذلك ما قلنا . وقال : معنى الكلام : وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين لنعمتى : أى لنعمة تربيتى لك ، فأجابه فقال : نعم هى نعمة علىّ أن عبّدت الناس ولم تستعبدنى .

وقوله (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقول : وأىّ شىء ربّ العالمين ؟ قال موسى هو (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) وما لكهنّ (وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول : ومالك ما بين السموات والأرض من شىء (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) يقول : إن كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه ، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو ربّ السموات والأرض وما بينهما .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ) قال فرعون لمن حوله من قومه : ألا تستمعون لما يقول موسى ، فأخبر موسى عليه السلام القوم بالجوب عن مسئلة فرعون إياه وقيله له (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟) ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون ، وجوابه إياه عما سأله ، إذ قال لهم فرعون (ألا

(١) البيت : لامرئ القيس بن حجر الكندى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١١٥) تروح : أتروح وتتبكر : تخرج مبكرا . يقول : أتروح إلى أهلك آخر النهار ، أم تخرج إليهم بكرة ، وما الذى يعجلك عن الانتظار ،وهو خير لك . والبيت شاهد على أنه حذف همزة الاستفهام اكتفاء بدلالة أم عليه . وبعضهم يستقبح الحذف فى هذا الموضع . ويمنعه فيما يلبس بالخبر .

تَسْتَمِعُونَ) إلى قول موسى ، فقال لهم الذى دعوته إليه وإلى عبادته (رَبُّكُمْ) الذى خلقكم (وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ) فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك ، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) يقول : إن رسولكم هذا الذى يزعم أنه أرسل إليكم ، لمغلوب على عقله ، لأنه يقول قولا لانعرفه ولا نفهمه . وإنما قال ذلك ، ونسب موسى عدوّ الله إلى الجنة لأنه كان عنده وعند قومه أنه لاربّ غيره يُعْبد ، وأن الذى يدعوه إليه موسى باطل ، ليست له حقيقة ، فقال موسى عند ذلك محتجًّا عليهم ، ومعرّفهم ربهم بصفته وأدلته ، إذ كان عند قوم فرعون أن الذى يعرفونه ربا لهم فى ذلك الوقت ، هو فرعون ، وأن الذى يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر ، كانوا قبل فرعون ، قد مضَوا ، فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشىء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ، ولذلك قال لهم فرعون : إنه مجنون ؛ لأن كلامه كان عندهم كلاما لايعقلون معناه ، الذى أدعوكم ، وفرعون إلى عبادته ربّ المشرق والمغرب وما بينهما ، يعنى ملك مشرق الشمس ومغربها ، وما بينهما من شىء ، لاإلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا ، ولا إلى عبادة فرعون الذى هو ملكها (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم ، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم ؛ فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذى علموا أنه الحق الواضح ، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر ، لم يجاوز ملكهم عريش مصر ، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذى يدعوهم موسى إلى عبادته ، هو الملك الذى يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحقّ ، وتماديا فى الغىّ لموسى (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِى) يقول : لئن أقررت بمعبود سواى (لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) يقول : لأسجننك مع من فى السجن من أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ (٣٠) قَالَ : فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون لما عرّفه ربه ، وأنه ربّ المشرق والمغرب ، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهة له ، وأجابه فرعون بقوله (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) أتجعلنى من المسجونين (وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ) يبين لك صدق ما أقول يافرعون ، وحقيقة ما أدعوك إليه ؟ وإنما قال ذلك له ، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف ، والإجابة إلى الحقّ بعد البيان ؛ فلما قال موسى له ماقال من ذلك ، قال له فرعون : فأت بالشىء المبين حقيقة ماتقول ، فإنا لن نسجنك حينئذ ، إن اتخذت إلها غيرى ، إن كنت من الصادقين ، يقول : إن كنت محقا فيما تقول ، وصادقا فيما تَصف وتخبر . (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) يقول جلّ ثناؤه : فألقى موسى عصاه ، فتحوّلت ثعبانا ، وهى الحية الذكر ، كما قد بَيَّنْت فيما مضى قبل من صفته وقوله (مُبِينٌ) يقول : يبين لفرعون والملأ من قومه أنه ثعبان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن ابن عباس ، قوله (فَأَلْقَى عَصَاهُ فإذَا هى ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) يقول : مبين له خلق حية .

وقوله (وَنَزَعَ يَدَهُ فإذَا هِيَ بَيْضَاءُ) يقول : وأخرج موسى يده من جيبه ، فإذا هى بيضاء تلمع (للنَّاظِرِينَ) لمن ينظر إليها ويراها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثّام بن علىّ ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، قال : ارتفعت الحية فى السماء قدر ميل ، ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نابيها ، فجعلت تقول : ياموسى مرنى بما شئت ، فجعل فرعون يقول : ياموسى أسألك بالذى أرسلك ، قال : فأخذه بطنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ ، إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه ، حجة عليه لموسى بحقيقة مادعاه إليه ، وصدق ما أتاه به من عند ربه (لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ) يعنى لأشراف قومه الذين كانوا حوله (إنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) يقول : إن موسى سَحَر عصاه ، حتى أراكموها ثعبانا (عليم) : يقول : ذو علم بالسحر وبصر به . (يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) يقول : يريد أن يخرج بنى إسرائيل من أرضكم إلى الشأم بقهره إياكم بالسحر . وإنما قال : يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملأ حوله من القبط ، والمعنىّ به بنو إسرائيل ، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بنى إسرائيل ، واتخذوهم خدما لأنفسهم ومُهّانا ، فلذلك قال لهم (يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ) وهو يريد أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشأم .

وإنما قلت معنى ذلك كذلك ، لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون ، يأمره بارسال بنى إسرائيل معه ، فقال له ولأخيه (فَأْتِيا فِرْعَوْنَ ، فَقُولا إنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ ، أنْ أرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إسْرائِيلَ)

وقوله (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) يقول : فأىّ شىء تأمرون فى أمر موسى ؟ وما به تشيرون من الرأى فيه ؟ (قالُوا أرْجِئْهُ وأخاهُ ، وَابْعَثْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ) يقول تعالى ذكره : فأجاب فرعون الملأ حوله ، بأن قالوا له : أخِّر موسى وأخاه وأنظره ، وابعث فى بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشُرون إليك كل سحّار عليم بالسحر .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ؟ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة (لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) يقول : لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم ، وذلك يوم الزِّينة ، وأن يُحْشر الناس ضحى . وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون لتنظروا إلى مايفعل الفريقان ، ولمن تكون الغلبة ، لموسى أو للسحرة ؟ فلعلنا نتبع السحرة ، ومعنى لعلّ هنا كى ، يقول : كى نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين موسى . وإنما قلت ذلك معناها ، لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون ، فغير معقول أن يقول : من كان على دين أنظر إلى حجة من هو على خلافى ، لعلى أتبع دينى ، وإنما يقال : أنظر إليها كى أزداد بصيرة بدينى ، فأقيم عليه ، وكذلك قال قوم فرعون ، فايا ها عنَوا بقيلهم : لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . وقيل : إن اجتماعهم للميقات الذى اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) قال : كانوا بالإسكندرية ، قال : ويقال : بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ ، قال : وهربوا ، وأسلموا فرعون ، وهمت به ، فقال : فخذها ياموسى ، قال : فكان فرعون مما يلى الناس منه ، أنه كان لايضع على الأرض شيئا ، قال : فأحدث يومئذ تحته ، قال : وكان إرساله الحية فى القبة الحمراء .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ : أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) ؟ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ، وَقَالُوا : بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ) فرعون لوعد لموسى وموعد فرعون (قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنا لَأَجْرًا) سحرنا قبلك (إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغالِبِينَ) موسى ؟ (قالَ) فرعون لهم (نَعَمْ) ، لكم الأجر على ذلك (وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) منا ، فقالوا عند ذلك لموسى : إما أن تُلْقِى ، وإما أن نكون نحن الملقين ، وترك ذكر قيلهم ذلك ، لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، على أن ذلك معناه (فقالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ) من حبالكم وعصيكم (فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ

وَعِصِيَّهُمْ) من أيديهم (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ) يقول: أقسموا بقوّة فرعون، وشدّة سلطانه، ومَنَعة مملكته (إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ) موسى

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (٤٦) قَالُوٓا : ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٤٨) قَالَ : ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ، فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

يقول تعالى ذكره : فألقى موسى عصاه حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم ، (فإذَا هِيَ تَلْقَفُ ما يأْفِكُونَ) يقول : فاذا عصا موسى تزدرد مايأتون به من الفرية والسحر ، الذى لاحقيقة له ، وإنما هو مخاييل[1] وخدْعة (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ) يقول : فلما تبين السحرة أن الذى جاءهم به موسى حقّ لاسحر ، وأنه مما لايقدر عليه غير الله ، الذى فطر السموات والأرض من غير أصل ، خرّوا لوجوههم سُجَّدا لله ، مُذْعنين له بالطاعة ، مقرّين لموسى بالذى أتاهم به من عند الله أنه هو الحقّ ، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل ، قائلين : آمنا بربّ العالمين ، الذى دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه ، ربّ موسى وهارون (قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : قال فرعون للذين كانوا سحرته : فآمنوا : آمنتم لموسى بأن ماجاء به حقّ ، قبل أن آذن لكم فى الإيمان به (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) يقول : إن موسى لرئيسكم فى السحر ، وهو الذى علّمكموه ، ولذلك آمنتم به ، فلسوف تعلمون عند عقابى إياكم وبالَ مافعلتم ، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا : لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠)

يقول : لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم ، مخالفا فى قطع ذلك منكم بين قطع الأيدى والأرجل ، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى ، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب ، ثم الرجل من الجانب الآخر ، وذلك هو القطع من خِلاف (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أجمَعِينَ) فوكّد ذلك بأجمعين ، إعلاما منه أنه غير مستبق منهم أحدا (قالُوا لاضَيْرَ) يقول تعالى ذكره : قالت السحرة : لاضير علينا وهو مصدر من قول القائل : قد ضارَ فلان فلانا فهو يضير ضَيْرا ، ومعناه : لاضرر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

(١) مخاييل : جمع مخيلة ، بمعنى المظنة ، وأصله مخايل . والكوفيون يزيدون فى مثل هذا الجمع ياء قبل آخره ، مثل دراهيم وصياريف جمعى درهم وصيرف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لاضَيْرَ) قال : يقول : لايضرّنا الذى تقول ، وإن صنعته بنا وصلبتنا (إنَّا إلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ) يقول : إنا إلى ربنا راجعون ، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا ، وثباتنا على توحيده ، والبراءة من الكفر به .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥١) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة : إنا نطمع : إنا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التى سلفت منا قبل إيماننا به ، فلا يعاقبنا بها .

كما حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّا نَطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا) قال : السحر والكفر الذى كانوا فيه (أنْ كُنَّا أوَّلَ المُؤْمِنِينَ) يقول : لأن كنا أوّل من آمن بموسى ، وصدّقه بما جاء به من توحيد الله ، وتكذيب فرعون فى ادّعائه الربوبية فى دهرنا هذا وزماننا.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أنْ كُنَّا أوَّلَ المُؤْمِنِينَ) قال : كانوا كذلك يومئذ أوّل من آمن بآياته حين رأوها .

وقوله (وأوْحَيْنا إلى مُوسَى أنْ أسْرِ بعِبادِى) يقول : وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون فى غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا ، أن أسر بعبادى : يقول : أن سر ببنى إسرائيل ليلا من أرض مصر (إنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بنى إسرائيل ، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم ، أرض مصر .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ (٥٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : فأرسل فرعون فى المدائن يحشر له جنده وقومه ، ويقول لهم : إن هؤلاء : يعنى بهؤلاء : بنى إسرائيل (لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) يعنى بالشرذمة : الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة ، وشرذمة كل شىء : بقيته القليلة ؛ ومنه قول الراجز :

جاءَ الشِّتاءُ و قَميصِي أخْلاقْ شَرَاذِمٌ يضْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقْ[1]

وقيل : قليلون ، لأن كل جماعة منهم : كان يلزمها معنى القلة ؛ فلما جمع جمع جماعاتهم قيل : قليلون ، كما قال الكُمَيت :

فَرَدَّ قَوَاصِيَ الأَحْياءِ مِنْهُمْ فَقَدْ صَارُوا كَحَيِّ وَاحِدِينا[2]

وذكر أن الجماعة التى سماها فرعون شرذمة قليلين ، كانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عُبيدة (إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُون) ، قال : كانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عُبيدة ، عن عبد الله ، قال : الشرذمة : ستّ مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد ، قال : اجتمع يعقوب وولده إلى يوسف ، وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى وهم ستّ مئة ألف ، فقال فرعون (إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) ، وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه فى عسكره ثمان مئة ألف .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد الجريرى ، عن أبى السليل ، عن قيس بن عباد ، قال : وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بنى إسرائيل ، قال : فحدثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بنى إسرائيل كانوا ستّ مئة ألف ، قال : وكان مقدمة فرعون سبع مئة ألف ، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة ، وفى يده حربة ، وهو خلفهم فى الدهم . فلما انتهى موسى ببنى إسرائيل إلى البحر ، قالت بنو إسرائيل : ياموسى أين ما وعدتنا ، هذا البحر بين أيدينا ، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا ، فقال موسى للبحر : انفلق أبا خالد ، قال : لا ، لن أنفلق لك ياموسى ، أنا أقدم منك

---

(١) البيت فى (اللسان : خلق) منسوب لراجز . قال : يقال ثوب أخلاق ، يصفون به الواحد ، إذا كانت الخلوقة فيه كله ، كما قالوا : برمة أعشار ، وحبل أرمام ، وأرض سباسب ، وكذلك برمة أخلاق عن اللحيانى ، أى نواحيها أخلاق . وقال الراجز : « جاء الشتاء . . . . البيت » اهـ . كأنه لما صار خلقا كله ، كان كل جزء فيه خلقا ، فجمعه باعتبار أجزائه ، كما تفيده عبارة اللحيان . والتواق اسم ولد الراجز . (وفى اللسان : شرذم) الشرذمة : القطعة من الشىء ، والجمع شراذم . والشرذمة : الجماعة من الناس القليلة ، وفى التنزيل « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » . وثياب شراذم : أى أخلاق ، متقطعة . وثوب شراذم أى قطع . وأنشد البيت عن ابن برى .

(٢) البيت للكميت (اللسان : وحد) . قال الجوهرى : العرب تقول : أنتم حى واحد ، وحى واحدون ، كما يقال شرذمة قليلون ، وأنشد للكميت : « فرد قواصى الأحياء . . . البيت » . وهو يشبه كلام الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٢٩) قال : وقوله « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » : يقول عصبة قليلة ، وقليلون وكثيرون . وأكثر كلام العرب أن يقولوا : قومك قليل وقومنا كثير . وقليلون وكثيرون : جائز عربى ، وإنما جاز لأن القلة إنما تدخلهم جميعا ، فقيل قليل ؛ وأوثر « قليل » على « قليلين » ، وجاز الجمع إذا كانت القلة تلزم جميعهم فى المعنى ، فظهرت أسماؤهم على ذلك . ومثله أنتم حى واحد ، وحى واحدون . ومعنى واحدون : واحد ، كما قال الكميت : « فرد قواصى الأحياء » . . . البيت .

خلقا ؛ قال : فنودىَ : أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه ، فانفلق البحر ، وكانوا اثنى عشر سِبْطا . قال الجريرىّ : فأحسبه قال : إنه كان لكل سبط طريق ، قال : فلما انتهى أوّل جنود فرعون إلى البحر ، هابت الخيل اللَّهَب ؛ قال : ومُثِّل لحصان منها فرس وَدِيق ، فوجد ريحها فاشتدّ ، فاتبعه الخيل ؛ قال : فلما تتامّ آخر جنود فرعون فى البحر ، وخرج آخر بنى إسرائيل ، أمر البحر فانصفق عليهم ، فقالت بنو إسرائيل : مامات فرعون وما كان ليموت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام ، قال : فرمى به على الساحل ، كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) يعنى بنى إسرائيل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) قال : هم يومئذ ستّ مئة ألف ، ولا يحصَى عدد أصحاب فرعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وأوْحَيْنا إلى مُوسَى أنْ أسْرِ بعبادِى إنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) قال : أوحى الله إلى موسى أن اجمع بنى إسرائيل ، كلّ أربعة أبيات فى بيت ، ثم اذبحوا أولاد الضأن ، فاضربوا بدمائها على الأبواب ، فإنى سآمر الملائكة ألاّ تدخل بيتا على بابه دم ، وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ، ثم اخبزوا خُبزا فَطيرا ، فإنه أسرع لكم ، ثم أسر بعبادى ، حتى تنتهى للبحر ، فيأتيك أمرى ، ففعل ؛ فلما أصبحوا قال فرعون : هذا عمل موسى وقومه ، قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا ، فأرسل فى أثرهم ألف ألف ، وخمسَ مئة ألف ، وخمس مئة مَلِك مسوّر ، مع كل ملك ألف رجل ، وخرج فرعون فى الكَرِش العظمى ، وقال (إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) قال : قطعة ، وكانوا ستّ مئة ألف ، مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : كان مع فرعون يومئذ ألف جبار ، كلهم عليه تاج ، وكلهم أمير على خيل .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : كانوا ثلاثين ملكا ساقة خلف فرعون ، يحسبون أنهم معهم ، وجبرائيل أمامهم ، يردّ أوائل الخيل على أواخرها ، فأتبعهم حتى انتهى إلى البحر ، وقوله (وإنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ) يقول : وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون ، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتلَ الملائكة من قَتَلَت من أبكارهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وإنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ) يقول : بقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : وإنهم لنا لغائظون ، بذهابهم منهم

بالعوارىّ التى كانوا استعاروها منهم من الحلىّ ، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم ، وخروجهم من أرضهم ، بكره لهم لذلك .

وقوله (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرونَ) بمعنى : أنهم معدون مؤدون ذووأداة وقوّة وسلاح . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ) بغير ألف . وكان الفرّاء يقول : كأن الحاذر الذى يحذرك الآن ، وكأن الحذر المخلوق حذرا ، لاتلقاه إلا حذرا ؛ ومن الحَذِر قول ابن أحمر :

هَلْ أُنْسَأَنْ يَوْما إلى غَيْرِهِ إنّى حَوَالِىٌّ وإنّى حَذِرْ[1]

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاء الأمصار متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ ، فمصيب الصواب فيه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت الأسود بن يزيد يقرأ (وإنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ) قال : مقوون مؤدون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، عن أيوب ، عن أبى العرجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ) يقول : مؤدون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ) يقول : حذرنا ، قال : جمعنا أمرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ) قال : مؤدون معدون فى السلاح والكراع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج أبو معشر ، عن محمد بن قيس قال : كان مع فرعون ستّ مئة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل .

---

(١) البيت لابن أحمر الباهلى . قاله المؤلف . ونسبه فى (اللسان : حول) إلى المرار بن منقذ العدوى . قال : ويقال رجل حوالى : للجيد الرأى ذى الحيلة كما قال ابن أحمر ، ويقال للمرار بن منقذ العدوى * أوتنسأن يومى إلى غيره * . وقال فى « حذر » : ورجل حذر وحذر (بكسر الذال وضمها) وحاذورة ، وحذريان : متيقظ ، شديد الحذر والفزع متحرز . وحاذر : متأهب معد ، كأنه يحذر أن يفاجأ . والجمع «حذرون وحذارى » . وفى التنزيل « وإنا لجميع حاذرون » وقرئ « حذرون وحذرون » . الأخيرة بضم الذال (حكاه الأخفش . ومعنى « حاذرون » متأهبون ، ومعنى « حذرون » خائفون . وقيل : معنى « حذرون » : معدون . الأزهرى : من قرأ « وإنا لجميع حاذرون » أى : مستعدون . ومن قرأ « حذرون » فمعناه : إنا نخاف شرهم . وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ٢٢٩) وقوله « حاذرون ، وحذرون » : حدثنى أبوليلى السجستانى ، عن ابن جرير قاضى سجستان ، أن ابن مسعود قرأ : « وإنا لجميع حاذرون » . يقولون : مؤدون فى السلاح . يقولون ذوو أداة من السلاح . و « حذرون » . وكأن الحاذر : الذى يحذرك الآن ؛ وكأن « الحذر » : المخلوق حذرا ، لاتلقاه إلا حذرا . اهـ .

حدثنا عمرو بن علىّ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا سليمان بن مُعاذ الضبىّ، عن عاصم بن بَهْدلة ، عن أبى رَزِين ، عن ابن عباس ، أنه قرأها (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ) قال : مؤدُّون مقوون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء ، وكنوز ذهب وفضة ، ومقام كريم . قيل : إن ذلك المقام الكريم : المنابر . وقوله (كَذَٰلِكَ) يقول : هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم فى هذه الآية والتى قبلها (وأَوْرَثْناها) يقول : وأورثنا تلك الجنات التى أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بنى إسرائيل . وقوله (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) فأتبع فرعون وأصحابه بنى إسرائيل ، مشرقين حين أشرقت الشمس ، وقيل حين أصبحوا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) قال : خرج موسى ليلا ، فكسف القمر وأظلمت الأرض ، وقال أصحابه : إن يوسف أخبرنا أنا سَنَنجى من فرعون ، وأخذ علينا العهد لنخرجنّ بعظامه معنا ، فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره ، فوجد عجوزا بيتها على قبره ، فأخرجته له بحكمها ، وكان حكمها (أو كلمة تشبه هذا) ، أن قالت : احملنى فأخرجنى معك ، فجعل عظام يوسف فى كسائه ، ثم حمل العجوز على كسائه ، فجعله على رقبته ، وخيل فرعون هى ملء أعنتها حُضْرًا(١) فى أعينهم ولا تبرح ، حبست عن موسى وأصحابه حتى توارَوْا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) قال : فرعون وأصحابه ، وخيل فرعون فى ملء أعنتها فى رأى عيونهم ، ولا تبرح ، حُبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا الْجَمْعَانِ ، قَالَ : أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ : كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ، فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : فلما تناظر الجمعان : جمع موسى وهم بنو إسرائيل ، وجمع فرعون وهم القبط .

(١) فى الأصل خضراء ، والراجح أنه « حضرا » ، وهو الإسراع فى العدو . أى يرونها مسرعة وهى لاتبرح أماكنها .

(قالَ أصْحابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ) أى إنا لملحقون ، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا ، وذُكر أنهم قالوا ذلك لموسى ، تشاؤما بموسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الرحمن (فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعانِ قالَ أصْحابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ) قال : تشاءموا بموسى ، وقالوا : أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعانِ) فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رمقهم ، قالوا (إنَّا لَمُدْرَكُونَ) (قالُوا) : يا موسى (أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أنْ تأتِينَا ، وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنَا) ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ، إنا لمدركون ، البحر بين أيدينا ، وفرعون من خلفنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : لما انتهى موسى إلى البحر ، وهاجت الريح العاصف ، فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى الريح ، وإلى البحر أمامهم (قالُوا يامُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قالَ كَلاَّ إنَّ مَعِيَ رَبِّى سَيَهْدِينِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى الأعرج (إنَّا لَمُدْرَكُونَ) ، وقرأه الأعرج (إنَّا لَمُدَّرَكُونَ) كما يقال نزلت ، وأنزلت .

والقراءة عندنا التى عليها قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وقوله (كَلاَّ إنَّ مَعِيَ رَبِّى سَيَهْدِينِ) قال موسى لقومه : ليس الأمر كما ذكرتم ، كلا لن تدركوا إن معى ربى سيهدين ، يقول : سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه .

كما حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لى أنه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفا من دُهم الخيل ، سوى ما فى جنده من شية الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه مُنْصَرف ، طلع فرعون فى جنده من خلفهم (فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعانِ قالَ أصْحابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قالَ كَلا إنَّ مَعِى رَبِّى سَيَهْدِينِ) أى للنجاة ، وقد وعدنى ذلك ، ولا خُلف لموعوده .

حدثنا موسى ، قال : ثناعمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ كَلاَّ إنَّ مَعِيَ رَبِّى سَيَهْدِينِ) يقول : سيكفينى ، وقال (عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الأرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ، وقوله (فَأوْحَيْنا إلى مُوسَى أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فانْفَلَقَ) ذكر أن الله كان قد أمر البحر ألاَّ ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : فتقدّم هارون ، فضرب البحر ، فأبى أن ينفتح ، وقال : من هذا الجبار الذى يضربنى ، حتى أتاه موسى ، فكناه أبا خالد ، وضربه فانفلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : أوحى الله فيما ذكر إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلِقْ له ، قال : فبات البحر يضرب بعضه بعضا ، فرقا من الله ، وانتظار أمره ، وأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها وفيها سلطان الله الذى أعطاه ، فانفلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، ظن سليمان التيمىّ ، عن أبى السليل ، قال : لما ضرب موسى بعصاه البحر ، قال : إيهاً أبا خالد ، فأخذه إفكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج وحجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله وغيره ، قالوا : لما انتهى موسى إلى البحر وهاجت الريح والبحر يرمى بتياره ، ويموج مثل الجبال ، وقد أوحى الله إلى البحر أن لاينفلق حتى يضربه موسى بالعصا ، فقال له يُوشَع : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : هاهنا ، قال : فجاز البحر ما يوارى حافره الماء ، فذهب القوم يصنعون مثل ذلك ، فلم يقدروا ، وقال له الذى يكتم إيمانه : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : هاهنا ، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ، ثم قحمه البحر فأرسب فى الماء ، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق ، فإذا الرجل واقف على فرسه ، لم يبتلّ سرجه ولا لبده .

وقوله (فَكانَ كُلّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى ، كالجبل العظيم ، وذُكر أنه انفلق اثنتى عشرة فلقة ، على عدد الأسباط ، لكل سبط منهم فرق ؛ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فانْفَلَقَ فَكانَ كُلّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ) يقول : كالجبل العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل ، وكان فى البحر اثنا عشر طريقا ، فى كل طريق سِبْط ، وكان الطريق كما إذا انفلقت الجدران ، فقال : كل سبط قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى دعا الله ، فجعلها قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر آخرهم إلى أوّلهم حتى خرجوا جميعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج وحجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله وغيره ، قالوا : انفلق البحر ، فكان كل فِرْق كالطَّود العظيم ، اثنا عشر طريقا فى كل طريق سبط ، وكان بنو إسرائيل اثنى عشر سِبطا ، وكانت الطرق بجدران ، فقال كل سبط : قد قُتِل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى ، دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان ، ينظر بعضهم إلى بعض ، وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قطّ حتى عبر .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : لما انفلق البحر لهم صار فيه كُوًى ينظر بعضهم إلى بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق (فَكانَ كُلّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ) أى كالجبل على نَشَز من الأرض .

حدثنى علىّ ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَكانَ كُلّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ) يقول : كالجبل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عُبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (كالطَّوْدِ العَظِيمِ) قال : كالجبل العظيم ؛ ومنه قول الأسود بن يَعْفُر :

حَلُّوا بأنْقِرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ ماءُ الفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أطْوَادِ[1]

يعنى بالأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْأَخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)

⁂ يعنى بقوله تعالى ذكره (وأزْلَفْنا ثَمَّ الآخَرِينَ) : وقرّبنا هنالك آل فرعون من البحر ، وقدمناهم إليه ، ومنه قوله (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ للْمُتَّقِينَ) بمعنى : قُرِّبت وأُدنيت ؛ ومنه قول العجّاج :

طَىَّ اللَّيالى زُلَفًا فَزُلَفَا سَمَاوَةَ الهِلالِ حتى احْقَوْقَفَا[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (وأزْلَفْنا ثَمَّ الآخَرِينَ) قال : قرّبنا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (وأزْلَفْنا ثَمَّ الآخَرِينَ) قال : هم قوم فرعون قرّبهم الله ، حتى أغرقهم فى البحر .

---

(١) البيت للأسود بن يعفر ، قاله المؤلف . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مخطوطة الجامعة ص ١٧٢) قال : كالطود العظيم : أى الجبل . قال : « حلوا بأنقرة . . . . البيت » وفى (اللسان : طود) : الطود : الجبل العظيم . وفى حديث عائشة تصف أباها (رضى الله عنهما) : ذاك طود منيف : أى جبل عال . والطود : الهضبة . عن ابن الأعرابى . والجمع : أطواد . اهـ . وفى رواية أبى عبيدة فى مجاز القرآن : « يجيش » فى موضع : يسيل . ورواية البكرى فى معجم ما استعجم ص ٢٠٤ طبعة القاهرة : « يسيل » كرواية المؤلف . وأنقرة : موضع بظهر الكوفة ، أسفل من الخورنق ، كانت إياد تنزله فى الدهر الأول ، إذا غلبوا على ما بين الكوفة والبصرة . قال البكرى : وفيه اليوم طيىء وسليح ، وفى بارق إلى هيث وما يليها ، كلها منازل طيىء وسليح . هذا قول عمر بن شبة . وقال غيره : أنقرة : موضع بالحيرة . وقد صرحوا بأن أنقرة هذه غير أنقرة التى فى بلاد الروم (الأناطول) وهى الآن قاعدة دولة الترك .

(٢) البيت من مشطور الرجز ، وهما للعجاج ، من أرجوزة مطولة له ، وصف ارتحاله فى ظلال الليل ، وجملا ناجيا حمله . (انظر اللسان : زلف . وأراجيز العرب للسيد البكرى ص ٥٢) . وقبل البيتين بيت متصل بمعناهما ، وهو قوله * ناج طواه الأين مما وجفا * قال فى اللسان : يقول : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة . وقال السيد البكرى : زلفا فزلفا : أى درجة فدرجة . وسماوة : أى أعلى . واحقوقف : اعوج . يريد طواه السير كما تطوى الليالى الأهلة حتى تنحل (من النحول) وتعوج اهـ . وفى اللسان : الزلف (كسبب) والزلفة والزلفى : القربة ، والدرجة والمنزلة . وأزلف الشىء : قربه . وفى التنزيل : « وأزلفت الجنة للمتقين » : أى قربت . قال الزجاج : وتأويله : أى قريب دخولهم فيها ، ونظرهم إليها . وقوله عز وجل : « وأزلفنا ثم الآخرين » : معنى أزلفنا : جمعنا ، وقيل : قربنا الآخرين من الغرق ، وهم أصحاب فرعون ، وكلاهما : حسن جميل ، لأن جمعهم : تقريب بعضهم من بعض . والبيتان من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (ص ١٧٢ من مخطوطة جامعة القاهرة) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : دنا فرعون وأصحابه بعد ماقطع موسى ببنى إسرائيل البحر ، من البحر ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا ، قال : ألا ترون البحر فرق منى ، قد تفتح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم ، فذلك قول الله (وأزْلَفْنا ثَمَّ الآخَرِينَ) يقول : قرّبنا ، ثم الآخرين هم آل فرعون ؛ فلما قام فرعون على الطرق ، وأبت خيله أن تتقحّم ، فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيانة ، فتشامّت الحصن ريح الماذيانة ، فاقتحمت فى أثرها ، حتى إذا همّ أوّلهم أن يخرج ، ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، وتفرّد جبرائيل بمقلة من مقل البحر ، فجعل يدسها فى فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : أقبل فرعون فلما أشرف على الماء ، قال أصحاب موسى : يامُكلم الله ، إن القوم يتبعوننا فى الطريق ، فاضرب بعصاك البحر فاخلطه ، فأراد موسى أن يفعل ، فأوحى الله إليه : أن اترك البحر رَهْوا : يقول : أمره على سكناته ، (إنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) إنما أمكر بهم ، فإذا سلكوا طريقكم غرقتهم ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر ، قال : ألا ترون البحر فرق منى ، حتى تفتح لى ، حتى أُدرِك أعدائى فأقتلهم ؟ فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان ، فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال ، هاب وخاف ، وقال فرعون : أنا راجع ، فمكر به جبرائيل عليه السلام ، فأقبل على فرس أنثى ، فأدناها من حصان فرعون ، فطفق فرسه لايقرّ ، وجعل جبرائيل يقول : تقدّم ، ويقول : ليس أحد أحقّ بالطريق منك ، فتشامّت الحُصُن الماذيانة ، فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره ؛ فلما انتهى فرعون إلى وسط البحر ، أوحى الله إلى البحر ، خذ عبدى الظالم وعبادى الظلمة ، سلطانى فيك ، فإنى قد سلطتك عليهم ، قال : فَتَغَطْمَطَتْ تلك الفِرَق من الأمواج ، كأنها الجبال ، وضرب بعضها بعضا ؛ فلما أدركه الغرق (قالَ آمَنْتُ أنَّه لاإلَهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرَائِيلَ ، وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ) وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسَف عليه ، لما ردّ من آيات الله ، ولطول علاج موسى إياه ، فدخل فى أسفل البحر ، فأخرج طينا ، فحشاه فى فم فرعون لكيلا يقولها الثانية ، فتدركه الرحمة ، قال : فبعث الله إليه ميكائيل يُعَيره (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ) ؟ وقال جبرائيل : يا محمد ما أبغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين : أحدهما من الجنّ ، وهو إبليس ، والآخر فرعون ؛ قال : أنا ربكم الأعلى ، ولقد رأيتنى يا محمد ، وأنا أحشو فى فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ، وقد زعم بعضهم أن معنى قوله (وأزْلَفْنا ثَمَّ الآخَرِينَ) وجمعنا ، قال : ومنه ليلة المزدلفة ، قال : ومعنى ذلك : أنها ليلة جَمْع . وقال بعضهم : وأزلفنا ثم : وأهلكنا . وقوله (وأنجَيْنا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أجمَعِينَ) يقول تعالى ذكره : وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه ، من الغرق فى البحر ، ومَن مع موسى من بنى إسرائيل أجمعين ، وقوله (ثُمَّ أغْرَقْنا الآخَرِينَ) يقول : ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط فى البحر ، بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه ، وقوله (إنَّ فِى ذلكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلت بفرعون ومن معه ، من تغريقى إياهم فى البحر ، إذ كذّبوا رسولى موسى ، وخالفوا أمرى بعد الإعذار إليهم والإنذار ، لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش ، على أن ذلك سنتى فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلى ،

وعظة لهم وعبرة، إن ادّكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك، مع البرهان والآيات التى قدأتيتهم، فيحلّ بهم من العقوبة نظير ما حلّ بهم ، ولك آية فى فعلى بموسى ، وتنجيتى إياه، بعد طول علاجه فرعون وقومه منه ، وإظهارى إياه، وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم، على أنى سالك فيك سبيله ، إن أنت صَبرت صبره ، وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه، ومظهرك على مكذّبيك ومعليك عليهم، (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول: وما كان أكثر قومك يامحمد مؤمنين، بما أتاك الله من الحقّ المبين، فسابق لهم فى علمى أنهم لايؤمنون ، (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ) فى انتقامه ممن كفر به ، وكذب رسله من أعدائه ، (الرَّحِيمُ) بمن أنجى من رسله وأتباعهم من الغرق والعذاب الذى عذّب به الكفرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١)

يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد ، خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أىّ شىء تعبدون ؟ (قالُوا) له : (نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) ، يقول : فنظلّ لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها . وقد بيّنا معنى العكوف بشواهده فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وكان ابن عباس فيما رُوى عنه يقول فى معنى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (قالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) قال : الصلاة لأصنامهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ؟ (٧٣) قَالُوا : بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لهم : هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم . واختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض نحوىّى البصرة معناه : هل يسمعون منكم ، أو هل يسمعون دعاءكم، فحذف الدعاء ، كما قال زُهَير :

القائِدُ الخَيْلَ مَنْكُوبًا دَوَابِرُهَا قَدْ أُحْكِمَتْ حَكَمَاتِ القِدِّ والأَبَقَا[1]

---

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى المزنى ، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ٢٤٨) قال شارحه : الدوابر : الحوافر ، أى تأكلها الأرض وتؤثر فيها . (وفى اللسان : دبر) : دابرة الحافر مؤخره . وقيل : هى التى تلى مؤخر الرسغ . وجمعها : دوابر . (وأحكمت) : جعل لها حكمات . والحكمة : التى تكون على الأنف من الرسن . والقد : ما قطع من الجلد . والأبق : شبه الكتان ، وقيل : هو القنب . اهـ . وفى (اللسان : حكم) : والحكمة: حديدة فى اللجام ، =

وقال : يريد أحكمت حكمات الأبق ، فألقى الحكمات وأقام الأبق مُقامها . وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام فى ذلك هو ماجاء فى القرآن ، لأن العرب تقول : سمعت زيدا متكلما ، يريدون : سمعت كلام زيد ، ثم تعلم أن السمع لايقع على الأناسىّ ، إنما يقع على كلامهم ، ثم يقولون : سمعت زيدا : أى سمعت كلامه ، قال : ولو لم يقدم فى بيت زهير حكمات القدّ لم يجز أن ينسق بالأبق عليها ، لأنه لايقال : رأيت الأبقَ ، وهو يريد الحكمة ، وقوله (أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) يقول : أو تنفعكم هذه الأصنام ، فيرزقونكم شيئا على عبادتكموها ، أو يضرّونكم فيعاقبونكم على تركككم عبادتها ، بأن يسلبوكم أموالكم ، أو يُهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم (قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلكَ يَفْعَلُونَ) وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ماذكر عما ترك ، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسألته إياهم (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) فكان جوابهم إياه : لا ، مايسمعوننا إذا دعوناهم ، ولاينفعوننا ولا يضرّون ، يدلّ على أنهم بذلك أجابوه قولهم (بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلكَ يَفْعَلُونَ) وذلك رجوع عن مجحود ، كقول القائل : ما كان كذا بل كذا وكذا . ومعنى قولهم (وَجَدْنا آباءَنا كذلكَ يَفْعَلُونَ) وجدنا من قبلنا . ولا يضرّون ، يدلّ على أنهم بذلك أجابوه . قولهم من آبائنا يعبدونها ، ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها ، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم ، واتباعا لمنهاجهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ الْعَٰلَمِينَ (٧٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : (أَفَرَأَيْتُمْ) أيها القوم (ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) من هذه الأصنام (أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ) يعنى بالأقدمين : الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم ، وهم الأوّلون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ، (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لى إِلَّا رَبَّ العالَمِينَ) : يقول قائل : وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم ، فإن معنى ذلك : فانهم عدوّ لى لو عبدتهم يوم القيامة ، كما قال جلّ ثناؤه (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) . وقوله (إِلَّا رَبَّ العالَمِينَ) نصبا على الاستثناء ، والعدوّ بمعنى الجمع ، ووحّد لأنه أخرج مخرج المصدر ، مثل القعود والجلوس . ومعنى الكلام : أفرأيتم كلّ معبود لكم ولآبائكم ، فإنى منه برىء لاأعبده ، إلا ربّ العالمين .

= تكون على أنف الفرس وحنكه ، تمنعه عن مخالفة راكبه (وحكم الفرس حكما) بفتح الحاء (وأحكمه بالحكمة : جعل للجامه حكمة) وكانت العرب تتخذها من القد والأبق لأن قصدهم الشجاعة ، لاالزينة ؛ قال زهير : « القائد الخيل » . . . البيت . يريد قد أحكمت بحكمات القد ، وبحكمات الأبق . فحذف الحكمات ، وأقام الأبق مكانها . ويروى : « محكومة حكمات القد والأبقا » على اللغتين جميعا . قال أبو الحسن : عدى « قد أحكمت » لأن فيه معنى قلدت ، وقلدت : متعدية إلى مفعولين . الأزهرى : وفرس محكومة : فى رأسها حكمة ، وأنشد * محكومة حكمات القد والأبق . ابن شميل : الحكمة : حلقة تكون فى فم الفرس .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)

يقول : فإنهم عدوّ لى إلا ربّ العالمين (الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ) للصواب من القول والعمل ، ويسدّدنى للرشاد (وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ) يقول : والذى يغذونى بالطعام والشراب ، ويررزقنى الأرزاق (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) يقول : وإذا سقم جسمى واعتلّ ، فهو يبرئه ويعافيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)

يقول : والذى يميتنى إذا شاء ثم يحيينى إذا أراد بعد مماتى (وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدّينِ) فربّى هذا الذى بيده نفعى وضرّى ، وله القدرة والسلطان ، وله الدنيا والآخرة ، لا الذى لايسمع إذا دُعى ، ولا ينفع ولا يضرّ ، وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجا على قومه ، فى أنه لاتصلح الألوهة ، ولا ينبغى أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال ، لالمن لايطيق نفعا ولا ضرّا . وقيل : إن إبراهيم صلوات الله عليه ، عنى بقوله (وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدّينِ) والذى أرجوأن يغفرلى قولى (إنّى سَقِيمٌ) ،وقولى (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ،وقولى لسارة إنها أختى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (أَنْ يَغْفِرَ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدّينِ) قال : قوله (إنّى سَقِيمٌ) ، وقوله (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وقوله لسارَة : إنها أختى ،حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدّينِ) قال : قوله (إنّى سَقِيمٌ) ، وقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وقوله لسارَة : إنها أختى .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد نحوه . ويعنى بقوله (يَوْمَ الدّينِ) يوم الحساب ، يوم المجازاة ، وقد بيّنا ذلك بشواهده فيما مضى .

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخَرِينَ (٨٤)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن مسألة خليله إبراهيم إياه (رَبِّ هَبْ لِى حُكْما) يقول : ربّ هب لى نبوّة (وأَلْحِقْنِى بالصَّالِحِينَ) يقول: واجعلنى رسولا إلى خلقك، حتى تلحقنى بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك ، وأتممته على وحيك ، واصطفيته لنفسك ، وقوله (وَاجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ) يقول : واجعل لى فى الناس ذكرا جميلا ، وثناء حسنا ، باقيا فيمن يجىء من القرون بعدى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة ، قوله (وَاجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ) ، قوله (وآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيا) قال: إن الله فضله بالخُلّة حين اتخذه خليلا ، فسأل الله فقال (وَاجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ) حتى لاتكذّبنى الأمم ، فأعطاه الله ذلك ، فإن اليهود آمنت بموسى ، وكفرت بعيسى ، وإن النصارى آمنت بعيسى ، وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود : هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقرّوا له بالنبوّة وآمنوا به ، فقال (ما كانَ إبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا ، وَلَكِنْ كانَ حَنِيفا مُسْلِما وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) ، ثم ألحق ولايته بكم فقال (إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بإبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِىُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللهُ وَلِىُّ المُؤْمِنِينَ) فهذا أجره الذى عجل له ، وهى الحسنة ، إذ يقول (وآتَيْناهُ فى الدُّنْيا حَسَنَةً) وهو اللسان الصدق الذى سأل ربه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ) قال : اللسان الصِّدْق : الذكْر الصدق ، والثناء الصالح ، والذكر الصالح فى الآخرين من الناس ، من الأمم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)

⁂ يعنى إبراهيم صلوات الله عليه بقوله (وَاجْعَلْنِى مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) أورثنى ياربّ من منازل مَن هلك مِن أعدائك المشركين بك من الجنة، وأسكنى ذلك (وَاغْفِرْ لأَبِى) يقول : واصفح لأبى عن شركه بك، ولا تعاقبه عليه (إنَّه كانَ مِنَ الضَّالِّينَ) يقول : إنه كان ممن ضلّ عن سبيل الهدى، فكفر بك .

وقد بيّنا المعنى الذى من أجله استغفر إبراهيم لأبيه صلوات الله عليه ، واختلاف أهل العلم فى ذلك ، والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَلا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ) يقول : ولا تُذِلّنى بعقابك إياى يوم تبعث عبادك من قبورهم

لموقف القيامة (يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ) يقول: لاتخزنى يوم لاينفع مَنْ كفر بك وعصاك فى الدنيا مالٌ كان له فى الدنيا ، ولا بنوه الذين كانوا له فيها ، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه ، ولا ينجيه منه .

وقوله (إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يقول : ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لاينفع إلا القلب السليم .

والذى عنى به من سلامة القلب فى هذا الموضع : هو سلامة القلب من الشكّ فى توحيد الله ، والبعث بعد الممات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَة ، عن عون ، قال : قلت لمحمد : ما القلب السليم ؟ قال أن يعلم أن الله حقّ ، وأن الساعة قائمة ، وأن الله يبعث من فى القبور .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : لاشكّ فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : ليس فيه شكّ فى الحقّ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك ، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد .

حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآمُلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قول الله (إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : هو الخالص .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ؟ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُنَ، (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ)وأدنيت الجنة وقرّبت للمتقين ، الذين اتقوا عقاب الله فى الآخرة ، بطاعتهم إياه فى الدنيا (وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغاوِينَ) يقول: وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل (وَقِيلَ) للغاوين (أيْنَما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ)من الأنداد (هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ) اليوم من الله ، فينقذونكم من عذابه (أوْ يَنْتَصِرُونَ) لأنفسهم ، فينجونها مما يُرَاد بها ؟

وقوله (فَكُبْكِبُوا فيها هُمْ والغاوُونَ) يقول : فرمى ببعضهم فى الجحيم على بعض ، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم . وأصل كبكبوا : كببوا ، ولكن الكاف كرّرت كما قيل : (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) يعنى به صرّ ، ونهنهى ينهنى ، يعنى به : نهى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله : (فَكُبْكِبُوا) قال : فدهوروا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (فَكُبْكِبُوا فِيها) يقول : فجمعوا فيها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَكُبْكِبُوا فِيها) قال : طرحوا فيها ، فتأويل الكلام : فكبب هؤلاء الأنداد التى كانت تعبد من دون الله فى الجحيم (والغاوُونَ).

وذُكر عن قتادة أنه كان يقول : الغاوون فى هذا الموضع : الشياطين .

ذكر الرواية عمن قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالغاوُونَ) قال : الغاوون : الشياطين .

فتأويل الكلام على هذا القول الذى ذكرنا عن قتادة : فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين .

وقوله (وَجُنُودُ إبْلِيسَ أجمَعُونَ) يقول : وكبكب فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون ، وجنوده ، كل من كان من تباعه من ذرّيته كان أو من ذرّية آدم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء الغاوون والأنداد التى كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس ، وهم فى الجحيم يختصمون (تاللهِ إنْ كُنَّا لَفى ضَلالٍ مُبِينٍ) يقول : تالله لقد كنا فى ذهاب عن الحقّ ، إن كنا لفى ضلال مبين ، يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه ، لمن تأمله وتدبره ، أنه ضلال وباطل . وقوله (إذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبّ العالَمِينَ)يقول : الغاوون : للذين يعبدونهم من دون الله ، تالله إن كنا لفى ذهاب عن الحقّ حين نعدلكم بربّ العالمين فنعبدكم من دونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمِينَ) قال : لتلك الآلهة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ، فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٢)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين فى الجحيم (وَما أضَلَّنا إلاَّ المُجْرِمُونَ) يعنى بالمجرمين إبليس ، وابن آدم الذى سنّ القتل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عكرمة ، قوله (وَما أضَلَّنا إلاَّ المُجْرِمُونَ) قال : إبليس وابن آدم القاتل .

وقوله (فَمَا لَنا مِنْ شافِعِينَ) يقول : فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأباعد ، فيعفو عنا ، وينجينا من عقابه (وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) من الأقارب .

واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بالشافعين ، وبالصديق الحميم ، فقال بعضهم : عنى بالشافعين : الملائكة ، وبالصديق الحميم : النسيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (فَمَا لَنا مِنْ شافِعِينَ) قال : من الملائكة (وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) قال : من الناس ، قال مجاهد : صديق حميم ، قال : شقيق .

وقال آخرون : كل هؤلاء من بنى آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا إسحاق بن سعيد البصرىّ المِسْمِعىّ ، عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعىّ ، قال : كان قَتادة إذا قرأ (فَمَا لَنا مِنْ شافِعِينَ ، وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) قال : يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع .

وقوله (فَلَوْ أنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) يقول : فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا ، فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن فيما احتجّ به إبراهيم على قومه من الحجج التى ذكرنا له ، لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر ، على أن سنة الله فى خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة ، ويقتدون بهم فى ذلك ، ماسنّ فيهم فى الدار الآخرة ، من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس فى الجحيم ، وما كان أكثرهم فى سابق علمه مؤمنين ، وإن ربك يامحمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد دونه ، ثم لم يتب من كفره حتى هلك ، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجُرم .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟(١٠٦) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : كذّبت قوم نوح رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما قال لهم أخوهم نوح (ألا تَتَّقُونَ) ، فتحذروا عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم رسله (إنّى لَكُمْ رَسُولٌ) من الله (أمِينٌ) على وحيه إلىّ ، برسالته إياى إليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. (١٠٩) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به ، وأطيعونى فى نصيحتى لكم ، وأمرى إياكم باتقائه (وَما أسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ) يقول : وما أطلب منكم على نصيحتى لكم ، وأمرى إياكم باتقاء عقاب الله ، بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، من ثواب ولا جزاء (إنْ أجرِىَ إلاّ عَلى رَبّ العالَمِينَ) دونكم ودون جميع خلق الله ، فاتقوا عقاب الله على كفركم به ، وخافوا حلول سخطه بكم ، على تكذيبكم رسله ، وأطيعون : يقول : وأطيعونى فى نصيحتى لكم ، وأمرى إياكم باخلاص العبادة لخالقكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ : وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح له ، مجيبيه عن قيله لهم : إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون . قالوا : أنومن لك يانوح ، ونقرّ بتصديقك فيما تدعونا إليه ، وإنما اتبعك منا الأرذلون ، دون ذوى الشرف وأهل البيوتات (قال وَما عِلْمِى بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) قال نوح لقومه : وما علمى بما كان أتباعى

يعملون، إنما لى منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أُكلَّف علمَ باطنهم، وإنما كُلِّفت الظاهر، فمن أظهر حسنا، ظننت به حسنا، ومن أظهر سيئا، ظننت به سيئا (إن حسابُهُمْ إلاَّ عَلى ربِّى لَوْ تَشْعُرُونَ): يقول: إنْ حسابُ باطن أمرهم الذى خفى عنى إلا على ربى لو تشعرون، فإنه يعلم سرّ أمرهم وعلانيته.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، قوله (إنْ حِسابُهُمْ إلاَّ عَلى رَبّى لَوْ تَشْعُرُونَ) قال: هو أعلم بما فى نفوسهم.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ (١١٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعنى، على التصديق بما جئت به من عند الله (إنْ أنا إلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم، أنذركم بأسه وسطوته على كفركم به. مبين: يقول: نذير قد أبان لكم إنذاره، ولم يكتمكم نصيحته (قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ) يقول: قال لنوح قومه: لئن لم تنته يانوح عما تقول، وتدعو إليه، وتعيب به آلهتنا، لتكوننّ من المشتومين. يقول: لنشتمك.

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ (١١٧) فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا، وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره: (قالَ) نوح (رَبِّ إنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ) فيما أتيتهم به من الحقّ من عندك، وردّوا علىّ نصيحتى لهم (فَافْتَحْ بَيْنِى وبَيْنَهم فَتْحًا) يقول: فاحكم بينى وبينهم حكما من عندك، تهلك به المُبطل، وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك، وكذّب رسولك.

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فى قوله (فافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحا) قال: فاقض بينى وبينهم قضاء.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (فافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحا) قال: يقول: اقض بينى وبينهم، (وَنَجِّنِى) يقول: ونجنى من ذلك العذاب الذى تأتى به حكما بينى وبينهم (وَمَنْ مَعِىَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) يقول: والذين معى من أهل الإيمان بك، والتصديق لى.

وقوله (فَأَنجَيْنَاه وَمَنْ مَعَهُ فِى الفُلْكِ المَشْحُونِ) يقول : فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين ، حين فتحنا بينهم وبين قومهم ، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين فى الفلك المشحون ، يعنى فى السفينة المُوقَرة المملوءة وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (الفُلْكِ المَشْحُونِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِى الفُلْكِ المَشْحُونِ) قال : يعنى المُوقَر .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : المشحون : الموقَر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الفُلْكِ المَشْحُونِ) قال : المفروغ منه المملوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : المشحون : المفروغ منه تحميلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قول الله (الفُلْكِ المَشْحُونِ) قال : هو المحمل .

وقوله (ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الباقِينَ) من قومه الذين كذّبوه ، وردّوا عليه النصيحة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين فى الفلك المشحون ، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا بقومه الذين كذّبوه ، لآية لك ولقومك المصدّقيك منهم والمكذّبيك ، فى أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم ، إذا نزلت نقمتنا بالمكذّبين بهم من قومهم ، وإهلاك المكذّبين بالله ، وكذلك سنتى فيك وفى قومك (وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدّقونك مما سبق فى قضاء الله أنهم لن يؤمنوا . (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ) فى انتقامه ممن كفر به ، وخالف أمره (الرَّحِيمُ) بالتائب منهم ، أن يعاقبه بعد توبته .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّى لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : كذّبت عاد رسل الله إليهم (إذْ قالَ لَهُمْ أخُوهُمْ هُودٌ ألاَ تَتَّقُونَ) عقاب الله على كفركم به (إنّى لَكُمْ رَسُولٌ) من ربى يأمركم بطاعته ، ويحذّركم على كفركم بأسه ، (أمِينٌ) على وحيه ورسالته (فاتَّقُوا اللهَ) بطاعته والانتهاء إلى ما يأمركم وينهاكم (وأطِيعُونِ) فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته (وَما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ) يقول : وما أطلب منكم على أمرى إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا (إنْ أجْرِيَ إلاّ عَلى رَبّ العالَمِينَ) يقول : ما جزائى وثوابى على نصيحتى إياكم إلا على ربّ العالمين .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه (أتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) والرِّيع : كلّ مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد ؛ ومنه قول ذى الرُّمَّة :

طِرَاقُ الخَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِى رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ[1]

وقول الأعشى :

وَيَهْمَاءُ قَفْرٍ تَجاوَزْتَها إذَا خَبَّ فِى رِيعِهَا آلُهَا[2]

(١) البيت لذى الرمة (اللسان : ريع) . قال : والريع : الجبل ، والجمع أرياع ، وريوع ، ورياع . وقيل : الواحدة ريعة . والجمع : رياع . وحكى ابن برى عن أبى عبيدة : الريعة : جمع ريع ، خلاف قول الجوهرى ، قال ذو الرمة : * طراق الخوافى واقعا فوق ريعة * والريع : السبيل ، سلك أولم يسلك . وقوله تعالى : « أتبنون بكل ريع آية » . وقرئ : « بكل ريع » ، (بفتح الراء) : قيل فى تفسيره : بكل مكان مرتفع . وقيل معناه : بكل فج . والفج : الطريق المنفرج فى الجبال خاصة . وقيل : بكل طريق . وقال الفراء : الريع والريع (بكسر الراء وفتحها) لغتان ، مثل الرير والرير . اه . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ١٧٣) : بكل ريع ، وهو الارتفاع من الأرض ، والطريق . والجمع أرياع وريعة . قال ذو الرمة :

طِرَاقُ الخَوَافِى مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِى رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ

وفى (اللسان : طرق) : وطائر طراق الريش : إذا ركب بعضه بعضا . قال ذو الرمة يصف بازيا :

طِرَاقُ الخَوَافِى وَاقِعٌ فَوْقَ رِيعِهِ نَدَى لَيْلِهِ فِى رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ

ويترقرق : يلمع . وكل شىء له بصيص وتلألؤ فهو رقراق . والخوافى : ما تحت القوادم فى الطائر من الريش . والقوادم : جمع قادمة ، وهى أربع ريشات طويلة فى أول جناحه .

(٢) البيت نسبه المؤلف للأعشى (أعشى بنى قيس بن ثعلبة) وفى ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ١٦٣ – ١٦٩) قصيدة من هذا البحر المتقارب ومن القافية نفسها ، عدتها ٤٧ بيتا ، يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى . ولكن البيت سقط منها فى نسخة=

وفيه لغتان : رِيع ورَيع ، بكسر الراء وفتحها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) يقول : بكلّ شرف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِكُلِّ رِيعٍ) قال : فجّ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً) قال : بكل طريق .

حدثنى سليمان بن عبيد الله الغيلانى ، قال : ثنا أبو قُتيبة ، قال : ثنا مسلم بن خالد ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) قال : الريع : الثنية الصغيرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال عكرمة (بِكُلِّ رِيعٍ) قال : فجّ وواد ، قال : وقال مجاهد (بِكُلِّ رِيعٍ) بين جبلين .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) قال : شرف ومنظر .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (بِكُلِّ رِيعٍ) قال : بكلّ طريق .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِكُلِّ رِيعٍ) بكلّ طريق . ويعنى بقوله (آيَةً) بنيانا ، عَلَما . وقد بيَّنا فى غير موضع من كتابنا هذا ، أن الآية هى الدلالة والعلامة ، بالشواهد المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى ألفاظهم فى تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً) قال : الآية : عَلَم .

= الديوان ، ولعله يوجد فى نسخ أخرى منه قديمة . واليهماء : المفازة : لا ماء بها ولا أنيس . وخب : تحرك واضطرب . والريع قد فسرناه فى الشاهد قبل هذا ، ونقلنا كلام العلماء . والآل : السراب . وخب السراب : أى تحرك ولمع . وهذا الشاهد كالذى قبله . يريد المؤلف : أنه كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد . وفيه لغتان : ريع وريع بكسر الراء وفتحها كما قال ، وكما قال غيره من أهل اللغة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِكُلّ رِيعٍ آيَةً) قال : آية : بنيان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (آيَةً) بنيان .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، فى قوله (بِكُلّ رِيعٍ آيَةً) قال : بنيان الحمام .

وقوله (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .

وقوله (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) اختلف أهل التأويل فى معنى المصانع ، فقال بعضهم : هى قصور مشيدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) قال : قصور مشيدة ، وبنيان مخلد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (مَصَانِعَ) : قصور مشيدة وبنيان .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن مجاهد ، قال : (مَصَانِعَ) يقول : حصون وقصور .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم ، عن رجل ، عن مجاهد ، قوله (مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) قال : أبرجة الحمام .

وقال آخرون : بل هى مآخذ للماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مَصَانِعَ) قال : مآخذ للماء .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن المصانع جمع مَصْنَعة ، والعرب تسمى كلّ

بناء مصنعة ، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة ، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء ، ولا خبر يقطع العذر بأىّ ذلك كان ، ولا هو مما يُدرك من جهة العقل .

فالصواب أن يقال فيه ، ما قال الله : إنهم كانوا يتخذون مصانع .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) يقول : كأنكم تخلدون ، فتبقون فى الأرض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) يقول : كأنكم تخلدون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال فى بعض الحروف (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) كأنكم تخلدون . وكان ابن زيد يقول : لعلكم : فى هذا الموضع استفهام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) قال : هذا استفهام ، يقول : لعلكم تخلدون حين تبنون هذه الأشياء .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم فى هذا الموضع بمعنى « كيما » .

وقوله (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) يقول : وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف ، وضربا بالسياط .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) قال : القتل بالسيف والسياط .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد : اتقوا عقاب الله أيها القوم ، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، وانتهوا عن اللهو واللعب ، وظلم الناس ، وقهرهم بالغلبة والفساد فى الأرض ، واحذروا سخط الذى أعطاكم من عنده ما تعلمون ، وأعانكم به من بين المواشى والبنين والبساتين والأنهار (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ) من الله (عَظِيمٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم : مُعتدلٌ عندنا وعظُك إيانا ، وتركك الوعظ ، فلن نؤمن لك ، ولن نصدّقك على ماجئتنا به .

وقوله (إِنْ هَـذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة سوى أبى جعفر ، وعامة قرّاء الكوفة المتأخرين منهم (إِنْ هَـذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) من قبلنا . وقرأ ذلك أبو جعفر ، وأبو عمرو بن العلاء (إِنْ هَـذَا إِلاَّ خَلْقُ ٱلْأَوَّلِينَ) بفتح الخاء وتسكين اللام، بمعنى : ما هذا الذى جئتنا به إلا كَذِب الأوّلين وأحاديثهم .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، نحو اختلاف القرّاء فى قراءته ، فقال بعضهم : معناه : ماهذا إلا دِينِ الأوّلين وعادتهم وأخلاقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنْ هَـذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) يقول : دِين الأوّلين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة قوله (إِنْ هَـذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) يقول : هكذا خِلْقة الأوّلين ، وهكذا كانوا يَحْيَون ويموتون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هذا إلا كذب الأوّلين وأساطيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنْ هَـذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) قال : أساطير الأوّلين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلاَّ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) قال : كذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنْ هَـذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) قال : إن هذا إلا أمر الأوّلين ، وأساطير الأوّلين اكتتبها ، فهى تُملى عليه بكرة وأصيلا.

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن علقمة ، عن ابن مسعود (إِنْ هَـذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) يقول : إن هذا إلا اختلاق الأوّلين .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبيّ ، عن علقمة ، عن عبد الله ، أنه كان يقرأ (إنْ هَذَا إلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) ويقول شئ اختلقوه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبيّ ، قال : قال علقمة (إنْ هَذَا إلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) قال : اختلاق الأوّلين .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأ (إنْ هَذَا إلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) بضمّ الخاء واللام ، بمعنى : إن هذا إلا عادة الأوّلين ودينهم ، كما قال ابن عباس ، لأنهم إنما عُوتبوا على البنيان الذى كانوا يتخذونه ، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة ، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم ، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون مايفعلون من ذلك ، احتذاءً منهم سنة من قبلهم من الأمم ، واقتفاءً منهم آثارهم ، فقالوا : ماهذا الذى نفعله إلا خُلق الأوّلين ، يَعنون بالخُلق : عادةَ الأوّلين . ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل ، قولهُم (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) لأنهم لو كانوا لايُقرّون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم ، ماقالوا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) بل كانوا يقولون : إنْ هذا الذى جئتنا به ياهود إلا خلق الأوّلين ، وما لنا من معذِّب يعذّبنا ، ولكنهم كانوا مقرّين بالصانع ، ويعبدون الآلهة ، على نحو ماكان مشركو العرب يعبدونها ، ويقولون (إنَّها تُقَرِّبُنا إلى اللهِ زُلْفَى) ، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوّته (سَوَاءٌ عَلَيْنا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الوَاعِظِينَ) ثم قالوا له : ما هذا الذى نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم ، وما الله معذّبنا عليه ، كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا ، أنهم كانوا يقولون لرسلهم (إنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلَى أُمَّةٍ وَإنَّا عَلَى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : فكذّبت عاد رسول ربهم هُودًا ، والهاء فى قوله (فَكَذَّبُوهُ) من ذكر هود . (فَأَهْلَكْناهُمْ) يقول : فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا ، (إنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إنّ فى إهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها ، لعبرةً وموعظةً لقومك ياحمد ، المكذّبيك فيما أتيتهم به من عند ربك . (وَمَا كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون فى سابق علم الله . (وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ) فى انتقامه من أعدائه ، (الرحيم) بالمؤمنين به .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ؟ (١٤٢) إِنِّى لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)

يقول تعالى : كذّبت ثمود رسل الله ، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله ، فقال لهم : ألا تتقون عقاب الله ياقوم ، على معصيتكم إياه ، وخلافكم أمره ، بطاعتكم أمر المفسدين فى أرض الله ، (إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ) من الله أرسلنى إليكم بتحذيركم عقوبته ، على خلافكم أمره . (أَمِينٌ) على رسالته التى أرسلها معى إليكم ، فاتقوا الله أيها القوم ، واحذروا عقابه (وأَطِيعُونِ) فى تحذيرى إياكم وأمر ربكم ، باتباع طاعته . (وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول : وما أسألكم على نصحى إياكم ، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ) يقول : إنْ جزائى وثوابى إلّا على رب جميع ما فى السموات وما فى الأرض ، وما بينهما من خلق .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : أيتركم ياقوم ربكم فى هذه الدنيا آمنين ، لاتخافون شيئا (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) يقول : فى بساتين وعيون ماء (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) يعنى بالطَّلْع : الكُفرى .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (هَضِيمٌ) فقال بعضهم : معناه اليانع النضيج .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) يقول : أينع وبلغ ، فهو هضيم .

وقال آخرون : بل هو المتهشّم المتفتت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال محمد بن عمرو فى حديثه : تهشم هَشيما . وقال الحارث : تهشّم تهشّما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عبد الكريم يقول : سمعت مجاهدا يقول فى قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال : حين تطلع يقبض عليه فيهضمه .

قال ابن جُرَيج ، قال مجاهد: إذا مُسّ تهشّم وتفتّت ، قال : هو من الرُّطَب هضيم، تقبض عليه فتهضمه .
وقال آخرون : هو الرُّطَب اللين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هَنّاد ، قال: ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرِمة قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ) قال : الهضيم : الرُّطب اللين .
وقال آخرون : هو الراكب بعضه بعضا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (طَلْعُها هَضِيمٌ) إذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا ، حتى نقص بعضها بعضا ، فهو حينئذ هضيم .
⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : الهضيم : هو المتكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم : هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيّفه ، فكذلك الهضم فى الطلع ، إنما هو التنقص منه، من رطوبته ولينه ، إما بمسّ الأيدى ، وإما بركوب بعضه بعضا ، وأصله مفعول صُرِف إلى فعيل .
وقوله (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فَرِهِينَ) يقول تعالى ذكره : وتتخذون من الجبال بيوتا ، فاختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فارِهِينَ) فقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة (فارِهِينَ) بمعنى : حاذقين بنحتها . وقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة (فَرِهِينَ) بغير ألف ، بمعنى : أَشِرين بَطِرين .
واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على نحو اختلاف القرّاء فى قراءته ، فقال بعضهم : معنى فارهين : حاذقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح وعبد الله بن شدّاد (وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فارِهِينَ) قال أحدهما : حاذقين ، وقال الآخر : يتجبرون .
حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فارِهِينَ) قال : حاذقين بنحتها .
حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فارِهِينَ) يقول : حاذقين .
وقال آخرون : معنى فارهين : مستفرِهين متجبّرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن عبد الله بن شدّاد فى قوله (فَرِهِينَ) قال : يتجبّرون .
قال أبو جعفر : والصواب : فارهين :

وقال آخرون ممن قرأه فارهين : معنى ذلك : كَيِّسين .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فارِهِينَ) قال : كيسين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ (فارِهِينَ) قال : كيسين .

وقال آخرون : فَرِهين : أَشِرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فَرِهِينَ) يقول : أشرين ، ويقال : كيسين.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بُيُوتا فَرِهِينَ) قال : شَرِهين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بمثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : أقوياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فَرِهِينَ) قال : الفَرِه : القوىّ .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، فى قوله (فَرِهِينَ) قال : مُعْجَبين بصنيعكم .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قراءة من قرأها (فارِهِينَ) وقراءة من قرأ (فَرِهِينَ) : قراءتان معروفتان ، مستفيضة القراءة بكل واحد ة منهما فى علماء القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . ومعنى قراءة من قرأ (فارِهِينَ) : حاذقين بنحتها ، متخيرِّين لمواضع نحتها كَيِّسين ، من الفراهة . ومعنى قراءة من قرأ (فَرِهِينَ) : مَرِحين أَشِرين . وقد يجوز أن يكون معنى فارِه وفرِه واحدا ، فيكون فارها مبنيا على بنائه ، وأصله من فعِل يفعَل ، ويكون فَرِه صفة ، كما يقال : فلان حاذق بهذا الأمر وحَذِق ، ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدىّ بن وادع العوفىّ من الأزد :

لا أَسْتَكِينُ إذا ما أَزْمَةٌ أَزِمَتْ وَلَنْ تَرَانِى بِخَيْرٍ فارِهَ الطَّلَبِ

(١) البيت لعدى بن وادع الشاعر الأزدى الأعمى ، (كما سماه صاحب معجم الشعراء ص ٢٥٢) ، وكما فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (مصورة الجامعة ص ١٧٣) قال : « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » أى مرحين . قال عدى بن وادع العفوى من العفاة بن عمرو ابن فهم من الأزد : =

أى مرح الطلب . وقوله (فاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ) يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم ، وخلافكم أمره ، وأطيعون فى نصيحتى لكم ، وإنذارى إياكم عقاب الله تَرْشُدوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ (١٥١) ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوٓا۟ : إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٥٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : لاتطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم ، فى تماديهم فى معصية الله ، واجترائهم على سَخَطه ، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون فى الأرض ، ولا يصلحون ، من ثمود الذين وصفهم الله جلّ ثناؤه بقوله (وكانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ) يقول : الذين يسعَون فى أرض الله بمعاصيه ، ولا يصلحون ، يقول : ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله .

وقوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم معناه : إنما أنت من المسحُورين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) قال : من المسحورين

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) قال : إنما أنت من المسحورين .

وقال آخرون : معناه : من المخلوقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد ، قال : ثنا موسى بن عمرو ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) قال : من المخلوقين .

= لا أَسْتَكِينُ إذا ما أَزْمَةٌ أَزِمَتْ ولَمْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فارِهِ اللَّبَبِ

أى مرح اللبب . قال : ويجوز : « فرهين » فى معنى « فارهين » .

أوهو ابن وادع العوفى ، كما فى (اللسان : فره) قال : الفاره : الحاذق بالشىء والفروهة ، والفراهة والفراهية : النشاط . وفره بالكسر : أشر وبطر ، ورجل فره نشيط أشر . وفى التنزيل : « وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين » . فمن قرأه كذلك ، فهو من هذا : شرهين بطرين . ومن قرأه : « فارهين » ، فهو من فره بالضم . قال ابن برى عند هذا الموضع : قال ابن وداع العوفى :

لا أستكين إذا ما أزمة أزمت ولن ترانى بخير فاره الطلب

قال الفراء : معنى فارهين : حاذقين . اهـ . وأما « اللبب » فى رواية أبى عبيدة ، فلعلها الرواية الصحيحة . ومعناه : البال . يقال : إنه لرخى اللبب . وفى التهذيب : فلان فى بال رخى ، ولبب رخى : أى فى سعة وخصب وأمن .

⁂ واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك ، فكان بعض أهل البصرة يقول : كلّ من أكل من إنس أو دابة فهو مسحَّر ، وذلك لأن له سَحْرا يَقْرِى ما أكل فيه ، واستشهد على ذلك بقول لَبيد :

فإنْ تَسْأَلِينا فِيمَ نَحْنُ فإنَّنا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّرِ[1]

وقال بعض نحوِيِّى الكوفيين نحو هذا ، غير أنه قال : أخذ من قولك : انتفخ سَحْرُك : أى أنك تأكل الطعام والشراب ، فتَسْحَرّ به وتُعَلَّل . وقال : معنى قول لبيد : « من هذا الأنام المسحَّر » : من هذا الأنام المعَلَّل المخدوع . قال : ويُروى أن السِّحْر من ذلك ، لأنه كالخديعة .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : القول الذى ذكرته عن ابن عباس ، أن معناه : إنما أنت من المخلوقين الذين يُعْلَّلون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست ربا ولا ملكا فنطيعَك ، ونعلم أنك صادق فيما تقول ، والمسحَّر : المفعل من السحرة ، وهو الذى له سحرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبيها صالح (ما أنْتَ) يا صالح (إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا) من بنى آدم ، تأكل مانأكل ، وتشرب مانشرب ، ولست بربّ ولا ملك ، فعلام نتبعك ، فإن كنت صادقا فى قيلك ، وأن الله أرسلك إلينا (فَأْتِ بِآيَةٍ) يعنى : بدلالة وحجة على أنك محقّ فيما تقول ، إن كنت ممن صَدَقَنا فى دعواه أن الله أرسله إلينا .

وقد حدثنى أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابىّ ، قال : ثنا داود بن أبى الفرات ، قال : ثنا عِلباء بن أحمر ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، أن صالحا النبىّ صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى قومه ، فآمنوا به واتبعوه ، فمات صالح ، فرجعوا عن الإسلام ، فأتاهم صالح ، فقال لهم : أنا صالح ، قالوا : إن كنت صادقا فأتنا بآية ، فأتاهم بالناقة ، فكذّبوه وعقروها ، فعذّبهم الله .

---

(١) سبق الاستشهاد ببيت لبيد هذا فى (١٥ : ٩٦) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٤) قال : وكل من أكل إنس أو دابة فهو مسحر ، وذلك أن له سحرا يقرى فيه ما أكل ، قال لبيد (وأنشد البيت) . وفى (اللسان : سحر) : سحره بالطعام والشراب يسحره سحرا وسحره : غذاه وعلله . وقيل : خدعه . والسحر : الغذاء . قال امرؤ القيس :

أرَانا مُوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرَابِ

موضعين : مسرعين . ولأمر غيب : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته ، ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب . والسحر : الخديعة . وقول لبيد : « فإن تسألينا . . . البيت » . يكون على وجهين . وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحرين » ؛ يكون من التغذية ومن الخديعة . وقال الفراء : « إنما أنت من المسحرين » : قالوا لنبى الله : لست بملك ، إنما أنت بشر مثلنا . قال : والمسحر : المجوف ؛ كأنه والله أعلم أخذ من قولك : انتفخ سحرك ، أى أنك تأكل الطعام والشراب ، فتعلل به . وقيل « من المسحرين » أى ممن سحر مرة بعد مرة .

وقوله (قالَ هَـٰذِهِ ناقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) يقول تعالى ذكره : قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه ، فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة : هذه ناقة ياقوم ، لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم ، ما لكم من الشرب ليس لكم فى يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئا ، ولا لها أن تشرب فى يومكم مما لكم شيئا ، ويعنى بالشِّرب : الحظّ والنصيب من الماء، يقول: لها حظّ من الماء ، ولكم مثله ، والشُّرْب والشَّرْب والشِّرْب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر .

وقد حُكى عن العرب سماعا : آخرها أقلها شُرْبا وشِربا .

وقوله (وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ) يقول : لاتمسوها بما يؤذيها من عَقْر وقتل ونحو ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ) لا تعقِروها . وقوله (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول : فيحلّ بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ،وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

يقول تعالى ذكره ، فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم ، فعقروا الناقة التى قال لهم صالح : لاتمسوها بسوء ، فأصبحوا نادمين على عَقْرها، فلم ينفعهم ندمهم ، وأخذهم عذاب الله الذى كان صالح توعّدهم به، فأهلكهم (إنَّ فِي ذلكَ لَآيَةً) يقول : إنّ فى إهلاك ثمود بما فعلت من عَقْرها ناقة الله وخلافها أمر نبىّ الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يامحمد من قومك (وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : ولن يؤمن أكثرهم فى سابق علم الله (وَإنَّ رَبَّكَ) يامحمد (لَهُوَ العَزِيزُ) فى انتقامه من أعدائه (الرَّحِيمُ) بمن آمن به من خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : كذّبت قوم لوط من أرسله الله إليهم من الرسل ، حين قال لهم أخوهم لوط : ألا تتقون الله أيها القوم (إنّى لَكُمْ رَسُولٌ) من ربكم (أمِينٌ) على وحيه ، وتبليغ رسالته . (فاتَّقُوا اللهَ) فى أنفسكم ، أن يَحِلّ بكم عقابه على تكذيبكم رسوله (وأطِيعُونِ فِيما دَعَوْتُكُمْ إليه ، أهدكم سبيل الرشاد (وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ) يقول : وما أسألكم على نصيحتى لكم ودعايتكم إلى ربى ، جزاء ولا ثوابا (إنْ أجْرِىَ إلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ) يقول : ماجزائى على دعايتكم إلى الله ، وعلى نُصحى لكم ، وتبليغ رسالات الله إليكم ، إلا على ربّ العالمين .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَٰلَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ ، بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)

⁂ يعنى بقوله (أتأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ العالَمِينَ) : أتنكحون الذُّكران من بنى آدم فى أدبارهم ، وقوله (وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ) يقول : وتَدَعون الذى خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهنّ ، فأحلّه لكم . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَتَذَرُونَ ما أصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ) قال : تركتم أقبال النساء ، إلى أدبار الرجال ، وأدبار النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد بنحوه .

وقوله (بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ) يقول : بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم ، وأحلّه لكم من الفروج ، إلى ماحرّم عليكم منها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ) قال : قوم معتدون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨)

⁂ يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ) عن نهينا عن إتيان الذُّكران (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) من بين أظهرنا وبلدنا (قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ) يقول : لهم لوط إني لعملكم الذى تعملونه ، من إتيان الذكران فى أدبارهم ، من القالين ، يعنى من المُبْغِضين ، المنكِرين فعله .

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١)

⁂ يقول تعالى ذكره : فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم ، إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة ، فقال (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي) من عقوبتك إياهم على مايعملون من إتيان الذكران (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) من عقوبتنا التى عاقبنا بها قوم لوط أجمعين (إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) يعنى فى الباقين ، لطول مرور السنين عليها ، فصارت هِرِمة ، فإنها أهْلِكت من بين أهل لوط ، لأنها كانت تدلّ قومها على الأضياف . وقد قيل : إنما قيل من الغابرين : لأنها لم تهلك مع قومها فى قريتهم ، وأنها إنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه ، فكانت من الغابرين بعد قومها ، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة ، وقد بيّنا ذلك فيما مضى ، بشواهده المغنية عن إعادتها .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير ، (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) ، وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل ، من السماء (فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) يقول : فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذّبوه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إن فى إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذى وصفنا ، بتكذيبهم رسولنا ، لعبرةً وموعظة لقومك يامحمد ، يتعظون بها فى تكذيبهم إياك ، وردّهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحقّ (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) فى سابق علم الله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) بمن آمن به .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ؟ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩)

⁂ يقول تعالى ذكره (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ) والأيكة : الشجر الملتفّ ، وهى واحدة الأيْك ، وكلّ شجر ملتفّ فهو عند العرب أيكة ؛ ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

تَجْلُو بِقَادِمَتَىْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِالإِثْمِدِ[1]

وأصحاب الأيكة : هم أهل مدين فيما ذُكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) يقول : أصحاب الغُيضة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) قال : الأيكة : مجمع الشجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) قال : أهل مدين ، والأيكة : الملتفّ من الشجر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) قال : الأيكة : الشجر ، بعث الله شعيبا إلى قومه من أهل مدين ، وإلى أهل البادية ، قال : وهم أصحاب ليكة وليكة ، والأيكة : واحد .

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ) يقول تعالى ذكره : قال لهم شعيب : ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم (إِنِّى لَكُمْ) من الله (رَسُولٌ أَمِينٌ) على وحيه . (فَاتَّقُوا) عقاب (اللهِ) على خلافكم أمره . (وَأَطِيعُونِ) ترشُدُوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ(١٨٠) * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١)

يقول : (وَمَا أَسْأَلُكُمْ) على نصحى لكم من جزاء وثواب ، ما جزائى وثوابى على ذلك (إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ أَوْفُوا الكَيْلَ) يقول : أوفوا الناس حقوقهم من الكيل (وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ) يقول : ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم .

(١) البيت للنابغة الذبيانى زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٨٥) قال شارحه : تجلو : تكشف . والقوادم : الريش المقدم فى جناح الطائر ، ويكون شديد السواد . شبه سواد شفتيها . بالقوادم ؛ وشبه بياض ثغرها ببياض البرد . واللثات : مغارز الأسنان ، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإثمد ، ليبين بياض الأسنان . اه . والأريكة : الشجر الكثير الملتف . وقيل : هى الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر . وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه . وقال أبو حنيفة الدينورى : قد تكون الأيكة : الجماعة من كل الشجر ، حتى من النخل . قال : والأول : أعرف . والجمع أيك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)

⁂ يعنى بقوله (وزِنُوا بالقِسْطاسِ) وزنوا بالميزان المستقيم، الذى لابخس فيه على من وزنتم له (وَلا تَبْخَسوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ) يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى الكيل والوزن (وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول: ولا تكثروا فى الأرض الفساد. وقد بيَّنا ذلك كله بشواهده، واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧)

⁂ يقول تعالى ذكره: (واتَّقُوا) أيها القوم عقاب ربكم (الَّذِي خَلَقَكُم) وخلق (الجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ)، يعنى بالجبلة: الخلق الأوّلين. وفى الجبلة للعرب لغتان: كسر الجيم والباء وتشديد اللام، وضم الجيم والباء وتشديد اللام، فإذا نُزعت الهاء من آخرها كان الضمّ فى الجيم والباء أكثر، كما قال جلّ ثناؤه (وَلَقَدْ أضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا) وربما سكنوا الباء من الجِبْل، كما قال أبو ذُؤَيب:

مَنَايا يُقَرِّبْنَ الحُتُوفَ لأَهْلِها جِهارًا ويَسْتَمْتِعْنَ بالأنَسِ الجِبْلِ [1]

وبنحو ما قلنا فى معنى الجِبِلَّة قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ والجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ) يقول: خلق الأوّلين.

---

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى (اللسان: جبل) والمنايا: جمع منية، وهى الموت. والحتوف جمع حتف، وهو الهلاك. والأنس الناس. والجبل: الأمة من الخلق. وفيه لغات، فيكون مثلث الجيم، ساكن النون. ويكون بضم الجيم والباء وتشديد اللام. قال فى اللسان: وحى جبل كثير. قال أبو ذؤيب: «منايا... البيت». أى الكثير. يقول: الناس كلهم متعة للموت، يستمتع بهم. قال ابن برى: ويروى: الجبل، بضم الجيم. قال: وكذا رواه أبو عبيدة. وقول الله عز وجل: «ولقد أضل منكم جبلا كثيرا»: يقرأ: جبلا (بضم فسكون) عن أبى عمرو وجبلا (بضمتين) عن الكسائى. وجبلا (بكسر فسكون) عن الأعرج وعيسى ابن عمر. وجبلا (بكسرتين فلام مشددة) عن أهل المدينة. وجبلا (بضمتين مع التشديد) عن الحسن وابن أبى إسحاق. قال: ويجوز أيضا جبل (بكسر ففتح) جمع جبلة (بكسرة فسكون). وهو فى جميع هذه الوجوه: خلقا كثيرا. اهـ.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (وَالجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ) قال : الخليقة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ) قال : الخلق الأوّلين ، الجبلة : الخلق .

وقوله (قالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) يقول : قالوا : إنما أنت ياشعيب معلل تعلل بالطعام والشراب ، كما نُعَلل بهما ، ولست ملكا (وَما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا) تأكل وتشرب (وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ) يقول : وما نحسبك فيما تخبرنا ، وتدعونا إليه ، إلا ممن يَكْذب فيما يقول ، فإن كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم (فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفا مِنَ السَّماءِ) يعنى قِطَعا من السماء ، وهى جمع كِسفة ، جُمع كذلك كما تجمع تمرة : تمرا .[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كِسَفا) يقول : قِطعا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (كِسَفا مِنَ السَّماءِ) : جانبا من السماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفا مِنَ السَّماءِ) قال : ناحية من السماء ، عذاب ذلك الكسف .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)

يقول تعالى ذكره : قال شُعيب لقومه : (رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : بأعمالهم هو بها محيط ، لايخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم بها جزاءكم . (فَكَذَّبُوهُ) يقول : فكذّبه قومه (فأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) يعنى بالظُّلة : سحابة ظللتهم ، فلما تتامُّوا تحتها ، التهبت عليهم نارا وأحرقتهم ، وبذلك جاءت الآثار :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن معاوية ، فى قوله (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : أصابهم حرّ أقلقهم فى بيوتهم ، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة ، فابتدروها ، فلما تتامُّوا تحتها أخذتهم الرجفة .

(١) كذا فى الأصل . وقياس الجمع الأخير على ما قبله ليس بواضح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، فى قوله (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : كانوا يحفرون الأسراب ، ليتبرّدوا فيها ، فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرّا من الظاهر ، وكانت الظُّلة سحابة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعِث شُعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة . وكانت الأيكة : من شجر ملتفّ ؛ فلما أراد الله أن يعذّبهم ، بعث الله عليهم حرّا شديدا ، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها ، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا ، قال : فذلك قوله (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ)

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبى صغيرة ، قال : ثنى يزيد الباهلىّ ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن هذه الآية (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) فقال عبد الله بن عباس : بعث الله عليهم ومدة وحرّا شديدا ، فأخذ بأنفاسهم ، فدخلوا البيوت ، فدخل عليهم أجواف البيوت ، فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرابا (١) إلى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة ، فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها بردا ولذّة ، فنادى بعضهم بعضا ، حتى إذا اجتمعوا تحتها ، أرسلها الله عليهم نارا . قال عبد الله بن عباس : فذلك عذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : إظلال العذاب إياهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : أظلّ العذابُ قوم شُعيب .

قال ابن جُرَيج : لما أنزل الله عليهم أوّل العذاب ، أخذهم منه حرّ شديد ، فرفع الله لهم غمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها رَوْحٌ ، وبرد وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا ، فذلك قوله (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر بن راشد ، قال : ثنى رجل من أصحابنا ، عن بعض العلماء قال : كانوا عَطَّلوا حدّا ، فوسع الله عليهم فى الرزق ، ثم عَطَّلوا حدّا ، فوسع الله عليهم فى الرزق ، ثم عَطَّلوا حدّا ، فوسع الله عليهم فى الرزق ، فجَعَلوا كلما عَطَّلوا حدّا وسع الله عليهم فى الرزق ، حتى إذا أراد إهلاكهم ، سلّط الله عليهم حرّا ، لايستطيعون أن يتقارّوا ، ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء ، حتى ذهب ذاهب منهم ، فاستظلّ تحت ظُلَّة ، فوجَد رَوْحا ، فنادى أصحابه : هلموا إلى الروح ، فذهبوا إليه سراعا ، حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم نارا ، فذلك عذاب يوم الظلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر عن ابن عباس ، قال من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة ؟ فكذّبه .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

(١) هرابا : لعله جمع هارب ، ولم أجده فى اللسان .

(فَأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قوم شعيب ، حبس الله عنهم الظلّ والريح ، فأصابهم حرّ شديد ، ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب ، فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها ، زعموا يستظلون ، فاضطرمت عليهم نارا فأهلكتهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ، إنَّهُ كانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) قال : بعث الله إليهم ظُلّة من سحاب ، وبعث إلى الشمس فأحرقت ماعلى وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظُّلة ، حتى إذا اجتمعوا كلهم ، كشف الله عنهم الظلة ، وأحمى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المِقلَى . وقوله (إنَّهُ كانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شُعيب عظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٩١)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن فى تعذيبنا قوم شُعيب عذاب يوم الظلة ، بتكذيبهم نبيهم شُعيبا ، لآيةً لقومك ياحمد ، وعبرةً لمن اعتبر ، إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك ، سنتنا فى أصحاب الأيكة (وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) فى سابق علمنا فيهم (وَإنَّ رَبَّكَ) ياحمد (لَهُوَ العَزِيزُ) فى نقمته ممن انتقم منه من أعدائه (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه ، وأناب إلى طاعته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ ، لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإنّ هذا القرآن (لتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ) والهاء فى قوله (وَإنَّهُ) كناية الذكر الذى فى قوله (وَما يَأتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لتَنْزِيلُ رَبّ العَالَمِينَ) قال : هذا القرآن .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة (نَزَلَ) به مخففة (الرُّوحُ الأَمِينُ) رفعا بمعنى : أن الروح الأمين هو الذى نزل بالقرآن على محمد ، وهو جبريل . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (نَزَّلَ) مشددة الزاى (الرُّوحَ الأَمِينَ) نصبا ، بمعنى : أن ربّ العالمين نزّل بالقرآن الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

والصواب من القول فى ذلك عندنا: أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن الروح الأمين إذ نزل على محمد بالقرآن ، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول ، ولن يَجْهل أن ذلك كذلك ، ذو إيمان بالله ، وأن الله إذا أنزله به نزل .

وبنحو الذى قلنا فى أن المعنىّ بالروح الأمين فى هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) قال : جبريل .

حدثنا الحسين ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قول الله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) قال : جبريل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : الروح الأمين : جبريل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الرُوحُ الأَمِينُ) قال : جبريل .

وقوله (عَلَى قَلْبِكَ) يقول : نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يامحمد ، حتى وعيته بقلبك ، وقوله (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) يقول : لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أُرسلوا إليه من قومهم ، فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذّبين بآيات الله . وقوله (بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ) يقول : لتنذر قومك بلسان عربىّ مبين ، يبين لمن سمعه أنه عربىّ ، وبلسان العرب نزل ، والباء من قوله (بِلِسَانٍ) من صلة قوله : (نَزَلَ) ، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القران بلسان عربىّ مبين فى هذا الموضع ، إعلاما منه مشركى قريش أنه أنزله كذلك ، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا ، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه ، لأنا لانفهمه ، وإنما هذا تقريع لهم ، وذلك أنه تعالى ذكره قال (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) ثم قال : لم يعرضوا عنهم لأنهم لايفهمون معانيه ، بل يفهمونها ، لأنه تنزيل ربّ العالمين نزل به الروح الأمين ، بلسانهم العربىّ ، ولكنهم أعرضوا عنه ، تكذيبا به واستكبارا (فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ ، أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كما أتى هذه الأمم التى قصصنا نبأها فى هذه السورة حين كذّبت رسلها ، أنباءُ ما كانوا به يُكَذِّبُون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَؤُا بَنِى إِسْرَءِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٢٠١)

⁂ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفى زُبُر الأوّلين: يعنى فى كتب الأوّلين، وخرّج مَخْرَج العموم، ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لفى بعض زُبُر الأوّلين، يعنى: أن ذكره وخبره فى بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله (أوَلَمْ يَكُنْ لَهُم آيَةً أنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إسْرائِيلَ): يقول تعالى ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يامحمد من ذكر ربك، دِلالةٌ على أنك رسول ربّ العالمين، أن يعلم حقيقةَ ذلك وصحتَه علماءُ بنى إسرائيل. وقيل: عنى بعلماء بنى إسرائيل فى هذا الموضع: عبدَ الله بن سَلاَم ومن أشبهه، ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى إسرائيل فى عصره.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إسْرَائِيلَ) قال: كان عبد الله بن سلام من علماء بنى إسرائيل، وكان من خيارهم، فآمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لهم الله: أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل وخيارُهم.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله (عُلَماءُ بَنِى إسْرَائِيلُ) قال: عبد الله بن سَلاَم وغيرُه من علمائهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج (أوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً): قال محمد: (أنْ يَعْلَمَهُ) قال: يعرفه (عُلَماءُ بَنِى إسْرَائِيلَ).

قال ابن جُرَيج، قال مجاهد: علماء بنى إسرائيل: عبد الله بن سلام، وغيره من علمائهم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، فى قوله (أوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أنْ يَعلَمَهُ عُلَماءُ بَنى إسْرَائِيلَ) قال: أو لم يكن للنبىّ آية: علامة، أن علماء بنى إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم، وقوله (وَلَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأعْجَمِينَ): يقول تعالى ذكره: ولو نزّلنا هذا القرآن على بعض البهائم التى لاتنطق، وإنما قيل على بعض الأعجمين، ولم يقل على بعض الأعجميّين، لأن العرب تقول: إذا نعتت الرجل بالعُجمة، وأنه لايفصح بالعربية: هذا رجل أعْجم، وللمرأة: هذه امرأة عَجْماء، وللجماعة: هؤلاء قوم عُجْم وأعْجَمُون، وإذا أريد هذا المعنى وُصِف به العربىّ والأعْجَمىّ، لأنه إنما يعنى أنه غير فصيح اللسان، وقد يكون كذلك، وهو من العرب، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

مِنْ وَائِلٍ لاحَىَّ يَعْدِلُهُمْ مِنْ سُوقَةٍ عَرَبٌ وَلا عَجَمُ[1]

(١) السوقة: الرعية التى تسوسها الملوك. يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر. والعجم بضم العين: جمع أعجم. قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٥): يقال: رجل أعجم: إذا كان فى لسان عجمة، ورجل عجمى: أى من العجم. والدواب: عجم، لأنها لاتتكلم. وفى (اللسان: عجم) قال أبو إسحاق: الأعجم: الذى لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن =

فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم ، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان ، فإنه يقال : هذا رجل عَجَمِيّ ، وهذان رجلان عجميان ، وهؤلاء قوم عَجَم ، كما يقال : عربيّ ، وعَربيان ، وقوم عَرَب. وإذا قيل : هذا رجل أعجميّ ، فإنما نسب إلى نفسه ، كما يقال للأحمر : هذا أَحْمَرِيّ : ضخم ، وكما قال العجاج :

والدَّهْرُ بالإِنْسانِ دَوَّارِيُّ[٢]

ومعناه : دوّار ، فنسبه إلى فعل نفسه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبى موسى ، قال : كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعَرَفة ، فتلا هذه الآية (وَلَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ فقرأه عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) قال : لو نزل على بعيرى هذا ، فتكلم به ما آمنوا به ، لقالوا : لولا فصلت آياته ، حتى يفقهه عَرَبِيّ وعَجَمِيّ ، لو فعلنا ذلك .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت داود بن أبى هند ، عن محمد بن أبى موسى ، قال : كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة ، فقرأ هذه الآية (وَلَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) فقرأه عليهم ، قال : فقال : جملى هذا أعجم ، فلو أُنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين .

ورُوى عن قَتادة فى ذلك ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) قال : لو نزله الله أعجميا ، كانوا أخسر الناس به ، لأنهم لا يعرفون بالعَجَمية .

= كان عربى النسب ، كزياد الأعجم . والأنثى عجماء ، وكذلك الأعجمى . فأما العجمى فالذى من جنس العجم : أفصح أو لم يفصح ، والجمع : عجم (بالتحريك) كعربى وعرب . ورجل أعجمى وأعجم : إذا كانت فى لسانه عجمة ، وإن أفصح بالعجمية . وكلام أعجم وأعجمى : بين العجمة . وفى التنزيل : « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى » . وجمعه بالواو والنون ، تقول : أحمرى وأحمرون ، وأعجمى وأعجمون ، على حد أشعثى وأشعثين ، وأشعرى وأشعرين . وعليه قوله عز وجل : « ولو نزلناه على بعض الأعجمين » .

(٢) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج الراجز المشهور (اللسان : دور . وأرا جيز العرب للسيد توفيق البكرى ١٧٤) وهو من أرجوزة له حزينة ، بدأها بقوله :

بَكَيْتُ والمُحْتَرِنُ البَكِيُّ وإنّما يأتى الصِّبا الصَّبِيُّ
أطْرَبا وأنْتَ قِنَّسْرِيّ والدَّهْرُ بالإنْسانِ دَوَّارِيّ
أفْنى القُرُونَ وَهو قَعْسَرِيّ وبالدَّهاءِ يُخْتَلُ المَدْهِيّ

يقول : بكيت ومن حزن كان بكاؤك . والقنسرى : المسن القديم . ودوارى دائر ، أى أنه يتصرف بالإنسان ويدور به أطوارا وأحوالا . والقعسرى : الشديد ، يريد الدهر . ومحل الشاهد فى قوله : « دوارى » قال فى اللسان : أى دائر به ، على إضافة الشىء إلى نفسه (أى نسبته إلى نفسه ، لأن دوارى منسوب إلى دوار ، فلفظ المنسوب إليه كلفظ المنسوب) . قال ابن سيده : هذا قول اللغويين . قال الفارسى : هو على لفظ النسب ، وليس بنسب ، ونظيره بختى وكرسى . وفى (اللسان : عجم) : وينسب إلى الأعجم الذى فى لسانه عجمة ، فيقال : لسان أعجمى ، وكتاب أعجمى ، ولا يقال : رجل أعجمى : فتنسب إلى نفسه ، إلا أن يكون أعجم وأعجمى بمعنى ، مثل دوار ودوارى ، وجمل قعسر وقعسرى ؛ هذا إذا ورد ورودا لا يمكن رده . اهـ .

وهذا الذى ذكرناه عن قتادة، قول لاوجه له ، لأنه وجّه الكلام أن معناه : ولو أنزلناه أعجميا ، وإنما التنزيل (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) يعنى : ولو نزّلنا هذا القران العربىّ على بهيمة من العجم أو بعض ما لايفصح ؛ ولم يقل : ولو نزّلناه أعجميا . فيكون تأويل الكلام ماقاله .

وقوله (فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ) يقول : فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يامحمد ، الذين حتمت عليهم ألاّ يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين : يقول : لم يكونوا ليؤمنوا به ، لما قد جرى لهم فى سابق علمى من الشقاء . وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه ، لئلا يشتدّ وجده بإدبارهم عنه ، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن ، لأنه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه ، والدخول فيما دعاهم إليه ، حتى عاتبه ربه على شدّة حرصه على ذلك منهم ، فقال له (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لايَكُونُوا مُؤْمِنِينَ). ثم قال مُؤْيِسه من إيمانهم ، وأنهم هالكون ببعض مَثُلاته ، كما هلك بعض الأمم ، الذين قصّ عليهم قصصهم فى هذه السورة ، ولو نزّلناه على بعض الأعجمين يامحمد لاعليك ، فإنك رجل منهم ، ويقولون لك : ما أنت إلا بشر مثلنا ، وهلا نزل به ملك ، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن ، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حقّ ، وأنه تنزيلٌ من عندى ، ما كانوا به مصدّقين ، فخفِّض من حرصك على إيمانهم به ، ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين ، الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من إيمانهم ، من الشقاء والبلاء ، فقال : كما حتمنا على هؤلاء أنهم لايؤمنون بهذا القرآن (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) فقرأه عليهم (كَذَلِكَ نسلكه) التكذيب والكفر ، فى قلوب المجرمين . ويعنى بقوله : سلكنا : أدخلنا ، والهاء فى قوله (سَلَكْنَاهُ) كناية من ذكر قوله (مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) ، كأنه قال : كذلك أدخلنا فى قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ) قال : الكفر (فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ، لايُؤْمِنُونَ بِهِ حتى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمِ) [1] .

حدثنى على بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبى الزرقاء ، عن سفيان ، عن حميد ، عن الحسن ، فى هذه الآية (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : خلقناه .

قال : ثنا زيد ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن فى بيت أبى خليفة ، عن قوله (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : الشرك سلكه فى قلوبهم ، وقوله (لايُؤْمِنُونَ بِهِ حتى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمِ) يقول : فعلنا ذلك بهم لئلا يصدّقوا بهذا القرآن ، حتى يَرَوُا العذاب الأليم فى عاجل

(١) سقط تفسير ابن زيد لما أراد من الآية ، ولعله الكفر ، أو الشرك ، أو نحوه أو مثله .

الدنيا ، كما رأت ذلك الأممُ الذين قصّ الله قصصهم فى هذه السورة ، ورفع قوله (لايُؤْمِنُونَ) لأن العرب من شأنها إذا وضعت فى موضع مثل هذا الموضع « لا » ربما جزمت مابعدها ، وربما رفعت فتقول : ربطت الفرس لاتنفلتْ ، وأحكمت العقد لاينحلّ جزما ورفعا . وإنما تفعل ذلك ، لأن تأويل ذلك : إن لم أحكم العقد انحلّ ، فجزمه على التأويل ، ورفعه بأن الجازم غير ظاهر . ومن الشاهد على الجزم فى ذلك قول الشاعر :

لَوْ كُنْتَ إذْ جِئْتَنا حاوَلْتَ رُؤْيَتَنا أوْ جِئْتَنا ماشِياً لا يَعْرِفِ الفَرَسُ[1]

وقول الآخر :

لَطالَمَا حَلَّأْتُماهَا لا تَرِدْ فَخَلِّياها وَالسِّجالَ تَبْتَرِدْ[2]

القول فى تأويل قوله تعالى

فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤)

يقول تعالى ذكره : فيأتى هؤلاء المكذّبين بهذا القرآن ، العذابُ الأليمُ بغتة ، يعنى فجأة (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) يقول : لايعلمون قبل ذلك بمجيئه ، حتى يفجأهم بغتة (فَيَقُولُوا) حين تأتيهم بغتة (هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) : أى هل نحن مُؤَخَّر عنا العذاب ، ومُنْسَأ فى آجالنا لنتوب ، وننيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله ، فنراجعَ الإيمان به ، وننيبَ إلى طاعته . وقوله (أفبعذابنا يَسْتَعْجِلُونَ) : يقول تعالى ذكره : أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون ، بقولهم : لن نؤمن لك حتى تُسْقط السماء كما زعمت علينا كِسَفا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٣٠) قال : وقوله : « كذلك سلكناه » : يقول : سلكنا التكذيب فى قلوب المجرمين ، كيلا يؤمنوا به ، حتى يروا العذاب الأليم . وإذا كان موقع كى فى مثل هذا « لا » و « إن » جميعا ، صلح الجزم فى « لا » والرفع . والعرب تقول : ربطت الفرس لا ينفلت : جزما ورفعا ، وأوثقت العبد لا يفر : جزما ورفعا ؛ وإنما جزم ، لأن تأويله : إن لم أربطه فر ؛ فجزم على التأويل . أنشدنى بعض بنى عقيل :

وَحَتَّى رَأَيْنا أَحْسَنَ الفِعْلِ بَيْنَنا مُساكَتَةً لا يَفْرِقُ الشَّرَّ فارِقُ

ينشد رفعا وجزما . وقال آخر : « لو كنت إذ جئتنا . . . . البيت » : رفعا وجزما ، وقوله « لطالما حلأتماها . . . الشاهد الآتى بعد » من ذلك .

(٢) البيت فى (اللسان : حلأ » . وروايته : قد طالما » . . . الخ . قال : حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئا وتحلئة : طردها أو حبسها عن الورود ، ومنعها أن ترده . وكذلك حلأ القوم عن الماء . وقال ابن الأعرابى : قالت قريبة : كان رجل عاشق لمرأة ، =

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم جاءهم العذاب الذى كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا ، وتكذيبهم رسولنا ، (ما أغْنَى عَنْهُمْ) : يقول : أىّ شىء أغنى عنهم التأخير الذى أخَّرنا فى آجالهم ، والمتاع الذى متعناهم به من الحياة ، إذ لم يتوبوا من شركهم ، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالا ، وهل نفعهم شيئا ، بل ضرّهم بازديادهم من الآثام ، واكتسابهم من الإجرام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أفَرَأيْتَ إنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ) إلى قوله (ما أغْنَى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ) قال : هؤلاء أهل الكفر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٠٩) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ) من هذه القرى ، التى وصفت فى هذه السور (إلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ) يقول : إلا بعد إرسالنا إليهم رسلا ، ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم (ذِكْرَى) يقول : إلا لها منذرون ينذرونهم ، تذكرة لهم وتنبيها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا . فى الذكرى وجهان من الإعراب : أحدهما النصب على المصدر من الإنذار على ما بيّنت ، والآخر : الرفع على الابتداء [1] ، كأنه قيل : ذكرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ لَهَا مِنْذِرُونَ ، ذِكْرَى) قال : الرسل . قال ابن جُرَيج : وقوله (ذِكْرَى) قال الرسل.

وقوله (ما كُنَّا ظالِمِينَ) يقول : وما كنا ظالميهم ، فى تعذيبناهم وإهلاكهم ، لأنا إنما أهلكناهم ، إذ عَتَوْا علينا ، وكفروا نعمتنا ، وعبدوا غيرنا ، بعد الإعذار عليهم والإنذار ، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لاينبغى أن يفعلوه ، فأبَوا إلا التمادىَ فى الغىّ .

وقوله (وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ) يقول تعالى ذكره : وما تنزّلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ، ولكنه ينزل به الروح الأمين (وَما يَنْبَغِى لَهُمْ) يقول : وما ينبغى للشياطين أن ينزلوا به عليه ، ولا يصلح لهم ذلك (وَما يَسْتَطِيعُونَ) يقول : وما يستطيعون أن يتنزّلوا به ، لأنهم لايصلون إلى استماعه

= فتزوجها ، فجاءها النساء ، فقال بعضهن لبعض * قد طالما حلأتماها لاترد * . . . البيت . والسجال : جمع سجل وهو الدلو الضخمة المملوة ماء (اللسان) والبيت شاهد كالذى قبله ، على أن « لا ترد » يجوز فيه الرفع والجزم على التأويل الذى ذكره الفراء .

(١) يجوز أن يكون قوله تعالى (ذكرى) مرفوعا على الابتداء ، والخبر محذوف ، أى ذكرى لهم . ويجوز أن يكون مرفوعا على أنه خبر عن مبتدأ ، تقديره : « هم » أى المنذرون ، ذكرى لهم .

فى المكان الذى هو به من السماء (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) يقول : إن الشياطين عن سمع القرآن من المكان الذى هو به من السماء لمعزولون ، فكيف يستطيعون أن يتنزّلوا به .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ) قال : هذا القرآن . وفى قوله (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) قال : عن سمع السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه ، إلا أنه قال عن سمع القرآن .

والقرّاء مجمعة على قراءة (وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ) بالتاء ورفع النون ، لأنها نون أصلية ، واحدهم شيطان ، كما واحد البساتين بستان . وذُكر عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك (وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطُونَ) بالواو وذلك لحن ، وينبغى أن يكون ذلك إن كان صحيحا عنه ، أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين ، وذلك بعيد من هذا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلا تَدْعُ) يامحمد (مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ) : أى لاتعبد معه معبودا غيره (فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ) فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا ، وعبدوا غيرنا . وقوله (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) : يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة ، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم .

وذُكر أن هذه الآية لما نزلت ، بدأ ببنى جده عبد المطلب وولده ، فحذّرهم وأنذرهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت هذه الآية (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، يافاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ إنّى لا أمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئا ، سَلُونِي مِنْ مالى ما شِئْتُمْ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ويونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : لما نزلت (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قام النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : « يافاطمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، وَيا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ المُطَّلِبِ » ، ثم ذكر نحو حديث ابن المقدام .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سلامة ، قال : قال عَقيل : ثنى الزهرىّ ، قال : قال سعيد ابن المسيِّب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أنزل عليه (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ منَ اللهِ ، لاأُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئا ، يا بَنِي عَبْدَ مَنافٍ ، لاأُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئا ، يا عَبَّاسُ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، لاأُغْنى عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئا ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ، لاأُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئا ، سَلِينِى ما شِئْتِ ، لاأُغْنى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئا » .

حدثنى محمد بن عبد الملك ، قال : ثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شُعيب عن الزهرىّ ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أُنزل عليه (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال : « يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ » . ثم ذكر نحو حديث يونس ، عن سلامة ؛ غير أنه زاد فيه « يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ، لاأُغْنى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئا » ولم يذكر فى حديثه فاطمة .

حدثنى يونس ، قال : ثنا سلامة بن رَوْح ، قال : قال عَقيل : بنى ابن شهاب : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أُنزل عليه (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) جمع قريشا ، ثم أتاهم ، فقال لهم : « هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ »؟ فقالوا لا إلاَ ابنَ أخت لنا ، لانراه إلا منا ، قال : إنَّهُ مِنْكُمْ ، فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لهم فى آخر كلامه : لاأعْرِفَنَّ مَاوَرَدَ على النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ يَسُوقُونَ الآخِرَةَ ، وَجِئْتُمْ إلىَّ تَسُوقُونَ الدُّنْيا » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنى سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أُنزل عليه (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ ، لاأُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئا ، يا بَنِى عَبْدِ المُطَّلِبِ ، لاأُغْنِى عَنْكُمْ منَ اللهِ شَيْئا ، يا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المطَّلب ، لاأُغْنِى عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئا ، يا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئا ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِى ما شِئْتِ ، لاأُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحجاج يحدّث ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبى هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما أنزل الله (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، أنْقِذِى نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، إلاَّ أنَّ لَكُمْ رَحِما سأبُلُّها بِبِلالِها » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت هذه الآية : (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، فعمّ وخصّ ، فقال : « يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ ، يا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ ، يا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ ، يا مَعْشَرَ بَنِي هاشِمٍ ، يا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، يقول لكلهم : أنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ أنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، فإني وَاللهِ ما أمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئا ، ألا إنَّ لَكُمْ رَحِما سأبُلُّها بِبِلالِها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن زُهير بن عمرو وقَبيصة ابن مُخارق : أنهما قالا : أنزل الله على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) ، فحدثنا عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم « أنه علا صخرة من جبل ، فعلا أعلاها حَجَرا ، ثم قال : يا آلَ عَبْدِ مَنافاه ، يا صَباحاه ، إنّي نَذِيرٌ ، إنَّ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ أتَى الجَيْشُ ، فَخَشِيَهُمْ عَلَى أهْلِهِ ، فَذَهَبَ يَرْبَؤُهُمْ[1] ، فَخَشِيَ أنْ يَسْبِقُوهُ إلى أهْلِهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِهِمْ : يا صَباحاه » ! أو كما قال.

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن قَسامة بن زهير ، قال : « بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) جاء فوضع أصبعه في أذنه ، ورفع من صوته ، وقال : يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ وَاصَباحاهُ » !

قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، قال : أظنه عن الأشعريّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا أبو زيد الأنصاريّ سعد بن أوس ، عن عوف ، قال : قال قسامة بن زهير ، حدثني الأشعريّ ، قال : لما نزلت ، ثم ذكر نحوه ؛ إلا أنه قال : وضع أصبعيه في أذنيه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن نُمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ، ثم نادى يا صَباحاهُ ، فاجتمع الناس إليه ، فبينَ رجل يجيء ، وبين آخر يبعث رسوله ، فقال : يا بَنِي هاشِمٍ ، يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، يا بَنِي فِهْرٍ ، يا بَنِي يا بَنِي ، أرأيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ صَدَّقْتُمُونِي ؟ قالوا : نعم ، قالَ : فإنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فقال أبو لهب : تَبًّا لكم سائرَ اليوم ، مادعوتمونى إلا لهذا ؟ فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « صَعِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا ، فقال : يا صباحاهُ ! فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا له : مالَكَ ؟ فقال : أرأيْتَكُمْ إنْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ

(١) يقال : ربا القوم يربؤهم ، وربأ لهم : إذا وقف على مكان عال ، ونظر بعيدا ، يرقب عدوا أو جيشا مغيرا ، أونحو ذلك .

أوْ مُمَسِّيكُمْ ألا كُنْتُمْ تُصَدِّقونَنِي؟ قالوا: بلى، قال: فإنّى نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ).

قال أبو لهب: تَبًّا لك، ألهذا دعوتنا أو جمعتنا ، فأنزل الله (تَبَّتْ يَدَا أبى لَهَب) . . . إلى آخر السورة » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : « لمّا نزلت هذه الآية : (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) ورهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِد الصفا ، فهتف : يا صَباحاهُ ! فقالوا : من هذا الذى يهتف ؟ فقالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه ، فقال : يا بَنِي فُلانٍ ، يا بَنِي فُلانٍ ، يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ ، فاجتمعوا إليه ، فقال ؛ أرَأَيْتَكُمْ إنْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيّ ؟ قالُوا ما جرّبنا عليك كذبا ، قال : فإنى نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فقال أبولهب : تبا لك ، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام فنزلت هذه السورة (تَبَّتْ يَدَا أبى لَهَبٍ) وقد تبّ » كذا قرأ الأعمش ، إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على الصفا ، فقال : يا صَباحاهُ » !

قال : ثنا خالد بن عمرو ، قال : ثنا سفيان الثورىّ ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ، فقال : يا صَباحاهُ ! فجعل يُعَدِّدُهم : يا بَنِي فُلانٍ ، وَيا بَنِي فُلانٍ ، وَيا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عمرو بن مرّة الجَمَلِىّ ، قال : « لما نزلت (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال : أتى جبلا ، فجعل يهتف : يا صَباحاهُ ، فأتاه مَنْ خَفَّ من الناس ، وأرسل إليه المثاقلون من الناس رُسُلا ، فجعلوا يجيئون يتتبّعون الصوت ؛ فلما انتهوا إليه قال : إنَّ مِنْكُمْ مَنْ جاءَ لِيَنْظُرَ ، وَمِنْكُمْ مَنْ أرْسَلَ لينظرَ مَن الهاتفُ ، فلما اجتمعوا وكثروا قال : أرأيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلاً مُصَبِّحَتُكُمْ مِنْ هَذَا الجَبَلُ ، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا : نعم ، ما جرّبنا عليك كذبا ، فقرأ عليهم هذه الآيات التى أنزلن ، وأنذرهم كما أُمِر ، فجعل ينادى : يا قُرَيْشُ ، يا بَنِي هاشِمٍ ، حتى قالَ : يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، إنّى نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عمرو : أنه كان يقرأ (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) ورَهْطَكَ المُخْلِصين .

قال : ثنا سَلَمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علىّ بن أبى طالب : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : يا علىُّ ، إنَّ اللهَ أمَرَنِى أنْ أنْذِرْ عَشِيرَتِى الأقْرَبِينَ ، قال : فضقت بذلك ذَرْعا ، وعرفت أنى متى ما أنادهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره ، فصمتُّ حتى جاء جبرائيل ، فقال :

يا محمد ، إنك إلاّ تفعلْ ما تؤمر به يعذّبْك ربك . فاصنع لنا صاعا من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عُسًّا من لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطّلب ، حتى أكلمّهم ، وبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به ، ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلا أو ينقصونه ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبولهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم ، فجئت به . فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حِذْية من اللحم[1] ، فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحى الصّحفة ، قال : خُذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا مواضع أيديهم ، وآيم الله الذى نفس علىّ بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ماقدّمت لجميعهم ، ثم قال : اسْقِ النّاسَ ، فجِئْتُهُمْ بذلك العُسّ ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعا ، وآيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ؛ فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بَدَرَه أبولهب إلى الكلام ، فقال : لَهَدَّ[2] ما سحركم به صاحبكم ، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغَدَ يا علىّ ، إنّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَقَنِى إلى ما قَدْ سَمِعْتُ مِنَ القَوْلِ ، فَتفرّق القوم قبل أنْ أُكَلِّمَهُمْ ، فَأَعِدَّ لَنا مِنَ الطَّعامِ مِثْلَ الَّذِى صَنَعْتَ ، ثُمَّ اجمَعْهُمْ لى ، قال : ففعلت ثم جمعتهم ، ثم دعانى بالطعام ، فقرّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ، قال : اسْقِهِمْ ، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا حتى رَوُوا منه جميعا ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بَنِى عَبْدِ المُطلبِ ، إنّى وَاللهِ ما أعْلَمُ شابا فِى العَرَبِ جاءَ قَوْمَهُ بأفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ ، إنّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَقَدْ أمَرَنِى اللهُ أنْ أدْعُوَكُمْ إلَيْهِ ، فَأيُّكُمْ يُؤَازِرُنِى عَلى هَذَا الأَمْرِ ، عَلى أنْ يَكُونَ أخِى وكَذَا وكَذَا ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، وقلت : وإنى لأحدثهم سنا ، وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا ، وأحمشهم ساقا ، أنا يا نبىّ الله أكونُ وزيرك ، فأخذ برقبتى ، ثم قال : إن هذا أخى وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا ، قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بَنِى عَبْدِ المُطّلِبِ ، يا بَنِى عَبْدِ مَنافٍ ، يا بَنِى قُصَىّ ، قال : ثم فَخَذّ قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مرّ على آخرهم ، إنّى أدْعُوكُمْ إلى اللهِ ، وأُنْذِرُكُمْ عَذَابَهُ » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال : أُمِر محمد أن ينذر قومه ، ويبدأ بأهل بيته وفصيلته ، قال : (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

---

(١) فى (اللسان : حذا) : أعطيته حذية من لحم ، وحذة وفلذة ، كل هذا إذا قطع طولا . ا هـ . وقيل هى القطعة الصغيرة .

(٢) فى (اللسان : هد) وفى الحديث أن أبا لهب قال : « لهد ما سحركم صاحبكم » قال : لهد : كلمة يتعجب بها ، يقال : لهد الرجل أى ما أجلده . قلت : وهو كقولنا : لشد ما قال فلان ، أى ما أشد .

« لما نزلت (وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، يا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) : بدأ بأهل بيته وفصيلته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) جمع النبىّ صلى الله عليه وسلم بنى هاشم ، فقال : « يا بَنِى هَاشِمٍ ، ألا لا أُلْفِيَنَّكُمْ تَأْتُونِى تَحْمِلُونَ الدُّنْيا ، وَيأتِى النَّاسُ يَحْمِلُونَ الآخِرَةَ ، ألا إنَّ أوْلِيائى مِنْكُمُ المُتَّقُونَ ، فاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته ؛ قال : وشقّ ذلك على المسلمين ، فأنزل الله تعالى (وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) .

وقوله (وَاخْفِضْ جَناحَكَ) يقول : وألن جانبك وكلامك (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) قال : يقول : لِنْ لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٢١٧) ٱلَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٢٢٠)

يقول تعالى ذكره : فإن عصتك يامحمد عشيرتك الأقربون ، الذين أمرتك بإنذارهم ، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان ، والإشراك بالرحمن ، فقل لهم (إنى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة الأصنام ، ومعصية بارئ الأنام (وَتَوَكَّلْ عَلَى العَزِيزِ) فى نقمته من أعدائه (الرَّحِيمِ) بمن أناب إليه ، وتاب من معاصيه ، (الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) يقول : (الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) إلى صلاتك .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ماحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ، قوله (الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) قال : أينما كنت .

(وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ويرى تقلبك فى صلاتك حين تقوم ، ثم تركع ، وحين تسجد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ) يقول : قيامك وركوعك وسجودك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت أبي وعليّ بن بذيمة يحدّثان عن عكرمة ، في قوله (يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : قيامه وركوعه وسجوده .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال عكرمة ، في قوله : (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : قائما وساجدا وراكعا وجالسا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تقلبك في المصلين ، وإبصارك منهم من هو خلفك ، كما تبصر من هو بين يديك منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) كان يرى من خلفه ، كما يرى من قدّامه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : المصلّين كان يرى مَن خلفه في الصلاة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : المصلّين ، قال : كان يرى في الصلاة مَنْ خلفه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتقلبك مع الساجدين : أي تصرُّفك معهم في الجلوس والقيام والقعود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج : أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس ، قال (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : يراك وأنت مع الساجدين تَقَلَّب وتقوم وتقعد معهم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : في المصلّين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) : قال : في الساجدين : المصلّين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تصرّفك في الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : سألت الحسن عن قوله : (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : في الناس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتصرّفك في أحوالك ، كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله ، والساجدون في قول قائل هذا القول : الأنبياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (الَّذِى يَرَاكَ) . . . الآية ، قال : كما كانت الأنبياء من قبلك .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بتأويله : قول من قال تأويله : ويرى تقلبك مع الساجدين فى صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد ، لأن ذلك هو الظاهر من معناه . فأما قول من وجّهه إلى أن معناه : وتقلبك فى الناس ، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة ، وإن كان له وجه ، لأنه وإن كان لاشىء إلا وظله يسجد لله ، فإنه ليس المفهوم من قول القائل : فلان مع الساجدين ، أو فى الساجدين ، أنه مع الناس أو فيهم ، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود ، السجودَ المعروف ، وتوجيه معانى كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر ، وكذلك أيضا فى قول من قال : معناه : تتقلّب فى أبصار الساجدين ، وإن كان له وجه ، فليس ذلك الظاهر من معانيه .

فتأويل الكلام إذًا : وتوكل على العزيز الرحيم ، الذى يراك حين تقوم إلى صلاتك ، ويرى تقلبك فى المؤتمين بك فيها ، بين قيام وركوع وسجود وجلوس .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو السميع تلاوتك يامحمد ، وذكرك فى صلاتك ما تتلو وتذكر ، العليم بما تعمل فيها ، ويعمل فيها من يتقلّب فيها معك ، مؤتما بك ، يقول : فرتل تيها القرآن ، وأقم حدودها ، فإنك بمرأى من ربك ومَسْمَع .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)

يقول تعالى ذكره : هل أنبئكم أيها الناسُ على من تنزّل الشياطين من الناس ؟ تَنَزّل على كلّ أفّاك ، يعنى كذّاب بَهّات . أثيم ، يعنى : آثم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : كلّ كذّاب من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : كذّاب من الناس .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : هم الكَهَنة ، تسترق الجنّ السمع ، ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس .

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عُبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : كنت عند عبد الله بن الزُّبير ، فقيل له : إن المختار يزعم أنه يُوحَى إليه ، فقال : صدق ، ثم تلا (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ ؟ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أفَّاكٍ أثِيمٍ) .

وقوله (يُلْقُوْنَ السَّمْعَ) يقول تعالى ذكره : يلقى الشياطين السمع ، وهو ما يسمعون مما استرقوا سَمْعه من حين حدث من السماء إلى (كُلِّ أفاكٍ أثِيمٍ) من أوليائهم من بنى آدم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُلْقُوْنَ السَّمْعَ) قال : الشياطين ماسمعته ألقته على كلّ أفّاك كذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (يُلْقُونَ السَّمْعَ) الشياطين ماسمعته ألقته ، عَلَى (كُلِّ أفَّاكٍ) قال : يُلْقُون السمع ، قال : القول .

وقوله (وأكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ) يقول : وأكثر من تنزّل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، فى قوله (وأكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ) عن عروة ، عن عائشة قالت : الشياطين تسترق السمع ، فتجىء بكلمة حقّ ، فيقذفها فى أذن وليه ؛ قال : ويزيد فيها أكثر من مئة كَذْبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : والشعراء يتّبعهُمْ أهل الغىّ ، لا أهل الرشاد والهدى .

واختلف أهل التأويل فى الذين وصفوا بالغَىّ فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : رُواة الشعر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسن بن يزيد الطَّحّان ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، قال : ثنا قيس ، عن يَعْلَى ، عن عكرِمة عن ابن عباس ؛ وحدثنى أبو كُرَيب ، قال : ثنا طَلْق بن غنام ، عن قيس ؛ وحدثنا أبو كُرَيب ، قال :

ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يَعْلَى بن النعمان ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ) قال : الرُّواة .

وقال آخرون : هم الشياطين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ) الشياطين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) قال : يتبعهم الشياطين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن عكرِمة ، فى قوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ) قال : عُصاة الجنّ .

وقال آخرون : هم السفهاء ، وقالوا : نزل ذلك فى رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، وأنهما تهاجيا ، وكان مع كل واحد منهما غُواة من قومه ، وهم السُّفهاء ، فقال الله: (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) ؟

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) : قال : كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، تهاجيا ، مع كلّ واحد منهما غواة من قومه ، وهم السُّفهاء .

وقال آخرون : هم ضُلاّل الجنّ والإنس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) قال : هم الكفار ، يتبعهم ضلال الجنّ والإنس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (والشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الْغاوُونَ) قال : الغاوُونَ المشركون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال فيه ما قال الله جلّ ثناؤه : إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجنّ ، وذلك أن الله عمّ بقوله (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

الْغاوُونَ) فلم يخصص بذلك بعض الغُواة دون بعض ، فذلك على جميع أصناف الغواة التى دخلت فى عموم الآية ، قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمونَ) يقول تعالى ذكره : ألم تر يامحمد أنهم ، يعنى الشعراء، فى كلّ واد يذهبون ، كالهائم على وجهه على غير قصد ، بل جائرا على الحقّ ، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل . وإنما هذا مثل ضربه الله لهم ،فى افتنانهم فى الوجوه التى يُفْتنون فيها بغير حقّ ، فيمدحون بالباطل قوما ، ويهجون آخرين كذلك ، بالكذب والزور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) يقول : فى كلّ لغو يخوضون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال : فى كلّ فنّ يَفْتَنُّون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) قال : فن يهيمون ، قال : يقولون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال : يمدحون قوما بباطل ، ويشتمون قوما بباطل .

وقوله (وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لايَفْعَلُونَ) يقول : وأن أكثر قيلهم باطل وكذب .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لايَفْعَلُونَ) يقول : أكثر قولهم يكذبون ، وعنى بذلك شعراء المشركين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : قال رجل لأبى : يا أبا أسامة ، أرأيت قول الله جلّ ثناؤه (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وأَنَّهُم يقُولُونَ ما لايفْعَلُونَ)؟فقال له أبى : إنما هذا لشعراء المشركين ، وليس شعراء المؤمنين ، ألا ترى أنه يقول (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) . . . الخ . فقال : فَرَّجت عنى يا أبا أُسامة ، فرّج الله عنك .

وقوله (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) وهذا استثناء من قوله (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) . وذكر أن هذا الاستثناء نزل فى شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ثم هو لكلّ من كان بالصفة التى وصفه الله بها .

وبالذى قلنا فى ذلك جاءت الأخبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة وعلىّ بن مجاهد ، وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد

ابن عبدا لله بن قُسَيط ، عن أبى الحسن سالم البرّاد ، مولى تميم الدارى ، قال : لما نزلت (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) قال : جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يبكون ، فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنّا شُعراء ، فتلا النبىّ صلى الله عليه وسلم : (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا ، وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت (والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) إلى آخر السورة فى حسّان بن ثابت ، وعبد الله بن رَوَاحة وكعب بن مالك .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة وطاوس ، قالا : قال (والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ) ، فنسخ من ذلك واستثنى ، قال (إلاَّ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) . . . الآية .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم استثنى المؤمنين منهم ، يعنى الشعراء ، فقال (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس ، فذكر مثله .

حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ ، وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) قال : هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن أبى حسن البراد ، قال : لما نزلت (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة .

وقوله (وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا) اختلف أهل التأويل فى حال الذكر الذى وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء ، فقال بعضهم : هى حال منطقهم ومحاورتهم الناس ، قالوا : معنى الكلام : وذكروا الله كثيرا فى كلامهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا) فى كلامهم .

وقال آخرون : بل ذلك فى شعرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا) قال : ذكروا الله فى شعرهم .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ، ولم يخصّ ذكرهم الله على حال دون حال فى كتابه ، ولا على لسان رسوله فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا فى كلّ أحوالهم .

وقوله (وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) يقول : وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما ، بشعرهم وهجائهم إياهم ، وإجابتهم عما هجوهم به .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) قال : يَرُدّون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وانْتَصَرُوا) من المشركين (مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) .

وقيل : عنى بذلك كله الرهْط الذين ذَكَرْت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا علىّ بن مجاهد وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله ابن قُسَيط ، عن أبى الحسن سالم البرّاد ، مولى تميم الدارىّ ، قال : لما نزلت (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) جاء حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبىّ صلى الله عليه وسلم (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن أبى حسن البرّاد ، قال : لما نزلت (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ) ثم ذكر نحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) قال : عبد الله بن رَوَاحة وأصحابه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) قال : عبد الله بن رَوَاحة .

وقوله (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول تعالى ذكره : وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله

من أهل مكة (أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) يقول: أىّ مَرْجِع يَرْجِعُون إليه ، وأىّ مَعاد يعودون إليه بعد مَماتهم ، فإنهم يصيرون إلى نار لايُطفأ سعيرها ، ولا يَسْكُن لهبها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، وعلىّ بن مجاهد ، وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قُسَيط ، عن أبى الحسن سالم البرّاد مولى تميم الدارى (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) يعنى : أهل مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) قال: وسيعلم الذين ظلموا من المشركين ، أىَّ منقلَب ينقلبون .

آخر تفسير سورة الشعراء

تفسير سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

طس تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)

قال أبو جعفر : وقد بيّنا القول فيما مضى من كتابنا هذا ، فيما كان من حروف المعجم ، فى فواتح السور ، فقوله (طس) من ذلك . وقد رُوى عن ابن عباس أن قوله (طس) : قَسَم أقسمه الله ، هو من أسماء الله .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : فالواجب على هذا القول أن يكون معناه : والسميع اللطيف ، إن هذه الآيات التى أنزلتها إليك يامحمد لآيات القرآن ، وآيات كتاب مبين : يقول : يَبين لمن تدبّره ، وفكّر فيه بفهم ، أنه من عند الله ، أنزله إليك ، لم تتخرّصْه أنت ولم تتقوّله ، ولا أحدٌ سواك من خلق الله ، لأنه لايقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثله ، ولو تظاهر عليه الجنّ والإنس . وخفض قوله (وكِتابٍ مُبِينٍ) عطفا به على القرآن . وقوله (هُدًى) من صفة القرآن . يقول : هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحقّ وسبيل السلام (وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وبشارة لمن آمن به ، وصدّق بما أنزل فيه بالفوز العظيم فى المعاد .

وفى قوله (هُدًى وَبُشْرَى) وجهان من العربية : الرفع على الابتداء ، بمعنى : هو هدى وبُشرى . والنصب على القطع من آيات القرآن ، فيكون معناه : تلك آيات القرآن الهُدَى والبشْرى للمؤمنين ، ثم أسقطت الألف واللام من الهدى والبشرى ، فصارا نكرة ، وهما صفة للمعرفة ، فنصبا .

وقوله (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : هو هدى وبشرى لمن آمن بها ، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها . وقوله (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) يقول : ويؤدّون الزكاة المفروضة . وقيل : معناه : ويطهرون أجسادهم من دنس المعاصى .

وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول : وهم مع إقامتهم الصلاة ، وإيتائهم الزكاة الواجبة ، بالمعاد إلى الله بعد الممات يُوقِنون ، فيذلّون فى طاعة الله ، رجاء جزيل ثوابه ، وخوف عظيم عقابه ، وليسوا كالذين يكذّبون بالبعث ، ولا يبالُون ، أحسنوا أم أساءوا وأطاعوا ، أم عصوا ، لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا ، وإن أساءوا لم يخافوا عقابا .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ، فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ، وَهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذين لا يصدّقون بالدار الآخرة ، وقيام الساعة ، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب (زَيَّنَّا لَهُمْ أعمالَهُمْ) يقول : حببنا إليهم قبيح أعمالهم ، وسهّلنا ذلك عليهم (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) يقول : فهم فى ضلال أعمالهم القبيحة التى زيّنّاها لهم ، يتردّدون حيارَى ، يحسبون أنهم يحسنون . وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذَابِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، لهم سوء العذاب فى الدنيا ، وهم الذين قُتِلوا ببدر من مشركى قريش (وَهُمْ فِى الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ) ، يقول : وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة ، والأوكسوها ، باشترائهم الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ ، إِنِّى آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : وإنك يا محمد لتحفظ القرآن ، وتعلمه من لَدُنْ حكيم عليم : يقول : من عند حكيم بتدبير خلقه ، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم ، والكائن من أمورهم ، والماضى من أخبارهم ، والحادث منها : (إذْ قال مُوسَى) وإذ من صلة عليم . ومعنى الكلام عليم حين قال موسى (لأَهْلِهِ) وهو فى مسيره من مَدْيَن إلى مصر ، وقد آذاهم بَرْد ليلهم لما أصلَدَ زنْدُه (إنّى آنَسْتُ نارًا) : أى أبصرت نارا أوأحْسَسْتها ،

فامكثوا مكانكم (سآتيكُمْ مِنْها بِخَبرٍ) يعنى من النار ، والهاء والألف من ذكر النار (أوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ) .

واختلفت القرّاءُ فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (بِشِهابٍ قَبَسٍ) بإضافة الشهاب إلى القَبَس ، وترك التنوين ، بمعنى : أوآتيكم بشُعلة نار أقتبسها منها. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة(بشِهابٍ قَبَسٍ) بتنوين الشهاب ، وترك إضافته إلى القبس ، يعنى : أوآتيكم بشهاب مقتبس .

⁂ والصواب من القول فى ذلك: أنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب . وكان بعضُ نحويّ البصرة يقول: إذا جُعل القبس بدلا من الشِّهاب ، فالتنوين فى الشهاب ، وإن أضاف الشهاب إلى القبس ، لم ينوّن الشهاب . وقال بعض نحوِيّى الكوفة: إذا أضيف الشهاب إلى القبس ، فهو بمنزلة قوله (وَلَدَارُ الآخِرَةِ)مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف اسماه ولفظاه ، توهما بالثانى أنه غير الأوّل قال : ومثله حَبَّة الخضراء ، وليلة القَمْراء ، ويوم الخميس وما أشبهه . وقال آخر منهم : إن كان الشهاب هو القَبَس لم تجز الإضافة ، لأن القَبَس نعت ، ولا يُضاف الاسم إلى نعته إلا فى قليل من الكلام ، وقد جاء (وَلَدَارَ الآخِرَةِ - وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ) .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن الشهاب إذا أريد به أنه غير القبس ، فالقراءة فيه بالإضافة ، لأن معنى الكلام حينئذ ، ما بينا من أنه شُعْلة قَبَس ، كما قال الشاعر :

فى كَفِّهِ صَعْدَةٌ مُثَقَّفَةٌ فِيها سِنانٌ كشُعْلَةِ القَبَسِ[1]

وإذا أريد بالشهاب أنه هو القبَس ، أو أنه نعت له ، بالصواب فى الشهاب التنوين ، لأن الصحيح فى كلام العرب ترك إضافة الاسم إلى نعته ، وإلى نفسه ، بل الإضافات فى كلامها المعروف : إضافة الشىء إلى غير نفسه ، وغير نعته .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) يقول : كى تصطلوا بها من البرد . وقوله (فَلَمَّا جاءَها) يقول : فلما جاء موسى النار التى آنسها (نُودِىَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها) .

كما حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (نُودِىَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ) يقول : قُدِّس .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (مَنْ فِى النَّارِ) فقال بعضهم : عنى جلّ جلاله بذلك نفسه ، وهو الذى كان فى النار ، وكانت النار نُوره تعالى ذكره ، فى قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٥) قال : « بشهاب قبس ، أى بشعلة نار . ومجاز قبس : ما اقتبست منها ومن الجمر ، قال : « فى كفه » . . . البيت » . والصعدة : القناة تنبت مستقيمة . والشاهد فى البيت : إضافة الشعلة إلى القبس أى شعلة مقتبسه من نار ، كما فى قول الله عز وجل « بشهاب قبس » فى قراءة من قرأه بالإضافة . ويجوز تنوين « شهاب » وجعل قبس صفة له إذا اعتبر الشهاب هو نفس القبس ، لأن الشىء لايضاف إلى نفسه ، ولا إلى صفته .

فى قوله (فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) يعنى نفسه ؛ قال : كان نور ربّ العالمين فى الشجرة .

حدثنى إسماعيل بن الهيثم أبو العالية العبدىّ ، قال : ثنا أبو قُتَيبة ، عن ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، فى قول الله (بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) قال : ناداه وهو فى النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حولها) قال : هو النور .

قال معمر ، قال قَتادة (بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) قال : نور الله بُورك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال الحسن البصرىّ (بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) [1] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بوركت النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) بورِكت النار ، كذلك قال ابن عباس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) قال : بُوركت النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال مجاهد (بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) قال : بوركت النار .

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا مكّى بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب ، فى قوله (أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) : نور الرحمن ، والنور هو الله ، وسبحان الله ربّ العالمين .

⁂ واختلف أهل التأويل فى معنى النار فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : النور ، كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه .

وقال آخرون : معناه النار لا النور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن سعيد بن جُبَير ، أنه قال : حِجاب العزّة ، وحجاب المَلِك ، وحجاب السلطان ، وحِجاب النار ، وهى تلك النار التى نودى منها . قال : وحجاب النور ، وحجاب الغَمام ، وحجاب الماء . وإنما قيل : بُورك مَن فى النار ، ولم يقل : بورك فيمن فى النار ، على لغة الذين يقولون : باركك الله ، والعرب تقول : باركك الله ، وبارك فيك

(١) لعل المؤلف لم يجىء بمقول القول ، اكتفاء بنص ما قبله ، لموافقة إياه لفظا معنى . وقد تكرر منه ذلك فى مواضع .

وقوله (وَمَنْ حَوْلَهَا) يقول : ومن حول النار . وقيل : عنى بمن حولها : الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَنْ حَوْلَهَا) قال : يعنى الملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : هو موسى والملائكة .

حدثنا محمد بن سِنان القزّاز ، قال : ثنا مكّى بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب (وَمَنْ حَوْلَهَا) قال : موسى النبىّ والملائكة ، ثم قال (يا مُوسَى إنّى أنا اللهُ العَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

وقوله (وَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) يقول : وتنزيها لله ربّ العالمين ، مما يصفه به الظالمون .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ، فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى (إنَّهُ أنا اللهُ الْعَزِيزُ) فى نقمته من أعدائه (الْحَكِيمُ) فى تدبيره فى خلقه ، والهاء التى فى قوله (إنَّهُ) هاء عماد ، وهو اسم لايظهر فى قول بعض أهل العربية . وقال بعض نحويى الكوفة : يقول هى الهاء المجهولة ، ومعناها : إن الأمر والشأن : أنا الله . وقوله (وألْقِ عَصَاكَ ، (فَلَمَّا رآها تَهْتَزُّ) فى الكلام محذوف تُرِك ذكره ، استغناء بما ذُكِر عما ، حذف وهو فألقاها فصارت حية تهتزّ (فَلَمَّا رآها تَهْتَزُّ كأنَّها جانّ) يقول : كأنها حية عظيمة ، والجانّ : جنس من الحيات معروف .

وقال ابن جُرَيْج فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج (وألْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رآها تَهْتَزُّ كأنَّها جانّ) قال : حين تحوّلت حية تسعى ، وهذا الجنسَ من الحيات عنى الراجزُ بقوله :

يَرْفَعْنَ بالليْلِ إذَا ما أسْدَفا أعْناقَ جِنَّانٍ وَهاماً رُجَّفَا
وَعَنَقاً بَعْدَ الرَّسِيمِ خَيْطَفَا [١]

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للخطفى ، وهو حذيفة بن بدر جد جرير بن عطية شاعر تميم . يصف إبله وسيرها فى الليل . وأسدفا : أظلم . والجنان جنس من الحيات ، إذا مشت رفعت رءوسها . والهام : جمع هامة . والرجف : جمع راجفة ، أى مضطربة ، لاهتزازها فى مشيها وسرعتها . والعنق : ضرب من السير السريع . والرسيم : سير خفيف . والخيطف : السريع . ويروى : خطفا ، وبهذا لقب حذيفة جد جرير : الخطفى ، لمجىء اللفظة فى شعره . وفى (اللسان : خطف) : والخيطف والخيطى : سرعة انجذاب السير ، كأنه =

وقوله (وَلَّى مُدْبِرًا) يقول تعالى ذكره : ولىّ موسى هاربا خوفا، منها (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: ولم يرجع ، من قولهم : عَقَّب فلان : إذا رجَع على عقبه إلى حيث بدأ .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال : لم يرجع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر ، عن قتادة ، قال : لم يلتفت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال : لم يرجع : (ياموسى) : قال : لما ألقى العصا صارت حية ، فرعب منها وجزع ، فقال الله (إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ) قال : فلم يرعوِ لذلك ، قال : فقال الله له (أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ، إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) قال: فلم يقف أيضا على شىء من هذا حتى قال (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) قال : فالتفت فإذا هى عصًا كما كانت ، فرجع فأخذها ، ثم قوى بعد ذلك ، حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها .

وقوله (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) يقول تعالى ذكره : فناداه ربه : يا موسى لاتخف من هذه الحية ، إنى لايخاف لدىّ المرسلون : يقول : إنى لا يخاف عندى رسلى وأنبيائى ، الذين أختصهم بالنبوّة ، إلاّ من ظلم منهم ، فعمل بغير الذى أُذن له فى العمل به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قوله (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ) قال: لايخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم ، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله الفزارىّ ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبى بكر ، عن الحسن ، قال: قوله « يَامُوسَى لَا تَخَفْ، إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) قال: إنى إنما أخفتك لقتلك النفس ، قال : وقال الحسن : كانت الأنبياء تذنب فتعاقب .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول إلاّ فى هذا الموضع ،وهو استثناء مع وعد الله الغُفْران المستثنى من قوله (إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ) بقوله (فَإِنِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وحكم الاستثناء أن يكون مابعده بخلاف معنى ماقبله، وذلك أن يكون ما بعده ـ إن كان ماقبله منفيا ـ مثبتا كقوله: ماقام إلا زيد ، فزيد مثبت

=يختطف فى سيره عنقه ، أى يجتذ به . وجمل خيطف : أى سريع المر . ويقال : عنق خيطف وخطفى ، قال جد جرير * وعنقابعد الرسيم خيطفا * وقيل : هو مأخوذ من الخطف ، وهو الخلس . وجمل خيطف : سيره كذلك ، أى سريع المر .

له القيام ، لأنه مستثنى مما قبل إلا ، وما قبل إلا منفىّ عنه القيام ، وأن يكون ما بعده - إن كان ماقبله - مثبتا منفيا كقولهم : قام القوم إلا زيدا ؛ فزيد منفىّ عنه القيام ؛ ومعناه : إن زيدا لم يقم ، والقوم مثبت لهم القيام ، وإلا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة ، وأدخله فى عداد من لايخاف لديه من المرسلين ، فقال بعض نحوّيي البصرة : أدخلت إلا فى هذا الموضع ، لأن إلّا تدخل فى مثل هذا الكلام ، كمثل قول العرب : ما اشتكى إلا خيرا ؛ فلم يجعل قوله : إلا خيرا على الشكْوى ، ولكنه علم أنه إذا قال : ما اشتكى شيئا ، أنه يذكر عن نفسه خيرا ، كأنه قال : ما أذكر إلا خيرا .

وقال بعض نحويّ الكوفة : يقول القائل : كيف صير خائفا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، وهو مغفور له ؟ فأقول لك فى هذه الآية وجهان : أحدهما أن يقول : إن الرسل معصومة مغفور لها ، آمنة يوم القيامة ، ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو ، فهذا وجه . والآخر : أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا فى الكلمة ، لأن المعنى : لايخاف لدىّ المرسلون ، إنما الخوف على من سواهم ؛ ثم استثنى فقال (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا) يقول : كان مشركا ، فتاب من الشرك ، وعمل حسنا ، فذلك مغفور له ، وليس يخاف . قال : وقد قال بعض النحويين : إن إلاّ فى اللغة بمنزلة الواو ، وإنما معنى هذه الآية : لايخاف لدىّ المرسلون ، ولا من ظلم ثم بدّل حسنا . قال : وجعلوا مثله كقول الله (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : ولم أجد العربية تحتمل ماقالوا ، لأنى لاأجيز قام الناس إلا عبد الله وعبد الله قائم ؛ إنما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذى بعد إلا من معنى الأسماء التى قبل إلا ، وقد أراه جائزا أن يقول : لى عليك ألف سوى ألف آخر ، فإن وضعت إلا فى هذا الموضع صلحت ، وكانت إلا فى تأويل ما قالوا ، فأما مجرّدة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ، ولكن مثله مما يكون معنى إلا كمعنى الواو ، وليست بها قوله (خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) هو فى المعنى ، والذى شاء ربك من الزيادة ، فلا تجعل إلا بمنزلة الواو ، ولكن بمنزلة سوى ؛ فإذا كانت « سوى » فى موضع « إلّا » صلحت بمعنى الواو ، لأنك تقول : عندى مال كثير سوى هذا : أى وهذا عندى ، كأنك قلت : عندى مال كثير وهذا أيضا عندى ، وهو فى سوى أبعد منه فى إلا ، لأنك تقول : عندى سوى هذا ، ولا تقول : عندى إلا هذا .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى قوله (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ) عندى غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية ، بل هو القول الذى قاله الحسن البصرىّ وابن جُرَيج ومن قال قولهما ، وهو أن قوله (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ) استثناء صحيح من قوله (لايَخافُ لَدَىَّ المُرْسَلُونَ إلاَّ مَنْ ظَلَمَ) منهم فأتى ذنبا ، فإنه خائف لديه من عقوبته ، وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك ، وهو قوله قال : إنى إنما أخفتك لقتلك النفس .

فإن قال قائل : فما وجه قيله إن كان قوله (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ) استثناء صحيحا ، وخارجا من عداد من لايخاف لديه من المرسلين ، وكيف يكون خائفا من كان قد وُعد الغفران والرحمة ؟ قيل : إن قوله (ثُمَّ

بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) كلام آخر بعد الأوّل ، وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم ، ومن لم يظلم عند قوله (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ) ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل ، وسائر الناس غيرهم . وقيل : فمن ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فإنى له غفور رحيم .

فإن قال قائل : فعلام تعطف إن كان الأمر كما قلت بثم إن لم يكن عطفا على قوله (ظَلَمَ) قيل : على متروك استغنى بدلالة قوله (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) عليه عن إظهاره ، إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره ، وهو فمن ظلم من الخلق . وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية ، فقد قالوا على مذهب العربية ، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة ، وحملوها على غير وجهها من التأويل . وإنما ينبغى أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب فى الصحة مخرج لا على إحالة الكلمة عن معناها ، ووجهها الصحيح من التأويل .

وقوله (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) يقول تعالى ذكره : فمن أتى ظلما من خلق الله ، وركب مأثمًا ، ثم بدل حسنا ، يقول : ثم تاب من ظلمه ذلك ، وكوبه المأثم ، (فإنّى غَفُورٌ) يقول : فإنى ساتر على ذنبه وظلمه ذلك ، بعفوى عنه ، وترك عقوبته عليه ، رحيم به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ، ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) ثم تاب من بعد إساءته (فإنّى غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (١٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لنبيه موسى (وأدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ) ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه فى جيبه ، وإنما أمره بإدخاله فى جيبه ، لأن الذى كان عليه يومئذ مِدْرَعة من صوف . قال بعضهم : لم يكن لها كُمٌّ . وقال بعضهم : كان كُمُّها إلى بعض يده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ) قال : الكفّ فقط فى جيبك ، قال : كانت مِدْرعة إلى بعض يده ، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يدخل يده فى كمه .

قال : ثنى حجاج ، عن يونس بن أبى إسحاق، عن أبيه ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال ابن مسعود : إن موسى أتى فرعون حين أتاه فى زُرْ ما نقة ، يعنى جبة صوف .

وقوله (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ) يقول : تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من غيرِ سُوءٍ) يقول : من غير بَرَص فى تسع آيات، يقول تعالى ذكره : أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، فهى آية فى تسع آيات ، مُرسَل أنت بهنّ إلى فرعون ، وترك ذكر مرسل لدلالة قوله (إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) على أن ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

رأتْنِى بِحَبْلَيْها فَصَدَّتْ مَخافَةً وفِى الحَبْلِ رَوْعاءُ الفُؤَادِ فَرُوقُ[1]

ومعنى الكلام : رأتنى مقبلا بحبليها ، فترك ذكر مقبل ، استغناء بمعرفة السامعين ، معناه فى ذلك إذ قال : رأتنى بحبليها ، ونظائر ذلك فى كلام العرب كثيرة .

والآيات التسع : هنّ الآيات التى بيّناهنّ فيما مضى .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تِسْعِ آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ) قال : هى التى ذكر الله فى القرآن : العصا ، واليد ، والجراد ، والقُمَّل ، والضّفادع ، والطوفان ، والدم ، والحَجَر ، والطَّمْس الذى أصاب آل فرعون فى أموالهم .

وقوله (إنَّهُمْ كانُوا قَوْما فاسِقِينَ) يقول : إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين ، يعنى كافرين بالله ، وقد بيّنا معنى الفسق فيما مضى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا۟ بِهَا ، وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا ، يعنى أدلتنا وحُجَجنا ، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته ، وهى الآيات التسع التى ذكرناها قبل . وقوله (مُبْصِرَةً) يقول : يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ، ما دلت عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا

(١) سبق الكلام مفصلا على هذا الشاهد فى الجزء (٤ : ٤٩) وهو لحميد بن ثور الهلالى . وانظره فى (اللسان : حبل وفرق) . وفى الأساس (روع) . وفى معانى القرآن للفراء (الورقة ٢٣٢) قال الفراء : أراد رأتنى أقبلت بحبليها : بحبلى الناقة ، فأضمر فعلا ، كأنه قال : رأتنى مقبلا .

مُبْصِرَةً) قال : بينة ، قالوا : هذا سحر مبين ، يقول : قال : فرعون وقومه : هذا الذى جاءنا به موسى سحر مبين ، يقول : يبين للناظرين له أنه سحر .

وقوله (وَجَحَدُوا بِها) يقول : وكذّبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَجَحَدُوا بِها) : قال : الجحود : التكذيب بها . وقوله (وَاسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ) يقول : وأيقنتها قلوبهم ، وعلموا يقينا أنها من عند الله ، فعاندوا بعد تبينهم الحقّ ، ومعرفتهم به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (وَاسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ) قال : يقينهم فى قلوبهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَاسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ ظُلْما وَعُلُوّا) قال : استيقنوا أن الآيات من الله حقّ ، فلِمَ جحدوا بها ؟ قال : ظلما وعلوّا .

وقوله (ظُلْما وَعُلُوّا) يعنى بالظلم : الاعتداء ، والعلوّ : الكبر ، كأنه قيل : اعتداء وتكبرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (ظُلْما وَعُلُوّا) قال : تعظُّما واستكبارا ، ومعنى ذلك : وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوّا ، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ، فعاندوا الحقّ بعد وضوحه لهم ، فهو من المؤخر الذى معناه التقديم .

وقوله (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يامحمد بعين قلبك : كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة ، وماذا حلّ بهم من إفسادهم فى الأرض ومعصيتهم فيها ربهم ، وأعقبهم مافعلوا ، فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، إلى هلاك فى العاجل بالغرق ، وفى الآجل إلى عذاب دائم ، لايفتر عنهم ، وهم فيه مبلسون . يقول : وكذلك يامحمد سُنّتى فى الذين كذّبوا بما جئتهم به من الآيات ، على حقيقة ماتدعوهم إليه من الحقّ من قومك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ، وَقَالَا : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وذلك علم كلام الطير والدوابّ ، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه (وَقالا الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ المُؤْمِنِينَ) يقول جلّ

ثناؤه : وقال داود وسليمان : الحمد لله الذى فضلنا بما خصنا به من العلم الذى آتاناه دون سائر خلقه من بنى آدم فى زماننا هذا ، على كثير من عباده المؤمنين به فى دهرنا هذا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ، وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ، وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ، إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ (١٦)

يقول تعالى ذكره (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ) أباه (دَاوُدَ) العلم الذى كان آتاه الله فى حياته ، والمُلك الذى كان خَصّه به على سائر قومه ، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه (وَقَالَ يا أيُّها الناسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) يقول : وقال سليمان لقومه : يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير ، يعنى فهمنا كلامها ، وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بنى آدم ، إذ فهمه عنها .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب : (وَقالَ يا أيُّها النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) قال : بلغنا أن سليمان كان عسكره مئة فرسخ : خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجنّ ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاث مئة صريحة ، وسبع مئة سِرّية ، فأمر الريح العاصف فرفعته ، وأمر الرُّخاء فسيرته ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض ، إنى قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشىء إلا جاءت الريح فأخبرته . وقوله (وأُوتِينا مِنْ كُلّ شَىْءٍ) يقول : وأعطينا ووهب لنا من كلّ شىء من الخيرات (إنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ) يقول : إن هذا الذى أوتينا من الخيرات ، لهو الفضل على جميع أهل دهرنا (المبين) ، يقول : الذى يبين لمن تأمّله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ، فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : وجمع لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير فى مسير لهم فهم يُوزَعون .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : فهم يحبس أوّلهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قال : جعل على كل صنف من يَرُدّ أولاها على أُخراها ، لئلا يتقدموا فى المسير ، كما تصنع الملوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ والطَّيْرِ ، فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يُرَدّ أوّلهم على آخرهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : فهم يساقون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يوزعون : يُساقون .

وقال آخرون : بل معناه : فهم يتقدمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيا ، عن معمر ، قال : قال الحسن (يُوزَعُونَ) يتقدمون .

⁂ قال أبوجعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : معناه : يُردّ أوّلهم على آخرهم ، وذلك أن الوازع فى كلام العرب : هو الكافّ ، يقال منه : وزع فلان فلانا عن الظلم : إذا كفّه عنه ، كما قال الشاعر :

أَلَمْ يَزَعِ الهَوَى إذْ لَمْ يُؤَاتِ؟ بَلَى وَسَلَوْتُ عَنْ طَلَبِ الفَتَاةِ[1]

وقال آخر :

عَلَى حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ[1]

وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الوُلاة والأمراء وَزَعة : لكفِّهم إياهم عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ، قَالَتْ نَمْلَةٌ : يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (حتى إذَا أتَوْا عَلى وَادِى النَّمْلِ) حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادى النمل . (قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ ، لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ) يقول : لايكسرنّكم ويقتلنكم سليمان وجنوده (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لايعلمون أنهم يحطمونكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل يقال له الحكم ، عن عوف ، فى قوله (قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيُّها النَّمْلُ) قال : كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب .

---

(١) الوزع : كف النفس عن هواها . وزعه وبه يزع (بفتح الزاى وكسرها) وزعا : كفه . ويؤات : يوافق . قال فى اللسان : واتاه على الأمر : طاوعه . والمؤاتاة : حسن المطاوعة . وآتيته على ذلك الأمر مؤاتاة : إذا وافقته وطاوعته . والعامة تقول : واتية . ولاتقل واتيته إلا فى لغة لأهل اليمن . ومثله آسيت ، وآكلت ، وآمرت . وإنما جعلوها واوا على تخفيف الهمزة .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر (مختار الشعر الجاهلى : بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ١٥٦ وما بعدها) قال : صحا : أفاق . والوازع : الكاف الزاجر عن اللهو . والصبا : الصبوة ، والميل إلى التشبه بأعمال الصبيان من الطيش واللهو .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : فتبسّم سليمان ضاحكا من قول النملة التى قالت ما قالت ، وقال (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) يعنى بقوله (أَوْزِعْنِي) ألهمنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) يقول : اجعلنى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) قال فى كلام العرب ، تقول : أوزع فلان بفلان ، يقول : حرض عليه . وقال ابن زيد (أَوْزِعْنِي) ألهمنى وحرّضنى على أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ .

وقوله (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) يقول : وأوزعنى أن أعمل بطاعتك وماترضاه (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) يقول : وأدخلنى برحمتك مع عبادك الصالحين ، الذين اخترتهم لرسالتك ، وانتخبتهم لوحيك ، يقول : أدخلنى من الجنة مداخلهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) قال : مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ؟(٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١)

يقول تعالى ذكره (وَتَفَقَّدَ) سليمان (الطَّيْرَ فَقَالَ مالىَ لاأرَى الهُدْهُدَ) وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ، ما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران ، عن أبى مِجلز ، قال : جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام ، فسأله عن الهدهد : لِمَ تفقّده سليمان من بين الطير ؟ فقال عبد الله بن سلام : إن سليمان نزل منزلة فى مسير له ، فلم يدر ما بُعْد الماء ، فقيل له : من يعلم بُعْد الماء ؟ قالوا : الهدهد ، فذاك حين تفقده .

حدثنا محمد ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن أبي مَجَلِّز ، عن ابن عباس وعبد الله ابن سلام بنحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود يوضع له ستّ مئة كرسي ، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم تجيء أشراف الجنّ ، فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعو الطير فتُظِلهم ، ثم يدعو الريح فتحملهم ، قال . فيسير في الغَداة الواحدة مسيرة شهر ، قال : فبينا هو في مسيره إذ احتاج إلى الماء، وهو في فلاة من الأرض ، قال : فدعا الهدهد ، فجاءه فنقر الأرض ، فيصيب موضع الماء ، قال : ثم تجيء الشياطين ، فيسلخونه كما يسلخ الإهاب ، قال : ثم يستخرجون الماء ، فقال له نافع بن الأزرق قف يا وقاف ، أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض ، فيصيب الماء كيف يبصر هذا ، ولا يبصر الفخّ يجيء حتى يقع في عنقه ، قال : فقال له ابن عباس : ويحَك إن القدر إذا جاء حال دون البصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الجنّ والإنس حتى يجلس على سريره ، حتى إذا كان ذات غَداة في بعض زمانه ، غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فتفقد الطير . وكان فيما يزعمون يأتيه نُوَباً ، من كل صنف من الطير طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد ، فقال : مالي لا أرى الهدهد .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد : أوّل ما فقد سليمان الهدهد نزل بواد، فسأل الإنس عن مائه ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجنّ ، فدعا الجنّ فسألهم ، فقالوا : ما نعلم له ماء، وإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير ، فدعا الطير فسألهم ، فقالوا: ما نعلم له ماء ، وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد ، فلم يجده ، قال : فذاك أوّل ما فَقَد الهدهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ، فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ؟ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) قال : تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدله على الماء إذا ركب ، وإن سليمان ركب ذات يوم فقال : أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده ، فمن أجل ذلك تفقده ، فقال ابن عباس : إن الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الأجل ؛ فلما بلغ الأجل لم ينفعه الحذر ، وحال القدر دون البصر ، فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله، ووهب بن منبه ، فقال عبد الله : كان سبب تفقده الهدهد، وسؤاله عنه، ليستخبره عن بُعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره وقال وهب بن منبه : كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها، والله أعلم بأيّ ذلك كان، إذ لم يأتنا بأيّ ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح .

⁂ فالصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير : إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها ، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء .

وقوله (فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ؟) يعنى بقوله (مالى لاأرَى الهُدْهُدَ) : أخطأه بصرى، فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ من الغائِبِينَ ؟) أخطأه بصرى فى الطير ، أم غاب فلم يحضر ؟

وقوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) يقول: فلما أُخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر، وأنه غائب غير شاهد ، أقسم (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) ، وكان تعذيبه الطير فيما ذُكر عنه إذا عذّبها : أن ينتف ريشها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الحِمّانى ، عن الأعمش ، عن المِنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) : عذابه : نتفه وتشميسه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه وتشميسه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ،عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد(لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه كله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله : (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) قال : نتف ريش الهدهد كله ، فلا يعفو سنة .

قال : ثنا الحسين، قال : ثنا أبوسفيان ، عن مَعْمر، عن قَتادة ، قال : نتف ريشه .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) يقول : نتف ريشه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال: ثنى ابن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان: أنه حدّث أن عذابه الذى كان يُعذّب به الطير ، نتف جناحه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قيل لبعض أهل العلم هذا الذبح ، فما العذاب الشديد ؟ قال : نتف ريشه بتركه بَضْعة تنزو .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن بشار ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا) قال : نتفه .

حدثنى سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن حسين بن أبى شدّاد ، قال : نتفه وتشميسه ، أو لأذبحنه ، يقول : أو لأقتلنه .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَوْ لَأَذْبَحَنَّه) يقول : أو لأقتلنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن حُصَين ، عن عبد الله بن شدّاد : (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) . . . الآية ، قال : فتلقاه الطير ، فأخبره ، فقال : ألم يستثن .

وقوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) يقول : أو ليأتينى بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن الحسين الأزدىّ ، قال : ثنا المعافىَ بن عمران ، عن سفيان ، عن عمار الدُّهْنى ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : كل سلطان فى القرآن فهو حجة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مَبِينٍ) يقول : ببينة أعذره بها ، وهو مثل قوله (الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ) يقول : بغير بيِّنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرِمة ، قال : كل شىء فى القرآن سلطان ، فهو حجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله ، بن يزيد ، عن قَبَاث[1] بن رَزِين ، أنه سمع عكرِمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : كلّ سلطان فى القرآن فهو حجة ، كان للهدهد سلطان .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قَتادة (أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) قال بعذر بيّن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أَوْلَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) : أى بحجة عذر له فى غيبته .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) يقول ببينة ، وهو قول الله (الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ) بغير بينة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) قال : بعذر أعذره فيه .

(١) قباث بوزن سحاب ، ابن رزين اللخمى (ويقال : التجيبى) . وقباث : اسم عربى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (فَمَكَثَ غيرَ بَعِيدٍ) فمكث سليمان غير طويل، من حين سأل عن الهدهد ، حتى جاء الهدهد .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (فَمَكَثَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم (فَمَكُثَ) بضمّ الكاف ، وقرأه عاصم بفتحها ، وكلتا القراءتين عندنا صواب ، لأنهما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضمّ فيها أعجب إلىّ ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

وقوله (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) يقول : فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته : أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) قال : ما لم تعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (فَمَكَثَ غيرَ بَعِيدٍ) ثم جاء الهدهد ، فقال له سليمان : ما خلّفك عن نوبتك ؟ قال : أحطت بما لم تحط به .

وقوله (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) يقول : وجئتك من سبأ بخبر يقين .

وهو ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) : أى أدركت مُلْكا لم يبلغه مُلْكك .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنْ سَبَإٍ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (مِنْ سَبَإٍ) بالإجراء، المعنى أنه رجل اسمه سبأ . وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والبصرة (مِنْ سَبَإٍ) بترك الإجراء ، على أنه اسم قبيلة ، أو لامرأة .

والصواب من القول فى ذلك : أن يُقال : إنهما قراءتان مشهورتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، فالإجراء فى سبأ ، وغير الإجراء: صواب، لأن سبأ إن كان رجلا كما جاء به الأثر ، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أُجْرى، وإن أريد به اسم القبيلة لم يُجْر، كما قال الشاعر فى إجرائه :

الْوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فى ذُرَا سَبَإٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسِ [1]

يروى : ذرا ، وذرى ، وقد حُدثت عن الفرّاء عن الرؤاسى أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ ، قال : لست أدرى ما هو ، فكأن أبا عمرو ترك إجراءه ، إذ لم يدر ماهو ، كما تفعل العرب بالأسماء المجهولة

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت مرة قبل هذه فى (الجزء ١٤ : ١١٧) وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٧٢) . ثم استشهد المؤلف به هنا مرة ثانية ، على أن كلمة « سبأ » إن كان اسم قبيلة من اليمن ، فهو ممنوع من الصرف ، للعلمية والتأنيث ، وإن لوحظ فيه أصله ، وهو اسم أبى القبيلة ، فهو مذكر مجرى .

التى لاتعرفها من ترك الإجراء، حكى عن بعضهم هذا أبو مَعْرورَ قد جاء ، فترك إجراءه، إذ لم يعرفه فى أسمائهم . وإن كان سبأ جبلا ، أُجرى، لأنه يُراد به الجبل بعينه، وإن لم يجر فلأنه يجعل اسما للجبل وما حوله من البقعة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنِّي وَجَدتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ (٢٤)

يقول تعالى، مخبرا عن قيل الهدهد لسليمان، مخبرا بعذره فى مغيبه عنه: (إنّى وَجَدْتُ امْرأةً تَمْلِكُهُمْ): يعنى تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عُذْرا وحجة عند سليمان ، درأ به عنه ما كان أُوعِد به ، لأن سليمان كان لايرى أن فى الأرض أحدا له مملكة معه ، وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا حُبِّب إليه الجهاد والغزو ، فلما دله الهدهد على مُلْك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له فى جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل ، والثواب العظيم فى الآجل ، وضمّ مملكة لغيره إلى ملكه ، حقّت للهدهد المعذرة ، وصحّت له الحجة فى مغيبه عن سليمان .

وقوله (وأُوتِيَتْ مِنْ كُلّ شَيْءٍ) يقول: وأوتيت من كلّ شىء يؤتاه المَلِك فى عاجل الدنيا، مما يكون عندهم من العتاد والآلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى عُبَيدة الباجى ، عن الحسن ، قوله (وأُوتِيَتْ مِنْ كُلّ شَيْءٍ) يعنى : من كل أمر الدنيا .

وقوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يقول : ولها كرسىٌّ عظيم . وعنى بالعظيم فى هذا الموضع : العظيم فى قدره ، وعظم خطره ، لاعظمه فى الكبر والسعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) قال : سرير كريم ، قال: حَسَن الصنعة . وعرشها : سرير من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى عبيدة الباجى ، عن الحسن ، قوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يعنى : سرير عظيم .

وقوله (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : وجدت هذه المرأة ملكة سبأ ، وقومها من سبأ ، يسجدون للشمس ، فيعبدونها من دون الله . وقوله (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول : وحسّن لهم إبليس عبادتهم الشمس ، وسجودهم لها من دون الله ، وحبّب ذلك إليهم (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول : فمنعهم بتزيينه ذلك لهم ، أن يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذى بعث به أنبياءه ، ومعناه : فصدّهم عن سبيل الحقّ (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) يقول : فهم لما قد زَين لهم الشيطان ما زيّن ، من السجود للشمس من دون الله والكفر به ، لايهتدون لسبيل الحقّ ، ولا يسلكونه ، ولكنهم فى ضلالهم الذى هم فيه يتردّدون .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)

اختلفت القرّاء ، فى قراءة قوله (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلّهِ) فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين (أَلَا) بالتخفيف ، بمعنى : ألا ياهؤلاء اسجدوا ، فأضمروا « هؤلاء » اكتفاء بدلالة « يا » عليها . وذكر بعضهم سماعا من العرب : ألا يا ارْحمنا ، ألا يا تَصَدَّقْ علينا ؛ واستشهد أيضا ببيت الأخطل :

ألا يا اسْلَمِي يا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرٍ وَإِنْ كانَ حَيَّانا عِدًا آخِرَ الدَّهْرِ[1]

فعلى هذه القراءة « اسجدوا » فى هذا الموضع جزم ، ولا موضع لقوله « أَلَا » فى الإعراب . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة (أَلَّا يَسْجُدُوا) بتشديد ألّا ، بمعنى : وزيّن لهم الشيطان أعمالهم ، لئلا يسجدوا لله ، « ألّا » فى موضع نصب ، لما ذكرت من معناه أنه لئلا ، ويسجدوا فى موضع نصب بأن .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مستفيضتان فى قَرَأَة الأمصار ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء ، مع صحة معنييهما .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « يا » فى قراءة من قرأه على وجه الأمر ، فقال بعض نحوّيى البصرة : من قرأ ذلك كذلك ، فكأنه جعله أمرا ، كأنه قال لهم : اسجدوا ، وزاد « يا » بينهما التى تكون للتنبيه ، ثم أذهب ألف الوصل التى فى اسجدوا ، وأذهبت الألف التى فى « يا » لأنها ساكنة لقيت السين ، فصار

(١) البيت : نسبه فى (اللسان : عدا) إلى الأخطل التغلبى الشاعر الأموى . قال : وقد جاء فى الشعر « العدى » بمعنى الأعداء . وقال ابن الأعرابى فى قول الأخطل : « ألا ياسلمى » . . . البيت : العدى : التباعد . وقوم عدى : إذا كانوا ، متباعدين لا أرحام بينهم ولا حلف . وقوم عدى : إذا كانوا حربا . وقد روى البيت بالكسر والضم ، مثل سوى وسوى . الأصمعى : يقال : هؤلاء قوم عدى ، مقصور ، يكون للأعداء وللغرباء . ولا يقال : قوم عدى ولا يقال : قوم عدى (بضم العين) إلا أن تدخل الهاء ، فتقول : عداة ، فى وزن قضاة . قال أبو زيد : طالت عدواؤهم ، أى تباعدهم وتفرقهم . وشاهد المؤلف فى هذا البيت : أن حرف النداء يا ، داخل على منادى محذوف . تقديره ألا ياهذه اسلمى . وهو نظير قول الله عز وجل : « ألا يا اسجدوا » تقديره : ألا ياهؤلاء اسجدوا . فأضمر هؤلاء ، اكتفاء بدلالة « يا » عليها .

ألا يسجدوا . وقال بعض نحويي الكوفة : هذه « يا » التى تدخل للنداء ، يكتفى بها من الاسم ، ويكتفى بالاسم منها ، فتقول : يا أقبل ، وزيد أقبل ، وما سقط من السواكن فعلى هذا .

ويعنى بقوله (يُخْرِجُ الخَبْءَ) يخرج المخبوء فى السموات والأرض ، من غيث فى السماء ، ونبات فى الأرض ، ونحو ذلك .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت عبارتهم عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جُرَيج ، قراءة عن مجاهد (يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ) قال : الغيث .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُخْرِجُ الخَبْءَ) قال : الغيث .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِى يُخْرِجُ الخبْءَ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ) قال : خبء السماء والأرض : ما جعل الله فيها من الأرزاق ، والمطر من السماء ، والنبات من الأرض ، كانتا رتقا لاتمطر هذه ، ولاتنبت هذه ، ففتق السماء ، وأنزل منها المطر ، وأخرج النبات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن حكيم ابن جابر ، فى قوله (ألاَّ يَسْجُدُوا لله الَّذِى يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ) ويعلم كلّ خفية فى السموات والأرض .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أُسامة بن زيد ، عن معاذ بن عبد الله ، قال : رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب : هل سألت كعبا عن البذر تنبت الأرض العام لم يصب العام الآخر ، قال : سمعت كعبا يقول : البذر ينزل من السماء ، ويخرج من الأرض ، قال : صدقت .

۞ قال أبو جعفر : إنما هو تبيع ، ولكن هكذا قال محمد . وقيل : يخرج الخَبْءَ فى السموات والأرض ، لأن العرب تضع «مِن» مكان «فى» ، و« فى» مكان «مِن» فى الاستخراج (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) يقول : ويعلم السرّ من أمور خلقه ، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها ، وذلك على قراءة من قرأ ألاَّ بالتشديد . وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه : ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله : ألا يا هؤلاء اسجدوا . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة أُبىّ (ألا تَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِى يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ) .

وقوله (اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : الله الذى لاتصلح العبادة إلا له ، لاإله إلا هو ، لامعبود سواه تصلح له العبادة ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالطاعة ، ولا تشركوا

به شيئا (رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) يعنى بذلك : مالك العرش العظيم الذى كل عرش ، وإن عظم فدونه ، لايُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) إلى قوله (لاإلَه إلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) هذا كله كلام الهدهد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا ، فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ، فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)

⁂ يقول تعالى ذكره (قالَ) سليمان للهدهد (سَنَنْظُرُ) فيما اعتذرت به من العذر ، وا حتججت به من الحجة لغيبتك عنا ، وفيما جئتنا به من الخبر (أصَدَقْتَ) فى ذلك كله (أمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ) فيه (اذْهَبْ بكِتابِى هذا فألْقِهْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فانْظُرْ ماذا يَرْجِعُونَ) .

فاختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : اذهب بكتابى هذا ، فألقه إليهم ، فانظر ماذا يَرْجِعون ، ثم تولّ عنهم منصرفا إلىّ ، فقال : هو من المؤخَّر الذي معناه التقديم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : فأجابه سليمان ، يعنى أجاب الهدهد لَمّا فرغ (قالَ سَنَنْظُرُ أصَدَقْتَ أمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ . اذْهَبْ بكِتابِى هَذَا فَألْقِهْ إلَيْهِمْ) وانظر ماذا يرجعون ، ثم تولّ عنهم منصرفا إلىّ ، وقال : وكانت لها كَوّة مستقبلةُ الشمس ، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها ، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدّها ، واستبطأت الشمس ، فقامت تنظر ، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه ، وطار حتى قامت تنظر الشمس .

⁂ قال أبو جعفر : فهذا القول من قول ابن زيد يدلّ على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعا ، بعد إلقائه الكتاب ، وأن نظره إلى المرأة ما الذى ترجع وتفعل ؟ كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ، ثم تولّ عنهم ، فكن قريبا منهم ، وانظر ماذا يرجعون ؛ قالوا : وفعل الهدهد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها ، وقولها لهم : (إنّى أُلْقِىَ إلَىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ ، إنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ ، وَإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قوله (فَألْقِهْ إلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ) : أى كن قريبا (فانْظُرْ ماذا يَرْجِعُونَ) . وهذا القول أشبه

بتأويل الآية ، لأن مراجعة المرأة قومها ، كانت بعد أن ألقى إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أُمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه ، قبل أن يفعل ما أمره به سليمان .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ ، وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣١)

⁂ يقول تعالى ذكره : فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها ، فألقاه إليها ؛ فلما قرأته قالت لقومها (يا أيُّها المَلأُ ، إنّى أُلْقِىَ إلىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كتب ، يعنى سليمان بن داود مع الهدهد : بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن داود ، إلى بِلْقِيس بنت ذى شرح وقومها . أما بعد ، فلا تعلو علىّ ، وأتونى مسلمين » قال : فأخذ الهدهد الكتاب برجله ، فانطلق به حتى أتاها ، وكانت لها كوّة فى بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها ، فسجدت لها ، فأتى الهدهدُ الكَوّة فسدّها بجناحيه ، حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ، ثم ألقى الكتاب من الكوّة ، فوقع عليها فى مكانها الذى هى فيه ، فأخذته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قَتادة ، قال : بلغنى أنها امرأة يقال لها « بلقيس » ، أحسبه قال : ابنة شراحيل ، أحد أبويها من الجنّ ، مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة ، وكانت فى بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاث مئة واثنى عشر ، كلّ رجل منهم على عشرة آلاف ، وكانت بأرض يقال لها مَأْرب ، من صنعاء على ثلاثة أيام ؛ فلما جاء الهدهد بخبرها إلى سليمان بن داود ، كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد ، فجاء الهدهد وقد غَلّقت الأبواب ، وكانت تُغَلّق أبوابها ، وتضع مفاتيحها تحت رأسها ، فجاء الهدهد ، فدخل من كَوّة ، فألقى الصحيفة عليها ، فقرأتها ، فإذا فيها : (إنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ ، وَإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أنْ لاتَعْلُو عَلَىَّ ، وأْتُونِى مُسْلِمِينَ) .

وكذلك كانت تكتب الأنبياء لاتطنب ، إنما تكتب جملا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : لم يزد سليمان على ماقصّ الله فى كتابه : إنه ، وإنه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (اذْهَبْ بكتابِى هَذَا فَأَلْقِهْ إلَيْهِمْ) فمضى الهدهد بالكتاب ، حتى إذا حاذى الملكة وهى على عرشها ، ألقى إليها الكتاب .

وقوله (قالَتْ يا أيُّها المَلأُ إنّى أُلْقِىَ إلىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) والملأ : أشراف قومها ، يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشراف قومها (يا أيُّها المَلأُ إنّى أُلْقِىَ إلىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) .

واختلف أهل العلم فى سبب وصفها الكتاب بالكريم ، فقال بعضهم : وصفته بذلك لأنه كان مختوما .

وقال آخرون : وصفته بذلك لأنه كان من ملك ، فوصفته بالكرم لكرم صاحبه . وممن قال ذلك ابن زيد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنّى أُلْقِىَ إلىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) قال : هو كتاب سليمان حيث كتب إليها .

وقوله (إنَّهُ مِن سُلَيْمانَ وَإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) كُسِرت إنّ الأولى والثانية على الردّ على إنى من قوله (إنّى أُلْقِىَ إلىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) . ومعنى الكلام : قالت : يا أيها الملأ ، إنى ألقى إلىّ كتاب ، وإنه من سليمان .

وقوله (أنْ لا تَعْلُو عَلَىَّ وأْتُونِى مُسْلِمِينَ) يقول : ألْقِى إلىّ كتاب كريم : ألا تعلوا علىّ .

فى أن وجهان من العربية : إن جعلت بدلا من الكتاب ، كانت رفعا بما رفع به الكتاب ، بدلا منه ؛ وإن جعل معنى الكلام : إنى ألقى إلىّ كتاب كريم : أن لاتعلو علىّ كانت نصبا ، بتعلق الكتاب بها .

وعنى بقوله (أنْ لاتَعْلُوا علىّ) : أن لاتتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ألاَّ تَعْلُوا عَلَىَّ) : أن لاتمتنعوا من الذى دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدتكم ، فقلت لابن زيد (أنْ لاتَعْلُوا عَلَىَّ) أن لاتتكبروا علىّ ، قال : نعم ؛ قال : وقال ابن زيد (أنْ لاتَعْلُوا عَلَىَّ ، وأْتُونى مُسْلِمِينَ) ذلك فى كتاب سليمان إليها . وقوله (وأْتُونِى مُسْلِمِينَ) يقول : وأقبلوا إلىّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى ، مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا۟ : نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ، فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشراف قومها (يا أيُّها المَلأُ أفْتُونِى فِى أمْرِي) تقول : أشيروا علىّ فى أمرى الذى قد حضرنى ، من أمر صاحب هذا الكتاب الذى أُلْقِىَ إلىّ ، فجعلت المشورة فُتْيا .

وقوله (ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْرًا حتى تَشْهَدُونِ) : تقول : ما كنت قاضية أمرا فى ذلك حتى تشهدون ، فأشاوركم فيه .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : دعت قومها تشاورهم (أيُّها المَلأُ أفْتُونِى فِى أمْرِى ، ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْرًا حتى تَشْهَدُونِ) يقول فى الكلام : ما كنت لأقطع أمرا دونك ، ولا كنت لأقضى أمرا ، فلذلك قالت (ما كُنْتُ قاطعةً أمْرًا) بمعنى : قاضية .

وقوله (قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وأُولُو بأْسٍ شَدِيدٍ) يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم مَلِكة سبأ، إذ شاورتهم فى أمرها وأمر سليمان : نحن ذوو القوّة على القتال ، والبأس الشديد فى الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك فى القتال وفى تركه ، فانظري من الرأى ما ترين ، فَمُرِينا نأتمرْ لأمرك .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (قالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) عرضوا لها القتال ، يقاتلون لها ، والأمر إليك بعد هذا ، فانْظُرِى ماذَا تَأْمُرِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيول[1] ، مع كلّ قيول[1] مئة ألف .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان مع بلقيس مئة ألف قَيْل ، مع كل قَيْل مئة ألف .

قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، قال : سمعت مجاهدا يقول : كانت تحت يد ملكة سبأ اثناعشر ألف قيول ، والقيول[1] بلسانهم : الملك تحت يد كلّ مَلِكٍ مئة ألف مقاتل .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)

⁂ يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أَمَرَتهم بذلك (إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) عَنْوة. وغَلَبَةَ (أفْسَدُوها) يقول: خرّبوها (وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّةً) وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم ، وتناهى الخبر منها عن الملوك فى هذا الموضع ، فقال الله (وكذلكَ يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عَنْوَة.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر ، فى قوله (وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّةً) قال أبو بكر : هذا عَنْوَة .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوها) قال : إذا دخلوها عَنْوَة خرّبوها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس (قالَتْ

(١) القيل ، بفتح فسكون : الملك الصغير فى اليمن ، وجمعه أقيال وقيول . وأما القيول، ولعله بفتح القاف ، للملك الواحد، فلم أجده بالمعاجم ، ولعله لفظ عام عند أيمن .

إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوها : وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّةً) قال ابن عباس : يقول الله (وكذلكَ يَفْعَلُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ، فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ؟(٣٥) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ : أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ؟ فَمَآ ءَاتَىٰنِىَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ، بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ ، فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ، وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ (٣٧)

ذُكر أنها قالت : إنى مرسلة إلى سليمان ، لتختبره بذلك وتعرفه به ، أملك هو ، أم نبىّ ؟ وقالت : إن يكن نبيا لم يقبل الهدية ، ولم يرضه منا ، إلا أن نتبعه على دينه ، وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف .

ذكر الرواية عمن قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قالت : (وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ؟) قال : وبعثت إليه بوصائف ووَصَفاء ، وألبستهم لباسا واحدا ، حتى لايعرف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زَيَّل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردّ الهدية ، فإنه نبىّ ، وينبغى لنا أن نترك مُلْكنا ، ونتبعَ دينه ، ونلحقَ به .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : بجوار لباسهم لباس الغِلْمان ، وغِلْمان لباسهم لباس الجوارى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قولها (وَإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : مِئتى غلام ومِئتى جارية . قال ابن جُرَيج ، قال مجاهد : قوله (بِهَدِيَّةٍ) قال : جوار ألبستهنّ لباس الغِلمان ، وغِلمان ألبستهم لباس الجوارى .

قال ابن جُرَيج ، قال : قالت : فإن خَلَّص الجوارى من الغلمان ، وردّ الهدية ، فإنه نبىّ ، وينبغى لنا أن نتبعَه .

قال ابن جُرَيج ، قال مجاهد : فخلّص سليمان بعضهم من بعض ، ولم يقبل هديتها .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن معمر ، عن ثابت البُنَانىّ ، قال : أهدت له صفائح الذهب ، فى أوعية الديباج ؛ فلما بلغ ذلك سليمان ، أمر الجنّ فموّهوا له الآجرّ بالذهب ، ثم أمر به فألقى فى الطرق ؛ فلما جاءوا فرأوه ملقى ، ما يُلتفت إليه ، صغُر فى أعينهم ما جاءوا به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا

قَرْيَةً أفْسَدُوها) . . . الآية ، وقالت : إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسنرضيه ، وإن كان إنما يريد الدين ، فلن يقبلَ غيره (وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة فى بيت ملك ، لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها ، إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك ، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر : الزنديقية ؛ فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التى كانت قبلها ، فبعثت إلى المقاولة من أهل اليمن ، فقالت لهم (يا أيُّها المَلأُ إنّى أُلْقِىَ إلىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ ، إنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ ، وَإنَّهُ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ألاَّ تَعْلُوا عَلَىَّ ، وأْتُونِى مُسْلِمِينَ) إلى قوله (بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُون) ثم قالت : إنه قد جاءنى كتاب لم يأتنى مثله من ملك من الملوك قبله ، فإن يكن الرجل نبيا مرسلا ، فلا طاقة لنا به ولا قوّة ، وإن يكن الرجل ملكا يكاثر ، فليس بأعزّ منا ، ولا أعدّ ، فهيّأت هدايا مما يُهدَى للملوك ، مما يُفتنون به ، فقالت : إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ، ويرغب فى المال ، وإن يكن نبيا فليس له فى الدنيا حاجة ، وليس إياها يريد ، إنما يريد أن ندخل معه فى دينه ، ونتبعه على أمره ، أو كما قالت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) بعثت بوصائف ووصفاء ، لباسهم لباس واحد ، فقالت : إن زَيّل بينهم ، حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردّ الهدية ، فهو نبىّ ، وينبغى لنا أن نتبعه ، وندخلَ فى دينه ، فزيّل سليمان بين الغلمان والجوارى ، وردّ الهدية فقال (أتُمِدونَنِ بِمالٍ ؟ فَمَا آتانِىَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان فى الهدايا التى بعثتْ بها وصائف ووصفاء يختلفون فى ثيابهم ، ليميز الغلمان من الجوارى ، قال : فدعا بماء ، فجعل الجوارى يتوضأن من المرفق إلى أسفل ، وجعل الغلمان يتوضئون من المرفق إلى فوق . قال : وكان أبى يحدثنا هذا الحديث .

حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح (وَإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : أرسلت بلَبِنة من ذهب ، وقالت : إن كان يريد الدنيا علمته ، وإن كان يريد الآخرة علمته .

وقوله (فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) تقول : فأنظر بأىّ شىء من خبره وفعله فى هديتى التى أرسلها إليه ترجع رسلى ؟ أبقبول وانصراف عنا ، أم بردّ الهدية والثبات على مطالبتنا بإتباعه على دينه ؟ وأسقطت الألف من « ما » فى قوله (بِمَ) ، وأصله : بما ، لأن العرب إذا كانت « ما » بمعنى : أىّ ؟ ثم وصلوها بحرف خافض ، أسقطوا ألفها ، تفريقا بين الاستفهام وغيره ، كما قال جلّ ثناؤه (عَمَّ يَتَساءَلونَ) ؟ وقالوا : فيم كنتم ؟ وربما أثبتوا فيها الألف ، كما قال الشاعر :

عَلامَا قامَ يَشْتُمُنِى لَئِيمٌ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِى تُرَابِ[1]

(١) البيت لحسان بن ثابت ، وهو من شواهد كتاب « المغنى لابن هشام : ما » وفى قافيته روايتان أخريان : (فى دمان ، فى رماد) . قال ابن هشام : ويجب حذف ألف « ما » الاستفهامية إذا جرت ، وإبقاء الفتحة دليلا عليها ، نحو : فيم ، وإلام ؟ وعلام ؟ وبم ؟ =

وقالت (وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ) ، وإنما أرسلت إلى سليمان وحده، على النحو الذى بيّنا فى قوله (عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) ، وقوله (فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ قالَ أتُمِدُّونَنِى بِمالٍ) .

إن قال قائل : وكيف قيل (فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ) فجعل الخبر فى مجىء سليمان عن واحد ، وقد قال قبل ذلك (فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) فإن كان الرسول كان واحدا ، فكيف قيل (بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ؟) وإن كانوا جماعة فكيف قيل (فلمّا جاءَ سُليمان) ؟ قيل: هذا نظير ما قد بيّنا قبل، من إظهار العرب الخبر فى أمر كان من واحد ، على وجه الخبر عن جماعة، إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه، يُشار إليه بعينه ، فسُمى فى الخبر . وقد قيل : إن الرسول الذى وجّهته ملكة سبأ إلى سليمان، كان أمرا واحدا ، فلذلك قال (فلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ) يُراد به : فلما جاء الرسول سليمان ، واستدلّ قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك، بقول سليمان للرسول : ارجع إليهم ، وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ، فلما جاءوا سليمان على الجمع ، وذلك للفظ قوله (بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ؟) فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى . وقوله (قال أتُمِدُّونَنِى بِمالٍ ؟) يقول: قال سليمان لما جاء الرسول من قِبَل المرأة بهداياها: أتمدوننى بمال؟

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة (أتُمِدُّونَنِى) بنونين ، وإثبات الياء . وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك ، غير أنه حذف الياء من آخر ذلك، وكسر النون الأخيرة . وقرأه بعض قرّاء، البصرة بنونين، وإثبات الياء فى الوصل، وحذفها فى الوقف . وقرأه بعض قرّاء الكوفة بتشديد النون، وإثبات الياء . وكلّ هذه القراءات متقاربات، وجميعها صواب ، لأنها معروفة فى لغات العرب ، مشهورة فى منطقها .

وقوله (فَما آتانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمّا آتاكُمْ) يقول : فما آتانى الله من المال والدنيا، أكثر مما أعطاكم منها وأفضل . (بَلْ أنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) يقول: ما أفرح بهديتكم التى أهديتم إلىّ ، بل أنتم تفرحون بالهدية التى تُهدَى إليكم ، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ، ومكاثرة بها ، وليست الدنيا وأموالها من حاجتى ،لأن الله تعالى ذكره قد مكّننى منها، وملّكنى فيها ما لم يُملّكْ أحدا . (ارْجِعْ إلَيْهِمْ) وهذا قول سليمان لرسول المرأة (ارْجِعْ إلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها) : لا طاقة لهم بها، ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما أتت الهدايا سليمان، فيها الوصائف والوُصفاء ، والخيل العِراب ، وأصناف من أصناف الدنيا ، قال للرسل

= وعلة حذف الألف: الفرق بين الاستفهام والخبر ، فلهذا حذفت فى نحو : «فيم أنت من ذكراها ؟ فناظرة بم يرجع المرسلون ؟ لم تقولون مالا تفعلون ؟» وأما قراءة عكرمة وعيسى : عما يتساءلون ؟ فنادر . وأما قول حسان : « على ماقام » . . . البيت ، فضرورة. والدمان كالرماد : وزنا ومعنى . ويروى : فى رماد ؟ فلذلك رجحته على تفسير ابن الشجرى له بالسرجين . ومثله قول الآخر :

إنا قتلنا بقتلانا سراتكم أهل اللواء ففيما يكثر القيل

وهذا يتضمن معنى قول المؤلف فى هذا الشاهد .

الذين جاءوا به (أتُمِدُّونَنِى بِمَالٍ ؟ فَمَا آتَانِىَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) لأنه لاحاجة لى بهديتكم ، وليس رأيى فيه كرأيكم ، فارجعوا إليها بما جئتم به من عندها ، (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهُمْ بِهَا) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهُمْ بِهَا) قال : لاطاقة لهم بها .

وقوله (وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) يقول : ولنخرجنّ من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون ، إن لم يأتونى مسلمين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) ، أو لتأتينى مُسلمةً هى وقومها .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ، وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ، فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ، قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ، لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ، وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ، وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ (٤٠)

اختلف أهل العلم فى الحين الذى قال فيه سليمان (يا أيُّها المَلأُ أيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها) فقال بعضهم : قال ذلك حين أتاه الهدهد بنبأ صاحبة سبأ ، وقال له (جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) وأخبره أن لها عرشا عظيما ، فقال له سليمان صلى الله عليه وسلم (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ) . فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء : أيكم يأتينى بعرش هذه المرأة ، قبل أن يأتونى مسلمين ؟ وقالوا : إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة ، بعد ما صحّ عنده صدق الهدهد ، بمجىء العالم بعرشها إليه ، على ما وصفه به الهدهد . قالوا : ولولا ذلك كان محالا أن يكتب معه كتابا إلى من لايدرى : هل هو فى الدنيا أم لا ؟ قالوا : وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتابا إلى المرأة ، قبل مجىء عرشها إليه ، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك ، لم يكن لقوله له (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ) معنى ، لأنه لايُلِيم بخبره الثانى ، من إبلاغه إياها الكتاب ، أو ترك إبلاغه إياها ذلك ، إلا نحو الذى علم بخبره الأوّل ، حين قال له (جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) قالوا : وإن لم يكن فى الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه ، وكان

محالا أن يقول نبيّ الله قولا لامعنى له ، وقد قال (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ) علم أن الذى امتحن به صدق الهدهد من كذبه ، هو مصير عرش المرأة إليه ، على ما أخبره به الهدهد ، الشاهد على صدقه ، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن سليمان أُوتِى ملكا ، وكان لايعلم أن أحدا أوتى ملكا غيره ؛ فلما فقد الهدهد سأله : من أين جئت ؟ ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب ، قال (جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) قال له سليمان : ما هذا النبأ ؟ قال الهدهد : (إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً) بسبأ (تَمْلِكُهُمْ ، وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطانا ، أنكر أن يكون لأحد فى الأرض سلطان غيره ، فقال لمن عنده من الجنّ والإنس (يا أَيُّهَا المَلأُ ، أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ؟ قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ أنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ ، وإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ) . قال سليمان : أريد أعجل من ذلك (قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ) وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر ، الذى إذا دُعِى به أجاب : (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) فدعا بالاسم ، وهو عنده قائم ، فاحتمل العرش احتمالا ، حتى وُضع بين يدى سليمان ، والله صنع ذلك ؛ فلما أُتى سليمانُ بالعرش وهم مشركون ، يسجدون للشمس والقمر ، أخبره الهدهد بذلك ، فكتب معه كتابا ثم بعثه إليهم ، حتى إذا جاء الهدهد الملكة ألقى إليها الكتاب (قالَتْ يا أَيُّها المَلأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) . . . إلى (وأْتُونِى مُسْلِمِينَ) فقالت : لقومها ما قالت (وإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) قال : وبعثت إليه بوصائف ووَصَفاء ، وألبستهم لباسا واحدا ، حتى لايُعْرف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زَيَّل بينهم ، حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردّ الهدية ، فإنه نبىّ ، وينبغى لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به ، فردّ سليمان الهدية ، وزيل بينهم ، فقال : هؤلاء غلمان ، وهؤلاء جوار . وقال (أَتُمِدُّونَنِى بِمالٍ ؟ فَمَا آتانِىَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) . . . إلى آخر الآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) . . . الآية ؛ قال : وأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره ، قال لمن حوله من الجنّ والإنس (أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بعَرْشِها) . . . الآية ؟

وقال آخرون : بل إنما اختبر صدق الهدهد سليمان بالكتاب ، وإنما سأل مَنْ عِنْدَه إحضاره عرش المرأة ، بعد ما خرجت رسلها من عنده ، وبعد أن أقبلت المرأة إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به طاقة ، وما نصنع

بمكاثرته شيئا ، وبعثت : إنى قادمة عليك بملوك قومى ، حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها ، الذى كانت تجلس عليه ، وكان من ذهب ، مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، فجعل فى سبعة أبيات بعضها فى بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ، وكانت إنما يخدمها النساء ، معها ستّ مئة امرأة يخدمنها ؛ ثم قالت لمن خلّفت على سلطانها ، احتفظ بما قِبَلك ، وبسرير ملكى ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيك ؛ ثم شخصت إلى سليمان فى اثنى عشر ألف ، قيل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كلّ قيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجنّ ، فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كلّ يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجنّ والإنس ، ممن تحت يده ، فقال (يا أيُّها المَلأُ ، أيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يأْتُونِى مُسْلِمِينَ) .

وتأويل الكلام : قال سليمان لأشراف من حضره من جنده ، من الجنّ والإنس : (يا أيُّها المَلأُ ، أيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها ؟) يعنى سريرها .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (أيُّكُمْ يَأْتِينِى بعَرْشِها) قال : سرير فى أريكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : عرشها سرير فى أريكة . قال ابن جُرَيج : سرير من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها) : بسريرها .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها ؟) قال : مجلسها .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله خصّ سليمان مسألة الملأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين إملاكها قبل إسلامها ، فقال بعضهم : إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته ، وخشى أن تسلم ، فيحرُم عليه مالها ، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرُم عليه أخذه بإسلامها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أخبر سليمان الهدهد أنها قد خرجت لتأتيه ، وأخبر بعرشها فأعجبه ، كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلّل باللؤلؤ ، فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين ، لم تحلّ لهم أموالهم ، فقال للجنّ (أيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأتونِى مُسْلِمِينَ) ؟

وقال آخرون : بل فعل ذلك سليمان ، ليعاتبها به ، ويختبر به عقلها ، هل تثبته إذا رأته ، أم تنكره ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أعلم الله سليمان أنها ستأتيه ، فقال :

(أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) حتى يعاتبها ، وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فقال بعضهم : معناه : قبل أن يأتونى مستسلمين طوعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عنا بن عباس ، قوله (قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) يقول : طائعين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قبل أن يأتونى مسلمين الإسلام الذى هو دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج (أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بحُرمة الإسلام ، فيمنعهم وأموالهم ، يعنى الإسلام يمنعهم .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب ، فى السبب الذى من أجله خَصّ سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة ، دون سائر ملكها عندنا ، ليجعل ذلك حجة عليها فى نبوّته ، ويعرّفها بذلك قُدرة الله وعظيم شأنه : أنها خلّفته فى بيت فى جوف أبيات ، بعضها فى جوف بعض ، مُغْلَقٍ مُقفَلٍ عليها ، فأخرجه الله من ذلك كله ، بغير فتح أغلاق وأقفال ، حتى أوصله إلى وَلِيه من خلقه ، وسلمه إليه ، فكان لها فى ذلك أعظم حجة ، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان ، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوّته .

فأما الذى هو أولى التأويلين فى قوله (قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بتأويله ، فقول ابن عباس ، الذى ذكرناه قَبلُ ، من أن معناه طائعين ، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة ، وإنما أسلمت بعد مَقْدَمها عليه ، وبعد محاورة جرت بينهما ومُساءلة .

وقوله (قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ) يقول تعالى ذكره : قال رئيس من الجنّ مارد قوىّ . وللعرب فيه لغتان : عِفْرِيت ، وعِفْرِيَة ؛ فمن قال : عِفْرِية ، جمعه : عَفارى ؛ ومن قال : عفريت ، جمعه : عفاريت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قال مجاهد (قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ) قال : مارد من الجنّ (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن بعض أصحابه (قالَ عِفْرِيتٌ) قال : داهية .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبئىّ ، قال : العفريت الذى ذكره الله اسمه : كوزن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، قال : عفريت اسمه كوزن .

وقوله (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ) يقول : أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا . وكان فيما ذُكر قاعدا للقضاء بين الناس ، فقال : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا، الذى جلست فيه للحكم بين الناس . وذُكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، مثله . قال : وكان يقضى ، قال : قبل أن تقوم من مجلسك الذى تقضى فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ) يعنى مجلسه .

وقوله (وإنّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أمِينٌ) على ما فيه من الجواهر ، ولا أخون فيه .

وقد قيل : أمين على فرج المرأة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، فى قوله (وإنّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أمِينٌ) يقول : قوىّ على حمله ، أمين على فرج هذه .

قوله (قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ) يقول جلّ ثناؤه : قال الذى عنده علم من كتاب الله، وكان رجلا فيما ذُكر من بنى آدم ، فقال بعضهم : اسمه بليخا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عثمة ، قال : ثنا شعبة ، عن بشر ، عن قتادة ، فى قوله (قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ) قال : كان اسمه بليخا .

حدثنا يحيى بن داود الواسطى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ) رجل من الإنس .

حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزارىّ ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، فى قول الله (قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ أنا آتِيكَ بِهِ) قال : أنا أنظر فى كتاب ربّى ، ثم آتيك به (قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الأرض ، حتى خرج إليهم .

حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنى حماد بن محمد ، عن عثمان بن مطر ، عن الزهرىّ ، قال : دعا الذى عنده علم من من الكتاب : يا إلهنا وإله كلّ شىء إلها واحدا ، لاإله إلا أنت ، ائتنى بعرشها ، قال : فمثل بين يديه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ) قال : رجل من بنى آدم ، أحسبه قال : من بنى إسرائيل ، كان يعلم اسم الله الذى إذا دُعِى به أجاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ) قال : الاسم الذى إذا دُعِى به أجاب ، وهو : يا ذا الجلال والإكرام .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قال سليمان لمن حوله (أيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ) فقال عفريت : (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ) قال سليمان : أريد أعْجَلَ من ذلك ، فقال رجل من الإنس عنده علم من الكتاب ، يعنى اسم الله الذى إذا دُعِى به أجاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ ، وإنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أمِينٌ) لآتيك بغيره ، أقول : غيره : أمثله لك . قال : وخرج يومئذ رجل عابد فى جزيرة من البحر ، فلما سمع العفريت (قالَ أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : ثم دعا باسم من أسماء الله ، فاذا هو يُحمل بين عينيه ، وقرأ (فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ، قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى) ... حتى بلغ (إنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال رجل من الإنس . قال : وقال مجاهد : الذى عنده علم من الكتاب : علم اسم الله .

وقال آخرون : الذى عنده علم من الكتاب ، كان آصَف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال عفريت لسليمان (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ ، وإنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أمِينٌ) . فزعموا أن سليمان بن داود قال : أبتغى أعْجَلَ من هذا ، فقال آصَف بن بَرْخيا ، وكان صدّيقا يعلم الاسم الأعظم ، الذى إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى : (أنا) يا نبىّ الله (آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) .

وقوله (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك : فقال بعضهم : معناه : أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مدّ البصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى إبراهيم ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن سعيد بن

جُبَير (قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى ، فذلك قوله (قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال غير قتادة (قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه (قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) تمدّ عينيك ، فلا ينتهي طرفك إلى مداه ، حتى أمثله بين يديك ، قال : ذلك أريد .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : أُخبرت أنه قال : ارفع طرفك من حيث يجيء ، فلم يرجع إليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن مجاهد ، في قوله (قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : مدّ بصره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مدّ البصر حتى يردّ الطرف خاسئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مدّ البصر حتى يَحْسِر الطرف .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره ؛ وذلك أن معنى قوله (يَرْتَدَّ إلَيْكَ) يرجع إليك البصر ، إذا فتحت العين غير راجع ، بل إنما يمتدّ ماضيا إلى أن يتناهى ما امتدّ نوره . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ) لم يكن لنا أن نقول : (أنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ) راجعا (إلَيْكَ طَرْفُكَ) من عند منتهاه .

وقوله (فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) يقول : فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرّا عنده ؛ وفي الكلام متروك استغني بدلالة ماظهر عما ترك ، وهو : فدعا الله ، فأُتي به ؛ فلما رآه سليمان مستقرّا عنده .

وذُكر أن العالم دعا الله ، فغار العرش في المكان الذي كان به ، ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : ذكروا أن آصف بن بَرْخِيا توضأ ، ثم ركع ركعتين ، ثم قال : يا نبيّ الله ، امدد عينك حتى ينتهي طرفك ،

فمدّ سليمان عينه ينظر إليه نحو اليمن ، ودعا آصف ، فانخرق بالعرش مكانه الذى هو فيه ، ثم نبع بين يدى سليمان ، فلما رآه سليمان مستقرّا عنده (قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : نبع عرشها من تحت الأرض .

وقوله (قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى) يقول : هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذى أنا فيه ، حتى حُمِل إلىّ عرش هذه فى قدر ارتداد الطرف ، من مأرب إلى الشام ، من فضل ربى الذى أفْضَلَهُ علىّ ، وعطائه الذى جاد به علىّ ، ليبلونى ، يقول : ليختبرنى ويمتحننى ، أأشكر ذلك من فعله علىّ ، أم أكفر نعمته علىّ ، بترك الشكر له .

وقد قيل : إن معناه : أأشكر على عرش هذه المرأة ، إذ أُتيت به ، أم أكفر إذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى عطاء الخُراسانىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّا عِنْدَهُ قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ) على السرير إذ أُتيت به (أَمْ أَكْفُرُ) إذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى ؟

وقوله (وَمَنْ شَكَرَ فإنمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) يقول : ومن شكر نعمة الله عليه ، وفضله عليه ، فإنما يشكر طلب نفع نفسه ، لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه ، لأنه لاحاجه لله إلى أحد من خلقه ، وإنما دعاهم إلى شكره ، تعريضا منه لهم للنفع ، لا لاجتلابٍ منه بشكرهم إياه نفعا إلى نفسه ، ولا دفع ضرّ عنها ، (وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ) يقول : ومن كفر نعمه وإحسانه إليه ، وفضله عليه ، لنفسه ظلم ، وحظّها بَخَس ، والله غنىّ عن شكره ، لاحاجة به إليه ، لايضرّه كفر من كفر به من خلقه . كريم ، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه ، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : قال سليمان لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ ، وقدمت هى عليه لجنده : غيروا لهذه المرأة سريرَها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : غيروا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : فلما أتته (قالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : وتنكير العرش ، أنه زيد فيه ونقص .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : غيروه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : مجلسها الذى تجلس فيه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) : أمرهم أن يزيدوا فيه ، وينقصُوا منه .

وقوله (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى) يقول : ننظر أتعقل فتُثبتَ عرشها أنه هو الذى لها (أم تكونُ مِنَ الَّذِينَ) يقول : من الذين لايعقلون ، فلا تثبت عرشها .

وقيل : إن سليمان إنما نكَّر لها عرشها ، وأمر بالصَّرْح يعمل لها ، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لاعقل لها ، وأن رجلها كحافر حمار ، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) قال : زِيد فى عرشها ونُقِص منه ، لينظر إلى عقلها ، فوجدت ثابتة العقل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى) أتعرفه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى) قال : تعرفه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) : أى أتعقل ، أم تكون من الذين لايعقلون ؟ ففعل ذلك لينظر أتعرفُه ، أم لاتعرفُه ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ . وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : لما جاءت صاحبة سبأ سليمان ، أخرج لها عرشها ، فقال لها : أهكذا عرشك ؟ قالت وشبهته به : كأنه هو .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها ، ثم قال (أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ؛ فلما جاءت قيل (أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) قال : شبهته ، وكانت قد تركته خلفها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبى يحدّثنا هذا الحديث كله ، يعنى حديث سليمان ، وهذه المرأة ؛ فلما جاءت (قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) شكّت .

وقوله (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمان : وقال سليمان وأوتينا العلم من قَبْل هذه المرأة بالله ، وبقدرته على مايشاء ، وكنا مسلمين لله من قبلها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) قال : سليمان يقوله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ، إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ ما كانت تعبد من دون الله ، وذلك عبادتها الشمس ، أن تعبد الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَصَدَّهَا ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ) قال : كفرها بقضاء الله غير الوثن ! أن تهتدى للحق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَصَدَّهَا ما كانَتْ

(١) لعل العبارة سقط منها كلمة ، وهى « صدها » . كما تدل الرواية الآتية بعد .

تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ) قال : كفرها بقضاء الله ، صدّها أن تهتدى للحقّ . ولو قيل : معنى ذلك : وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله ، بمعنى : منعها وحال بينها وبينه ، كان وجها حسنا . ولو قيل أيضا : وصدّها الله ذلك ، بتوفيقها للإسلام ، كان أيضا وجها صحيحا .

وقوله (إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ) يقول : إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين . وكسرت الألف من قوله « إنها » على الابتداء . ومن تأوّل قوله (وَصَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ) التأويل الذى تأوّلنا ، كانت « ما » من قوله (ما كانَتْ تَعْبُدُ) فى موضع رفع بالصدّ ، لأن المعنى فيه لم يصدّها عن عبادة الله جهلها ، وأنها لاتعقل ، إنما صدّها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر ، وكان ذلك من دين قومها وآبائها ، فاتبعت فيه آثارهم . ومن تأوّله على الوجهين الآخرين ، كانت « ما » فى موضع نصب .

القول فى تأويل قوله تعالى

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)

ذُكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ تريده ، أمر الشياطين فبنوا له صَرْحا ، وهو كهيئة السطح من قوارير ، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك ، وفهمها ، على نحو الذى كانت تفعل هى من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ، ليميز بين الذكور منهم والإناث ، معاتبة بذلك كذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : أمر سليمان بالصَّرْح ، وقد عملته له الشياطين من زجاج ، كأنه الماء بياضا ، ثم أرسل الماء تحته ، ثم وضع له فيه سريره ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجنّ والإنس ، ثم قال : ادخلى الصرح ، ليريها مُلكا هو أعزّ من مُلكها ، وسلطانا هو أعظم من سلطانها . (فَلَمَّا رأتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ، وكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها) لاتشكّ أنه ماء تخوضه ، قيل لها : ادخلى ، إنه صرح ممرّد من قوارير ؛ فلما وقفت على سليمان ، دعاها إلى عبادة الله ، وعابها فى عبادتها الشمس دون الله ، فقالت بقول الزنادقة ، فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت ، وسجد معه الناس ، وسُقِط فى يديها حين رأت سليمان صنع ماصنع ؛ فلما رفع سليمان رأسه قال : ويْحَك ماذا قلت ؟ قال : وأُنْسِيت ماقالت ، فقالت (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ) وأسلمت ، فحسُن إسلامها .

وقيل : إن سليمان إنما أمر ببناء الصَّرْح على ما وصفه الله ، لأن الجنّ خافت من سليمان أن يتزوّجها ، فأرادوا أن يزهدوه فيها ، فقالوا : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجنّ ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجنّ من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، قال : قالت الجنّ لسليمان تزهده فى بِلْقِيس : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجنّ ، فأمر سليمان بالصرح ، فعُمِل ، فسجن فيه دواب البحر : الحيتان ، والضفادع ؛ فلما بصُرَت بالصرح قالت : ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به إلا الغرق ؟ (فَحَسِبَتْهُ لُجَّةً ، وكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها) قال : فإذا أحسن الناس ساقا وقدما ، قال : فضنّ سليمان بساقها عن الموسَى ، قال : فاتخذت النُّورة بذلك السبب .

وجائز عندى أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للأمرين : الذى قاله وهب ، والذى قاله محمد بن كعب القُرَظيّ ، ليختبر عقلها ، وينظر إلى ساقها وقدمها ، ليعرف صحة ماقيل له فيها .

وكان مجاهد يقول فيما ذُكر عنه فى معنى الصرح : ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الصَّرْحُ) قال : بركة من ماء ، ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها . قال : وكانت بِلْقيس هَلْباء شَعْراء ، قدمها كحافر الحمار ، وكانت أمها جنية .

حدثنى أحمد بن الوليد الرملىّ ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نَهيك ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كانَ أحَدُ أبَوَىْ صَاحِبَةِ سَبأٍ جِنِّيًّا) .

قال : ثنا صفوان بن صالح ، قال : ثنى الوليد ، عن سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، عن بشير بن نَهيك ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر النضر بن أنس .

وقوله (فَلَمَّا رأتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) يقول : فلما رأت المرأة الصَّرْح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته : لجة بحر ، كشفت عن ساقيها ، لتخوضه إلى سليمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قَتادة (قِيلَ لَهَا ادْخُلِى الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رأتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) قال : وكان من قوارير ، وكان الماء من خلفه ، فحسبته لجة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (حَسِبَتْهُ لُجَّةً) قال : بحرا .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا ابن سوار ، قال : ثنا رَوح بن القاسم ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، فى قوله (وكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها) فإذا هما شَعْراوان ، فقال : ألا شىء يُذْهب هذا ؟ قالوا : الموسَى ، قال : لا ، الموسَى له أثر ، فأمر بالنُّورة ، فصنعت .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليمان ، عن عكرمة وأبى صالح قالا : لما

تزوّج سليمان بلقيس قالت له : لم تمسنى حديدة قطّ ، قال سليمان للشياطين : انظروا ما يُذهب الشعر ؟ قالوا : النُّورة ، فكان أوّل من صنع النُّورة .

وقوله (إنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِير) يقول جلّ ثناؤه : قال سليمان لها : إن هذا ليس ببحر ، إنه صرح ممرّد من قوارير ، يقول : إنما هو بناء مبنىّ مشيَّد من قوارير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، (مُمَرَّدٌ) قال : مُشَيَّد .

وقوله (قالَتْ رَبِّ إنّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ، وأسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ) ... الآية ، يقول تعالى ذكره قالت المرأة صاحبة سبأ : ربّ إنى ظلمت نفسى فى عبادتى الشمس ، وسجودى لما دونك (وأسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّهِ) تقول : وانقدْت مع سليمان ، مذعنة لله بالتوحيد ، مفردةً له بالألوهة والربوبية ، دون كلّ من سواه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى (حَسِبَتْهُ لُجَّةً) قال : إنه صرح ممرّد من قوارير ، فعرفت أنها قد غلبت (قالَتْ رَبِّ إنى ظَلَمْتُ نَفْسِى ، وأسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ، فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ : يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ، لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : (ولَقَدْ أرْسَلْنا إلى ثَمُودَ أخاهُمْ صَالِحا أنِ اعْبُدُوا اللهَ) وحده لاشريك له ، ولا تجعلوا معه إلها غيره (فإذَا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ) يقول : فلما أتاهم صالح داعيا لهم إلى الله ، صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون ، ففريق مصدّق صالحا مؤمن به ، وفريق مكذّب به ، كافر بما جاء به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ) قال : مؤمن وكافر ، قولهم صالح مرسل ، وقولهم صالح ليس بمُرسل . ويعنى بقوله (يَخْتَصِمُونَ) يختلفون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فإذَا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ) قال : مؤمن ، وكافر .

وقوله (قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ ؟) يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه : ياقوم لأىّ شىء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ) قال : السيئة : العذاب . قبل الحسنة : قبل الرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بالسَّيِّئَةِ) قال بالعذاب . قبل الحسنة ، قال : العافية .

وقوله (لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : هلا تتوبون إلى الله من كفركم ، فيغفر لكم ربكم عظيم جُرْمكم ، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم ، باستغفاركم إياه من كفركم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ، قَالَ : طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ، بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لرسولها صالح : اطَّيَّرنا بك وبمن معك : أى تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا ، وزجرنا الطير ، بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب ، فأجابهم صالح ، فقال لهم : طائركم عند الله ، أى ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره ، عند الله علمه ، لايُدْرَى أىُّ ذلك كائن ؛ أما تظنون من المصائب أو المكاره ، أم ما لاترجونه من العافية والرجاء والمحابّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ) يقول : مصائبكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (طائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ) علمكم عند الله .

وقوله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) يقول : بل أنتم قوم تُختَبرون ، يختبركم ربكم إذ أرسلنى إليكم ، أتطيعونه ، فتعملون بما أمركم به ، فيجزيكم الجزيل من ثوابه ، أم تعصونه ؟ فتعملون بخلافه ، فيحلّ بكم عقابه ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَانَ فِى الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا : تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ (٤٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : وكان فى مدينة صالح ، وهى حِجر ثمود ، تسعة أنفس يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، وكان إفسادهم فى الأرض : كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه ، وإنما خصّ الله جلّ ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم ، أنهم كانوا يفسدون فى الأرض ، ولا يصلحون ، وإن كان أهل الكفر كلهم فى الأرض مفسدين ، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سَعَوْا فيما بلغنا فى عَقْر الناقة ، وتعاونوا عليه ، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود . وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تِسْعَةُ رَهْطٍ) قال : من قوم صالح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وكانَ فِى المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ) هم الذين عقروا الناقة ، وقالوا حين عقروها : نبيّت صالحا وأهله فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح : ماشهدنا من هذا شيئا ، وما لنا به علم ، فدمّرهم الله أجمعين .

وقوله (قالُوا تَقَاسَمُوا باللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهْلَهُ) يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يُفسدون فى أرض حِجْر ثمود ، ولا يصلحون ، تقاسموا بالله : تحالفوا بالله أيها القومُ ، ليحلِفْ بعضكم لبعض : لنبيتنّ صالحا وأهله ، فلنقتلنه ، ثم لنقولنّ لوليه : ما شهدنا مهلك أهله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَقَاسَمُوا باللهِ) قال : تحالفوا على إهلاكه ، فلم يصلوا إليه ، حتى هلكوا وقومهم أجمعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بنحوه .

ويتوجه قوله (تَقَاسَمُوا بالله) إلى وجهين : أحدهما النصب على وجه الخبر ، كأنه قيل : قالوا متقاسمين وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَلا يُصْلِحُونَ . تَقَاسَمُوا باللهِ) وليس فيها قالوا ، فذلك من قراءته يدلّ على وجه النصب فى تقاسموا ، على ما وصفت . والوجه الآخر : الجزم كأنهم قال بعضهم لبعض : أقسموا بالله ، فعلى هذا الوجه الثانى تصلح قراءة (لَنُبَيِّتَنَّهُ) بالياء والنون ، لأن القائل لهم تقاسموا ، وإن كان هو الآمر ، فهو فيمن أقسم ، كما يقال فى الكلام : انهضوا بنا نَمْضِ إلى فلان ، وانهضوا نَمْضِى إليه . وعلى الوجه الأوّل الذى هو وجه النصب ، القراءة فيه بالنون أفصح ، لأن معناه : قالوا متقاسمين لَنُبَيِّتنه ، وقد

تجوز الياء على هذا الوجه ، كما يقال فى الكلام : قالوا لنكرمنّ أباك ، ولَيُكْرَمَنّ أباك ، وبالنون قرأ ذلك قرّاء المدينة ، وعامة قرّاء البصرة ، وبعض الكوفيين . وأما الأغلب على قرّاء أهل الكوفة ، فقراءته بالياء ، وضمّ التاء جميعا . وأما بعض المكيين ، فقرأه بالياء .

وأعجب القراءات فى ذلك إلىّ النون ، لأن ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بيّنت من النصب والجزم ، وإن كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت ، وأكرهها إلىّ القراءة بها الياء ، لقلة قارئ ذلك كذلك . وقوله (لَنُبَيِّتَنَّهُ) قال : ليبيتُنّ صالحا ، ثم يفتكوا به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : التسعة الذين عقروا الناقة : هلمّ فلنقتل صالحا ، فإن كان صادقا ، يعنى فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث ، عجلناه قبله ، وإن كان كاذبا ، نكون قد ألحقناه بناقته ، فأتَوه ليلا ليبيتوه فى أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطئوا على أصحابهم ، أتوا منزل صالح ، فوجدوهم مَشْدوخين ، قد رُضِخُوا بالحجارة . وقوله (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) نقول لوليه : وإنا لصادقون ، أنا ما شهدنا مهلك أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وغدر هؤلاء التسعةُ الرهطِ الذين يُفْسدون فى الأرض بصالح ، بمصيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله ، وصالح لايشعر بذلك (وَمَكَرْنَا مَكْرًا) يقول : فأخذناهم بعقوبتنا إياهم ، وتعجيلنا العذاب لهم (وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ) بمكرنا .

وقد بيّنا فيما مضى معنى : مكْر الله بمن مكَر به ، وما وجه ذلك ، وأنه أَخْذُه مَنْ أَخَذَهُ منهم على غِرّة ، أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به ، ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة به على غِرّة وغفلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شَمِر بن عطية ، عن رجل ، عن علىّ ، قال : المكر غَدر ، والغَدر كفر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا) قال : احتالوا لأمرهم ، واحتال الله لهم ، مكَروا بصالح مَكْرا ، ومكرْنا بهم مَكْرا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بمكرنا ، وشَعَرنا بمكرهم . قالوا : زعم صالح أنه يفرُغ منا إلى ثلاث ، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك ، وكان له مسجد فى الحِجْر فى شِعْب يصلى فيه ، فخرجوا إلى كَهْف ، وقالوا : إذا جاء يصلى قتلناه ،

ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ، ففرغنا منهم ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى (قالُوا تَقاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ماشَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، وإنَّا لَصادِقُونَ) فبعث الله صخرة من الهَضْب حِيالَهم ، فخشُوا أن تشدَخَهم ، فبادروا الغار ، فَطَبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار ، فلا يدرى قومُهم أين هم ؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم ؟ فعذّب الله تبارك وتعالى هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هنا ، وأنجى الله صالحا ومن معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنا مَكْرًا) قال : فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم .

وقوله (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ) يقول تعالى ذكره : فانظر يامحمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح ، كيف كانت ؟ وما الذى أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم ؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذّب رسلنا ، وطغى علينا من سائر الخلق ، فحذر قومك من قريش ، أن ينالهم بتكذيبهم إياك ، ما نال ثمود بتكذّيبهم صالحا من المثلات .

وقوله (إنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أجْمَعِينَ) يقول : إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون فى الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين ، فلم نبق منهم أحدا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إنَّا) فقرأ بكسرها عامة قرّاء الحجاز والبصرة على الابتداء ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (أنَّا دَمَّرْناهُمْ) بفتح الألف . وإذا فُتحت كان فى (أنَّا) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع على ردّها على العاقبة على الإتباع لها ، والآخر النصب على الردّ على موضع كيف ، لأنها فى موضع نصب إن شئت ، وإن شئت على تكرير كان عليها على وجه ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ؟ كان عاقبة مكرهم تدميرَنا إياهم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قَرَأَة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٥٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً) فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ، ليس فيها منهم أحد ، قد أهلكهم الله فأبادهم (بما ظلموا) : يقول تعالى ذكره : بظلمهم أنفسهم ، بشركهم بالله ، وتكذيبهم رسولهم (إنَّ فِى ذلكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى فعلنا بثمود ماقصصنا عليك يامحمد من القصة ، لعظةً لمن يعلم فعلنا بهم مافعلنا ، من قومك الذين يكذّبونك فيما جئتهم به من عند

ربك وعبرة . (وأنجَيْنا الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذى أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به (وكانُوا يَتَّقُونَ) يقول : وكانوا يتقون بإيمانهم ، وبتصديقهم صالحا ، الذى حلّ بقومهم من ثمود ما حلّ بهم من عذاب الله ، فكذلك ننجيك يامحمد وأتباعك ، عند إحلالنا عقوبتنا بمشركى قومك من بين أظهرهم .

وذكر أن صالحا لما أحلّ الله بقومه ما أحلّ ، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام ، فنزل رَمْلة فلسطين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ، بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) *

* يقول تعالى ذكره : وأرسلنا لوطا إلى قومه ، إذ قال لهم : ياقوم (أتأْتُونَ الفاحِشَةَ وأنْتُمْ تُبْصِرُونَ) أنها فاحشة ، لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد . وقوله (أئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً) منكم بذلك من دون فروج النساء ، التى أباحها الله لكم بالنكاح . وقوله (بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) يقول : ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حقّ الله عليكم ، فخالفتم لذلك أمره ، وعصيتم رسوله .

نمّ الجزء التاسعَ عَشَر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ ،

ويليه الجزء العشرون

أوله القول فى تأويل قوله تعالى (فَمَا كانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) . . . الخ

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء العشرون

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء العشرين

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ — فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٦	فما كان جواب قومه . . .	١
٥٧	فأنجيناه وأهله . . .	١
٥٨	وأمطرنا عليهم مطرا . . .	١
٥٩	قل الحمد لله وسلام على عباده . . .	٢
٦٠	أمّن خلق السموات والأرض . . .	٢
٦١	أمّن جعل الأرض قرارا . . .	٣
٦٢	أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه	٤
٦٣	أمّن يهديكم فى ظلمات البرّ	٤
٦٤	أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده .	٥
٦٥	قل لايعلم من فى السموات . . .	٥
٦٦	بل ادّارك علمهم فى الآخرة . . .	٥
٦٧	وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا . . .	٨
٦٨	لقد وعدنا هذا . . .	٨
٦٩	قل سيروا فى الأرض . . .	٩
٧٠	ولا تحزن عليهم . . .	٩
٧١	ويقولون متى هذا الوعد . . . ؟	٩
٧٢	قل عسى أن يكون رَدِف لكم . . .	٩
٧٣	وإن ربك لذو فضل على الناس . . .	١٠
٧٤	وإن ربك ليعلم ما تُكِنّ صدورُهم . . .	١٠
٧٥	وما من غائبة فى السماء والأرض . . .	١١
٧٦	إن هذا القرآن يقصّ . . .	١١
٧٧	وإنه لهدى ورحمة . . .	١٢
٧٨	إن ربك يقضى بينهم بحكمه . . .	١٢
٧٩	فتوكل على الله . . .	١٢
٨٠	إنك لاتُسْمِع الموتى . . .	١٢
٨١	وماأنت بهادى العمى . . .	١٢
٨٢	وإذا وقع القول عليهم . . .	١٢
٨٣	ويوم نَحْشر من كلّ أمة فوجا . . .	١٧
٨٤	حتى إذا جاءو قال أكذبتم . . .	١٧
٨٥	ووقع القول عليهم . . .	١٧
٨٦	ألم يروا أنا جعلنا الليل . . .	١٧
٨٧	ويوم يُنْفخ فى الصور . . .	١٨
٨٨	وترى الجبال تحسَبها جامدة . . .	٢١
٨٩	من جاء بالحسنة .	٢٢
٩٠	ومن جاء بالسيئة . . .	٢٢
٩١	إنما أُمِرت أن أعبد . . .	٢٤
٩٢	وأن أتلو القرآن . . .	٢٥
٩٣	وقل الحمد لله . . .	٢٥

تفسير سورة القصص

١	طسمّ .	٢٦
٢	تلك آيات الكتاب المبين .	٢٦
٣	نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون . . .	٢٦
٤	إن فرعون علا فى الأرض . . .	٢٧
٥	ونريد أن نمنّ على الذين . . .	٢٨
٦	ونمكن لهم فى الأرض . . .	٢٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	وأوحينا إلى أمّ موسى . . .	٢٩
٨	فالتقطه آل فرعون . . .	٣١
٩	وقالت امرأة فرعون . . .	٣٣
١٠	وأصبح فؤاد أمّ موسى . . .	٣٥
١١	وقالت لأخته قصيه . . .	٣٨
١٢	وحرّمنا عليه المراضع . . .	٤٠
١٣	فرددناه إلى أمه . . .	٤١
١٤	ولما بلغ أشدّه واستوى . . .	٤٢
١٥	ودخل المدينة على حين غفلة . . .	٤٣
١٦	قال : ربّ إنى ظلمت نفسى . . .	٤٦
١٧	قال ربّ بما أنعمت علىّ . . .	٤٦
١٨	فأصبح فى المدينة خائفا يترقب . . .	٤٧
١٩	فلما أراد أن يبطش . . .	٤٩
٢٠	وجاء رجل من أقصى المدينة . . .	٥٠
٢١	فخرج منها خائفا يترقب . . .	٥٢
٢٢	ولما توجه تلقاء مدين . . .	٥٢
٢٣	ولما ورد ماء مدين . . .	٥٤
٢٤	فسقى لهما . . .	٥٨
٢٥	فجاءته إحداهما تمشى . . .	٦٠
٢٦	قالت إحداهما يا أبت استأجره . . .	٦٢
٢٧	قال إنى أريد . . .	٦٥
٢٨	قال ذلك بينى وبينك . . .	٦٥
٢٩	فلما قضى موسى الأجل . . .	٦٧
٣٠	فلما أتاها نودى . . .	٧٠
٣١	وألق عصاك . . .	٧١
٣٢	أسلك يدك . . .	٧٢
٣٣	قال ربّ إنى قتلت . . .	٧٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٤	وأخى هارون هو أفصح منى . . .	٧٤
٣٥	قال سنشدّ عضدك بأخيك . . .	٧٥
٣٦	فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات . . .	٧٦
٣٧	وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى . . .	٧٦
٣٨	وقال فرعون يا أيها الملأ . . .	٧٧
٣٩	واستكبر هو وجنوده فى الأرض . . .	٧٨
٤٠	فأخذناه وجنوده فنبذناهم . . .	٧٨
٤١	وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار .	٧٩
٤٢	وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة . . .	٧٩
٤٣	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	٧٩
٤٤	وما كنت بجانب الغربى . . .	٨٠
٤٥	ولكنا أنشأنا قرونا . . .	٨٠
٤٦	وما كنت بجانب الطور . . .	٨١
٤٧	ولولا أن تصيبهم مصيبة . . .	٨٢
٤٨	فلما جاءهم الحقّ من عندنا . . .	٨٣
٤٩	قل فأتوا بكتاب من عند الله . . .	٨٦
٥٠	فان لم يستجيبوا لك . . .	٨٦
٥١	ولقد فصلنا لهم القول . . .	٨٧
٥٢	الذين آتيناهم الكتاب . . .	٨٧
٥٣	وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به . . .	٨٩
٥٤	أولئك يؤتون أجرهم مرّتين . . .	٩٠
٥٥	وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . . .	٩٠
٥٦	إنك لاتهدى من أحببت . . .	٩١
٥٧	وقالوا إن نتبع الهدى معك . . .	٩٣
٥٨	وكم أهلكنا من قرية . . .	٩٥
٥٩	وما كان ربك مهلك القرى . . .	٩٥
٦٠	وما أوتيتم من شىء . . .	٩٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦١	أفمن وعدناه وعدا حسنا . . .	٩٦
٦٢	ويوم يناديهم . . .	٩٧
٦٣	قال الذين حقّ عليهم القول . . .	٩٧
٦٤	وقيل ادعو شركاءكم . . .	٩٨
٦٥	ويوم يناديهم . . .	٩٨
٦٦	فعميت عليهم الأنباء . . .	٩٨
٦٧	فأما من تاب وآمن . . .	٩٩
٦٨	وربك يخلق ما يشاء . . .	٩٩
٦٩	وربك يعلم ما تكنّ صدورهم . . .	١٠٢
٧٠	وهو الله لاإله إلا هو . . .	١٠٢
٧١	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل . . .	١٠٢
٧٢	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار . . .	١٠٣
٧٣	ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار . . .	١٠٣
٧٤	ويوم يناديهم فيقول أين شركائى . . .	١٠٤
٧٥	ونزعنا من كلّ أمة شهيدا . . .	١٠٤
٧٦	إن قارون كان من قوم موسى . . .	١٠٥
٧٧	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . . .	١١١
٧٨	قال : إنما أوتيته على علم عندى . . .	١١٣
٧٩	فخرج على قومه . . .	١١٤
٨٠	وقال الذين أوتوا العلم . . .	١١٦
٨١	فخسفنا به وبداره الأرض . . .	١١٦
٨٢	وأصبح الذين تمنّوا مكانه . . .	١٢٠
٨٣	تلك الدار الآخرة . . .	١٢٢
٨٤	من جاء بالحسنة فله خير منها . . .	١٢٣
٨٥	إن الذى فرض عليك القرآن . . .	١٢٣
٨٦	وما كنت ترجو أن يُلقى . . .	١٢٦
٨٧	ولا يصدُّنك عن آيات الله . . .	١٢٧
٨٨	ولا تدع مع الله إلها آخر . . .	١٢٧

تفسير سورة العنكبوت

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	الم . . .	١٢٧
٢	أحسب الناس أن يُتركوا .	١٢٧
٣	ولقد فتنا الذين من قبلهم . . .	١٢٨
٤	أم حسب الذين يعملون السيئات . . .	١٣٠
٥	من كان يرجو لقاء الله . . .	١٣٠
٦	ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه . . .	١٣٠
٧	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٠
٨	ووصينا الإنسان بوالديه حسنا . . .	١٣١
٩	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٢
١٠	ومن الناس من يقول آمنا بالله . . .	١٣٢
١١	وليعلمنّ الله الذين آمنوا . . .	١٣٣
١٢	وقال الذين كفروا للذين آمنوا . . .	١٣٣
١٣	وليحملنّ أثقالهم وأثقالا . . .	١٣٥
١٤	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	١٣٥
١٥	فأنجيناه وأصحاب السفينة . . .	١٣٦
١٦	وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله . . .	١٣٦
١٧	إنما تعبدون من دون الله أوثانا . . .	١٣٧
١٨	وإن تكذّبوا فقد كذّب أمم . . .	١٣٨
١٩	أو لم يروا كيف يبدأ الله الخلق . . .	١٣٨
٢٠	قل سيروا فى الأرض . . .	١٣٨
٢١	يعذّب من يشاء ويرحم من يشاء . . .	١٣٩
٢٢	وما أنتم بمعجزين فى الأرض . . .	١٣٩
٢٣	والذين كفروا بآيات الله ولقائه . . .	١٤٠
٢٤	فما كان جواب قومه . . .	١٤١
٢٥	وقال إنما اتخذتم من دون الله . . .	١٤١
٢٦	فآمن له لوط وقال إنى مهاجر . . .	١٤٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	ووهبنا له إسحاق ويعقوب . . .	١٤٣
٢٨	ولوطا إذ قال لقومه . . .	١٤٤
٢٩	إنكم لتأتون الرجال . . .	١٤٤
٣٠	قال ربّ انصرنى على القوم المفسدين .	١٤٧
٣١	ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى . . .	١٤٧
٣٢	قال إن فيها لوطا . . .	١٤٧
٣٣	ولما جاءت رسلنا لوطا . . .	١٤٨
٣٤	إنا منزلون على أهل هذه القرية . . .	١٤٨
٣٥	ولقد تركنا منها آية . . .	١٤٨
٣٦	وإلى مدين أخاهم شعيبا .	١٤٩
٣٧	فكذّبوه فأخذتهم الرجفة . . .	١٤٩
٣٨	وعادا وثمود وقد تبين لكم . . .	١٤٩
٣٩	وقارون وفرعون وهامان . . .	١٥٠
٤٠	فكلا أخذنا بذنبه . . .	١٥٠
٤١	مثل الذين اتخذوا من دون الله . . .	١٥٢
٤٢	إن الله يعلم مايدعون من دونه . . .	١٥٣
٤٣	وتلك الأمثال نضربها للناس . . .	١٥٣
٤٤	خلق الله السموات والأرض . . .	١٥٤
٤٥	أتل ما أُوحى إليك من الكتاب . . .	١٥٤

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تأويل قوله تعالى « فما كان جواب قومه » . ومعنى التطهر .

٣ بيان أن المشركين يعدلون عن الحقّ إلى الجَوْر مع علمهم بذلك ، تقليدا لمن مضى .

٥ من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم الفِرْية على الله .

٧ الصواب فى قوله « بل ادّارك علمهم فى الآخرة » .

١١ بيان أن أمّ الكتاب أثبت ربنا فيه كلّ ماهو كائن من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة .

١٤ الدابة وخروجها ، وما ورد فيها من الآثار .

١٨ النفخ فى الصور ، وكم عدده ؟

٢١ سَيْر الجبال عند قيام الساعة .

٢٤ المراد بالبلَدة التى حرّمها الله : « مكة » ، ومعنى تحريمها .

٢٦ تفسير سورة القصص

٢٧ تأويل قوله « إن فرعون علا فى الأرض » ، وما كان يصنعه فرعون ببنى إسرائيل .

٢٩ الوحى الذى أوحى إلى أمّ موسى ليس بوحى نُبوّة .

٢٩ أخذ فرعون لموسى ، وتعيين اللاقط له .

٣٣ تأويل قوله « وقالت امرأة فرعون » ، وما قاله فرعون لامرأته عند ذلك .

الصفحة

٣٥ الخلاف فى معنى فراغ فؤاد أمّ موسى .

٤٢ الخلاف فى مقدار سِنِى الاستواء .

٤٣ تأويل قوله تعالى « ودخل المدينة » والسبب فى دخولها ، والسبب الذى من أجله قتل القبطى .

٤٩ السبب الذى دعا الإسرائيلىّ أن يظهر أن موسى قتل الفرعونىّ .

٥١ المراد بالرجل الذى جاء موسى فأخبره بإجماعهم على قتله ، وأمره بالخروج من البلد.

٥٣ ذهاب موسى إلى مَدْين وما لقِى من المتاعب .

٥٥ دخول موسى مَدْين ، وما جرى له مع المرأتين اللتين سَقَى لهما .

٦٥ خبر زواج موسى ، والاتفاق الذى كان بينه وبين أبى امرأته .

٧١ الشجرة التى رأى موسى فيها النار ، ومن أىّ الأنواع كانت .

٧٧ فرعون أوّل من طبخ الآجرّ ، وصفة صَرْحه.

٨١ تأويل قوله « وما كنت بجانب الطور » ، وأن المنادى أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

٨٧ تأويل قوله « ولقد وصّلنا لهم القول ».

٨٨ وما قال الله فى مؤمنى أهل الكتاب .

٩٢ خبر وفاة أبى طالب ، وما قاله له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الصفحة

٩٦ تأويل قوله « أفمن وعدناه وعداحسنا » . . . الآية ، والخلاف فيمن نزلت فيه .

٩٩ تأويل قوله « وربك يخلق ما يشاء » ، وأن معناها لايدلّ على نفى الاختيار عن الخلق .

١٠٤ نداء الله للمشركين ، ونزعه من كلّ أمة شهيدا ، وهو الرسول .

١٠٥ خبر قارون وما أوتيه من الغنى .

١١٦ ما فعله قارون بموسى حتى طلب من الله أن يخسف الأرض به ، واستغاث به فلم يُغثه .

١٢٢ تأويل قوله « تلك الدار الآخرة » ، وأن العلوّ هو الكبر ، والحكم بغير العدل هو الفساد .

الصفحة

١٢٧ تفسير سورة العنكبوت

١٢٨ ما ذكر فى سبب نزول قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا » .

١٣٥ عمر نوح حين أرسل إلى قومه ، وكم لبث فيهم حتى جاءهم الطوفان .

١٤٢ هجرة إبراهيم ولوط من كُوثى إلى الشام .

١٤٤ ما كان يفعله قوم لوط من السيئات بمن يمرّ عليهم .

١٥٤ تأويل قوله « اتل ما أُوحى إليك » . . . الآية . والصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ا	
لايَرَاها	٦٦
سَوَاءُ	١٤٠
ب	
حَبِيبُ	٨
ت	
عَجِيزَتُها	١٠٩
ج	
تُهَمْلِجُ	٢١
ح	
الصُّرُوحَا	٧٧
د	
تَذُودُ	٥٥
مَوْعِدَا	٨١
جَاحِدَا	٣٩
ر	
فَمَرّ	٦٩
يُؤْتَمَرْ	٥٢
تَجْهُرْهْ	١١٠
الحُمُرْ	١٠٩
وحَجْرِ	١١٩
بِصَبْرِ	١١٩
بِنُكْرِ	١٢٠
ضُرِّ	١٢٠
دَعِرِ	٧٠
الفادِرِ	٥٣
مَنْشُورِ	١٥١
ط	
فُرَّاطا	٣١
ع	
تابِعُ	٦٦
نُزَّعا	٥٥
ف	
مُكَلَّفُ	١٠١
ومُسْلِفُ	١٠١
مَعْرُوفُ	١٠٠
جارِفِ	١٣٦
ق	
أُطِيقُ	١٠٨
ل	
يُوَصلُ	٨٧
مَوَاصِلُهْ	١١٠
كاهِلُهْ	١١٠
والعَمَل	١٢٧
مَثَلا	١٥٤
شَمَالا	١٥١
جُفَالا	١٥١
أجْذَاَلها	١٠٩
شِمالِكْ	٥٢
نِعالِكا	٧٨
م	
أَقْدِمِ	١٢١
ن	
داعِيانِ	١٣٤
مَكْنُونا	٧٥
تَشْكُونا	١٣١
يُوصِينا	١٣١
جافُونا	١٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوٓا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ، إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : فلم يكن لقوم لوط جواب له ، إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال ، إلا قيل بعضهم لبعض (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُم أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) عما نفعله نحن من إتيان الذكران فى أدبارهم .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : سمعت الحسن بن عُمارة يذكر عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) قال : مِنْ إتيان الرجال والنساء فى أدبارهن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) قال : من أدبار الرجال وأدبار النساء ، استهزاء بهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : يتطهرون من أدبار الرجال والنساء ، استهزاء بهم يقولون ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة أنه تلا (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) قال : عابُوهم بغير عيب : أى إنهم يتطهرون من أعمال السُّوء .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ، فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا ، حين أحللناه بهم ، ثم (قَدَّرْنَاها) يقول

فإن امرأته قدرناها : جعلناها بتقديرنا (مِنَ الغابِرِينَ) من الباقين (وأمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل (فَساءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ) يقول : فساء ذلك المطرُ مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه ، على معصيتهم إياه ، وخوّفهم بأسه ، بإرسال الرسول إليهم بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ، ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ؟ (٥٩)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (الحَمْدُ لِلَّهِ) على نعمه علينا ، وتوفيقه إيانا لما وفّقنا من الهداية (وَسَلامٌ) يقول : وأَمَنة منه من عقابه الذى عاقب به قوم لوط ، وقوم صالح ، على الذين اصطفاهم ، يقول : الذين اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذى بعثه بالدعاء إليه ، دون المشركين به ، الجاحدين نبوّة نبيه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق ، يعنى ابن غنام ، عن ابن ظهير ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس (وَسَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) قال : أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : قلت لعبد الله بن المبارك : أرأيت قول الله (قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) من هؤلاء ، فحدثنى عن سفيان الثورىّ ، قال : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (آللَّهُ خَيْرٌ أمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء الذين زيّنا لهم أعمالهم من قومك ، فهم يَعْمَهُون : آلله الذى أنعم على أوليائه هذه النِّعم التى قصّها عليكم فى هذه السورة ، وأهلك أعداءه بالذى أهلكهم به من صنوف العذاب التى ذكرها لكم فيها خير ، أما تشركون من أوثانكم التى لاتنفعكم ولا تضرّكم ، ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سُوءا ، ولا تجلُب إليها ولا إليهم نفعا ؛ يقول : إن هذا الأمر لايشكل على من له عقل ، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لانفع عنده لكم ، ولا دفع ضرّ عنكم فى عبادة من بيده النفع والضرّ ، وله كلّ شىء . ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم ، وأياديه عندهم ، وتعريفهم بقلة شكرهم إياه ، على ما أولاهم من ذلك ، فقال (أمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ، وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ، مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ، مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ، أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)

⁂ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قُرَيش : أعبادة ماتعبدون من أوثانكم التى لاتضرّ ولا تنفع خير ،

أم عبادة من خلق السموات والأرض ؟ (وأنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً) يعنى مطرا ، وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التى فجّرها فى الأرض ، لأن كل ذلك من خلقه (فَأنْبَتْنا بِهِ) يعنى بالماء الذى أنزل من السماء (حَدَائِقَ) وهى جمع حديقة ، والحديقة : البُستان عليه حائط محوّط ، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة . وقوله (ذَاتَ بَهْجَةٍ) يقول : ذات منظر حسن . وقيل ذات بالتوحيد . وقد قيل حدائق ، كما قال (وَلِلهِ الأسْماءُ الحُسْنَى) ، وقد بيّنت ذلك فيما مضى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال ، ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ) قال : البهجة : الفُتّاح مما يأكل الناس والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ) قال : من كلّ شىء تأكله الناس والأنعام .

وقوله (ما كانَ لَكُمْ أنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها) يقول تعالى ذكره : أنبتنا بالماء الذى أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق ، إذ لم يكن لكم ، لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء ، طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق ، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك ، لأنه لايصلح ذلك إلا بالماء . وقوله (أءِلَهٌ مَعَ اللهِ) يقول تعالى ذكره : أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك ، وأنزل من السماء الماء ، فأنبت به لكم الحدائق ، فقوله : أءله مردود على تأويل : أمع الله إله . (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) يقول جلّ ثناؤه : بل هؤلاء المشركون قوم ضُلاّل ، يعدلون عن الحقّ ، ويجورون عليه ، على عمْد منهم لذلك ، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ، ولم يعدلوا عن جهل منهم ، بأن من لايقدر على نفع ولا ضرّ ، خير ممن خلق السموات والأرض ، وفعل هذه الأفعال ، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة ، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ، وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا ، وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ، وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ، أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)

⁂ يقول تعالى ذكره : أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لايضرّ ولا ينفع ، أم الذى جعل الأرض لكم قرارا تستقرّون عليها لاتميد بكم ، (وَجَعَلَ) لكم (خِلالَها أنْهارا) : يقول : بينها أنهارا (وجعل لَها رَوَاسِيَ) وهى ثوابت الجبال ، (وَجَعَلَ بَينَ البَحْرَيْنِ حاجِزًا) بين العذب والملح ، أن يفسد أحدهما صاحبه (أءِلَهٌ مَعَ اللهِ) سواه فعل هذه الأشياء ، فأشركتموه فى عبادتكم إياه ؟ وقوله (بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمونَ) يقول تعالى ذكره : بل أكثر هؤلاء المشركين لايعلمون قدر عظمة الله ، وما عليهم من الضرّ

فى إشراكهم فى عبادة الله غيره ، وما لهم من النفع فى إفرادهم الله بالألوهة ، وإخلاصهم له العبادة ، وبراءتهم من كلّ معبود سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ؟ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ؟ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : أم ماتُشركون بالله خير ، أم الذى يجيب المضطرّ إذا دعاه ، ويكشف السوء النازل به عنه ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَيَكْشِفُ السوءَ) قال : الضرّ .

وقوله (ويجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأرْضِ) يقول : ويستخلف بعد أمرائكم فى الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم . وقوله (أءِلَهٌ مَعَ اللهِ) يقول : أءِلَهٌ مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم ، وينعم عليكم هذه النعم ؟ وقوله (قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ) يقول : تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم ، تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا ، فلذلك أشركتم بالله غيره فى عبادته .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ، وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًا[1] بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ، أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ؟ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون بالله خير ، أم الذى يهديكم فى ظلمات البرّ والبحر إذا ضَلَلْتم فيهما الطريق ، فأظلمت عليكم السبل فيهما ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (أمَّنْ يَهْدِيكمْ فِى ظُلُماتِ البَرّ والبَحْرِ) والظُّلمات فى البرّ : ضلاله الطريق ، والبحر : ضلاله طريقه وموجه ، وما يكون فيه . قوله (وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ نُشْرًا بينَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) يقول : والذى يرسل الرياح نُشُرا لِمَوَتان الأرض . (بين يدى رحمته) : يعنى : قدام الغيث الذى يحيى موات الأرض . وقوله (أءِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره : أءله مع الله سوى الله يفعل بكم شيئا من ذلك فتعبدوه من دو نه ، أو تشركوه فى عبادتكم إياه ؟ تعالى الله : يقول : لله العلوّ والرفعة عن شِرككم الذى تشركون به ، وعبادتكم معه ما تعبدون .

(١) (فى اللسان : نشر) . وقوله تعالى ؛ وهوالذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته (نشرا بضم النون والشين) . وقرئ نشرا ونشرا . بضم النون وفتحها وسكون الشين . والقراءة المشهورة بشرا ، بضم وسكون .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون أيها القوم خير ، أم الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، فينشئه من غير أصل ، ويبتدعه ثم يفنيه إذا شاء ، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه ، والذى يرزقكم من السماء والأرض ، فينزل من هذه الغيث ، وينبت من هذه النبات لأقواتكم ، وأقوات أنعامكم ، أءله مع الله سوى الله يفعل ذلك ؟ وإن زعموا أنّ إلها غير الله يفعل ذلك أو شيئا منه ، فقل لهم يا محمد : (هاتُوا بُرْهانَكمْ) : أى حُجَّتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك (إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى دعواكم . ومن التى فى « أمَّنْ » وما مبتدأ فى قوله : أما يشركون ، والآيات بعدها إلى قوله (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأرْضِ) بمعنى الذى ، لا بمعنى الاستفهام ؛ وذلك أن الاستفهام لايدخل على الاستفهام .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هى قائمة ، لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الذى قد استأثر الله بعلمه ، وحَجَب عنه خلقه غيره ، والساعة من ذلك (وَما يَشْعُرُونَ) يقول : وما يدرى من فى السموات والأرض من خلقه ، متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة ؟

وقد حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة : من زعم أنه يُخبر الناس بما يكون فى غد ، فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول (لايَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللهُ) .

واختلف أهل العربية فى وجه رفع الله ، فقال بعض البصريين : هو كما تقول إلا قليلٌ منهم . وفى حرف ابن مسعود : قليلا بدلا من الأوّل ، لأنك نفيته عنه ، وجعلته للآخر . وقال بعض الكوفيين : إن شئت أن تتوهم فى من المجهول ، فتكون معطوفة على : قل لايعلم أحد الغيب إلا الله . قال : ويجوز أن تكون « من » معرفة ، ونزل مابعد « إلا » عليه ، فيكون عطفا ، ولا يكون بدلا ، لأن الأوّل منفى ، والثانى مثبت ، فيكون فى النسق كما تقول : قام زيد إلا عمرو ، فيكون الثانى عطفا على الأوّل ، والتأويل جَحْد ، ولا يكون

أن يكون الخبر جحدا ، أو الجحد خبرا ، قال : وكذلك مافعلوه إلا قليل ، وقليلا من نصب ، فعلى الاستثناء فى عبادتكم إياه ، ومن رفع فعلى العطف ، ولا يكون بدلا .

وقوله (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة سوى أبى جعفر وعامة قرّاء أهل الكوفة (بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام من بل وتشديد الدال من ادّارك ، بمعنى : بل تدارك علمهم أى تتابع علمهم بالآخرة ، هل هى كائنة أم لا ؟ ، ثم أدغمت التاء فى الدال كما قيل : اثَّاقلتم إلى الأرض ، وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته .

وقرأته عامة قرّاء أهل مكة (بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) . بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء يُنكر فيما ذُكِر عنه قراءة من قرأ (بَلْ أَدْرَكَ) ويقول : إن بل إيجاب ، والاستفهام فى هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك (بَلْ أَدْرَكَ) لم يكن ذلك لم يدرك علمهم فى الآخرة ، وبالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذى ذكرت أن أباعمرو أنكره .

وبنحو الذى ذَكَرت عن المكّيين ، أنهم قرءوه ، ذُكر عن مجاهد ، أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ فى موضع بل : أم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، أنه قرأ (أَمْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ) وكان ابن عباس فيما ذُكر عنه يقرأ بإثبات ياء فى بل ، ثم يبتدئ أدّارك ؟ بفتح ألفها ، على وجه الاستفهام ، وتشديد الدال .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس فى هذه الآية (بَلَى أَدَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) : أى لم يدرك .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حمزة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ (بَلَى أَدَّرَاكَ عِلْمُهُم فِي الآخِرَةِ) إنما هو استفهام أنه لم يدرك . وكأن ابن عباس وجّه ذلك إلى أن مُخْرجه مخرج الاستهزاء بالمكذّبين بالبعث .

والصواب من القراءات عندنا فى ذلك ، القراءتان اللتان ذَكَرت إحداهما عن قَرَأَة أهل مكة والبصرة ، وهى (بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ) بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها ، والأخرى منهما عن قرأة الكوفة ، وهى (بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام وتشديد الدال من ادّارك ، لأنهما القراءتان المعروفتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا ، فأما القراءة التى ذُكرت عن ابن عباس ، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب ، فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين ، وذلك أن فى بلى زيادة ياء فى قراءاته ليست فى المصاحف ، وهى مع ذلك قراءة لانعلمها قرأ بها أحد من قرّاء الأمصار . وأما القراءة التى ذكرت عن ابن مُحيصن ، فإن الذى قال فيها أبو عمرو قول صحيح ، لأن العرب تحقق ببل ما بعدها لاتنفيه والاستفهام فى هذا الموضع إنكار لاإثبات ، وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة فى شكّ ، فقال (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ، بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : بل أدرك علمهم فى الآخرة ، فأيقنوها إذ عاينوها ، حين لم ينفعهم يقينهم بها ، إذ كانوا بها فى الدنيا مكذّبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ) قال : بصرهم فى الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر .

وقال آخرون : بل معناه : بل غاب علمهم فى الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) يقول : غاب علمهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) قال : يقول : ضلّ علمهم فى الآخرة ، فليس لهم فيها علم ، هم منها عَمُون .

وقال آخرون : معنى ذلك : لم يبلغ لهم فيها علم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، عن جَدّى ، قال : ثنا الحسين ، عن قَتادة ، فى قوله (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) قال : كان يقرؤها (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) قال : لم يبلغ لهم فيها علم ، ولا يصل إليها منهم رغبة .

وقال آخرون : معنى ذلك : بل أدْرَكَ ، أم أدرك ؟ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ) قال : أم أدرك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عثمان ، عن مجاهد (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ) قال : أم أدرك علمهم ؟ من أين يدرك علمهم ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بنحوه .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، على قراءة من قرأ (بَلْ أدْرَكَ) القول الذى ذكرناه عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك (وَما يَشْعُرُونَ أيَّانَ يُبْعَثُون) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك فى الآخرة ، حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ ، فأما فى الدنيا فإنهم منها فى شكّ ، بل هم منها عَمُون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، على القراءة التى ذُكِرتْ ، لأن ذلك أظهر معانيه . وإذ كان ذلك معناه ، كان فى الكلام محذوف قد استُغْنِىَ بدلالة ماظهر منه عنه . وذلك أن معنى

الكلام : وما يشعرون أيان يُبعثون ، بل يشعرون ذلك فى الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك فى الآخرة ، بل هم فى الدنيا فى شكّ منها . وأما على قراءة من قرأه (بَلِ ادّارَكَ) بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذى ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل أم ، إذا كان فى أوّل الكلام استفهام ، كما قال الشاعر :

فَوَاللهِ ما أَدْرِى أَسَلْمَىْ تَغَوَّلَتْ أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إلىَّ حَبِيبُ[1]

يعنى بذلك بل كلّ إلى حبيب ، فيكون تأويل الكلام : وما يشعرون أيان يُبْعثون ، بل تدارك علمهم فى الآخرة : يعنى تتابع علمهم فى الآخرة : أى بعلم الآخرة : أى لم يتتابع بذلك ولم يعلموه ، بل غاب علمهم عنه ، وضلّ فلم يبلغوه ولم يدركوه .

وقوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا) يقول : بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة فى شكّ من قيامها لايوقنون بها ولا يصدّقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت ، بل هم منها عمون ، يقول : بل هم من العلم بقيامها عمون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : قال الذين كفروا بالله أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء ، كهيئتنا من بعد مماتنا ، بعد أن كنا فيها ترابا قد بَلينا (لَقَدْ وُعِدْنا هَذَا نَحْنُ وآباؤُنا مِنْ قَبْلُ) يقول : لقد وُعِدْنا هذا من قبل محمد ، واعِدون وعَدوا ذلك آباءنا ، فلم نر لذلك حقيقة ، ولم نتبَيَّن له صحة (إنْ هَذَا إلاَّ أساطِيرُ

(١) تغولت : تراءت لى فى النوم فى صور مختلفة . والشاهد فى البيت : أن أم الأولى متصلة ، لأنها معادلة للهمزة ، يقول : لا أدرى أهو طيف سلمى عرض لى وتراءى ، أم هو النوم يخلط على صور الأشياء ، وهى أضغاث الأحلام . وأما (أم) الثانية فإنها للإضراب ، بمعنى (بل) . يقول : بل كل ذلك حبيب إلى نفسى . يريد ما يتراءى له من طيف الخيال . وما يراه فى النوم من الأحلام . والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٣٦ من مصورة الجامعة) . وفى (اللسان : درك) : فأما من قرأ : « بل أدارك » ، فإن الفراء قال : معناه لغة : تدارك ، أى تتابع علمهم فى الآخرة ؛ يريد بعلم الآخرة : تكون أولا تكون ؛ ولذلك قال : « بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون » قال : وهى فى قراءة أبى : « أم تدارك » ؛ والعرب تجعل (بل) مكان (أم) ، و (أم) مكان (بل) ، إذا كان فى أول الكلام استفهام ، مثل قول الشاعر : « فوالله ما أدرى . . . البيت » . معنى (أم) : (بل) . وقال أبو معاذ النحوى : ومن قرأ : « بل أدرك » ، ومن قرأ : « بل ادارك » فمعناهما واحد . يقول : هم علماء فى الآخرة . كقول الله تعالى : « أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا » ونحو ذلك . قال السدى فى تفسيره : اجتمع علمهم فى الآخرة ، ومعناها عنده : أى علموا فى الآخرة أن الذى كانوا يوعدون به حق . وقال الأزهرى : والقول فى تفسير أدرك وإدارك . ومعنى الآية ما قال السدى وذهب إليه أبو معاذ وأبو سعيد . والذى قاله الفراء فى معنى تدارك أى تتابع علمهم فى الآخرة ، أنها تكون أولا تكون : ليس بالبين ، إنما المعنى : أنه تتابع علمهم فى الآخرة وتوطأ حين حقت القيامة ، وخسروا ، وبان لهم صدق ما وعدوا ، حين لاينفعهم ذلك العلم . اهـ .

الأوَّلِينَ) يقول : قالوا : ما هذا الوعد إلا ما سطَّر الأوّلون من الأكاذيب فى كتبهم ، فأثبتوه فيها ، وتحدّثوا به ، من غير أن يكون له صحة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ؟ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المكذّبين ماجئتهم به من الأنباء من عند ربك : سيروا فى الأرض ، فانظروا إلى ديار من كان قبلكم من المكذّبين رسل الله ، ومساكنهم كيف هى ، ألم يخرّبها الله ، ويُهْلِكَ أهلها ، بتكذيبهم رسلهم ، وردّهم عليهم نصائحهم ، فخلت منهم الديار ، وتعفّت منهم الرسوم والآثار ، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم ، وذلك سُنَّة ربكم فى كل من سلك سبيلهم ، فى تكذيب رسل ربهم ، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم ، وتكذيبكم رسول ربكم . وقوله (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولاتحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك ، وتكذيبهم لك ، (وَلَا تَكُنْ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) يقول : ولايضق صدرك من مكرهم بك ، فإن الله ناصرك عليهم ، ومهلكهم قتلا بالسيف .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : ويقول مشركو قومك يامحمد ، المكذّبوك فيما أتيتهم به من عند ربك (مَتَى) يكون (هَذَا الوَعْدُ) الذى تَعِدُناه من العذاب ، الذى هو بنا فيما تقول حالّ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما تعدوننا به . (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى) يقول جلّ جلاله : قل لهم يامحمد : عسى أن يكون اقترب لكم ودنا (بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ) من عذاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) يقول : اقترب لكم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) يقول : اقترب لكم بعض الذى تستعجلون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) قال : رَدِفَ : أعجلَ لكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) قال : أَزِف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (رَدِفَ لَكُمْ) اقترب لكم .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله (رَدِفَ لَكُمْ) وكلام العرب المعروف : ردفه أمر ، وأردفه كما يقال : تبعه وأتبعه ، فقال بعض نحويى البصرة : أدخل اللام فى ذلك ، فأضاف بها الفعل كما يقال (لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ - ولِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) . وقال بعض نحوِيِّى الكوفة : أدخل اللام فى ذلك للمعنى ، لأن معناه : دنا لهم ، كما قال الشاعر :

* فَقُلْتُ لَها الحاجاتُ يَطْرَحْنَ بالفَتَى [1] *

فأدخل الباء فى يطرحن ، وإنما يقال طرحته ، لأن معنى الطرح : الرمى ، فأدخل الباء للمعنى ، إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى . وهذا القول الثانى هو أوْلاهما عندى بالصواب ، وقد مضى البيان عن نظائره فى غير موضع من الكتاب ، بما أغنى عن تكراره فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (تَسْتَعْجِلُونَ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) قال : من العذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤)

(١) هذا صدر بيت من شواهد الفراء فى (معانى القرآن ص ٢٣٦ من مصورة جامعة القاهرة) وعجزه : * وهم تعنانى معنى ركائبه . وهو فى (اللسان : عنا) وفى روايته : « تعناه » فى موضع تعنا فى . قال : وعانى الشىء : قاساه . يقال : عاناه وتعناه ، وتعنى هو . وقال : « فقلت . . . الخ . والبيت شاهد على أن الباء فى بالفتى زائدة . مثلها فى قوله تعالى : « ردف لكم » .

يقول تعالى ذكره : وإن ربك يا محمد لذو فضل على الناس ، بتركه معاجلتهم بالعقوبة ، على معصيتهم إياه ، وكفرهم به ، وذو إحسان إليهم ، فى ذلك وفى غيره من نعمه عندهم ، ولكن أكثرهم لايشكرونه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم ، فيُخلِصوا له العبادة ، ولكنهم يشركون معه فى العبادة ، ما يضرّهم ولا ينفعهم ، ومن لافضل له عندهم ولا إحسان . وقوله (إنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَما يُعْلِنُونَ) يقول : وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه ، ومكنون أنفسهم ، وخفىّ أسرارهم ، وعلانية أمورهم الظاهرة ، لايخفى عليه شىء من ذلك ، وهو محصيها عليهم حتى يجازى جميعهم بالإحسان إحسانا ، وبالإساءة جزاءها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَإنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورَهُمْ) قال : السرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٧٥) إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : وما من مكتوم سرّ ، وخفىّ أمر ، يغيب عن أبصار الناظرين فى السماء والأرض ، إلا فى كتاب ، وهو أمّ الكتاب الذى أثبت ربنا فيه كلّ ماهو كائن ، من لدن ابتدأ خلق خلقه ، إلى يوم القيامة . ويعنى بقوله (مُبِينٌ) أنه يبين لمن نظر إليه ، وقرأ مافيه ، مما أثبت فيه ربنا جلّ ثناؤه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما مِنْ غائِبَةٍ فِى السَّماءِ والأرْضِ إلاَّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ) يقول : ما من شىء فى السماء والأرض ، سرّ ولا علانية ، إلا يعلمه .

وقوله (إنَّ هَذَا القُرآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِى إسْرائِيلَ أكْثَرَ الَّذى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن الذى أنزلته إليك يامحمد ، يقصّ على بنى إسرائيل الحقّ فى أكثر الأشياء التى اختلفوا فيها ، وذلك كالذى اختلفوا فيه من أمر عيسى ، فقالت اليهود فيه ماقالت ، وقالت النصارى فيه ماقالت ، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء ، وغير ذلك من الأمور التى اختلفوا فيها ، فقال جلّ ثناؤه لهم : إن هذا القرآن يقصّ عليكم الحقّ فيما اختلفتم فيه ، فاتبعوه ، وأقرّوا لما فيه ، فإنه يقصّ عليكم بالحقّ ، ويهديكم إلى سبيل الرشاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن لهدًى، يقول : لبيان من الله ، بَيَّن به الحقّ فيما اختلف فيه خَلْقُه من أمور دينهم (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) يقول : إن ربك يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل بحكمه فيهم ، فينتقم من المبطل منهم ، ويجازى المحسن منهم المحقّ بجزائه (وَهُوَ العَزِيزُ العَلِيمُ) يقول : وربك العزيز فى انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم ، لايقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم ، العليم بالمحقّ المحسن من هؤلاء المختلفين من بنى إسرائيل فيما اختلفوا فيه ، ومن غيرهم ، من المُبطِلِ الضالّ عن الهدى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ، وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ففوّض إلى الله يامحمد أمورك ، وثق به فيها ، فإنه كافيك (إِنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبِينِ) لمن تأمّله ، وفكّر مافيه بعقل ، وتدبّره بفهم ، أنه الحقّ ، دون ماعليه اليهود والنصارى المختلفون من بنى إسرائيل ، ودون ماعليه أهل الأوثان ، المكذّبوك فيما أتيتهم به من الحقّ ، يقول : فلا يَحْزُنْك تكذيب من كذّبك ، وخلاف من خالفك ، وامض لأمر ربك الذى بعثك به . وقوله (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَى) يقول : إنك يا محمد لاتقدر أن تفهِم الحقّ مَن طَبَع الله على قلبه فأماته ، لأن الله قد ختم عليه أَلَّا يفهمه (وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ) يقول : ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصمّ الله عن سماعه سمعه (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) يقول : إذا هم أدبروا معرضين عنه ، لايسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ، ولا يُصْغُون للحقّ ، ولا يتدبرونه ، ولا يُنْصِتون لقائله ، ولكنهم يُعرضون عنه ، وينكرون القول به ، والاستماع له .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ، إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (٨١)* وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)

اختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (وما أنتَ بِهادِى)

بالباء والألف ، وإضافته إلى العمى بمعنى : لست يامحمد بهادى من عَمِى عن الحقّ (عَنْ ضَلالَتِهِ) وقرأته عامة قرّاء الكوفة (وَما أَنْتَ تَهْدِى العُمْىَ) بالتاء ، ونصب العمى ، بمعنى : ولست تهديهم (عَنْ ضَلالَتِهِمْ) ، ولكن الله يهديهم إن شاء .

والقول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وتأويل الكلام ما وصفت : وما أنت يامحمد بهادى من أعماه الله عن الهدى والرشاد ، فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التى هو فيها ، إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد . وقوله (إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنا) يقول : ما تقدرُ أن تُفهِم الحقّ وتُوعيه أحد ، إلا سمع من يصدّق بآياتنا ، يعنى بأدلته وحججه وآى تنزيله (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) . فان أولئك يسمعون منك ماتقول ويتدبّرونه ، ويفكرون فيه ، ويعملون به ، فهم الذين يسمعون .

ذكر من قال مثل الذى قلنا فى قوله تعالى : (وَقَعَ) [1]

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) قال : حقّ عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) يقول : إذا وجب القول عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) قال : حقّ العذاب .

قال ابن جُرَيج : القول : العذاب .

ذكر من قال قولنا فى معنى القول

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) والقول : الغضب .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن هشام ، عن حفصة ، قالت : سألت أبا العالية ، عن قوله (وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) فقال : أوحى الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ؟ قالت : فكأنما كان على وجهى غطاء فكُشف .

وقال جماعة من أهل العلم : خروج هذه الدابة التى ذكرها حين لايأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية العوفىّ ،

(١) سقط كلام المؤلف فى تأويل الآية رقم ٨٢ ويدل عليه إيراد كلام أهل التأويل فيه .

عن ابن عمر فى قوله (وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ) قال : هو حين لايأمرون بمعروف ، ولا ينهون عن منكر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن الحسن أبو الحسن ، قال : ثنا عمرو بن قيس المَلائى ، عن عطية ، عن ابن عمر ، فى قوله (وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ) قال : ذاك إذا تُرِك الأمرُ بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن ابن عمر ، فى قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : حين لايأمُرون بالمعروف ، ولا ينهَون عن المنكر .

حدثنى محمد بن عمرو المقدسىّ ، قال : ثنا أشعث بن عبدالله السجستانى ، قال : ثنا شعبة ، عن عطية ، فى قوله (وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : إذا لم يعرفوا معروفا ، ولم ينكروا منكرا .

وذُكر أن الأرض التى تخرج منها الدابة مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنى الأشجعىّ ، عن فُضَيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : تخرج الدابة من صَدْع فى الصفا كجرى الفرس ثلاثة أيام ، وما خرج ثلثها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن الفُرات القَزّاز ، عن عامر ابن واثلة أبى الطفيل ، عن حُذيفة بن أسيد الغِفارى ، قال : إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون : والله لقد رأينا الدابة ، حتى يبلغ ذلك الإمام ، فيَطلب فلا يقدر على شىء ، قال : ثم تخرج فيراها الناس ، فيقولون : والله لقد رأيناها ، فيبلغ ذلك الإمام ، فيطلُب فلا يرى شيئا ، فيقول : أما إنى إذا حدث الذى يذكرها قال : حتى يعدّ فيها القتل ، قال : فتخرج ، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون ، فتجىء إليهم فتقول : الآن تصلون ، فتخطم الكافر ، وتمسح على جبين المسلم غُرّة ، قال : فيعيش الناس زمانا ، يقول هذا يا مؤمن ، وهذا يا كافر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عثمان بن مطر ، عن واصل مولى أبى عيينة ، عن أبى الطفيل عن حُذيفة ، وأبى سفيان ، ثنا عن معمر ، عن قيس بن سعد ، عن أبى الطفيل ، عن حُذيفة بن أسيد ، فى قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : للدابة ثلاث خَرَجات : خَرْجة فى بعض البوادى ثم تكمن ، وخرجة فى بعض القُرى ، حين يُهَرِيق فيها الأمراء الدماء ، ثم تكمن ، فبينا الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها ، إذ ارتفعت بهم الأرض ، فانطلق الناس هِرابا ، وتبقى طائفة من المؤمنين ، ويقولون : إنه لاينجينا من الله شىء ، فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدرّىّ ، ثم تنطلق فلا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، وتأتى الرجل يصلّى ، فتقول : والله ماكنت من أهل الصلاة

فيلتفت إليها فتخطمه ، قال : تجلو وجه المؤمن ، وتخطم الكافر ، قلنا : فما للناس يومئذ ؟ قال : جيران فى الرِّباع ، وشركاء فى الأموال ، وأصحاب فى الأسفار .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المُغيرة ، عن عبد الرحمن بن البيلمانى ، عن ابن عمر : يبيت الناس يسيرون إلى جَمْع ، وتبيت دابة الأرض تسايرهم ، فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها ، فما من مؤمن إلا مسحته ، ولا من كافر ولا منافق إلا تخطمه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الحيبرىّ ، عن حيان بن عمير ، عن حسان بن حمصة ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لو شئت لانتعلت بنعلىّ هاتين ، فلم أمسّ الأرض قاعدا ، حتى أقف على الأحجار التى تخرج الدابة من بينها ، ولكأنى بها قد خرجت فى عقب رَكَبٍ من الحاجّ ، قال فما حججت قطّ إلا خفت تخرجُ بعقبنا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمَلِى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، قال : رأيت عبد الله بن عمرو ، وكان منزله قريبا من الصفا ، رفع قدمه وهو قائم ، وقال : لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذى تخرج منه الدابة .

حدثنا عصام بن رَوّاد بن الجراح ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثورىّ ، قال : ثنا منصور ابن المعتمر ، عن رِبْعِىّ بن حِرَاش ، قال : سمعت حُذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : وذكر الدابة ، فقال حُذيفة : قلت يا رسول الله ، من أين تخرج ؟ قال : مِنْ أعْظَمِ المَساجِدِ حُرْمَةً عَلى اللهِ ، بَيْنَما عِيسَى يَطُوفُ بالبَيْتِ وَمَعَهُ المُسْلِمُونَ ، إذْ تَضْطَرِبُ الأرْضُ تَحْتَهُمْ ، تُحَرِّكُ القَنْدِيلُ ، وَيَنْشَقُّ الصَّفا مِمَّا يَلى المَسْعَى ، وَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفا أوَّلُ ما يَبْدُو رأسُها مُلَمَّعَةٌ ذَاتُ وَبَرٍ وَرِيشٍ ، لَمْ يُدْرِكْها طالِبٌ ، وَلَنْ يَفُوتَها هارِبٌ ، تَسِمُ النَّاسَ : مُؤْمِنٌ وكافِرٌ ، أمَّا المُؤْمِنُ فَتَتْرُكُ وَجْهَهُ كأنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ، وتَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ ، وأمَّا الكافِرُ فَتَنْكُتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نُكْتَةً سَوْداءَ كافِرٌ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الحسين ، عن حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد بن جدعان ، عن أوس بن خالد ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَها خاتَمُ سُلَيْمانَ وَعَصَا مُوسَى ، فَتَجْلُو وَجْهَ المُؤْمِنِ بالعَصَا ، وَتَخْتِمُ أنْفَ الكافِرِ بالخاتَمِ ، حتى إنَّ أهْلَ البَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ ، فَيَقُولُ هَذَا يا مُؤْمِنُ ، وَيَقُولُ هَذَا يا كافِرُ » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هى دابة ذات زَغَب وريش ، ولها أربع قوائم ، تخرج من بعض أودية تِهامة ، قال : قال عبد الله بن عمر : إنها تنكُت فى وجه الكافر نُكْتة سوداء ، فتفشو فى وجهه ، فيسودّ وجهه ، وتنكت فى وجه المؤمن نكتة بيضاء ، فتفشو فى وجهه ، حتى

يبيضّ وجهه ، فيجلس أهل البيت على المائدة ، فيعرفون المؤمن من الكافر ، ويتبايعون فى الأسواق ، فيعرفون المؤمن من الكافر .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا ابن لهَيعة ويحيى بن أيوب ، قالا : ثنا ابن الهاد ، عن عمر بن الحكم ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : تخرج الدابة من شِعب ، فيمسّ رأسها السحاب ، ورجلاها فى الأرض ماخرجتا ، فتمرّ بالإنسان يصلىّ ، فتقول : ما الصلاة من حاجتك ، فتخطمه .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا ابن أبى فديك ، قال : ثنا يزيد بن عياض ، عن محمد بن إسحاق ، أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو ، قال : تخرج دابة الأرض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى ، فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان ، وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيضّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (تُكَلِّمُهُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (تُكَلِّمُهُمْ) بضمّ التاء وتشديد اللام ، بمعنى تخبرهم وتحدثهم ، وقرأه أبو زرعة بن عمرو (تَكْلِمُهُمْ) بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى : تَسِمُهُمْ .

والقراءة التى لاأستجيز غيرها فى ذلك ، ماعليه قرّاء الأمصار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : تحدثهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) وهى فى بعض القراءة تحدثهم ، تقول لهم : إن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (تُكَلِّمُهُمْ) قال : كلامها : تنبئهم أن الناس كانوا بآياتنا لايُوقِنون .

وقوله (أنَّ النَّاسَ كانُوا بآياتنا لايُوقِنُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة والشام (إنَّ النَّاسَ) بكسر الألف من « إن » على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا (بآياتِ اللهِ لايُوقِنُونَ) وهى وإن كسرت فى قراءة هؤلاء ، فإن الكلام لها متناول ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض أهل البصرة (أنَّ النَّاسَ كانُوا) بفتح أن ، بمعنى : تكلمهم بأن الناس ، فيكون حينئذ نصبا ، بوقوع الكلام عليها .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مستفيضتان فى قَرَأَة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع من كلّ قَرْن وملة فَوجا ، يعنى جماعة منهم ، وزُمرة (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتِنا) يقول : ممن يكذّب بأدلتنا وحججنا ، فهو يَحْبِس أوّلهم على آخرهم ، ليجتمع جميعهم ، ثم يساقون إلى النار.

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتِنا ، فَهُمْ يُوزَعُونَ) يعنى : الشيعة عند الحشر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجا) قال : زُمرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً) قال : زُمرة زُمرة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يقول : فهم يُدْفَعون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يُحبس أوّلهم على آخرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : وَزْعة ترد أُولاهم على أُخراهم .

وقد بيّنت معنى قوله (يُوزَعُونَ) فيما مضى قبل بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (حتى إذا جاءُوا قالَ أكَذَّبْتُمْ بآياتى) يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء من كلّ أمة فوج ممن يكذّب بآياتنا ، فاجتمعوا ، قال الله : (أكذّبتم بآياتى) : أى بحُججى وأدلّتى ، (وَلَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً) يقول ولم تعرفوها حقّ معرفتها ؟ (أَمْ ماذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من تكذيب أو تصديق ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : ووجب السُّخط والغضب من الله على المكذّبين بآياته ، بما ظلموا ، يعنى بتكذيبهم بآيات الله ، يوم يُحشرون فهم لاينطِقون ، يقول : فهم لاينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حلّ بهم ، ووقع عليهم من القول . وقوله (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره : ألم ير هؤلاء المكذّبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار ، ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سَكَنًا لهم يسكنون فيه ويهدءُون ، راحة أبدانهم من تعب التصرّف والتقلب نهارا ، وهذا مضيئا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها ، فيتقلبون فيه لمعايشهم ، فيتفكروا فى ذلك ، ويتدبّروا ، ويعلموا أن مُصَرِّف ذلك كذلك ، هو الإله الذى لايُعجزه شىء ، ولا يتعذّر عليه إماتة الأحياء ، وإحياء الأموات بعد الممات ، كما لم يتعذّر عليه الذهاب بالنهار ، والمجىء بالليل ، والمجىء بالنهار ، والذهاب بالليل ، مع اختلاف أحوالهما (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى تصييرنا الليل سكنا ، والنهار مبصرا ، لدلالة لقوم يؤمنون بالله ، على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت ، وحجة لهم على توحيد الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ، وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٨٧)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى ، وبيّنا الصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعض ما لم يُذكر هناك من الأخبار ، فقال بعضهم : هو قَرْن يُنفخ فيه .

ذكر بعض من لم يُذكر فيما مضى قبلُ من الخبر عن ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) قال : كهيئة البُوق .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : الصُّور : البُوق ، قال : هو البوق ، صاحبه آخذ به ، يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن ، بين طرفه وبين فيه قدرُ قبضة أو نحوها ، قد برك على ركبة إحدى رجليه ، فأشار ، فَبَرَك على ركبة يساره مُقْعِيا على قدمها ، عقبها تحت فخذه وأليته ، وأطراف أصابعها فى التراب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : الصُّور كهيئة القرن ، قد رفع إحدى ركبتيه إلى السماء ، وخفض الأخرى ، لم يلق جفون عينه على غُمْض منذ خلق الله السموات ، مستعدّا مستجدّا ، قد وضع الصُّور على فيه ، ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فيه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن إسماعيل بن رافع المدنىّ ، عن يزيد بن زياد « قال أبو جعفر : والصواب : يزيد بن أبى زياد » عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن رجل من الأنصار

عن أبى هريرة : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ، ما الصُّور ؟ قال : قَرْنٌ ، قال : وكيف هو ؟ قال : قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ : الأُولى : نَفْخَةُ الفَزَعِ ، والثَّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، والثَّالِثَةُ : نَفْخَةُ القِيامِ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ ، يَأْمُرُ اللهُ إسْرافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ ، إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، وَيأْمُرُهُ اللهُ فَيَمُدُّ بِها ويطوِّلُها ، فَلا يَفْتُرُ ، وَهِيَ التى يَقُولُ اللهُ (ما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَها مِنْ فَوَاقٍ) فَيُسَيِّرُ اللهُ الجِبالَ ، فَتَكُونُ سَرَابا ، وَتُرَجُّ الأرْضُ بأهْلِها رَجًّا ، وهى التى يَقُولُ اللهُ (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) فَتَكُونُ الأرْضُ كالسَّفِينَةِ المُوثَقَةِ فِى البَحْرِ ، تَضْرِبُها الأَمْوَاجُ ، تُكْفَأُ بأهْلِها ، أوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بالوَتَرِ ، تُرَجِّحُهُ الأرْياحُ ، فَتَمِيدُ النَّاسُ على ظَهْرِها ، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ ، وَتَضَعُ الحَوَامِلُ ، وَتَشِيبُ الوِلْدَانُ ، وَتَطِيرُ الشَّياطِينُ هارِبَةً ، حتى تَأتِىَ الأقْطارَ ، فَتَتَلَقَّاها المَلائِكَةُ ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَها ، فَتَرْجِعُ ، وَيُوَلَّى النَّاسُ مُدْبِرِينَ يُنادِى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِى يَقُولُ اللهُ (يَوْمَ التَّنادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ) . فَبَيْنَما هُمْ على ذلكَ إذْ تَصَدَّعَتِ الأرْضُ مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ ، فَرَأَوْا أمْرًا عَظِيما ، فأخَذَهُمْ لِذلكَ مِنَ الكَرْبِ ما اللهُ أعْلَمُ بِهِ ، ثم نَظَرُوا إلى السَّماءِ ، فإذا هِىَ كالمُهْلِ ، ثمَّ خُسِفَ شَمْسُها وَقَمَرُها ، وانْتَثَرَتْ نُجُومُها ، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والأَمْوَاتُ لايعْلَمُونَ بِشَىْءٍ مِنْ ذلكَ ، فقال أبو هريرة : يا رسول الله ، فمن استثنى الله حين يقول (فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ ومَنْ فى الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) ؟ قال : أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ ، وإنَّمَا يَصِلُ الفَزَعُ إلى الأحْياءِ ، أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَقاهُمُ اللهُ فَزَعَ ذلكَ اليَوْمِ وآمَنَهُمْ ، وَهُوَ عَذَابُ اللهِ يَبْعَثُهُ على شِرَارِ خَلْقِهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى لَمَّا فَرَغَ مِنَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، خَلَقَ الصُّورَ ، فأعْطاهُ مَلَكا ، فَهُوَ وَاضِعُهُ على فِيهِ ، شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى العَرْشِ ، يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ ، قال : قُلْتُ : يا رسول الله ، وما الصُّورُ ؟ قالَ : قَرْنٌ ، قلت : فكيف هو ؟ قال : عَظِيمٌ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إنَّ عِظَمَ دائِرَةٍ فِيهِ ، لَكَعَرْضِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، يَأْمُرُهُ فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ » ، ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث أبى كُرَيب عن المحاربىّ ، غير أنه قال فى حديثه « كالسَّفِينَةِ المُرْفَأَةِ فِى البَحْرِ » . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ونُفخ فى صُورَ الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) : أى فى الخلق ، قوله (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) يقول : ففزع من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الجنّ والإنس والشياطين ، من هول مايعاينون ذلك اليوم .

فإن قال قائل : وكيف قيل : ففزع ، فجعل فَزِعَ وهى فعل مردودة على ينفخ ، وهى يَفْعُل ؟ قيل : العرب تفعل ذلك فى المواضع التى تصلح فيها إذا ، لأن إذا يصلح معها فعل ويفعل ، كقولك : أزورك إذا زرتنى ، وأزورك إذا تزورنى ، فإذا وضع مكان إذا يوم ، أجرى مُجرى إذا . فإن قيل : فأين جواب قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ) ؟ قيل : جائز أن يكون مضمرا مع الواو ، كأنه قيل : (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لاَ يَنْطِقُونَ) وذلك يوم ينفخ فى الصور . وجائز أن يكون متروكا ، اكتفى بدلالة الكلام عليه منه ، كما قيل (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) . . . فترك جوابه . .

وقوله (إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) قيل : إن الذين استثناهم الله فى هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ : الشهداء ، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يُرزقون ، وإن كانوا فى عداد الموتى عند أهل الدنيا ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرناه فى الخبر الماضى .

وحدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام عمن حدثه ، عن أبى هريرة ، أنه قرأ هذه الآية (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) قال : هم الشهداء .

وقوله (وكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ) يقول : وكلّ أتوه صاغرين .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) يقول : صاغرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ) قال : صاغرين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) قال : الداخر : الصاغر الراغم ، قال : لأن المرء الذى يفزع إذا فزع إنما همته الهَرَب من الأمر الذى فزع منه ، قال : فلما نُفخ فى الصور فزعوا ، فلم يكن لهم من الله مَنْجى .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (وكُلٌّ آتُوهُ) بمدّ الألف من أتوه ، على مثال فاعِلُوه[1] ، سوى ابن مسعود ، فإنه قرأه (وكُلٌّ أَتَوْهُ) على مثال فَعَلُوه ، واتبعه على القراءة به المتأخرون : الأعمش وحمزة ، واعتلّ الذين قرءوا ذلك على مثال فاعِلُوه ، بإجماع القرّاء على قوله (وكُلُّهُمْ آتِيهِ) قالوا : فكذلك قوله : آتُوه فى الجمع . وأما الذين قرءوا على قراءة عبد الله ، فإنهم ردّوه على قوله (فَفَزِعَ) كأنهم وجّهوا معنى الكلام إلى : (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فى السَّمَوَاتِ ومَنْ فى الأَرْضِ) وأتوه كلهم داخرين ، كما يقال فى الكلام : رأى وفرّ وعاد وهو صاغر .

(١) آتوه : جمع آتٍ بوزن فاعل . وأصله آتيوه نقلت الضمة من الياء لاستثقالها إلى التاء ، ثم حذفت الياء ، لسكونها وسكون الواو بعدها فصار آتوه على وزن فاعوه . ووزنها قبل حذف الياء فاعلوه ، وهو الذى أراده المؤلف .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قَرَأَة الأمصار ، ومتقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ، صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : وترى الجبال يا محمد ، تحسبها قائمة وهى تمرّ .

كالذى حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَى الجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً) يقول : قائمة ، وإنما قيل : وهى تمرّ مرّ السحاب لأنها تجمع ثم تسير ، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة ، وهى تسير سيرا حثيثا ، كما قال الجعدىّ :

بأرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[1]

قوله (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) ، وأوثق خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) يقول : أحكم كلّ شىء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) يقول : أحسن كلّ شىء خلقه وأوثقه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) قال : أوثق كلّ شىء وسوّى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أتْقَنَ) : أوثق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّهُ خَبِيرٌ بِما يَفْعَلُونَ) ، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده : من خير وشرّ ، وطاعة له ومعصية ، وهو مجازى جميعهم على جميع ذلك ، على الخير الخيرَ ، وعلى الشرّ الشرّ نظيره .

(١) الأرعن : يريد به الجيش العظيم ، شبهه بالجبل الضخم ذى الرعان ، وهى : الفضول ، كرعان الجبال . والرعن : الأنف العظيم من الجبل ، تراه متقدما . وقيل الأرعن : هو المضطرب لكثرته . والطود : الجبل العظيم . والحاج : جمع حاجة ، وتهملج : تمشى الهملجة ، والهماجة سير حسن فى سرعة . والبيت شاهد على أن الشىء الضخم تراه وهو يتحرك ، فتحسبه ساكنا ، مع أنه مسرع فى سيره جدا ، وذلك كسير الجيش ، وكسير السفينة فى البحر ، يحسبها الناظر إليها وهى مجدة فى سيرها ، كأنها واقفة . وذلك هو شأن الجبال عند القيامة : تراها كأنها جامدة ، وهى تسير مسرعة كالسحاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ، وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ (٨٩) وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ؛ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ؟ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : من جاء الله بتوحيده والإيمان به ، وقول لاإله إلا الله مُوقِنا به قلبه ، فله من هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة ، وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة ، ويؤمِّنه من فزع الصيحة الكبرى ، وهى النفخ فى الصور (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) يقول : ومن جاء بالشِّرك به يوم يلقاه ، وجحود وحدانيته ، (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ) فى نار جهنم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خَلَف العَسْقلانىّ ، قال : ثنى الفضل بن دُكين ، قال : ثنا يحيى بن أيوبَ البَجَلِىّ ، قال : سمعت أبا زُرعة ، قال : قال أبو هُريرة ، قال يحيى : أحسبه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) ، قال : وَهِىَ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ) قال : وهِىَ الشِّرْكُ » .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا أبو يحيى الحِمَّانى ، عن النضر بن عربىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) : قال : من جاء بلا إله إلا الله . (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ) ، قال : بالشرك .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) يقول : من جاء بلا إله إلا الله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) وهو الشرك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : بالشرك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : كلمة الإخلاص . (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد بنحوه ، قال ابن جُرَيج : وسمعت عطاء يقول فيها الشرك ، يعنى فى قوله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبى المحجَّل ، عن أبى مَعْشَر ، عن إبراهيم ، قال : كان يحلف ما يستثنى ، أن (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ) : قال : لاإله إلا الله ، (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) : قال : الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا موسى بن عُبيدة ، عن محمد بن كعب (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) قال : الشرك .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا سعيد بن سعيد ، عن علىّ بن الحسين ، وكان رجلا غزّاء ، قال : بينا هو فى بعض خَلَواته ، حتى رَفَع صوته : لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له المُلك وله الحمد يحيى ويُميت ، بيده الخير ، وهو على كلّ شىء قدير ؛ قال : فردّ عليه رجل : ما تقول ياعبد الله ؟ قال : أقول ماتسمع ، قال : أما إنها الكلمة التى قال الله (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها ، وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ) قال : الإخلاص . (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) يعنى : الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) : يقول : الشرك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُمْ فِي النَّارِ) قال : السيئة : الشرك ، الكفر .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : ثنا حفص بن عمر العَدَنىّ ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرِمة ، قوله (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ) قال : شهادة أن لاإله إلا الله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : السيئة : الشرك . قال الحكم ، قال عكرِمة : كل شىء فى القرآن السيئة فهو الشرك .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) فمنها وصل إليه الخير ، يعنى ابن عباس بذلك من الحسنة وصل إلى الذى جاء بها الخير .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا حسين الشهيد ، عن الحسن (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال : له منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن مَعمر ، عن الحسن ، قال : من جاء بلا إله إلا الله ، فله خير منها خيرا ٧ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) يقول : له منها حظّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال : له منها خير ، فأما أن يكون خيرا من الإيمان فلا ، ولكن منها خير : يصيب منها خيرا[1] .

حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم ، عن عكرِمة ،

(١) يريد أن (من) ليست للتفضيل ، ولذلك قدمها على خير ، وإنما هى للتعليل أونحوه .

قوله (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال: ليس شيء خيرا من لاإله إلا الله، ولكن له منها خير.

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ماحدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال: أعطاه الله بالواحدة عشرا، فهذا خير منها.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) فقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة (وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) بإضافة فزع إلى اليوم. وقرأ ذلك جماعة قرّاء أهل الكوفة (مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ) بتنوين فزع.

والصواب من القول فى ذلك عندى: أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الإضافة أعجب إلىّ، لأنه فَزَعٌ معلوم. وإذا كان ذلك كذلك، كان معرفة، على أن ذلك فى سياق قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أنه عُنِى بقوله (وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) من الفزع الذى قد جرى ذكره قبله. وإذا كان ذلك كذلك، كان لاشكّ أنه معرفة، وأن الإضافة إذا كان معرفة، به أولى من ترك الإضافة؛ وأخرى: أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانه من كلّ أهوال ذلك اليوم، منه إذا لم يُضِف ذلك، وذلك أنه إذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أهواله.

وقوله (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هل تُجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون، إذ كبّكم الله لوجوهكم فى النار، وإلاّ جزاء ما كنتم تعملون فى الدنيا بما يسخط ربكم، وترك «يقال لهم»: اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يامحمد (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ) وهى مكة، الذى حرّمها على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما، أو يظلموا فيها أحدا، أو يصادَ صيدها، أو يختلى خلاها، دون الأوثان التى تعبدونها أيها المشركون.

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةَ الَّذِى حَرَّمَها) يعنى: مكة.

وقوله (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) يقول: ولربّ هذه البلدة الأشياء كلُّها ملكا، فإياه أُمِرْت أن أعبد، لامن لايملك شيئا. وإنما قال جلّ ثناؤه (رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةَ الَّذِى حَرَّمَها) فخصها بالذكر دون سائر

البُلْدان ، وهو ربّ البلاد كلها ، لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين هم أهل مكة بذلك ، نعمته عليهم ، وإحسانه إليهم ، وأن الذى ينبغى لهم أن يعبدوه هو الذى حرّم بلدهم ، فمنع الناس منهم ، وهم فى سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا ، ويقتل بعضهم بعضا ، لامن لم تجر له عليهم نعمة ، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضرّ . وقوله (وأُمِرْتُ أنْ أكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ) يقول : وأمرنى ربى أن أسلم وجهى له حنيفا ، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم ، وجدكم أيها المشركون ، لامن خالف دين جدّه المحقّ ، ودان دين إبليس عدوّ الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ، فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ، وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قل إنما أُمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة ، وأن أكون من المسلمين ، (وأنْ أتْلُوَ القُرآنَ ، فَمَنِ اهْتَدَى) يقول : فمن تبعنى وآمن بى وبما جئت به ، فسلك طريق الرشاد (فإنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) يقول : فإنما يسلك سبيل الصواب ، باتباعه إياى ، وإيمانه بى ، وبما جئت به لنفسه ، لأنه بإيمانه بى ، وبما جئت به ، يأمن نقمته فى الدنيا ، وعذابه فى الآخرة . وقوله (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن جار عن قصد السبيل ، بتكذيبه بى ، وبما جئت به من عند الله (فَقُلْ إنَّمَا أنا مِنَ المُنْذِرِينَ) يقول تعالى ذكره : فقل يامحمد لمن ضلّ عن قصد السبيل ، وكذّبك ، ولم يصدّق بما جئت به من عندى ، إنما أنا ممن ينذر قومه عذابَ الله وسخطَه ، على معصيتهم إياه ، وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قُريش ، فإن قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به ، فحظوظَ أنفسكم تصيبون ، وإن رددتم وكذبتم ، فعلى أنفسكم جنيتم ، وقد بلّغتكم ما أُمِرت بإبلاغه إياكم ، ونصحت لكم .

القول فى تأويل قوله

وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء القائلين لك من مشركى قومك (مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ؟ الحمد لله على نعمته علينا ، بتوفيقه إيانا للحقّ الذى أنتم عنه عَمُون ، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه ، فتعرفون بها حقيقة نصحى كان لكم ، ويتبين صدق مادعوتكم إليه من الرشاد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها) قال : فى أنفسكم ، وفى السماء والأرض والرزق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها) : قال : فى أنفسكم والسماء والأرض والرزق .

وقوله (وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يامحمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ، ولكن لهم أجل هم بالغوه ، فإذا بلغوه ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : فلا يَحْزُنْك تكذيبهم إياك ، فإنى من وراء إهلاكهم ، وإنى لهم بالمِرصاد ، فأيقن لنفسك بالنصر ، ولعدوّك بالذلّ والخزى .

آخر تفسير سورة النمل .

ولله الحمد والمِنَّة ، وبه الثِّقة والعِصْمة .

تفسير سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣)

قال أبو جعفر : قد بيَّنا قبل فيما مضى تأويل قول الله عزّ وجلّ (طسٓمٓ) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويله . وأما قوله (تلكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) فإنه يعنى هذه آيات الكتاب الذى أنزلته إليك يامحمد ، المبين أنه من عند الله ، وأنك لم تَتَقَوَّلْه ولم تتخرّصْه .

وكان قَتادة فيما ذكر عنه يقول فى ذلك ماحدثنى بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (طسم . تلكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) يعنى : مبينٌ والله بركَتَه ورشْدَه وهُداه .

وقوله (نَتْلُو عَلَيْكَ) يقول : نقرأ عليك ونقصّ فى هذا القرآن من خبر موسى وفرعون بالحقّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول فى هذا القرآن نَبَؤُهم . وقوله (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : لقوم يصدّقون بهذا الكتاب ، ليعلموا أن مانتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم ، وتطمئنّ نفوسُهم بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين ، سنتنا فيمن عادى موسى ، ومن آمن به من بنى إسرائيل ، من فرعون وقومه ، أن نهلكهم كما أهلكناهم ، وننجِّيهم منهم كما أنجيناهم منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ، يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن فرعون تجبَّر فى أرض مصر وتكبَّر ، وعلا أهلها وقهرهم ، حتى أقرّوا له بالعبودة .

كما حدثنا محمد بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فى الأَرْضِ) يقول : تجبر فى الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ) : أى بغَى فى الأرض .

وقوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعنى بالشِّيع : الفِرَق ، يقول : وجعل أهلها فِرقا متفرّقين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) : أى فرقا يذبح طائفة منهم ، ويستحيى طائفة ، ويعذّب طائفة ، ويستعبد طائفة ، قال الله عزّ وجلّ (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا فى منامه ، أن نارا أقبلت من بيت المقدس ، حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط ، وتركت بنى إسرائيل ، وأحرقت بيوت مصر ، فدعا السَّحَرة والكَهَنة والقافة والحازَة[1] ، فسألهم عن رؤياه ، فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه ، يعنون بيت المقدس ، رجل يكون على وجهه هلاك مصر ، فأمر ببنى إسرائيل ألّا يولد لهم غلام إلّا ذبحوه ، ولا تُولد لهم جارية إلا تُرِكت ، وقال للقبط : انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا ، فأدخلوهم ، واجعلوا بنى إسرائيل يكُون تلك الأعمال القذِرة ، فجعل بنى إسرائيل فى أعمال غلمانهم ، وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول : (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعنى بنى إسرائيل ، حين جعلهم فى الأعمال القذرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : فرّق بينهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : فِرَقا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : الشيع : الفِرَق .

وقوله (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده .

---

[1] لعله : الحزاة ، بضم الحاء ، جمع الحازى ، وهو المتكهن . قال فى (اللسان : حزا) التحزى : التكهن ؛ حزى حزيا وتحزى تكهن . ولم نجد فى ماده (حوز) معنى التكهن . فلعل ما فى الأصل خطأ الناسخ . ويؤيد ماقلناه أنه سيجىء فى صفحة ٢٩ سطر ٤ صحيحا كما قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة : يستعبد طائفة منهم ، ويذبح طائفة ، ويقتل طائفة ، ويستحيي طائفة .

وقوله (إنَّهُ كانَ مِنَ المُفْسِدِينَ) يقول : إنه كان ممن يفسد فى الأرض بقتله من لايستحقّ منه القتل ، واستعباده من ليس له استعباده وتجبره فى الأرض على أهلها ، وتكبره على عبادة ربه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ، وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ، وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ (٦)

قوله (وَنُرِيدُ) عطف على قوله (يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ) ومعنى الكلام : أن فرعون علا فى الأرض ، وجعل أهلها من بنى إسرائيل فِرَقا يستضعف طائفة منهم ، ونحن نريد أن نمنّ على الذين استضعفهم فرعون فى الأرض من بنى إسرائيل ، ونجعلهم أئمة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُرِيدُ أنْ نَمُنَّ عَلى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ) قال : بنو إسرائيل .

قوله (وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً) أى وُلاة وملوكا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً) أى ولاة الأمر .

وقوله (وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ) يقول : ونجعلهم وُرّاث آل فرعون ، يرثون الأرض من بعد مهلكهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ) : أى يرثون الأرض بعد فرعون وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ) يقول : يرثون الأرض بعد فرعون .

وقوله (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأرْضِ) يقول : ونوطئ لهم فى أرض الشام ومصر (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ

وهامانَ وَجُنُودَهُمَا) كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بنى إسرائيل ، فكانوا من ذلك على وجل منهم ، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بنى إسرائيل ، على يد موسى بن عمران نبيه ، ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم ، وخراب منازلهم ودورهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ) شيئا ما حذّر القوم قال : وذُكر لنا أن حازيا حزا لعدوّ الله فرعون ، فقال : يولد فى هذا العام غلام من بنى إسرائيل ، يسلبك ملكك ، فتتبّع أبناءَهم ذلك العام ، يقتل أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ، حذرا مما قال له الحازى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره ، يعنى أنه كاهن ، فقال له : إنه يولد فى هذا العام ، غلام يذهب بملككم ، فكان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم حذرا ، فذلك قوله (وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهامَانَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ) بمعنى : ونرى نحن بالنون ، عطفا بذلك على قوله (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ) وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (وَيَرَى فِرْعَوْنُ) على أن الفعل لفرعون ، بمعنى : ويعاينَ فرعونُ ، بالياء من يرى ، ورفع فرعون وهامان والجنود .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان فى قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب ، لأنه معلوم أن فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى ، إلا بأن يُريه الله عزّ وجلّ منه ، ولم يكن ليريَه الله تعالى ذكره ذلك منه إلا رآه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ، وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ، إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ، وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧)

⁂ يقول تعالى ذكره (وأوْحَيْنا إلى أُمّ مُوسَى) حين ولدت موسى (أنْ أرْضِعِيهِ) .

وكان قتادة يقول فى معنى ذلك : وأوحينا إلى أمّ موسى : قَذَفنا فى قلبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأوْحَيْنا إلى أُمّ مُوسَى) وَحْيا جاءها من الله ، فقذف فى قلبها ، وليس بوحى نبوّة أن أرضعى موسى (فإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى اليَمِّ وَلا تَخافِى وَلا تَحْزَنِى) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وأوْحَيْنا إلى أُمِّ مُوسَى) قال : قذف فى نفسها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أمر فرعون أن يذبح من ولد من بنى إسرائيل سنة ، ويُتركوا سنة ؛ فلما كان فى السنة التى يذبحون فيها حملت بموسى ؛ فلما أرادت وضعه ، حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها (أنْ أرْضِعِيهِ ، فإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَألْقِيهِ فِي اليَمِّ) .

⁂ واختلف أهل التأويل فى الحال التى أمرت أمّ موسى أن تلقىَ موسى فى اليم ، فقال بعضهم : أُمرت أن تلقيه فى اليمّ بعد ميلاده بأربعة أشهر ، وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبىّ ، بعد حال سقوطه من بطن أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (أنْ أرْضِعِيهِ فَإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) قال : إذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك (فألْقِيهِ) حينئذ (فى اليَمّ) فذلك قوله (فإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : لم يقل لها : إذا ولدتيه فألقيه فى اليمّ ، إنما قال لها (أنْ أرْضِعِيهِ ، فإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَألْقِيهِ فِي اليَمّ) بذلك أُمرت ، قال : جعلته فى بُسْتان ، فكانت تأتيه كلّ يوم فترضعه ، وتأتيه كلّ ليلة فترضعه ، فيكفيه ذلك .

وقال آخرون : بل أُمِرت أن تلقيه فِى اليم ، بعد ولادها إياه ، وبعد رضاعها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لمّا وضعته أرضعته ، ثم دعت له نجارا ، فجعل له تابوتا ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه ، وألقته فى اليمّ .

⁂ وأولى قول قيل فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر أمّ موسى أن ترضعه ، فإذا خافت عليه من عدوّ الله فرعون وجنده أن تلقيه فى اليمّ . وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه . وأىّ ذلك كان ، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه ، ولا خبر قامت به حجة ، ولا فطرة فى العقل لبيان أىّ ذلك كان من أىّ ، فأوَلى الأقوال فى ذلك بالصحة : أن يُقال كما قال جلّ ثناؤه . واليمّ الذى أُمِرَت أن تلقيه فيه هو النيل .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَألْقِيهِ فِي اليَمِّ) قال : هو البحر ، وهو النيل . وقد بيّنا ذلك بشواهده ، وذكر الرواية فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي) يقول : لاتخافى على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ، ولا تحزنى لفراقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي) قال : لاتخافى عليه البحر ، ولا تحزنى لفراقه (إنَّا رَادُّوهُ إلَيْكِ) .

وقوله (إنَّا رَادُّوهُ إلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ) يقول : إنا رادّوا وَلَدِكِ إليك للرضاع ، لتكونى أنت ترضعيه وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله ، وفعل الله ذلك بها وبه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إنَّا رَادوهُ إلَيْكَ) وباعثوه رسولا إلى هذه الطاغية ، وجاعلو هلاكه ونجاة بنى إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ؛ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَـٰطِـِٔينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه ، وأصله من اللقطة ، وهو ما وُجد ضالا ، فأخذ ، والعرب تقول : لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا إرادة ، أصبته التقاطا ، ولقيت فلانا التقاطا ؛ ومنه قول الراجز :

وَمَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ التِقاطَا لَمْ أَلْقَ إذْ وَرَدْتُهُ فُرَّاطَا[1]

يعنى : فجأة .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (آلُ فِرْعَوْنَ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بذلك : جوارىَ امرأة فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أقبل الموج بالتابوت يرفعه

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لنقادة الأسدى ، أوردهما فى (اللسان : لقط) وأورد معهما بيتا ثالثا ، وهو :

* إلا الحمام الورق والغطاطا * قال : ولقيته التقاطا : إذا لقيته من غير أن ترجوه أو تحسبه ؛ قال نقادة الأسدى : « ومنهل وردته . . . » الأبيات الثلاثة . وقال سيبويه : التقاطا : أى فجأة ، وهو من المصادر التى وقعت أحوالا ، نحو جاء ، ركضا . ووردت الماء والشىء التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ، ولم تحتسبه . وحكى ابن الأعرابى : لقيته لقاطا : مواجهة . وفى حديث عمر أن رجلا من تميم التقط شبكة ، فطلب أن يجعلها له . الشبكة : الآبار القريبة الماء . والتقاطه : عثوره عليها من غير طلب . اه . وقال فى (فرط) : وفراط القطا : متقدما تها إلى الوادى والماء . وأنشد البيت ونسبه إلى نقادة الأسدى . (وفى غطط) : والغطاط القطا ، بفتح الغين . وقيل : ضرب من القطا ، واحدته : غطاطة . وقيل القطا : ضربان ؛ فالقصار الأرجل ، الصفر الأعناق ، السود القوام . الصهب الخوافى . هى الكدرية والجونية (بضم أولهما) والطوال الأرجل ، البيض البطون ، الغبر الظهور ، الواسعة العيون : هى الغطاط . وقيل : الغطاط : ضرب من الطير ، ليس من القطا ، هن غبر البطون والظهور والأبدان ، سود الأجنحة . وقيل : سود بطون الأجنحة ، طوال الأرجل والأعناق ، لطاف . اه . وانظر أقوالا أخرى فى (اللسان : غطط) . والبيت الأول فى (معجم ما استعجم للبكرى طبعة القاهرة ، بترتيب مصطفى السقا ص ٧٧٩) . وفى الكتاب لسيبويه (١ : ١٨٦) .

مرّة ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار ، عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسيةَ امرأة فرعون يغسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية ، وظَنَنّ أن فيه مالا ؛ فلما نظرت إليه آسية ، وقعت عليها رحمته ، فأحبته ؛ فلما أخبرت به فرعون ، أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلمه ، حتى تركه لها ، قال : إنى أخاف أن يكون هذا من بنى إسرائيل ، وأن يكون هذا الذى على يديه هلاكنا ، فذلك قول الله (فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) .

وقال آخرون : بل عنى به ابنةَ فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : كانت بنت فرعون برصاء ، فجاءت إلى النيل ، فإذا التابوت فى النيل تخفقه الأمواج ، فأخذته بنت فرعون ، فلما فتحت التابوت ، فإذا هى بصبىّ ، فلما اطلعت فى وجهه برأت من البرص ، فجاءت به إلى أمها ، فقالت : إن هذا الصبىّ مبارك ، لما نظرت إليه برئت ، فقال فرعون : هذا من صِبيان بنى إسرائيل ، هلمّ حتى أقتله ، فقالت : قرّة عين لى ولك ، لاتقتلوه .

وقال آخرون : عُنِى به أعوان فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح فرعون فى مجلس له ، كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة ؛ فبينما هو جالس ، إذ مرّ النيل بالتابوت يقذف به ، وآسية بنت مُزاحم امرأته جالسة إلى جنبه ، فقالت : إن هذا لشىء فى البحر ، فأتونى به ، فخرج إليه أعوانه ، حتى جاءوا به ، ففتح التابوت فإذا فيه صبىّ فى مهده ، فألقى الله عليه مَحبته ، وعطف عليه نفسه ، قالت امرأته آسية : (لاتَقْتُلُوهُ ، عَسَى أنْ يَنْفَعَنَا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

ولا قول فى ذلك عندنا أولى بالصواب ، مما قال الله عزّ وجلّ (فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ) ، وقد بيّنا معنى الآل فيما مضى ، بما فيه الكفاية من إعادته هاهنا .

وقوله (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) فيقول القائل : ليكون موسى لآل فرعون عدوّا وحزَنا التقطوه ، فيقال (فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) قيل : إنهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك ، بل لما تقدّم ذكره . ولكنه إن شاء الله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ، فى قوله (فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) قال : ليكون لهم فى عاقبة أمره عدوا وحزنا لما أراد الله به ، وليس لذلك أخذوه ، ولكن امرأة فرعون قالت (قُرَّةُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ) فكان قول الله (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) لما هو كائن فى عاقبة أمره لهم ، وهو كقول القائل لآخر إذا قَرَّعه لفعل كان فعله ، وهو يُحْسِب محسنا فى فعله ، فأدّاه فعله ذلك إلى مساءة ، مندِّما له على فعله : فعلت هذا لضرّ نفسك ، ولتضرّ به نفسك فعلت . وقد كان الفاعل فى حال فعله ذلك عند نفسه ، يفعله راجيا نفعه ، غير

أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو . فكذلك قوله (فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) إنما هو : فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم ، ليكون قرّة عين لهم ، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه .

وقوله (عَدُوًّا وَحَزَنًا) يقول : يكون لهم عدوّا فى دينهم ، وحزنا على ماينالهم منه من المكروه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) عدوّا لهم فى دينهم ، وحزنا لما يأتيهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (وَحَزَنًا) بفتح الحاء والزاى . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (وَحُزْنًا) بضم الحاء وتسكين الزاى ، والحَزَن ، بفتح الحاء والزاى : مصدر من حزِنت حَزَنًا ، والحُزْن ، بضم الحاء وتسكين الزاى : الاسم : كالعَدَم والعُدْم ونحوه .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وهما على اختلاف اللفظ فيهما ، بمنزلة العَدَم ، والعُدْم ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (إنَّ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ) يقول تعالى ذكره : إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين ، فلذلك كان لهم موسى عَدُوًّا وحَزَنًا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ، لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره (وَقالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) له هذا (قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلَكَ) يافرعون ، فقرّة عين مرفوعة بمضمر هو هذا ، أوهو . وقوله (لاتَقْتُلُوهُ) : مسئلة من امرأة فرعون أن لايقتله ، وذُكِر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون ، قال فرعون : أمّا لكِ فنعم ، وأما لى فلا ، فكان كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى مَعْشر ، عن محمد بن قيس ، قال : قالت امرأة فرعون (قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلَكَ ، لاتَقْتُلُوهُ ، عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) . قال فرعون : قرّة عين لكِ ، أما لى فلا . قال محمد بن قيس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ قالَ فِرْعَوْنُ : قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلَكِ ، لَكانَ لَهُما جَمِيعا » .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، قال : اتخذه فرعونُ ولدا ، ودُعِى على أنه ابن فرعون ؛ فلما تحرّك الغلام ، أرته أمه آسيةُ صبيا ، فبينما هى ترقّصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ،

وقالت : خذه قرةَ عين لى ولك ، قال فرعون : هو قرّة عين لك ، لا لى . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهو لى قرّة عين ، إذن لآمن به ، ولكنه أبى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قالت امرأة فرعون (قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلَكَ) تعنى بذلك موسى .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : لما أتت بموسى امرأة فرعونَ فرعونَ قالت : (قُرَّةُ عَيْنٍ لى ولَكَ) قال فرعون : يكون لك ، فأما لى فلاحاجة لى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِى يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أقَرَّ فِرْعَوْنُ أنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أقَرَّتْ ، لَهَدَاهُ اللهُ بِهِ كَمَا هَدَى بِهِ امْرأتَهُ ، وَلَكِنَّ اللهَ حَرَمَهُ ذلكَ » .

وقوله (لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) ذُكِر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين همّ بقتله . قال بعضهم : حين أُتِىَ به يوم التقطه من اليم . وقال بعضهم : يوم نتف من لحيته ، أوضربه بعصا كانت فى يده .

ذكر من قال : قالت ذلك يوم نتف لحيته

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أُتِى فرعون به صبيا ، أخذه إليه ، فأخذ موسى بلحيته فنتفها ، قال فرعون : علىّ بالذبّاحين ، هو هذا ، قالت آسية (لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) إنما هو صبىّ لايعقل ، وإنما صَنع هذا من صباه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) قال : أُلقِيَتْ عليه رحمتها حين أبصرته .

وقوله (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وهم لايشعرون هلاكهم على يده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : وهم لايشعرون أن هلكتهم على يديه ، وفى زمانه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : إن هلاكهم على يديه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : آل فرعون أنه لهم عدوّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهم لايشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت امرأة فرعون آسية (لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ، وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) يقول الله : وهم لايشعرون أى بما هو كائن بما أراد الله به .

وقال آخرون : بل معنى قوله (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) بنو إسرائيل لايشعرون أنّا التقطناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس (لاتقتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنَا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ، وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : يقول : لاتدرى بنو إسرائيل أنّا التقطناه .

❊ والصواب من القول فى ذلك : قول من قال : معنى ذلك : وفرعون وآله لايشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات به ، لأنه عُقَيب قوله (وَقالَتِ امْرأةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلَكَ ، لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وإذا كان ذلك عَقِبه ، فهو بأن يكون بيانا عن القول الذى هو عقبه أحقّ من أن يكون بيانا عن غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ، إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠)

❊ اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عَنَى الله أنه أصبح منه فؤاد أمّ موسى فارغا ، فقال بعضهم : الذى عنى جلّ ثناؤه أنه أصبح منه فؤاد أمّ موسى فارغا ، كل شىء سوى ذكر ابنها موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن العلاء ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، وحسانّ أبى الأشرس عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فرغ من كلّ شىء إلا من ذكر مُوسى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فارغا من كلّ شىء إلا من ذكر موسى .

حدثنا محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فارغا من كلّ شيء إلا من همّ موسى .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ عن ابن عباس ، قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : يقول : لاتذكرُ إلاّ موسى .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَأصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ مُوسَى فارِغا) قال : من كلّ شيء غير ذكر موسى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأصْبَحَ فُوَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فرغ من كلّ شيء إلّا من ذكر موسى .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملىّ ، قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن شَوذَب ، عن مطر ، فى قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فارغا من كلّ شيء إلّا من همّ موسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) : أى لاغيا من كلّ شيء ، إلا من ذكر موسى .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فرغ من كلّ شيء غير ذكر موسى .

وقال آخرون : بل عنى أن فؤادها أصبح فارغا من الوحى الذى كان الله أوحاه إليها ، إذ أمرها أن تلقيه فى اليمّ ، فقال (وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي ، إنَّا رَادُّوهُ إلَيْكِ ، وَجاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ) قال : فحزنت ونسيت عهد الله إليها ، فقال الله عزّ وجلّ (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ مُوسَى فارِغا) من وحينا الذى أوحيناه إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فارغا من الوحْى الذى أوحى الله إليها ، حين أمرها أن تلقيه فى البحر ، ولا تخافَ ولا تحزَنَ ، قال : فجاءها الشيطان ، فقال : يا أمّ موسى ، كرهت أن يقتل فرعون موسى ، فيكون لك أجره وثوابه ، وتولّيت قتله ، فألقيتيه فى البحر وغرقتيه ، فقال الله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) من الوحى الذى أوحاه إليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : ثنى الحسن ، قال : أصبح فارغا من العهد الذى عَهِدنا إليها ، والوعد الذى وعدناها أن نردّ عليها ابنها ، فنسيت ذلك كله ، حتى كادت أن تُبْدِى به ، لولا أن ربطنا على قلبها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : قد كانت أمّ موسى ترفع له حين قذفته فى البحر ، هل تسمع له بذكر ، حتى أتاها الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا فى النيل فى التابوت ، فعرفت الصفة ، ورأت أنه وقع فى يدى عدوّه الذى فرّت به منه ، وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله إليها فيه ،

قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه . وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب : معنى ذلك : وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغا من الحُزن ، لعلمها بأنه لم يغرَق . قال : وهو من قولهم : دم فَرْغ[1] : أى لاقَوَدَ ولا دِيَةَ ، وهذا قول لامعنى له ، لخلافه قول جميع أهل التأويل .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : معناه : وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغا من كلّ شىء ، إلا من همّ موسى .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لدلالة قوله (إنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أنْ رَبَطْنا عَلَى قَلْبِها) ولو كان عَنَى بذلك : فراغ قلبها من الوحْى ، لم يعقب بقوله (إنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ) ، لأنها إن كانت قاربت أن تبدى الوحَى ، فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه ، وولوعها به ، ومحال أن تكون به وَلِعة إلّالاوهى ذاكرة . وإذا كان ذلك كذلك ، بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى إليها ، وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب ، ولم يخصص فراغ قلبها من شىء دون شىء ، فذلك على العموم إلّا ما قامت حُجته أن قلبها لم يفرُغ منه . وقد ذُكر عن فَضالة بن عبيد ، أنه كان يقرؤه (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) من الفزع .

وقوله (إنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ) اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عادت عليه الهاء فى قوله (بِهِ) فقال بعضهم : هى من ذكر موسى ، وعليه عادت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد وحسان أبى الأشرس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ) أن تقول : يا ابناه .

قال : ثنى يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (إنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ) : أن تقول : يا ابناه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ) : أن تقول : يا بنياه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (إنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ) : أى لتبدى به أنه ابنها ، من شدّة وجدها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما جاءت أمه أخَذَ منها ، يعنى الرضاع ، فكادت أن تقول : هو ابنى ، فعصمها الله ، فذلك قول الله (إنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أنْ رَبَطْنا عَلَى قَلْبِها) .

وقال آخرون (بِما أوْحَيْناهُ إلَيْها) : أى تظفر .

⁂ والصواب من القول فى ذلك ماقاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا : إن كادت لتقول : يا بنياه لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، وأنه عُقَيب قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) فلأن يكون لو لم

(١) فى (اللسان فرغ) : يقال : ذهب دمه فرغا وفرغا (بفتح الفاء وكسرها مع سكون الراء) أى باطلا هدرا ، لم يطلب به .

يكن ممن ذكرنا فى ذلك إجماع على ذلك، من ذكر موسى، لقربه منه، أشبه من أن يكون من ذكر الوحى.

وقال بعضهم: بل معنى ذلك: إن كادت لتبدى بموسى فتقول: هو ابنى، قال وذلك أن صدرها ضاق إذ نُسب إلى فرعون، وقيل ابن فرعون. وعنى بقوله (لَتُبْدِى بِهِ) لَتُظْهِره وتُخْبِر به.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، فى قوله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ) لَتُشْعِر به.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إِنْ كَادَتْ لِتُبْدِى بِهِ) قال: لتُعلِن بأمره، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين.

وقوله (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) يقول: لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتناها وتوفيقناها للسكوت عنه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا): أى بالإيمان (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ، قال: كادت تقول: هو ابنى، فعصمها الله، فذلك قول الله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا).

وقوله (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره: عصمناها من إظهار ذلك وقيله بلسانها، وثبتناها للعهد الذى عهدنا إليها (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بوعد الله، الموقنين به.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ، فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره: وقالت أمّ موسى لأخت موسى حين ألقته فى اليم (قُصِّيهِ) يقول: قُصِّى أثر موسى، اتبعى أثره، تقول: قصصت آثار القوم: إذا اتبعت آثارهم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) قال: اتبعى أثره كيف يصنع به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد (قُصِّيهِ) أى قصِّى أثره.

حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) قال : اتبعى أثره .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أى انظرى ماذا يفعلون به .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) يعنى : قصى أثره .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أى قصى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا ؟ أحىّ ابنى أو قد أكلته دوابّ البحر وحيتانه ؟ ونسيت الذى كان الله وعدها . وقوله (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) يقول تعالى ذكره : فقصت أخت موسى أثره ، فبصرت به عن جُنُب : يقول : فبصرت بموسى عن بُعد ، لم تدن منه ولم تقرب ، لئلا يُعْلَم أنها منه بسبيل ، يقال منه : بَصُرْت به وأبصرته ، لغتان مشهورتان ، وأبصرت عن جُنُب ، وعن جَنابة ، كما قال الشاعر :

أتَيْتُ حُرَيْثا زَائِرًا عَنْ جَنابَةٍ فَكانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطائى جاحِدَا[1]

يعنى بقوله : عن جَنابة : عن بُعد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَنْ جُنُبٍ) قال : بُعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (عَنْ جُنُبٍ) قال : عن بُعد . قال ابن جُرَيج (عَنْ جُنُبٍ) قال : هى على الحدّ فى الأرض ، وموسى يجرى به النيل ، وهما متحاذيان ، كذلك تنظر إليه نظرة ، وإلى الناس نظرة ، وقد جعل فى تابوت مُقَيَّرٌ ظهره وبطنه ، وأقفلته عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجّاج ، عن أبى سفيان ، عن معمر ، عن قَتادة : (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) يقول : بصُرت به وهى مُحاذيته لم تأته .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنى القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) ، والجنُب : أن يسمو بصر الإنسان إلى الشىء البعيد ، وهو إلى جنبه لا يشعر به .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ص ٦٥) قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفى ، ويذم الحارث بن وعلة ابن مجالد الرقاشى ، وقد صغر اسمه تحقيرا له وذما . وعن جنابة عن بعد وغربة . ورجل جنب أيضا : معنى غريب . والجاحد : الذى : ينكر ما يعلم . جحده حقه ، وبحقه . قاله فى اللسان . والشاهد . فى البيت « عن جنابة » ومعناه عن بعد .

وقوله (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) يقول : وقوم فرعون لايشعرون بأخت موسى أنها أخته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : آل فرعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) أنها أخته ، قال : جعلت تنظر إليه كأنها لاتريده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) أنها أخته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) أى لايعرفون أنها منه بسبيل .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ، فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِحُونَ ؟ (١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهنّ من قبل أمه . ذُكِر أن أختا لموسى ، هى التى قالت لآل فرعون (هَلْ أدُلُّكُمْ عَلَى أهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أرادوا له المرضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون فى الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك قوله (وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ) أخته(هَلْ أدُلُّكُمْ عَلَى أهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ) فلما جاءت أمه أخذ منها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : لايقبل ثدى امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس (وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : كان لايؤتى بمرضع فيقبلها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : لايرضع ثدى امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها، قال : فقالت أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : اجمعوا المراضع ، حين ألقى الله محبتهم عليه، فلا يؤتى بامرأة فيقبلُ ثديها فَيُرمِضُهم ! ذلك ، فيوتى بمرضع بعد مرضع ، فلا يقبل شيئا منهن ، فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به ، وحرصهم عليه (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) ، ويعنى بقوله (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) : يضمونه لكم . وقوله (وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ) ذُكِر أنها أخذت ، فقيل : قد عرفته ، فقالت : إنما عنيت أنهم للملك ناصحون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما قالت أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ) أخذوها ، وقالوا : إنك قد عَرَفت هذا الغلام ، فدُلينا على أهله ، فقالت : ما أعرفه ، ولكنى إنما قلت : هم للملك ناصحون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ) قال : فعلِقوها حين قالت : وهم له ناصحون ، قالوا قد عرفته ، قالت : إنما أردت هم للملك ناصحون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَهُمْ لَهُ ناصِحُون) أى لمنزلته عندكم ، وحرصكم على مسرّة الملك ، قالوا : هاتى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : فرددنا موسى إلى أمه بعد أن التقطه آل فرعون ، لتقرّ عينها بابنها ، إذ رجع إليها سليما من قَتل فرعون ، ولا تحزَنَ على فراقه إياها ، ولتعلَم أن وعد الله الذى وعدها إذ قال لها (فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ، وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي) . . . الآية ، حقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ) فقرأ حتى بلغ (لا يَعْلَمُونَ) ، ووعدها أنه رادّه إليها ، وجاعله من المرسلين ، ففعل الله ذلك بها .

وقوله (وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حقّ ، لا يصدّقون بأن ذلك كذلك .

(١) فى (اللسان : رمضى) : والرمض : حرقة الغيظ . وقد أرمضنى هذا الأمر ، فرمضت . ويقال : أرمضنى : أوجعنى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ، وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : ولما بلغ موسى أشدّه ، يعنى حان شدّة بدنه وقُواه ، وانتهى ذلك منه . وقد بيّنا معنى الأشدّ فيما مضى بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَاسْتَوَى) يقول : تناهى شبابه ، وتمّ خُلُقُه واستحكم ، وقد اختلف فى مبلغ عدد سنى الاستواء ، فقال بعضهم : يكون ذلك فى أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله : (وَاسْتَوَى) قال : أربعين سنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة . قوله (وَاسْتَوَى) قال : بلغ أربعين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) قال : أربعين سنة ، وأشدّه : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَى) قال : كان أبى يقول : الأشدّ : الحَلَمَ ، والاستواء : أربعون سنة .

وقال بعضهم : يكون ذلك فى ثلاثين سنة .

وقوله (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) يعنى بالحكم : الفَهم بالدين والمعرفة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) قال : الفقه والعقل والعمل قبل النبوّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) قال : الفقه والعمل قبل النبوّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) آتاه الله حكما وعلما : فقها فى دينه ودين آبائه ، وعلما بما فى دينه وشرائعه وحدوده .

وقوله (وكذلك نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : وكما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه ، بصبره على أمرنا ، كذلك نجزى كل من أحسن من رسلنا وعبادنا ، فصبر على أمرنا وأطاعنا ، وانتهى عما نهيناه عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِن شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَزَهُ مُوسَى ، فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره (وَدَخَلَ) موسى (المَدِينَةَ) مدينة منف من مصر (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها) وذلك عند القائلة نصف النهار .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله دخل موسى هذه المدينة فى هذا الوقت ، فقال بعضهم : دخلها متتبعا أثر فرعون ، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد ؛ فلما حضر علم بركوبه ، فركب واتبع أثره ، وأدركه المَقِيل فى هذه المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون ، ويلبس مثل ما يلبس ، وكان إنما يُدعى موسى بن فرعون ، ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى ؛ فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب فى أثره ، فأدركه المَقِيل بأرض يقال لها مَنْف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تغلقت أسواقها ، وليس فى طرقها أحد ، وهى التى يقول الله (وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها) .

وقال آخرون : بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه ، لأنه كان قد خالفهم فى دينهم ، وعاب ما كانوا عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما بلغ موسى أشده واستوى ، آتاه الله حكما وعلما ، فكانت له من بنى إسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ، ويجتمعون إليه ، فلما استد[1] رأيه ، وعرف ما هو عليه من الحقّ ، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا فى دينه ، فتكلم وعادى وأنكر ،

(١) استد رأيه : من السداد ! أى أحكم عقله ، وقويت تجاربه .

حتى ذكر ذلك منه ، وحتى أخافوه وخافهم ، حتى كان لايدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا ، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها .

وقال آخرون : بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته ، حين علاه بالعصا ، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشدّه . قالوا : ومعنى الكلام : ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى : أى من بعد نسيانهم خبره وأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها) قال : ليس غفلة من ساعة ، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره . وقال فرعون لامرأته : أخرجيه عنّى حين ضرب رأسه بالعصا ، هذا الذى قُتِلتُ فيه بنو إسرائيل . فقالت : هو صغير ، وهو كذا ، هات جمرا ، فأُتى بجمر ، فأخذ جمرة ، فطرحها فى فيه ، فصارت عقدة فى لسانه ، فكانت تلك العقدة التى قال الله (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِى) قال : أخرجيه عنى ، فأخرج ، فلم يدخل عليهم حتى كبر ، فدخل على حين غفلة من ذكره .

⁂ وأولى الأقوال بالصحة بذلك أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه : ولما بلغ أشدّه واستوى ، دخل المدينة على حين غفلة من أهلها .

واختلفوا فى الوقت الذى عُنِى بقوله (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها) فقال بعضهم : ذلك نصف النهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قوله (وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها) قال : نصف النهار . قال ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قال : يقولون فى القائلة ، قال : وبين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها) قال : دخلها بعد ما بلغ أشدّه عند القائلة : نصف النهار .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : دخل نصف النهار .

وقوله (فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) يقول : هذا من أهل دين موسى من بنى إسرائيل (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) من القبط من قوم فرعون . (فاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ) : يقول : فاستغاثه الذى هو من أهل دين موسى ، على الذى من عدوّه من القبط (فَوَكَزَهُ مُوسَى ، فَقَضَى عَلَيْهِ) يقول : فلكزه ولهزه فى صدره بجمع كفه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : أساء موسى من حيث أساء ، وهو شديد الغضب شديد القوّة ، فمرّ برجل من القبط ، قد تسخر رجلا من المسلمين ، قال : فلما رأى موسى استغاث به ، قال : ياموسى ، فقال موسى : خلّ سبيله ، فقال : قد هممت أن أحمله عليك ، فوكزه موسى ، فقضى عليه ؛ قال : حتى إذا كان الغد نصف النهار ، خرج ينظر الخبر ، قال : فإذا ذاك الرجل قد أخذه آخر فى مثل حدّه ؛ قال : فقال : ياموسى ، قال : فاشتدّ غضب موسى ، قال : فأهوى ، قال : فخاف أن يكون إياه يريد ، قال : فقال (أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كمَا قَتَلْتَ نَفْسا بالأَمْسِ ؟) قال : فقال الرجل : ألا أراك يا موسى أنت الذى قَتَلت ؟

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، قال : ثنا الأعمش ، عن سعيد بن جُبير (فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ) قال : رجل من بنى إسرائيل ، يقاتل جبارا لفرعون ، فاستغاثه ، فوكزه موسى ، فقضى عليه ؛ فلما كان من الغد ، استصرخ به فوجده يقاتل آخر ، فأغاثه ، فقال : (أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كما قَتَلْتَ نَفْسا بالأمْسِ) ، فعرفوا أنه موسى ، فخرج منها خائفا يترقّب ، قال عثّام : أو نحو هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ، هذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أما الذى من شيعته فمن بنى إسرائيل ، وأما الذى من عدوّه فقبطىّ من آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) يقول : من القبط (فاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ) :

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ابن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما بلغ موسى أشدّه ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل معه بظلم ولا سُخْرة ، حتى امتنعوا كلّ الامتناع ، فبينا هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة ، إذا هو برجلين يقتتلان : أحدهما من بنى إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلىّ على الفرعونىّ ، فغضب موسى ، واشتدّ غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قِبل الرضاعة من أمّ موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم ما لم يطلّع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعونى فقتله ، ولم يرهما أحد إلا الله والإسرائيلى ، فقال موسى حين قتل الرجل (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) . . . الآية » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) مسلم ، وهذا من أهل دين فرعون كافرا (فاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ

عَدُوِّهِ) وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق ، وشدّة فى البطش ، فغضب بعدوّهما فنازعه ، فوكزه موسى وكزة قتله منها وهو لايريد قتله ، فقال (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) قال : من قومه من بنى إسرائيل ، وكان فرعون من فارس من إصطخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن أصحابه (هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) إسرائيلىّ (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) قبطى (فاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ) .

وبنحو الذى قلنا أيضا ، قالوا فى معنى قوله (فَوَكَزَهُ مُوسَى) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَوَكَزَهُ مُوسَى) قال : بُجمع كفه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَوَكَزَهُ مُوسَى) نبىّ الله ، ولم يتعمد قتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قتله وهو لايريد قتله .

وقوله (فَقَضَى عَلَيْهِ) يقول : ففرغ من قتله . وقد بيّنت فيما مضى أن معنى القضاء : الفراغ ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

ذكر أنه قتله ثم دفنه فى الرمل

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن أصحابه (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) ثم دفنه فى الرمل .

وقوله (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره : قال موسى حين قتل القتيل : هذا القتل من تسبب الشيطان لى ، بأن هيّج غضبى ، حتى ضربت هذا ، فهلك من ضربتى ، (إِنَّهُ عَدُوٌّ) يقول : إن الشيطان عدوّ لابن آدم (مُضِلٌّ) له عن سبيل الرشاد ، بتزيينه له القبيح من الأعمال ، وتحسينه ذلك له (مُبِينٌ) يعنى أنه يبين عداوته لهم قديما ، وإضلاله إياهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى ، فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التى قتلها ، وتوبته إليه منه ، ومسئلته غفرانه من ذلك (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى) بقتل النفس التى لم تأمرنى بقتلها ، فاعف عن ذنبى ذلك ، واستره علىّ ، ولا تؤاخذنى به ، فتعاقبنى عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى) قال : بقتلى ، من أجل أنه لاينبغى لنبىّ أن يقتل حتى يؤمر ، ولم يُؤمر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : عرف المخرج ، فقال (ظَلَمْتُ نَفْسِى ، فاغْفِرْ لى ، فَغَفَرَ لَهُ) .

وقوله (فَغَفَرَ لَهُ) يقول تعالى ذكره : فعفا الله لموسى عن ذنبه ، ولم يعاقبه به (إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول : إن الله هو الساتر على المنيبين إليه من ذنوبهم ؛ على ذنوبهم ، المتفضل عليهم بالعفو عنها ، الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم ، بعد ما تابوا منها . وقوله (قالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ) يقول تعالى ذكره : قال موسى ربّ بإنعامك علىّ ، بعفوك عن قتل هذه النفس (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) يعنى المشركين ، كأنه أقسم بذلك ، وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (فَلا تَجْعَلْنِى ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ كأنه على هذه القراءة دعا ربه ، فقال : اللهمّ لن أكون ظهيرا ، ولم يستثن عليه السلام حين قال (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) فابتلى .

وكان قَتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) يقول : فلن أُعين بعدها ظالما على فَجْرة ، قال : وقلّما قالها رجل إلا ابتُلِى ، قال : فابتلى كما تسمعون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِى اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ، قَالَ لَهُ مُوسَىٰ : إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : فأصبح موسى فى مدينة فرعون خائفا من جنايته التى جناها ، وقتله النفس التى قتلها ، أن يُؤخذ فيقتل بها (يَتَرَقَّبُ) يقول : يترقب الأخبار : أى ينتظر ما الذى يتحدّث به الناس ، مما هم صانعون فى أمره وأمر قتيله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن

أبى أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (فأصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خائِفا يَتَرَقَّبُ) قال : خائفا من قتله النفس ، يترقب أن يؤخذ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فأصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خائِفا يَتَرَقَّبُ) قال : خائفا أن يُؤخذ .

وقوله (فإذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يقول تعالى ذكره : فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القتيل ، فإذا الإسرائيلى الذى استنصره بالأمس على الفرعونىّ ، يقاتله فرعونىّ آخر ، فرآه الإسرائيلى ، فاستصرخه على الفرعونىّ : يقول : فاستغاثه أيضا على الفرعونىّ ، وأصله من الصُراخ ، كما يقال : قال بنو فلان : يا صباحاه ! قال له موسى (إنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) يقول جلّ ثناؤه : قال موسى للإسرائيلى الذى استصرخه ، وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالأمس القتيل ، وهو يستصرخه اليوم على آخر : إنك أيها المستصرخ لغوىّ : يقول : إنك لذو غواية ، مبين : يقول : قد تبيَّنت غوايتك ، بقتالك أمس رجلا ، واليوم آخر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : أُتِى فرعون ، فقيل له : إن بنى إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخُذ لنا بحقنا ، ولا ترخص لهم فى ذلك . قال : ابغونى قاتله[1] ومن يشهد عليه ، لايستقيم أن نقضىَ بغير بينة ولا ثَبَت[2] ، فاطلبوا ذلك ، فبينماهم يطوفون لايجدون شيئا ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلىّ يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه الإسرائيلىُّ على الفرعونىّ ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذى رأى ، فغضب موسى ، فمدّ يده وهو يريد أن يبطِش بالفرعونىّ ، فقال للإسرائيلى لمَا فعل بالأمس واليوم (إنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) ، فنظر الإسرائيلىُّ إلى موسى بعد ما قال هذا ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس إذ قتل فيه الفرعونىّ ، فخاف أن يكون بعد ما قال له (إنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) إياه أراد ، ولم يكن أراده ، إنما أراد الفرعونىّ ، فخاف الإسرائيلىّ ، فحاجّه ، فقال (يا مُوسَى أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بالأَمْسِ ؟ إنْ تُرِيدُ إلا أنْ تكُونَ جَبَّارًا فِى الأرْضِ) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله ، فتتاركا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخَهُ) قال : الاستنصار والاستصراخ واحد .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فإذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يقول : يستغيثه .

(١) ابغونى قاتله : هاتوا لى قاتله .

(٢) فى (اللسان : ثبت) الثبت : بالتحريك : الحجة والبينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قتل موسى القتيل ، خرج فلحق بمنزله من مصر ، وتحدّث الناس بشأنه ، وقيل : قتل موسى رجلا ، حتى انتهى ذلك إلى فرعون ، فأصبح موسى غاديا الغدَ ، وإذا صاحبه بالأمس معانق رجلا آخر من عدوه ، فقال له موسى (إنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) أمس رجلا ، واليوم آخر ؟

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبَير والشَّيْبانى ، عن عكرِمة ، قال : الذى استنصره : هو الذى استصرخه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ، قَالَ : يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ، إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : فلما أن أراد موسى أن يبطش بالفرعونىّ الذى هو عدوّ له وللإسرائيلىّ ، قال الإسرائيلىّ لموسى وظنّ أنه إياه يريد : (أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كما قَتَلْتَ نَفْسا بالأَمْسِ) ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (فَلَمَّا أن أرَادَ أنْ يَبْطِشَ بالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُما) قال : خافه الذى من شيعته حين قال له موسى (إنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال موسى للإسرائيلىّ (إنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) ثم أقبل لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ، ليبطش بالرجل الذى يقاتل الإسرائيلىّ ، قال الإسرائيلىّ ، وفَرِق من موسى أن يبطش به ، من أجل أنه أغلظ له الكلام : يا موسى (أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بالأَمْسِ ، إنْ تُرِيدُ إلاَّ أنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِى الأرْضِ ، وَما تُرِيدُ أنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ) . فتركه موسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قال : ندم بعد أن قتل القتيل ، فقال (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ ، إنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) قال : ثم استنصره بعد ذلك الإسرائيلىّ على قِبْطِىّ آخر ، فقال له موسى (إنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) فلما أراد أن يبطش بالقِبْطِىّ ، ظنّ الإسرائيلىّ أنه إياه يريد ، فـ (قال : ياموسى أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بالأَمْسِ) ؟

قال : وقال ابن جُرَيج ، أو ابن أبى نجيح « الطبرىّ يشكّ » وهو فى الكتاب ابن أبى نجيح : إن موسى لما أصبح ، أصبح نادما تائبا ، يودّ أن لم يبطش بواحد منهما ، وقد قال للإسرائيلىّ (إنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) ، فعلم الإسرائيلىّ أن موسى غير ناصره ؛ فلما أراد الإسرائيلىّ أن يبطش بالقبطىّ نهاه موسى ، ففرق الإسرائيلىّ من موسى ، (فقال : أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بالأَمْسِ) ؟ فسعى بها القبطىّ .

وقوله (إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الإسرائيلىّ لموسى : (إن تريد) ما تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض . وكان من فعل الجبابرة : قتل النفوس ظلما ، بغير حقّ . وقيل : إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلى ، لأنه كان عندهم مَن قتل نفسين : من الجبابرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، عن إسماعيل بن سالم ، عن الشعبىّ قال : من قتل رجلين فهو جبار ؛ قال : ثم قرأ (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بِالأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ) إن الجبابرة هكذا ، تقتل النفس بغير النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، (إِنْ تُرِيدُ إلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ) قال : تلك سيرة الجبابرة أن تقتل النفس بغير النفس . وقوله(وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) يقول : ما تريد أن تكون ممن يعمل فى الأرض بما فيه صلاح أهلها، من طاعة الله .

وذكر عن ابن إسحاق أنه قال فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) أى ماهكذا يكون الإصلاح .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ،قَالَ : يَٰمُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ، فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ (٢٠)

ذُكِر أن قول الإسرائيلىّ سمعه سامع فأفشاه، وأعلم به أهل القتيل ، فحينئذ طلب فرعون موسى ، وأمر بقتله ؛ فلما أمر بقتله ، جاء موسى مخبر ،وخبره بما قد أمر به فرعون فى أمره ، وأشار عليه بالخروج من مصر ، بلد فرعون وقومه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : انطلق الفرعونىّ الذى كان يقاتل الإسرائيلىّ إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلى من الخبر حين يقول (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بِالأَمْسِ) ؟ فأرسل فرعون الذبّاحين لقتل موسى ، فأخذوا الطريق الأعظم ، وهم لايخافون أن يفوتهم ، وكان رجل من شيعة موسى فى أقصى المدينة ، فاختصر طريقا قريبا ، حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : أعلمهم القبطىّ الذى هو عدوّ

لهما ، فأتمر الملأ ليقتلوه ، فجاء رجل من أقصى المدينة ، وقرأ (إنّ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كنا نحدّث أنه مؤمن آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذهب القبطىّ ، يعنى الذى كان يقاتل الإسرائيلىّ ، فأفشى عليه أن موسى هو الذى قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه ، فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه فى بُنَيات (١) الطريق ، فإن موسى غلام لايهتدى الطريق ، وأخذ موسى فى بُنَيات الطريق ، وقد جاءه الرجل فأخبره (إنَّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قالوا : لما سمع القبطىّ قول الإسرائيلىّ لموسى (أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بالأَمْسِ) سعى بها إلى أهل المقتول ، فقال : إن موسى هو قتل صاحبكم ، ولو لم يسمعه من الإسرائيلىّ لم يعلمه أحد ؛ فلما علم موسى أنهم قد علموا خرج هاربا ، فطلبه القوم فسبقهم ؛ قال : وقال ابن أبى نجيح : سعى القبطىّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال قال الإسرائيلىّ لموسى : (أتُرِيد أنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بالأَمْسِ) ؟ وقبطى قريب منهما يسمع ، فأفشى عليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمع ذلك عدوّ ، فأفشى عليهما .

وقوله (وَجاءَ رَجُلٌ) ذُكر أنه مؤمن آل فرعون ، وكان اسمه فيما قيل : سَمْعان . وقال بعضهم : بل كان اسمه شَمْعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، أخبرنى وهب بن سليمان ، عن شعيب الجَبَئِىّ ، قال : اسمه شمعون ، الذى قال لموسى (إنَّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح الملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه ، فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، يقال له سمعان ، فقال (يا مُوسَى ، إنَّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فاخْرُجْ إنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قَتادة ، قال (وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى) إلى موسى (قالَ يا مُوسَى إنَّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فاخْرُجْ إنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) .

وقوله (مِنْ أقْصَى المَدِينَةِ) يقول : من آخر مدينة فرعون (يَسْعَى) يقول : يعجل :

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى) قال : يعجل ليس بالشدّ .

وقوله (قالَ يامُوسَى إنَّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) يقول جلّ ثناؤه : قال الرجل الذى

(١) بنيات الطريق : تصغير نبات الطريق ، وهى الطرق الصغار ، تتشعب من الطرق الكبار .

جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى : ياموسى إن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ، ويتشاورون ويرتئون فيك ؛ ومنه قول الشاعر :

ما تَأْتَمِرْ فِينا فَأَمْرُكَ فى يَمِينِكَ أو شِمالِكْ[1]

يعنى : ما ترتئى وتهمّ به ؛ ومنه قول النَّمِر بن تَوْلَب :

أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وفِى كُلِّ حادِثَةٍ يُؤْتَمَرْ[2]

أى يُتَشاوَرْ ويُرتأَى فيها .

وقوله (فاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) يقول : فاخرج من هذه المدينة ، إنى لك فى إشارتى عليك بالخروج منها من الناصحين .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ : رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ : عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : فخرج موسى من مدينة فرعون ، خائفا من قتله النفس أن يقتل به ، (يترقب) : يقول : ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة (فَخَرَجَ مِنْها خائِفا يَتَرَقَّبُ) خائفا من قتله النفس ، يترقب الطلب (قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظّالِمِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (فَخَرَجَ مِنْها خائِفا يَتَرَقَّبُ) قال : خائفا من قتل النفس ، يترقب أن يأخذه الطَّلَب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لى أنه خَرَجَ على وجهه ، خائفا يترقب ، ما يدرى أىّ وجه يسلك ، وهو يقول (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظّالِمِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَخَرَجَ مِنْها خائِفا يَتَرَقَّبُ) قال : يترقب الطلب مخافة .

---

(١) فى (اللسان : أمر) : وفى التنزيل : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » قال أبو عبيدة أى يتشاورون عليك ليقتلوك . وجعل منه المؤلف قول الشاعر « ما تأتمر فينا » . يريد أن ماتشاور فيه أهل الرأى فى أمرنا ، فهو أمرنا فذ لا معترض عليه . لكن تفسير المؤلف البيت بقوله « يعنى ما ترتئى ، وتهم به » : يجعل المعنى ليس من الائتمار ، بمعنى المشاورة ، ولكن من الائتمار بمعنى الاستبداد بالرأى ، دون مشورة أحد غير نفسه قال الأزهرى : ائتمر فلان رأيه : إذا شاور عقله فى الصواب الذى يأتيه ، وقد يصيب الذى يأتمر رأيه مرة ، ويخطىء أخرى .

(٢) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٨ : ١) . والشيمة : الخلق . يريد : أحدثوا أخلاقا لم تعرف من قبل . يشير الشاعر إلى ما حدث من إثارة الشكوك والجدل فى مسائل السياسة كالخلافة أو العقائد كالقول فى القدر أو نحو ذلك . فهذه هى الأخلاق التى أحدثها الناس فى الصدر الأول من حياة المسلمين ، بعد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والنمر بن تولب شاعر مخضرم . والشاهد فى قوله « يؤتمر » أى يحدث التشاور وتداول الآراء والجدل . ولعل الشاعر رأى مقدمات الخلاف ، وأمارات الفرقة تلوح من خلال الحوادث ، فأنذر بها .

وقوله (قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا : ربِّ نجِّنى من هؤلاء القوم الكافرين ، الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك .

وقوله (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ) يقول تعالى ذكره : ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ، ماضيا إليها ، شاخصا عن مدينة فرعون ، وخارجا عن سلطانه ، (قال : عَسَى رَبِّي أنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) وعَنَى بقوله « تلقاءَ » نحو مدين ؛ ويقال : فعل ذلك من تلقاء نفسه ، يعنى به : مِن قِبَل نفسه ، ويقال : داره تلقاءَ دار فلان : إذا كانت محاذيتها ، ولم يصرِف اسم مدين ، لأنها اسم بلدة معروفة ، كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة ؛ ومنه قول الشاعر :

رُهْبانُ مَدْيَنَ لَوْ رأوْكِ تَنَزَّلُوا　　والعُصْمُ مِنْ شَعَفِ العُقُولِ الفادِرِ[1]

وقوله (عَسَى رَبِّي أنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) يقول : عسى ربى أن يبين لى قصد السبيل إلى مدين ، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها .

وذُكر أن الله قيَّض له إذ قال (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) مَلَكا سَدَّده الطريق ، وعرَّفه إياه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أخذ موسى فى بُنَيَّات الطريق ، جاءه مَلَك على فرس بيده عَنَزة ؛ فلما رآه موسى سجد له من الفَرَق ، قال : لاتسجد لى ، ولكن اتبعنى ، فاتبعه ، فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين (عَسَى رَبِّي أنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) فانطلق به ، حتى انتهى به إلى مَدين .

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : خرج موسى متوجها نحو مدين ، وليس له علم بالطريق ، إلا حُسن ظنه بربه ، فإنه قال (عَسَى رَبِّي أنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكِر لى أنه خرج وهو يقول : (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) فهيأ الله الطريق إلى مدين ، فخرج من مصر بلا زاد ولا حِذاء ، ولا ظهر[2] ولا درهم ولا رغيف ، خائفا يترقب ، حتى وقع إلى أمّة من الناس يَسْقُون بمَدين .

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المِنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مَدْين ، وبينها وبينها مسيرة ثمان ، قال : وكان يُقال نحو من الكوفة إلى البصرة ، ولم يكن له طعام إلا وَرَق الشجر ، وخرج حافيا ، فما وصل إليها ، حتى وقع خفّ قدمه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عَثّام ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،

---

(١) البيت لجرير ، وقد تقدم الاستشهاد به على أن الرهبان جمع راهب فى (٧ : ٣) من هذا التفسير . واستشهد به هنا على أن مدين ممنوعة من الصرف ، لأنها علم على بلدة ، ففيها العلمية والتأنيث .　　(٢) الظهر : الدابة التى يركب ظهرها ، من جمل ونحوه .

قال : لما خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينه وبينها ثمان ليال ، كان يقال : نحوٌ من البصرة إلى الكوفة ثم ذكر نحوه ، ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) ومدين : ماء كان عليه قوم شعيب (قالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

وأما قوله (سَوَاءَ السَّبِيلِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، نحوَ قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : الطريق إلى مدين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : قَصْد السبيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عَبَّاد بن راشد ، عن الحسن (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : الطريق المستقيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ، قَالَ : مَا خَطْبُكُمَا ؟ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : ولما ورد موسى ماء مدين (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) يعنى جماعة (مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) نَعَمَهم ومواشيهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدىّ (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) يقول : كثرة من الناس يسقون .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أُمَّةً مِنَ النَّاسِ) قال : أناسا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نَعَم وشاء .

حدثنا علىّ بن موسى وابن بشّار ، قالا : ثنا أبو داود ، قال : أخبرنا عمران القطان ، قال : ثنا أبو حمزة عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ) قال علىّ بن موسى قال : مثل ماء جوبكم هذا ، يعنى المحدثة . وقال ابن بشار : مثل محدثتكم هذه ، يعنى جوابكم هذا .

وقوله (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرأَتَيْنِ تَذُودَانِ) يقول : ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء ، امرأتين تذودان ، يعنى بقوله (تَذُودَانِ) تحبسان غنمهما ؛ يقال منه : ذاد فلان غنمه وماشيته : إذا أراد شىء من ذلك يَشِذّ ويذهب ، فردّه ومنعه يذودها ذَوْدا . وقال بعض أهل العربية من الكوفيين : لايجوز أن يقال : ذدت الرجل بمعنى : حبسته ، إنما يقال ذلك للغنم والإبل . وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنى لبِعقْرِ حَوْضِى أذُودُ النَّاسَ عَنْهُ بعصاىَ » فقد جعل الذَّود صلى الله عليه وسلم فى الناس ؛ ومن الذَّود قول سُوَيد بن كُراع :

أبِيتُ عَلَى بابِ القَوَافِى كأَنَّمَا أذُودُ بِها سِرْبا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعا[1]

وقول الآخر :

وَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا تَدْرِى بأىّ عَصًا تَذُودُ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَذُودَانِ) يقول : تحبسان .

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (وَوَجَدَ مِنْ دونِهِمُ امْرأَتَيْنِ تَذُودانِ) يعنى بذلك أنهما حابستان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جُبَير ، فى قوله (امْرأَتَيْنِ تَذُودَانِ) قال : حابستين .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَوَجَدَ مِنْ دونِهِمُ امْرأَتَيْنِ تَذُودَانِ) يقول : تحبسان غنمهما .

⁂ واختلف أهل التأويل فى الذى كانت عنه تذود هاتان المرأتان ، فقال بعضهم : كانتا تذودان غنمهما عن الماء ، حتى يَصْدُر عنه مواشى الناس ، ثم تسقيان ماشيتهما لضعفهما .

---

(١) البيت لسويد بن كراع العكلى ، وكان هجا بنى عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان ، فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها : (تقول ابنة العوفى ليلى ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفزعا) ؟ والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن . قال عندقوله تعالى : « ووجد من دونهم امرأتين تذودان » : مجازه : تمنعان وتردان وتضربان : قال سويد بن كراع « أبيت على باب القوافى » . . . البيت وقد أورد صاحب الأغانى أبيات سويد بن كراع التى منها بيت الشاهد فى الجزء (١٢ : ٣٤٤) طبعة دار الكتب . وفيه « أصادى » فى موضع « أذود » قال محققه : صاداه : داراه وساتره . ولا شاهد فيه حينئذ .

(٢) البيت من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن الورقة ١٧٨ ب) قال : تذودان مجازه : تمنعان وتردان وتضربان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك قوله : (امْرأتَيْنِ تَذُودانِ) قال : تحبسان غنمهما عن الناس ، حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرأتَيْنِ) يعنى دون القوم ، تذودان غنمهما عن الماء ، وهو ماء مدين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تذودان الناس عن غنمهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرأتَيْنِ تَذُودانِ) قال : أى حابستين شاءهما ، تذودان الناس عن شائهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه (تَذُودانِ) قال : تذودان الناس عن غنمهما .

⁂ وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه : تحبسان غنمهما عن الناس ، حتى يفرغوا من سقى مواشيهم. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : لدلالة قوله (ما خَطْبُكُما؟ قالتا لا نَسْقِى حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) على أن ذلك كذلك ، وذلك أنهما إنما شكا أنهما لا تسقيان حتى يصدر الرعاء ، إذ سألهما موسى عن ذَوْدِهما ، ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس ، كان لا شكّ أنهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها الناس ، لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يُصْدِرَ الرعاء .

وقوله (قالَ ما خَطْبُكُما ؟) يقول تعالى ذكره : قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ماشيتكما عن الناس ؟ هلا تسقونها مع مواشى الناس؟ والعرب ، تقول للرجل : ما خَطْبُك : بمعنى ما أمرك وحالك ، كما قال الراجز :

يا عَجَبا ما خَطْبُهُ وَخَطْبِى [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثنى سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : قال لهما (ما خَطْبُكُما) معتزلتين لا تسقيان مع الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وجد لهما رحمة ، ودخلته فيهما خشية ، لما رأى من ضعفهما ، وغَلَبَةِ الناس على الماء دونهما ، فقال لهما : ما خطبكما : أى ما شأنكما ؟

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى معانى القرآن (الورقة ١٨٧ – ا) قال فى تفسير قوله تعالى : « ما خطبكما » : أى ما أمركما وشأنكما ؟ قال : يا عجبا ما خطبه وخطبى . والبيت : من مشطور الرجز لرؤبة بن العجاج (ديوانه ص ١٦) من أرجوزة يمدح بها بلال بن أبى بردة ، وهو عامر بن عبد الله بن قيس ، مطلعها : * اتعتبنى والهوى ذو عتب *

وقوله (قالَتا لانَسْقِى حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) يقول جلّ ثناؤه : قالت المرأتان لموسى : لانسقى ماشيتنا حتى يُصْدِر الرعاء مواشيَهم ، لأنا لانطيق أن نسقى ، وإنما نسقى مواشينا ما أفضلَتْ مواشى الرِّعاء فى الحوض ، والرِّعاء : جمع راع ، والراعى : جمعه رعاء ورُعاة ورُعْيان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : لما قال موسى للمرأتين (ماخَطْبُكُما ؟ قالَتا لانَسْقى حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) : أى لانستطيع أن نسقىَ حتى يسقِى الناس ، ثم نَتَتَبَّعُ فضلاتِهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) قال : تنتظران تسقيان من فضول ما فى الحياض حياض الرعاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَتا لانَسْقِى حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) امرأتان ، لانستطيع أن نزاحم الرجال (وأبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لايقدر أن يمسّ ذلك من نفسه ، ولا يسقِى ماشيته ، فنحن ننتظر الناس ، حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز - سوى أبى جعفر القارئ - وعامةُ قرّاء العراق - سوى أبى عمرو (يُصْدِرَ الرِّعاءُ) بضم الياء ، وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو ، بفتح الياء من يَصْدُر الرعاءُ عن الحوض . وأما الآخرون فإنهم ضموا الياء ، بمعنى : أصدر الرعاءُ مواشيهم . وهما عندى قراءتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وأبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) يقولان : لايستطيع من الكبر والضعف أن يسقىَ ماشيته .

وقوله (فَسَقَى لَهُما) ذُكر أنه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر ، كان عليها حَجَرٌ لايطيق رفعه إلا جماعة من الناس ، ثم استسقَى ، فسقَى لهما ماشيتهما منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : فتح لهما عن بئر حجر أعلى فيها ، فسقى لهما منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه ، وزاد فيه : قال ابن جريج : حجرا كان لايطيقه إلا عشرة رَهْط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجّاج ، عن الحكم ، عن شريح ، قال : انتهى إلى حجر لايرفعه إلا عشرة رجال ، فرفعه وحده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : رحمهما موسى حين (قالَتا لانَسْقِى حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) فأتى إلى البئر ، فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من

أهل مَدْيَنَ يجتمعون عليها ، حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلوا ، فأروتا غنمهما ، فرجعتا سريعا ، وكانتا ، إنما تسقيان من فُضول الحياض .

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (فَسَقَى لَهُما) ، فجعل يغرف فى الدلو ماء كثيرا ، حتى كانت أوّل الرعاء رِيا ، فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : تصدّق عليهما نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فسقى لهما ، فلم يلبث أن أَروَى غنمهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أخذ دلوهُما موسى ، ثم تقدّم إلى السقاء بفضل قوّته ، فزاحم القوم على الماء ، حتى أخّرهم عنه ، ثم سقى لهما .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَسَقَىٰ لَهُمَا ، ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ، ثم تولى إلى ظلّ شجرة ، ذُكِر أنها سَمُرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ تَوَلَّى) موسى إلى ظلّ شجرة سَمُرة ، فقال (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثنى العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : انصرف موسى إلى شجرة ، فاستظلّ بظلّها ، فقال : ربّ (إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، قال : حشت على جَمَل لى ليلتين ، حتى صبّحت مدين ، فسألت عن الشجرة التى أَوى إليها موسى ، فإذا شجرة خضراء ترِفّ ، فأهوى إليها جملى ، وكان جائعا ، فأخذها جملى ، فعالجها ساعة ، ثم لفظها ، فدعوتُ الله لموسى عليه السلام ، ثم انصرفت ، وقوله ، فقال (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) محتاج ، وذُكر أن نبىّ الله موسى عليه السلام قال : هذا القول ، وهو بجهد شديد ، وعَرّض ذلك للمرأتين تعريضا لهما ، لعلهما أن تُطعماه مما به من شدّة الجوع . وقيل : إن الخير الذى قال نبىّ الله : (إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) ، إنما عُنى به : شَبْعَةٌ من طعام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : لما هرب موسى

من فرعون أصابه جوع شديد، حتى كانت تُرَى أمعاؤه من ظاهر الصِّفاق ؛ فلما سقى للمرأتين، وأوى إلى الظلّ ، قال (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) قال : ورد الماء وإنه ليتراءَى خُضرة البقل فى بطنه من الهُزال ، (فقال رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : شَبْعة .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِىّ ، قال : ثنا حَكَّام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبى حُصَين ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) قال : ورد الماء ، وإنّ خُضرة البقل لتُرى فى بطنه من الهُزال .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سَلْم ، عن عنبسة ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبَير (إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : شَبْعَة يومئذ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله ، فقال (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : قال هذا وما معه درهم ولادينار .

قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : ماسأل إلا الطَّعام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمة بن الفضل ، عن سفيان الثورىّ ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله فقال (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : ما سأل ربه إلا الطعام .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى : ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضرة أمعائه من شدة الجوع ، وما يسأل الله إلا أَكْلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : كان نبىّ الله بجهد .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن عطاء بن السائب فى قوله (إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : بلغنى أن موسى قالها وأسمع المرأة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : طعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : طعام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : الطعام يَسْتَطْعِم ، لم يكن معه طعام ، وإنما سأل الطعام .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَجَاءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَاءٍ ، قَالَتْ : إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ : لَا تَخَفْ ، نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : فجاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سقى لهما ، تمشى على استحياء من موسى ، قد سترت وجهها بثوبها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبى الهذيل ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى قوله (فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ) قال : مستترة بكم درعها ، أو بكم قميصها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن حماد بن عمرو الأسدى ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل عن عمر رضى الله عنه ، قال : واضعة يدها على وجهها مستترة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن نوف (فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ) قال : قد سترت وجهها بيديها .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن نوف بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن نوف (فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ) قال : قائلة بيديها على وجهها ، ووضع أبى يده على وجهه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون : (فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ) قال : ليست بسلفع من النساء : خراجة ولاجة ، واضعة ثوبها على وجهها ، تقول : (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ) قال : لم تكن سلفعا من النساء : خراجة ولاجة ، قائلة بيدها على وجهها (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا قرة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول ، فى قوله (فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ) قال : بعيدة من البذاء .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ) قال : أتته تمشى على استحياء منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَجاءَتْهُ إحْداهُما تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ) قال : واضعةً يدَها على جبينها .

وقوله (قالَتْ إنَّ أبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا) يقول تعالى ذكره : قالت المرأة التى جاءت موسى تمشى على استحياء : إن أبى يدعوك ليجزيك : تقول : يثيبك أجر ما سقيت لنا .

وقوله (فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ) يقول : فمضى موسى معها إلى أبيها ، فلما جاء أباها وقصّ عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط ، قال له أبوها (لا تَخَفْ) فقد (نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) يعنى : من فرعون وقومه ، لأنه لا سلطان له بأرضنا التى أنت بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن حُبَير ، عن ابن عباس ، قال : استنكر أبو الجاريتين سُرعة صدورهما بغنمهما حُفَّلاً بِطانا ، فقال : إن لكما اليوم لشأنا .

قال أبو جعفر : أحسبه قال : فأخبرتاه الخبر ؛ فلما أتاه موسى كلّمه ، قال (لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا فى مملكته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعا سألهما ، فأخبرتاه خبر موسى ، فأرسل إليه إحداهما ، فأتته تمشى على استحياء ، وهو يستحى منه (قالَتْ إنَّ أبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أجْرَ ماسَقَيْتَ لَنا) فقام معها وقال لها : امضى ، فمشت بين يديه ، فضربتها الريح ، فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشى خلفى ، ودُلينى على الطريق إن أخطأت . فلما جاء الشيخ وقصّ عليه القصص قال (لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَجاءَتْهُ إحْداهُما تَمْشِي عَلى اسْتِحْياءٍ ، قالَتْ إنَّ أبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا) قال : قال مُطَرِّف : أما والله لو كان عند نبىّ الله شىء ، ما تتبع مذقيهما [1] ، ولكن إنما حمله على ذلك الجَهْد . (فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قالَ : لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : رجعتا إلى أبيهما فى ساعة كانتا لاترجعان فيها ، فأنكر شأنهما ، فسألهما ، فأخبرتاه الخبر ، فقال لإحداهما : عَجِّلى علىّ به ، فأتته على استحياء ، فجاءته ، فقالت : (إنَّ أبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا) فقام معها ، كما ذُكِر لى ، فقال لها : امشى خلفى ، وانعتى لى الطريق ، وأنا أمشى أمامك ، فإنا لاننظر إلى أدبار النساء ؛ فلما جاءه أخبره الخبر ، وما أخرجه من بلاده ؛ (فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قالَ لا تَخَفْ ، نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) . وقد أخبرت أباها بقوله : إنَّا لاننظر إلى أدبار النساء .

(١) مذقيهما : مثنى مذق ، وهو اللبن يخلط بالماء ، ويشرب . يريد أن موسى عليه السلام ، لم يكن معه مال ولا زاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : قالت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى ، لأبيها حين أتاهُ موسى ، وكان اسم إحداهما صَفُورا ، واسم الأخرى لَيّا ، وقيل : شَرْفا كذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى وهب بن سليمان الرمادىّ ، عن شعيب الجَبَئِى ، قال : اسم الجاريتين لَيّا ، وصَفُّورا ، وامرأة موسى صفّورا ابنة يثرون كاهن مدين ، والكاهن : حبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إحداهما صَفُّورا ابنة يثرون ، وأختها شرفا ، ويقال : ليا ، وهما اللتان كانتا تذودان . وأما أبوهما ففى اسمه اختلاف ، فقال بعضهم : كان اسمه يثرون[1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عُبيدة ، قال : كان الذى استأجر موسى ابنُ أخى شعيب يثرون[1] .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عُبيدة ، قال : الذى استأجر موسى يَثْرون ابن أخى شُعيب عليه السلام .

وقال آخرون : بل اسمه : يَثْرَى[1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس قال : الذى استأجر موسى : يَثْرُى[1] صاحب مَدْيَن .

حدثنى أبو العالية العبدىّ : إسماعيل بن الهيثم ، قال : ثنا أبو قُتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس ، قال : الذى استأجر موسى : يَثْرَى[1] صاحب مدين .

حدثنى أبو العالية العبدىّ إسماعيل بن الهيثم ، قال : ثنا أبو قُتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس ، قال : اسم أبى المرأة : يَثْرَى[1] .

وقال آخرون : بل اسمه شعيب ، وقالوا : هو شعيب النبىّ عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول : يقولون شعيب صاحب موسى ، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ .

قال أبو جعفر : وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر ، ولا خبر بذلك تجب حُجته ، فلا قول فى ذلك أولى

(١) يثرون ويثرى : كذا فى الأصل . وفى العرائس (قصص الأنبياء ، لأبى إسحاق : أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ص ١٧٤ : « ثبرون » .) ولعله تحريف من الناسخ .

بالصواب ، مما قاله الله جل ثناؤه (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قالَتْ إحْداهُما : يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) تعنى بقولها : استأجره ، ليرعى عليك ماشيتك (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ) تقول : إن خير من تستأجره للرعى ، القوىّ على حفظ ماشيتك ، والقيام عليها فى إصلاحها وصلاحها ، الأمين الذى لاتخاف خيانته ، فيما تأمنه عليه . وقيل : إنها لما قالت ذلك لأبيها ، استنكر أبوها ذلك من وصفها إياه ، فقال لها : وما علمك بذلك ، فقالت : أما قوّته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقى على البئر ، وأما الأمانة فما رأيت من غَضّ البصر عنّى .

وبنحو ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال (قالَتْ إحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ) قال : فأحفظته الغَيْرة أن قال : وما يدريك ما قوّته وأمانته ؟ قالت : أما قوّته ، فما رأيت منه حين سَقَى لنا ، لم أر رجلا قَطُّ أقوى فى ذلك السقى منه . وأما أمانته ، فإنه نظر حين أقبلت إليه ، وشخصت له ، فلما علم أنى امرأة ، صوّب رأسه فلم يرفعه ، ولم ينظر إلىّ حتى بلغته رسالتك ، ثم قال : امشى خلفى ، وانعتى لى الطريق ، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين ، فسُرِّىَ عن أبيها ، وصدّقها وظنّ به الذى قالت .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله لموسى (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ) يقول : أمين فيما وَلِىَ ، أمين على ما استُودِع .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قالَتْ إحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ) قال : إن موسى لما سَقَى لهما ، ورأت قوّته ، وحرّك حجرا على الركيّة ، لم يستطعه ثلاثون رجلا ، فأزاله عن الركية ، وانطلق مع الجارية حين دعته ، فقال لها : امشى خلفى وأنا أمامك ، كَراهية أن يرى شيئا من خلفها مما حرّم الله أن ينظر إليه ، وكان يوما فيه ريح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، ، عن عبد الرحمن بن أبى نُعْم ، فى قوله (يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ) قال لها أبوها : ما رأيت من أمانته ؟ قالت : لما دعوته مشيت بين يديه ، فجعلت الريح تضرب ثيابى ، فتَلْزَق بجسدى ، فقال : كونى خلفى ، فإذا بلغت الطريق فاذهبى ، قالت : ورأيته يملأ الحوض بسَجْل واحد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (القَوِيُّ الأَمِينُ) قال : غَضّ طرفه عنهما ، قال محمد بن عمرو فى حديثه : « حين » أو « حتى » سقى لهما ، فصدرتا . وقال الحارث فى حديثه : « حتى » سقى بغير شك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : فتح عن بئر حجرا على فيها ، فسقى لهما بها ، والأمين : أنه غضّ بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر وهانئ بن سعيد ، عن الحجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) قال : رفع حجرا لايرفعه إلا فِئام من الناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، قال عمرو بن ميمون ، فى قوله (القَوِيُّ الأمِينُ) قال : كان يوم ريح ، فقال : لاتمشى أمامى ، فيصفك الريح لى ، ولكن امشى خلفى ، ودلّينى على الطريق ؛ قال : فقال لها : كيف عرفت قوّته؟ قالت : كان الحجر لايطيقه إلا عشرة ، فرفعه وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن شريح فى قوله (القَوِيُّ الأَمِينُ) قال : أما قوّته : فانتهى إلى حجر لايرفعه إلا عشرة ، فرفعه وحده . وأما أمانته : فإنها مشت أمامه فوصفها الريح ، فقال لها : امشى خلفى ، وصفى لى الطريق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن عمرو ، عن زائدة ، عن الأعمش ، قال : سألت تميم بن إبراهيم : بم عرفت أمانته ؟ قال : فى طَرْفه ، بغضّ طَرْفه عنها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ) قال : القوىّ فى الصنعة ، الأمين فيما وَلِى . قال : وذُكر لنا أن الذى رأت من قوّته : أنه لم تلبث ماشيتها حتى أرْواها ؛ وأن الأمانة التى رأت منه : أنها حين جاءت تدعوه ، قال لها : كونى ورائى ، وكره أن يستدبرها ، فذلك مارأت من قوّته وأمانته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ) قال : بلغنا أن قوّته كانت سرعة ما أروى غنمهما . وبلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحد [1] . وأما أمانته فإنه أمرها أن تمشى خلفه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَتْ إحْداهُما : يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) وهى الجارية التى دعته ، قال الشيخ : هذه القوّة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ، أرأيت أمانته ، مايدريك ماهى ؟ قالت : مشيت قُدّامه ، فلم يحبّ أن يخونني فى نفسى ، فأمرنى أن أمشىَ خلفه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قالَتْ إحْدَاهُما : يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) فقال لها : وما عِلمُك بقوّته وأمانته ، فقالت : أما قوّته فإنه كشف الصخرة التى على بئر آل فلان ، وكان لايكشفها دونَ سبعة نفر . وأما أمانته فإنى لما جئت أدعوه ، قال : كونى خلْفَ ظهرى ، وأشيرى لى إلى منزلك ، فعرفت أن ذلك منه أمانة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَتْ يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ

(١) الدلو الذى يستقى به من البئر ونحوها : يذكر ويؤنث (عن اللسان) .

مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِىُّ الأمِينُ) لما رأت من قوّته ، وقوله لها ما قال : أنِ امشى خلفى ، لئلا يرى منها شيئا مما يكره ، فزاده ذلك فيه رغبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِىَ حِجَجٍ ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره (قالَ) أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى : (إنّى أُرِيدُ أنْ أُنْكِحَكَ إحْدَى ابْنَتَىَّ هاتَيْنِ عَلى أنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ) يعنى بقوله (عَلى أن تَأْجُرَنِي) : على أن تثيبنى من تزويجها ، رعى ماشيتى ثمانى حِجَج ، من قول الناس : أَجرك الله فهو يَأجُرُك ، بمعنى : أثابك الله ؛ والعرب تقول : أَجَرت الأجير أَجُره ، بمعنى : أعطيته ذلك ، كما يقال : أخذته فأنا آخذه . وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب : أَجَرْت غلامى فهو مأجور ، وآجرته فهو مُؤْجِر ، يريد : أفعلته . قال : وقال بعضهم : آجره فهو مؤاجِر ، أراد فاعَلْته ؛ وكأنّ أباها عندى جعل صداق ابنته التى زوّجها موسى ، رَعْى موسى عليه ماشيته ثمانىَ حجج ، والحِجَج : السنون .

وقوله (فإنْ أتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ) يقول : فإن أتممت الثمانى الحجج التى شرطتُها عليك ، بإنكاحى إياك إحدى ابنتىّ ، فجعلتها عشر حجج ، فإحسان من عندك ، وليس مما اشترطته عليك ، بسبب تزويجك ابنتى . (وَما أُرِيدُ أنْ أشُقَّ عَلَيْكَ) باشتراط الثمانى الحِجَج عَشْرا عليك (سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) فى الوفاء بما قلت لك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) أى فى حُسن الصحبة ، والوفاء بما قلت .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ، أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ، وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لأبى المرأتين (ذلكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ) أىّ هذا الذى قلت من أنك تزوّجنى إحدى ابنتيك على أن آجرك ثمانى حِجَج ، واجب بينى وبينك ، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه .

وقوله (أيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ) يقول : أىّ الأجلين من الثمانى الحجج والعشر الحجج قضيت ، يقول : فرغت منها ، فوفيتكها رعىَ غنمك وماشيتك (فَلا عُدْوَانَ عَلَىَّ) يقول : فليس لك أن تعتدى علىّ ، فتطالبنى بأكثر منه ، و« ما » فى قوله (أيَّمَا الأجَلَيْنِ) صلة يوصل بها « أىّ » على الدوام [1] ، وزعم أهل العربية أن هذا أكثر فى كلام العرب من أىّ [1] ، وأنشد قول الشاعر :

(١) يظهر أن فى عبارة الأصل سقطا ، يعلم من عبارة الفراء فى شرح البيت الآتى . وقوله « على الدوام » أى أن (ما) الزائدة تلحق بلفظ أى دائما ، وقوله وزعم أهل العربية الخ : يريد أن أهل العربية قالوا إن ما إما أن تلحق بلفظ أى ، أو تجىء بعد ماأضيف إليه « أى » وهذا أكثر فى كلام العرب كما يعلم من الشاهدين الآتيين بعد .

وأيُّهُما ما أتبَعَنَّ فإنَّني حَرِيصٌ على أثرِ الَّذِي أنا تابِعُ[1]

وقال عباس بن مرداس :

فأيِّي ما وأيُّكَ كانَ شَرًّا فَقِيدَ إلى المَقامَةِ لا يَرَاها[2]

وقوله (وَاللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ) كان ابن إسحاق يرى هذا القول من أبي المرأتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال موسى (ذلكَ بَيْنِي وبَيْنَكَ أيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) قال: نعم . (واللهُ عَلَى مانَقُولُ وَكِيلٌ) فزوّجه ، وأقام معه يكفيه ، ويعمل له فى رعاية غنمه ، وما يحتاج إليه منه ، وزوجة موسى صفورا أو أختها : شرفا أو لَيّا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال ابن عباس : الجارية التى دعته هى التى تزوّج .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال له (إنِّي أُرِيدُ أنْ أُنْكِحَكَ إحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلَى أنْ تَأْجُرَنِي) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأيتهما تريد أن تنكحنى ؟ قال : التى دعتك ، قال : لا . ألا وهى بريئة مما دخل نفسك عليها ، فقال : هى عندك كذلك ، فزوّجه .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (أيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ ذلكَ بَيْنِي وبَيْنَكَ أيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ) إما ثمانيا ، وإما عشرا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزية ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وسأله رجل قال (أيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) قال : فقال القاسم : ما أبالى أىّ ذلك كان ، إنما هو موعد وقضاء .

وقوله (وَاللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ) يقول : والله على ما أوجب كلّ واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول ، شهيد وحفيظ .

كالذى حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَاللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ) قال : شهيد على قول موسى وختَنه . وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقدا بينهما

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص٢٤١) على أن (ما) قد تزاد بعد المضاف إلى «أى» أداة الجزاء . قال : قوله «أيما الاجلين» فجعل ما وهى صلة من صلات الجزاء مع أى . وهى فى قراءة عبد الله : « أى الأجلين ما قضيت فلا عدوان على » . وهذا أكثر فى كلام العرب من الأول . ويتضح من هذا أن عبارة المؤلف قاصرة أو فيها جزء ساقط قبل قوله : « وزعم أهل العربية » . . . الخ .

(٢) البيت لعباس بن مرداس . وقد تقدم الاستشهاد به فى مواضع والشاهد هنا فى زيادة « ما » بعد ما أضيف إليه . أى والمقامة : المجلس . وقيد إلى المقامة : دعاء عليه بأن يعمى ، فلا يصل إلى مجلس قومه إلا إذا قيد .

هذا العقد ، أمر إحدى ابنتيه أن تعطيَ موسى عصاً من العصىّ التى تكون مع الرعاة ، فأعطته إياه ، فذكر بعضهم أنها العصا التى جعلها الله له آية . وقال بعضهم تلك عصا أعطاه إياها جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أمر يعنى أبا المرأتين إحدى ابنتيه أن تأتيه ، يعنى أن تأتىَ موسى بعصاً ، فأتته بعصاً ، وكانت تلك العصا عصاً استودعها إياه مَلَك فى صورة رجل ، فدفعها إليه ، فدخلت الجارية ، فأخذت العصا ، فأتته بها ؛ فلما رآها الشيخ قال : لا ، ائتيه بغيرها ، فألقتها تريد أن تأخذ غيرها ، فلا يقع فى يدها إلا هى ، وجعل يردّدها ، وكل ذلك لايخرج فى يدها غيرها ؛ فلما رأى ذلك عمد إليها ، فأخرجها معه ، فرَعَى بها ، ثم إن الشيخ ندم وقال : كانت وديعة ، فخرج يتلقى موسى ، فلما لقيه قال : أعطنى العصا ، فقال موسى : هى عَصَاى ، فأبى أن يعطيه ، فاختصما ، فرضيا أن يجعلا بينهما أوّل رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك يمشى ، فقال : ضعوها فى الأرض ، فمن حملها فهى له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذ موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعَى له عشر سنين . قال عبد الله ابن عباس : كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال يعنى أبا الجارية لما زوّجها موسى لموسى : أدخل ذلك البيت فخذ عصا ، فتوكأ عليها ، فدخل ، فلما وقف على باب البيت ، طارت إليه تلك العصا ، فأخذها ، فقال : اردُدها وخذ أخرى مكانها ، قال : فردّها ، ثم ذهب ليأخذ أخرى ، فطارت إليه كما هى ، فقال : لاأردها ، فعل ذلك ثلاثا ، فقال : اردها ، فقال : لاأجد غيرها اليوم ، فالتفت إلى ابنته ، فقال لابنته : إن زوجك لنبىّ .

ذكر من قال التى كانت آيةً عصاً أعطاها موسى جبرائيل عليه السلام :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، قال : سألت عكرِمة قال : أما عصا موسى ، فإنها خرج بها آدم من الجنة ، ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام ، فلقى موسى بها ليلا ، فدفعها إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ، قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ، لَعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : فلما وفّى موسى صاحبه الأجل الذى فارقه عليه ، عند إنكاحه إياه ابنته ، وذكر أن الذى وفّاه من الأجلين ، أتمهما وأكملهما ، وذلك العشر الحجج ، على أن بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال : زاد مع العشر عَشْرا أخرى .

ذكر من قال : الذى قضى من ذلك هو الحجج العشر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألت ابن عباس : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : خيرهما وأوفاهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، سئل : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأخيرهما .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا موسى بن عُبَيدة ، عن أخيه ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : قضى موسى آخر الأجلين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عبيدة ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، سئل ابن عباس : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأوفاهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن حكيم بن جُبَير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال يهودىّ بالكوفة وأنا أتجهّز للحجّ : إنى أراك رجلا تتتبع العلم ، أخبرنى أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لاأعلم ، وأنا الآن قادم على حَبْر العرب ، يعنى ابن عباس ، فسائله عن ذلك ؛ فلما قدمت مكة ، سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودىّ ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبىّ إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : فقدمت العراق ، فلقيت اليهودىّ ، فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل على موسى هذا ، والله العالم .

قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : سألنى رجل من أهل النصرانية : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لاأعلم ، وأنا يومئذ لاأعلم ، فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألنى عنه النصرانى ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانيا واجب عليه ، لم يكن نبىّ الله نقص منها شيئا ، وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عِدَته التى وعده ، فإنه قضى عشر سنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ) قال : حدث ابن عباس ، قال : رَعَى عليه نبىّ الله أكثرها وأطيبها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أىّ الأجلين قضى موسى ؟ فقال : أوْفاهُما وأتَمَّهُما » .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسىّ ، قال : ثنا الحميدىّ أبو بكر عبد الله بن الزُّبير [1] ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سألْتُ جَبْرَائِيلَ : أىَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى ؟ قال : أتَمَّهُما وأكْمَلَهُما » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال مجاهد : إن النبىّ

(١) فى الخلاصة للخزرجى : عبد الله بن الزبير بن عبد الله (أبو عبيد الله) الأسدى الحميدى المكى أحد الأئمة .

صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل « أىَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى ؟ قال سَوْفَ أسأَلُ إِسْرَافِيلَ ، فَسألَهُ فَقالَ : سَوْفَ أسأَلُ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى ، فَسأَلَهُ ، فَقالَ : أَبَرَّهُما وأَوْفاهُما »

ذكر من قال : قضى العَشْر الحِجَج وزاد على العشْر عشرا أخرى

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ) قال : عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قضى الأجل عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس ، قال : لما دعا نبىّ الله موسى صاحبه إلى الأجل الذى كان بينهما ، قال له صاحبه : كلّ شاة ولدت على غير لونها ، فلك ولدها ، فعمد ، فرفع خيالا على الماء ، فلما رأت الخيال ، فزعت ، فجالت جولة ، فولدن كلهنّ بُلقا ، إلا شاة واحدة ، فذهب بأولادهنّ ذلك العام .

وقوله (وَسارَ بأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ نارًا) يقول تعالى ذكره : فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله شاخصا بهم إلى منزله من مصر ، آنس من جانب الطور ، يعنى بقوله : آنس : أبصر وأحسّ ، كما قال العجّاج :

آنَسَ خِرْبانَ فَضاءٍ فانْكَدَرْ دانى جَناحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل ، غير أنا نذكر هاهنا بعض ما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ نارًا قالَ لأَهْلِهِ : امْكُثُوا إِنّى آنَسْتُ نارًا) : أى أحسست نارا .

وقد بيّنا معنى الطور فيما مضى بشواهده ، وما فيه من الرواية عن أهل التأويل .

وقوله (لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنّى آنَسْتُ نارًا) يقول : قال موسى لأهله : تمهّلوا وانتظروا . إنّى أبصرت نارًا (لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها) يعنى من النار (بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ) يقول : أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار ، وهى مثل الجِذْمة من أصل الشجرة ؛ ومنه قول ابن مقبل :

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ص ١٧ - ورقم البيت الأول هو ٧٦ ورقم الثانى هو ٧٤ . وفى رواية الأول : «أبصر» فى موضع « آنس » وهما بمعنى . والخربان بالكسر : جمع خرب كسبب ، وهو ذكر الحبارى ، وقيل هو الحبارى كلها . ومن جموعه أيضا : أخراب ، وخراب . وانكدر : أسرع وانقض . والضمير فى الفعلين للبازى المذكور فى البيت قبله ، وقد شبه الممدوح عمر بن عبيد الله بالبازى ينقض على أعدائه ، كما ينقض البازى على الحبارى ، فيصيدها . وانظر شرح البيت الثانى مطولا فى الجزء (٩ : ٢٤٣) . وهذه الأرجوزة يمدح بها العجاج عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولاه ابن الزبير العراق ، لمحاربة عبيد الله بن بشير بن الماجوز من الخوارج ، فعهد فى حربهم إلى أخيه عثمان بن عبيد الله بن معمر ، فقتل . (انظر البلاذرى مخطوط بدار الكتب المصرية) .

باتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الجِذَا غيرَ خَوَّارٍ وَلا دَعِرِ[1]

وفى الجِذوة لغات للعرب ثلاث : جِذوة بكسر الجيم ، وبها قرأت قرّاء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة ، وهى أشهر اللغات الثلاث فيها . وجَذوة بفتح الجيم ، وبها قرأ أيضا بعض قرّاء الكوفة . [2]وهذه اللغات الثلاث وإن كنّ مشهورات فى كلام العرب ، فالقراءة بأشهرها أعجب إلىّ ، وإن لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهنّ .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الجَذوة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية عن على ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) يقول شهاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (أَوْ جَذْوَةٍ) والجذوة : أصل شجرة فيها نار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قَتادة ، قوله (إِنِّى آنَسْتُ نارًا لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) قال : أصل الشجرة فى طَرَفها النار ، فذلك قوله (أَوْ جَذْوَةٍ) ٧ قال : السَّعف فيه النار . قال مَعْمر ، وقال قتادة (أَوْ جَذْوَةٍ) : أو شُعلة من النار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) قال : أصل شجرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) قال : أصل شجرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) قال : الجَذوة : العود من الحطب الذى فيه النار ، ذلك الجذوة .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) يقول : لعلكم تسخَنون بها من البرد ، وكان فى شتاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)

(١) البيت لتميم بن أبى بن مقبل (اللسان : جذا) قال : يقال لأصل الشجرة جذية وجذاة (الأولى بكسر الجيم ، والثانية بفتحها) . الأصمعى : جذم كل شىء وجذيه : أصله . والجذاء : أصول الشجر العظام العادية . التى بلى أعلاها . وبقى أسفلها ، قال تميم بن مقبل « باتت حواطب ليلى » . . . . البيت . اه : والحواطب : جمع حاطبة ، وهى الأمة تجمع الحطب . وقال أبو عبيدة فى مجازى القرآن » : « جذوة من النار » : أى قطعة غليظة من الحطب ، ليس فيها لهب ، وهى مثل الجذمة ، من أصل الشجرة : قال ابن مقبل . « باتت حواطب ليلى » . . . البيت . اه . والخوار : الضعيف . والدعر : العود يدخن كثيرا ولايتقد ، وهو الردىء الدخان . وقيل : الدعر من الحطب : البالى .

(٢) سقط من قلم الناسخ اللغة الثالثة ، وهى : جذوة (بضم الجيم) وبها قرئ أيضا .

يقول تعالى ذكره : فلما أتى موسى النارَ التى آنس من جانب الطور ، نُودى من شاطئ الوادى الأيمن . يعنى بالشاطئ : الشطّ ، وهو جانب الوادى وعُدْوته ، والشاطئ : يجمع شواطئ وشطآن ، والشطّ : الشُّطوط ، والأيمن : نعت من الشاطئ ، عن يمين موسى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ شاطئِ الوَادِ الأيمَنِ) قال ابن عمرو فى حديثه عند الطور . وقال الحارث فى حديثه من شاطئ الوادى الأيمن عند الطور ، عن يمين موسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَلَمَّا أتاها نُودِىَ مِنْ شاطئِ الوَادِ الأيمَنِ) قال : شِقّ الوادى عن يمين موسى ، عند الطور .

وقوله (فى البُقْعَةِ المُبارَكَةِ) من صلة الشاطئ .

وتأويل الكلام : فلما أتاها نادى الله موسى من شاطئ الوادى الأيمن ، فى البقعة المباركة منه ، من الشجرة : (أنْ يامُوسَى إنّى أنا اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) .

وقيل : إن معنى قوله (مِنَ الشَّجَرَةِ) : عند الشجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (فَلَمَّا أتاها نُودِىَ مِنْ شاطئِ الوَادِ الأيمَنِ فِى البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال : نُودى من عند الشجرة : (أنْ يا مُوسَى إنى أنا اللهُ رَبّ العالَمِينَ)

وقيل : إن الشجرة التى نادى موسى منها ربه : شجرة عَوْسَج . وقال بعضهم : بل كانت شجرة العُلَّيق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال : الشجرة : عَوْسَج . قال معمر ، عن قَتادة عصا موسى من العَوْسج : والشجرة من العَوْسَج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض من لايتهم ، عن بعض أهل العلم (إنّى آنَسْتُ نارًا) قال : خرج نحوها ، فإذا هى شجرة من العُلَّيق ، وبعض أهل الكتاب يقول : هى عَوْسجة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : رأيت الشجرة التى نودى منها موسى عليه السلام ، شجرة سَمُراء خضراء ترفّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَٰمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا

تَخَفْ ، إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ، فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : نُودى موسى : (أنْ يا موسى إنِّى أنا اللهُ ربُّ العَالَمِين ، وأنْ ألْقِ عَصَاكَ) فألقاها موسى ، فصارت حية تسعى (فَلَمَّا رآها) موسى (تَهْتَزُّ) يقول : تتحرّك وتضطرب (كأنَّها جانٌّ) والجانّ : واحد الجِنَّان ، وهى نوع معروف من أنواع الحيات ، وهى منها عظام . ومعنى الكلام : كأنها جانّ من الحيات (وَلَّى مُدْبِرًا) يقول : ولى موسى هاربا منها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَلَّى مُدْبِرًا فارا منها) ، (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول : ولم يرجع على عقبه .

وقد ذكرنا الرواية فى ذلك ، وما قاله أهل التأويل فيما مضى ، فكرهنا إعادته ، غير أنا نذكر فى ذلك بعض ما لم نذكره هنالك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول : ولم يعقّب : أى لم يلتفت من الفرق .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول : لم ينتظر .

وقوله (يا مُوسَى أقْبِلْ وَلا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره : فنودى موسى : ياموسى أقبل إلىّ ولا تخف من الذى تهرب منه (إنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ) من أن يضرّك ، إنما هو عصاك .

وقوله (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) يقول : أدخل يدك ، وفيه لغتان : سلكته ، وأسلكته فى جيبك ، يقول : فى جيب قميصك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) : أى فى جيب قميصك .

وقد بيّنا فيما مضى السبب الذى من أجله أمر أن يدخل يده فى الجيب ، دون الكمّ .

وقوله (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ) يقول : تخرج بيضاء من غير بَرَص .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن المفضل ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن الحسن ، فى قوله (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ) قال : فخرجت كأنها المصباح ، فأيقن موسى أنه لقى به .

وقوله (وَاضْمُمْ إلَيْكَ جَنَاحَكَ) يقول : واضمم إليك يدك .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس (وَاضْمُمْ إلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال : يدك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَاضْمُمْ إلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال :

وجناحاه : الذراع ، والعضد : هو الجناح ، والكفّ : اليد ، اضمم يدك إلى جناحك ، تخرج بيضاء من غير سوء .

وقوله (مِنَ الرَّهْبِ) يقول : من الخوف والفرَق الذى قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنَ الرَّهْبِ) قال : الفَرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاضْمُمْ إلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) : أى من الرُّعْب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنَ الرَّهْبِ) قال : مما دخله من الفَرَق من الحية والخوف ، وقال : ذلك الرهب ، وقرأ قول الله (يَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَبا) قال : خوفا وطمعا .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل الحجاز والبصرة (مِنَ الرَّهَب) بفتح الراء والهاء . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (مِنَ الرُّهْبِ) بضم الراء ، وتسكين الهاء ، والقول فى ذلك : أنهما قراءتان متفقتا المعنى مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فَذَانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : فهذان اللذان أريتكهما ياموسى من تحوّل العصا حية ، ويدك وهى سمراء ، بيضاء تلمع من غير برص ، برهانان : يقول : آيتان وحجتان . وأصل البرهان : البيان ، يقال للرجل : يقول القول إذا سئل الحجة عليه : هات برهانك على ما تقول : أى هات تبيان ذلك ومصداقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَذَانِكَ بُرْهانَانِ مِنْ رَبِّكَ) العصا واليد : آيتان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فَذَانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ) تبيانان من ربك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَذَانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ) هذان برهانان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَذَانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ) ، فقرأ (هَاتُوا بُرْهَانَكُم) على ذلك آية نعرفها ، وقال : برهانان : آيتان من الله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَذَانِكَ) ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ، سوى ابن كثير وأبى عمرو

(فَذَانِكَ) بتخفيف النون ، لأنها نون الاثنين ، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو (فَذَانِّكَ) بتشديد النون .

واختلف أهل العربية فى وجه تشديدها ، فقال بعض نحوّيى البصرة : ثقل النون من ثقلها للتوكيد ، كما أدخلوا اللام فى ذلك . وقال بعض نحوّيى الكوفة : شددت فرقا بينها وبين النون التى تسقط للإضافة ، لأن هاتان وهذان لاتضاف . وقال آخر منهم : هو من لغة من قال : هذا آقال ذلك ، فزاد على الألف ألفا ، كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الأسماء المتمكنة ، وقال فى ذانك إنما كانت ذلك فيمن قال : هذان ياهذا ، فكرهوا تثنية الإضافة فأعقبوها باللام ، لأن الإضافة تعقب باللام . وكان أبو عمرو يقول : التشديد فى النون فى (ذَانِكَ) من لغة قريش (إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) يقول : إلى فرعون وأشراف قومه ، حجة عليهم ، ودلالة على حقيقة نبوّتك ياموسى (إِنَّهُمْ كانُوا قَوْما فاسِقِينَ) بقول : إن فرعون وملأه كانوا قوما كافرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ، فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ، فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِى ، إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : قال موسى : ربّ إنى قتلت من قوم فرعون نفسا ، فأخاف إن أتيتهم فلم أبن عن نفسى بحجة أن يقتلون ، لأن فى لسانى عقدة ، ولا أبين معها ما أريد من الكلام ، وأخى هارون هو أفصح منى لسانا ، يقول : أحسن بيانا عما يريد أن يبينه (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْأً) يقول : عونا يصدّقنى : أى يبين لهم عنى ما أخاطبهم به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وأخِى هارُونُ هُوَ أفْصَحُ مِنِّى لِسانا ، فَأرْسِلْهُ مَعِى رِدْأً يُصَدّقُنِى) : أى يبين لهم عنى ما أكلمهم به ، فإنه يفهم ما لايفهمون . وقيل : إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه ، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخبر ، كانت النفس إلى تصديقهما ، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْأً يُصَدِّقُنِي) لأن الاثنين أحرى أن يصدّقا من واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْأً يُصَدِّقُنِى) قال عونا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رِدْأً يُصَدِّقُنِى) : أى عونا.

وقال آخرون : معنى ذلك : كيما يصدقنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (رِدْأً يُصَدِّقُنِى) يقول : كى يصدّقنى .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْأً يُصَدِّقُنِى) يقول : كيما يصدّقنى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (رِدْأً يُصَدِّقُنِى) يقول : كيما يصدّقنى . والردء فى كلام العرب : هو العون ، يقال منه : قد أردأت فلانا على أمره : أى أكفيته وأعنته .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُصَدِّقُنِى) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة (رِدْأً يُصَدِّقُنِى) بجزم يصدقنى . وقرأ عاصم وحمزة (يَصْدُقُنِى) برفعه ، فمن رفعه جعله صلة للردء ، بمعنى : فأرسله معى ردءًا من صفته يصدّقنى ؛ ومن جزمه جعله جوابا لقوله فأرسله ، فإنك إذا أرسلته صدّقنى ، على وجه الخبر. والرفع فى ذلك أحبّ القراءتين إلىّ ، لأنه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عونا له بهذه الصفة .

وقوله (إنّى أخافُ أنْ يُكَذِّبُونِ) يقول : إنى أخاف أن لايصدقون على قولى لهم إنى أرسلت إليكم.

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ ، أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) ؛ أى نقوّيك ونُعينك بأخيك ، تقول العرب إذا أعزّ رجل رجلا ، وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم ، قد شدّ فلان على عَضُد فلان ، وهو مِن عاضده على أمره : إذا أعانه ، ومنه قول ابن مقبل :

عاضَدْتُها بعَتُودٍ غيرِ مُعْتَلَثٍ كأنَّهُ وَقْفُ عاجٍ ، باتَ مَكْنُونا[1]

(١) البيت لتميم بن أبى بن مقبل ، قاله المؤلف ، نقلا عن مجاز القرآن لأبى عبيدة ، قال : شنشد عضدك بأخيك » : أى سنقويك به ونعينك به . يقال إذا أعز رجل رجلا ومنعه : قد شد فلان على عضد فلان . وهو من عاضدته على أمره ، أى عاونته عليه وآزرته : قال ابن مقبل : « عاضدته . . . . . بات مكنونا » . يعنى قوسا ، أى عاضدها بسهم . اهـ . انظر المصورة (رقم ٢٦٠٥٩ بجامعة القاهرة) : والعتود : السدرة أو الطلحة ، ولعل سهم بن مقبل كان من شجر السدر أو الطلح . والمعتلث : إما من اعتلث الزند إذا لم يور ، فهو حينئذ بكسر اللام : وإما من اعتلث الرجل زندا : أخذه من شجر لا يدرى أيورى أم يصلد . وقال أبو حنيفة : اعتلث زنده ، إذا اعترض الشجر اعتراضا ، فاتخذه مما وجد ، والغين لغة ، عنه أيضا . وهو حينئذ بفتح اللام . والوقف من العاج : =

يعنى بذلك : قوسا عاضدها بسهم . وفى العضُد لغات أربع : أجودها : العَضُد ، ثم العَضْدُ ، ثم العُضُد ، والعُضْد . يجمع جميع ذلك على أعضاد .

وقوله (وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطانا) يقول : ونجعل لكما حجة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَكُمَا سُلْطاناً) حجة .

حدثنا القاسم ، قال : قال : ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطاناً) والسلطان : الحجة .

وقوله (فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) يقول تعالى ذكره : فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء . وقوله (بِآياتِنا) يقول تعالى ذكره : فلا يصل إليكما فرعون (بآياتِنا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغالِبُونَ) فالباء فى قوله بآياتنا من صلة غالبون . ومعنى الكلام : أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا : أى بحجتنا وسلطاننا الذى نجعله لكما .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ ، قَالُوا۟ : مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ، وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ماجاء به موسى من عند ربه ، قالوا لموسى : ماهذا الذى جئتنا به إلا سحر افتريته من قبلك وتخرّصته كذبا وباطلا وما سمعنا بهذا الذى تدعونا إليه من عبادة من تدعونا إلى عبادته فى أسلافنا وآبائنا الأوّلين الذين مضوا قبلنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ ، وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ، إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وقال موسى مجيبا لفرعون : ربى أعلم بالمحق منا يافرعون من المبطل ، ومن الذى جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب ، والبيان عن واضح الحجة من عنده ، ومن الذى له العُقْبى المحمودة فى الدار الآخرة منا . وهذه معارضة من نبىّ الله موسى عليه السلام لفرعون ، وجميل مخاطبة ، إذ ترك أن يقول له ، بل الذى غرّ قومه ، وأهلك جنوده ، وأضلّ أتباعه ، أنت لاأنا ، ولكنه قال (رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدَى

= كهيئة السوار ، يريد مافى السهم من خطوط سود نمة له كالتى تكون فى الوقف من العاج ، وقوله « بات مكنونا » هذه رواية أبى عبيدة ، ولعل ما فى الأصل تحريف من الناسخ . ومعناه : أن السهم قد أعد وهيىء ووضع فى الكنانة ، وهى جعبة السهام ، وبقى فيها إلى أن ركب فى القوس .

مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ). ثم بالغ فى ذمّ عدوّ الله بأجمل من الخطاب ، فقال (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يقول : إنه لاينجح ولا يدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالى ، يعنى بذلك فرعون أنه لايفلح ولا ينجح ، لكفره به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم : (يا أيُّها المَلأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) فتعبدوه ، وتصدّقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيرى ، ومعبودا سواى ، (فَأَوْقِدْ لى ياهامانُ عَلى الطِّينِ) يقول : فاعمل لى آجرّا . وذكر أنه أوّل من طبخ الآجرّ وبنى به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَأَوْقِدْ لى ياهامانُ عَلى الطِّينِ) قال : على المدر يكون لَبِنا مطبوخا .

قال ابن جُرَيج : أوّل من أمر بصنعة الآجرّ وبنى به فرعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَأَوْقِدْ لى ياهامانُ عَلى الطِّينِ) قال : فكان أوّل من طبخ الآجرّ يبنى به الصَّرْح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (فَأَوْقِدْ لى ياهامانُ عَلى الطِّينِ) قال : المطبوخ الذى يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان .

وقوله (فاجْعَلْ لى صَرْحا) يقول : ابن لى بالآجرّ بناء ، وكل بناء مسطح : فهو صَرْح كالقصر ؛ ومنه قول الشاعر :

بِهِنَّ نَعامٌ بَنَاها الرِّجا لُ تَحْسَبُ أعْلامَهُنَّ الصُّرُوحا[1]

يعنى بالصروح : جمع صرح .

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، يصف طرف المفازة (اللسان : نعم) . قال : النعامة : كل بناء أوظلة أوعلم يهتدى به من أعلام المفاوز . وقيل : كل بناء على الجبل كالظلة والعلم . والجمع : نعام . قال أبو ذؤيب يصف طرق المفازة : « بهن نعام . . . . البيت» قال : . وروى الجوهرى عجزه * تلفى النفائض فيه السريحا * قال : والنفائض : الهزلى من الإبل : اه . وفى (اللسان : نفض) : النفيضة نحو الطليعة ، وهم الجماعة يبعثون فى الأرض متجسسين ، لينظروا : هل فيها عدو وخوف ؟ والجمع النفائض . هذا تفسير الأصمعى . وهكذا رواه أبو عمرو بالفاء إلا أنه قال فى تفسيره إنها الهزلى من الإبل . قال ابن برى : النعام : خشبات يستظل تحتها . والرجال : الرجالة . والسريح : سيور تشد بها النعال ، يريد أن نعال النفائض تقطعت . والصروح : جمع صرح ، وهو كما فى (اللسان : صرح) بيت واحد يبنى منفردا ضخما ، طويلا فى السماء . قال أبو ذؤيب :

عَلى طُرُقٍ كَنُحُورِ الظِّبا ءِ تَحْسَبُ آرَامَهُنَّ الصُّرُوحا

وقال الزجاج فى قوله تعالى : « قيل لها ادخلى الصرح » قال : الصرح فى اللغة القصر ، والصحن . يقال : هذه صرحة الدار وقارعتها : =

وقوله (لَعَلِّى أَطَّلِعُ إلى إلَهِ مُوسَى) يقول : أنظر إلى معبود موسى ، الذى يعبده ، ويدعو إلى عبادته (وإنّى لَأَظُنُّهُ) فيما يقول من أن له معبودا يعبده فى السماء ، وأنه هو الذى يؤيده وينصره ، وهو الذى أرسله إلينا من الكاذبين ، فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح ، فارتقى فوقه .

فكان من قصته وقصة ارتقائه ، ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال فرعون لقومه (يا أيُّها المَلأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى ، فَأَوْقِدْ لى يا هامانُ عَلى الطِّينِ ، فاجْعَلْ لى صَرْحا) لعلى أذهب فى السماء ، فأنظر إلى إله موسى ؛ فلما بُنِى له الصرح ، ارتقى فوقه ، فأمر بُنَشّابة فرمى بها نحو السماء ، فردّت إليه وهى متلطخة دما ، فقال : قد قتلت إله موسى ، تعالى الله عما يقولون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ، فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : واستكبر فرعون وجنوده فى أرض مصر عن تصديق موسى ، واتباعه على مادعاهم إليه من توحيد الله ، والإقرار بالعبودية له (بغير الحق) يعنى تعدّيا وعتوّا على ربهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إلَيْنا لايُرْجَعُونَ) يقول : وحسبوا أنهم بعد مماتهم لايبعثون ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فركبوا أهواءهم ، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد ، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة .

وقوله (فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ) يقول تعالى ذكره : فجمعنا فرعون وجنوده من القبط (فَنَبَذْناهُمْ فِى الْيَمِّ) يقول : فألقيناهم جميعهم فى البحر ، فغرقناهم فيه ، كما قال أبو الأسود الدُّؤَلِىّ :

نَظَرْتُ إلى عُنْوانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعالِكا[1]

وذُكر أن ذلك بحر من وراء مصر ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (فَنَبَذْناهُمْ فِى الْيَمِّ) قال : كان اليم بحرا يقال له إساف ، من وراء مصر ، غرّقهم الله فيه.

وقوله (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : فانظر يامحمد بعين قلبك : كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بربهم وردّوا على رسوله نصيحته ، ألم نهلكهم فنُوَرِّث ديارهم وأموالهم أولياءنا ، ونخوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ، ومقام كريم ، بعد أن كانوا

=من أى ساحتها وعرصتها . وقال بعض المفسرين : الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير . والصرح : الأرض المملسة . والصرح : متن من الأرض مستو . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : الصرح : البناء والقصر . ولم يزد ، وروى البيت كرواية صاحب اللسان .

(١) البيت لأبى الأسود الدؤلى ، كما قاله المؤلف وهو منقول عن مجاز القرآن لأبى عبيدة (الورقة ١٨٠ ب) قال : « فأخذناه وجنوده » أى فجمعناه وجنوده . « فنبذناهم فى اليم » : أى فألقيناهم فى البحر ، وأهلكناهم وغرقناهم . قال أبو الأسود الدؤلى : «نظرت إلى عنوانه » . . . . البيت . اهـ . وفى « اللسان : نبذ » النبذ : طرحك الشىء من يدك ، أمامك أو وراءك . ونبذت الشىء : إذا رميته وأبعدته .

مستضعفين ، تقتل أبناؤهم ، وتُستحيا نساؤهم ، فإنا كذلك بك وبمن آمن بك وصدّقك فاعلون مخوّلوك وإياهم ديار مَنْ كذّبك ، وردّ عليك ما أتيتهم به من الحقّ وأموالهم ، ومهلكوهم قتلا بالسيف ، سنة الله فى الذين خلَوا من قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ، وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتمّ بهم أهل العتوّ على الله ، والكفر به ، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار (وَيَوْمَ القِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ويوم القيامة لاينصرهم الله إذا عذّبهم ناصر ، وقد كانوا فى الدنيا يتناصرون ، فاضمحلت تلك النصرة يومئذ .

وقوله (وأتْبَعْناهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ القيامَةِ) يقول تعالى ذكره : وألزمنا فرعون وقومه فى هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم ، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيّئ ، ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة ، فمخزوهم بها الخزى الدائم ، ومهينوهم الهوانَ اللازم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأتْبَعْناهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) قال : لعنوا فى الدنيا والآخرة ، قال : هو كقوله (وأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وأتْبَعْناهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) لعنة أخرى ، ثم استقبل فقال (هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ) وقوله (هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ) يقول تعالى ذكره : هم من القوم الذين قبحهم الله ، فأهلكهم بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام ، فجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتعظين

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التى كانت قبله ، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مَدين (بَصَائِرَ للنَّاسِ) يقول : ضياء لبنى إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من

أمر دينهم (وَهُدًى) يقول : وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا نِعَم الله بذلك عليهم ، فيشكروه عليها ولا يكفروا .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد وعبد الوهاب ، قالا : ثنا عوف ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، قال : ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الأرض ، بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التى مسخوا قردة ، ألم تر أن الله يقول (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما كنت يامحمد بجانب غربىّ الجبل (إِذْ قَضَيْنَا إلى مُوسَى الأَمْرَ) يقول : إذ فرضنا إلى موسى الأمر ، فيما ألزمناه وقومه ، وعهدنا إليه من عهد (وَما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) يقول : وما كنت لذلك من الشاهدين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما كُنْتَ) يامحمد (بِجانِبِ الغَرْبِىِّ) يقول : بجانب غربىّ الجبل (إِذْ قَضَيْنا إلى مُوسَى الأَمْرَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قا : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : غربىّ الجبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن علىّ بن مدرك ، عن أبى زرعة بن عمرو ، قال : إنكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجبتم قبل أن تسألوا ، وقرأ (وَما كُنْتَ بِجانِبِ الغَرْبِىِّ إذْ قَضَيْنا إلى مُوسَى الأَمْرَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ، وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ، وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَكِنَّا أَنْشأنا قُرُوناً) ولكنا خلقنا أمما فأحدثناها من بعد ذلك (فَتَطاوَلَ

عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) . وقوله (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) يقول : وما كنت مقيما فى أهل مدين ، يقال : ثويت بالمكان أثوى به ثواء ، قال أعشى ثعلبة :

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوَّدَا ... فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) قال : الثاوى : المقيم (تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) يقول : تقرأ عليهم كتابنا (وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ) : يقول : لم تشهد شيئا من ذلك يامحمد ، ولكنا كنا نحن نفعل ذلك ، ونرسل الرسل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا، وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ، لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وما كنت يامحمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن (سَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) ... الآية.

كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملىّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن علىّ بن مُدْرك ، عن أبى زُرْعة ، فى قول الله (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نادى : يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى ، وأجبتكم قبل أن تَدْعونى .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نُودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألونى ، واستجبت لكم قبل أن تَدْعونى .

حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنا حرملة بن قيس النخعىّ ، قال : سمعت هذا الحديث من أبى زُرْعة بن عمرو بن جرير ، عن أبى هريرة (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نُودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألونى ، واستجبت لكم قبل أن تَدْعونى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر عن سليمان ، وسفيان عن سليمان ، وحجاج عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن علىّ بن مدرك ، عن أبى زرعة بن عمرو ، عن أبى هريرة ، فى قوله (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نُودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألونى ، واستجبت

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (اللسان : ثوى . والديوان طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧) .وهو من قصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن ، لما أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد . وفى البيت : ليلة . . . فضت . فى موضع ليله . . . ومضى . وفى رواية مجاز القرآن لأبى عبيدة : فمضى ، ورواية الديوان أحسن ، لقوله بعده : « ومضى لحاجته » . قال شارح الديوان : ثوى وأثوى : بمعنى واحد ، أى أقام . وقصر : توانى . وأخلف فلانا وجد موعده خلفا (بكسر الخاء) أى مختلفا . يقول : عدل عن سفره ، فأقام ، وتخلف ليلة ليتزود من قتيلة ، فضت الليلة ، وأخلفته قتيلة الموعد .

لكم قبل أن تدعونى ، قال : وهو قوله حين قال موسى (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وفِي الآخِرَةِ) . . . الآية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج مثل ذلك .

وقوله (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : لم تشهد شيئا من ذلك يا محمد ، فتعلمه ، ولكنا عرّفناكه ، وأنزلنا إليك ، فاقتصصنا ذلك كله عليك فى كتابنا ، وابتعثناك بما أنزلنا إليك من ذلك ، رسولا إلى من ابتعثناك إليه من الخلق ، رحمة منا لك ولهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) ماقصصنا عليك . (لِتُنْذِرَ قَوْما) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) قال : كان رحمة من ربك النبوّة .

وقوله (لِتُنْذِرَ قَوْما ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) : يقول تعالى ذكره : ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين ، لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير ، وهم العرب الذين بُعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله إليهم رحمة ، لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام ، وإشراكهم به الأوثان والأنداد .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا خطأ ماهم عليه مقيمون ، من كفرهم بربهم ، فينيبوا إلى الإقرار لله بالوحدانية ، وإفراده بالعبادة ، دون كلّ ماسواه من الآلهة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) قال : الذى أنزلنا عليك من القرآن (لِتُنْذِرَ قَوْما ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد إليهم ، لو حلّ بهم بأسنا ، أو أتاهم عذابنا ، من قبل أن نرسلك إليهم ، على كفرهم بربهم ، واكتسابهم الآثام ، واجترامهم المعاصى : ربنا هلاّ أرسلت إلينا رسولا من قبل أن يحلّ بنا سخطك ، وينزل بنا عذابك ، فنتبع أدلتك ، وآىَ كتابك الذى تنزله على رسولك ، ونكون من المؤمنين بألوهيتك ، المصدّقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا ، لعاجلناهم العقوبة على شركهم ، من قبل ما أرسلناك إليهم ، ولكنا بعثناك إليهم نذيرا بأسنا على كفرهم ، لئلا يكون للناس على الله حجة

بعد الرسل . والمصيبة فى هذا الموضع : العذاب والنقمة . ويعنى بقوله (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) بما اكتسبوا.

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ، قَالُوا : لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ؟ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ، قَالُوا : سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ، وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يامحمد نذير ، فبعثناك إليهم نذيرا (الحقّ من عندنا) ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، بالرسالة من الله إليهم ، قالوا : تمرّدا على الله ، وتماديا فى الغىّ : هَلاَّ أوتى هذا الذى أرسل إلينا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، مثلَ ما أوتى موسى بن عمران من الكتاب ، يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لقومك من قريش ، القائلين لك (لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسَى) : أولم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود ، بما أوتى موسى من قبلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتى موسى ، يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل لقريش يقولوا لهم : أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ؟

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسَى) قال : اليهود تأمر قريشا ، ثم ذكر نحوه (قالوا ساحِرَانِ تَظاهَرَا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة : (قالُوا ساحِرَانِ تَظاهَرَا) بمعنى : أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ، وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم فى قول بعض المفسرين ، وفى قول بعضهم لموسى وهارون عليهما السلام ، وفى قول بعضهم : لعيسى ومحمد : ساحران تعاونا . وقرأ عامة قرّاء الكوفة (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) بمعنى : وقالوا للتوراة والفرقان ، فى قول بعض أهل التأويل ، وفى قول بعضهم : للإنجيل والفُرقان .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، على قدر اختلاف القرّاء فى قراءته .

ذكر من قال عُنِى بالساحرين اللذين تظاهرا : محمد وموسى صلى الله عليهما

حدثنا سليمان بن محمد بن معدى كرب الرُّعينى ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حمزة ، قال : سمعت مسلم بن يسار ، يحدّث عن ابن عباس ، فى قول الله (ساحِرانِ تَظاهَرَا) قال : موسى ومحمد .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حمزة ، قال : سمعت مسلم ابن يسار ، قال : سألت ابن عباس ، عن هذه الآية (ساحِرَانِ تَظاهَرَا) قال : موسى ومحمد .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار : أن ابن عباس ، قرأ (ساحِرَانِ) قال : موسى ومحمد ، عليهما السلام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن كيسان أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار ، عن ابن عباس ، مثله .

ومن قال : موسى وهارون ، عليهما السلام

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ساحِرانِ تَظاهَرَا) قال : يهودُ لموسى وهارون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قالُوا ساحِرَان تَظاهَرَا) قول يهودَ لموسى وهارون ، عليهما السلام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جُبَير وأبي رَزِين : أن أحدهما قرأ (ساحِرَانِ تَظاهَرَا) ، والآخر : (سِحْرَانِ) ، قال الذي قرأ (سِحْرَانِ) قال : التوراة والإنجيل . وقال الذي قرأ (ساحِرَانِ) قال : موسى وهارون .

وقال آخرون : عَنَوا بالساحرين : عيسى ومحمدا ، صلى الله عليهما وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قوله (ساحِرَانِ تَظاهَرَا) قال : عيسى ومحمد ، أو قال موسى ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عَنَوا بذلك التوراة والفرقان ، ووجه تأويله إلى قراءة من قرأ (سِحْرانِ تَظاهَرَا)

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (سِحْرانِ تَظاهَرَا) يقول : التوراة والقرآن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) يعني : التوراة والفرقان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) قال : كتاب موسى ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عنوا به التوراة والإنجيل

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : كنت إلى جنب ابن عباس وهو يتعوّذ بين الركن والمقام ، فقلت : كيف تقرأ ، سِحْران ، أو ساحران ؟ فلم يردّ عليّ شيئا ، فقال

عكرِمة : ساحران ، وظننت أنه لو كره ذلك أنكره علىّ ، قال حميد : فلقيت عكرِمة بعد ذلك ، فذكرت ذلك له ، وقلت : كيف كان يقرؤها ؟ قال : كان يقرأ (سِحْرانِ تَظاهَرَا) أى : التوراة والإنجيل .

ذكر من قال : عَنوا به الفُرقان والإنجيل

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، أنه قرأ (سِحْرانِ تظاهَرا) : يعنون الإنجيل والفُرْقان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) قالت ذلك أعداء الله اليهود ، للإنجيل والفرقان ، فمن قال (ساحِرَانِ) فيقول : محمد ، وعيسى ابن مريم .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأه (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) : بمعنى : كتاب موسى ، وهو التوراة ، وكتاب عيسى ، وهو الإنجيل .

وإنما قلنا : ذلك أولى القراءتين بالصواب ، لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب ، وهو قوله : (وَقالُوا لَوْلا أُوتِىَ مِثْلَ ما أُوتِىَ مُوسَى) والذى يليه من بعده ذكر الكتاب ، وهو قوله (فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ) فالذى بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره . وإذ كان ذلك هو الأَوْلى بالقراءة ، فمعلوم أن معنى الكلام : قل يامحمد : أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتى موسى من قبل ، وقالوا لما أوتى موسى [1] من الكتاب ، وما أوتيته أنت ، سحران تعاونا .

وقوله (وَقالُوا إنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وقالت اليهود : إنا بكلّ كتاب فى الأرض : من توراة ، وإنجيل ، وزَبور ، وفرقان : كافرون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ، وخالفه فيه مخالفون .

ذكر من قال مثل الذى قلنا فى ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) قالوا : نكفر أيضا بما أوتى محمد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَقالُوا إنَّا بِكُلّ كافِرُونَ) قال : يهود أيضا : نكفر بما أوتى محمد أيضا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقالوا إنا بكلّ الكتابين : الفرقان والإنجيل ، كافرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك (وَقالُوا إنَّا بِكُلّ كافِرُونَ) يقول : بالإنجيل والقرآن .

(١) لعله : لما أوتى عيسى . . . الخ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقالُوا إنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) : يعنون الإنجيل والفرقان .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَقالُوا إنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) قال : هم أهل الكتاب ، يقول : بالكتابين : التوراة والفُرقان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقالُوا إنَّا بكُلٍّ كافِرُونَ) الذى جاء به موسى ، والذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٩)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للقائلين للتوراة والإنجيل : هما سحران تظاهرا : ائتوا بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما لطريق الحقّ ، ولسبيل الرشاد (أتَّبِعْهُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى زعمكم أن هذين الكتابين سحران ، وأن الحقّ فى غيرهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال الله تعالى (قُلْ فَأْتُوا بكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أهْدَى مِنْهُما) . . . الآية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فقال الله (ائْتُونِى بكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أهْدَى مِنْهُما) من هذين الكتابين ؛ الذى بعث به موسى ، والذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : فإن لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل : سحران تظاهرا ، الزاعمون أن الحقّ فى غيرهما ، من اليهود يامحمد ، إلى أن يأتوك بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، وأن الذى ينطقون به ، ويقولون فى الكتابين ، قول كذب وباطل ، لاحقيقة له ، ولعل قائلا أن يقول : أو لم يكن النبىّ صلى الله عليه وسلم يعلم أن ماقال القائلون من اليهود وغيرهم فى التوراة والإنجيل من الإفك والزور ، المسموهما سحرين : باطل من القول ، إلا بأن لايجيبوه إلى إتيانهم بكتاب هو أهدى منهما ؟ قيل : هذا كلام

خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد به المقول لهم: أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل، من كفار قريش . وذلك أنه قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قريش : أو لم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا : هلا أوتى محمد مثل ما أوتى موسى ، بالذى أوتى موسى من قبل هذا القرآن، ويقولوا للذى أنزل عليه وعلى عيسى (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) ، فقولوا لهم: إن كنتم صادقين أن ما أوتى موسى وعيسى سحر ، فأتونى بكتاب من عند الله ، هو أهدى من كتابيهما ، فإن هم لم يجيبوكم إلى ذلك فاعلموا أنهم كَذَبَة ، وأنهم إنما يتبعون فى تكذيبهم محمدا ، وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم، ويتركون الحقّ وهم يعلمون ، يقول تعالى ذكره : ومن أضلّ عن طريق الرشاد ، وسبيل السَّداد ، ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله ، وعهد من الله ، ويترك عهد الله الذى عهده إلى خلقه فى وحيه وتنزيله . (إنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : إن الله لايوفق لإصابة الحقّ وسبيل الرشد ، القوم الذين خالفوا أمر الله ، وتركوا طاعته ، وكذّبوا رسوله ، وبدّلوا عهده ، واتبعوا أهواء أنفسهم ، إيثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

*وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٥٢)

⁂ يقول تعالى ذكره: ولقد وصلنا يامحمد لقومك من قريش ولليهود من بنى إسرائيل، القول بأخبار الماضين، والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا ، إذ كذّبوا رسلنا ، وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم ، واحتذى فى الكفر بالله، وتكذيب رسله مِثالهم ، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا ، وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض ؛ ومنه قول الشاعر :

فَقُلْ لِبَنِى مَرْوَانَ مابالُ ذِمَّةٍ وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ ما يَزَالُ يُوَصَّلُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله ، فقال بعضهم : معناه بيَّنا . وقال بعضهم : معناه : فصَّلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ) قال : فصلنا لهم القول .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ) قال :

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ١٨١ ب) قال : « ولقد وصلنا لهم القول » أى أتممناه . (فى اللسان : وصل) : وفى التنزيل العزيز « ولقد وصلنا لهم القول » : أى وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى : بعضها ببعض . والذمة : العهد . والحبل : العهد . وقوله « ما يزال يوصل » أى قد رث وبلى ، ويجدد ما بلى منه ، حتى كثر فيه الترقيع .

وصل الله لهم القول فى هذا القرآن، يخبرهم كيف صنع بمن مضى، وكيف هو صانع؟(لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا محمد بن عيسى أبو جعفر، عن سفيان بن عيينة: وصلنا: بيّنا.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ) الخبر، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة، وشهدوها فى الدنيا، بما نريهم من الآيات فى الدنيا وأشباهها. وقرأ (إِنَّ فِي ذلكَ لَآيَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ الآخِرَةِ) وقال: إنا سوف ننجزهم ماوعدناهم فى الآخرة، كما أنجزنا للأنبياء ماوعدناهم، نقضى بينهم وبين قومهم.

واختلف أهل التأويل، فيمن عنى بالهاء والميم من قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ) فقال بعضهم: عنى بهما قريشا.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ) قال: قريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ) قال: لقريش.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) قال: يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: عُنِى بهما اليهود.

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر بن آدم، قال: ثنا عفان بن مسلم، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، عن رفاعة القرظى، قال: نزلت هذه الآية فى عشرة أنا أحدهم (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

حدثنا ابن سنان، قال: ثنا حيان، قال: ثنا حماد، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن عطية القُرَظِىّ قال: نزلت هذه الآية (وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) حتى بلغ (إِنَّا كُنَّا، مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) فى عشرة أنا أحدهم، فكأن ابن عباس أراد بقوله يعنى محمدا، لعلهم يتذكرون عهد الله فى محمد إليهم، فيقرّون بنبوّته ويصدّقونه.

وقوله (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) يعنى بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدّقوه، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون، فيقرّون أنه حقّ من عند الله، ويكذّب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله تعالى (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) قال : يعنى من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ) . . . إلى قوله (لانَبْتَغى الجاهِلِينَ) فى مسلمة أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ) . . . إلى قوله (الجاهِلِينَ) قال : هم مُسْلِمة أهل الكتاب . قال ابن جُرَيج : أخبرنى عمرو بن دينار : أن يحيى بن جعدة أخبره ، عن علىّ بن رفاعة ، قال : خرج عشرة رَهْط من أهل الكتاب ، منهم أبو رِفاعة ، يعنى أباه ، إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا ، فأُوذوا ، فنزلت (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ) قبل القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) قال : كنا نحدّث أنها نزلت فى أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحقّ ، يأخذون بها ، وينتهون إليها ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا به ، وصدّقوا به ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين ، بصبرهم على الكتاب الأوّل ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك ، وذكر أن منهم سَلْمان ، وعبد الله بن سَلاَم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) . . . إلى قوله (مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) : ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل ، ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا به ، فآتاهم الله أجرهم مرّتين بما صبروا : بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وباتباعهم إياه حين بعث ، فذلك قوله (إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ، قَالُوا : ءَامَنَّا بِهِ ، إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا يُتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن (قالُوا آمَنَّا بِهِ) يقول : يقولون : صدّقنا به (إنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنا) يعنى من عند ربنا نزل ، إنا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين ، وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل مجىء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعليهم من الكتب ، وفى كتبهم صفة محمد ونعته ، فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدّقين قبل نزول القرآن ، فلذلك قالوا (إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ، وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، يُؤْتَوْن ثواب عملهم مرّتين بما صبروا .

واختلف أهل التأويل فى معنى الصبر الذى وعد الله ما وعد عليه ، فقال بعضهم : وعدهم ماوعد جلّ ثناؤه ، بصبرهم على الكتاب الأوّل ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك . وذلك قول قَتادة ، وقد ذكرناه قبل .

وقال آخرون : بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وباتباعهم إياه حين بعث . وذلك قول الضحاك بن مزاحم ، وقد ذكرناه أيضا قبل ، وممن وافق قَتادة على قوله عبد الرحمن ابن زيد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّا كُنَّا من قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ على دين عيسى ، فلما جاء النبىّ صلى الله عليه وسلم أسلموا ، فكان لهم أجرهم مرّتين : بما صبروا أوّل مرّة ، ودخلوا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الإسلام .

وقال قوم فى ذلك بما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : إن قوما كانوا مشركين أسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم ، فنزلت (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) وقوله (وَيَدْرَءُونَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) يقول : ويدفعون بحسنات أفعالهم التى يفعلونها سيئاتهم (وِمِمَّا رَزَقْناهُمْ) من الأموال (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله ، إما فى جهاد فى سبيل الله ، وإما فى صدقة على محتاج ، أو فى صلة رَحِم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (وَإذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنا ، إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) قال الله (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون ، فقال (وَيَدْرَءُونَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ، وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ، سَلَمٌ عَلَيْكُمْ ، لاَ نَبْتَغِي الْجَهِلِينَ (٥٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب : اللغو ، وهو الباطل من القول .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَإذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ

وَقالُوا لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لانَبْتَغِى الجاهِلِينَ) لايجارون أهل الجهل والباطل فى باطلهم ، أتاهم من أمر الله ماوقذهم عن ذلك .

وقال آخرون : عُنِى باللغو فى هذا الموضع : ما كان أهل الكتاب ألحقوه فى كتاب الله ، مما ليس هو منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ وَقالُوا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه لأهل الكتاب ، إذا سمعوا اللغو الذى كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله ، وقالوا : هومن عند الله ، إذا سمعه الذين أسلموا ، ومرّوا به يتلونه ، أعرضوا عنه ، وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا مسلمين على دين عيسى ، ألا ترى أنهم يقولون : (إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن مجاهد (وَإذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ وَقالُوا لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ) قال : نزلت فى قوم كانوا مشركين فأسلموا ، فكان قومهم يُؤْذونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جويرية ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَإذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ ، وَقالُوا لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ) قال : كان ناس من أهل الكتاب أسْلَموا ، فكان المشركون يؤذونهم ، فكانوا يصفحون عنهم ، يقولون (سَلامٌ عَلَيْكُمْ لانَبْتَغِى الجاهِلِينَ) .

وقوله (أعْرَضُوا عَنْهُ) يقول : لم يصغوا إليه ولم يستمعوه (وَقالُوا لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ) وهذا يدلّ على أن اللغو الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، إنما هو ماقاله مجاهد ، من أنه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول مايكرهون منه فى أنفسهم ، وأنهم أجابوهم بالجميل من القول (لَنا أعمالُنا) قد رضينا بها لأنفسنا ، (وَلَكُمْ أعمالُكُمْ) قد رضيتم بها لأنفسكم . وقوله (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) يقول : أمَنة لكم منا أن نُسابّكم ، أو تسمعوا منا ما لاتحبون (لانَبْتَغِى الجاهِلِينَ) يقول : لانريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إنَّكَ) يامحمد (لاتَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) هدايته ، (وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ) أن يهديه من خلقه ، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله . ولو قيل : معناه : إنك لاتهدى من أحببته ، لقرابته منك ، ولكن الله يهدى من يشاء ، كان مذهبا (وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ) : يقول جلّ ثناؤه : والله أعلم من سبق له فى علمه أنه يهتدى للرشاد ، ذلك الذى يهديه الله فيسدّده ويوفّقه .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبى طالب عمه من إجابته ، إذ دعاه إلى الإيمان بالله ، إلى ما دعاه إليه من ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب والحسين بن علىّ الصُّدائىّ ، قالا : ثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كَيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت : « قُلْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ أشْهَدْ لَكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ) . قال: لولا أن تعيِّرنى قريش، لأقررت عينك، فأنزل الله (إنَّكَ لاتَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كيسان ، قال : ثنى أبو حازم الأشجعىّ ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه : « قُلْ لاإله إلاَّ اللهُ »، ثم ذكر مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن كيسان سمع أبا حازم الأشجعىّ ، يذكر عن أبى هريرة قال : لما حضرت وفاةُ أبى طالب ، أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عَمَّاهُ قُلْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ » فذكر مثله ، إلا أنه قال : لولا أن تعيِّرنى قريش ، يقولون: ما حمله عليه إلا جزع الموت.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث أبى كُرَيب الصُّدائى .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنى عمى عبد الله بن وهب ، قال : ثنى يونس ، عن الزهرىّ قال : ثنى سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : «لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أُمَية بن المُغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عَمِّ قُلْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ، كَلِمَةً أشْهَدُ لَكَ بِها عِنْدَ اللهِ ، فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبى أُمَيَّة : يا أبا طالب : أترغب عن ملَّة عبد المطَّلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لاإله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ، فأنزل الله (ما كانَ للنَّبِىِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِى قُرْبَى)، وأنزل الله فى أبى طالب ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّكَ لاتَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى) . . . الآية » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن سعيد بن المسيب عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن أبى سعيد بن رافع ، قال : قلت لابن عمر : (إنَّكَ لاتَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) : نزلت فى أبى طالب ؟ قال : نعم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (إنَّكَ لاتَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) قال : قول

محمد لأبى طالب : قل كلمة الإخلاص ،أجادل عنك بها يوم القيامة ، قال محمد بن عمرو فى حديثه : قال : يا بن أخى ، ملة الأشياخ ، أو سنة الأشياخ . وقال الحارث فى حديثه : قال يا بن أخى ، ملة الأشياخ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (إنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) قال : قال محمد لأبى طالب « اشْهَدْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ أُجادِلْ عَنْكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ ، قال : أى ابن أخى ،ملة الأشياخ ، فأنزل الله (إنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) قال : نزلت هذه الآية فى أبى طالب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) : ذُكر لنا أنها نزلت فى أبى طالب قال الأصم عند [1] موته يقول لاإله إلا الله ،لكيما تحلّ له بها الشفاعة ،فأبى عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ، لما حضر أبا طالب الموت ، قال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : « يا عَمَّاهُ ،قُلْ لاإِلَهَ إلاَّ اللهُ ، أَشْهَدْ لَكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ ، فقال له : يا بن أخى ، إنه لولا أن يكون عليك عار ، لم أبال أن أفعل ، فقال له ذلك مرارا ، فلما مات اشتدّ ذلك على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : ماتنفع قرابة أبى طالب منك ،فقال : بَلى والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إنَّه السَّاعَةَ لَفِى ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ ، عَلَيْهِ نَعْلان مِنْ نارٍ ،تَغْلِى مِنْهُما أُمُّ رأسِهِ ، وَما مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ إنْسانٍ هُوَ أَهْوَنُ عَذَابا مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ (إنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ) .

وقوله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ) يقول : وهو أعلم بمن قُضِى له الهدى .

كالذى حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ) قال : بمن قُدّر له الهدى والضلالة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ، أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ، رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : وقالت كفار قريش : إن نتبع الحقّ الذى جئتنا به معك ، ونتبرأ من الأنداد والآلهة ، يتخطفنا الناس من أرضنا ، بإجماع جميعهم على خلافنا وحربنا . يقول الله لنبيه : فقل : (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا) يقول : أولم نوطّئ لهم بلدا حرّمنا على الناس سفك الدماء فيه ، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء ، وأمّنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة ، أو قتل ، أو سباء .

(١) الذى فى الدر عن قتادة قال : التمس منه عند موته أن يقول الخ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، أن الحارث بن نوفل ، الذى قال (إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنا) وزعموا أنهم قالوا : قد علمنا أنك رسول الله ، ولكنا نخاف أن نُتَخطف من أرضنا ، أوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ) الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقالُوا إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنا) قال : هم أناس من قريش قالوا لمحمد : إن نتبعك يتخطفْنا الناس ، فقال الله (أوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَما آمِنا يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ويُتَخَطف الناس من حولهم : قال : كان يغير بعضهم على بعض .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (أوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَما آمنا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقالُوا إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنا) قال الله (أوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَما آمِنا يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كلِّ شَىْءٍ) يقول : أو لم يكونوا آمنين فى حرمهم لايغزون فيه ولا يخافون ، يجبى إليه ثمرات كلِّ شىء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَما آمِنا) قال : كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاءوا ، إذا خرج أحدهم فقال : إنى من أهل الحرم لم يُتَعرّض له ، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قُتل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَما آمِنا) قال : آمناكم به ، قال : هى مكة ، وهم قريش .

وقوله (يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) يقول يجمع إليه ، وهو من قولهم : جبيت الماء فى الحوض : إذا جمعته فيه ، وإنما أريد بذلك : يحمل إليه ثمرات كلّ بلد .

كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عثمان بن أبى زرعة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى (يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) قال : ثمرات الأرض .

وقوله (رِزْقا مِنْ لَدُنَّا) يقول : ورزقا رزقناهم من لدنا ، يعنى : من عندنا (وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنا) لايعلمون أنا نحن الذين مكّنا لهم حرما آمنا ، ورزقناهم فيه ، وجعلنا الثمرات من كلّ أرض تجبى إليهم ، فهم بجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون ، لايشكرون من أنعم عليهم بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وكم أهلكنا من قرية أبطرتها معيشتها ، فبَطِرت ، وأشِرت ، وطَغَت ، فكفرت ربها . وقيل : بطرت معيشتها ، فجعل الفعل للقرية ، وهو فى الأصل للمعيشة ، كما يقال : أسْفَهَك رأيك فسَفِهته ، وأبطرك مالك فبطِرته ، والمعيشة منصوبة على التفسير .

وقد بيّنا نظائر ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكَمْ أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها) قال : البطر : أشَرُّ أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصى الله ، وقال : ذلك البطر فى النعمة (فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إلاّ قَلِيلا) يقول : فتلك دور القوم الذين أهلكناهم بكفرهم بربهم ومنازلهم ، لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، يقول : خربت من بعدهم ، فلم يعمر منها إلا أقلها ، وأكثرها خراب ، ولفظ الكلام وإن كان خارجا على أن مساكنهم قد سُكِنت قليلا ، فإن معناه : فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا منها ، كما يقال : قضيت حقك إلا قليلا منه .

وقوله (وكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ) يقول : ولم يكن لما خرّبنا من مساكنهم منهم وارث ، وعادت كما كانت قبل سُكناهم فيها ، لامالك لها إلا الله ، الذى له ميراث السموات والأرض .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا، وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره (وَما كانَ رَبُّكَ) يامحمد (مُهْلِكَ القُرَى) التى حوالى مكة فى زمانك وعصرك . (حتى يَبْعَثَ فِى أُمِّها رَسُولاً) يقول : حتى يبعث فى مكة رسولا ، وهى أمّ القرى ، يتلو عليهم آيات كتابنا ، والرسول : محمد صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى يَبْعَثَ فى أُمِّها رَسُولاً) وأمّ القرى مكة ، وبعث الله إليهم رسولا : محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي القُرَى إلاَّ وأَهْلُها ظالِمُونَ) يقول : ولم نكن لنهلك قرية وهى بالله مؤمنة ، إنما نهلكها بظلمها أنفسها ، بكفرها بالله ، وإنما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم ، وظلم أنفسهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي القُرَى إلاَّ وأَهْلُها ظالِمُونَ) قال الله : لم يهلك قرية بإيمان ، ولكنه يهلك القرى بظلم ، إذا ظَلَمَ أهلُها ، ولو كانت قرية آمَنَتْ لم يهلكوا مع من هلك ، ولكنهم كذّبوا وظلموا ، فبذلك أُهلكوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ، وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وما أُعطيتم أيها الناس من شىء من الأموال والأولاد ، فإنما هو متاع تتمتعون به فى هذه الحياة الدنيا ، وهو من زينتها التى يُتَزين به فيها ، لايغنى عنكم عند الله شيئا ، ولا ينفعكم شىء منه فى معادكم ، وما عند الله لأهل طاعته وولايته ، خير مما أوتيتموه أنتم فى هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى ، يقول : وأبقى لأهله ، لأنه دائم لانفادَ له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى قوله (وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وأبْقَى) قال : خير ثوابا ، وأبقى عندنا (أفَلا تَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها ، فتعرفون بها الخير من الشرّ ، وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرّهما ، وتؤثرون الدائم الذى لانفاد له من النعيم ، على الفانى الذى لابقاء له .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته إيانا الجنة ، فآمن بما وعدناه وصدّق وأطاعنا ، فاستحقّ بطاعته إيانا ، أن ننجز له ما وعدناه ، فهو لاقٍ ماوعد ، وصائر إليه ، كمن متّعناه فى الحياة الدنيا متاعها ، فتمتع به ، ونسى العمل بما وعدنا أهل الطاعة ، وترك طلبه ، وآثر لذّة عاجلة على آجلة ، ثم هو

يوم القيامة إذا ورد على الله من المحضرين ، يعنى من المُشْهَدِين عذابَ الله ، وأليمَ عقابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ) قال : هو المؤمن سمع كتاب الله فصدّق به وآمن بما وعد الله فيه (كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا) هو هذا الكافر ، ليس والله كالمؤمن (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) : أى فى عذاب الله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال ابن عمرو فى حديثه : قوله (مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : أحضروها . وقال الحارث فى حديثه (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِين) أهلَ النار ، أُحْضِروها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : أهل النار ، أُحْضِروها .

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب عن مجاهد (أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ ، كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : نزلت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى جهل بن هشام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ) قال : النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : نزلت فى حمزة وعلىّ رضى الله عنهما ، وأبى جهل لعنه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بَدَل بن المُحَبَّر التغلبىّ[1] ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد (أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : نزلت فى حمزة وعلىّ بن أبى طالب ، وأبى جهل .

قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، قال : نزلت فى حمزة وأبى جهل

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ

(١) فى الخلاصة للخزرجى : بدل بن المحبر ، بضم الميم وفتح المهملة والموحدة ، اليربوعى ، أبو المنير (كمطيع) البصرى . قال أبو حاتم : صدوق . توفى فى حدود سنة خمس عشرة ومئتين .

رَبَّنَا هَـٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ، تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ، مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى ربّ العزّة الذين أشركوا به الأنداد والأوثان فى الدنيا ، فيقول لهم : (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أنهم لى فى الدنيا شركاء ؟(قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يقول : قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته ، وهم الشياطين الذين كانوا يُغْوُون بنى آدم : (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) قال : هم الشياطين .

وقوله (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) يقول : تبرأنا من وَلايتهم ونُصْرتهم إليك (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) : يقول : لم يكونوا يعبدوننا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد فى الدنيا (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) الذين كنتم تدعون من دون الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) يقول : فلم يُجيبوهم . (وَرَأَوُا الْعَذَابَ) : يقول : وعاينوا العذاب (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) يقول : فودّوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا فى الدنيا مُهتدين للحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ؟ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ ، فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين ، فيقول لهم (مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) فيما أرسلناهم به إليكم ، من دعائكم إلى توحيدنا ، والبراءة من الأوثان والأصنام (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ) : يقول : فخفيت عليهم الأخبار ، من قولهم : قد عَمِى عنى خبر القوم : إذا خفى . وإنما عُنِى بذلك أنهم عميت عليهم الحجة ، فلم يدُروا مايحتجون ، لأن الله تعالى قد كان أبلغ إليهم فى المعذرة ، وتابع عليهم الحجة ، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها ، ولا خبر يُخبرون به ، مما تكون لهم به نجاة ومَخْلَص .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ) قال : الحجج ، يعنى الحجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ) قال : الحجج .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) قال : بلا إله إلا الله ، التوحيد .

وقوله (فَهُمْ لاَيَتَسَاءَلُونَ) بالأنساب والقرابة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهُمْ لاَيَتَسَاءَلُونَ) قال : لايتساءلون بالأنساب ، ولا يتماتُّون بالقرابات ، إنهم كانوا فى الدنيا إذا التقوا تساءلوا وتماتُّوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَهُمْ لاَيَتَسَاءَلُونَ) قال : بالأنساب . وقيل معنى ذلك : فعميت عليهم الحجج يومئذ ، فسكتوا ، فهم لايتساءلون فى حال سكوتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ، فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره (فأمَّا مَنْ تابَ) من المشركين ، فأناب وراجع الحقّ ، وأخلص لله الألوهة ، وأفرد له العبادة ، فلم يشرك فى عبادته شيئا (وآمَنَ) يقول : وصدّق بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَعَمِلَ صَالِحا) يقول : وعمل بما أمره الله بعمله فى كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، (فَعَسَى أن يكُونَ مِنَ المُفْلِحِينَ) . يقول : فهو من المُنْجِحِين المُدْرِكِين طَلِبَتهم عند الله ، الخالدين فى جِنانه ، وعسى من الله واجب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ، سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره (وَرَبُّكَ) يامحمد (يَخْلُقُ ما يَشاءُ) أن يخلقه ، (وَيَخْتارُ) لولايته الخِيَرة من خلقه ، ومن سبقت له منه السعادة . وإنما قال جلّ ثناؤه (وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ) والمعنى : ما وصفت ، لأن المشركين كانوا فيما ذُكِر عنهم يختارون أموالهم ، فيجعلونها لآلهتهم ، فقال الله لنبيه محمد

صلى الله عليه وسلم : وربك يامحمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه ، ما هو فى سابق علمه أنه خيرتهم ، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم ، فكذلك اختيارى لنفسى ، واجتبائى لولايتى ، واصطفائى لخدمتى وطاعتى ، خيارَ مملكتى وخلقى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ) قال : كانوا يجعلون خَيْر أموالهم لآلهتهم فى الجاهلية . فإذا كان معنى ذلك كذلك ، فلاشكّ أن « ما » من قوله (وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ) : فى موضع نصب ، بوقوع يختار عليها ، وأنها بمعنى الذى .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما وصفت ، من أن « ما » اسم منصوب بوقوع قوله (يَخْتارُ) عليها ، فأين خبر كان ؟ فقد علمت أن ذلك إذا كان كما قلت ، أن فى كان ذِكْرا من ما ، ولا بدّ لكان إذا كان كذلك من تمام ، وأين التمام ؟ قيل : إن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها أحيانا ، أخبارا ، كفعلها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها ، ذكر الفرّاء أن القاسمَ بن مَعْن أنشده قول عنترة :

أمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ العَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ كانَ ذا مِنْكِ قبلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ[1]

فرفع معروفا بحرف الصفة ، وهو لاشكّ خبر لذا ، وذُكر أن المفضَّل أنشده ذلك :

* لوْ أنَّ ذا مِنْكَ قبلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ *

ومنه أيضا قول عمر بن أبى ربيعة :

---

(١) البيت من شعر عنترة بن عمرو بن شداد العبسى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ص ٣٩٤) والرواية فيه رواية المفضل ، التى أشار إليها المؤلف :

أمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ العَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ كانَ ذَا مِنكِ قبلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ

قال شارحه : سمية ، وقيل سمية : امرأة أبيه . روى صاحب الأغانى بسنده عن على بن سليمان الأخفش الأصغر : قال : أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، عن محمد بن حبيب ، قال أبو سعيد : وذكر ذلك أبوعمرو الشيبانى ، قالا : كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه ، حرشت عليه امرأة أبيه . وقالت إنه . . . . عن نفسى ، فغضب من ذلك شداد (شداد : أبوه فى بعض الروايات) غضبا شديدا . وضربه ضربا مبرحا ، وضربه بالسيف ، فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكفته عنه ؛ فلما رأت ما به من الجراح بكت . وقوله « مذروف » : من ذرفت عينه تذرف ذريفا ، وذرفانا : وهو قطر يكاد يتصل . وقوله « لو أن ذا منك قبيل اليوم معروف » : أى قد أنكرت هذا الحنو والإشفاق منك ؛ لأنه لو كان معروفا قبل ذلك لم ينكره . اهـ . وعلى هذه الرواية لاشاهد فى البيت . أما على رواية المؤلف ، وهى التى نقلها الفراء عن القاسم بن معن القاضى ، فإنه جعل قوله « لو كان ذا منك قبل اليوم معروف » برفع معروف على أنه خبر بعد الصفة . أى الجار والمجرور « منك » ، التى هى خبر عن ذا ، قال : لأن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها ، أخبارا ، كفعلها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها » . . . ثم أنشد البيت وقال : « فرفع معروفا بحرف الصفة وهو لاشك خبر لذا » . اهـ . قلت : وكأن مراده أن حرف الصفة موضوع موضع ضمير مبتدأ ، ومعروف : خبره ، وكأنه قال : لو كان ذا هو معروف ، أو نحو ذلك . وفى هذا التعبير من التعسف ما فيه . ولو قال إن « معروف » خبر عن مبتدأ محذوف تقديره : هو منك معروف ، والجملة خبر كان ، لكان أوضح تعبيرا . ولم أجد البيت ولا توجيه إعرابه فى معانى القرآن للفراء .

قُلْتُ أجِيبِى عاشِقا بِحُبِّكُمْ مُكَلَّفُ
فِيها ثَلاث كالدُّمَى وكاعِبٌ ومُسْلِفُ[1]

فمكلَّف من نعت عاشق ، وقد رفعه بحرف الصفة ، وهو الباء ، فى أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد ، فكذلك قوله (وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيرَةُ) رُفعت الخِيَرة بالصفة ، وهى لهم ، وإن كانت خبرا لما ، لما جاءت بعد الصفة ، ووقعت الصفة موقع الخبر ، فصار كقول القائل : كان عمرو أبوه قائم ، لاشكّ أن قائما لو كان مكان الأب ، وكان الأب هو المتأخر بعده ، كان منصوبا ، فكذلك وجه رفع الخِيَرة ، وهو خبر لما .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن تكون « ما » فى هذا الموضع جَحْدا ، ويكون معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار ما يشاء أن يختاره ، فيكون قوله (ويَخْتارُ) نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ، ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى : لم تكن لهم الخيرة : أى لم يكن للخلق الخِيَرة ، وإنما الخِيَرة لله وحده؟

قيل : هذا قول لايخفى فساده على ذى حجا ، من وجوه ، لو لم يكن بخلافه لأهل التأويل قول ، فكيف والتأويل عمن ذكرنا بخلافه ، فأما أحد وجوه فساده ، فهو أن قوله (ما كانَ لَهُمُ الخيرَةُ) لو كان كما ظنه من ظنه ، من أن « ما » بمعنى الجحد ، على نحو التأويل الذى ذكرت ، كان إنما جحد تعالى ذكره ، أن تكون لهم الخِيَرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية ، فأما فيما يستقبلونه فلهم الخِيَرة ، لأن قول القائل : ما كان لك هذا ، لاشكّ إنما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى . وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل ، وذلك من الكلام لاشكّ خُلْف ، لأن ما لم يكن للخلق من ذلك قديما ، فليس ذلك لهم أبدا . وبعد ، لو أريد ذلك المعنى ، لكان الكلام : فليس . وقيل : وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ليس لهم الخيرة ، ليكون نفيا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبلُ وفيما بعد .

والثانى : أن كتاب الله أبين البيان ، وأوضح الكلام ، ومحال أن يوجد فيه شىء غير مفهوم المعنى ، وغير جائز فى الكلام أن يقال ابتداء : ما كان لفلان الخِيَرة ، ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضى ذلك ، فكذلك قوله « وَيَخْتارُ ، ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ) ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد ، أنه ادّعى أنه كان له الخِيَرة ، فيقال له : ما كان لك الخِيَرة ، وإنما جرى قبله الخبر عما هو صائر إليه أمر من تاب من شركه ، وآمن وعمل صالحا ، وأتبع ذلك جلّ ثناؤه الخبر عن سبب إيمان من آمن وعمل صالحا منهم ، وأن ذلك إنما هو لاختياره إياه للإيمان ، وللسابق من علمه فيه اهتدى . ويزيد ماقلنا من ذلك إبانة قوله (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ

---

(١) البيتان لعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى شاعر الغزل زمن بنى أمية ، كما قال المؤلف . ومكلف : من الكلف بالشىء ، وهو الحب والولوع بالشىء ، كلف بالشىء كلفا وكلفة ، فهو كلف ومكلف : لهج به . وثلاث : أى جوار أو نساء . والدمى : جمع دمية ، وهى التمثال من العاج أو الرخام أو نحوهما . والكاعب : الفتاة التى تكعب ثديها وبرز . والمسلف : قال فى (اللسان : سلف) : المسلف من النساء : النصف . وقيل : هى التى بلغت خمسا وأربعين ونحوها ، وهو وصف خص به الإناث ، قال عمر بن أبى ربيعة « فيها ثلاث . . . الخ البيت » . ومحل الشاهد فى البيت : أن قوله مكلف بالرفع ، على أنه خبر ، لأنه وقع بعد حرف الجر الذى وضع موضع المبتدأ ، كأنه قال : أجيبى عاشقا هو مكلف . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله من قول عنترة « لو كان ذا منك قبل اليوم معرف » . اهـ .

ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر ، ويصطفى لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة ، والعلانية الرضية .

والثالث : أن معنى الخِيَرة فى هذا الموضع : إنما هو الخِيْرة ، وهو الشىء الذى يختار ، من البهائم والأنعام والرجال والنساء ، يقال منه : أُعْطِى الخِيَرَة والخِيرَة ، مثل الطِّيَرَة والطِّيْرَة ، وليس بالاختيار ، وإذا كانت الخِيَرة ماوصفنا ، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال : وربك يخلق مايشاء ، ويختار ما يشاء ، لم يكن لهم خَيْرٌ بهيمة أو خير طعام ، أو خير رجل أو امرأة .

فإن قال فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر ؟ قيل : لا ، وذلك أنها إذا كانت مصدرا كان معنى الكلام : وربك يخلق مايشاء ويختار كون الخِيَرة لهم . وإذا كان ذلك معناه ، وجب أن لاتكون الشرار لهم ، من البهائم والأنعام ؛ وإذا لم يكن لهم شرار ذلك ، وجب ألاّ يكون لها مالك ، وذلك ما لايخفى خطؤه ، لأن لخيارها ولشرارها أربابا ، يملكونها بتمليك الله إياهم ذلك ، وفى كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك إلى معنى المصدر .

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره ، تنزيها لله وتبرئة له ، وعلوّا عما أضاف إليه المشركون من الشرك ، وما تخرّصوه من الكذب والباطل عليه . وتأويل الكلام : سبحان الله وتعالى عن شركهم . وقد كان بعض أهل العربية يوجهه إلى أنه بمعنى : وتعالى عن الذى يشركون به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُ الْحُكْمُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : وربك يامحمد يعلم ما تخفى صدور خلقه ، وهو من أكننت الشىء فى صدرى : إذا أضمرته فيه ، وكننت الشىء : إذا صُنْته . وما يعلنون : يقول : وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم .

وإنما يعنى بذلك أن اختياره من يختار منهم للإيمان به ، على علم منه بسرائر أمورهم وبواديها ، وأنه يختار للخير أهله ، فيوفقهم له ، ويولّى الشرّ أهله ، ويخلّيهم وإياه . وقوله (وَهُوَ اللهُ لاإِلَـهَ إلاَّ هُوَ) يقول تعالى ذكره : وربك يامحمد المعبود ، الذى لاتصلح العبادة إلا له ، ولا معبود تجوز عبادته غيرُه (لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولى) يعنى فى الدنيا والآخرة (وَلَهُ الحُكْمُ) يقول : وله القضاء بين خلقه (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردّون من بعد مماتكم ، فيقضى بينكم بالحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ؟ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ؟ (٧١)

⁂ يقول تعالى ذكره: قل يامحمد لهؤلاء المشركين بالله : أيها القوم ،أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل دائما، لانهار إلى يوم القيامة يعقبه . والعرب تقول لكلّ ما كان متصلا لاينقطع ،من رخاء أوبلاء أونعمة : هوسَرْمَد.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (سَرْمَدًا) : دائما لاينقطع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) يقول : دائما .

وقوله (مَنْ إلَهٌ غَيرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ ؟) يقول: مَنْ معبود غير المعبود الذى له عبادة كل شىء يأتيكم بضياء النهار ؟ فتستضيئون به (أفَلا تَسْمَعُونَ) يقول: أفلا تُرْعُون ذلك سمعكم ، وتفكرون فيه فتتعظون ، وتعلمون أن ربكم هو الذى يأتى بالليل، ويذهب بالنهار إذا شاء،وإذا شاء أتى بالنهار ،وذهب بالليل ، فينعم باختلافهما كذلك عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ، مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ (٧٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لمشركى قومك (أرأيْتُمْ) أيها القوم (إنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَدًا) دائما لاليل معه أبدا (إلى يَوْمِ القِيامَةِ ،مَنْ إلَهٌ غيرُ اللهِ)؟ من معبود غير المعبود الذى له عبادة كلّ شىء (يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ؟) فتستقرّون وتهدءون فيه . (أفَلا تُبْصِرُونَ؟) يقول: أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهارعليكم،رحمة من الله لكم ،وحجة منه عليكم ، فتعلموا بذلك أن العبادة لاتصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك ، دون غيره ، ولمن له القُدرة التى خالف بها بين ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)

⁂ يقول تعالى ذكره: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ) بكم أيها الناس (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ) ،فخالف بينهما ،

فجعل هذا الليل ظلاما (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) وتهدءوا وتستقرّوا، لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرّف الذى تتصرّفون نهارا لمعايشكم، وفى الهاء التى فى قوله (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) وَجْهانِ: أحدهما: أن تكون من ذكر الليل خاصة، ويضمر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى. والثانى: أن تكون من ذكر الليل والنهار، فيكون وجه توحيدها وهى لهما، وجه توحيد العرب فى قولهم: إقبالك وإدبارك يؤذينى، لأن الإقبال والإدبار فعل، والفعل يُوَحَّد كثيره وقليله، وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه، فتتصرّفون بأبصاركم فيه لمعايشكم، وابتغاء رزقه الذى قسمه بينكم، بفضله الذى تفضل عليكم.

وقوله (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول تعالى ذكره: ولتشكروه على إنعامه عليكم بذلك، فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر، وتخلصوا له الحمد، لأنه لم يَشْرَكه فى إنعامه عليكم بذلك شريك، فلذلك ينبغى ألا يكون له شريك فى الحمد عليه.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ؟ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا، فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ، فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ، وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)

يعنى تعالى ذكره: ويوم ينادى ربك يامحمد هؤلاء المشركين، فيقول لهم: (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) أيها القوم فى الدنيا أنهم شركائى؟

وقوله (وَنَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وأحضرنا من كلّ جماعة شهيدها، وهو نبيها الذى يشهد عليها بما أجابته أمته، فيما أتاهم به عن الله من الرسالة. وقيل: ونزعنا من قوله: نَزَعَ فلان بحجة كذا، بمعنى: أحضرها وأخرجها.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَنَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشهيدُها: نبيها، يشهد عليها أنه قد بلّغ رسالة ربه.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدّثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وَنَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) قال: رسولا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، بنحوه.

وقوله (فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ): يقول: فقلنا لأمة كلّ نبىّ منهم، التى ردّت نصيحته، وكذّبت بما جاءها به من عند ربهم، إذ شهد نبيها عليها، بإبلاغه إياها رسالة الله (هاتُوا بُرْهانَكُمْ): يقول: فقال لهم: هاتوا حُجتكم على إشراككم بالله ما كنتم تشركون، مع إعذار الله إليكم، بالرسل[1] وإقامته عليكم بالحجج.

(١) فى الأصل: للرسل، باللام.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ) أى بينتكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ) قال : حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ) قال : حُجتكم بما كنتم تعبدون .

وقوله (فَعَلِمُوا أنَّ الحَقَّ لِلهِ) يقول : فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم ، وأن الحقّ لله ، والصدق خبره ، فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : واضمحلّ ، فذهب الذى كانوا يُشركون بالله فى الدنيا ، وما كانوا يتخرّصون ، ويكذبون على ربهم ، فلم ينفعهم هنالك ، بل ضرّهم ، وأصلاهم نار جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

* إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ، وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ، إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ (٧٦)

⁂ يقول تعالى ذكره (إنَّ قارُونَ) وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) يقول : كان من عشيرة موسى بن عمران النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه . وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث ، وموسى : هو موسى بن عمران بن قاهث ، كذا نسبه ابن جُرَيج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : ابن عمه : ابن أخى أبيه ، فإن قارون بن يصفر ، هكذا قال القاسم ، وإنما هو يصهر بن قاهث ، وموسى بن عومر بن قاهث ، وعومر بالعربية : عمران .

وأما ابن إسحاق فإن ابن حميد حدثنا ، قال : ثنا سلمة عنه ، أن يصهر بن قاهث تزوّج « سميت » بنت بتاويت بن بركنابن بقشان بن إبراهيم ، فولدت له عمران بن يصهر ، وقارون بن يصهر ، فنكح عمران « بخنت » ، بنت شمويل بن بركنا بن بقشان بن بركنا ، فولدت له هارون بن عمران ، وموسى بن عمران ، صفىّ الله ونبيه ، فموسى على ماذكر ابن إسحاق ابن أخى قارون ، وقارون هو عمه ، أخو أبيه لأبيه ولأمه . وأكثر أهل العلم فى ذلك على ماقاله ابن جُرَيج .

(١) فى كتاب العرائس (قصص الأنبياء للثعلبى المفسر) : سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشعان بن إبراهيم . وفى صفحة ٢١٣ طبعة الحلبى : عن ابن إسحاق : تزوج يصهر بن قاهث « سمين بنت ماريب بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم » وفى أسماء العبرانين اختلاف كثير بين العلماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، في قوله (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) : قال : كان ابن عمّ موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) كنا نحدّث أنه كان ابن عمه أخي أبيه ، وكان يسمى المنوِّر من حُسن صوته بالتوراة ، ولكنّ عدوّ الله نافق ، كما نافق السامريّ ، فأهلكه البغي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال كان ابن عمه فبغى عليه .

قال : ثنا يحيى القطان ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عمّ موسى .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : كان ابن عمه .

حدثني بشر بن هلال الصوّاف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عمّ قارون .

وقوله (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) يقول : فتجاوز حدّه في الكبر والتجبُّر عليهم .

وكان بعضهم يقول : كان بغيه عليهم زيادة شِبْر أخذها في طول ثيابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن سعيد الكنديّ وأبو السائب وابن وكيع ، قالوا : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن شَهر بن حَوْشب (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) قال : زاد عليهم في الثياب شبرا .

وقال آخرون : كان بغيه عليهم بكثرة ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : إنما بغى عليهم بكثرة ماله .

وقوله (وآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ) يقول تعالى ذكره : وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إن مَفاتحه ، وهي جمع مِفْتح ، وهو الذي يفتح به الأبواب .

وقال بعضهم : عنى بالمفاتح في هذا الموضع : الخزائن لَتُثْقِل العصبة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا في معنى مفاتح

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن خيثمة ، قال : كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلا ، كلّ مِفتاح منها باب كنز معلوم ، مثل الأصبع من جلود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : كانت مفاتح كنوز قارون من

جلود كل مفتاح ، مثل الأصبع ، كل مفتاح على خزانة على حدة ، فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغرّ محجّل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن خيثمة ، فى قوله (ما إنّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولى القُوَّةِ) قال : نجد مكتوبا فى الإنجيل : مفاتح قارون وقْر ستين بغلا غُرّا مُحَجَّلة ، مايزيد كل مفتاح منها على أصبع ، لكل مفتاح منها كنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد ، قال : كانت المفاتح من جلود الإبل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ ماإنّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : مَفاتح من جلود كمفاتح العِيدان . وقال قوم : عنى بالمفاتح فى هذا الموضع : خزائنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، فى قوله (ما إنّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى حجير ، عن الضحاك (ما إنّ مَفاتِحَهُ) قال : أوعيته .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : لَتَثْقُل بالعصبة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) يقول : تَثْقُل . وأما العُصبة فإنها الجماعة .

واختلف أهل التأويل فى مبلغ عددها الذى أريد فى هذا الموضع . فأما مبلغ عدد العصبة ، فى كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه ، والرواية فى ذلك ، والشواهد على الصحيح من قولهم فى ذلك ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : كانت مفاتحه تنوء بعصبة ، مبلغ عددها أربعون رجلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، قوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : أربعون رجلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : ذُكِر لنا أن العُصْبة ما بين العشرة إلى الأربعين .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولى القُوَّةِ) يزعمون أن العصبة : أربعون رجلا ، ينقلون مفاتحه من كثرة عددها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولى القُوَّةِ) قال : أربعون رجلا .

وقال آخرون : ستون ، وقال : كانت مفاتحه تحمل على ستين بغلا .

حدثنا كذلك ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن خيثمة .

وقال آخرون : كانت تحمل على مابين ثلاثة إلى عشرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : العُصْبة : ثلاثة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : العصبة : ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وقال آخرون : كانت تحمل ما بين عشرة إلى خمسة عشر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : العُصبة : ما بين العشرة إلى الخمسة عَشَر .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : العصبة : خمسة عشر رجلا .

وقوله (أُولى القُوَّةِ) يعنى : أولى الشدّة .

وقال مجاهد فى ذلك ماحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أُولِى القُوَّةِ) قال : خمسة عَشَر .

فإن قال قائل : وكيف قيل (وآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) وكيف تنوء المفاتح بالعُصبة ، وإنما العصبة هى التى تنوء بها ؟ قيل : اختلف فى ذلك أهل العلم بكلام العرب ، فقال بعض أهل البصرة : مجاز ذلك : ما إن العصبة ذوى القوّة لتنوء بمفاتح نعمه . قال : ويقال فى الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هو تنوء بعجيزتها ، كما ينوء البعير بحِمْله ، قال : والعرب قد تفعل مثل هذا ، قال الشاعر :

فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمالى وَما آلُوكَ إلاَّ ما أُطِيقُ[1]

والمعنى : فديت بنفسى وبمالى نفسه . وقال آخر :

---

(١) البيت : من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن ، (الورقة ١٨٢ ب) عند تفسير قوله تعالى : « ما إن مفاتحه لتنوء » قال : أى مفاتح خزائنه . ومجازه : ما إن العصبة ذوى القوة لتنوء بمفاتح نعمه . يقال فى الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هى تنوء بعجيزتها ، كما ينوء البعير بحمله . والعرب قد تفعل مثل هذا ، قال : « فديت بنفسه نفسى . . . البيت » . والمعنى : فديت بنفسى ومالى =

وَتَرْكَبُ خَيْلاً لا هَوَادَةَ بَيْنَها وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الحُمْرِ[1]

وإنما تشقى الضياطرة بالرماح . قال : والخيل هاهنا : الرجال .

وقال آخر منهم (ما إنَّ مَفاتِحَهُ) قال : وهذا موضع لايكاد يبتدأ فيه « إن » ، وقد قال : إن الموت الذى تفرّون منه فإنه ملاقيكم . وقوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) إنما العصبة تنوء بها ؛ وفى الشعر :

تَنُوءُ بِها فَتُثْقِلُها عَجِيزَتُها[2]

وليست العجيرة تنوء بها ، ولكنها هى تنوء بالعجيزة ؛ وقال الأعشى :

ما كُنْتَ فِى الحَرْبِ العَوَانِ مُغَمَّرَا إذْ شَبَّ حَرٌّ وَقُودِها أجْذَالَها[3]

وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يُنكر هذا الذى قاله هذا القائل ، وابتداء إن بعد ما ، ويقول ذلك جائز مع ما ومن ،وهو مع ما ومَنْ أجود منه مع الذى ، لأن الذى لايعمل فى صلته ،ولا تعمل صلته فيه ، فلذلك جاز ، وصارت الجملة عائد ما ، إذ كانت لاتعمل فى « ما » ، ولا تعمل « ما » فيها ؛ قال : وحَسُن مع « ما » و « من » ، لأنهما يكونان بتأويل النكرة إن شئت ،والمعرفة إن شئت ، فتقول : ضربت رجلا ليقومنّ ، وضربت رجلا إنه لمحسن ، فتكون « مَنْ و ما » تأويل هذا ، ومع الذى أقبح ، لأنه لايكون بتأويل النكرة .

وقال آخر منهم فى قوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) : نَوْءُها بالعصبة : أن تُثْقلهم ،وقال المعنى : إن مفاتحه لَتُنِىءُ العصبة : تميلهن من ثقلها ، فإذا أدخلت الباء قلت تَنُوء بهم ، كما قال (آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) قال والمعنى : آتونى بقطر أفرغ عليه ؛ فإذا حُذفت الباء ،زدت على الفعل ألفا فى أوّله ، ومثله (فأجاءَها

= نفسه . وقوله « وما آلوك . . . الخ » هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . ومعناه : ما أستطيع . والعرب تقول : أتانى فلان فى حاجة فما استطعت رده . وأتانى فى حاجة فألوت فيها : أى اجتهدت . (اللسان : ألا يألو) .

قلت : وجعل المؤلف البيت فى القلب نظير الآية « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة » أى ما إن العصبة أولى القوة تنوء وتعجز عن حمله ، كما قال أبو عبيدة .

(١) البيت لخداش بن زهير (اللسان : ضطر) . والضياطرة : جمع ضيطر ، كالضيطرى والجمع : ضياطر وضياطرة . وهم العظماء من الرجال ؛ وفى كلام على عليه السلام : من يعذرنى مع هؤلاء الضياطرة ، وهم الضخام الذين لاغناء عندهم . قال فى اللسان : وقول خداش ابن زهير : « وتركب خيلا . . . البيت » : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشق بهم ، أى لأنهم لا يحسنون حملها ، ولا الطعن بها . (قلت : وعلى هذا التوجيه ، لا شاهد فى البيت) . ويجوز أن يكون على القلب ، أى تشق الضياطرة الحمر بالرماح ، يعنى أنهم يقتلون بها . والهوادة : المصالحة والموادعة . قلت : وعلى التوجيه الثانى من كلام ابن سيده ، يصح الاستشهاد بالبيت ، لما فيه من القلب . قال أبو عبيدة : وإنما يشقى الضياطرة بالرماح . اه . قلت وهو شاذ كالذى قبله .

(٢) لم أقف على هذا الشعر .

(٣) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٣١) وهو من قصيدة يمدح بها قيس ابن معد يكرب . والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة ثانية بعد الأولى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والمغمر : الذى لم يجرب الأمور . وشب النار : أوقدها . والأجذال : جمع جذل (بكسر الجيم ، وسكون الذال) وهو ماعظم من أصول الشجر المقطع ، يجعل حطبا ووقودا للنار . والبيت خطاب للممدوح يقول له الشاعر : أقسم بمن جعل الشهور علامة ومواقيت للناس (فى البيت الذى قبل البيت) أنك لم تكن فى الحرب الشديدة جاهلا بإدارتها على الأعداء ، حين أوقد حرها الأجذال والحطب . وقد جعل الشاعر الحر هو الذى أوقد الأجذال . وفى هذا قلب للمعنى ، والأصل : إذا شبت الأجذال حر الحرب . وعلى هذا القلب استشهد به المؤلف ، وهو كالشاهد ين قبله .

المَخاضُ) معناه : فجاء بها المخاض ؛ وقال : قد قال رجل من أهل العربية : ما إن العصبة تَنُوء بمفاتحه ، فحوّل الفعل إلى المفاتح ، كما قال الشاعر :

إنَّ سِرَاجا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهْ تَحْلَى بهِ العَيْنُ إذَا ما تَجْهَرَهْ[1]

وهو الذى يحلَى بالعين ، قال : فإن كان سمع أثرا بهذا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى ، قال : وأنشدنى بعض العرب :

حتى إذَا ما الْتَأَمَتْ مَوَاصِلُهْ وَنَاءَ فِى شِقِّ الشِّمَالِ كاهِلُهْ[2]

يعنى : الرامى لما أخذ القوس ، ونزع مال عليها . قال : ونرى أن قول العرب : ما ساءك ، وناءك من ذلك ، ومعناه : ما ساءك وأناءك من ذلك ، إلا أنه ألقى الألف لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما فهنأنى ومرأنى ، ومعناه : إذا أفردت وأمرأنى فحذفت منه الألف لما أتبع ما ليس فيه ألف .

وهذا القول الآخر فى تأويل قوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) : أولى بالصواب من الأقوال الأُخَر ، لمعنيين : أحدهما : أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل . والثانى : أن الآثار التى ذكرنا عن أهل التأويل : بنحو هذا المعنى جاءت ، وأن قول من قال : معنى ذلك : ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه ، إنما هو توجيه منهم إلى أن معناه : ما إن العصبة لتنهض بمفاتحه ؛ وإذا وجه إلى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه ، على نحو مافيه ، إذا وجه إلى أن معناه : إن مفاتحه تثقل العصبة وتميلها ، لأنه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتح وبالكثير ؛ وإنما قصد جلّ ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك ، وإذا أريد به الخبر عن كثرته ، كان لاشكّ أن الذى قاله من ذكرنا قوله ، من أن معناه : لتنوء العصبة بمفاتحه ، قول لامعنى له ، هذا مع خلافه تأويل السلف فى ذلك .

---

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٤٢) وقد تقدم الاستشهاد به فى (٢ : ٨١) من هذا التفسير ، على مثل ما استشهد به هنا ، مع أبيات أخر . وقلنا فى تفسيره هناك : جهرت فلانا العين تجهره : نظرت إليه فرأته عظيما ، فحلى هو فيها . هذا هو أصل المعنى ، ولكن الشاعر قلب المعنى . فجعل العين تحلى بالمرئى إذا رأته ، فهو كالشاهدين اللذين قبله .

وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) فى التعليق على قول الله تعالى : « ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبةأولى القوة» : ونوءها بالعصبة أن تثقلهم . والعصبة هاهنا : أربعون رجلا . ومفاتحه : خزائنه . والمعنى : ما إن مفاتحه لتنىء العصبة ، أى تميلهم من ثقلها ؛ فإذا دخلت الباء قلت : تنوء بهم ، كما قال : « آتونى أفرغ عليه قطرا » والمعنى : ائتونى بقطر أفرغ عليه . فإذا حذفت الباء رددت فى الفعل ألفا فى أوله . ومثله : فأجاءها المخاض . معناه : فجاء بها المخاض . وقد قال رجل من أهل العربية : إن المعنى : ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه ، فحول الفعل إلى المفاتح ، كما قال الشاعر : « إن سراجا . . . البيت » ، وهوالذى يحلى بالعين . فإن كان سمع بهذا أثرا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى . اهـ .

(٢) البيتان : مما أنشده بعض العرب الفراء (انظر معانى القرآن له ص ٢٤٢ ، واللسان : ناء) قال الفراء بعد الذى نقلناه من قوله فى الشاهد السابق : ولقد أنشدنى بعض العرب : * حتى إذا ما التأمت مواصله وناء فى شق الشمال كاهله *

يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع ، مال على شقه ، فذلك نوءه عليها . ونرى أن قول العرب « ما ساءك وناءك » : من ذلك ، ومعناه : ساءك وأناءك ، إلا أنه ألقى الألف ، لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما ، فهنأنى ومرأنى . ومعناه إذا أفردت : وأمرأنى ، فحذفت منه الألف ، لما أن أتبع مالا ألف فيه .

وقوله (إذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لاتَفْرَحْ ، إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) يقول : إذ قال قومه : لاتبغ ولا تَبْطَرْ فرحا ، إن الله لايحبّ من خلقه الأَشِرين البَطِرين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) يقول : المَرِحِين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن مجاهد ، فى قوله (لاتَفْرَحْ إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : المتبذِّخين الأَشِرين البَطِرين ، الذين لايشكرون الله على ما أعطاهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن جابر ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية (إن اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : الأَشِرين البَطِرين البَذِخين .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن مجاهد ، فى قوله (لاتَفْرَحْ إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : يعنى به البغى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لاتَفْرَحْ إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : المتبذِّخين الأشرين ، الذين لايشكرون الله فيما أعطاهم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : المتبذّخين .

حدثنا محمد بن عبد الله المُخَرِّمىّ ، قال : ثنى شَبَابة ، قال : ثنى ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لاتَفْرَحْ إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : الأشِرينَ البَطِرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، إذ قال له قومه (لاتَفْرَحْ) : أى لاتمرح (إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) : أى إن الله لايحبّ المَرِحين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (لاتَفْرَحْ إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : الأَشِرين البطرين ، الذين لايشكرون الله فيما أعطاهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن مجاهد ، فى قوله (إذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لاتَفْرَحْ ، إنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : هو فَرَح البَغْى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ، وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ، وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧)

⁂ يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل قوم قارون له : لاتبغ ياقارون على قومك، بكثرة مالك ، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة ، بالعمل فيها بطاعة الله فى الدنيا . وقوله (وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) يقول : ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا ، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة ، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا ، وأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إلَيْكَ) يقول : لاتترك أن تعمل لله فى الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن ابن عباس (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) قال : أن تعمل فيها لآخرتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن عون بن عبد الله (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) قال : إن قوما يضعونها على غير موضعها ، ولا تنس نصيبك من الدنيا، تعمل فيها بطاعة الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) قال : العمل بطاعته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : تعمل فى دنياك لآخرتك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) قال : العمل فيها بطاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان، عن عيسى الحُرَشِىّ ، عن مجاهد (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) قال : أن تعمل فى دنياك لآخرتك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن مجاهد ، قال : العمل بطاعة الله : نصيبه من الدنيا ، الذى يُثاب عليه فى الآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) قال : لاتنس أن تقدّم من دنياك لآخرتك ، فإنما تجد فى آخرتك ما قدّمت فى الدنيا ، فيما رزقك الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتترك أن تطلب فيها حَظَّك من الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) : قال الحسن : ما أحلّ الله لك منها ، فإن لك فيه غِنًى وكفاية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المَعْمَرِىّ ، عن مَعْمر ، عن قتادة : (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) قال : طَلَب الحلال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن الحسن (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) : قال : قدِّم الفضل ، وأمسك ما يبلغك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : الحلال فيها .

وقوله (وأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ) يقول : وأحسن فى الدنيا إنفاق مالك الذى آتاكه الله ، فى وجوهه وسُبله ، كما أحسن الله إليك ، فوسع عليك منه ، وبسط لك فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ) قال : أحسن فيما رزقك الله (وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ) يقول : ولا تلتمس ما حرّم الله عليك من البغى على قومك (إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ) يقول : إن الله لا يحبّ بُغاة البغى والمعاصى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِى ، أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ، وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : قال قارون لقومه الذين وعظوه : إنما أوتيتُ هذه الكنوز على فضل علم عندى ، علمه الله منى ، فرضى بذلك عنى ، وفضلنى بهذا المال عليكم ، لعلمه بفضلى عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى) قال : على خير عندى .

قال : حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى) قال : لولا رضا الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى هذا ، وقرأ (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وأَكْثَرُ جَمْعًا) . . . الآية .

وقد قيل : إن معنى قوله (عِنْدِى) بمعنى : أرَى ، كأنه قال : إنما أوتيته لفضل علمى فيما أرَى .

وقوله (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) يقول جلّ ثناؤه : أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أُوتِي الكنوز لفضل علم عنده ، علمته أنا منه ، فاستحقّ بذلك أن يُؤتى ما أُوتى من الكنوز ، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشدّ منه بطشا ، وأكثر جمعا للأموال ؛ ولو كان الله يؤتى الأموال من يؤتيه لفضل فيه ، وخير عنده ، ولرضاه عنه ، لم يكن يُهلك من أهلك من أرباب الأموال ، الذين كانوا أكثر منه مالا ، لأن من كان الله عنه راضيا ، فمحال أن يهلكه الله ، وهو عنه راض ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطا .

وقوله (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قيل : إن معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر ، عن قتادة (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال : يُدْخَلون النار بغير حساب . وقيل : معنى ذلك : أن الملائكة لاتسأل عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) كقوله (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) زُرقا سُود الوجوه ، والملائكة لاتسأل عنهم ، قد عرفتهم . وقيل : معنى ذلك : ولا يُسئل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون : فيمَ أُهلكوا ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال : عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا ، فالهاء والميم فى قوله (عَنْ ذُنُوبِهِمُ) على هذا التأويل : لمن الذى فى قوله (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً) وعلى التأويل الأوّل الذى قاله مجاهد وقتادة للمجرمين ، وهى بأن تكون من ذكر المجرمين أولى ، لأن الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غيرَ من أذنب ، لامؤمن ولا كافر . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لامعنى لخصوص المجرمين ، لو كانت الهاء والميم اللتان فى قوله (عَنْ ذُنُوبِهِمُ) لمن الذى فى قوله (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً) من دون المؤمنين ، يعنى لأنه غير مسئول عن ذلك مؤمنٌ ولا كافر ، إلا الذين ركبوه واكتسبوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ! إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : فخرج قارون على قومه فى زينته ، وهى فيما ذكر ثياب الأُرْجُوان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن أبى الزبير ، عن جابر (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى القِرْمز .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى ثياب حُمْر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : على بَراذين بِيض ، عليها سروج الأُرْجُوان ، عليهم المعصفرات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : عليه ثوبان مُعَصْفران .

وقال ابن جُرَيج : على بغلة شهباء عليها الأُرجوان ، وثلاثمِئة جارية على البغال الشُّهْب ، عليهن ثياب حمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ويحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى ثياب حُمر وصُفر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، أنه سمع إبراهيم النخَعِىّ ، قال فى هذه الآية (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى ثياب حمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم النخعىّ ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا محمد بن عمرو بن علىّ المقدمى ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، قال : دخلنا على مالك بن دينار عشية ، وإذا هو فى ذكر قارون ، قال : وإذا رجل من جيرانه عليه ثياب مُعَصفرة ، قال : فقال مالك : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى ثياب مثل ثياب هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) : ذُكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة ، عليهم وعلى دوابهم الأُرجُوان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : خرج فى سبعين ألفا ، عليهم المعصفرات ، فيما كان أبى يذكر لنا (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ !) يقول تعالى ذكره : قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون : يا ليتنا أُعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها ! (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) يقول : إن قارون لذو نصيب من الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ، وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا الصَّٰبِرُونَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : وقال الذين أوتو العلم بالله ، حين رأوا قارون خارجا عليهم فى زينته ، للذين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون : ويْلَكُمْ اتقوا الله وأطيعوه ، فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله ، وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال فى الآخرة ، خيرٌ مما أُوتى قارون من زينته وماله لقارون . وقوله (وَلا يُلَقَّاها إلاَّ الصَّابِرُونَ) يقول : ولا يلقَّاها : أى ولا يوفَّق لقيل هذه الكلمة ، وهى قوله (ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا) والهاء والألف : كناية عن الكلمة . وقال (إلاَّ الصَّابِرُونَ) يعنى بذلك : الذين صَبَروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثَروا ماعند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال ، على لذّات الدنيا وشهواتها ، فجدّوا فى طاعة الله ، ورفضوا الحياة الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره : فخسفنا بقارون وأهل داره . وقيل : وبداره ، لأنه ذُكِر أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه ، وأخذ من كان معه من جلسائه فى داره ، وكانوا جماعة جلُوسا معه ، وهم على مثل الذى هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبدالله ابن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى ، فصالحه على كلّ ألف دينار دينارا ، وكلّ ألف شىء شيئا ، أو قال : وكلّ ألف شاة شاة ، « الطبرىّ يشكّ » ، قال : ثم أتى بيته فحَسَبه ، فوجده كثيرا ، فجمع بنى إسرائيل ، فقال : يابنى إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شىء فأطعتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم ، فقالوا : أنت كبيرنا ، وأنت سيدنا ، فمرنا بما شئت ، فقال : آمركم أن تجيئوا بفلانة البغىّ ، فتجعلوا لها جُعْلا ، فتقذفه بنفسها ، فدَعوَها ، فجَعَل لها جُعْلا على أن تقذفه بنفسها ، ثم أتى موسى ، فقال لموسى : إن بنى إسرائيل قد اجتمعوا ، لتأمرهم ولتنهاهم ، فخرج إليهم وهم فى بَرَاح من الأرض ، فقال : يا بنى إسرائيل من سَرَق قطعنا يده ، ومن افترى جَلَدناه ، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة ، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت ، أو رَجَمناه حتى يموت « الطبرىّ يشكّ » ، فقال له

قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا ، قال : فإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة . قال : ادعوها ، فإن قالت ، فهو كما قالت ؛ فلما جاءت قال لها موسى : يافلانة ، قالت : يالَبَّيك ، قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا ، ولكن جعلوا لى جُعْلا على أن أقذفك بنفسى ، فوثب ، فسجد وهو بينهم ، فأوحى الله إليه : مُرِ الأرض بما شئت ، قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى حِقْيهم[1] ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ قال : فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، ويتضرّعون إليه ، قال : يا أرض خذيهم ، فانطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : ياموسى ، يقول لك عبادى : ياموسى ، ياموسى ، فلا ترحمهم ؟ أما لو إياى دَعَوا ، لوجدونى قريبا مجيبا ؛ قال : فذلك قول الله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) وكانت زينته أنه خرج على دوابّ شُقْر عليها سُروج حُمْر ، عليهم ثياب مُصَبَّغة بالبَهْرَمان[2] (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) . . . إلى قوله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) يا محمد (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : لما أمر الله موسى بالزكاة ، قال : رَمَوه بالزنا ، فجزع من ذلك ، فأرسلوا إلى امرأة كانت قد أعطوها حكمها ، على أن ترميه بنفسها ؛ فلما جاءت عظم عليها ، وسألها بالذى فلق البحر لبنى إسرائيل ، وأنزل التوراة على موسى إلا صَدَقت . قالت : إذ قد استحلفتنى ، فإنى أشهد أنك برئ ، وأنك رسول الله ، فخرّ ساجدا يبكى ، فأوحى الله تبارك وتعالى : مايبكيك ؟ قد سلطناك على الأرض ، فمرها بما شئت ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ماشاء الله ، فقالوا : ياموسى ياموسى ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ماشاء الله ، فقالوا يا موسى ياموسى ، فخسفنهم . قال : وأصاب بنى إسرائيل بعد ذلك شدّة وجوع شديد ، فأتَوا موسى ، فقالوا : ادع لنا ربك ؛ قال : فدعا لهم ، فأوحى الله إليه : ياموسى ، أتكلمنى فى قوم قد أظلم مابينى وبينهم خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ، أما إيّاى لو دَعَوا لأجبتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) قال : قيل للأرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعقابهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى أحْقائهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فَخَسَفَ بهم ، فذلك قوله (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علىّ بن هاشم بن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضى فى ناحية بنى إسرائيل ، وقارون فى ناحية ، قال : فدعا بَغِيَّة كانت فى بنى إسرائيل ، فجعل لها جُعْلا على أن ترمى موسى بنفسها ، فتركته إذا كان يوم تجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى ، أتاه قارون

(١) الحقو : مقعد الإزار . جمعه : أحق ، وأحقاء ، وحقى (بشد الياء) وحقاء (اللسان حقا) .

(٢) البهرمان ، بفتح الياء والراء : العصفر أوضرب منه (اللسان : بهرم) .

فقال : ياموسى ما حدّ من سرق ؟ قال : أن تنقطع يده ، قال : وإن كنتَ أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فما حدّ مَن زنى ؟ قال : أن يُرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فإنك قد فعلت ، قال : وَيْلَك بمن ؟ قال : بفلانة ، فدعاها موسى ، فقال : أنْشُدك بالذى أنزل التوراة ، أَصَدقَ قارون ؟ قالت : اللهمّ إذ نَشَدْتنى ، فانى أشهد أنك برىء ، وأنك رسول الله ، وأن عدوّ الله قارون جعل لى جُعلا على أن أرمِيَك بنفسى ؛ قال : فوثب موسى ، فخرّ ساجدا لله ، فأوحى الله إليه : أنِ ارفعْ رأسك ، فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : يا أرضُ خذيهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الحقْو ، قال : يا موسى ؛ قال : خذيهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذيهم ، قال : فذهبوا . قال فأوحى الله إليه ياموسى : استغاث بك فلم تغثه ، أما لو استغاث بى لأجبته ولأغثته .

حدثنا بشر بن هلال الصوّاف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضبعىّ ، قال : ثنا علىّ بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من الدار ، ودخل المقصورة ؛ فلما خرج منها ، جلس وتساند عليها ، وجلسنا إليه ، فذكر سليمانَ بن داود (وَقالَ يا أيُّها المَلأُ أيُّكُمْ يَأْتِينِى بعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ) . . . إلى قوله (إنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ) ثم سكت عن ذكر سليمان ، فقال (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) وكان قد أوتى من الكنوز ماذكر الله فى كتابه (ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالْعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ) ، (قالَ إنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِى) قال : وعادى موسى ، وكان مؤذيا له ، وكان موسى يصفح عنه ويعفو ، للقرابة ، حتى بنى دارا ، وجعل باب داره من ذهب ، وضرب على جدرانه صفائح الذهب ، وكان الملأ من بنى إسرائيل يَغْدُون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ، ويحدّثونه ويضحكونه ، فلم تدعْه شقوته والبلاء ، حتى أرسل إلى امرأة من بنى إسرائيل مشهورة بالخَنَا ، مشهورة بالسَّبّ ، فأرسل إليها فجاءته ، فقال لها : هل لك أن أُموِّلك وأعطيَك ، وأخلطَك فى نسائى ، على أن تأتينى والملأ من بنى إسرائيل عندى ، فتقولى : يا قارون : ألا تنهى عنّى موسى ، قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاء الملأ من بنى إسرائيل ، أرسل إليها ، فجاءت فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدث لها توبة ، فقالت فى نفسها : لأَنْ أُحْدِث اليوم توبة ، أفضل من أن أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذّب عدوّ الله له . فقالت : إن قارون قال لى : هل لك أن أموِّلك وأعطيَك ، وأخلِطك بنسائى ، على أن تأتينى والملأ من بنى إسرائيل عندى ، فتقولى : ياقارون ألاَ تنهى عنى موسى ، فلم أجد توبة أفضل من أن لاأُوذِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذِّب عدوّ الله ؛ فلما تكلمت بهذا الكلام ، سُقِط فى يدى قارون ، ونكَّس رأسه ، وسكت الملأ ، وعرف أنه قد وَقَع فى هلَكة ، وشاع كلامها فى الناس ، حتى بلغ موسى ؛ فلما بلغ موسى اشتدّ غضبه ، فتوضأ من الماء ، وصلّى وبكى ، وقال : يا ربّ عدوّك لى مؤذ ، أراد فضيحتى وشَيْنى ، يا ربّ سلطنى عليه ، فأوحى الله إليه أن مُرِ الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه ، عرف الشرّ فى وجه موسى له ، فقال : ياموسى ارحمنى ؛ قال : يا أرض خذيهم ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : ياموسى ، فأخذتهم إلى رُكَبهم ، وهو يتضرّع

إلى موسى : ياموسى ارحمنى ؛ قال : يا أرض خذيهم ، قال : فاضطربت داره وساخت ، وخُسف بقارون وأصحابه إلى سُرَرِهم ، وهو يتضرّع إلى موسى : يا موسى ارحمنى ؛ قال : يا أرض خذيهم ، فخُسِف به وبداره وأصحابه . قال : وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم : ياموسى ما أفظّك . أما وعزّتى لو إيايَ نادى لأجبته

حدثنى بشر بن هلال ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبى عِمران الجَوْنىّ ، قال : بلغنى أنه قيل لموسى : لاأُعَبِّدُ الأرض لأحد بعدك أبدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، وعبد الحميد الحِمّانى ، عن سفيان ، عن الأغرّ بن الصباح ، عن خليفة بن حُصين ، قال عبد الحميد ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس ، ولم يذكر ابن مهدى أبا نصر (فَخَسَفنا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) قال : الأرض السابعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : بلغنا أنه يخسف به كلّ يوم مِئَة قامة ، ولا يبلغ أسفل الأرض إلى يوم القيامة ، فهو يتجَلْجَل فيها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حبان ، عن جعفر بن سليمان ، قال : سمعت مالك بن دينار ، قال : بلغنى أن قارون يُخْسَف به كلّ يوم مِئَة قامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) ذُكر لنا أنه يُخسَف به كلّ يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها ، لايبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

وقوله (فَمَا كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : فلم يكن له جند يرجع إليهم ، ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه ، بل تبرّءوا منه (وَما كانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ) يقول : ولا كان هو ممن ينتصر من الله إذا أحلّ به نقمته ، فيمتنع لقوّته منها .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَمَا كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ) أى جند ينصرونه ، وما عنده منعة يمتنع بها من الله .

وقد بيّنا معنى الفئة فيما مضى ، وأنها الجماعة من الناس ، وأصلها الجماعة التى يفىء إليها الرجل عند الحاجة إليهم ، للعون على العدوّ ، ثم تستعمل ذلك العرب فى كلّ جماعة كانت عونا للرجل ، وظَهْرا له ؛ ومنه قول خفاف :

فَلَمْ أرَ مِثْلَهُمْ حَيًّا لَقاحاً ... وَجَدِّكَ بينَ نَاضِحَةٍ وَحَجْرِ
أشَدَّ على صُرُوفِ الدَّهْرِ آدا ... وأكبرَ منهُمُ فِئَةً بِصَبْرِ[1]

(١) البيتان من شعر خفاف بن ندبة ، وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٣ ب) قال عند قوله تعالى : « فما كان له من فئة » أى من أعوان وظهر ، قال : خفاف : فلم أر مثلهم حيا لقاحا . . . . البيتين » . وفى « (اللسان : لقح) : وحى لقاح : لم يدينوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصبهم فى الجاهلية سباء . وقال ثعلب : الحى اللقاح : مشتق من لقاح الناقة ، لأن الناقة إذا لقحت =

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ، لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ، وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس من الدنيا، وغناه وكثرة ماله ، وما بسط له منها بالأمس ، يعنى قبل أن ينزل به مانزل من سخط الله وعقابه ، يقولون : ويْكأنّ الله . . .

اختلف فى معنى (وَيْكَأَنَّ اللهَ) فأما قتادة ، فإنه رُوى عنه فى ذلك قولان :

أحدهما : ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عَثْمة ، قال: ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال فى قوله (وَيْكأنَّهُ) قال : ألم تر أنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيْكأَنَّهُ) : أوَ لا ترى أنه .

وحدثنى إسماعيل بن المتوكل الأشجعى ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنى معمر ، عن قتادة: (وَيْكأنَّهُ) قال : ألم ترَ أنه .

والقول الآخر : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيْكأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) قال : أو لم يعلم أن الله (وَيْكأنَّهُ) : أوَ لا يعلمُ أنه .

وتأوّل هذا التأويل الذى ذكرناه عن قتادة فى ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، واستشهد لصحة تأويله ذلك كذلك ، بقول الشاعر :

سألَتانِي الطَّلاقَ أنْ رَأَتانِي قَلَّ مالى ، قَدْ جِئْتُما بِنُكْرِ
وَيْكأنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْبَبْ وَمَن يفْتَقِرْ يعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[1]

= لم تطاوع الفحل . وناضحة بالضاد: لعله تحريف ناصحة ، وهى كما فى معجم البلدان : ماء لمعاوية بن حزن بنجد . وحجر (بفتح فسكون) : قصبة اليمامة . والآد والأيد : القوة . والفئة : الجماعة من الناس ، وهو من الكلمات الثنائية الوضع .

(١) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ٩٥ – ٩٧) وقبلهما بيت ثالث وهو :

تِلكَ عِرْسايَ تَنْطِقانِ عَلى عَمْـ ـدٍ إلى اليَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهُـتْرِ

والشاعر ينكر حال زوجيه معه ، بعد أن كبر وافتقر . وفى البيت الثانى : « أن رأتا مالى قليلا . . . الخ » والعرس : الزوجة . والهتر بفتح الهاء : مصدر هتره يهتره هترا من باب نصر : إذا مزق عرضه . وبكسر الهاء : الكذب ، والداهية ، والأمر العجب ، والسقط من الكلام ، والخطأ فيه . وبالضم : ذهاب العقل من كبر ، أو مرض ، أو حزن . والنكر : الأمر القبيح المنكر . والنشب : المال الأصيل، من الناطق والصامت . والشاهد فى قوله « ويكأن » فقد اختلف فيها البصريون والكوفيون : أهى كلمة واحدة أم كلمتان؟ فقال سيبويه : سألت الخليل عن قوله تعالى : « ويكأنه لايفلح الكافرون » وعن قوله « ويكأن الله » فزعم أنها : « وى » مفصولة من « كأن » . والمعنى على أن القوم انتبهوا ، فتكلموا على قدر علمهم ، أو نبهوا ، فقيل لهم : أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا؟ وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٤٣) : « ويكأن » . . . فى كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنع الله ؟ وأنشدنى : « ويكأن من يكن . . . البيت » . وأخبرنى شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك ، ويلك ؟ فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه أما ترينه وراء البيت . . . إلى آخر ما نقله عنه المؤلف . قلت : والذى قاله الخليل وسيبويه من حيث اللفظ أقرب إلى الصواب ، لأن الكلمة مركبة من ثلاثة أشياء : وى ، والكاف ، وأن . والذى قاله الفراء من جهة المعنى : حسن واضح .

وقال بعض نحوىّ الكوفة : « ويكأنّ » فى كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صُنع الله وإحسانه ، وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها : أين ابننا ، فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه : أما ترينه وراء البيت ؟ قال : وقد يَذْهَب بها بعض النحويين إلى أنها كلمتان ، يريد : وَيْكَ أنه ، كأنه أراد ويْلَك ، فحذف اللام ، فتجعل « أنّ » مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويْلَك اعلمْ أنه وراء البيت ، فأضمر « اعلم » . قال : ولم نجد العرب تُعْمِل الظنّ مضمرا ، ولا العلم وأشباهه فى « أنّ » ، وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين ، أو فى آخر الكلمة ، فلما أضمر جرى مجرى المتأخر ؛ ألا ترى أنه لايجوز فى الابتداء أن يقول : ياهذا ، أنك قائم ، ويا هذا أنْ قمت ، يريد : علمت ، أو اعلم ، أو ظننت ، أو أظنّ . وأما حذف اللام من قولك : ويْلَك حتى تصير : ويْك ، فقد تقوله العرب ، لكثرتها فى الكلام ، قال عنترة :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِى وأبْرَأَ سُقْمَهَا قَوْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أقْدِمِ[1]

قال : وقال آخرون : إن معنى قوله (وَيْكأنّ) : « وى » منفصلة من كأنّ ، كقولك للرجل : وَىْ أما ترى ما بين يديك ؟ فقال : « وى » ثم استأنف ، كأن الله يبسط الرزق ، وهى تعجب ، وكأنّ فى معنى الظنّ والعلم ، فهذا وجه يستقيم . قال : ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة ، وقد يجوز أن تكون كُثِّر بها الكلام ، فوُصِلت بما ليست منه .

وقال آخرمنهم : إن « وَىْ » : تنبيه ، وكأن حرف آخر غيره ، بمعنى : لعلّ الأمر كذا ، وأظنّ الأمر كذا ، لأن كأنّ بمنزلة أظنّ وأحسب وأعلم .

☆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة : القول الذى ذكرنا عن قَتادة ، من أن معناه : ألم تَرَ ، ألم تعلَمْ ، للشاهد الذى ذكرنا فيه من قول الشاعر ، والرواية عن العرب ؛ وأنّ « ويكأنّ » فى خطّ المصحف حرف واحد. ومتى وجه ذلك إلى غير التأويل الذى ذكرنا عن قَتادة ، فإنه يصير حرفين ، وذلك أنه إن وجه إلى قول من تأوّله بمعنى : وَيْلَك اعلم أن الله ، وجب أن يفصل « وَيْكَ » من « أنّ » ، وذلك خلاف خطّ جميع المصاحف ، مع فساده فى العربية ، لما ذكرنا . وإن وُجِّه إلى قول من يقول : « وَىْ » بمعنى التنبيه ، ثم استأنف الكلام بكأن ، وجب أن يُفْصَل « وَىْ » من « كأن »[2] ، وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها .

فإذا كان ذلك حرفا واحدا ، فالصواب من التأويل : ما قاله قَتادة ، وإذ كان ذلك هو الصواب ، فتأويل الكلام : وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس ، يقولون لَمَّا عاينوا ما أحلّ الله به من

---

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسى ، من معلقته (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ص ٣٧٩) قال شارحه : يريد أن تعويل أصحابه عليه ، والتجاءهم إليه . شفى نفسه ، ونفى غمه . اهـ . ووى : كلمة يقولها المتعجب من شىء ، وهى بدائية ثنائية الوضع . لأنها من أسماء الأصوات ، ثم صارت اسم فعل ، وقد تدخلها كاف الخطاب ، وقد يزيدون عليها لاما ، فتصير ويل أو الحاء ، فتصير ويح ، وتستعمل الأولى فى الإنذار بالشر ، والثانية فى الإشعار بالرحمة ، فيقال ويلك ، وويحك ، وويسك ، ووىبك : مثل ويلك . وروايته البيت هنا كروايته فى معانى القرآن للفراء (ص ٢٤٣) فقد نقله فى كلامه الذى نقله المؤلف ، وذكر فيه هذا الشاهد . وفى مختار الشعر : قيل الفوارس : فى موضع : قول الفوارس ، وهما بمعنى .

(٢) قلت : العجب من المؤلف ، على إمامته وعلو كعبه فى العلم ، كيف يجعل رسم المصاحف دليلا على المعنى ، مع أن المصاحف مختلفة رسمها اختلافا بينا وليس لاختلاف المعانى أى دخل فى ذلك الرسم ، وإنما وجد إلى أسباب أخرى .

نقمته ، ألم تر ياهذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، فيوسّع عليه ، لالفضل منزلته عنده ، ولا لكرامته عليه ، كما كان بسط من ذلك لقارون ، لالفضله ولا لكرامته عليه (وَيَقْدِرُ) يقول : ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ، ويقتّر عليه ، لا لهوانه ، ولا لسُخْطه عمله .

وقوله (لَوْلا أنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا) يقول : لولا أن تفضل علينا ، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس . (لَخَسَفَ بِنا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى شيبة (لَخُسِفَ بِنا) بضم الخاء ، وكسر السين ، وذُكر عن شيبة والحسن (لَخَسَفَ بِنَا) بفتح الخاء والسين ، بمعنى : لخسف اللهُ بنا .

وقوله (وَيْكأنَّهُ لايُفْلِحُ الكافِرُونَ) يقول : ألم تعلم أنه لايفلح الكافرون ، فتُنْجِح طَلِباتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لايريدون تكبرا عن الحقّ فى الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا : يقول : ولا ظلم الناس بغير حقّ ، وعملا بمعاصى الله فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن زياد بن أبى زياد ، قال : سمعت عكرمة يقول (لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأرْض وَلا فَسادًا) قال : العلوّ : التجبّر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين (تِلكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأرْضِ وَلا فَسادًا) قال : العلوّ : التكبر فى الحقّ ، والفساد : الأخذ بغير الحقّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين (لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأرْضِ) قال : التكبر فى الأرض بغير الحقّ (وَلا فَسادًا) أخذ المال بغير حقّ .

قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأرْضِ) قال : البغى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأرْضِ) قال : تعظّما وتجبرا ، (ولا فسادا) : عملا بالمعاصى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أشعث السمان ، عن أبى سلمان الأعرج ، عن علىّ رضى الله عنه قال : إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه ، فيدخل فى قوله (تِلكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأرْضِ وَلا فَسادًا ، والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقوله (وَالعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : والجنة للمتقين ، وهم الذين اتقوا معاصى الله ، وأدّوا فرائضه .

وبنحو الذى قلنا فى معنى العاقبة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) أى الجنة للمتقين .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : من جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد ، فله خير ، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ، ومن جاء بالسيئة ، وهى الشرك بالله .

كما حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) : أى له منها حظّ خير ، والحسنة : الإخلاص ، والسيئة : الشرك .

وقد بيّنا ذلك باختلاف المختلفين ، ودللنا على الصواب من القول فيه .

وقوله (فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ) يقول : فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة (إلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : إلا جزاء ما كانوا يعملون .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ، قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذى أنزل عليك يامحمد القرآن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ) قال : الذى أعطاك القرآن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ) قال : الذى أعطاكه .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) فقال بعضهم : معناه : لَمُصَيِّرُكَ إلى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشر ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى معدِنِك من الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس ، قال : إلى الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن إبراهيم بن حبان ، سمعت أبا جعفر ، عن ابن عباس ، عن أبى سعيد الخدرىّ (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : معاده آخرته الجنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، فى (إِنَّ الَّذى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى الجنة ليسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، قال : الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى صالح (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى الجنة .

حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : يردّك إلى الجنة ، ثم يسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد ، قالا : إلى الجنة

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عكرِمة وعطاء ومجاهد وأبى قَزَعة والحسن ، قالوا : يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : يجىء بك يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن الحسن والزهرى ، قالا : معاده يوم القيامة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : يجىء بك يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عون ، عن الحسن ، فى قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : معادُك من الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : كان الحسن يقول : إىْ والله ، إن له لمعادا يبعثه الله يوم القيامة ، ويدخله الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : لرادّك إلى الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الزبيرى ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثورى ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت .

قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، عن سعيد (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى الموت .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ عمن سمع ابن عباس ، قال إلى الموت.

حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : إلى الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبَير فى قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عدىّ بن ثابت ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت ، أو إلى مكة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لرَادّك إلى الموضع الذى خرجت منه ، وهو مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان العصفرىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى مكة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إلىَ مَعادٍ) قال : يقول : لرادّك إلى مكة ، كما أخرجك منها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا يونس بن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، قال : مولده بمكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن يونس ابن أبى إسحاق ، قال : سمعت مجاهدا يقول : (لَرَادُّكَ إلىَ مَعَادٍ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن عمرو ، وهو ابن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبى ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن مجاهد أبى الحجاج ، فى قوله (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى مولده بمكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عيسى بن يونس ، عن أبيه ، عن مجاهد قال : إلى مولدك بمكة .

والصواب من القول فى ذلك عندى: قول من قال : لرادّك إلى عادتك من الموت ، أو إلى عادتك حيث وُلدت ، وذلك أن المعاد فى هذا الموضع : المَفْعَل من العادة ، ليس من العَوْد ، إلا أن يوجّه مُوَجِّه تأويل قوله (لَرَادُّكَ) لمصيرك ، فيتوجه حينئذ قوله (إلى مَعادٍ) إلى معنى العود ، ويكون تأويله : إن الذى فرض عليك القرآن لمُصَيِّرك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك .

فإن قال قائل : فهذه الوجوه التى وصفت فى ذلك قد فهمناها ، فما وجه تأويل من تأوّله بمعنى : لرادّك إلى الجنة ؟ قيل : ينبغى أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر ، وهو لمصيرك إلى أن تعود إلى الجنة .

فإن قال قائل : أوَ كان أُخرج من الجنة ، فيقالَ له : نحن نعيدك إليها ؟ قيل : لذلك وجهان : أحدهما : أنه إن كان أبوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها ، فكأن ولده بإخراج الله إياه منها ، قد أخرجوا منها ، فمن دخلها فكأنما يُرد إليها بعد الخروج . والثانى أن يُقال : إنه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أُسرى به ، كما رُوى عنه أنه قال : « دَخَلْتُ الجَنَّةَ ، فَرَأَيْتُ فِيها قَصْرًا ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا لِعُمَرَ بنِ الخطّابِ » ، ونحو ذلك من الأخبار التى رُويت عنه بذلك ، ثم رُدّ إلى الأرض ، فيقال له : إن الذى فرض عليك القرآن لرادّك لمصيرك إلى الموضع الذى خرجت منه من الجنة ، إلى أن تعود إليه ، فذلك إن شاء الله قول من قال ذلك .

وقوله (قُلْ رَبّى أعْلَمُ مَنْ جاءَ بالهُدَى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلالٍ مُبِين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : ربى أعلم مَن جاء بالهُدى الذى من سلكه نجا ، ومن هو فى جور عن قصد السبيل منا ومنكم . وقوله (مُبِينٌ) يعنى أنه يُبِين للمفكر الفهم إذا تأمّله وتدبّره ، أنه ضلال وجور عن الهدى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ، فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وما كنت ترجو يا محمد أن يُنَزّل عليك هذا القرآن ، فتعلم الأنباء والأخبار عن الماضين قبلك ، والحادثة بعدك ، مما لم يكن بعدُ ، مما لم تشهده ولا تشهده ، ثم تتلو ذلك على قومك من قريش ، إلا أن ربك رحمك ، فأنزله عليك ، فقوله (إلاّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) استثناء منقطع .

وقوله (فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكافِرِينَ) يقول : فاحمَدْ ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك ، بانزاله عليك هذا الكتاب ، ولا تكوننّ عونا لمن كفر بربك على كفره به . وقيل : إن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم . وإن معنى اللام : إن الذى فرض عليك القرآن ، فأنزله عليك ، وما كنت ترجو أن ينزل عليك ، فتكون نبيا قبلَ ذلك ، لرادّك إلى مَعاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ، وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : ولا يصرفنّك عن تبليغ آيات الله وحججه ، بعد أن أنزلها إليك ربك يامحمد ، هؤلاء المشركون ، بقولهم (لَوْلَا أُوتِىَ مِثْلَ مَا أُوتِىَ مُوسَىٰ) . وادع إلى ربك وبلغ رسالته إلى من أرسلك إليه بها . (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) يقول : ولا تتركنّ الدعاء إلى ربك ، وتبليغ المشركين رسالته ، فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه ، وخلافه أمره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : ولا تعبد يامحمد مع معبودك الذى له عبادة كلّ شىء معبودا آخر سواه . وقوله (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لامعبود تصلح له العبادة إلا الله ، الذى كلّ شىء هالك إلا وجهه .

واختلف فى معنى قوله (إِلَّا وَجْهَهُ) فقال بعضهم : معناه : كلّ شىء هالك إلا هو .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما أريد به وجهه ، واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العِبَادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ والعَمَلُ[1]

وقوله (لَهُ ٱلْحُكْمُ) يقول : له الحكم بين خلقه ، دون غيره ، ليس لأحد غيره معه فيهم حكم (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردّون من بعد مماتكم ، فيقضى بينكم بالعدل ، فيحازى مؤمنيكم جزاءهم ، وكفّاركم ما وعدهم .

آخر تفسير سورة القَصَص

تفسير سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)

(١) البيت : من الأبيات الخمسين التى استشهد بها سيبويه ولايعرف قائلها . وهو شاهد عند النحاة على أن أصله « أستغفر الله من ذنب » ثم أسقط الجار ، فاتصل المجرور بالفعل ، فنصب مفعولا به . واشتشهد به المؤلف هنا تبعا للفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ٢٤٤) قال : كل شىء هالك إلا وجهه : إلا هو . وقال الشاعر : « أستغفر الله . . . . البيت » أى أوجه عملى .

⁂ قال أبو جعفر : وقد بيّنا معنى قول الله تعالى ذكره (الم) وذكرنا أقوال أهل التأويل فى تأويله ، والذى هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا ، بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) فإن معناه : أظنّ الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم ، أن نتركهم بغير اختبار ، ولا ابتلاء امتحان ، بأن قالوا : آمنا بك يا محمد ، فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله ، كلا لنختبرهم ، ليتبين الصادق منهم من الكاذب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) قال : يُبْتَلَون فى أنفسهم وأموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) : أى لا يُبْتَلَون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد ، فى قوله (وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) قال : لا يُبْتَلَون .

فأنِ الأولى منصوبة بحسب ، والثانية منصوبة فى قول بعض أهل العربية ، بتعلق يتركوا بها ، وأن معنى الكلام على قوله (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) لأن يقولوا آمنا ؛ فلما حذفت اللام الخافضة من لِأَنْ ، نصبت على ما ذكرت . وأما على قول غيره فهى فى موضع خفض باضمار الخافض ، ولا تكاد العرب تقول تركت فلانا أن يذهب ، فتدخل أنْ فى الكلام ، وإنما تقول تركته يذهب ، وإنما أدخلت أن هاهنا لاكتفاء الكلام بقوله (أَنْ يُتْرَكُوا) إذ كان معناه : أحسب الناس أن يُتركوا وهم لا يفتنون ، من أجل أن يقولوا آمنا ، فكان قوله (أَنْ يُتْرَكُوا) مكتفية بوقوعها على الناس ، دون أخبارهم . وإن جعلت « أن » فى قوله (أَنْ يَقُولُوا) منصوبة بنية تكرير أحسب ، كان جائزا ، فيكون معنى الكلام : أحسب الناس أن يُتركوا : أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم ، ممن أرسلنا إليهم رسلنا ، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم ، وتمكيننا إياهم من أذاهم ، كموسى إذ أرسلناه إلى بنى إسرائيل ، فابتليناهم بفرعون وملئهم ، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بنى إسرائيل ، فابتلَينا من اتبعه بمن تولى عنه ، فكذلك ابتلينا أتباعك

بمخالفيك من أعدائك (فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) منهم فى قيلهم آمنا (وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ) منهم فى قيلهم ذلك ، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار ، وفى حال الاختبار ، وبعد الاختبار ، ولكن معنى ذلك : ولَيُظْهِرَنَّ الله صدق الصادق منهم فى قيله آمنا بالله ، من كَذِب الكاذب منهم ، بابتلائه إياه بعَدوّه ، ليعلم صدقَه من كذبه أولياؤُه ، على نحو ما قد بيَّناه فيما مضى قبلُ .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين عَذّبهم المشركون ، فُفتِن بعضهم ، وصَبَر بعضهم على أذاهم ، حتى أتاهم الله بفرج من عنده .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عبد الله بن عُبيد بن عُمير يقول : نزلت ، يعنى هذه الآية : (الم . أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنَّا) ... إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ) فى عمَّار بن ياسر ، إذ كان يُعَذَّب فى الله .

وقال آخرون : بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة ، وتخلَّفوا عن الهجرة ، والفتنة التى فُتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء ، هى الهجرة التى امتُحنوا بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطر ، عن الشعبىّ ، قال : إنها نزلت ، يعنى (الم . أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا) . . . الآيتين فى أناس كانوا بمكة أقرّوا بالإسلام ، فكتب إليهم أصحاب محمد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : إنه لايقبل منكم إقرارا بالإسلام حتى تهاجروا ، فخرجوا عامدين إلى المدينة ، فاتبعهم المشركون ، فردّوهم ، فنزلت فيهم هذه الآية ، فكتبوا إليهم : إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا ، فقالوا : نخرج ، فإن اتَّبَعَنا أحد قاتلناه ؛ قال : فخرجوا ، فاتَّبَعهم المشركون ، فقاتلوهم ثم ، فمنهم من قُتِل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله فيهم : (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا) قال : ابتلَينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال : ابتلَينا الذين من قبلهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى ابتلينا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ؟ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره ، وهم المعنيون بقوله (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا) يقول : أن يُعْجزونا فيفوتونا بأنفسهم ، فلا نقدر عليهم ، فننتقم منهم ، لشركهم بالله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) أى الشرك ، أن يسبقونا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَنْ يَسْبِقُونَا) : أن يُعْجِزونا .

وقوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) يقول تعالى ذكره : ساء حكمهم الذى يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ، وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٥) وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ . (٦)

يقول تعالى ذكره : من كان يرجو الله يومَ لِقائه ، ويطمع فى ثوابه ، فإن أجل الله الذى أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب ، لآتٍ قريبا ، وهو السميع ، يقول : والله الذى يرجو هذا الراجى بلقائه ثوابه ، السميع لقوله : آمنا بالله ، العليم بصدق قيله ، إنه قد آمن من كذبه فيه . وقوله (وَمَنْ جاهَدَ فإِنَّمَا يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ) يقول : ومن يجاهد عدوّه من المشركين ، فإنما يجاهد لنفسه ، لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده ، والهَرَب من العقاب ، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة ، وذلك أن الله غنىّ عن جميع خلقه ، له الملك والخلق والأمر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله ورسوله ، فصحّ إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم ، وفتنته لهم ، ولم يرتدّوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم (وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ) التى

سلفت منهم شركهم (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم فى إسلامهم ، أحسن ما كانوا يعملون فى حال شركهم ، مع تكفيرنا سيئاتِ أعمالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ، وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ، إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَوَصَّيْنا الإنْسانَ) فيما أنزلنا إلى رسولنا (بِوَالِدَيْهِ) أن يفعل بهما (حُسْنا) .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب الحسن ؛ فقال بعض نحوِيِّى البصرة : نُصب ذلك على نية تكرير وصّينا . وكأن معنى الكلام عنده : ووصينا الإنسان بوالديه ، ووصيناه حُسْنا . وقال : قد يقول الرجل وصيته خيرا : أى بخير .

وقال بعض نحوِيِّى الكوفة : معنى ذلك : ووصينا الإنسان أن يفعل حُسنا ، ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه ، إذا كان فيما بقى الدلالة على ماسقط ، وتعمل ما بقى فيما كان يَعْمل فيه المحذوف ، فنصب قوله (حُسْنا) وإن كان المعنى ما وصفت وصينا ، لأنه قد ناب عن الساقط ، وأنشد فى ذلك :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْماءَ إذْ تَشْكُونا وَمِنْ أبى دَهْماءَ إذْ يُوصِينا
خَيْرًا بها كأنَّنا جافُونا [1]

وقال : معنى قوله : يُوصينا خيرا : أن نفعل بها خيرا ، فاكتفى بيوصينا منه ، وقال ذلك نحو قوله (فَطَفِقَ مَسْحا) أى يَمْسح مسحا .

وقوله (وَإنْ جاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، فَلا تُطِعْهُما) يقول : ووصينا الإنسان ، فقلنا له : إن جاهدك والداك لتشرك بى ما ليس لك به علم أنه ليس لى شريك ، فلا تطعهما فتشركَ بى ما ليس لك به علم ، ابتغاء مرضاتهما ، ولكن خالفهما فى ذلك (إلىّ مرجعكم) : يقول تعالى ذكره : إلىّ مَعادكم ومصيركم يوم القيامة (فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فأخبرَكُم بما كنتم تعملون فى الدنيا ، من صالح الأعمال وسيئاتها ، ثم أجازيكم عليها : المحسنَ بالإحسان ، والمسىءَ بما هو أهله .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبى وَقّاص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنا) ... إلى قوله (فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نزلت فى سعد بن أبى وَقّاص لما هاجر ، قالت أمه ، والله لا يُظِلُّنى بيت حتى يرجع ، فأنزل الله فى ذلك أن يُحْسِن إليهما ، ولا يطيعَهما فى الشرك .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور السريع ، وهى من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص ١٧٨) قال : والعرب تقول : أوصيك به خيرا ، وآمرك به خيرا ، وكان معناه : آمرك أن تفعل به ، ثم تحذف أن ، فتوصل الخير بالوصية ، وبالأمر ، قال الشاعر : « عجبت . . . الأبيات » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الأعمال ، وذلك أن يُؤَدّوا فرائض الله ، ويجتنبوا محارمه (لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) فى مَدْخل الصالحين ، وذلك الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ، أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ؟ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : ومن الناس من يقول : أقررنا بالله فوحّدناه ، فإذا آذاه المشركون فى إقراره بالله ، جعل فتنة الناس إياه فى الدنيا ، كعذاب الله فى الآخرة ، فارتدّ عن إيمانه بالله ، راجعا على الكفر به (وَلَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ) يامحمد أهل الإيمان به (لَيَقُولُنَّ) هؤلاء المرتدّون عن إيمانهم ، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله : (إِنَّا كُنَّا) أيها المؤمنون (مَعَكُمْ) ننصركم على أعدائكم كذبا وإفكا ، يقول الله (أَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ) أيها القوم من كلّ أحد (بِما فِي صُدُورِ) جميع خلقه ، القائلين آمنا بالله ، فإذا أُوذى فى الله ارتدّ عن دين الله وغيرهم ؟ فكيف يخادع من كان لايخفى عليه خافية ، ولا يستتر عنه سرّ ولا علانية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) قال : فتنته أن يرتدّ عن دين الله إذا أُوذِى فى الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) . . . إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) قال : أناس يؤمنون بألسنتهم ، فإذا أصابهم بلاء من الله ، أو مصيبة فى أنفسهم ، افتتنوا ، فجعلوا ذلك فى الدنيا ، كعذاب الله فى الآخرة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ) . . . الآية ، نزلت فى ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون ، فإذا أوذوا ، وأصابهم بلاء من المشركين ، رجعوا إلى الكفر ، مخافة من يؤذيهم ، وجعلوا أذى الناس فى الدنيا كعذاب الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (فإذَا أُوذِىَ فِى اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) قال : هو المنافق : إذا أوذى فى الله رجع عن الدين وكفر ، وجعل فتنة الناس كعذاب الله .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة ، فخرجوا مهاجرين ، فأدركوا وأخذوا فأعْطُوا المشركين لما نالهم أذاهم ، ما أرادوا منهم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا أحمد بن منصور الرَّمادىّ ، قال : ثنا أبو أحمد الزُّبيرىّ ، قال : ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بإسلامهم ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأُصيب بعضُهم قَبلَ بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا ، فاستغفروا لهم ، فنزلت (إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمِى أنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ؟) . . . إلى آخر الآية ، قال : فكتب إلى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية ، أن لاعذر لهم ، فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ ، فإذَا أُوذِىَ فِى اللهِ ، جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) . . . إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير ، ثم نزلت فيهم (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ، ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مَخْرجا ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم ، حتى نجا من نجا ، وقُتِل من قُتل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ ، فإذَا أُوذِىَ فِى اللهِ) . . . إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ المُنافِقِينَ) قال : هذه الآيات أنزلت فِى القوم الذين ردّهم المشركون إلى مكة ، وهذه الآيات العَشْر مَدَنية إلى هاهنا ، وسائرها مكىّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ، وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ (١١)

يقول تعالى ذكره : وليعلَمنّ الله أولياءَ الله ، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم ، وليعلَمَنّ المنافقين منكم ، حتى يُمَيِّزوا كلّ فريق منكم من الفريق الآخر ، باظهار الله ذلك منكم ، بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك ، إلى دار الإسلام ، وتثاقُل المتثاقِل منكم عنها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ، وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ، إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا بالله من قريش ، للذين آمنوا بالله منهم (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) يقول : قالوا اكونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات ، وجحود الثواب والعقاب على الأعمال ، (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) يقول : قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا فى ذلك ، فبُعِثتم من بعد الممات ، وجُوزيتم على الأعمال ، فإنا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) قال : قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم ، يقول : قالوا : لانُبْعَثُ نحن ولا أنتم ، فاتبعونا ، إن كان عليكم شىء فهو علينا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هم القادة من الكفار ، قالوا لمن آمن من الأتباع : اتركوا دين محمد ، واتبعوا ديننا ، وهذا أعنى قوله (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ، وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) وإن كان خرج مخرج الأمر ، فإن فيه تأويل الجزاء ، ومعناه : ما قلت : إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم ، كما قال الشاعر :

فقُلْتُ ادْعِى وأدْعُ فإنَّ أنْدَى لِصَوْتٍ أنْ يُنادِيَ داعيانِ (١)

يريد : ادعى ولأدع ، ومعناه : إن دعوتِ دعوتُ .

وقوله (وَمَا هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ ، إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : وكَذَبوا فى قيلهم ذلك لهم ، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شىء ، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم ، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم .

---

(١) البيت لدثار بن شيبان النمرى (اللسان : ندى) قال : وفلان أندى صوتا من فلان : أى أبعد مذهبا ، وأرفع صوتا . وأنشد الأصمعى لد ثار بن شيبان النمرى :

تقول خليلتى لما اشتكينا سيدركنا بنو القرم الهجان
فقلت ادعى وادع فإن أندى لصوت أن ينادى داعيان

وفى فرائد القلائد ، وهى شرح الشواهد الصغير للعينى فى باب إعراب الفعل : قاله الأعشى أو الحطيئة ، فيما زعم ابن يعيش ، أو ربيعة ، جشم فيما زعم الزمخشرى أودثار بن شيبان النمرى ، فيما زعم ابن برى . والشاهد فى « أدعو » حيث نصب الواو فيه بتقدير « أن » بعد واو الجمع ، أى وأن أدعو . ويروى : وادع » على الأمر ، بحذف اللام ، إذ أصله : ولأدع . اه . وهذا التوجيه الثانى هو توجيه الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٤٤) قال : وقوله « اتبعوا سبيلنا ولنحمل » : هو أمر فيه تأويل جزاء ، كما أن قوله « ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم » نهى فيه تأويل الجزاء ، وهو كثير فى كلام العرب » . قال الشاعر : « فقلت ادعى وادع » . . . البيت . أراد ادعى ولأدع ، فإن أندى ، فكأنه قال : إن دعوت دعوت . اه . وقد نقله المؤلف بحذافيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ ، وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : وليحملنّ هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم : أوزار أنفسهم وآثامها ، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم ، وليسئلنّ يوم القيامة عما كانوا يكذّبونهم فى الدنيا ، بوعدهم إياهم الأباطيل ، وقيلهم لهم : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أى أوزارهم . (وأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ) يقول : أوزار من أضلّوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ، وأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ) . وقرأ قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) قال : فهذا قوله (وأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ، فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١٤)

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لايحزننّك يامحمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى ، فإنى وإن أمليتُ لهم ، فأطلت إملاءَهم ، فإن مصير أمرهم إلى البوار ، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلوّ والظفر بهم ، والنجاة مما يحلّ بهم من العقاب ، كفعلنا ذلك بنوح ، إذ أرسلناه إلى قومه ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، يدعوهم إلى التوحيد ، وفراق الآلهة والأوثان ، فلم يزدهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله ، من الإقبال إليه ، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله ، إلاّ فِرارا .

وذُكر أنه أرسل إلى قومه وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة .

كما حدثنا نصر بن علىّ الجَهْضَمىّ ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عون بن أبى شداد ، قال : إن الله أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلاخمسين عاما ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مئة سنة ، فأخذهم الطوفان ، يقول تعالى ذكره : فأهلكهم الماء الكثير ، وكلّ ماء كثير فاشٍ طامٌّ فهو عند العرب طُوفان ، سيلا كان أوغيره ، وكذلك الموت إذا كان فاشيا كثيرا ، فهو أيضا عندهم طُوفان ؛ ومنه قول الراجز :

أفْناهُمْ طُوفانُ مَوْتٍ جارِفُ[1]

وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأخَذَهُمُ الطُّوفانُ) قال : هو الماء الذى أرسل عليهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : الطوفان : الغرق .

وقوله (وَهُمْ ظالِمُونَ) يقول : وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ، وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (١٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته ، وهم الذين حملهم فى سفينته ، من ولده وأزواجهم . وقد بيّنا ذلك فيما مضى قبل ، وذكرنا الروايات فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

(وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ) يقول : وجعلنا السفينة التى أنجيناه وأصحابه فيها ، عبرةً وعظة للعالمين ، وحجة عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأنجَيْناهُ وأصْحابَ السَّفِينَةِ) . . . الآية . قال : أبقاها الله آية للناس بأعلَى الجُودِىّ . ولو قيل : معنى (وَجَعَلْناها آيَةً للعالَمِينَ) : وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين ، وجعل الهاء والألف فى قوله (وَجَعَلْناها) كناية عن العقوبة أو السخط ، ونحو ذلك ، إذ كان قد تقدم ذلك فى قوله (فأخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ) كان وجها من التأويل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يا محمد إبراهيمَ خليلَ الرحمن ، إذ قال لقومه : اعبدوا الله أيها القوم ، دونَ غيره من الأوثان والأصنام ، فإنه لا إله لكم غيره ، واتقوه : يقول :

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٤ – ا) قال : الطوفان : مجازه كل ماء طام فاش ، من سيل كان أو من غيره وهو كذلك من الموت إذا كان جارفا فاشيا كثيرا . قال : « أفناهم طوفان . . . البيت » . ونقله المؤلف بحروفه . وفى (اللسان : طوف) : والطوفان الماء الذى يغشى كل مكان . وقيل المطر الغالب ، الذى يغرق من كثرته . وقيل : الطوفان : الموت العظيم . وقيل : الطوفان من كل شىء : ما كان كثيرا محيطا مطيفا بالجماعة كلها ، كالغرق الذى يشتمل على المدن الكثيرة ؛ والقتل الذريع ، والموت الجارف ، يقال له طوفان . وبذلك كله فسر قوله تعالى : « فأخذهم الطوفان وهم ظالمون » .

واتقوا سخطه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ما هو خير لكم مما هو شرّ لكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ، إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ، فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ، وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُ ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله إبراهيم لقومه : إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا ، يعنى : مُثُلاً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا) أصناما .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) فقال بعضهم : معناه : وتصنعون كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : تصنعون كذبا .

وقال آخرون : وتقولون كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : وتقولون إفكا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : تقولون كذبا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتنحتون إفكا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) قال : تنحتون : تصوّرون إفكا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) : أى تصنعون أصناما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) : الأوثان التى ينحتونها بأيديهم .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : وتصنعون كذبا . وقد بيّنا معنى الخلق فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . فتأويل الكلام إذن : إنما تعبدون من دون الله أوثانا ، وتصنعون كذبا وباطلا . وإنما فى قوله[1] : (إِفْكًا) مردود على إنما ، كقول القائل : إنما تفعلون كذا ، وإنما تفعلون كذا .

(١) لعل مراده : وإنما المقدرة فى قوله إفكا : مردود . . . الخ ، والمقصود منه واضح .

وقرأ جميع قرّاء الأمصار (وتخْلُقُونَ إفْكاً) بتخفيف الخاء من قوله (وتخْلُقُونَ) وضمّ اللام ، من الخَلْق . وذُكر عن أبى عبد الرحمن السُلمىّ أنه قرأ (وتُخَلِّقُونَ إفْكا) بفتح الخاء، وتشديد اللام، من التخليق .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ماعليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً) يقول جلّ ثناؤه : إن أوثانكم التى تعبدونها ، لاتقدر أن ترزقكم شيئا ، فابتغوا عند الله الرزق ، يقول : فالتمسوا عند الله الرزق ، لامن عند أوثانكم ، تدركوا ماتبتغون من ذلك (وَاعْبُدُوهُ) : يقول : وذِلُّوا له ، (وَاشْكُرُوا لَهُ) على رزقه إياكم ، ونعمه التى أنعمها عليكم ، يقال : شكرته ، وشكرتُ له أفصح من شكرته . وقوله (إلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : إلى الله تُرَدّون من بعد مماتكم ، فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره، وأنتم عباده وخلقه ، وفى نعمه تتقلّبون ، ورزقه تأكلون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ(١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإن تكذّبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم، فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم ، والبراءة من الأوثان ، فقد كَذّبت جماعات من قبلكم رسلَها، فيما دعتهم إليه الرسل من الحقّ ، فحلّ بها من الله سخطه ، ونزل بها منه عاجل عقوبته ، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه (وَما على الرَّسُولِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) يقول : وما على محمد إلا أن يبلّغكم عن الله رسالته ، ويؤدّى إليكم ما أمره بأدائه إليكم ربُّه . ويعنى بالبلاغ المبين : الذى يُبِين لمن سمعه ما يراد به ، ويفهم به مايعنى به .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(١٩) قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلا صغيرا ، ثم غلاما يافعا ، ثم رجلا مجتمعا ، ثم كهلا ؟ يقال منه : أبدأ وأعاد ، وبدأ وعاد ، لغتان بمعنى واحد . وقوله (ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول ثم هو يعيده، من بعد فنائه وبلاه ، كما بدأه أوّل مرّة خلقا جديدا ، لايتعذّر عليه ذلك (إنَّ ذلكَ على اللهِ يَسِيرٌ) سهل كما كان يسيرا عليه إبداؤه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) : بالبعث بعد الموت .

وقوله (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للمنكرين للبعث بعد الممات ، الجاحدين الثواب والعقاب : سيروا فى الأرض ، فانظروا كيف بدأ الله الأشياء ، وكيف أنشأها وأحدثها ، وكما أوجدها وأحدثها ابتداء ، فلم يتعذّر عليه إحداثها مُبدئا ، فكذلك لايتعذّر عليه إنشاؤها معيدا . (ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) يقول : ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ سِيروا فِي الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ) خلق السموات والأرض (ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) : أى البعث بعد الموت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ اللهَ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) قال : هى الحياة بعد الموت ، وهو النشور .

وقوله (إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه ، كهيئته قبل فنائه ، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر ، لايُعجزه شىء أراده .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ثم الله ينشئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فنائهم ، فيعذّب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه فى أيام حياته ، ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحا (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) يقول : وإليه ترجعون وتردّون .

وأما قوله (وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ) فإن ابن زيد قال فى ذلك ما حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ) : قال : لايُعجزه أهل الأرَضين فى الأرضين ، ولا أهل السموات فى السموات ، إن عصوه ، وقرأ (مثقالَ ذَرَّةٍ فى السمَّوات ولا فِي الأرض ، وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذلكَ ولا أَكْبَرَ إلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ) .

وقال فى ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة : (وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا مَنْ فِي السَّماءِ) معجزينَ قال : وهو من غامض العربية ، للضمير الذي لم يظهر فى الثانى . قال : ومثله قول حسان ابن ثابت :

أمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ ؟ (١)

أراد: ومن ينصره ويمدحه، فأضمر « مَنْ » . قال: وقد يقع فى وهم السامع أن النصر والمدح لمَنْ هذه الظاهرة؛ ومثله فى الكلام : أكرمْ من أتاك وأتى أباك ، وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا . تريد : ومن لم يأت زيدا فيكتفى باختلاف الأفعال مَنْ إعادة من، كأنه قال : أمن يهجو ، ومن يمدحه ، ومن ينصره . ومنه قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) وهذا القول أصحّ عندى فى المعنى ، من القول الآخر ، ولو قال قائل: معناه : ولا أنتم بمعجزين فى الأرض، ولا أنتم لو كنتم فى السماء بمعجزين، كان مذهبا .

وقوله (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول : وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولىّ يلى أموركم، ولا نصير ينصركم من الله، إن أراد بكم سوءا ، ولا يمنعكم منه إن أحلّ بكم عقوبته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : والذين كفروا حُجَجَ الله ، وأنكروا أدلته ، وجحدوا لقاءه والورود عليه ، يوم تقوم الساعة (أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي) يقول تعالى ذكره : أولئك يئسوا من رحمتى فى الآخرة ، لما عاينوا ما أعدّ لهم من العذاب ، وأولئك لهم عذاب مُوجِع .

فإن قال قائل : وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله (وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . إلى قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وترك ضمير قوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) وهو من قصة إبراهيم .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) . . . إلى قوله (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ ، وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل : فعل ذلك كذلك ، لأن الخبر عن أمر نوح وإبراهيم وقومهما ، وسائر مَنْ ذَكَر الله من الرسل والأمم فى هذه السورة وغيرها، إنما هو تذكير من الله تعالى ذكره به الَّذِينَ يبتدئ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر ، وتحذير منه لهم أن يحلّ بهم ماحلّ بهم، فكأنه قيل فى هذا الموضع : فاعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ، فكذّبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمدا ، كما كذّب أولئك إبراهيم ، ثم جعل مكان : فكذّبتم : وإن تكذبوا فقد كَذَّب أمم من قبلكم ، إذ كان ذلك يدل على الخبر عن تكذيبهم رسولهم، ثم عاد إلى الخبر عن إبراهيم وقومه، وتتميم قصته وقصتهم بقوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) .

---

(١) البيت لحسان بن ثابت وقد تقدم الاستشهاد به ، وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٤٤ من مصورة الجامعة) قال: وقوله « وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء » يقول القائل : وكيف وصفهم أنهم لايعجزون فى الأرض ولا فى السماء ، وليسوا من أهل السماء ؟ فالمعنى ، والله أعلم ، ما أنتم بمعجزين فى الأرض ، ولامن فى السماء بمعجز . وهو من غامض العربية ، للضمير الذى لم يظهر فى الثانى . ومثله قول حسان : « فمن يهجو . . . البيت » . أراد : ومن ينصره ويمدحه ، فأضمر « من » ، وقد يقع فى وهم السامع أن المدح والنصر لمن هذه الظاهرة . ومثله فى الكلام : أكرم من أتاك . وأتى أباك ، وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا ؛ تريد : ومن لم يأت زيدا . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ، فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم : اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إلا أن قال بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرّقوه بالنار ، ففعلوا ، فأرادوا إحراقه بالنار ، فأضرموا له النار ، فألقَوه فيها ، فأنجاه الله منها ، ولم يسلطها عليه ، بل جعلها عليه بَرْدا وسلاما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله فما كان جوابَ قوم إبراهيم (إلاَّ أنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أوْ حَرّقُوهُ ، فَأنجاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ) قال : قال كعب : ماحرقت منه إلا وثاقه (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى إنجائنا لإبراهيم من النار ، وقد أُلقى فيها وهى تَسَعّر ، وتصييرناها عليه بردا وسلاما ، لأدلة وحججا لقوم يصدّقون بالأدلة والحجج ، إذا عاينوا ورأوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا، ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا، وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ، وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه (وَقالَ) إبراهيم لقومه : ياقوم (إنَّمَا اتخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أوْثانا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والشأم وبعض الكوفيين (مَوَدَّةٌ) بنصب مودة بغير إضافة بينكم ، بنصبها . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) بنصب المودّة وإضافتها إلى قوله (بَيْنِكُمْ) ، وخفض بينِكم . وكأن هؤلاء الذين قرءوا قوله (مَوَدَّةَ) نصبا وجّهوا معنى الكلام : إلى إنما أتخذتم أيها القوم أوثانا مودة بينكم ، فجعلوا إنما حرفا واحدا ، وأوقعوا قوله (اتَّخَذْتُمْ) على الأوثان ، فنصبوها بمعنى : اتخذتموها مودّة بينكم فى الحياة الدنيا ، تتحابُّون على عبادتها ، وتتوادّون على خدمتها ، فتتواصلون عليها . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والبصرة (مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ) برفع المودة ، وإضافتها إلى البين ، وخفض البين . وكأن الذين قرءوا ذلك كذلك ، جعلوا « إنَّ مَا » حرفين ، بتأويل : إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانا ، إنما هو مودّتكم للدنيا ، فرفعوا مودة على خبر إن . وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعا بقوله « إنما » أن تكون حرفا واحدا ، ويكون الخبر متناهيا عند قوله (إنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أوْثانا) ثم يبتدئُ الخبر فيقال : ما مودتكم تلك الأوثان بنافعتكم ،

إنما مودّة بينكم فى حياتكم الدنيا ، ثم هى منقطعة ، وإذا أريد هذا المعنى كانت المودّة مرفوعة بالصفة ، بقوله (فِى الحَياةِ الدُّنْيا) وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودّة ، رفعها على ضمير هى .

وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعانى ، لأن الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها ، اتخذوها مودة بينهم ، وكانت لهم فى الحياة الدنيا مودة ، ثم هى عنهم منقطعة ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب ، لتقارب معانى ذلك ، وشهرة القراءة بكلّ واحدة منهنّ فى قرّاء الأمصار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقالَ إِنَّما اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثانا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الحَياةِ الدُّنْيا ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) قال : صارت كلّ خُلَّة فى الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة ، إلا خُلَّة المتقين .

وقوله (ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) يقول تعالى ذكره : ثم يوم القيامة أيها المتوادّون على عبادة الأوثان والأصنام ، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم ، ومعاينتكم ما أعدّ الله لكم على التواصل ، والتوادّ فى الدنيا من أليم العذاب ، يَكْفر بعضكم ببعض : يقول : يتبرأ بعضكم من بعض ، ويلعن بعضُكم بعضا .

وقوله (وَمأْواكُمُ النَّارُ) يقول جلّ ثناؤه : ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النارُ . (وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ) يقول : وما لكم أيها القوم المتخذو الآلهة ، من دون الله مودّة بينكم ، من أنصار ينصرونكم من الله ، حين يصليكم نار جهنم ، فينقذونكم من عذابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

* فَئَامَنَ لَهُ لُوطٌ ، وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّى ، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : فصدّق إبراهيمَ خليل الله لوطٌ (وَقالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إِلى رَبِّى) يقول : وقال إبراهيم : إنى مهاجر دار قومى ، إلى ربى : إلى الشام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ) قال : صدّق لوط (وَقالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إِلى رَبِّى) قال : هو إبراهيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ) : أى فصدّقه لوط (وَقالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إِلى رَبِّى) قال : هاجَرا جميعا من كُوثَى ، وهى من سواد الكوفة إلى الشأم . قال : وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّها سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ ، يَنْحازُ

أهْلُ الأرْضِ إلى مُهاجَرِ إبْرَاهِيمَ ، وَيَبْقَى فِي الأرْضِ شِرَارُ أهْلِها ، حتى تَلْفِظَهُمْ وَتَقْذَرَهُمْ وَتَحْشُرَهُمُ النَّارُ مَعَ القِرَدَةِ والخَنازِيرِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فآمَنَ لَهُ لُوطٌ) قال : صدّقه لوط ، صدق إبراهيم قال : أرأيت المؤمنين ، أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ؟ قال : فالإيمان : التصديق . وفى قوله (إنّى مُهاجِرٌ إلى رَبّى) قال : كانت هِجْرته إلى الشأم .

وقال ابن زيد فى حديث الذئب الذى كلم الرجل ، فأخبر به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فآمَنْتُ لَهُ أنا وأبُو بَكْرٍ وعُمَر ، ولَيْسَ أبُو بَكْرٍ ولا عُمَرُ مَعَهُ » يعنى آمنت له : صدّقته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (فآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إنّى مُهاجِرٌ إلى رَبّى) قال : إلى حَرّان ، ثم أُمر بعد بالشأم الذى هاجر إبراهيم ، وهو أوّل من هاجَر . يقول : (فآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إبْراهِيمُ إنّى مُهاجِرٌ) . . . الآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إنّى مُهاجِرٌ إلى رَبّى) إبراهيم القائل : إنى مهاجر إلى ربى .

وقوله (إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول : إن ربى هو العزيز الذى لا يذِلّ من نَصَره ، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء ، وإليه هجرته ، الحكيم فى تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ، وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ورزقناه من لدنا إسحاق ولدا ، ويعقوبَ من بعده وَلَدَ وَلَدٍ .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَوَهَبْنا لَهُ إسحاقَ وَيَعْقُوبَ) قال : هما ولدا إبراهيم .

وقوله (وَجَعَلْنا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتابَ) بمعنى الجمع ، يراد به الكتب ، ولكنه خُرِّج مُخْرَج قولهم : كثر الدرهم والدينار عند فلان .

وقوله (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِى الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه ثواب بلائه فينا فى الدنيا (وَإنَّهُ) مع ذلك (فى الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ) فله هناك أيضا جزاء الصالحين ، غير منتقص حَظُّه بما أعطى فى الدنيا من الأجر على بلائه فى الله ، عما له عنده فى الآخرة .

وقيل : إن الأجر الذى ذكره الله عزّ وجلّ ، أنه آتاه إبراهيم فى الدنيا : هو الثناء الحسن ، والولد الصالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآتَيْناهُ أجْرَه فِي الدُّنْيا) قال : الثناء .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرِمة ، يسأله عن قوله (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِي الدُّنْيا ، وَإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) قال : قال أجره فى الدنيا أن كل ملة تتولاه ، وهو عند الله من الصالحين ، قال : فرجع إلى مجاهد فقال : أصاب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مندل ، عمن ذكره ، عن ابن عباس (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِي الدُّنْيا) قال : الولد الصالح والثناء .

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فى الدُّنْيا) يقول : الذكر الحسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِي الدُّنْيا) قال : عافية وعملا صالحا ، وثناء حسنا ، فلست بلاق أحدا من الملل إلا يرى إبراهيم ويتولاه (وَإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر لوطا إذ قال لقومه : إنكم لتأتون الذُّكْران (ما سَبَقَكُمْ بِها) يعنى بالفاحشة التى كانوا يأتونها ، وهى إتيان الذُّكْران (مِنْ أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ) : وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا إسماعيل بن عُلَية ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار ، فى قوله (إنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ) قال : ما نَزَا ذَكَرٌ على ذَكَر ، حتى كان قوم لوط .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه (أئِنَّكُمْ) أيها القوم (لَتَأْتُونَ الرِّجالَ) فى أدبارهم

(وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) يقول : وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث ، وذلك أنهم فيما ذُكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين ، ومن ورد بلادهم من الغرباء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) قال : السبيل : الطريق . المسافر إذا مرّ بهم ، وهو ابن السبيل قَطَعوا به ، وعملوا به ذلك العمل الخبيث .

وقوله (وَتَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) اختلف أهل التأويل فى المنكر الذى عناه الله ، الذى كان هؤلاء القوم يأتونه فى ناديهم ، فقال بعضهم : كان ذلك أنهم كانوا يتضارطُون فى مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا رَوْح بن عُطيفة الثقفىّ ، عن عمرو بن مصعب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، فى قوله (وَتَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال الضراط .

وقال آخرون : بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مرّ بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع قالا : ثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبى صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبى صالح ، عن أمّ هانئ ، قالت : سألت النبىّ صلى الله عليه وسلم عن قوله (وَتَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال « كانُوا يَحْذِفُونَ أهْلَ الطَّرِيقِ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » ، فهو المنكر الذى كانوا يأتون .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا أبو أسامة ، بإسناده عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبى ، قال : ثنا سليم بن أخضر ، قال : ثنا أبو يونس القُشَيرى ، عن سماك بن حرب ، عن أبى صالح مولى أمّ هانئ ، أن أمّ هانئ سُئلت عن هذه الآية (وَتَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) فقالت : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كانُوا يَحْذِفُونَ أهْلَ الطَّرِيقِ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمر بن أبى زائدة ، قال : سمعت عكرِمة يقول فى قوله (وَتَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كانوا يُؤْذون أهل الطريق ، يحذفون من مَرّ بهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن عمر بن أبى زائدة ، قال : سمعت عكرِمة قال : الحذف .

حدثنا موسى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَتَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كان كلّ من مرّ بهم حذفوه ، فهو المنكر .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبى صغيرة ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن باذام ، عن أبى صالح مولى أمّ هانئ ، عن أمّ هانئ ، قالت : « سألت رسول الله صلى

الله عليه وسلم عن هذه الآية (وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال « كانُوا يَجْلِسُونَ بالطَّرِيقِ ، فَيَحْذِفُونَ أبْناءَ السَّبِيلِ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .

وقال بعضهم : بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة فى مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يأتى بعضهم بعضا فى مجالسهم ، يعنى قوله (وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا ثابت بن محمد اللّيثىّ ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ابن المعتمر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كان يجامع بعضهم بعضا فى المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كان يأتى بعضهم بعضا فى المجالس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : المجالس ، والمنكَر : إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كانوا يأتون الفاحشة فى ناديهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : ناديهم : المجالس ، والمنكر : عملهم الخبيث الذى كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون بالراكب فيأخذونه ويركبونه . وقرأ (أتَأْتُونَ الفاحِشَةَ وأنْتُمْ تُبْصِرُونَ) ، وقرأ (ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) يقول : فى مجالسكم .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : وتحذفون فى مجالسكم المارّة بكم ، وتسخرون منهم ، لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إلاّ أنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللهِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ) : يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم لُوط إذ نهاهم عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التى حرمها الله ، إلا قيلهم : ائتنا بعذاب الله الذى تعدنا ، إن كنت من الصادقين فيما تقول ، والمنجزين لما تعد .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ، قَالُوٓا: إِنَّا مُهْلِكُوٓا أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره (وَلما جاءَتْ رُسُلُنا إبْراهِيمَ بالبُشْرَى) من الله بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، (قالُوا إنَّا مُهْلِكُوا أهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ) يقول : قالت رسل الله لإبراهيم : إنا مهلكو أهل هذه القرية ، قرية سَدُوم ، وهى قرية قوم لوط (إنَّ أهْلَها كانُوا ظالِمِينَ) يقول : إن أهلها كانوا ظالمى أنفسهم بمعصيتهم الله ، وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إبْراهِيمَ بالبُشْرَى) . . . إلى قوله (نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فِيها) قال : فجادل إبراهيم الملائكة فى قوم لوط أن يتركوا ، قال : فقال أرأيتم إن كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم ؟ فقالت الملائكة : ليس فيها عشرة أبيات ، ولا خمسة ، ولا أربعة ، ولا ثلاثة ، ولا اثنان ؛ قال : فحزن على لوط وأهل بيته ، فقال (إنَّ فِيها لُوطاً ، قالُوا نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فِيها ، لَنُنَجِّيَنَّهُ وأهْلَهُ ، إلاَّ امْرأتَهُ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ) فذلك قوله (يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ ، إنَّ إبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أوَّاهٌ مُنِيبٌ) . فقالت الملائكة : (يا إبْراهِيمُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إنَّهُ قَدْ جاءَ أمْرُ رَبِّكَ ، وإنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غيرُ مَرْدُودٍ) فبعث الله إليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فانتسف المدينة وما فيها بأحد جناحيه ، فجعل عاليها سافلها ، وتتبعهم بالحجارة بكل أرض .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : إِنَّ فِيهَا لُوطًا ، قَالُوا۟ : نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ، لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للرسل من الملائكة ، إذ قالوا له (إنَّا مُهْلِكُوا أهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ إنَّ أهْلَها كانُوا ظالِمِينَ) فلم يستثنوا منهم أحدا ، إذ وصفوهم بالظلم : إن فيها لوطا ، وليس من الظالمين ، بل هو من رسل الله ، وأهل الإيمان به ، والطاعة له ، فقالت الرسل له : (نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فِيها) من الظالمين الكافرين بالله منك ، وإن لوطا ليس منهم ، بل هو كما قلت من أولياء الله ، لننجينه وأهله من الهلاك الذى هو نازل بأهل قريته (إلاَّ امْرأتَهُ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ) الذين أبقتهم الدهور والأيام ، وتطاولت أعمارهم وحياتهم ، وأنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ، وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ، وَقَالُوا۟ : لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ، إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره (وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً) من الملائكة (سِيءَ بِهِمْ) يقول : ساءته الملائكة بمجيئهم إليه ، وذلك أنهم تَضَيفوه ، فساءوه بذلك ، فقوله (سِيءَ بِهِمْ) : فُعِلَ بهم مِنْ ساءه بذلك .

وذُكر عن قتادة أنه كان يقول : ساء ظنه بقومه ، وضاق بضيفه ذَرْعا .

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعمَر عنه (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعا) يقول : وضاق ذرعه بضيافتهم ، لما علم من خُبث فعل قومه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً) قال : بالضيافة ، مخافة عليهم مما يعلم من شرّ قومه .

وقوله (وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ) يقول تعالى ذكره : قالت الرسل للوط : لاتخف علينا أن يصل إلينا قومك ، ولا تحزَن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم ، وذلك أن الرسل قالت له (يا لُوط إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ ، فَأَسْرِ بأهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّا مُنَجوكَ) من العذاب الذى هو نازل بقومك (وأهْلَكَ) يقول : ومنجو أهلك معك (إلاَّ امْرأتَكَ) فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها ، كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل للوط (إنَّا مُنْزِلُونَ) بالوط (عَلى أهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ) سَذُوم (رِجْزاً مِنَ السَّماءِ) يعنى عذابا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (إنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ رِجْزاً) : أى عذابا .

وقد بيَّنا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ) يقول : بما كانوا يأتون من معصية الله ، ويركبون من الفاحشة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

⁂ يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فَعَلْتنا التى فَعَلْنا بهم آية ، يقول : عِبرة بينة ، وعظة واعظة ، لقوم يعقلون عن الله حُجَجه ، ويتفكرون فى مواعظه ، وتلك الآية البينة هى عندى : عُفُوّ آثارهم ، ودروس معالمهم.

وذُكر عن قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) قال : هى الحجارة التى أُمطرت عليهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْها آيَةً بَيِّنَةً) قال : عِبرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : وأرسلت إلى مَدْين أخاهم شعيبا ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، وذِلُّوا له بالطاعة ، واخضعوا له بالعبادة (وَارْجُوا اليَوْمَ الآخِرَ) يقول : وارجوا بعبادتكم إياى جزاءَ اليوم الآخر ، وذلك يوم القيامة (وَلا تَعْثَوْا فِى الأرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : و لاتكثروا فى الأرض معصية الله ، ولا تقيموا عليها ، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا .

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأوّل قوله (وَارْجُوا اليَوْمَ الآخِرَ) بمعنى : واخشَوُا اليوم الآخر . وكان غيره من أهل العلم بالعربية يُنكر ذلك ويقول : لم نجد الرجاء بمعنى الخوف فى كلام العرب إلا إذا قارنه الجَحْد .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ، فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٣٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : فكذّب أهل مَدين شعيبا ، فيما أتاهم به عن الله من الرسالة ، فأخذتهم رَجْفة العذاب ، فأصبحوا فى دارهم جاثمين جُثوما ، بعضُهم على بعض مَوْتى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَأصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جاثِمِينَ) : أى ميتين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ، وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : واذكروا أيها القوم عادا وثمود ، وقد تبين لكم من مساكنهم خرابُها وخلاؤُها

منهم بوقائعنا بهم ، وحلول سَطْوتنا بجميعهم (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعْمالَهُمْ) يقول : وحسَّن لهم الشيطان كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسله (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول : فردّهم بتزيينه لهم ما زيَّن لهم من الكفر ، عن سبيل الله ، التى هى الإيمان به ورسله ، وما جاءوهم به من عند ربهم (وكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) يقول : وكانوا مستبصرين فى ضلالتهم ، مُعْجَبين بها ، يحسبون أنهم على هدى وصواب ، وهم على الضلال.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ، وكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) يقول : كانوا مستبصرين فى دينهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) فى الضلالة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) فى ضلالتهم مُعْجَبين بها .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) يقول : فى دينهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ، وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ، فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ (٣٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : واذكر يامحمد قارون وفرعون وهامان ، ولقد جاء جميعهم موسى بالبيِّنات ، يعنى بالواضحات من الآيات ، فاستكبروا فى الأرض عن التصديق بالبينات من الآيات ، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه (وما كانوا سابقين) : يقول تعالى ذكره : وما كانوا سابقينا بأنفسهم ، فيفوتونا ، بل كنا مقتدرين عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ، فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ، وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : فأخذنا جميع هذه الأمم التى ذكرناها لك يامحمد بعذابنا (فَمِنْهُمْ مَنْ أرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِبا) وهم قوم لُوط ، الذين أمطر الله عليهم حجارة من سِجِيِّل مَنضُود ، والعرب تسمى الريح العاصف التى فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البَرَد والجليد حاصبا ؛ ومنه قول الأخطل :

وَلقدْ عَلِمْتُ إذا العِشارُ تَرَوَّحَتْ هَـدَجَ الرِّئالِ تَكُبُّهُنَّ شَمالا
تَرْمِى العِضَاهَ بحاصِبٍ مِن ثَلْجِها حتى يَبِيتَ على العِضَاهِ جُفالا[1]

وقال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنا بحاصبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : (فَمِنْهُمْ مَنْ أرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً) قوم لوط .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَمِنْهُمْ مَنْ أرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِبًا) وهم قوم لوط (وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) .

اختلف أهل التأويل فى الذين عُنوا بذلك ، فقال بعضهم : هم ثمود قوم صالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس (وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) : ثمود .

وقال آخرون : بل هم قوم شعيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) قوم شعيب .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة فى كتابه ، فى غير هذا الموضع ، ثم قال جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : فمن الأمم التى أهلكناهم ، مَنْ أرسلنا عليهم حاصبا ، ومنهم مَنْ أخذته الصيحة ، فلم يخصُص الخبر بذلك عن بعض مَنْ أخذته الصيحة من الأمم دون بعض ، وكلا الأمتين أعنى ثمود ومَدين قد أخذتهم الصَّيحة .

وقوله (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الأرْضَ) : يعنى بذلك قارون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس :

---

(١) البيتان للأخطل ، وقد سبق الاستشهاد بهما فى غير هذا الموضع من التفسير انظره فى (١٥ : ١٢٤) .

(٢) البيت للفرزدق ، وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة رقم ١٨٥) قال : « أرسلنا عليه حاصبا » : أى ريحا عاصفا فيها حصى ، ويكون فى كلام العرب الحاصب من الجليد ونحوه أيضا . وقال الفرزدق : « مستقبلين شمال الشام » . . . البيت . اهـ .

(وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الأَرْضَ) : قارون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا) يعنى : قوم نوح وفرعون وقومه.

واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : عُنى بذلك قومُ نوح عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا) : قومُ نوح .

وقال آخرون : بل هم قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا) قوم فرعون .

⁂ والصواب من القول فى ذلك ، أن يُقال : عُنى به قومُ نوح وفرعونُ وقومه ، لأن الله لم يخصص بذلك إحدى الأمتين دون الأخرى ، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما ، فهما معنيتان به .

وقوله (وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم ، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق ، بل إنما أهلكهم بذنوبهم ، وكفرهم بربهم ، وجحودهم نعمه عليهم ، مع تتابع إحسانه عليهم ، وكثرة أياديه عندهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، بتصرّفهم فى نعم ربهم ، وتقلبهم فى آلائه ، وعبادتهم غيره ، ومعصيتهم من أنعم عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)

⁂ يقول تعالى ذكره : مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نَصْرها ونفعها عند حاجتهم إليها فى ضعف احتيالهم ، وقبح رواياتهم ، وسوء اختيارهم لأنفسهم ، كَمَثَلِ العنكبوت فى ضعفها ، وقلة احتيالها لنفسها ، اتخذت بيتا لنفسها ، كيما يُكنّها ، فلم يغن غنها شيئا عند حاجتها إليه ، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله ، وحلّ بهم سخطه ، أولياؤُهم الذين اتخذوهم من دون الله ، شيئا ، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ، أن مثله كمثل بيت العنكبوت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ)قال : هذا مثل ضربه الله للمشرك، مَثَلُ إلهه الذى يدعوه من دون الله ، كمثل بيت العنكبوت ، واهن ضعيف لاينفعه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً) قال : هذا مثل ضربه الله ، لايغنى أولياؤهم عنهم شيئا ، كما لايُغنى العنكبوتَ بيتُها هذا .

وقوله (وإنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ) يقول : وإن أضعف البيوت (لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله ، فى قلة غَنائهم عنهم ، كغَناء بيت العنكبوت عنها ، ولكنهم يجهلون ذلك، فيحسَبون أنهم ينفعونهم ، ويقرّبونهم إلى الله زلفى .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (٤٣)

اختلف القرّاء فى قراءة قوله (إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (تَدْعُونَ) بالتاء، بمعنى الخطاب لمشركى قريش.(إنَّ اللهَ) أيُّها الناس (يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ إلَيْهِ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) . وقرأ ذلك أبو عمرو (إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ) بالياء بمعنى الخبر عن الأمم ، إن الله يعلم مايدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم من دونه من شىء .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : قراءة من قرأ بالتاء ، لأن ذلك لو كان خبرا عن الأمم الذين ذكر الله أنه أهلكهم ، لكان الكلام: إن الله يعلم ما كانوا يدعون ، لأن القوم فى حال نزول هذا الخبر على نبىّ الله ، لم يكونوا موجودين ، إذ كانوا قد هلكوا فبادوا ، وإنما يقال : إن الله يعلم ما تدعون إذا أريد به الخبر عن موجودين ، لاعمن قد هلك .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر كما وصفنا : إن الله يعلم أيها القوم، حالَ ماتعبدون من دونه من شىء ، وأن ذلك لاينفعكم ولا يضرّكم ، إن أراد الله بكم سوءا ، ولا يغنى عنكم شيئا ؛ وإن مثله فى قلة غنائه عنكم، مَثَلُ بيت العنكبوت فى غَنائه عنها .

وقوله (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمِ) يقول : والله العزيز فى انتقامه ممن كفر به ، وأشرك فى عبادته معه غيره ، فاتقوا أيُّها المشركون به عقابه ، بالإيمان به قبل نزوله بكم ، كما نزل بالأمم الذين قصّ الله قَصَصَهم فى هذه السورة عليكم ، فإنه إن نزل بكم عقابُه ، لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء ، كما لم يُغْنِ

عَنْهُمْ مَنْ قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه ، الحكيم فى تدبيره خلقه[1] ، فمُهلِك من استوجب الهلاك ، فى الحال التى هلاكه صلاح ، والمؤخِّر من أخَّر هلاكه من كفرة خلقه به إلى الحين الذى فى هلاكه الصلاح .

وقوله (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُها للنَّاسِ) يقول تعالى ذكره : وهذه الأمثال ، وهى الأشباه والنظائر (نضربها للناس) : يقول : نمثّلها ونشبهها ، ونحتجّ بها للناس ، كما قال الأعشى :

هَلْ تَذْكُرَ العَهْدَ مِنْ تَنَمَّصَ إذْ تَضْرِبُ لى قاعِدًا بِها مَثَلا[2]

(وَما يَعْقِلُها إلا العالِمُونَ) يقول تعالى ذكره : وما يعقل أنه صيب بهذه الأمثال التى نضربها للناس منهم الصوابُ والحقّ ، فيما ضُرِبت له مثلا ، إلا العالمون بالله وآياته .

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : خلق الله يامحمد السموات والأرض وحده ، منفردا بخلقها ، لا يشركه فى خلقها شريك (إنَّ فِى ذلكَ لآيَةً) : يقول : إن فى خلقه ذلك ، لحجةً لمن صدّق بالحجج إذا عاينها ، والآيات إذا رآها .

القول فى تأويل قوله تعالى

اتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ ، وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ ، إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (اتْلُ) : يعنى اقرأ (ما أُوحِىَ إلَيْكَ مِنَ الكِتابِ) يعنى ما أنزل إليك من هذا القرآن (وأقِمِ الصلاةَ) يعنى : وأدّ الصلاة التى فرضها الله عليك بحدودها . (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) : اختلف أهل التأويل فى معنى الصلاة التى ذُكِرت فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِى بها القرآن الذى يقرأ فى موضع الصلاة ، أو فى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبى الوفاء ، عن أبيه ، عن ابن عمر (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) قال : القرآن الذى يُقرأ فى المساجد .

---

(١) العبارة من أول قوله « كما لم يغن عنهم . . . إلى هناء : عسرة الفهم . فلتتأمل .

(٢) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٣٧) وفيه « فى » فى موضع « من » و « فى » أوجه . وتنمص ، بفتح أوله وثانيه ، بعده ميم مشددة مضمومة . وصاد مهملة : موضع . هكذا ذكره أبو حاتم ، وأنشد للأعشى :

هل تعرف الدر فى تنمص إذ تضرب لى قاعدا بها مثلا

وتنمص فى ديار حمير ، لأنه مدح بها ذا فائش الحميرى ، وزعم أنه قال له : مالك لا تمدحنى ، وضرب له مثلا . (انظر معجم ما استعجم للبكرى . ترتيب مصطفى السقا ص ٣٢٢) . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥ ا) وروايته : هل تذكر العهد فى تمنمص . والمؤلف اشتشهد به عند قوله تعالى : وتلك الأمثال نضربها للناس ». قال أبو عبيدة : مجازه : هذه الأشباه والنظائر نحتج بها .

وقال آخرون : بل عُنِى بها الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) يقول : فى الصلاة منتهًى ومُزْدَجَرٌ عن معاصى الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن العلاء بن المسيب ، عمن ذكره ، عن ابن عباس ، فى قول الله (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد بصلاته من الله إلا بُعدا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد ، قال : قال العلاء بن المُسَيب ، عن سَمُرة بن عطية ، قال : قيل لابن مسعود ، إن فلانا كثير الصلاة ، قال : فإنها لاتنفع إلا من أطاعها ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود ، قال : من لم تأمرْه صلاته بالمعروف ، وتنْهَه عن المنكر ، لم يزدد بها من الله إلاَ بُعْدا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علىّ بن هاشم بن البريد ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لاصَلاةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ الصَّلاةَ ، وَطاعَةُ الصَّلاةِ : أنْ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ » قال : قال سفيان . (قالُوا يا شُعَيْبُ أصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ) قال : فقال سفيان : إىْ والله تأمرُه وتنهاه .

قال على : وحدثنا إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى صَلاةً لَمْ تَنْهَهُ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ ، لَمْ يَزْدَدْ بِها مِنَ اللهِ إلاَّ بُعْدًا » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر ، قال : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله إلا بُعْدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة والحسن ، قالا : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكَر ، فإنه لايزداد من الله بذلك إلا بُعْدا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال ابن عباس وابن مسعود .

فإن قال قائل : وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، إن لم يكن مَعْنيا بها ما يُتْلَى فيها ؟ قيل : تنهى من كان فيها ، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش ، لأن شغله بها ، يقطعه عن الشُّغْل بالمنكَر ، ولذلك قال ابن مسعود : من لم يُطِع صلاته ، لم يزدد من الله إلا بُعْدا ، وذلك أن طاعته لها : إقامته إياها بحدودها ، وفى طاعته لها مزدَجَر عن الفحشاء والمنكر .

حدثنا أبو حميد الحمْصى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، قال : ثنا أرطاة ، عن ابن عون ، فى قول الله : (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ) قال : إذا كنت فى صلاة ، فأنت فى معروف ، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر ، والفحشاء : هو الزنا . والمنكر : معاصى الله . ومن أتى فاحشة أو عَصَى الله فى صلاته بما يفسد صلاته ، فلا شكّ أنه لاصلاة له .

وقوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة ، قال : قال لى ابن عباس : هل تدرى ماقوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : قلت : نعم ، قال : فما هو ؟ قال : قلت : التسبيح والتحميد والتكبير فى الصلاة ، وقراءة القرآن ونحو ذلك ، قال : لقد قلت قولا عَجَبًا ، وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول : ذكر الله إياكم عندما أمَر به أو نَهَى عنه ، إذا ذكرتموه ، أكبرُ من ذكركم إياه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن ابن ربيعة ، عن ابن عباس قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن ربيعة ، قال : سألنى ابن عباس ، عن قول الله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) فقلت : ذكره بالتسبيح والتكبير والقرآن : حَسَن ، وذكره عند المحارم فيحتجز عنها ، فقال : لقد قلت قولا عجيبا ، وما هو كما قلت ، ولكنّ ذكرَ الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة ، عن ابن عباس (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله للعبد : أفضل من ذكره إياه .

حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع ، قال ابن المثنى ، ثنى عبد الأعلى ، وقال ابن وكيع : ثنا عبد الأعلى : قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبى موسى ، قال : كنت قاعدا عند ابن عباس ، فجاءه رجل ، فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر ، فقال ابن عباس : الصلاة والصوم ، قال : ذاك ذكر الله ، قال رجل : إنى تركت رجلا فى رحلى يقول غير هذا ، قال (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكرُ الله العباد : أكبر من ذكر العباد إياه ، فقال ابن عباس : صَدَق والله صاحبُك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمِّى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : حدِّثنى عن قول الله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله لكم : أكبر من ذكركم له .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن داود ، عن عكرِمة (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله للعبد : أفضل من ذكره إياه .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : هو قوله (فاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ) وذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلَذِكْرُ اللهِ) لعباده إذا ذكروه : (أَكْبَرُ) من ذكركم إياه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله عبده : أكبر من ذكر العبد ربه ، فى الصلاة أو غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبى هند ، عن محمد بن أبى موسى ، عن ابن عباس ، قال : ذكر الله إياكم إذا ذكرتموه : أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تُمَيْلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبى قُرَة ، عن سَلْمان ، مثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنى عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبى عَرِيب ، عن كَثِير بن مُرّة الحضْرمىّ ، قال : سمعت أبا الدرداء ، يقول : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأحبها إلى مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخيرٍ من أن تغزوا عدوّكم ، فتضربوا أعناقهم ، وخيرٍ من إعطاء الدنانير والدراهم ؟ قالوا : ماهو ؟ قال : ذكركم ربكم ، وذكر الله أكبر » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبى قُرّة ، عن سلمان (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : قال ذِكْر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : سألت أبا قُرّة ، عن قوله (وَلَذِكْر اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرِمة قالا : ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا ابن فُضَيل ، عن مُطَرِّف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : هو كقوله (اذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ) فذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا حسن بن علىّ ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن عبد الله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه .

قال : ثنا أبويزيد الرازى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن شعْبة ، قال : ذكر الله لكم : أكبر من ذكركم له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولذكركم الله أفضل من كلّ شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمر بن أبى زائدة ، عن العَيْزار بن حُرَيث ، عن رجل ، عن سلمان ، أنه سئل : أىّ العمل أفضل ؟ قال : أما تقرأ القرآن (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) : لاشىء أفضل من ذكر الله .

حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحِمْصىّ ، قال : ثنا علىّ بن عَيّاش ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنى معاوية ، عن ربيعة بن يزيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن أمّ الدرداء ، أنها قالت (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) فإن صليت فهو من ذكر الله ، وإن صُمت فهو من ذكر الله ، وكلّ خير تعمله فهو من ذكر الله ، وكل شرّ تجتنبه فهو من ذكر الله ، وأفضل ذلك : تسبيحُ الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : لاشيء أكبر من ذكر الله ، قال : أكبر الأشياء كلها ، وقرأ (أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) قال : لذكر الله : وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر.

حدثنا ابن وكيع ، قال : : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، قال : قال رجل لسلمان : أيّ العمل أفضل ؟ قال : ذكر الله .

وقال آخرون : هو محتمل للوجهين جميعا ، يعنون القول الأوّل الذى ذكرناه ، والثانى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : لها وجهان : ذكر الله أكبر مما سواه ، وذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : لها وجهان : ذكر الله إياكم:أكبر من ذكركم إياه ، وذكر الله عند ما حُرِّم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لذكر الله العبد فى الصلاة : أكبر من الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله العبد فى الصلاة ، أكبر من الصلاة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللصلاة التى أتيت أنت بها ، وذكرك الله فيها ، أكبر مما نَهَتْك الصلاة ، من الفحشاء والمنكر .

حدثنى أحمد بن المغيرة الحمصى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطّار ، قال : ثنا أرطاة ، عن ابن عون ، فى قول الله (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) والذى أنت فيه من ذكر الله أكبر .

⁂ قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه .

وقوله (وَاللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ) يقول : والله يعلم ماتصنعون أيها الناس فى صلاتكم ، من إقامة حدودها ، وترك ذلك ، وغيره من أموركم ، وهو مُجازيكم على ذلك ، يقول : فاتقوا أن تضيعوا شيئا من حدودها ، والله أعلم .

تمّ الجزء العشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ

ويليه الجزء الحادى والعشرون

أوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ)

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الحادي والعشرون

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء الحادى والعشرين

من

جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ ــ فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب . . .	١
٤٧	وكذلك أنزلنا إليك الكتاب . . .	٤
٤٨	وما كنت تتلوا من قبله من كتاب . . .	٤
٤٩	بل هو آيات بينات فى صدور . . .	٥
٥٠	وقالوا لولا أنزل عليه آيات . . .	٦
٥١	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب . . .	٦
٥٢	قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا . . .	٧
٥٣	ويستعجلونك بالعذاب . . .	٧
٥٤	يستعجلونك بالعذاب . . .	٨
٥٥	يوم يغشاهم العذاب من فوقهم . . .	٨
٥٦	يا عبادى الذين آمنوا . . .	٩
٥٧	كلّ نفس ذائقة الموت . . .	١٠
٥٨	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٠
٥٩	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . . .	١٠
٦٠	وكأين من دابة لاتحمل رزقها . . .	١١
٦١	ولئن سألتهم من خلق السموات . . .	١١
٦٢	الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده . . .	١٢
٦٣	ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء . . .	١٢
٦٤	وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب . . .	١٢
٦٥	فإذا ركبوا فى الفلك دَعَوُا الله مخلصين . . .	١٣
٦٦	ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا . . .	١٣
٦٧	أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا . . .	١٣
٦٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	١٤
٦٩	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا . . .	١٥

تفسير سورة الروم

١	الم.	١٥
٢	غُلبت الروم .	١٥
٣	فى أدنى الأرض . . .	١٥
٤	فى بضع سنين لله الأمر . . .	١٥
٥	بنصر الله ينصر من يشاء . . .	١٥
٦	وعد الله لايخلف الله وعده . . .	٢٢
٧	يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . . .	٢٢
٨	أو لم يتفكروا فى أنفسهم . . .	٢٤
٩	أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا . . .	٢٤
١٠	ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى . . .	٢٥
١١	الله يبدأ الخلق ثم يعيده . . .	٢٥
١٢	ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون .	٢٦
١٣	ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء . . .	٢٦
١٤	ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون .	٢٦
١٥	فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٦
١٦	وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا . . .	٢٨
١٧	فسبحانَ الله حين تُمْسون . . .	٢٨
١٨	وله الحمد فى السموات والأرض . . .	٢٨
١٩	يخرج الحىّ من الميت . . .	٣٠
٢٠	ومن آياته أن خلقكم من تراب . . .	٣٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم . . .	٣١
٢٢	ومن آياته خلق السموات والأرض . . .	٣١
٢٣	ومن آياته منامكم بالليل والنهار . . .	٣٢
٢٤	ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا . . .	٣٢
٢٥	ومن آياته أن تقوم السماء . . .	٣٤
٢٦	وله من فى السموات والأرض . . .	٣٤
٢٧	وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده . . .	٣٤
٢٨	ضرب لكم مثلا من أنسفكم . . .	٣٨
٢٩	بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم . . .	٣٩
٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفا . . .	٤٠
٣١	منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة . . .	٤٢
٣٢	من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . . .	٤٢
٣٣	وإذا مس الناس ضر دعوا . . .	٤٣
٣٤	ليكفروا بما آتيناهم . . .	٤٣
٣٥	أم أنزلنا عليهم سلطانا . . .	٤٤
٣٦	وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا . . .	٤٤
٣٧	أو لم يروا أن الله يبسط الرزق . . .	٤٤
٣٨	فآت ذا القربى حقه . . .	٤٥
٣٩	وما آتيتم من ربا ليربو . . .	٤٥
٤٠	الله الذى خلقكم ثم رزقكم . . .	٤٨
٤١	ظهر الفساد فى البر والبحر . . .	٤٨
٤٢	قل سيروا فى الأرض . . .	٥٠
٤٣	فأقم وجهك للدين القيم . . .	٥١
٤٤	من كفر فعليه كفره . . .	٥١
٤٥	ليجزى الذين آمنوا . . .	٥٢
٤٦	ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات . . .	٥٢
٤٧	ولقد أرسلنا من قبلك رسلا	٥٣
٤٨	الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا . . .	٥٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٩	وإن كانوا من قبل . . .	٥٤
٥٠	فانظر إلى آثار رحمة الله . . .	٥٥
٥١	ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا . . .	٥٥
٥٢	فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم . . .	٥٥
٥٣	وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم . . .	٥٥
٥٤	الله الذى خلقكم من ضعف . . .	٥٦
٥٥	ويوم تقوم الساعة . . .	٥٧
٥٦	وقال الذين أوتوا العلم . . .	٥٧
٥٧	فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا . . .	٥٨
٥٨	ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن . . .	٥٨
٥٩	كذلك يطبع الله على قلوب . . .	٥٨
٦٠	فاصبر إن وعد الله حق . . .	٥٨

تفسير سورة لقمان

١	الم .	٥٩
٢	تلك آيات الكتاب الحكيم .	٥٩
٣	هدى ورحمة للمحسنين .	٥٩
٥	الذين يقيمون الصلاة . . .	٥٩
١	أولئك على هدى من ربهم . . .	٦٠
٦	ومن الناس من يشترى . . .	٦٠
٧	وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا . . .	٦٤
٨	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٦٥
٩	خالدين فيها . . .	٦٥
١٠	خلق السموات بغير عمد ترونها . . .	٦٥
١١	هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق . . .	٦٦
١٢	ولقد آتينا لقمان الحكمة . . .	٦٧
١٣	وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه . . .	٦٨
١٤	ووصينا الإنسان بوالديه . . .	٦٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥	وإن جاهداك على أن تشرك بى . . .	٧٠
١٦	يابنى إنها إن تك مثقال حبة . . .	٧١
١٧	يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف . . .	٧٣
١٨	ولا تصعر خدك للناس . . .	٧٤
١٩	واقصد فى مشيك . . .	٧٦
٢٠	ألم تروا أن الله سخر لكم . . .	٧٧
٢١	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله . . .	٧٩
٢٢	ومن يسلم وجهه إلى الله . . .	٧٩
٢٣	ومن كفر فلا يحزنك كفره . . .	٨٠
٢٤	نمتعهم قليلا . . .	٨٠
٢٥	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض	٨٠
٢٦	لله ما فى السموات والأرض . . .	٨٠
٢٧	ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام . . .	٨٠
٢٨	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . . .	٨٢
٢٩	ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار . . .	٨٣
٣٠	ذلك بأن الله هو الحق . . .	٨٣
٣١	ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر . . .	٨٤
٣٢	وإذا غشيهم موج كالظُّلَل . . .	٨٤
٣٣	يا أيها الناس اتقوا ربكم . . .	٨٦
٣٤	إن الله عنده علم الساعة . . .	٨٧

تفسير سورة السجدة

١	الم .	٨٩
٢	تنزيل الكتاب لا ريب فيه	٨٩
٣	أم يقولون افتراه	٨٩
٤	الله الذى خلق السموات والأرض . . .	٩٠
٥	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض . . .	٩١
٦	ذلك عالم الغيب والشهادة . . .	٩٣
٧	الذى أحسن كل شىء خلقه . . .	٩٣
٨	ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . . .	٩٣
٩	ثم سواه ونفخ فيه من روحه . . .	٩٦
١٠	وقالوا : أءذا ضللنا فى الأرض . . .	٩٦
١١	قل : يتوفاكم ملك الموت . . .	٩٧
١٢	ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم . . .	٩٨
١٣	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها . .	٩٨
١٤	فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا . . .	٩٩
١٥	إنما يؤمن بآياتنا الذين . . .	٩٩
١٦	تتجافى جنوبهم عن المضاجع . . .	٩٩
١٧	فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين . . .	١٠٣
١٨	أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا . . .	١٠٧
١٩	أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٠٧
٢٠	وأما الذين فسقوا فمأواهم النار . . .	١٠٧
٢١	ولنذيقنهم من العذاب الأدنى . . .	١٠٨
٢٢	ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه . . .	١١١
٢٣	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	١١٢
٢٤	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا . . .	١١٢
٢٥	إن ربك هو يفصل بينهم . . .	١١٣
٢٦	أولم يهد لهم كم أهلكنا . . .	١١٣
٢٧	أولم يروا أنا نسوق الماء . . .	١١٤
٢٨	ويقولون متى هذا الفتح . . .	١١٥
٢٩	قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا . . .	١١٥
٣٠	فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون . . .	١١٥

تفسير سورة الأحزاب

١	يا أيها النبى اتق الله . . .	١١٧
٢	واتبع ما يوحى إليك من ربك . . .	١١٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	وَتَوكَّلْ على الله وكفى بالله وكيلا . . .	١١٧
٤	ما جعل الله لرجل من قَلْبين فى جوفه ...	١١٧
٥	ادْعوهُم لآبائهم هو أقسط عند الله . . .	١٢٠
٦	النبىُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم . . .	١٢١
٧	وإذ أخذنا من النبيين مِيثاقهم . . .	١٢٥
٨	ليسأل الصادقينَ عن صدقهم . . .	١٢٦
٩	يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله . . .	١٢٦
١٠	إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفلَ منكم...	١٢٩
١١	هنالك ابتُلِى المؤمنون . . .	١٢٩
١٢	وإذ يقول المنافقون	١٢٩
١٣	وإذ قالت طائفة منهم . . .	١٣٤
١٤	ولو دُخلت عليهم من أقطارها ...	١٣٥
١٥	ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل . . .	١٣٧
١٦	قل لن ينفعكم الفِرار . . .	١٣٧
١٧	قل من ذا الذى يعصِمكم من الله . . .	١٣٧
١٨	قد يعلم الله المُعوِّقين منكم . . .	١٣٩
١٩	أشحة عليكم	١٣٩
٢٠	يحسبون الأحزاب لم يذهبوا . . .	١٤٢
٢١	لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة .	١٤٣
٢٢	ولما رأى المؤمنون الأحزاب . . .	١٤٣
٢٣	من المؤمنين رجال . . .	١٤٤
٢٤	ليجزىَ الله الصادقين بصدقهم . . .	١٤٤
٢٥	ورد الله الذين كفروا بغيظهم . . .	١٤٨
٢٦	وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ...	١٤٩
٢٧	وأورثكم أرضهم وديارهم . . .	١٤٩
٢٨	يا أيها النبى قل لأزواجك :	١٥٥
٢٩	وإن كنتن تردن الحياة الدنيا	١٥٥
٣٠	يا نساء النبى مَنْ يَأْتِ . . .	١٥٨

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تأويل قوله « ولا تجادلوا أهل الكتاب » . والصواب فى الذين ظلموا أنهم من امتنعوا عن الجزية .

٤ كان النبىّ أُمِّيا لايقرأ ولا يكتب .

٥ فى الكتب السابقة أنه صلى الله عليه وسلم أمىّ ، وأن ذلك من آياته .

٩ تأويل قوله « يا عبادى الذين آمنوا » . . . الخ . وأنه ندب إلى الهرب من الأرض التى لم تُمكِن عبادة الله فيها .

١١ تأويل قوله « وكأين من دابة » . وأنه لاينبغى أن يؤخر ضيق الرزق عن الهجرة .

١٤ تأويل قوله « ومن أظلم » . وأن الاستفهام للتقرير ، والشاهد عليه .

١٥ تفسير سورة الروم

١٨ طرف من تاريخ حرب الروم وفارس .

٢٢ تأويل قوله « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا » ، وأن ذلك لاتعلق له بالآخرة .

٢٧ تأويل قوله « ويوم تقوم الساعة » . . . الآية . ومعنى « يُحبَرون » ، وسوق الشواهد عليه .

٢٨ تأويل قوله « فسبحان الله » . ودلالتها على طلب الصلوات الخمس .

٣٢ تأويل قوله « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » .

الصفحة

٣٤ كلّ من فى السموات والأرض تحت تصرّف الله وتقديره .

٣٦ الشواهد الدالة على أن أفعل فى قوله « وهو أهون عليه » بمعنى اسم الفاعل .

٣٨ تأويل قوله « ضرب لكم مثلا من أنفسكم » . وأنهم أَجحفوا بما اتخذوه من الآلهة .

٤٠ قِوام هذه الأمة بثلاث .

٤٢ معنى الإنابة إليه تعالى .

٤٥ تأويل قوله « وما آتيتم من رِباً » . والنهى عن كون الرجل يعطى ليثاب على عطائه .

٤٩ تأويل قوله « ظهر الفساد فى البرّ والبحر » .

٥٤ الرياح أربع .

٥٩ تفسير سورة لُقمان

٦٣ الصواب فى المراد من لهو الحديث .

٦٥ تأويل قوله « خلق السموات بغير عمد ترونها » . . . الآية .

٦٧ ما أوتيه لقمان من الحِكمة .

٦٨ مواعظه لابنه .

٧٧ تأويل قوله « ألم تروا أن الله سخر لكم » . . . الآية . ومعنى النعم الظاهرة والباطنة .

٨٠ معلومات الله لاتتناهى .

٨٥ تأويل قوله « وإذا غشيهم مَوج » . . . الخ ، وذكر الشواهد .

٨٧ مفاتح الغيب التى لايعلمها إلا الله خمس .

الصفحة

٨٩ تفسير سورة السجدة

٩١ تأويل قوله « يدبر الأمر » . . . الآية . ومعنى عروج الأمر وسوق الخلاف فيه .

٩٣ معنى إحسان خلق كل شيء .

٩٦ تأويل قوله « وقالوا أئذا ضَلَلْنا » . وأن الضلال بمعنى الفناء ، والشاهد عليه .

٩٩ معنى تجافي الجنوب ، وبماذا يكون ذلك ؟

١٠٣ ما أعدّ للمتقين فى الجنة من الكرامة .

١٠٨ تأويل قوله « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى » وأن بلاء الدنيا من العذاب الأدنى .

١١٢ المراد بقوله « فلا تكُ فى مرية من لقائه » .

١١٦ تأويل قوله « ويقولون متى هذا الفتح » .

١١٧ تفسير سورة الأحزاب

١١٨ معنى قوله « ما جعل الله لرجل من قلبَيْن » .

١٢٠ ما أمر الله به فى نسبة من لم نعلم آباءهم .

الصفحة

١٢٣ كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، ثم نُسِخ ذلك بالتوارث بالأرحام .

١٢٧ غزوة الخندق .

١٣٥ تأويل قوله « وإذ قالت طائفة منهم » : وما كان يفعله المنافقون من الهَرَب من عسكر المسلمين .

١٣٩ تأويل قوله « قد يعلم الله المعوّقين » ، وتثبيط المنافقين الناس عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٤٣ تأويل قوله « لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة » . . . الآية . وأن ذلك عتاب للمتخلفين .

١٥٠ خبر غزوة بنى قُرَيظة .

١٥٦ تأويل قوله « يا أيها النبىّ قل لأزواجك » . . . الآية ، وتخيير رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجه .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ا	
النَّوَى	١١٤
لايَرَاها	١٣٥
ب	
نَحْبِ	١٤٥
دَبَّابِ	٩٥
مُلَهَّبَا	٦٦
ح	
رَاحِ	١٥
أكْدَحُ	٣٣
د	
أحَدْ	٩٧
العَدَدْ	٩٧
بأَوْحَدِ	٣٧
المُمَدِ	١٥٤
مُخْلِدى	٣٣
ر	
الحَبَرْ	٢٧
شَكَرْ	٢٧
سَطَرْ	١٢٥
هَوْبَرُ	١٤٥
وَخَتْرِ	٨٥
تَمُرًّا	١٣٦
شَرًّا	١٣٦
س	
مُكْرَسا	٢٦
وأبْلَسا	٢٦
ط	
قانِطِ	٤٤
ع	
أخْضَعُ	٣٦
المَضَاجِعُ	١٠٢
ف	
خَلَفُ	٥١
ق	
دَمْشَقُ	١٠٠
أرْفَقُ	١٠٠
ك	
هَلَكُوا	٦٩
ل	
هَطِلُ	٢٧
مُكْتَهِلُ	٢٧
الأصُلُ	٢٧
وأطْوَلُ	٣٧
أوَّلُ	٣٧
وأفْضَلُ	٣٧
أوَّلُ	٣٧
فَعُولُ	٩٥
يُخْذَلِ	١٥٣
مُقَلْقَلِ	١٥٣
ضَلالا	٩٦
م	
الدَّمِ	٧١
وَمِيسَمِ	٣٣
المُتَلَوِّمِ	١٤٥
فَتَقَوَّما	٧٤
ن	
الدِّنانِ	٨٥
حَصِينِ	٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَلَا تُجَادِلُوٓا أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ، إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٤٦)

** يقول تعالى ذكره : (وَلا تُجادِلُوا) أيها المؤمنون بالله وبرسوله ، اليهود والنصارى ، وهم (أهْلَ الكِتابِ ، إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ) يقول : إلا بالجميل من القول ، وهو الدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه على حُجَجه .

وقوله (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : إلا الذين أبَوا أن يقرّوا لكم بإعطاء الجزية ، ونصبوا دون ذلك لكم حَرْبا ، فإنهم ظلمة ، فأولئك جادلوهم بالسيف ، حتى يُسْلِموا أو يُعطوا الجِزْية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، عن سفيان ، عَن خَصِيف ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ ، إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : من قاتل ولم يُعط الجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، بنحوه ؛ إلاَّ أنه قال : من قاتلك ولم يعطك الجزية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ) قال : إن قالوا شرّا ، فقولوا خيرا ، (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) ، فانتصروا منهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : قالُوا

مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله مَغْلولة ، أو الله فقير ، أو آذَوْا محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ ، إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : أهل الحرب ، مَنْ لاعهد له ، جادِلْه بالسيف .

وقال آخرون : معنى ذلك : (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ) الذين قد آمنوا به ، واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما فى كتبهم (إلاَّ بالتى هِيَ أحْسَنُ ، إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) . فأقاموا على كفرهم ، وقالوا : هذه الآية مُحْكَمة ، وليست بمنسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ) قال : ليست بمنسوخة ، لاينبغى أن تجادل من آمن منهم ، لعلهم يحسنون شيئا فى كتاب الله ، لاتعلمه أنت ، فلا تجادله ، ولا ينبغى أن تجادل إلا الذين ظلموا ، المقيمَ منهم على دينه . فقال : هوالذى يُجادَلُ ، ويُقال له بالسيف[1] . قال : وهؤلاء يهود . قال : ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد ، إنما كانوا يهودا هم الذين كلَّموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغدرت النضير يوم أُحُد ، وغدرت قُرَيظة يوم الأحزاب .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بالقتال ، وقالوا : هى منسوخة نسخها قوله (قاتِلُوا الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالله وَلا باليَوْمِ الآخِرِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ) ثم نسخ بعد ذلك ، فأمر بقتالهم فى سورة براءة ، ولا مجادلة أشدّ من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يقرّوا بالخَراج .

⁂ وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : عنى بقوله (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) : إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب .

فإن قال قائل : أو غير ظالم من أهل الكتاب ، إلا من لم يؤدّ الجزية ؟ قيل : إن جميعهم وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظَلَمة ، فإنه لم يعن بقوله (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) ظُلْمَ أنفسهم . وإنما عنى به : إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أذِن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل

---

(١) يقال له بالسيف : أى يرفع عليه السيف . قال فى (اللسان : قول) : والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده : أى أخذ ، وقال برجله : أى مشى وقال الشاعر : * وقالت له العينان سمعا وطاعة * أى أومأت . وقال بثوب : أى رفعه . وكل ذلك على المجاز والاتساع . وفى الأصل : و « يقال له السبت » ، تحريف من الناسخ .

الكتاب بغير الذى هو أحسن ، بقوله (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فمعلوم إذ كان قد أذن لهم فى جدالهم أن الذين لم يُؤْذَن لهم فى جدالهم إلا بالتى هى أحسن، غير الذين أذن لهم بذلك فيهم ، وأنهم غير المؤمن ، لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا فى غير الحقّ ، لأنه إذا جاء بغير الحقّ ، فقد صار فى معنى الظلمة ، فى الذى خالف فيه الحقّ . فإذ كان ذلك كذلك ، تبين أن لامعنى لقول من قال : عنى بقوله (وَلا تُجادِلُوا أهلَ الكتابِ) أهل الإيمان منهم ، وكذلك لامعنى لقول من قال : نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال ، وزعم أنها منسوخة ، لأنه لاخبر بذلك يقطع العذْر ، ولا دلالة على صحته من فِطْرة عقل .

وقد بيَّنا فى غير موضع من كتابنا ، أنه لايجوز أن يحكم على حكم الله فى كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل .

وقوله (وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِى أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ ، وَإلَهُنا وإلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إذا حدثكم أهل الكتاب أيُّها القوم عن كتبهم ، وأخبروكم عنها بما يمكن ، ويجوز أن يكونوا فيه صادقين ، وأن يكونوا فيه كاذبين ، ولم تعلموا أمرهم وحالهم فى ذلك ، فقولوا لهم (آمَنَّا بالَّذِى أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ) مما فى التوراة والإنجيل (وَإلَهُنا وإلَهُكُمْ وَاحِدٌ) يقول : ومعبودنا ومعبودكم واحد (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول : ونحن له خاضعون متذلِّلون بالطاعة فيما أمَرنا ونهانا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا علىّ ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتُصَدِّقُوا أهْلَ الكِتابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِى أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ ، وَإلَهُنا وإلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عطاء بن يسار ، قال : كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لاتُصَدِّقُوهُمْ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِى أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ » .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن عُمارة بن عُمير ، عن حُرَيث بن ظهير ، عن عبد الله ، قال : لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فانهم لن يَهْدُوكم وقد ضَلُّوا ، إما أن تكذّبوا بحقّ ، أوتصدّقوا بباطل ، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب ، إلاّ وفى قلبه تالية تدعوه إلى دينه ، كتالية المال[1] .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ الَّذِينَ

(١) تالية : اسم فاعل من تلاه يتلوه : إذا تبعه . يريد : داعية تدعوه إلى الاستمساك بدينه . وتالية المال : لعل المراد به : التابعة التى تتبع أماتها من صغار الإبل ونحوها .

ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : قالوا مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله مغلولة ، أو الله فقير ، أو آذَوا محمدا . (وقُولُوا آمَنَّا بالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ، فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ، وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ، وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : كما أنزلنا الكتب على من قبلك يامحمد من الرسل (كَذلكَ أنْزَلْنا إلَيْكَ) هذا (الكِتابَ ، فالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ) من قبلك من بنى إسرائيل (يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) يقول : ومن هؤلاء الذين هم بين ظَهْرانَيْكَ اليوم ، من يؤمن به ، كعبد الله بن سَلام ، ومن آمن برسوله من بنى إسرائيل .

وقوله (وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ الكافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذى يجحد نعمنا عليه ، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه ، عنادا لنا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ الكافِرُونَ) قال : إنما يكون الجُحود بعد المعرفة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ، وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ، إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : (وَما كُنْتَ) يا محمد (تَتْلُوا) يعنى تقرأ (مِنْ قَبْلِهِ) يعنى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلته إليك (مِنْ كِتابٍ ، وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ) يقول : ولم تكن تكتب بيمينك ، ولكنك كنت أمِّيًّا (إذًا لارْتابَ المُبْطِلُونَ) يقول : ولو كنت من قبل أن يُوحَى إليك تقرأ الكتاب ، أو تخطُّه بيمينك (إذًا لارْتابَ) : يقول : إذن لشكّ بسبب ذلك فى أمرك ، وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذى تتلوه عليهم ، (المُبْطِلونَ) القائلون إنه سجع وكَهانة ، وإنه أساطير الأوّلين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ ، وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذًا لارْتابَ المُبْطِلُونَ) : قال : كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أمِّيًّا لايقرأ شيئا ولا يكتب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ ، وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ) قال : كان نبىّ الله لايقرأ كتابا قبلَه ، ولا يخطه بيمينه ؛ قال : كان أُمِّيا ، والأمىّ : الذى لايكتب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إدريس الأَوْدِىّ ، عن الحكَم ، عن مجاهد (وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كتابٍ ، وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ) قال : كان أهل الكتاب يجدون فى كتبهم أن النبىّ صلى الله عليه وسلم لايخطّ بيمينه ، ولا يقرأ كتابا ، فنزلت هذه الآية .

وبنحو الذى قلنا أيضا فى قوله (إذًا لارْتابَ المُبْطِلُونَ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذًا لارْتابَ المُبْطِلُونَ) إذن لقالوا : إنما هذا شىء تعلّمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إذًا لارْتابَ المُبْطِلُون) قال قريش.

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٩)

⁂ اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) فقال بعضهم : عنى به نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : معنى الكلام : بل وجود أهل الكتاب فى كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لايكتب ولا يقرأ ، وأنه أمىّ ، آيات بينات فى صدورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) قال : كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل ، لأهل العلم ؛ وعلمه لهم ، وجعله لهم آية ، فقال لهم : إن آية نبوّته أن يخرج حين يخرج لايعلم كتابا ، ولا يخطّه بيمينه ، وهى الآيات البينات .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ) قال : كان نبىّ الله لايكتب ولا يقرأ ، وكذلك جعل الله نعته فى التوراة والإنجيل ، أنه نبىّ أمىّ لايقرأ ولا يكتب ، وهى الآية البينة فى صدور الذين أوتوا العلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) من أهل الكتاب ، صدّقوا بمحمد ونعته ونبوّته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ) قال : أنزل الله شأن محمد فى التوراة والإنجيل لأهل العلم ، بل هو آية بينة فى صدور الذين أوتوا العلم ، يقول النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : عنى بذلك القرآن ، وقالوا : معنى الكلام : بل هذا القرآن آيات بيِّنات فى صدور الذين أوتوا العلم ، من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله : (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ، يعنى المؤمنين .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنِى بذلك : بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ، ولا تخطه بيمينك ، آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب .

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن قوله (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو بأن يكون خبرا عنه ، أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذى قد انقضى الخبر عنه قبل .

وقوله (وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ الظَّالِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ما يجحد نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلته ، ويُنكر العلم الذى يعلم من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته ومبعثه إلا الظالمون ، يعنى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عزّ وجلّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقالت المشركون من قريش : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، تكون حجة لله علينا ، كما جعلت الناقة لصالح ، والمائدة آية لعيسى ، قل يا محمد ، إنما الآيات عند الله ، لا يقدر على الإتيان بها غيره ، وإنما أنا نذير مبين ، وإنما أنا نذير لكم ، أنذِرُكم بأسَ الله وعقابه ، على كفركم برسوله .

وما جاءكم به من عند ربكم مبين : يقول : قد أبان لكم إنذاره .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ؟ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)

⁂ يقول تعالى ذكره : أو لم يكف هؤلاء المشركين يا محمد ، القائلين : لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه ، من الآيات والحجج (أنَّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ) هذا (الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) يقول

يُقرأ عليهم (إنَّ فِى ذلكَ لَرَحْمَةً) يقول : إن فى هذا الكتاب الذى أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة .

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين ، أتوا نبىّ الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود ، فلما أن نظر فيها ألقاها ، ثم قال : كفى بها حماقة قوم ، أو ضلالة قوم ، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم ، إلى ماجاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم ، فنزلت (أوَلَمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إنَّ فِى ذلكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٥٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للقائلين لك : لولا أنزل عليك آية من ربك ، الجاحدين بآياتنا من قومك ، كفى الله ياهؤلاء بينى وبينكم شاهدا لى وعلىّ ، لأنه يعلم المحقّ منا من المبطل ، ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، لايخفى عليه شىء فيهما ، وهو المجازى كل فريق منا بما هو أهله ، المحقّ على ثباته على الحقّ ، والمبطل على باطله ، بما هو أهله (وَالَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ) يقول : صدّقوا بالشرك ، فأقرّوا به وكفروا به : يقول : وجحدوا الله (أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) يقول : هم المغبونون فى صفقتهم .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (والَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ) : الشرك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ، وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : ويستعجلك يامحمد هؤلاء القائلون من قومك : لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ،

ويقولون: (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ)، ولولا أجل سميته لهم، فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه، لجاءهم العذاب عاجلا. وقوله (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) يقول: وليأتينهم العذاب فجأة، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذابِ) قال: قال ناس من جَهَلة هذه الأمة (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ، أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أليمٍ)... الآية.

القول في تأويل قوله تعالى

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره: يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب، ونزوله بهم، والنار بهم محيطة، لم يبق إلا أن يدخلوها. وقيل: إن ذلك هو البحر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شُعْبة، عن سماك، قال: سمعت عكرمة يقول في هذه الآية: (وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ) قال: البحر.

أخبرنا ابن وكيع، قال: ثنا غُنْدَر، عن شعبة، عن سماك، عن عكرمة، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره (وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ) يوم يَغْشَى الكافرين العذاب من فوقهم في جهنم، ومن تحت أرجلهم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يَوْمَ يَغْشاهُمُ العَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِمْ): أي في النار.

وقوله (وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول جلّ ثناؤه: ويقول الله لهم: ذُوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله، وما يسخطه فيها. وبالياء في ويقول (ذُوقُوا) قرأت عامة قرّاء الأمصار، خلا أبي جعفر، وأبي عمرو، فإنهما قرآ ذلك بالنون (وَنَقُولُ). والقراءة التي هي القراءة عندنا بالياء، لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ (٥٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : ياعبادى الذين وحدونى وآمنوا بى وبرسولى محمد صلى الله عليه وسلم (إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ) .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أريد من الخبر عن سعة الأرض، فقال بعضهم : أريد بذلك : أنها لم تضق عليكم، فتقيموا بموضع منها لايحلّ لكم المُقام فيه، ولكن إذا عُمِل بمكان منها بمعاصى الله، فلم تقدروا على تغييره ، فاهرُبوا منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عُمِل فيها بالمعاصى ، فاخرج منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن سعيد ابن جُبَير ، فى قوله (إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عُمِل فيها بالمعاصى ، فاخرج منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : اهرُبوا فإن أرضى واسعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن منصور ، عن عطاء ، قال : إذا أمِرتم بالمعاصى فاهرُبوا ، فإن أرضى واسعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن عطاء (إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ) : قال : مجانبة أهل المعاصى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ) ، فهاجروا وجاهدوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ ، فإيَّايَ فاعْبُدُونِ) فقلت : يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين ، فقال : نعم .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن ما أخرج من أرضى لكم من الرزق واسع لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى زيد بن الحباب ، عن شدّاد بن سعيد بن مالك أبى طلحة الراسبىّ ، عن غَيْلان بن جرير المِعْوَلىّ ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير العامرىّ ، فى قول الله (إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ) : قال : إن رزقى لكم واسع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حُباب ، عن شدّاد ، عن غَيلان بن جرير ، عن مُطَرِّف بن الشِّخِّير (إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : رزقى لكم واسع .

⁂ وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : معنى ذلك : إن أرضى واسعة ، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتى لدلالة قوله (فإيَّاىَ فاعْبُدُونِ) على ذلك ، وأن ذلك هو أظهر معنييه ، وذلك أن الأرض إذا وصفها بسَعة ، فالغالب من وصفه إياها بذلك ، أنها لاتضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع ، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب .

وقوله (فإيَّاىَ فاعْبُدُونِ) يقول : فأخلِصوا لى عبادتكم وطاعتكم ، ولا تطيعوا فى معصيتى أحدا من خلقى .

القول فى تأويل قوله تعالى

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ، ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا، نِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه : هاجِرُوا من أرض الشرك من مكة ، إلى أرض الإسلام المدينة ، فإن أرضى واسعة ، فاصبروا على عبادتى ، وأخلِصوا طاعتى ، فإنكم ميتون ، وصائرون إلىّ ، لأن كل نفس حية ذائقة الموت ، ثم إلينا بعد الموت تُرَدّون ، ثم أخبرهم جلّ ثناؤه عما أعدّ للصابرين منهم على طاعته ، من كرامته عنده ، فقال : (والَّذين آمنوا) ، يعنى صدّقوا الله ورسوله ، فيما جاء به من عند الله ، (وعَمِلوا الصَّالِحاتِ) : يقول : وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الجَنَّةِ غُرَفا) يقول : لننزلنهم من الجنة عَلالىّ .

واختلفت القُرَّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) بالباء وقرأته عامة قرّاء الكوفة بالثاء (لَنُثْوِيَنَّهُمْ) .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، قد قرأ بكل واحدة ، منهما علماء من القُرَّاء متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن قوله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) من بوأته منزلا : أى أنزلته ، وكذلك لنُثْوِينهم ، إنما هو من أثويته مَسْكَنا إذا أنزلته منزلا ، من الثواء ، وهو المُقام .

وقوله (تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار . (خالِدِينَ فِيها) يقول : ماكثين فيها إلى غير نهاية (نِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ) يقول : نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرفُ التى يُثْوِيهِمُوها الله فى جَنّاته ، تجرى من تحتها الأنهار ، الذين صبروا على أذى المشركين فى الدنيا ، وماكانوا يَلْقون منهم ، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه ، وجهاد أعدائه (وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فى أرزاقهم

وجهاد أعدائهم ، فلا يَنْكُلون عنهم ، ثقة منهم بأن الله مُعْلِى كلمته ، ومُوهِن كيد الكافرين ، وأن ماقُسِم لهم من الرزق فلن يَفُوتَهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ، وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦٠)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : هاجروا وجاهدوا فى الله أيها المؤمنون أعداءه ، ولا تخافوا عَيْلة ولا إقتارا ، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لاتحمل رزقها ، يعنى غذاءَها لاتحمله ، فترفعه فى يومها لغدها ، لعجزها عن ذلك . (اللهُ يَرْزُقُها وَإيَّاكُمْ) يوما بيوم . (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة (العَلِيمُ) ما فى أنفسكم ، وما إليه صائر أمركم ، وأمر عدوّكم من إذلال الله إياهم ، ونُصْرتكم عليهم ، وغير ذلك من أموركم ، لايخفى عليه شىء من أمور خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وكأيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاتَحْمِلُ رِزْقَها) قال : الطيرُ والبهائم لاتحمل الرزق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عِمران ، عن أبى مُجَلِّز ، فى هذه الآية (وكأيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاتَحْمِلُ رِزْقَها ، اللهُ يَرْزُقُها وَإيَّاكُمْ) قال : من الدوابّ ما لايستطيع أن يدّخر لغد ، يُوَفَّق لرزقه كلّ يوم حتى يموت .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن علىّ بن الأقمر (وكأيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاتَحْمِلُ رِزْقَها) قال : لاتدّخر شيئا لغد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ، وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ؟ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ، فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ؟ (٦١)

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فَسَوّاهن ، وسخّر الشمس والقمر لعباده ، يجريان دائبين لمصالح خلق الله ، ليقولنّ الذى خلق ذلك وفعَلَه الله . (فأنّى يُؤْفَكُونَ) يقول جلّ ثناؤه : فأنى يُصْرفون عمن صنع ذلك ، فيعدلون عن إخلاص العبادة له .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فأنى يؤفكون) : أى يعدلون .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَيَقْدِرُ لَهُ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه ، ويضيق فيقتر لمن يشاء منهم : يقول : فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس ، بيدى دون كل أحد سواى ، أبسط لمن شئت منها ، وأقتر على من شئت ، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العيلة (إنَّ اللهَ بكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله عليم بمصالحكم ، ومن لايصلح له الا البسط فى الرزق ، ومن لايصلح له إلا التقتير عليه ، وهو عالم بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً ، فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزّل من السماء ماء ، وهو المطر الذى يُنزله الله من السحاب (فأحيا به الأرض) يقول : فأحيا بالماء الذى نزل من السماء الأرض ، وإحياؤها : إنباتُه النباتَ فيها (من بعد موتها) من بعد جُدُوبها وقُحوطها .

وقوله (لَيَقُولُنَّ اللهُ) يقول : ليقولنّ الذى فعل ذلك ، الله الذى له عبادة كل شىء . وقوله (قُلِ الحَمْدُ لِلهِ) يقول : وإذا قالوا ذلك ، فقل الحمد لله (بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لايعقلون ما لهم فيه النفعُ من أمر دينهم ، ومافيه الضُّرُّ ، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ، ينالون بها عند الله زُلْفة وقُرْبة ، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون ، مستوجبون الخلود فى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْأَخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : (وَما هَذِهِ الحَياةُ الدُّنْيا) التى يتمتع منها هؤلاء المشركون (إلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ) يقول : إلا تعليل النفوس بما تلتذّ به ، ثم هو مُنْقَضٍ عن قريب ، لابقاء له ولا دوام (وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ) يقول : وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة ، التى لازوال لها ولا انقطاع ولاموت معها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ ، لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) حياة لاموت فيها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَهِيَ الحَيَوَانُ) قال : لاموتَ فيها .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ) يقول : باقية .

وقوله (لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك ، لقَصَّروا عن تكذيبهم بالله ، وإشراكهم غيره فى عبادته ، ولكنهم لايعلمون ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة فى البحر ، فخافوا الغَرق والهلاك فيه (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول : أخلصوا لله - عند الشدّة التى نزلت بهم - التوحيد ، وأفردوا له الطاعة ، وأذعنوا له بالعبودة ، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ، ولكن بالله الذى خلقهم (فَلَمَّا نَجَّيْهُمْ إلى البَرّ) يقول : فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم ، فصاروا إلى البرّ ، إذا هم يجعلون مع الله شريكا فى عبادتهم ، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا نَجَّيْهُمْ إلى البَرِّ إذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم ، ثم يشركون بعد ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ؟ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ ، وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ؟ (٦٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه فى البحر من الخوف والحذر من الغرق إلى البرّ ، إذا هم بعد أن صاروا إلى البرّ ، يشركون بالله الآلهة والأنداد (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) يقول : ليجحدوا نعمة الله التى أنعمها عليهم فى أنفسهم وأموالهم .

(وَلِيَتَمَتَّعُوا) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (وَلِيَتَمَتَّعُوا) بكسر اللام ، بمعنى : وكى يتمتعوا آتيناهم ذلك . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (وَلْيَتَمَتَّعُوا) بسكون اللام ، على وجه الوعيد والتوبيخ : أى اكفروا ، فإنكم سوف تعلمون ماذا يَلْقون من عذاب الله بكفرهم به .

وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد ، وذلك أن الذين قرءوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرها عطفا بها على اللام التى فى قوله (لِيَكْفُرُوا) ، وأن قوله (لِيَكْفُرُوا) لما كان معناه : كى يكفروا كان الصواب فى قوله (وَلِيَتَمَتَّعُوا) أن يكون :

وكى يتمتعوا ، إذ كان عطفا على قوله : ليكفروا عندهم ، وليس الذى ذهبوا من ذلك بمذهب ، وذلك لأن لام قوله (لِيَكْفُرُوا) صلُحت أن تكون بمعنى كى ، لأنها شرط لقوله : إذا هم يشركون بالله ، كى يكفروا بما آتيناهم من النعم ، وليس ذلك كذلك فى قوله (وَلِيَتَمَتَّعُوا) لأن إشراكهم بالله كان كفرا بنعمته ، وليس إشراكهم به تمتعا بالدنيا ، وإن كان الإشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها ، فإذ كان ذلك كذلك فتوجيهه إلى معنى الوعيد أولى وأحقّ من توجيهه إلى معنى : وكى يتمتعوا . وبعدُ ، فقد ذكر أن ذلك فى قراءة أُبَىّ (وَتَمَتَّعُوا) وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام ، بمعنى الوعيد .

وقوله (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنا) يقول تعالى ذكره ، مذكّرا هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين : لولا أنزل عليه آية من ربه ، نِعْمَتَه عليهم ، التى خصهم بها دون سائر الناس غيرهم ، مع كفرهم بنعمته ، وإشراكهم فى عبادته الآلهة والأنداد ، أو لم ير هؤلاء المشركون من قريش ، ماخصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا ، فيشكرونا على ذلك ، وينزجروا عن كفرهم بنا ، وإشراكهم ما لاينفعهم ولا يضرّهم فى عبادتنا : (أنا جعلنا) بلدهم حَرَما ، (حرّمنا) على الناس أن يدخلوه بغارة أوحرب (آمنا) ، يأمن فيه من سكنه فأوى إليه من السِّباء والخوف والحرام الذى لايأمنه غيرهم من الناس (وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) يقول : وتُسْلَب الناس من حولهم قتلا وسِباء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، فى قوله (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قال : كان لهم فى ذلك آية أن الناس يُغْزَون ويُتَخَطَّفون ، وهم آمنون .

وقوله (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) يقول : أفبالشرك بالله يقرّون بألوهة الأوثان ، بأن يصدّقوا ، وبنعمة الله التى خصهم بها ، من أن جعل بلدهم حرما آمنا يكفرون ، يعنى بقوله « يكفرون » : يجحدون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) : أى بالشرك (وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ) : أى يجحدون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ، أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : ومن أظلم أيها الناس ، ممن اختلق على الله كذبا ، فقالوا إذا فعلوا فاحشة : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، والله لايأمر بالفحشاء . (أَوْ كَذَّبَ بِالحَقِّ لَمَّا جاءَهُ) يقول : أو كذّب بما بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من توحيده ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، لما جاءه هذا الحقّ من عند الله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكافِرِينَ ؟) يقول : أليس فى النار مَثْوًى ومَسْكَنٌ لمن كفر بالله ، وجحد توحيده ، وكذّب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا تقرير ، وليس باستفهام ، إنما هو كقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ[1]

إنما أخبر أن للكافرين بالله مَسْكَنا فى النار ، ومنزلا يَثْوُون فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٦٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا ، من كفار قريش ، المكذّبين بالحقّ لما جاءهم فينا ، مُبتغين بقتالهم علوّ كلمتنا ، ونُصرة ديننا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) يقول : لنوفّقنّهم لإصابة الطرق المستقيمة ، وذلك إصابة دين الله ، الذى هو الإسلام ، الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ) يقول : وإن الله لمع من أحسن من خلقه ، فجاهد فيه أهل الشرك ، مُصَدّقا رسوله فيما جاء به من عند الله ، بالعون له ، والنصرة على من جاهد من أعدائه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا) فقلت له : قاتلوا فينا ، قال : نعم .

آخر تفسير سورة العنكبوت

تفسير سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ، وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِى بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ ٱللَّهِ ، يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٥)

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى ، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٩٨) والمطايا : جمع مطية ، وهى الإبل يركب مطاها فى الأسفار ، أى ظهرها . والراح : جمع راحة اليد . والبيت شاهد عند المؤلف وعند أبى عبيدة على أن المراد بالاستفهام فيه التقرير ، لاحقيقة الاستفهام . والتقرير : حمل المخاطب على أن يتقرر بالمسئول عنه ويعترف به . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ، الورقة (١٨٦ ا) عند قوله تعالى : « أليس فى جهنم مثوى للكافرين » : مجازه مجاز الإيجاب ، لأن هذه الألف تكون للاستفهام والإيجاب ، فهى هاهنا للإيجاب . وقال جرير : « ألستم . . . البيت » ، فهذا لم يشك ، ولكن أو جب لهم أنهم كذلك ، ولولا ذلك ما أثابوه ، والرجل يعاتب عبده ويقول : أفعلت كذا ؟ وهو لايشك . ويرى أن عبد الملك لما سمع هذا البيت أجابه بقوله : نعم نحن كذلك .

⁂ قال أبو جعفر : قد بيّنا فيما مضى قبلُ ، معنى قوله (الم) وذكرنا مافيه من أقوال أهل التأويل ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أدْنَى الأرْضِ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار : (غُلِبَتِ الرُّومُ) بضمّ الغين ، بمعنى : أن فارس غلَبت الروم .

وروى عن ابن عمر وأبى سعيد فى ذلك : ماحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن الحسن الجعفرىّ ، عن سليط ، قال : سمعت ابن عمر يقرأ (الم غَلَبَتِ الرُّومُ) فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ، على أىّ شىء غلَبوا ؟ قال : على ريف الشام .

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، الذى لايجوز غيره (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) بضم الغين ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : غلَبت فارسُ الروم (فِى أدْنَى الأرْضِ) : من أرض الشام إلى أرض فارس (وَهُمْ من بَعْدِ غَلَبِهِمْ) يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم . (سَيَغْلِبُونَ) فارس (فِى بِضْعِ سِنِينَ . لِلّهِ الأمْرُ) مِنْ قَبْلُ غلَبتهم فارس (وَمِنْ بَعْدُ) غلَبتهم إياها ، يقضى فى خلقه ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويظهر من شاء منهم على من أحبّ إظهاره عليه (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) يقول : ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين ، ونُصْرة الروم على فارس (يَنْصُرُ) الله تعالى ذكره (مَنْ يَشاءُ) من خلقه ، على من يشاء ، وهو نُصرة المؤمنين على المشركين ببدر (وَهُوَ العَزِيزُ) يقول : والله الشديد انتقامه من أعدائه ، لايمنعه من ذلك مانع ، ولا يحول بينه وبينه حائل (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه ، وراجع طاعته ، أن يعذّبه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، أوسعيد الثعلبى . الذى يقال له أبوسعد من أهل طَرَسُوس ، قال : ثنا أبو إسحاق الفزارىّ ، عن سفيان بن سعيد الثورىّ ، عن حبيب بن أبى عَمرة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : كان المسلمون يُحبون أن تغلب الرومُ أهلَ الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس ، لأنهم أهل أوثان ، قال : فذكروا ذلك لأبى بكر ، فذكره أبو بكر للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ ، قال : فذكر ذلك أبو بكر للمشركين ، قال : فقالوا : أفنجعل بيننا وبينكم أجلا ، فإن غلبوا كان لك كذا وكذا ، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا ؛ قال : فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين ، قال : فمضت فلم يُغلَبوا ؛ قال : فذكر ذلك أبو بكر للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أفَلا جَعَلْتَهُ دُونَ العَشْرِ ، قال سعيد : والبِضْع مادون العشر ، قال : فغلب الروم ، ثم غلبت ؛ قال : فذلك قوله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِى أدْنَى الأرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ) قال : البِضْع : ما دون العشر (لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) قال سفيان : فبلغنى أنهم غَلَبوا يوم بدر .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرىّ ، قال : ثنا موسى بن هارون البردىّ ، قال : ثنا معن بن عيسى ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ) . . . الآية ، ناحَبَ أبو بكر قريشا ، ثم أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إنى قد ناحبتهم ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : هَلا احْتَطْتَ ، فإنَّ البِضْعَ ما بينَ الثَّلاثِ الى التِّسْعِ » . قال الجُمَحِىّ : المناحبة : المراهنة ، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) قال : قد مضى ، كان ذلك فى أهل فارس والروم ، وكانت فارس قد غلبتهم ، ثم غلبت الروم بعد ذلك ، ولقى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم مشركى العرب ، يوم التقت الروم وفارس ، فنصر الله النبىّ صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، على مشركى العرب ، ونصر أهل الكتاب على مشركى العجم ، ففرح المؤمنون بنصر الله إياهم ، ونصر أهل الكتاب على العجم . قال عطية : فسألت أبا سعيد الخُدْرىّ عن ذلك ، فقال : التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركى العرب ، والتقت الروم وفارس ، فنصرنا الله على مشركى العرب ، ونصر الله أهل الكتاب على المجوس ، ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين ، وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس ، فذلك قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) غَلَبَتهم فارس ، ثم غَلَبَت الروم .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : خمس قد مضين : الدُّخان ، واللِّزام ، والبَطْشة ، والقَمَر ، والرُّوم .

حدثنا ابن المُثَنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : قد مضى (الم . غُلِبَت الرُّومُ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) ... إلى قوله (أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) قال : ذَكَرَ غَلَبَة فارس إياهم ، وإدالة الروم على فارس ، وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن عكرمة « أن الروم وفارس اقتتلوا فى أدنى الأرض ، قالوا : وأدنى الأرض يومئذ أَذْرعات ، بها التقَوا ، فهُزِمت الروم ، فبلغ ذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة ، فشقّ ذلك عليهم ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم

يكره أن يظهر الأميُّون من المجوس ، على أهل الكتاب من الروم، ففرح الكفار بمكة وشمتوا، فلقُوا أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أُمِّيُّون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس، على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظْهَرنّ عليكم ، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ . لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) . . . الآيات ، فخرج أبو بكر الصدّيق إلى الكفّار ، فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ، ولا يُقِرَّنّ اللهُ أعينكم ، فوالله ليظهرنّ الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم . فقام إليه أُبَيّ بن خلف ، فقال : كذبت يا أبا فُضَيل ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : أنت أكذب ياعدوّ الله ، فقال : أنا حِبْلُك عشر قلائص منى ، وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غَرِمْتُ، وإن ظهرت فارس على الروم غَرِمتَ ، إلى ثلاث سنين ؛ ثم جاء أبو بكر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ما هَكَذَا ذَكَرْتُ ، إِنَّمَا الْبِضْعُ ما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ ، فَزَايِدْهُ فِي الخَطَرِ ، ومادَّه فِي الأجَلِ . فخرج أبو بكر ، فلقِي أُبَيًّا ، فقال : لعلك ندمت ، فقال : لا ، فقال : : أزايدك فى الخطر ، وأمادّك فى الأجل ، فاجعلها مئة قلُوص لمئة قلوص ، إلى تسع سنين ، قال : قد فعلت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرِمة ، قال : كانت فى فارس امرأة لاتلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرى ، فقال : إنى أريد أن أبعث إلى الروم جيشا ، وأستعمل عليهم رجلا من بنيك ، فأشيرى علىّ أيَّهُمْ أستعمل ، فقالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صُرَد ، وهذا فَرُّخان ، وهو أنفذ من سِنان ، وهذا شَهْربُرَاز ، وهو أحلم من كذا ، فاستعمل أيهم شئت ؛ قال : إنى قد استعملت الحليم ، فاستعمل شَهْرْبُراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، وظهر عليهم ، فقتلهم ، وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم ؛ قال أبو بكر : فحدّثت بهذا الحديث عطاءً الخراسانىّ ، فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا . قال : أما إنك لو رأيتها ، لرأيت المدائن التى خُرِّبت ، والزيتون الذى قُطع ، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته .

قال عطاء الخراسانىّ : ثنى يحيى بن يَعْمَرَ ، أن قيصر بعث رجلا يُدعى «قطمة» بجيش من الروم ، وبعث كسرى شهربراز ، فالتقيا بأذْرعات وبُصْرَى ، وهى أدنى الشام إليكم ، فلقيت فارس الروم ، فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كفار قريش ، وكرهه المسلمون ، فأنزل الله (آلم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ) . . . الآيات ، ثم ذكر مثل حديث عِكْرِمة ، وزاد : فلم يزل شهربُرَاز يطؤهم ، ويخرّب مدائنهم ، حتى بلغ الخليج ، ثم مات كسرى ، فبلغهم موته ، فانهزم شهربُرَاز وأصحابه ، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك ، فأتبعوهم يقتلونهم . قال : وقال عكرمة فى حديثه : لما ظهرت فارس على الروم جلس فَرُّخان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيت كأنى جالس على سرير كسرى ، فبلغت كسرى ، فكتب إلى شَهْربُرَاز : إذا أتاك كتابى ، فابعث إلىّ

برأس فَرُّخان ، فكتب إليه : أيها الملك ، إنك لن تجد مثل فَرُّخان ، إن له نكاية وضربا فى العدوّ ، فلا تفعل . فكتب إليه : إن فى رجال فارس خَلَفا منه ، فعَجِّل إلىّ برأسه ، فراجعه ، فغضب كسرى ، فلم يجبه ، وبعث بريدا إلى أهل فارس ، إنى قد نزعت عنكم شَهْرْبُرَاز ، واستعملت عليكم فَرُّخان ؛ ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة : إذا وَلِىَ فَرُّخان المُلك ، وانقاد له أخوه ، فأعطه هذه ؛ فلما قرأ شَهْرْبُرَاز الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سريره ، وجلس فَرُّخان ، ودفع الصحيفة إليه ، قال : ائتونى بشهربُرَاز ، فقدّمه ليضرب عنقه ، قال : لاتعجل حتى أكتب وصيتى ، قال : نعم ، فدعا بالسَّفَط ، فأعطاه ثلاث صحائف ، وقال : كل هذا راجعت فيك كسرى ، وأنت أردت أن تقتلنى بكتاب واحد ، فردّ الملك ، وكتب شهربُراز إلى قيصر ملك الروم : إن لى إليك حاجة لايحملها البريد ، ولا تبلّغها الصحف ، فالْقِنى ، ولا تَلْقَنى إلا فى خمسين رُوميا ، فإنى ألقاك فى خمسين فارسيا ، فأقبل قيصر فى خَمْسِ مئة ألف رومىّ ، وجعل يضع العيون بين يديه فى الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، حتى أتته عيونه أن ليس معه إلّا خمسون رجلا ، ثم بُسِط لهما ، والتقيا فى قبة ديباج ضُربت لهما ، مع كل واحد منهما سِكّين ، فدعيا ترجمانا بينهما ، فقال شَهْرْبُرَاز : إن الذين خرّبوا مدائنك أنا وأخى ، بكيدنا وشجاعتنا ، وإن كسرى حسدنا ، فأراد أن أقتل أخى ، فأبيت ، ثم أمر أخى أن يقتلنى ، فقد خلعناه جميعا ، فنحن نقاتله معك ، فقال : قد أصبتما ، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين ، فإذا جاوز اثنين فشا : قال : أجل ، فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما ، فأهلك الله كسرى ، وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُدَيبية ، ففرح ومن معه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ) قال : غَلَبَتهم فارسُ على أدنى الشام (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) . . . الآية ، قال : لما أنزل الله هؤلاء الآيات صَدّق المسلمون ربهم ، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس ، فاقتمرواهم والمشركون خمسَ قلائص ، خمسَ قلائص ، وأَجّلوا بينهم خمس سنين ، فولى قِمار المسلمين أبو بكر رضى الله عنه ، وولى قِمار المشركين أُبَىّ بن خلف ، وذلك قبل أن يُنْهَى عن القمار ، فحلّ الأجل ، ولم يظهر الروم على فارس ، وسأل المشركون قِمارهم ، فذَكَر ذلك أصحاب النبىّ للنبىّ صلى الله عليه وسلم قال : لَمْ تَكُونُوا أَحِقَّاءَ أَنْ تُؤَجِّلُوا دُونَ العَشْرِ ، فإنّ البِضْعَ ما بينَ الثّلاثِ إلى العَشْرِ ، وَزَايِدُوهُمْ فِى القِمار ، وَمادُّوهُمْ فِى الأَجَلِ ، ففعلوا ذلك ، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البِضْع سنينَ من قمارهم الأوّل ، وكان ذلك مرجَعه من الحديبية ، ففرح المسلمون بصلحهم الذى كان ، وبظهور أهل الكتاب على المجوس ، وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام وهو قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) . . . الآية » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، فى قوله (الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ) قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستُغْلَب ، قال : فنزل القرآن بذلك ، قال : وكان المسلمون يُحِبون ظهور الروم على فارس ، لأنهم أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر ، عن عبد الله ، قال : « كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارسُ على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم : فلما نزلت (الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ) ... إلى (فِي بِضْعِ سِنِينَ) قالوا : يا أبا بكر : إنّ صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين ، قال : صدق ، قالوا : هل لك أن نقامرك ؟ فبايعوه على أربع قلائص ، إلى سبع سنين ، فمضت السبع ، ولم يكن شىء ، ففرح المشركون بذلك ، وشقّ على المسلمين ، فذكروا ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بِضْعُ سِنِينَ عِنْدَكُمْ ؟ قالوا : دون العشر ، قال : اذْهَبْ فزَايِدْهُمْ وَازْدَدْ سنتَيْنِ » قال : فما مضت السنتان ، حتى جاءت الركبان بظهور الرُّوم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله (الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، ومطر عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : مضت الروم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ) قال : أدنى الأرض : الشأم (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) قال : كانت فارس قد غلَبت الروم ، ثم أديلَ الرومُ على فارس ، وذُكِر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فارِسا ، فقال المشركون : هذا مما يَتَخَرّص محمد ، فقال أبو بكر : تُنَاحبونى ؟ والمناحبة : المجاعلة ، قالوا : نعم ، فناحبهم أبو بكر ، فجعل السنين أربعا أو خمسا ، ثم جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ البِضْعَ فِيما بينَ الثّلاثِ إلى التِّسْعِ ، فارْجِعْ إلى القَوْمِ ، فَزِدْ فِى المُناحبَةِ ، فرجع إليهم ، قالوا : فناحبَهم فزاد ، قال : فغلبت الروم فارسا ، فذلك قول الله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) يوم أُديلت الرومُ على فارس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية بن عمرو ، عن أبى إسحاق الفزارىّ ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى عمرة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (الٓمٓ . غُلِبَتِ الرومُ) قال : غُلِبت وغَلَبت ؛ فأما الذين قرءوا ذلك (غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين ، فإنهم قالوا : نزلت هذه الآية خبرا من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غَلَبة الروم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سليمان ، يعنى الأعمش ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، قال : لما كان يومُ ظهر الروم على فارس ، فأعجبَ ذلك المؤمنين ، فنزلت (الٓمٓ . غَلَبَتِ الرُّومُ) على فارس .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن سليمان ، عن عطية ، عن

أبى سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، غلبت الروم على فارس، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش، عن عطية ، عن أبى سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين ، لأنهم أهل كتاب، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أدْنَى الأرْضِ) قال : كانوا قد غُلِبوا قبل ذلك ، ثم قرأ حتى بلغ (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) .

وقوله (فِى أدْنَى الأرْضِ) قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدّم قبل ، وأذكر قول من لم يُذْكَر قوله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِى أدْنَى الأرْضِ) يقول : فى طَرَف الشأم . ومعنى قوله أدنى : أقرب ، وهو أفعل من الدنوّ والقرب . وإنما معناه : فى أدنى الأرض من فارس ، فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ماظهر من قوله (فِى أدْنَى الأرْضِ) عليه منه . وقوله(وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) يقول : والروم من بعد غَلَبَة فارسَ إياهم ، سيغلبون فارس . وقوله (مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) مصدر من قول القائل : غَلَبته غَلَبَة، فحذفت الهاء من الغَلَبَة . وقيل: من بعد غَلَبهم ، ولم يقل: من بعد غَلَبَتهم للإضافة ، كما حذفت من قوله (وَإقامِ الصَّلاةِ) للإضافة . وإنما الكلام : وإقامة الصلاة .

وأما قوله (سَيَغْلِبُونَ) فإن القرّاء أجمعين على فتح الياء فيها ، والواجب على قراءة من قرأ (الم . غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين ، أن يقرأ قوله (سَيُغْلَبُونَ) بضم الياء، فيكون معناه : وهم من بعد غلبتهم فارس، سيغلبهم المسلمون ، حتى يصحّ معنى الكلام ، وإلا لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء ، لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون ، وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر .

وقوله (فِى بِضْعِ سِنِينَ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى معنى البضع فيما مضى ، وأتينا على الصحيح من أقوالهم ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا خلاد بن أسلم الصفار ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قلت له: ما البِضْع ؟ قال : زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع .

وأما قوله (لِلهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (لِلهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ) دَوْلَة فارس على الروم (وَمِنْ بَعْدُ) دَوْلة الروم على فارس .

وأما قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ) فقد ذكرنا الرواية فى تأويله قبلُ ، وبيّنا معناه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : وعد الله جلّ ثناؤه ، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غَلَبَة فارس لهم ، ونصب (وَعْدَ اللهِ) على المصدر ، من قوله (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) لأن ذلك وعد من الله لهم ، أنهم سيغلبون ، فكأنه قال : وعد الله ذلك المؤمنين وعدا (لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ) يقول تعالى ذكره : إن الله ينى بوعده للمؤمنين ، أن الروم سيغلبون فارس ، لايخلفهم وعدَه ذلك ، لأنه ليس فى مواعيده خلف (ولكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لايعْلَمُونَ) يقول : ولكنّ أكثر قريش الذين يكذّبون بأن الله منجز وعدَه المؤمنين ، من أن الروم تغلب فارس ، لايعلمون أن ذلك كذلك ، وأنه لايجوز أن يكون فى وعد الله إخلاف .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله ، أن الروم ستغلب فارس . (ظاهرا) من حياتهم الدنيا ، وتدبير معايشهم فيها ، وما يصلحهم ، (وهم عن) أمر آخرتهم ، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك (غافلون) ، لايفكرون فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تُمَيْلة يحيى بن واضح الأنصارىّ ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا يزيد النحوىّ عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) يعنى معايشهم ، متى يَحْصُدون ومتى يَغْرِسون .

حدثنى أحمد بن الوليد الرملىّ ، قال : ثنا عمرو بن عثمان بن عمر ، عن عاصم بن علىّ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلة ، قال : ثنا ابن واقد ، عن يزيد النحوىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (يعْلَمونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : متى يَزْرَعون ، متى يَغْرِسون .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى شرقى ، عن عكرمة ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : هو السَّراج أو نحوه .

حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس الضُّبَعِىّ ، قال : ثنا أبو قُتَيبة ، قال : ثنا شعبة ، عن شَرْقِىّ ، عن عكرِمة ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : السَّرَّاجون .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملىّ ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا شعبة ، عن شَرْقِىّ ، عن عكرمة ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : الخَرَّازون والسَّرَّاجون .

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا منَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : معايشهم وما يصلحهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .

حدثنى بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة ، وعن منصور عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظاهرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : معايشَهم .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) يعنى الكفار ، يعرفون عُمران الدنيا ، وهم فى أمر الدين جهال .

حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : معايشَهم ، وما يصلحهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) من حِرْفتها وتصرّفها وبغيتها (وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : يعلمون متى زَرْعُهم ، ومتى حَصادهم .

قال : ثنا حفص بن راشد الهلالىّ ، عن شعبة ، عن شَرْقىّ ، عن عكرِمة (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : السرّاج ونحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : صرفها فى معيشتها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا منَ الحَياةِ الدُّنْيا ، وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ [١]) .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : تسترق الشياطين السمع ، فيسمعون الكلمة التى قد نزلت ، ينبغى لها أن تكون فى الأرض ، قال : ويُرْمَوْن بالشُّهب ، فلا ينجو أن يحترق ، أو يصيبه شرر منه ؛ قال : فيسقط فلا يعود أبدا ؛ قال : ويرمى بذاك الذى سمع إلى أوليائه من الإنس ، قال : فيحملون عليه ألف كذبة ، قال : فما رأيت الناس يقولون : يكون كذا وكذا ، قال : فيجىء الصحيح منه كما يقولون ، الذى سمعوه من السماء ، ويعقبه من الكذب الذى يخوضون فيه .

---

(١) كذا فى النسخ ، ولم يذكر التفسير ، ولعله سقط من قلم الناسخ ، أو لعله كلمة « نحوه » أو « مثله » ، وكثيرا ما يتركها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : أو لم يتفكّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يامحمد من قومك، فى خلق الله إياهم ، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا ، ثم صَرَّفهم أحوالا وتارات ، حتى صاروا رجالا ، فيعلموا أن الذى فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا ، ثم يجازى المحسن منهم بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، لايظلم أحدا منهم ، فيعاقبه بجُرم غيره ، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله ، لأنه العدل الذى لايجور ؛ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالعدل ، وإقامة الحقّ ، (وأجل مسمى) : يقول : وبأجل مؤقت مسمى ، إذا بلغت ذلك الوقت ، أفنى ذلك كله ، وبدّل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهّار ، وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون ، جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم ، وغفلة منهم عن الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا، وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ، وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : أو لم يسر هؤلاء المكذّبون بالله ، الغافلون عن الآخرة من قريش ، فى البلاد التى يسلكونها تجرا ، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة ، كيف كان عاقبة أمرها فى تكذيبها رسلها ، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة ، وأثاروا الأرض : يقول : واستخرجوا الأرض ، وحرثوها وعمروها أكثر مما عَمَر هؤلاء ، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلَهم ، فلم يقدروا على الامتناع ، مع شدّة قواهم ، مما نزل بهم من عقاب الله ، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض ، إذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات ، فكذّبوهم ، فأحلّ الله بهم بأسه ، فما كان الله ليظلمهم بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله ، وجحودهم آياته ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وأثاروا الأرضَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وأثارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها) قال : ملكوا الأرض وعَمَروها :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأثارُوا الأرْضَ) قال : حرثوها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو لَمْ يَسِيرُوا فِى الأرْضِ) . . . إلى قوله (وأثارُوا الأرْضَ وَعَمَرُوها) كقوله (وآثارًا فِى الأرْضِ) ، وقوله (وَعَمَرُوها) أكثر مما عَمَرَ هؤلاء ، (وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالْبَيِّناتِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ، وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ثم كان آخر أمر بمن كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، بالله ، وكذّبوا رسله ، فأساءوا بذلك من فعلهم (السوأى) : يعنى الخُلة التى هى أسوأ من فعلهم ، أما فى الدنيا ، فالبوار والهلاك ، وأما فى الآخرة فالنار لايخرجون منها ، ولا هم يستعتبون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أساءُوا السُّوأَى) : الذين أشركوا السوءَى : أى النار .

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أساءُوا السُّوأَى) يقول : الذين كفروا جزاؤهم العذاب .

وكان بعض أهل العربية يقول : السوأَى فى هذا الموضع : مصدر ، مثل البُقْوَى ، وخالفه فى ذلك غيره فقال : هى اسم .

وقوله (أنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ) يقول : كانت لهم السوأَى ، لأنهم كذّبوا فى الدنيا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزئون : يقول : وكانوا بحجج الله ، وهم أنبياؤه ورسله ، يسخَرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه ، من غير شريك ولا ظهير ، فيحدثه من غير شىء ، بل بقدرته عزّ وجل ، ثم يعيده خلقا جديدا ، بعد إفنائه وإعدامه ، كما بدأه خلقا سَوِيًّا ، ولم يك شيئا . (ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يُرَدّون ، فيحشرون لفصل القضاء بينهم ، و (لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بالْحُسْنَى) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا، وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ (١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : ويوم تجىء الساعة التى فيها يفصل الله بين خلقه ، ويُنْشر فيها الموتى من قبورهم ، فيحشرهم إلى موقف الحساب (يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) يقول : ييأس الذين أشركوا بالله ، واكتسبوا فى الدنيا مساوئ الأعمال من كلّ شرّ ، ويكتئبون ويتندمون ، كما قال العجاج :

يا صَاحِ هلْ تعْرِفْ رَسْمًا مُكْرَسا قالَ نَعَمْ أعْـرِفُهُ وأبْلَسا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُبْلِسُ) قال : يكتئب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) أى فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) قال : المُبْلس : الذى قد نزل به الشرّ ، إذا أبلس الرجل ، فقد نزل به بلاء .

وقوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ) يقول تعالى ذكره : ويوم تقوم الساعة لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم ، من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم ، على مادعوهم إليه من الضلالة ، فيشاركونهم فى الكفر بالله ، والمعاونة على أذى رُسُله . (شفعاءُ) يشفعون لهم عند الله ، فيستنقذوهم من عذابه ، وكانُوا بَشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ) يقول : وكانوا بشركائهم فى الضلالة ، والمعاونة فى الدنيا على أولياء الله كافرين ، يجحدون ولايتهم ، ويتبرّءون منهم ، كما قال جلّ ثناؤه (إذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ، ورأَوُا العَذَابَ ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبابُ ، وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أنَّ لَنا كَرَّةً ، فَنَتَبَرَّأ مِنْهُمْ كما تَبَرَّءُوا مِنَّا) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥)

(١) البيتان من الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٣١) ومعانى القرآن للفراء (الورقة ٢٤٧) ومجاز القرآن لأبى عبيدة » (الورقة ١٨٦ ب) قال أبو عبيدة فى تفسير قوله تعالى : « ويقوم تقوم الساعة يبلس المجرمون » : أى يتندمون ، ويكأبون ويبأسون . قال * « يا صاح . . . » البيتان . وفى (اللسان : كرس) : ورسم مكرس (اسم مفعول) :ومكرس (اسم فاعل) وهو الذى قد بعرت فيه الإبل وبولت ، فركب بعضه بعضا . وقال فى (بلس) : أبلس الرجل : قطع به ، عن ثعلب . وأبلس : سكت ؛ وأبلس من رحمة الله : أى يئس وندم .

⁂ يقول تعالى ذكره: ويوم تجىء الساعة التى يحشر فيها الخلق إلى الله (يومئذ)، يقول فى ذلك اليوم يتفرّقون، يعنى: يتفرّق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين، إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال، إلى النار، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيِّب.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، فى قوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) قال: فُرْقة والله لااجتماع بعدها (فأمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) يقول: فهم فى الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر فى الجِنان يُسَرون، ويُلَذّذون بالسماع، وطيب العيش الهنىّ، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة فى هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا، ولا أطيب نَشْرا من الرياض، ويدل على أن ذلك كذلك، قول أعشى بنى ثعلبة:

مارَوْضَةٌ مِن رِياضِ الحُسْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمسَ مِنها كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْما بِأَطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائِحَةٍ ... وَلا بِأَحْسَنَ مِنْها إذ دَنا الأُصُلُ[1]

فأعلمهم بذلك تعالى، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيذ من الأراييح، والعيش الهنىّ، فيما يحبون، ويسرّون به، ويُغْبَطون عليه. والحَبْرة عند العرب: السرور والغبطة؛ قال العجاج:

فالحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أعْطَى الحَبَرْ ... مَوَالِيَ الحَقّ إن المَوْلَى شَكَرْ[2]

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم فى روضة يُكْرمون.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال: يكرمون.

وقال آخرون: معناه: ينعمون.

---

(١) الأبيات الثلاثة لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٧). والرواية فيه: من رياض الحزن. وهو المرتفع من الأرض. وأورد أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٧) البيت الأول والثالث. والرواية فيه: من رياض الحزم. وهو بمعنى الحزن أى الغليظ من الأرض. قال أبو عبيدة: «فى روضة يحبرون»: مجازه: يفرحون ويسرون. وليس شىء أحسن عند العرب من الرياض المعشبة، ولا أطيب ريحا؛ قال الأعشى: «ما روضة...الخ». اهـ. قلت: ورواية الحزن أو الحزم أحسن الروايات، ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات، لأن الريح تهب عليها، فتهيج رائحتها، ولأن الأقدام لاتطؤها، ولأن الشمس تضربها من جميع نواحيها، فيزكو زرعها وينضر. والمسبل: المطر. والهطل الغزير، والكوكب: النور. والشرق: الزاهى. والمؤزر الذى حوله نبات آخر، فهو كالإزار له. والمكتهل: الذى قد بلغ وتم. والنشر: تضوع الرائحة. والأصل: جمع أصيل، وهو وقت الغروب، أوقبيله بقليل، حين تصفر الشمس، وتدنو من الغروب.

(٢) البيتان للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر، و (مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ١٨٧ ب) وقد أورده عطفا على قول الأعشى الذى قبله. وفى (اللسان: حبر): الحبر بفتح فسكون (والحبر بفتحتين) والحبرة (بفتح فسكون) والحبور: كله السرور. قال العجاج: «فالحمد لله... البيت». من قولهم حبرنى هذا الأمر حبرا، أى سرنى. وقد حرك الباء فيهما، وأصله التسكين. وأحبرنى الأمر: سرنى. ويروى الشبر اهـ.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يُحْبَرُون) قال : يُنَعَّمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال : ينعمون .

وقال آخرون : يُلَذَّذون بالسماع والغناء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن موسى الحرسى ، قال : ثنى عامر بن يساف ، قال : سألت يحيى بن أبى كثير ، عن قول الله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال : الحَبْرة : اللذة والسماع .

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابى ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن الأوزاعىّ ، عن يحيى بن أبى كثير فى قوله (يُحْبَرُونَ) قال : السماع فى الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعىّ ، عن يحيى بن أبى كثير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبى كثير ، مثله .

وكل هذه الألفاظ التى ذكرنا عمن ذكرناها عنه ، تعود إلى معنى ماقلنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا توحيد الله ، وكذّبوا رسله ، وأنكروا البعث بعد الممات ، والنشور للدار الآخرة ، فأولئك فى عذاب الله مُحضَرون ، وقد أحضرهم الله إياها ، فجمعهم فيها ، ليذوقوا العذاب ، الذى كانوا فى الدنيا يكذّبون[1] .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : فسبِّحوا الله أيها الناس : أى صَلُّوا له حين تمسون ، وذلك صلاة المغرب ، وحين تصبحون ، وذلك صلاة الصبح (وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يقول : وله الحمد من جميع خلقه ، دون غيره ، فى السموات من سكانها من الملائكة ، والأرض من أهلها ، من جميع أصناف خلقه فيها ،

(١) كذا فى الأصل بحذف ضمير الرابط . أى يكذبون به .

(وَعَشِيًّا) يقول : وسَبِّحوه أيضا عشيا ، وذلك صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) يقول : وحين تَدْخلون فى وقت الظهر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس : (هل تجد) [1] ميقات الصلوات الخمس فى كتاب الله ، قال : نعم (فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) الفجر (وَعَشِيًّا) العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) الظهر ، قال : ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عَوْرات لكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس فى القرآن ، قال : نعم ، فقرأ (فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) قال : صلاة المغرب (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) قال : صلاة الصبح (وَعَشِيًّا) قال : صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر ، ثم قرأ (وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ)

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم بن أبى عياض ، عن ابن عباس ، قال : جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة : (فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) قال : المغرب والعشاء . (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) : الفجر . (وَعَشِيًّا) : العصر . (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) : الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبى عياض ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبى عياض ، عن ابن عباس فى قوله (فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) . . . إلى قوله (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) قال : جَمَعت الصلوات (فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب والعشاء (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) صلاة الصبح (وَعَشِيًّا) صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان الرازىّ ، عن أبى سِنان ، عن ليث ، عن مجاهد (فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) : المغرب والعشاء . (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) : الفجر . (وَعَشِيًّا) : العصر . (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) : الظهر ، وكلّ سجدة فى القرآن فهى صلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) : لصلاة المغرب (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) : لصلاة الصبح . (وَعَشِيًّا) : لصلاة العصر . (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) : صلاة الظهر أربع صلوات .

حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ

(١) (هل تجد) : ساقطة من الأصل ، وأوردها الشوكانى فى تفسيره فتح القدير (٤ : ١١٤) وسقط منه بعدها كلمة « ميقات » التى أوردها المؤلف هنا .

تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) . قال حين تمسون : صلاة المغرب ، وحين تصبحون : صلاة الصبح ، وعشيا : صلاة العصر ، وحين تظهرون : صلاة الظهر .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ ، وَيُحْىِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : صَلُّوا فى هذه الأوقات التى أمركم بالصلاة فيها أيها الناس ، لله الذى يخرج الحىّ من الميت ، وهو الإنسان الحىّ من الماء الميت ، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحىّ (وَيُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) فينبتها ، ويخرج زرعها بعد خرابها وجُدوبها (وكذلكَ تُخْرَجُونَ) يقول : كما يحيى الأرض بعد موتها ، فيخرج نباتها وزرعها ، كذلك يحييكم من بعد مماتكم ، فيخرجكم أحياء من قبوركم ، إلى موقف الحساب .

وقد بيَّنا فيما مضى قبل تأويل قوله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الخبر هنالك إن شاء الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) قال : يخرج من الإنسان ماء ميتا[1] ، فيخلق منه بشرا ، فذلك الميت من الحىّ ، ويخرج الحىّ من الميت ، فيعنى بذلك أنه يخلق من الماء بشرا ، فذلك الحىّ من الميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) قال : النُّطْفة ماء الرجل ميتة وهو حىّ ، ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ، ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ومن حُجَجه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس ، من إنشاء وإفناء ، وإيجاد

(١) قوله « ماء ميتا » بحسب الظاهر للأعين المجردة ؛ فأما بعد اختراع المجهر المكبر ، فقد علم أن ماء الرجل ليس بميت . والله سبحانه يخرج النبات الحى من الأرض الميتة وأمثلة المفسرين القدماء تحتاج إلى تحقيق .

وإعدام ، وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب ، يعنى بذلك خلق آدم من تراب ، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب ، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم ، كنحو الذى قد بيّنا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه ، من قولهم : فعلنا بكم وفعلنا .

وقوله (ثُمَّ إذَا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) يقول : ثم إذا أنتم معشر ذرّية من خلقناه منْ تراب (بَشر تنتشرون) يقول : تتصرّفون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) خلق آدم عليه السلام من تراب (ثُمَّ إذا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) يعنى : ذرّيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ، ليسكن إليها ، وذلك أنه خلق حوّاء من ضِلَع من أضلاع آدم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجا) خلقها لكم من ضلع من أضلاعه .

وقوله (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) يقول : جعل بينكم بالمصاهرة والحُتونة مودّة تتوادّون بها ، وتتواصلون من أجلها ، ورحمة رحمكم بها ، فعطف بعضكم بذلك على بعض (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون فى حجج الله وأدلته ، فيعلمون أنه الإله الذى لايُعجزه شىء أراده ، ولا يتعذّر عليه فعل شىء شاءه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ومن حُججه وأدلته أيضا ، على أنه لايُعجزه شىء ، وأنه إذا شاء أمات من كان حيا من خلقه ، ثم إذا شاء أنشره وأعاده ، كما كان قبل إماتته إياه ، خلقه السموات والأرض من غير شىء أحدث ذلك منه ، بل بقدرته التى لايمتنع معها عليه شىء أراده (وَاخْتِلافُ ألْسِنَتِكُمْ) يقول : واختلاف

منطق ألسنتكم ولغاتها (وألْوَانِكُمْ) يقول : واختلاف ألوان أجسامكم (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ للْعَالِمِينَ) : يقول : إن فى فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لايعييه إعادتهم لهيئتهم التى كانوا بها قبل مماتهم ، من بعد فنائهم . وقد بيّنا معنى العالمين فيما مضى قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : ومن حُججه عليكم أيها القوم ، تقديره الساعات والأوقات ، ومخالفته بين الليل والنهار ، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه ، وتنامون فيه ، وجعل النهار مضيئا لتصرّفكم فى معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم . (إن فِى ذَلكَ لآياتٍ لقَوْمٍ يَسمَعُون) يقول تعالى ذكره : إن فى فعل الله ذلك كذلك ، لعِبرًا وذِكْرى ، وأدلة على أن فاعل ذلك لايُعجزه شىء أراده (لقوم يسمعون) مواعظ الله ، فيتعظون بها ويعتبرون ، فيفهمون حجج الله عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه (يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا) لكم إذا كنتم سَفْرا ، أن تمطَروا فتتأذّوا به (وطَمَعا) لكم ، إذا كنتم فى إقامة أن تمطَروا ، فتحيوا وتخصبوا (ويُنَزّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً) يقول : وينزّل من السماء مطرا ، فيحيى بذلك الماء الأرض الميتة ، فتنبُت ويخرج زرعها بعد موتها ، يعنى جُدوبها ودروسها (إن فِى ذلكَ لآياتٍ) يقول : إن فى فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) عن الله حججه وأدلته .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا) قال : خوفا للمسافر ، وطمعا للمقيم . واختلف أهل العربية فى وجه سقوط « أن » فى قوله (يرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا) فقال بعض نحوِيّي البصرة : لم يذكر هاهنا « أنْ » ، لأن هذا يدلّ على المعنى ؛ وقال الشاعر :

ألا أيُّهَـذَا الزَّاجِرِى أحْضُرَ الوَغَى وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَل أنْتَ مُخْلِدِى[1]

قال : وقال :

لَوْ قُلْتُ ما فِى قَوْمِها لَمْ تِيْثَمِ يَفْضُلُها فى حَسَبٍ وَمِيْسَمِ[2]

وقال : يريد : ما فى قومها أحد . وقال بعض نحويّ الكوفيين : إذا أظهرت « أن » فهى فى موضع رفع ، كما قال (وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ ـ وَمَنَامُكُم) فإذا حذفت جعلت مِنْ مؤدّية عن اسم متروك ، يكون الفعل صلة ، كقول الشاعر :

وَما الدَّهْرُ إلاَّ تارَتانِ فَمِنْهُما أموتُ وأُخْرَى أبْتَغِى العَيْشَ أكْدَحُ[3]

كأنه أراد : فمنهما ساعة أموتها ، وساعة أعيشها ، وكذلك : ومن آياته يريكم آية البرق ، وآية لكذا ، وإن شئت أردت : ويريكم من آياته البرق ، فلا تضمر « أنْ » ولا غيره . وقال بعض من أنكر قول البصرىّ : إنما ينبغى أن تحذف « أنْ » من الموضع الذى يدلّ على حذفها ، فأما فى كلّ موضع فلا ، فأما مع أحْضُرُ الوغى ، فلما كان زجرتك أن تقُومَ ، وزجرتك لأن تَقُومَ ، يدلّ على الاستقبال ، جاز حذف « أنْ » ، لأن الموضع معروف ، لايقع فى كلّ الكلام ، فأما قوله : ومن آياته أنك قائم ، وأنك تقوم ، وأن تقوم ، فهذا الموضع لايحذف ، لأنه لايدلّ على شىء واحد .

(١) البيت لطرفة بن العبد البكرى من معلقته (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٣١٧) . ورواية البيت عند البصريين « أحضر » بالرفع ، لأنه لما أضمر (أن) قبله ذهب عملها ، لأنها لاتعمل عندهم وهى مضمرة ، إلا فى المواضع العشرة المخصوصة . وعند الكوفيين « أحضر » بالنصب ، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة ، لقوة الدلالة عليها ؛ فكأنه قال : أن أحضر . والوغى : الحرب . وأصله أصوات المحاربين فيها . يقول : أيها الإنسان الذى يلومنى على شهودى الحرب ، وتحصيل اللذات ، هل تخلدنى فى الدنيا إذا كففت عن الحرب ؟ وقوله تعالى : « ومن آياته يريكم البرق . . . الخ » إما أن يتعلق « من آياته » بيريكم ، فيكون فى موضع نصب ، ومن لابتداء الغاية أو « يريكم » على إضمار (أن) كما قال طرفة : « ألا أيهذا . . . البيت » برفع أحضر ، كرواية البصريين ، والتقدير : أن أحضر ، فلما حذف (أن) ارتفع الفعل ، فيكون التقدير : ومن آياته إراءتكم إياكم البرق .

(٢) البيت من الرجز لحكيم بن معية الربعى التميمى ، وهو راجز إسلامى ، كان فى زمن العجاج ، وقد نسبه إليه سيبويه فى الكتاب (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣١١) . وأنشده الفراء فى معانى القرآن عند قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم » على أحد وجهين وذلك من كلام العرب أن يضمروا (من بفتح الميم) فى مبتدأ الكلام (بمن بكسر الميم) ، فيقولون : منا يقول ذاك ، ومنا لا يقوله ؛ وذلك أن (من بالكسر) بعض لما هى منه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك ؛ قال الله تعالى : « وما منا إلا له مقام معلوم » وقال « وإن منكم إلا واردها » . ولا يجوز إضمار (من) بالفتح فى شىء من الصفات (حروف الجر) إلا على هذا الذى نبأتك به ، وقد قالها الشاعر فى (فى) ولست أشتهيها . قال : لو قلت . . . البيت ، وإنما جاز لك لأنك تجد معنى من (بالكسر) من أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول : فينا الصالحون ، وفينا دون ذلك ، فكأنك قلت : منا . وقال الفراء فى قوله تعالى : « ومن آياته يريكم البرق » . فمن أضمر (أن) فهى فى موضع اسم مرفوع ، كما قال : « ومن آياته منامكم » فإذا حذفت أن ، جعلت من (بالكسر) مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل (فى) صلة له ، كقول الشاعر « وما الدهر إلا تارتان ... الخ البيت » . كأنه أراد : فمنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك ومن آياته آية للبرق ، وآية لكذا . وإن شئت يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أن ولاغيره . اهـ .

(٣) البيت لتميم بن أبى بن مقبل ، وهو شاعر إسلامى (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٠٨) وهو شاهد على أن جملة أموت صفة لموصوف محذوف ، أى تارة أموت فيها أو أموتها ، وتارة أخرى أبتغى العيش فيها . هكذا قدره سيبويه . وقال الفراء فى (معانى القرآن ، الورقة ٢٤٧) : كأنه أراد : فمنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك : ومن آياته آية للبرق ، وآية لكذا . وإن شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر (أن) ولاغيره . اهـ . وأنشد البيت الزجاج فى تفسيره ، عند قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم » أى قوم يحرفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما : تارة أموت فيها . فحذف تارة ، وأقام الجملة التى هى صفة نائبة عنها . . . الخ .

⁂ والصواب من القول فى ذلك: أن « مِنْ » فى قوله (وَمِنْ آياتِهِ) ، تدلّ على المحذوف ، وذلك أنها تأتى بمعنى التبعيض . وإذا كانت كذلك ، كان معلوما أنها تقتضى البعض ، فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدلالتها عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ، ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : ومن حججه أيها القوم على قُدرته على ما يشاء ، قيام السماء والأرض بأمره ، خضوعا له بالطاعة ، بغير عمد ترى (ثُمَّ إذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إذَا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ) يقول : إذا أنتم تَخْرجون من الأرض ، إذا دعاكم دعوة ، مستجيبين لدعوته إياكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَمِنْ آياتِهِ أنْ تَقُومَ السَّماءُ والأرْضُ بأمْرِهِ) قامتا بأمره بغير عمد (ثُمَّ إذَا دَعاكمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إذَا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ) قال : دعاهم فخرجوا من الأرض .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إذَا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ) يقول : من الأرض .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (٢٦) وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولله مَنْ فى السموات والأرض من ملك وجنّ وإنس ، عبيد وملك (كُلٌ لَهُ قانِتُونَ) يقول : كلّ له مطيعون ، فيقول قائل : وكيف قيل : (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) وقد علم أن أكثر الإنس والجنّ له عاصون ؟ فنقول : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فنذكر اختلافهم ، ثم نُبَيّن الصواب عندنا فى ذلك من القول ، فقال بعضهم : ذلك كلام مَخْرجه مَخْرج العموم ، والمراد به الخصوص ، ومعناه : كلّ له قانتون فى الحياة والبقاء والموت ، والفناء والبعث والنشور ، لايمتنع عليه شىء من ذلك ، وإن عصاه بعضهم فى غير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَمِنْ آياتِهِ أنْ تَقُومَ السَّماءُ والأرْضُ بأمْرِهِ) . . . إلى (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) يقول : مطيعون ، يعنى الحياة والنشور والموت ، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كلّ له قانتون بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) : أى مطيع مقرّ بأن الله ربه وخالقه .

وقال آخرون : هو على الخصوص ، والمعنى : وله من فى السموات والأرض ، من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) قال : كلّ له مطيعون ، المطيع : القانت ، قال : وليس شىء إلا وهو مطيع ، إلا ابن آدم ، وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله . وفى قوله (وَقُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ) قال : هذا فى الصلاة ، لاتتكلموا فى الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب فى الصلاة ، قال : وأهل الكتاب يمشى بعضهم إلى بعض فى الصلاة ، قال : ويتقابلون فى الصلاة ، فإذا قيل لهم فى ذلك ، قالوا : لكى تذهب الشحناء من قلوبنا ، تسلم قلوب بعضنا لبعض ، فقال الله : وقوموا لله قانتين ، لاتزولوا كما يزولون . قانتين : لاتتكلموا كما يتكلمون . قال : فأما ما سوى هذا كله فى القرآن من القنوت ، فهو الطاعة ، إلا هذه الواحدة .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، وهو أن كلّ من فى السموات والأرض من خلق لله ، مطيع فى تصرّفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت ، وما أشبه ذلك ، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله ، وفيما له السبيل إلى اختياره ، وإيثاره على خلافه .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك ، لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم ، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون ، فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص ، أنه له قانت فيما هو له عاص . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى فيه عاص هو ما وصفت ، والذى هو له قانت ما بيّنت .

وقوله (وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول تعالى ذكره : والذى له هذه الصفات تبارك وتعالى ، هو الذى يبدأ الخلق من غير أصل ، فينشئه ويوجده ، بعد أن لم يكن شيئا ، ثم يفنيه بعد ذلك ، ثم يعيده ، كما بدأه بعد فنائه ، وهو أهون عليه .

اختلف أهل التأويل ، فى معنى قوله (وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) فقال بعضهم : معناه : وهو هيّن عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، عن سفيان عمن ذكره ، عن منذر الثورىّ ، عن الربيع بن خيثم (وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : ما شىء عليه بعزيز .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) يقول : كلّ شىء عليه هين .

وقال آخرون : معناه : وإعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : يقول : أيسر عليه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : الإعادة أهون عليه من البداءة ، والبداءة عليه هين .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة قرأ هذا الحرف (وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : تعجب الكفار من إحياء الله الموتى ، قال : فنزلت هذه الآية (وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة بنحوه ، إلا أنه قال : إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) : يقول : إعادته أهون عليه من بدئه ، وكلّ على الله هين . وفى بعض القراءة : وكلّ على الله هين .

وقد يحتمل هذا الكلام وجهين ، غير القولين اللذين ذكرت ، وهو أن يكون معناه : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون على الخلق : أى إعادة الشىء أهون على الخلق من ابتدائه . والذى ذكرنا عن ابن عباس فى الخبر الذى حدثنى به ابن سعد ، قول أيضا له وجه .

وقد وجّه غير واحد من أهل العربية قول ذى الرُّمة :

أخى قَفَرَاتٍ دَبَّيَتْ فِى عِظامِهِ شُفافاتُ أعْجاز الكَرَى فهْوَ أخْضَعُ[1]

إلى أنه بمعنى خاضع ؛ وقول الآخر :

---

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة طبع جامعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣٤٨ . قال فى شرحه : شفافات : بقايا أعجاز الكرى ، أواخر النوم ، فاستعار له المنهل ، فكأنه قد سكر ، فهو أخضع .

لَعَمْرُكَ إنَّ الزِّبرقانَ لَباذلٌ لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَ السِّنِينَ وأفْضَلُ
كَرِيمٌ لَهُ عَنْ كُلِّ ذَمٍّ تَأَخُّرٌ وفِي كُلِّ أسْبابِ المَكارِمِ أوَّلُ [1]

إلى أنه بمعنى : وفاضل ؛ وقول معن :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى وإنِّى لَأَوْجَلُ على أيِّنا تَعْدُو المَنِيَّةُ أوَّلُ [2]

إلى أنه بمعنى : وإنى لوَجِل ؛ وقول الآخر :

تَمَنَّى مُرَيْءُ القَيْسِ مَوْتِى وإنْ أمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بأَوْحَدِ [3]

إلى أنه بمعنى : لست فيها بواحد ؛ وقول الفرزدق :

إنَّ الَّذِى سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا بَيْتا دَعائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ [4]

إلى أنه بمعنى : عزيزة طويلة ، قالوا ومنه قولهم فى الأذان : الله أكبر ، بمعنى : الله كبير ؛ وقالوا : إن قال قائل :

---

(١) البيتان لم أقف على قائلهما . والزبرقان بن بدر من سادات بنى تميم . والسنون جمع سنة ، والمراد بها الجدب والقحط . والشاهد فى قول الشاعر « وأفضل » فإنه بمعنى « فاضل » ولاتفضيل فيه ، كما قال المؤلف : على أنه يمكن تخريج البيت على معنى التفضيل ، كما يأتى فى الشواهد الأخرى ، أى وهو أفضل من غيره على كل حال .

(٢) البيت لمعن أوس المزنى (ذيل الأمالى لأبى على القالى ص ٢١٨) . واستشهد به المؤلف على أن قوله : «لأوجل» : أى لوجل وانظر شرح البيت وإعرابه فى خزانة الأدب الكبرى للبغدادى (٣ : ٥٠٥ – ٥٠٦) .

(٣) البيت لمالك بن القين الخزرجى الأنصارى ، حققه الأستاذ عبد العزيز الميمنى فى شرح ذيل الأمالى ص (١٠٤) وهو من ثلاثة أبيات كتب بها يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام ، وقد بلغه أنه يتمنى موته . وقيل كتب بها الوليد إلى أخيه سليمان (كما فى مروج الذهب للمسعودى) ، ورواية صدر البيت الأول مخالفة لما فى ذيل الأمالى ص (٢١٨) والأبيات الثلاثة هى :

تَمَنَّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وإنْ أمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بأَوْحَدِ
فَما عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رَدايَ بِضائِرِى وَما عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رَدايَ بِمُخْلَدِ
فَقُلْ لِلَّذِى يَبْغِى خِلافَ الذى مَضَى تَجَهَّزْ لأُخْرَى مِثْلِها فَكَأنْ قَدِ

وقوله « خلاف الذى مضى » : يريد : أن يخلف على ميراثه أو محله . وقد استشهد المؤلف على أن قوله « بأوحد » معناه : بواحد ، مثل قول الله تعالى : « وهو أهون عليه » : أى هين عليه ، فالصيغة وإن كانت صيغة أفعل التى للتفضيل إلا أنه لاتفضيل هنا ، وإنما هو لمجرد الوصف ، بدون تفضيل . وإنما ذكر يزيد هذه الأبيات على سبيل التمثل بها ، وليست من شعره . قال القالى فرد عليه هشام ببيتين ، وهما :

وَمَنْ لا يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مافِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عاتِبُ
وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْها وَلا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صاحِبُ

ثم قال : فرد عليه يزيد بقصيدة معن بن أوس التى يقول فيها :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى وإنِّى لَأَوْجَلُ على أيِّنا تَعْدُو المَنِيَّةُ أوَّلُ

وقد بين البغدادى فى خزانة الأدب الكبرى (٥٠٠ – ٥٠٢) أن هذا الشاهد وما ماثله يمكن أن يحمل على التفضيل ، لا على مجرد الوصف . فراجعه ثمة .

(٤) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٧١٤) . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٧ ب) قال أبو عبيدة : أى عزيزة طويلة . فإن احتج محتج فقال : إن الله عز وجل لايوصف بهذا ، وإنما يوصف الخلق ، فزعم أن « وهو أهون عليه » : على الخلق ؛ فإن الحجة عليه قول الله عز وجل : « وكان ذلك على الله يسيرا » . وفى آية أخرى : « ولا يئوده حفظهما » أى لايثقله .

إن الله لايوصف بهذا ، وإنما يوصف به الخلق، فزعم أنه وهو أهون على الخلق ، فإن الحجة عليه قول الله: (وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسِيرًا) ، وقوله (وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُما) : أى لايثقله حفظهما .

وقوله (وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى) يقول : ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو أنه لاإله إلا هو وحده لاشريك له ، ليس كمثله شىء ، فذلك المثل الأعلى ، تعالى ربنا وتقدّس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى فِى السَّمَوَاتِ) يقول : ليس كمثله شىء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ) مثله أنه لاإله إلا هو ، ولا ربّ غيره .

وقوله (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الحكيم فى تدبيره خلقه ، وتصريفهم فيما أراد ، من إحياء وإماتة ، وبعث ونشر ، وما شاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ : هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ، تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : مَثَّل لكم أيها القوم ربكم مثلا من أنفسكم : هل لكم مما ملكت أيمانكم : يقول: من مماليككم من شركاء ، فيما رزقناكم من مال ، فأنتم فيه سواء وهم . يقول : فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم ، فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التى تعبدونها لى شركاء فى عبادتكم إياى ، وأنتم وهم عبيدى ومماليكى ، وأنا مالك جميعكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيما رَزَقْنَاكُمْ ، فأنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) قال : مثل ضربه الله لمن عدل به شيئا من خلقه ، يقول : أكان أحدكم مشاركا مملوكه فى فراشه وزوجته ، فكذلكم الله لايرضى أن يُعْدل به أحد من خلقه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنْفُسِكُمْ : هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيما رَزَقْنَاكُمْ ، فأنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ)

قال : هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا فى ماله ؟ فكيف تعمد أنت ، وأنت تشهد أنهم عبيدى وخلقى ، وتجعل لهم نصيبا فى عبادتى ، كيف يكون هذا ؟ قال : وهذا مثل ضربه الله لهم ، وقرأ (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

⁂ واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم ، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم ، كما يرث بعضكم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قال : فى الآلهة ، وفيه يقول : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم ، أن يقاسموكم أموالكم ، كما يقاسم بعضكم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال قال : أبو مجلز : إن مملوكك لاتخاف أن يقاسمك مالك ، وليس له ذلك ، كذلك الله لاشريك له .

⁂ وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك : القول الثانى ، لأنه أشبههما بما دلّ عليه ظاهر الكلام ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه وبّخ هؤلاء المشركين ، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها ، وأشركوهم فى عبادتهم إياه ، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده ، وعيرهم بفعلهم ذلك ، فقال لهم : هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خوّلناكم من نعمنا ، فهم سواء ، وأنتم فى ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذى هو بينكم وبينهم ، كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة ، فالخيفة التى ذكرها تعالى ذكره ، بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذى بينهما إياه ، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه ، لأن ذكر الشركة لايدلّ على خيفة الوراثة ، وقد يدلّ على خيفة الفراق والمقاسمة .

وقوله (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : كما بيّنا لكم أيها القوم حججنا فى هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على مانشاء من إنشاء ما نشاء ، وإفناء ما نحبّ ، وإعادة مانريد إعادته بعد فنائه ، ودللنا على أنه لاتصلح العبادة إلا للواحد القهار ، الذى بيده ملكوت كلّ شىء ، كذلك نبين حججنا فى كل حقّ لقوم يعقلون ، فيتدبرونها إذا سمعوها ، ويعتبرون فيتعظون بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ؟ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : ماذلك كذلك ، ولا أشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله الآلهة والأوثان ، لأن لهم

شركا فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم ، فهم وعبيدهم فيه سواء ، يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه ، فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم ، فأشركوهم فى عبادته ، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ، اتبعوا أهواءهم ، جهلا منهم لحقّ الله عليهم ، فأشركوا الآلهة والأوثان فى عبادته (فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللهُ) يقول : فمن يسدّد للصواب من الطرق ، يعنى بذلك من يوفق للإسلام من أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد ؟ (وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ) يقول : وما لمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه ، فينقذونه من الضلال الذى يبتليه به تعالى ذكره .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا، فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : فسدّد وجهك نحو الوجه الذى وجهك إليه ربك يامحمد لطاعته ، وهى الدين ، حنيفا ، يقول : مستقيما لدينه وطاعته ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، يقول : صنعة الله التى خلق الناس عليها ، ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله (فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفا) وذلك أن معنى ذلك : فطر الله الناس على ذلك فطرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فطِرْةَ اللهِ التى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها) قال : الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا ، يقرّون بذلك ، وقرأ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى شَهِدْنا) قال : فهذا قول الله (كانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ) بعد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِطْرَةَ اللهِ) قال : الإسلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبى صالح ، عن يزيد بن أبى مريم ، قال : مرّ عمر بمُعاذ بن جبل ، فقال : ما قِوام هذه الأمة ؟ قال مُعاذ : ثلاث ، وهنّ المنجيات : الإخلاص ، وهو الفطرة (فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها) . والصلاة ؛ وهى الملة . والطاعة ؛ وهى العصمة ، فقال عمر : صدقت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى ابن عُلَية ، قال : ثنا أيوب ، عن أبى قِلابة أن عمر قال لمعاذ : ما قِوام هذه الأمة ؟ ثم ذكر نحوه .

وقوله (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) يقول : لاتغيير لدين الله ، أى لايصلح ذلك ، ولا ينبغى أن يفعل.

⁂ واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدينه .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) : إنما هو الدين ، وقرأ (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ، ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد النحوىّ ، عن عكرمة : (فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) قال : الإسلام .

قال : ثنى أبى ، عن نضر بن عربى ، عن عكرمة (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لدين الله .

قال : ثنا أبى ، عن عبد الجبار بن الورد ، عن القاسم بن أبى بزّة ، قال : قال مجاهد ، فسل عنها عكرمة ، فسألته ، فقال عكرمة : دين الله تعالى ماله أخزاه الله ، ألم يسمع إلى قوله (فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) : أى لدين الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن عكرمة ، قال : لدين الله .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال سعيد بن جُبَير (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدين الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : دين الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن مسعر وسفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم ، قال (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنا أبى ، عن جعفر الرازىّ ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : لدين الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتغيير لخلق الله من البهائم ، بأن يُخْصَى الفحول منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مُطَرِّف ، عن رجل ، سأل ابن عباس ، عن خِصاء البهائم ، فكرهه ، وقال (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال عكرمة : الإخصاء .

قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : الإخصاء .

وقوله (ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ) يقول تعالى ذكره : إن إقامتك وجهك للدين حنيفا غير مغير ولا مبدّل هو الدّين القيم ، يعنى المستقيم ، الذى لا عِوَج فيه عن الاستقامة ، من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة .

وقد وجّه بعضهم معنى الدين فى هذا الموضع إلى الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بريدة (ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ) قال : الحساب القيم (وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذى أمرتك يا محمد به بقولى (فأَقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفا) : هو الدين الحقّ ، دون سائر الأديان غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ، وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) : تائبين راجعين إلى الله مقبلين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) قال : المنيب إلى الله : المطيع لله ، الذى أناب إلى طاعة الله وأمره ، ورجع عن الأمور التى كان عليها قبل ذلك . كان القوم كفارا ، فنزعوا ورجعوا إلى الإسلام .

وتأويل الكلام : فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفا ، (منيبين إليه) : إلى الله ، فالمنيبون حال من الكاف التى فى وجهك .

فإن قال قائل : وكيف يكون حالا منها ، والكاف كناية عن واحد ، والمنيبون صفة لجماعة ؟ قيل : لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله فى هذا الموضع ، أمر منه له ولأمته ، فكأنه قيل له : فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله ، منيبين إليه .

وقوله (وَاتَّقُوهُ) يقول جلّ ثناؤه : وخافوا الله وراقبوه أن تفرّطوا فى طاعته ، وتركبوا معصيته . (وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) : يقول : ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه ، وركوبكم معاصيه ، وخلافكم الدين الذى دعاكم إليه .

وقوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا) يقول : ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم ، وخالفوه ففارقوا (وكانُوا شِيعا) : يقول : وكانوا أحزابا ، فرقا كاليهود والنصارى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا) : وهم اليهود والنصارى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا) . إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء يهود ، فلو وجه قوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) إلى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله (وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ) ، وأن معناه : من الذين فرّقوا دِينَهُم . (وكانُوا شِيَعًا) أحزابا (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) كان وجها يحتمله الكلام .

وقوله (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) يقول : كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحقّ ، فأحدثوا البدع التى أحدثوا ، بما لديهم فرحون : يقول : بما هم به متمسكون من المذهب ، فرحون مسرورون ، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ، ضرّ ، فأصابتهم شدّة وجُدوب وقُحوط (دَعَوْا رَبَّهُمْ) يقول : أخلصوا لربهم التوحيد ، وأفردوه بالدعاء والتضرّع إليه ، واستغاثوا به منيبين إليه ، تائبين إليه من شركهم وكفرهم (ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) يقول : ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضرّ ، وفرّجه عنهم ، وأصابهم برخاء وخِصْب وسعة ، إذا فريق منهم : يقول : إذا جماعة منهم بربهم يشركون ، يقول : يعبدون معه الآلهة والأوثان .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ، فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضرّ عنهم كفروا به ، ليكفروا بما أعطيناهم ، يقول : إذا هم بربهم يشركون ، كى يكفروا : أى يجحدوا النعمة التى أنعمتها عليهم ، بكشفى عنهم الضرّ الذى كانوا فيه ، وإبدالى ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية ، وذلك الرخاء والسعة هو الذى آتاهم تعالى ذكره ، الذى قال بما آتيناهم . وقوله (فَتَمَتَّعُوا) يقول : فتمتعوا أيها القوم بالذى آتيناكم من الرخاء والسعة فى هذه الدنيا (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) إذا وردتم على ربكم ، ماتَلْقَوْن من عذابه ، وعظيم عقابه ، على كفركم به فى الدنيا . وقد قرأ بعضهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء ، بمعنى : ليكفروا بما آتيناهم ، فقد تمتعوا على وجه الخبر ، فسوف يعلمون .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون فى عبادتنا الآلهة والأوثان، كتابا بتصديق مايقولون ، وبحقيقة مايفعلون (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) يقول : فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم ، وإنما يعنى جلّ ثناؤه بذلك : أنه لم يُنْزل بما يقولون ويفعلون كتابا، ولا أرسل به رسولا ، وإنما هو شىء افتعلوه واختلقوه ، اتباعا منهم لأهوائهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) يقول : أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء، وعافية فى الأبدان والأموال ، فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدّة من جدب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يقول : بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصى (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) يقول: إذا هم ييأسون من الفرج ، والقنوط : هو الإياس ؛ ومنه قول حميد الأرقط :

قَدْ وَجَدُوا الحَجَّاجَ غيرَ قانِطِ [1]

وقوله (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) هو جواب الجزاء ، لأن إذا نابت عن الفعل بدلالتها عليه ، فكأنه قيل : وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم وجدتهم يقنطون ، أو تجدهم ، أو رأيتهم ، أو تراهم . وقد كان بعض نحويى البصرة يقول : إذا كانت « إذا » جوابا لأنها متعلقة بالكلام الأوّل بمنزلة الفاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)

(١) البيت لحميد الأرقط (مجاز القرآن لأبى عبيدة ، الورقة ١٨٨ ب) قال : « إذا هم يقنطون » : أى ييئسون ، قال حميد الأرقط « قد وجدوا . . . البيت » . وفى (اللسان : قنط) : القنوط : اليأس . وفى التهذيب اليأس من الخير . وقيل : أشد اليأس من الشىء . وقنط يقنط ويقنط (كضرب ونصر) وقنط قنطا (كتعب) فهو قنط ، وقرئ : ولا تكن من القنطين . وأما قنط يقنط (بالفتح فيهما) وقنط يقنط (بالكسر فيهما) فإنما هو على الجمع بين اللغتين ، كما قاله الأخفش .

⁂ يقول تعالى ذكره : أو لم يرهؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب ، وييأسون من الفرج عند شدّة تنالهم ، بعيون قلوبهم ، فيعلموا أن الشدّة والرخاء بيد الله ، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، فيوسعه عليه ، ويقدر على من أراد ، فيضيقه عليه (إنَّ فِى ذلكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : إن فى بسطه ذلك على من بسطه عليه ، وقدره على من قدره عليه ، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده فى الغنى والفقر ، لدلالةً ، واضحة لمن صدّق حجج الله ، وأقرّ بها إذا عاينها ورآها .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ، ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ، وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٣٨)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأعط يامحمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبرّ ، والمسكينَ وابنَ السبيل ، مافرض الله لهما فى ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن (فـآت ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسكينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) قال : هو أن توفيهم حقهم إن كان عندك يسر ، وإن لم يكن عندك فقل لهم قولا ميسورا ، قل لهم الخير .

وقوله (ذلكَ خَيْرٌ للَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ) يقول تعالى ذكره : إيتاء هؤلاء حقوقهم التى ألزمها الله عباده ، خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك (وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول : ومن يفعل ذلك مبتغيا وجه الله به ، فأولئك هم المنجحون ، المدركون طلباتهم عند الله ، الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بايتائهم إياهم ما آتَوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ، وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ (٣٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : وما أعطيتم أيها الناس بعضُكم بعضًا من عطية ، لتزداد فى أموال الناس ، برجوع ثوابها إليه ، ممن أعطاه ذلك ، فلا يربو عند الله ، يقول : فلا يزداد ذلك عند الله ، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه . (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ) يقول : وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله ، فأولئك ، يعنى الذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله هم ، المضعفون ، يقول : هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب من قول العرب : أصبح القوم مُسْمِنين مُعْطِشين ، إذا سمنت إبلهم وعطشت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) قال : هو ما يعطى الناس بينهم بعضهم بعضا ، يعطى الرجل الرجل العطية ، يريد أن يعطى أكثر منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جُبَير (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ) قال : هو الرجل يعطى الرجل العطية ليثيبه .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جُبَير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جُبَير (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) قال : الرجل يُعْطِى ليثاب عليه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ) قال : الهدايا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : هى الهدايا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ) قال : يُعطِى ماله يبتغى أفضل منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ابن أبى خالد ، عن إبراهيم ، قال : هو الرجل يُهْدى إلى الرجل الهدية ، ليثيبه أفضل منها .

قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : هو الرجل يعطِى العطية ويهدى الهدية ، ليثاب أفضل من ذلك ، ليس فيه أجر ولا وِزْر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) قال : ما أعطيت من شىء تريد مثابة الدنيا ، ومجازاة الناس ، ذاك الربا الذى لا يقبله الله ، ولا يَجزِى به .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ) فهو مايتعاطى الناس بينهم ويتهادون ، يعطِى الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها ، وهذا للناس عامة .

وأما قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ) فهذا للنبىّ خاصة ، لم يكن له أن يعطىَ إلا لله ، ولم يكن يعطى ليعطَى أكثر منه .

وقال آخرون : إنما عنى بهذا الرجل : يعطى ماله الرجل ليعينه بنفسه ، ويخدمه ويعود عليه نفعه ، لالطلب أجر من الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ومحمد بن فضيل ، عن زكريا ، عن عامر ، (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ) قال: هو الرجل يلزق بالرجل، فيخفّ له ويخدمه ،ويسافرمعه ، فيجعل له ربح بعض ماله ، ليجزيه ، وإنما أعطاه التماس عونه ، ولم يرد وجه الله .

وقال آخرون : هو إعطاء الرجل ماله ، ليكثر به مال ؟ من أعطاه ذلك ، لاطلب ثواب الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي حصين ، عن ابن عباس (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ) قال : ألم تر إلى الرجل يقول للرجل : لأموّلنك ، فيعطيه ، فهذا لايربو عند الله ، لأنه يعطيه لغير الله ، ليَثْرَى ماله .

قال : ثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت إبراهيم النخعي يقول في قوله (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ ، فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) قال : كان هذا في الجاهلية يعطي أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله .

وقال آخرون : ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة ، وأما لغيره فحلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي روّاد ، عن الضحاك (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) هذا للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، هذا الربا الحلال .

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه أظهر معانيه .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قُرّاء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة : (لِيَرْبُو) بفتح الياء من يربو ، بمعنى : وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا في أموال الناس . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة (لِتَرْبُوا) بالتاء من تربوا وضمها ، بمعنى : وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم في أموال الناس .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار مع تقارب معنييهما ، لأن أرباب المال إذا أربوا ربا المال ، وإذا ربا المال فبارباء أربابه إياه رَبَا . فإذ كان ذلك كذلك ، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب .

وأما قوله (وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ) فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو الذي قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدونَ وَجْهَ اللهِ ، فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ) قال : هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها ، وأكثر من ذلك .

حُدثت عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) قال : هى الهبة ، يهب الشىء ، يريد أن يُثاب عليه أفضل منه ، فذلك الذى لايربو عندالله ، لايؤجَر فيه صاحبه ، ولا إثم عليه (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) قال : هى الصدقة ، تريدون وجه الله (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) قال معمر ، قال ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره للمشركين به ، مُعَرِّفهم قبح فعلهم ، وخبث صنيعهم : الله أيها القوم الذى لاتصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغى أن تكون لغيره ، هو الذى خلقكم ولم تكونوا شيئا ، ثم رزقكم وخوّلكم ، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك ، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء ، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) للبعث بعد الموت .

وقوله (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : هل من آلهتكم وأوثانكم التى تجعلونهم لله فى عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شىء ، فيخلق أو يرزق ، أو يميت ، أو ينشر ؟ وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين . وإنما معنى الكلام : أن شركاءهم لاتفعل شيئا من ذلك ، فكيف يعبد من دون الله من لايفعل شيئا من ذلك ؟ ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التى افتراها هؤلاء المشركون عليه ، بزعمهم أن آلهتهم له شركاء ، فقال جلّ ثناؤه سبحانه : أى تنزيها لله وتبرئة (وَتَعَالَى) يقول : وعلوّا له (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : عن شرك هؤلاء المشركين به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟) لا والله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان .

القول فى تأويل قوله تعالى

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ، لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : ظهرت المعاصى فى برّ الأرض وبحرها بكسب أيدى الناس ما نهاهم الله عنه .

واختلف أهل التأويل فى المراد من قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ) فقال بعضهم : عنى بالبَرّ : الفلوات ، وبالبحر : الأمصار والقُرى التى على المياه والأنهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عَثَّام ، قال : ثنا النضْر بن عربىّ ، عن مجاهد (وَإذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرْض لِيُفْسِدَ فِيها) . . . الآية ، قال : إذا ولى سعى بالتعدّى والظلم ، فيحبس الله القطر ، (فَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ ، وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ) قال : ثم قرأ مجاهد (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ) . . . الآية ، قال : ثم قال : أما والله ماهو بحرُكم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن النضْر بن عربىّ ، عن عكرمة (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ) قال : أمَا إنى لاأقول بحرُكم هذا ، ولكن كلّ قرية على ماء جار .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عمرو بن فَرُّوخ ، عن حبيب بن الزبير ، عن عكرمة (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ) قال : إن العرب تسمى الأمصار بحرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِى النَّاسِ) قال : هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، امتلأت ضلالة وظلما ، فلما بعث الله نبيه ، رجع راجعون من الناس .

قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ) أما البرّ فأهل العمود ، وأما البحر فأهل القُرَى والريف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ) قال : الذنوب ، وقرأ (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِى النَّاسِ) قال : أفسدهم الله بذنوبهم ، فى بحر الأرض وبرها ، بأعمالهم الخبيثة .

وقال آخرون : بل عُنِى بالبرّ : ظهر الأرض ، الأمصار رغيرها ، وبالبحر البحر المعروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ) : قال : فى البرّ : ابن آدم الذى قتل أخاه ، وفى البحر : الذى كان يأخذ كلّ سفينة غصبا .

حدثنى يعقوب ، قال : قال أبو بشر : يعنى ابن عُلَيّة ، قال : سمعت ابن أبى نجيح ، يقول فى قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِى النَّاسِ) قال : بقتل ابن آدم ، والذى كان يأخذ كل سفينة غصبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن فضيل بن مرْزوق ، عن عطية (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ) قال : قلت : هذا البرّ والبحر أىّ فساد فيه ؟ قال : فقال : إذا قلّ المطر ، قل الغَوْص .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ) قال : قتل ابن آدم أخاه ، والبحر : قال أخذ الملك السفن غَصْبا .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الفساد قد ظهر فى البرّ والبحر عند العرب فى الأرض القفار ، والبحر بحران : بحر ملح ، وبحر عذب ، فهما جميعا عندهم بحر ، ولم يخصص جلّ ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك فى بحر دون بحر ، فذلك على ماوقع عليه اسم بحر ، عذبا كان أو ملحا . وإذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التى على الأنهار والبحار .

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت ، ظهرت معاصى الله فى كل مكان ، من برّ وبحر (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ) : أى بذنوب الناس ، وانتشر الظلم فيهما .

وقوله (وَلِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا) يقول جلّ ثناؤه : ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التى عملوا ، ومعصيتهم التى عَصَوا (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : كى ينيبوا إلى الحقّ ، ويرجعوا إلى التوبة ، ويتركوا معاصىَ الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن (لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ) قال : يتوبون .

قال : ثنا ابن مهدىّ ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يوم بدر ، لعلهم يتوبون .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن منصور عن إبراهيم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : إلى الحقّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) : لعلّ راجعا أن يرجع ، لعل تائبا أن يتوب ، لعلّ مستعتبا أن يستعتب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : يرجع مَنْ بعدهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِيُذِيقَهُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (لِيُذِيقَهُمْ) بالياء ، بمعنى : ليذيقهم الله بعض الذى عملوا ، وذُكر أن أبا عبد الرحمن السُّلَمى قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ (٤٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : سيروا فى البلاد ، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم ، وكذّبوا رسلَه ، كيف كان آخر أمرهم ، وعاقبة تكذيبهم رسُلَ الله وكفرهم ، ألم نهلكهم بعذاب منا ، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم ، كان أكثرهم مشركين يقول : فعَلنا ذلك بهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلَهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ، يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : فوجِّه وجْهَك يامحمد نحوَ الوجه الذى وجّهك إليه ربُّك (للدّينِ القَيِّمِ) لطاعة ربك ، والمِلةِ المستقيمةِ التى لااعوجاج فيها عن الحقّ (مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ). يقول تعالى ذكره : من قبل مجىءِ يومٍ من أيام الله ، لامردّ له لمجيئه ، لأن الله قد قضى بمجيئه ، فهو لامحالة جاءٍ (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يقول : يومَ يجىء ذلك اليومُ يصدّع الناسُ ، يقول : يتفرّق الناس فرقتين ، من قولهم : صَدَعتُ الغنم صدعتين : إذا فرقتها فرقتين : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ القَيِّمِ) الإسلام (مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ ، يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يقول : يتفرّقون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَصَّدَّعُونَ) قال : يتفرّقون إلى الجنة ، وإلى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ، وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : من كفر بالله ، فعليه أوزار كفره ، وآثام جحوده نِعَمَ ربه ، (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا) : يقول : ومن أطاع الله ، فعمل بما أمره به فى الدنيا ، وانتهى عما نهاه عنه فيها (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) يقول : فلأنفسهم يستعدون ، ويسوّون المضجع ، ليسلموا من عقاب ربهم ، وينجوا من عذابه ، كما قال الشاعر :

امْهَدْ لنَفْسِكَ حانَ السُّقْمُ والتَّلَفُ وَلا تُضِيعَنَّ نَفْسًا ما لَهَا خَلَفُ!

(١) البيت لسليمان بن يزيد العدوى (مجاز القرآن لأبى عبيدة ، الورقة ١٨٩ ـ ا) قال فى تفسير قوله تعالى : « فلأنفسهم يمهدون » : من (بفتح الميم) يقع على الواحد والاثنين والجمع . ومجازها هنا مجاز الجميع . ويمهد : أى يكسب ويعمل ويستعد . قال سليمان بن يزيد =

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : يُسَوُّون المضاجع .

حدثنا ابن المثنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلائى ، قالوا : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : فى القبر .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : للقبر .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، قال : سمعت مجاهدا يقول : فى قوله (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : فى القبر .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ، إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : (يَوْمَئِذٍ يصَّدّعون لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله (مِنْ فَضْلِهِ) الذى وعد من أطاعه فى الدنيا أن يجزيه يوم القيامة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ) يقول تعالى ذكره : إنما خصّ بجزائه من فضله ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله ، إنه لا يحبّ أهل الكفر به . واستأنف الخبر بقوله (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ) وفيه المعنى الذى وصفت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ، وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ، وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ ، وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه إله كلّ شىء (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) بالغيث والرحمة . (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول : ولينزّل عليكم من رحمته ، وهى الغيث الذى يحيى به البلاد . ولتجرى السفن فى البحار بها بأمره إياها . (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يقول : ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التى قسمها بينكم (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : ولتشكروا ربكم على ذلك ، أرسل هذه الرياح مبشرات .

= العدوى : « امهد لنفسك . . . البيت » وحان : قرب . والتلف : الموت . وفى اللسان : (مهد) : مهد لنفسه يمهد مهدا (كفتح) : كسب وعمل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (الرّياحَ مُبَشِّراتٍ) قال : بالمطر .

وقالوا فى قوله (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) مثل الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : المطر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) : المطر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ، وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ(٤٧)

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم ، فيما يلقى من قومه من الأذى فيه ، بما لقى من قبله من رسله من قومهم ، ومعلمه سنته فيهم وفى قومهم ، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم ، وفى أممهم ، ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا إلى قومهم الكفرة ، كما أرسلناك إلى قومك العابدى الأوثان من دون الله (فَجاءُوهُمْ بالبَيِّناتِ) يعنى : بالواضحات من الحجج على صدقهم ، وأنهم لله رسل ، كما جئت أنت قومك بالبينات ، فكذّبوهم كما كذّبك قومك ، وردّوا عليهم ماجاءوهم به من عند الله ، كما ردّوا عليك ماجئتهم به من عند ربك (فانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أجْرَمُوا) يقول : فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام ، واكتسبوا السيئات من قومهم ، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمى قومك . (وكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ) : يقول ونجّينا الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله ، إذ جاءهم بأسنا ، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك (وكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ) على الكافرين ، ونحن ناصروك ومن آمن بك على مَنْ كفر بك ، ومظفروك بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ، فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا ، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : الله يرسل الرياح فتثير سحابا : يقول : فتنشئ الرياح سحابا ، وهى جمع سحابة ، (فيَبْسُطُهُ فى السّماء كيْف يَشاءُ) : يقول : فينشره الله ، ويجمعه فى السماء كيف يشاء : وقال : فيبسطه ، فوحد

الهاء ، وأُخرج مخرج كناية المذكر ، والسحاب جمع كما وصفت ، ردّا على لفظ السحاب ، لاعلى معناه ، كما يقال : هذا تمر جيد .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (فَيَبْسُطُهُ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) ويجمعه .

وقوله (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) : يقول : ويجعل السحاب قِطعا متفرّقة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) : أى قطعا .

وقوله (فَتَرَى الوَدْقَ) يعنى : المطر . (يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) : يعنى : من بين السحاب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة (فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن قطن ، عن حبيب ، عن عبيد بن عمير (يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) قال : الرياح أربع : يبعث الله ريحا ، فتقمّ الأرض قَمًّا ، ثم يبعث الله الريح الثانية فتثير سحابا ، فيجعله فى السماء كِسَفًا ، ثم يبعث الله الريح الثالثة ، فتؤلف بينه فيجعله ركاما ، ثم يبعث الريح الرابعة فتمطر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَتَرَى الوَدْقَ) قال : القطر .

وقوله (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ ، إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول : فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه ، رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده ، من قبل أن يُنَزَّل عليهم هذا الغيث ، من قبل هذا الغيث (لمبلسين) : يقول : لمكتئبين حزنين ، باحتباسه عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ) : أى قانطين .

واختلف أهل العربية فى وجه تكرير من قبله ، وقد تقدم قبل ذلك قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ) فقال بعض نحوىّ البصرة : ردّ من قبله على التوكيد نحو قوله (فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) وقال غيره : ليس ذلك كذلك ، لأن مع (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ) حرفا ليس مع الثانية ، قال : فكأنه قال : من قبل التنزيل ، من قبل المطر ، فقد اختلفتا ، وأما (كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) : وَكِّد بأجمعين ، لأن كلا يكون اسما ويكون توكيدا ، وهو قوله أجمعون . والقول عندى فى قوله (مِنْ قَبْلِهِ) على وجه التوكيد .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)

اختلفت القرّاء فى قوله (فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ) فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (إلى أثَرِ رَحْمَةِ اللهِ) على التوحيد ، بمعنى : فانظر يامحمد إلى أثر الغيث الذى أصاب الله به من أصاب من عباده ، كيف يُحْيِي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ) على الجِمَاع ، بمعنى : فانظر إلى آثار الغيث الذى أصاب الله به من أصاب ، كيف يحيي الأرض بعد موتها .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان فى قَرَأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها ، فإن الغيث أحياها بإحياء الله إياها به ، وإذا أحياها الغيث ، فإن الله هو المحيي به ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب . فتأويل الكلام إذن : فانظر يامحمد إلى آثار الغيث الذى ينزّل الله من السحاب ، كيف يحيي بها الأرض الميتة ، فينبتها ويعشبها ، من بعد موتها ودثورها ، إن ذلك لمحيي الموتى . يقول جلّ ذكره : إن الذى يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث ، لمحيي الموتى من بعد موتهم ، وهو على كلّ شىء مع قدرته على إحياء الموتى قدير ، لايعزّ عليه شىء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شىء شاءه سبحانه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذى أنزلناه من السماء ، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذى حييت به أرَضُوهم ، وأعشبت ونبتت به زروعهم ، ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مُصْفَرّا ، قد فسد بتلك الريح التى أرسلناها ، فصار من بعد خضرته مصفرا ، لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به ، يكفرون بربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ، إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ، فَهُم مُّسْلِمُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره (فإنَّكَ) يامحمد (لاتُسْمِعُ المَوتى) ويقول : لاتجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم ، وإنما هذا مثل معناه : فإنك لاتقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم ، فسلبهم فَهْمَ ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله ، كما لاتقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم : الله أسماعهم ، بأن تجعل لهم أسماعا .

وقوله (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ) يقول : وكما لاتقدر أن تُسمع الصمّ الذين قد سلبوا السمع الدعاء، إذا هم وَلَّوا عنك مدبرين ، كذلك لاتقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه ، لسماع ذلك وفهمه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنَّكَ لاتُسْمِعُ المَوْتى) : هذا مَثَل ضربه الله للكافر ، فكما لايسمع الميت الدعاء ، كذلك لايسمع الكافر (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) يقول : لو أن أصمّ ولّى مدبرا ثم ناديته لم يسمع ، كذلك الكافر لايسمع ولا ينتفع بما يسمع .

وقوله (وَما أنْتَ بِهادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وما أنت يامحمد بمسدّد من أعماه الله عن الاستقامة ، ومَحَجة الحقّ ، فلم يوفقه لإصابة الرشد ، فصارفه عن ضلالته التى هو عليها ، وركوبه الجائر من الطرق ،إلى سبيل الرشاد ، يقول : ليس ذلك بيدك ولا إليك ، ولا يقدر على ذلك أحد غيرى ، لأنى القادر على كل شىء . وقيل : بهادى العمى عن ضلالتهم ، ولم يقل : من ضلالتهم . لأن معنى الكلام ما وَصَفْت ، من أنه : وما أنت بصارفهم عنه ، فحمل على المعنى . ولو قيل : من ضلالتهم كان صوابا . وكان معناه : ما أنت بمانعهم من ضلالتهم .

وقوله (إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنا) يقول تعالى ذكره لنبيه : ما تسمع السماع الذى ينتفع به سامعه فيعقله ، إلا من يؤمن بآياتنا ، لأن الذى يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبّره وفهمه وعقله ، وعمل بما فيه ، وانتهى إلى حدود الله ، الذى حدّ فيه ، فهو الذى يسمع السماع النافع .

وقوله (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) يقول : فهم خاضعون لله بطاعته ، متذللون لمواعظ كتابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ، يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركى قريش، محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء . (اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ ضَعْفٍ) يقول: من نُطْفة وماء مَهِين ،فأنشأكم بَشَرا سويّا (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) يقول: ثم جعل لكم قوّة على التصرّف ،من بعد خلقه إياكم من ضعف ، ومن بعد ضعفكم، بالصغر والطفولة (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفا وَشَيْبَةً) يقول : ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء فى شبابكم وشيبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) أى من نطفة (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا) الهرم (وَشَيْبَةً) الشَّمَط .

وقوله (يَخْلُقُ ما يَشاءُ) يقول تعالى ذكره : يخلق ما يشاء من ضعف وقوّة وشباب وشيب (وَهُوَ العَلِيمُ) بتدبير خلقه (القَدِيرُ) على ما يشاء ، لايمتنع عليه شىء أراده ، فكما فعل هذه الأشياء ، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء . يقول : واعلموا أن الذى فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ، كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ويوم تجىء ساعة البعث ، فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون ، وهم الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا ، ويكتسبون فيها الآثام ، وإقسامهم : حلفهم بالله . (ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ) : يقول : يقسمون بأنهم لم يلبثوا فى قبورهم غير ساعة واحدة ، يقول الله جلّ ثناؤه : كذلك فى الدنيا كانوا يُؤْفَكُون : يقول : كذبوا فى قيلهم وقَسَمِهِم ما لبثنا غير ساعة ، كما كانوا فى الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمونَ ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ كَذلكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ) أى يكذبون فى الدنيا ، وإنما يعنى بقوله (يُؤْفَكُونَ) عن الصدق ، ويَصُدُّون عنه إلى الكذب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ ، لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ، فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)

كان قتادة يقول : هذا من المقدّم الذى معناه التأخير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتابِ اللهِ إلى يَوْمِ البَعْثِ) قال : هذا من مقاديم الكلام . وتأويلها : وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم : لقد لبثتم فى كتاب الله . [1]

وذُكر عن ابن جُرَيج أنه كان يقول : معنى ذلك : وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله ، والإيمان بالله وكتابه .

(١) فى فتح القدير للشوكانى : (٤ : ٢٢٤) قال الواحدى : والمفسرون حملوا هذا على التقديم والتأخير ، على تقدير : وقال الذين أتوا العلم فى كتاب الله . وهذا غير ما قدره قتادة فى حديثه الذى رواه المؤلف هنا .

وقوله (فِى كِتابِ اللهِ) يقول : فيما كتب الله مما سبق فى علمه أنكم تلبثونه (فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ) يقول : فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم (وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) يقول : ولكنكم كنتم لاتعلمون فى الدنيا أنه يكون ، وأنكم مبعوثون من بعد الموت ، فلذلك كنتم تكذبون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَيَوْمَئِذٍ لا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : فيوم يبعثون من قبورهم (لايَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ) يعنى المكذّبين بالبعث فى الدنيا (معذرتهم) : وهو قولهم : ما علمنا أنه يكون ، ولا أنا نُبعث (وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) يقول : ولا هؤلاء الظلمة يُستَرجعون يومئذ عما كانوا يكذّبون به فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ، وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ : إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ولقد مثلنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم ، وتنبيها لهم على وحدانية الله . وقوله (وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ) يقول : ولئن جئت يامحمد هؤلاء القوم بآية : يقول : بدلالة على صدق ما تقول (لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ) يقول : ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك ، وأنكروا نبوّتك ، إن أنتم أيها المصدّقون محمدا فيما أتاكم به (إلا مبطلون) فيما تجيئوننا به من هذه الأمور .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : كذلك يختم الله على قلوب الذين لايعلمون حقيقة ما تأتيهم به يامحمد من عند الله ، من هذه العبر والعظات ، والآيات البيّنات ، فلا يفقهون عن الله حُجة ، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آى كتابه ، فهم لذلك فى طغيانهم يتردّدون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ، وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : فاصبر يامحمد لما ينالك من أذاهم ، وبلّغهم رسالة ربك ، فإن وعد الله الذى وعدك ، من النصر عليهم ، والظفر بهم ، وتمكينك وتمكين أصحابك وتُبّاعك فى الأرض ، حقّ . (وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ

الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) يقول : ولا يستخفنّ حلمك ورأيك، هؤلاء المشركون بالله، الذين لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات ، فيثبطوك عن أمر الله ، والنفوذ لما كلّفك من تبليغهم رسالته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سعيد بن جُبَير ، عن علىّ بن ربيعة ، أن رجلا من الخوارج ، قرأ خلف علىّ رضى الله عنه (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ) فقال علىّ (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ) .

قال : ثنا يحيى بن آدم، عن شريك ، عن عثمان بن أبى زُرْعة، عن علىّ بن ربيعة، قال : نادى رجل من الخوارج عليّا رضى الله عنه ، وهو فى صلاة الفجر، فقال (وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيْكَ وَإلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ) فأجابه علىّ رضى الله عنه وهو فى الصلاة (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ) قال : قال رجل من الخوارج خلف علىّ فى صلاة الغداة (وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيْكَ وَإلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ) . فأنصت له علىّ رضى الله عنه، حتى فهم ما قال ، فأجابه وهو فى الصلاة : (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ) .

آخر تفسير سورة الروم

تفسير سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

وقد تقدّم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره (الٓمٓ) . وقوله (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ) : يقول جل ثناؤه : هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا . وقوله (هُدًى وَرَحْمَةً) يقول : هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه ، وعمل به من خلقه ، وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قرّاء الأمصار غير حمزة ، فإنه قرأ ذلك رفعا، على وجه الاستئناف ، إذ كان منقطعا عن الآية التى قبلها، بأنه ابتداء آية، وأنه مدح . والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف، وقع موقع الحال ، إذا كان فيه معنى مدح أو ذمّ . وكلتا القراءتين : صواب عندى، وإن كنت إلى النصب أميل، لكثرة القراء به .

وقوله (لِلْمُحْسِنِينَ) وهم الذين أحسنوا فى العمل بما أنزل الله فى هذا القرآن ، يقول تعالى ذكره : هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا ، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ) يقول : الذين يقيمون الصَّلاةَ المفروضة بحدودها (وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ) مَنْ جعلها الله له ، المفروضة فى أموالهم . (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول : يفعلون ذلك ، وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك فى الآخرة يوقنون.

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور (وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحونَ) : يقول : وهؤلاء هم المنْجِحون المدركون ما رَجَوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عن سبيل اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦)

⁂ اختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيث) فقال بعضهم : من يشترى الشِّراء المعروف بالثمن ، ورووا بذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو ما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلاد الصفّار ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ ابن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَحِلُّ بَيْعُ المُغَنِّيات ، وَلا شِرَاؤُهُنَّ ، وَلا التِّجارَةُ فِيهِنَّ ، وَلا أثْمَانُهُنَّ ، وفيهنّ نزلت هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن خَلاد الصفّار ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أنه قال « أكْلُ ثَمَنِهِنَّ حَرَامٌ » وقال أيضا : « وفِيهِنَّ أنْزَلَ اللهُ علىَّ هَذِهِ الآيَةَ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) » .

حدثنى عُبيد بن آدم بن أبى إياس العسقلانىّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن عمرو ابن قيس الكلابىّ ، عن أبى المهلَّب ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة . قال : وثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن مُطَرِّح بن يزيد ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة الباهلىّ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يَحِلُّ تَعْلِيمُ المُغَنِّيات ، وَلا بَيْعُهُنَّ وَلا شِرَاؤُهُنَّ ، وَثَمَنُهُنَّ حَرامٌ ، وقَدْ نَزَلَ تَصْدِيقُ ذلكَ فِى كِتابِ اللهِ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من يختار لهو الحديث ويستحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) والله لعله أن لاينفق فيه مالا ، ولكن اشتراؤه : استحبابه ، بِحَسْبِ المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ ، وما يضرّ على ماينفع .

حدثنى محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا ابن شوذب ، عن مطر ، فى قول الله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : اشتراؤه : استحبابه .

⁂ وأولى التأويلين عندى بالصواب : تأويل من قال : معناه : الشراء ، الذى هو بالثمن ، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه .

فان قال قائل : وكيف يشترى لهو الحديث ؟ قيل : يشترى ذات لهو الحديث ، أو ذا لهو الحديث ، فيكون مشتريا لهو الحديث .

وأما الحديث ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو الغناء والاستماع له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يزيد بن يونس ، عن أبى صخر ، عن أبى معاوية البَجَلِىّ ، عن سعيد بن جُبَير ، عن أبى الصهباء البكرى[1] ، أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) فقال عبد الله : الغناء ، والذى لاإله إلا هو ، يردّدها ثلاث مرّات .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن أبى الصَّهباء ، أنه سأل ابن مسعود ، عن قول الله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا علىّ بن عابس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء وأشباهه .

حدثنا ابن وكيع ، والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : هو الغناء ونحوُه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا ابن أبى ليلى ، عن الحكم ،

(١) أبو الصهباء « كما فى خلاصة الخزرجى » : هو صهيب الهاشمى ، عن مولاه ابن عباس ، وعلى ، وابن مسعود . ولم يقل فى نسبته البكرى . وهناك صهيب المكى أبو موسى الحذاء ، ولم يكنه بأبى الصهباء .

عن مقسم، عن ابن عباس ، قال : هو الغناء والاستماع له، يعنى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) .

حدثنا الحسن بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا سفيان ، عن قابوس بن أبى ظَبْيان ، عن أبيه ، عن جابر ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : هو الغناء والاستماع له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم أو مقسم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : شراء المغنية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص والمحاربى ، عن ليث ، عن الحكم ، عن ابن عباس ، قال : الغناء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : باطل الحديث : هو الغناء ونحوه .

حدثنا ابن بشار و ابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدىّ ، عن شُعبة ، عن الحكم عن مجاهد ، أنه قال فى هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب عن مجاهد قال : الغناء .

قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : هو الغناء ، وكلّ لعب لهو .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأَنماطىّ ، قال : ثنا علىّ بن حفص الهمدانىّ ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء والاستماع له ، وكل لهو .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : المغنى والمغنية بالمال الكثير ، أو استماع إليه ، أو إلى مثله من الباطل .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : هو الغناء أو الغناء منه ، أو الاستماع له .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن شعيب بن يسار ، عن عكرمة قال (لَهْوَ الحَدِيثِ) : الغناء .

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهَبَّارىّ ، قال : ثنا عَبّام ، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة ، عن عبيد مثله .

حدثنا الحسين بن الزبرقان النخعى ، قال : ثنا أبو أسامة وعبيد الله ، عن أسامة ، عن عكرمة ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، قال : الغناء .

وقال آخرون : عنى باللهو : الطَّبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج الأعور ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد، قال: اللهو : الطبل .

وقال آخرون : عنى بلهو الحديث : الشرك .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) يعنى الشرك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) قال : هؤلاء أهل الكفر ، ألا ترى إلى قوله (وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كأنْ لَمْ يَسْمَعْها ، كأنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا) فليس هكذا أهل الإسلام ، قال : وناس يقولون : هى فيكم، وليس كذلك ، قال : وهو الحديث الباطل الذى كانوا يَلْغَون فيه .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : عنى به كلّ ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله، مما نهى الله عن استماعه أو رسولُه ، لأن الله تعالى عَمّ بقوله (لَهْوَ الحَدِيثِ) ولم يخصص بعضا دون بعض ، فذلك على عمومه ، حتى يأتى ما يدلّ على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك .

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول : ليصدّ ذلك الذى يشترى من لهو الحديث عن دين الله وطاعته ، وما يقرّب إليه من قراءة قرآن ، وذكر الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : سبيل الله : قراءة القرآن ، وذكر الله إذا ذكره ، وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية .

وقوله (بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول : فعل ما فعل من اشترائه لهو الحديث، جهلا منه بما له فى العاقبة عند الله من

وزر ذلك وإثمه . وقوله (وَيَتَّخِذَها هُزُوًا) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة (وَيَتَّخِذُها) رفعا ، عطفا به على قوله (يَشْتَرِى) كأن معناه عندهم : ومن الناس من يشترى لهو الحديث ، ويتخذ آيات الله هزوا . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (وَيَتَّخِذَها) نصبا عطفا على يضلّ ، بمعنى : ليضلّ عن سبيل الله ، وليتخذَها هُزُوًا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك: أنهما قراءتان معروفتان فى قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ ، فمصيب الصواب فى قراءته ، والهاء والألف فى قوله (ويَتَّخِذَها) من ذكر سبيل الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَيَتَّخِذَها هُزُوًا) قال : سبيل الله .

وقال آخرون : بل ذلك من ذكر آيات الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قال : بِحَسْب المرء من الضلالة، أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ماينفع . (ويَتَّخِذَها هُزُوًا) يستهزئ بها ويكذّب بها . وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندى لقربهما منها ، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب ، واتخاذه ذلك هُزُوًا هو استهزاؤه به .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ، لهم يوم القيامة عذاب مُذِلّ مخزٍ فى نار جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ، كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإذا تُتلى على هذا الذى اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله ،آيات كتاب الله ، فقرئت عليه (ولَّى مُسْتَكْبِرًا) يقول : أدبر عنها ، واستكبر استكبارا ، وأعرض عن سماع الحقّ والإجابة عنه (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها ، كأنَّ فِى أُذُنَيهِ وَقْرًا) يقول : ثقلا ، فلا يطيق من أجله سماعه .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا) قال: ثِقلا .

وقوله (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ): يقول تعالى ذكره : فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تُلِيت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجِع ، وذلك عذاب النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ (٨) خَٰلِدِينَ فِيهَا، وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩)

يقول تعالى ذكره: (إنَّ الَّذِين آمَنُوا) بالله فوحدوه، وصدّقوا رسوله واتبعوه (وَعَمِلُوا الصَّالِحات): يقول: فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم فى كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) يقول لهؤلاء بساتين النعيم (خَالِدِينَ فِيهَا): يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية (وَعْدَ اللهِ حَقًّا): يقول: وعدهم الله وعدا حقا، لاشكّ فيه، ولا خُلْف له (وَهُوَ العَزِيزُ): يقول: وهو الشديد فى انتقامه من أهل الشرك به، والصادّين عن سبيله، (الحَكِيمُ) فى تدبير خلقه.

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ، وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ، وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً، فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)

يقول تعالى ذكره: ومن حكمته أنه (خَلَقَ السَّمَوَاتِ) السبع (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)، وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل فى معنى قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) وبيّنا الصواب من القول فى ذلك عندنا.

وقد حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاذ بن معاذ، عن عِمران بن حُدَير، عن عكرمة، عن ابن عباس: (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: لعلها بعمد لاترونها.

وقال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد، قال: إنها بعمد لاترونها.

قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لعلها بعمد لاترونها.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد، عن سماك، عن عكرمة فى هذا الحرف: (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: ترونها بغير عمد، وهى بعَمد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: قال الحسن وقتادة: إنها بغير عمد ترونها، ليس لها عمد.

وقال ابن عباس (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: لها عمد لاترونها.

وقوله (وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسى،

وهى ثوابت الجبال . (أن تميد بكم) ، أن لاتميد بكم ، يقول : أن لاتضطرب بكم ، ولا تتحرّك يَمْنة ولا يَسْرة ، ولكن تستقرّ بكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وألْقَى فِى الأرْضِ رَوَاسِىَ) : أى جبالا (أنْ تَمِيدَ بِكُمْ) أثبتها بالجبال ، ولولا ذلك ما أقرّت عليها خلْقا ، وذلك كما قال الراجز :

والمُهْرُ يأبَى أنْ يَزَال مُلَهَّبَا[1]

بمعنى : لايزال .

وقوله (وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلّ دَابَّةٍ) يقول : وفرّق فى الأرض من كلّ أنواع الدوابّ . وقيل : الدوابّ اسم لكلّ ما أكل وشرب ، وهو عندى لكلّ مادبّ على الأرض . وقوله (وأنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً ، فأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) : يقول تعالى ذكره : وأنزلنا من السماء مطرا ، فأنبتنا بذلك المطر فى الأرض من كلّ زوج ، يعنى : من كل نوع من النبات كريم ، وهو الحسن النَّبتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) : أى حسن .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ، بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١١)

يقول تعالى ذكره : هذا الذى عددت عليكم أيها الناس أنى خلقته فى هذه الآية ، خلْق الله الذى له ألوهة كل شىء ، وعبادة كل خلق ، الذى لاتصلح العبادة لغيره ، ولا تنبغى لشىء سواه ، فأرونى أيها المشركون فى عبادتكم إياه ، مَنْ دونه مِنَ الآلهة والأوثان ، أىّ شىء خلق الذين من دونه ، من آلهتكم وأصنامكم ، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه ، كما استحقّ ذلك عليكم خالقكم ، وخالق هذه الأشياء التى عددتها عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذَا خَلْقُ اللهِ) ما ذكر من خلق السموات والأرض ، وما بثّ من الدوابّ ، وما أنبت من كلّ زوج كريم ، (فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) الأصنام الذين تدعون من دونه .

وقوله (بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئا ، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم ، وذهابهم عن سبيل الحقّ ، فهم (فى ضلال) : يقول : فهم فى جَور عن الحقّ ، وذهاب عن الاستقامة (مبين) : يقول : يَبِين لمن تأمله ، ونظر فيه ، وفكّر بعقل ، أنه ضلال لاهدى .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٥١) . قال عند تفسير قوله تعالى : « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » : لئلا تميد بكم ؛ و (أن) فى هذا الموضع تكفى من (لا) كما قال الشاعر : * والمهر يأبى أن يزال ملهبا * معناه : يأبى أن لايزال . اه

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ، وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا لقمان الفقه فى الدين ، والعقل ، والإصابة فى القول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) قال : الفقه والعقل والإصابة فى القول من غير نُبوّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) أى الفقه فى الإسلام ، قال قتادة : ولم يكن نبيا ، ولم يُوح إليه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) قال : الحكمة : الصواب ، وقال غير أبى بشر : الصواب فى غير النبوّة .

حدثنا ابن المثنى ، ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال : كان لقمان رجلا صالحا ، ولم يكن نبيا .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَوْدىّ وابن حميد ، قالا : ثنا حَكّام ، عن سعيد الزبيدىّ ، عن مجاهد ، قال : كان لقمان الحكيم عبدا حبشيّا ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضيا على بنى إسرائيل .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملىّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، عظيم الشفتين ، مُشقّق القدمين .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا سليمان بن بلال ، قال : ثنى يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا أبى ، قال : ثنا الأوزاعىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن حَرْملة ، قال : جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأل ، فقال له سعيد : لاتحزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان : بِلال ، ومهجِّع مولى عمر بن الخطاب ، ولُقمان الحكيم ، كان أسود نوبيا ذا مشافر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى الأشهب ، عن خالد الرَّبَعِىّ ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا

نجارا ، فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، قال : أخرج أطيب مُضْغَتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال له لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خَبثا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، فأتاه رجل ، وهو فى مجلس أناس يحدّثهم ، فقال له : ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنينى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ) قال : القرآن .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الحكمة : الأمانة .

وقال آخرون : كان نبيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : كان لقمان نبيا .

وقوله (أنِ اشْكُرْ لِلّهِ) : يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا لقمان الحكمة ، أن احمد الله على ما آتاك من فضله ، وجعل قوله (أنِ اشْكُرْ) ترجمة عن الحكمة ، لأن من الحكمة التى كان أوتيها ، كان شكره الله على ما آتاه . وقوله (وَمَنْ يَشْكُرْ فإنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) يقول : ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه ، لأن الله يُجزل له على شكره إياه الثواب ، وينقذه به من الهلكة (وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) يقول : ومن كفر نعمة الله عليه ، إلى نفسه أساء ، لأن الله معاقبه على كفرانه إياه ، والله غنىّ عن شكره إياه على نعمه ، لاحاجة به إليه ، لأن شكره إياه لايزيد فى سلطانه ، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه . ويعنى بقوله (حَمِيدٌ) محمود على كلّ حال ، له الحمد على نعمه ، كفر العبد نعمته أوشكره عليها ، وهو مصروف من مفعول إلى فَعِيل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يامحمد (إذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ ، إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) يقول : لخطأ من القول عظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ،وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ : أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)

يقول تعالى ذكره : وأمرنا الإنسان ببرّ والديه (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) يقول : ضَعْفًا على ضعف ، وشدّة على شدّة ؛ ومنه قول زُهير :

فَلَئِنْ يَقُولُوا بِحَبْلٍ وَاهِنٍ خَلَقٍ لَوْ كَانَ قَوْمُكَ فِي أَسْبَابِهِ هَلَكُوا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا فى المعنىّ بذلك ، فقال بعضهم : عنى به الحمل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) يقول : شدّة بعد شدّة ، وخلقا بعد خلق .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) يقول : ضعفا على ضعف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) أى جهدا على جهد .

وقال آخرون : بل عنى به : وهن الولد وضعفه على ضعف الأمّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) قال : وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها .

---

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٢٥٤) . وقبل البيت بيت مرتبط به ارتباط السؤال بالجواب ، قال :

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلِّهِمِ بِأَيِّ حَبْلٍ جِوَارٍ كُنْتُ أَمْتَسِكُ

ومعنى بيت الشاهد : هو حبل شديد محكم ، فمن تمسك به نجا ، وليس بحبل ضعيف من تعلق به هلك . قالوا : وكان الحارث ابن ورقاء الصيداوى من بنى أسد ، أغار على بنى عبد الله بن غطفان ، فغنم ، واستاق إبل زهير وراعيه يسارا ، فخاطبه زهير بهذه القصيدة ، وذكره بأنه كان فى عهده وجواره ، وأنه إن لم يرد عليه الإبل والراعى ، فإنه سيقول فيه من قصائد الهجو مايفضحه فى أحياء العرب . وقال أبو عبيدة فى تفسير قوله تعالى : « وهنا على وهن » : أى ضعفا إلى ضعفها . واستشهد بالبيت . اهـ . وفيه : الواهى بمعنى الضعيف .

وقوله (وَفِصَالُهُ فِي عامَيْنِ) يقول : وفطامه فى انقضاء عامين. وقيل : (وَفِصَالُهُ فِي عامَيْنِ) وترك ذكر انقضاء، اكتفاء بدلالة الكلام عليه، كما قيل (وَاسْأَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فِيها) يراد به أهل القرية.

وقوله (أَنِ اشْكُرْ لى وَلِوَالِدَيْكَ) يقول : وعهدنا إليه أن اشكر لى على نعمى عليك ، ولوالديك تربيتهما إياك ، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة، حتى استحكم قواك . وقوله (إِلَيَّ المَصِيرُ) يقول: إلى الله مصيرك أيها الإنسان ، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك ، وعما كان من شكرك لوالديك ، وبرّك بهما، على ما لقيا منك من العناء والمشقة فى حال طُفُوليتك وصباك ، وما اصطنعا إليك فى برّهما بك، وتحننهما عليك .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى شأن سعد بن أبى وقّاص وأمه .

ذكر الرواية الواردة فى ذلك

حدثنا هَنّاد بن السرىّ ، قال: ثنا أبو الأحوص ، عن سِماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، قال : حلفت أمّ سعد أن لاتأكل ولا تشرب ، حتى يتحوّل سعد عن دينه ، قال : فأبى عليها ، فلم تزل كذلك حتى غُشِي عليها ، قال : فأتاها بنوها فسقَوها ، قال : فلما أفاقت دعت الله عليه ، فنزلت هذه الآية : (وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوالِدَيْهِ) . . . إلى قوله (فِي الدُّنْيا مَعْرُوفا) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه، قال: قالت أمّ سعد لسعد: أليس الله قد أمر بالبرّ ، فوالله لاأَطْعَم طعاما، ولا أشرب شرابا، حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا ، ثم أوجروها ، فنزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوالِدَيْهِ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سماك بن حرب ، قال : قال سعد بن مالك : نزلت فىّ (وَإنْ جاهَداكَ عَلى أنْ تُشْرِكَ بِى ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما ، وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفا) قال : لما أسلمتُ ، حلفت أمى لاتأكل طعاما ولا تشرب شرابا ، قال : فناشدتها أوّل يوم ، فأبت وصَبرت ؛ فلما كان اليوم الثانى ناشدتها ، فأبت ؛ فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت : والله لو كانت لكِ مِئة نَفْس، فخرجت قبل أن أدع دينى هذا ؛ فلما رأت ذلك، وعرفت أنى لست فاعلا ، أكلت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت أبا هبيرة يقول : قال : نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقّاص (وَإنْ جاهَداكَ عَلى أنْ تُشْرِكَ بِى ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا، وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بى فى عبادتك إياى معى غيرى، مما لاتعلم أنه لى شريك ، ولا شريك له تعالى ذكره علوّا كبيرا ، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بى ، (وَصَاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفا) يقول : وصاحبهما فى الدنيا بالطاعة لهما ، فيما لاتَبِعة عليك فيه ، فيما بينك وبين ربك ولا إثم . وقوله (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إلَيَّ) يقول : واسلك طريق من تاب من شركه ، ورجع إلى الإسلام ، واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إلَيَّ) : أى من أقبل إلىّ .

وقوله (إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) : فإن إلىّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم ، فأخبركم بجميع ما كنتم فى الدنيا تعملون من خير وشرّ ، ثم أجازيكم على أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

فإن قال لنا قائل : ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتى لقمان ابنه ؟ قيل ذلك أيضا ، وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به ، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه ، فكان معنى الكلام (وَإذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يا بُنَيَّ لاتُشْرِكْ بالله إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ولاتطع فى الشرك به والديك (وَصَاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفا) فإن الله وصّى بهما ، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله ، وفيه هذا المعنى ، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)

اختلف أهل العربية فى معنى الهاء والألف اللتين فى قوله (إنَّها) فقال بعض نحوىّ البصرة : ذلك كناية عن المعصية والخطيئة . ومعنى الكلام عنده : يا بنىّ إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل ، أو إن الخطيئة . وقال بعض نحوىّ الكوفة : وهذه الهاء عماد . وقال : أنّث تك ، لأنه يراد بها الحبة ، فذهب بالتأنيث إليها ، كما قال الشاعر :

وَتَشْرَقُ بالقَوْلِ الَّذِى قَدْ أذَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ [١]

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٢٣) وهو من قصيدة يهجو بها عمير ابن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنام الشاعر ، ليهاجيه . ورقم البيت (٣٤) ومعنى تشرق : تغص ، وصدر القناة : علاها . والقناة : الرمح . اهـ . وفى « فرائد القلائد ، شرح مختصر الشواهد » للعينى . قال : والشاهد فى شرقت حيث أنت مع أن فاعله مذكر وهو الصدر والقياس شرق ، ولكن لما كان الصدر الذى هو مضاف بعض المضاف إليه أعطى له حكمه . اهـ .

وقال صاحب هذه المقالة : يجوز نصب المثقال ورفعه ؛ قال : فمن رفع رفعه بتَكُ ، واحتملت النكرة أن لايكون لها فعل فى كان وليس وأخواتها ، ومن نصب جعل فى تكن اسما مضمرا مجهولا ، مثل الهاء التى فى قوله (إِنَّها إِنْ تَكُ) قال : ومثله قوله (فإِنَّها لاتَعْمَى الأَبْصَارُ) قال : ولو كان إن يك مثقال حبة كان صوابا ، وجاز فيه الوجهان . وأما صاحب المقالة الأولى ، فإن نصب مثقال فى قوله ، على أنه خبر ، وتمام كان ؛ وقال : رفع بعضهم فجعلها كان التى لاتحتاج إلى خبر .

❊ وأولى القولين بالصواب عندى ، القول الثانى ، لأن الله تعالى ذكره ، لم يَعِد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم ، فيقال : إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل يأت بها الله ، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما . فإذا كان ذلك كذلك ، كانت الهاء فى قوله (إِنَّها) بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية . وأما النصب فى المثقال ، فعلى أن فى « تك » مجهولا ، والرفع فيه على أن الخبر مضمر ، كأنه قيل : إن تك فى موضع مثقال حبة ، لأن النكرات تضمَر أخبارها ، ثم يترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة .

وعُنِى بقوله (مِثْقالَ حَبَّةٍ) : زِنةَ حبة . فتأويل الكلام إذن : إن الأمر إن تك زنةَ حبة من خردل من خير أو شرّ عملته ، فتكن فى صخرة ، أو فى السموات ، أو فى الأرض ، يأت بها الله يوم القيامة ، حتى يوفِّيكَ جزاءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) من خير أو شرّ .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ) فقال بعضهم : عُنِى بها الصخرة التى عليها الأرض ، وذلك قول رُوى عن ابن عباس وغيره ، وقالوا : هى صخرة خضراء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : الصخرة خضراء على ظهر حُوت .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرّة ، عن عبد الله ، وعن ناس من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الأرض على حُوت ، والحُوت : هو النون الذى ذكر الله فى القرآن (نٓ وَالقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ) ، والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صَفاة ، والصَّفاة على ظهر مَلَك ، والمَلَك على صخرة ، والصخرة فى الريح ، وهى الصخرة التى ذكر لُقمان ليست فى السماء ، ولا فى الأرض » .

وقال آخرون : عنى بها الجبال ، قالوا : ومعنى الكلام : فتكن فى جبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ) : أى جبل

وقوله (يَأْتِ بِها اللهُ) كان بعضهم يوجه معناه إلى يعلمه الله ، ولا أعرف يأتى به ، بمعنى يعلمه ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان ، إنما وصف الله بذلك ، لأن الله يعلم أماكنه ، لايخفى عليه مكان شىء ، منه ، فيكون وجها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالا : ثنا أبو سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ ، أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِها اللهُ) قال : يعلمها الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، مثله .

وقوله (إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) يقول : إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير ، بموضعها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) : أى لطيف باستخراجها ، خبير بمستقرّها .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لقمان لابنه : (يا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاةَ) بحدودها (وأْمُرْ بالمَعْرُوفِ) : يقول : وأمر الناس بطاعة الله ، واتباع أمره (وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ) يقول : وانه الناس عن معاصى الله ومواقعة محارمه (وَاصْبِرْ عَلَى ما أصَابَكَ) يقول : واصبر على ما أصابك من الناس فى ذات الله ، إذا أنت أمرتهم بالمعروف ، ونهيتهم عن المنكر ، ولا يصدّنك عن ذلك ماناالك منهم . (إنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) : يقول : إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزما منه .

وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (يا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاةَ ، وأْمُرْ بالمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ

المُنْكَرِ ، وَاصْبِرْ على ما أصَابَكَ) قال : اصبر على ما أصابك من الأذى فى ذلك . (إنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) قال : إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور ، يقول : مما أمر الله به من الأمور .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلا تُصَعِّرْ) فقرأه بعض قرّاء الكوفة والمدنيين والكوفيين (وَلا تُصَعِّرْ) على مثال « تُفَعِّلْ » .وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة (وَلا تُصَاعِرْ) على مثال « تُفَاعِلْ » .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال ؛ إنهما قراءتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وتأويل الكلام : ولا تُعْرِض بوجهك عمن كلمتَه، تكبرا واستحقارا لمن تكلمه، وأصل الصَّعَر : داء يأخذ الإبل فى أعناقها أو رءوسها ، حتى تَلْفِت أعناقها عن رءوسها، فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ، ومنه قول عمرو بن خُـَيٍّ التَّغْلَبيّ :

وكُنَّا إذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّما[1]

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) يقول : ولا تتكبر ، فتحقِرَ عباد الله ، وتُعْرِضَ عنهم بوجهك إذا كلموك .

---

(١) البيت لعمرو بن حنى (بالنون) التغلبى (معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٠٦ – ٢٠٧) وهو فارس جاهلى مذكور ، يقول فى قتلهم عمرو بن هند ، على رواية محمد بن داود :

نُعاطِى المُلُوكَ الحَقَّ ما قَصَدُوا بِنا وَلَيْسَ عَلَيْنا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمِ
أنفتُ لهم مِنْ عَقْلِ عَمرِو بنِ مَرْثَدٍ إذَا وَرَدُوا ماءً وَرُمْحِ بنِ هَرْثَمِ
وكُنَّا إذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمِ

قال : يريد : فتقوم أنت . وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التى أولها :

يُعَيِّرُنِى أُمِّى رِجالٌ ولَنْ تَرَى أخا كَرَمٍ إلا بأنْ يَتَكَرَّمَا

وبعده البيت ، وآخره : « أقمنا له من ميله فتقوما » . وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حنى التغلبى . وقال أبو عبيدة فى تفسير قوله تعالى « ولا تصعر خدك للناس » : مجازه : لاتقلب وجهك ، ولاتعرض بوجهك فى ناحية ، من الكبر ؛ ومنه الصعر الذى يأخذ الإبل فى رءوسها ، حتى يلفت أعناقها عن رءوسها . وقال عمرو بن حنى التغلبى : « وكنا . . . . فتقوما» . ونسب البيت فى (اللسان صعر) للمتلمس جرير بن عبد المسيح . قال : الصعر : ميل فى الوجه . وقيل : الصعر : ميل فى الخد خاصة . وربما كان خلقة فى الإنسان والظليم . وقيل : هو ميل فى العنق ، وانقلاب فى الوجه إلى أحد الشقين . وقد صعر خده وصاعره : أماله من الكبر ، قال المتلمس : وكنا . . . فتقوما » . يقول : إذا أمال متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله . اهـ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) يقول : لاتعرض بوجهك عن الناس تكبرا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تُصَعِّرْ) قال : الصدود والإعراض بالوجه عن الناس .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبى الزرقاء ، عن جعفر بن برقان ، عن يزيد فى هذه الآية : (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) قال : إذا كلمك الإنسان لَوَيْتَ وَجهك ، وأعرضت عنه مَحْقَرَةً له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان الرّقّىّ ، عن جعفر بن ميمون بن مهران ، قال : هو الرجل يكلم الرجل ، فَيَلْوِى وجهه .

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا أبو مكين ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) قال : لاتُعْرض بوجهك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) يقول : لاتُعرض عن الناس ، يقول : أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) قال : تصعير الخدّ : التجبر والتكبر على الناس وَمَحْقَرَتُهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى مكين ، عن عكرمة ، قال : الإعراض .

وقال آخرون : إنما نهاه عن ذلك أن يفعله لمن بينه وبينه صَعَر ، لاعلى وجه التكبّر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) قال : الرجل يكون بينه وبين أخيه الحِنَة ، فيراه فيعرض عنه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) قال : هو الرجل بينه وبين أخيه حِنَة ، فيعرض عنه .

وقال آخرون : هو التشديق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن جعفر الرازى ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق أو التشدّق « الطبرى يشكّ » .

حدثنا يحيى بن طلحة ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم بمثله .

وقوله (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) يقول : ولا تمش فى الأرض مختالا .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) يقول : بالخيلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) قال : نهاه عن التكبر ، قوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر ذى فخر .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) قال : متكبر . وقوله : فخور : قال : يعدّد ما أَعْطَى الله ، وهو لايشكر الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

يقول : وتواضعْ فى مشيك إذا مشيت ، ولا تستكبر ، ولا تستعجل ، ولكن اتئد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أن منهم من قال : أمره بالتواضع فى مشيه ، ومنهم من قال : أمره بترك السرعة فيه .

ذكر من قال : أمره بالتواضع فى مشيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : التواضع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : نهاه عن الخُيلاء .

ذكر من قال : نهاه عن السرعة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عبد الله بن عقبة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، فى قوله (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : من السرعة .

قوله (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) يقول : واخفض من صوتك ، فاجعله قصدا إذا تكلمت .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) قال : أمره بالاقتصاد فى صوته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) قال : اخفض من صوتك .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إنَّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ) فقال بعضهم : معناه : إن أقبح الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة وأبان بن تغلب ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (إنَّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ) قال : إن أقبح الأصوات (لَصَوْتُ الحَمِيرِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ) أى أقبح الأصوات لصوت الحمير ، أوّله زفير ، وآخره شهيق ، أمره بالاقتصاد فى صوته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت الأعمش يقول : (إنَّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ) ! صوت الحمير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن أشرّ الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن يحيى بن واضح ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة والحكم بن عُتيبة (إنَّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ) قال : أشرّ الأصوات .

قال جابر : وقال الحسن بن مسلم : أشدّ الأصوات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ) قال : لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إن أقبح أو أشرّ الأصوات ، وذلك نظير قولهم : إذا رأوا وجها قبيحا ، أو منظرا شنيعا : ما أنكر وجه فلان ، وما أنكر منظره .

وأما قوله (لَصَوْتُ الحَمِيرِ) فأضيف الصوت وهو واحد إلى الحمير وهى جماعة ، فإن ذلك لوجهين إن شئت ، قلت : الصوت بمعنى الجمع ، كما قيل (لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ) وإن شئت قلت : معنى الحمير : معنى الواحد ، لأن الواحد فى مثل هذا الموضع يؤدّى عما يؤدّى عنه الجمع .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره (أَلَمْ تَرَوْا) أيها الناس (أنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمَوَاتِ) من شمس وقمر ونجم وسحاب (وَما فِي الأرْضِ) من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع ، يجرى ذلك كله

(١) لعل فيه سقطا ، والأصل : أى أقبح الأصوات صوت الخ .

لمنافعكم ومصالحكم ، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذّكم ، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه ، (وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين (وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً) على الواحدة ، ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام ، أو إلى أنها شهادة أن لاإله إلا الله . وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (نِعَمَهُ) على الجماع ، ووجّهوا معنى ذلك ، إلى أنها النعم التى سخرها الله للعباد، مما فى السموات والأرض ، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله (شاكِرًا لِأَنْعُمِهِ) قالوا : فهذا جمع النعم .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ، ومعنى الجماع ، وقد يدخل فى الجماع الواحدة . وقد قال جلّ ثناؤه (وَإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها) فمعلوم أنه لم يُعْنَ بذلك نعمة واحدة . وقال فى موضع آخر : ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعُمِه ، فجمعها ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب .

ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيد ، وفسّره على ماذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنى مستور الهنائى ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قرأها (وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً)، وفسّرها الإسلام .

حُدثت عن الفرّاء، قال : ثنى شريك بن عبد الله ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (نِعْمَةً) واحدة . قال : ولو كانت نعمه ، لكانت نعمة دون نعمة ، أو نعمة فوق نعمة « الشكّ من الفراء » .

حدثنى عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حميد ، قال : قرأ مجاهد (وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً) قال : لاإله إلا الله .

حدثنى العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا ابن أبى بكير ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً) قال : كان يقول : هى لاإله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد (وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً) قال : لاإله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُيينة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : لاإله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عيسى ، عن قيْس ، عن ابن عباس (نِعَمَةً ظاهِرَةً وَباطِنَةً) قال : لاإله إلا الله . وقوله (ظاهِرَةً) يقول : ظاهرة على الألسن قولا ، وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا . وقوله (وَباطِنَةً) يقول : وباطنة فى القلوب اعتقادا ومعرفة .

وقوله (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى) يقول تعالى ذكره : ومن الناس

من يخاصم فى توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم (ولا هُدًى) : يقول : ولا بيان يبين به صحة ما يقول (وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ) يقول : ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى ، يبين حقية دعواه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ) ليس معه من الله برهان ولا كتاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ، قَالُوا۟ : بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون فى توحيد الله ، جهلا منهم بعظمة الله ، اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله ، وصدّقوا به ، فإنه يفرق بين الحقّ منا والمبطل ، ويفصل بين الضّالّ والمهتدى ، فقالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان ، فإنهم كانوا أهل حقّ ، قال الله تعالى ذكره (أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ) بتزيينه لهم سوء أعمالهم ، واتباعهم إياه على ضلالتهم ، وكفرهم بالله ، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه (إِلى عَذابِ السَّعِيرِ) يعنى : عذاب النار التى تتسعر وتلتهب .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ، وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ومن يعبد وجهه متذللا بالعبودة ، مقرّا له بالألوهة (وَهُوَ مُحْسِنٌ) يقول : وهو مطيع لله فى أمره ونهيه (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى) يقول : فقد تمسك بالطرف الأوثق ، الذى لا يخاف انقطاعه من تمسك به ، وهذا مَثَل ، وإنما يعنى بذلك أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن ، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى السوداء ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى) قال : لا إله إلا الله .

وقوله (وَإلى اللهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ) يقول : وإلى الله مَرْجِع عاقبة كلّ أمر : خيره وشرّه ، وهو المُسائل أهله عنه ، ومجازيهم عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ، إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)

يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزُنْك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حَسْرة، فإنّ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا ، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التى عملوها فى الدنيا ، ثم نجازيهم عليها جزاءهم (إنّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور) يقول: إن الله ذو علم بما تُكنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان. وقوله (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا) يقول: نمهلهم فى هذه الدنيا مَهْلا قليلا يتمتعون فيها (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ) يقول : ثم نوردهم على كَرْه منهم عذابا غليظا ، وذلك عذاب النار ، نعوذ بالله منها ، ومن عمل يقرّب منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله من قومك (مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ؟ لَيَقُولُنَّ اللهُ ، قُلِ الحَمْدُ لِلهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ، فإذا قالوا ذلك ، فقل لهم : الحمد لله الذى خلق ذلك، لا لمن لايخلق شيئا وهم يُخْلقون، ثم قال تعالى ذكره (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ): يقول : بل أكثر هؤلاء المشركون لايعلمون من الذى له الحمد ، وأين موضع الشكر . وقوله (لِلهِ ما فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : لله كلّ ما فى السموات والأرض من شىء ، ملكا كائنا ما كان ذلك الشىء، من وثن وصنم وغير ذلك، مما يُعبد أو لايُعبد (إنَّ اللهَ هُوَ الغَنِىُّ الحَمِيدُ) يقول : إن الله هو الغنىّ عن عبادة هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد ، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه ، لأنهم ملكه وله ، وبهم الحاجة إليه ، الحميد ، يعنى المحمود على نعمه التى أنعمها على خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ولو أن شجر الأرض كلها بُرِيت أقلاما (والبَحْرُ يَمُدُّهُ) يقول : والبحر له مداد ، والهاء فى قوله (يَمُدُّهُ) عائدة على البحر . وقوله (مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ، ما نَفِدَتْ

كَلِماتُ اللهِ) وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام ، وبذلك المِداد ، لتكسرت تلك الأقلام ، ولنفد ذلك المداد ، ولم تنفد كلمات الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن أبى رجاء ، قال : سألت الحسن عن هذه الآية (وَلَوْ أنَّ ما فِى الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ) قال : لو جعل شجر الأرض أقلاما ، وجعل البحر مدادا ، وقال الله : إن من أمرى كذا ، ومن أمرى كذا ، لنَفِد ماء البحور ، وتكسَّرت الأقلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، فى قوله (وَلَوْ أنَّ ما فِى الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ) قال : لو بُرِيتْ أقلاما والبحر مدادا ، فكتب بتلك الأقلام منه (ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ) ولو مدّه سبعة أبحر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ أنَّ ما فِى الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ ، والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ) قال : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينفد ، قال : لو كان شجر البرّ أقلاما ، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربى وحكمته وخلقه وعلمه .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب مجادلة كانت من اليهود له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنى رجل من أهل مكة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس « أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة : يامحمد أرأيت قوله (وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُلاًّ ، فقالوا : ألست تتلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كلّ شىء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّها فى عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ ، وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذلكَ ما يكْفِيكُمْ ، فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك (وَلَوْ أنَّ ما فِى الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ) : أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّى ، وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) فقالوا : تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا ، وقد أوتينا التوراة ، وهى الحكمة (وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا) قال : فنزلت (وَلَوْ أن ما فِى الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ

الله) قال : ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة ، فهو كثير طيب ، وهو فى علم الله قليل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : لما نزلت بمكة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) يعنى اليهود ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أتاه أحبار يهود ، فقالوا : يامحمد ألم يبلغنا أنك تقول (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) أفتعنينا أم قومك ؟ قال : كُلاًّ قَدْ عَنَيْتُ ، قالوا : فإنك تتلو : أنا قد أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كلّ شىء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِىَ فِى عِلمِ اللهِ قَلِيلٌ ، وَقَدْ آتاكُمُ اللهُ ما إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ ، فأنزل الله (وَلَوْ أنَّ ما فِى الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ ، والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ) . . . إلى قوله (إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ) فقرأته عامّة قرّاء المدينة والكرفة والبحر رفعا على الابتداء ، وقرأته قرّاء البصرة نصبا ، عطفا به على « ما » فى قوله (وَلَوْ أنَّ ما فِى الأرْضِ وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندى . وقوله (إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله ذو عزّة فى انتقامه ممن أشرك به ، وادّعى معه إلها غيره ، حكيم فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، وذلك أن الله لايتعذّر عليه شىء أراده ، ولا يمتنع منه شىء شاءه (إنَّمَا أمْرُهُ إذَا أرَادَ شَيْئًا أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فسواء خلْق واحد وبعثه ، وخلق الجميع وبعثهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يقول : كن فيكون ، للقليل والكثير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) قال : يقول : إنما خَلْقُ الله الناسَ كلَّهم وبعثُهم كخلق نفس واحدة وبعثها ، وإنما صلح أن يقال : إلا كنفس واحدة ، والمعنى : إلا كخلق نفس واحدة ، لأن المحذوف فعل يدلّ عليه قوله (ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ) والعرب تفعل ذلك فى المصادر ، ومنه قول الله (تَدُورُ أعْيُنُهُمْ كالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) والمعنى : كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت ، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت .

وقوله (إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم ، من ادّعائهم له الشركاء والأنداد، وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم ، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال ، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ ، وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ، وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)

يقول تعالى ذكره (أَلَمْ تَرَ) يامحمد بعينك (أنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ) يقول : يزيد من نقصان ساعات الليل فى ساعات النهار (وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ) يقول : يزيد مانقص من ساعات النهار فى ساعات اللّيل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ) نقصان الليل فى زيادة النهار (وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ) نقصان النهار فى زيادة الليل .

وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِى إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يقول تعالى ذكره : وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم ، كلّ يجرى : يقول : كلّ ذلك يجرى بأمره إلى وقت معلوم ، وأجل محدود ، إذا بلغه كوّرت الشمس والقمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يقول : لذلك كله وقت ، وحدّ معلوم ، لايجاوزه ولا يعدوه .

وقوله (وَأنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول : وأن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شرّ ذوخبرة وعلم ، لايخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم على جميع ذلك . وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنىّ به المشركون ، وذلك أنه تعالى ذكره ، نبّه بقوله (أنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ) على موضع حجته مَن جَهِل عظمته، وأشرك فى عبادته معه غيره ، يدلّ على ذلك قوله (ذلكَ بأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ ، وأنَّ ما يَدْعُونَهُ مِنْ دُونِهِ الباطِلُ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ، وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٣٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتك يامحمد أن الله فعله من إيلاجه الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وغير ذلك من عظيم قُدرته ، إنما فعله بأنه الله حقا ، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به ، وأنه لايقدر على فعل ذلك سواه ، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقُدرته .

وقوله (وأنَّ مايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الباطِلُ) يقول تعالى ذكره : وبأن الذى يَعْبُدُ هؤلاء المشركون من دون الله ، الباطلُ الذى يضمحلّ ، فيبيد ويفنى (وأنَّ اللهَ هُوَ العَلِىُّ الكَبِيرُ) يقول تعالى ذكره : وبأن الله هو العلىّ ، يقول : ذو العُلُوّ على كلّ شىء ، وكلّ ما دونه فله متذلل منقاد ، الكبير الذى كل شىء دونه ، فله متصاغر .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ ، لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَتِهِ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يامحمد أن السفن تجرى فى البحر نعمة من الله على خلقه (لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ) يقول : ليريكم من عبره وحججه عليكم (إنَّ فِى ذلكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن فى جرى الفلك فى البحر دلالة على أن الله الذى أجراها هو الحقّ ، وأنّ مايدعون من دونه الباطل (لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : لكلّ من صَبَّر نفسه عن محارم الله ، وشكره على نعمه فلم يكفره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : كان مُطَرِّف يقول : إنّ من أحبّ عباد الله إليه : الصبّار الشّكور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : الصبر نصف الإيمان ، والشكر نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله ، ألم تر إلى قوله (إنَّ فِى ذلك لآياتٍ لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ - إنَّ فِى ذلكَ لَآياتٍ لِلْمُوقِنِينَ - إنَّ فِى ذلكَ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ (إن فِى ذلكَ لَآياتٍ لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) قال : الصبر : نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله .

إن قال قائل : وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبّار الشّكور ، دون سائر الخلق ؟ قيل : لأن الصبر والشكر من أفعال ذوى الحجا والعقول ، فأخبر إن فى ذلك لآيات لكلّ ذى عقل ، لأن الآيات جعلها الله عِبَرا لذوى العقول والتمييز .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ ، فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإذا غشى هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان فى البحر ، إذا ركبوا فى الفُلك ، مَوجٌ كالظُّلل ، وهى جمع ظُلَّة ، شبَّه بها الموج فى شدة سواد كثرة الماء ؛ قال نابغة بنى جعدة فى صفة بحر :

يُماشِيهِنَّ أخْضَرُ ذُو ظِلالٍ عَلى حافاتِهِ فِلَقُ الدِّنانِ [١]

وشبه الموج وهو واحد بالظلل ، وهى جماع ، لأن الموج يأتى شىء منه بعد شىء ، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل ، وقوله (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول تعالى ذكره : وإذا غشى هؤلاء موج كالظُّلَل ، فخافوا الغرق ، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة ، لايشركون به هنالك شيئا ، ولا يدعون معه أحدا سواه ، ولا يستغيثون بغيره . قوله (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى البَرِّ) مما كانوا يخافونه فى البحر من الغرق والهلاك ، إلى البرّ (فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) يقول : فمنهم مقتصد فى قوله ، وإقراره بربه ، وهو مع ذلك مضمر الكفر به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : المقتصد فى القول وهو كافر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : المقتصد : الذى على صلاح من الأمر .

وقوله (وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) يقول تعالى ذكره : وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كلّ غدّار بعهده ، والخَتْر عند العرب : أقبح الغدر ؛ ومنه قول عمرو بن معدى كرب :

وَإنَّكَ لَوْ رأيْتَ أبا عُمَيْرٍ مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ [٢]

وقوله (كَفُورٍ) يعنى : جَحودا للنِّعم ، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الختار ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : كلّ غدّار .

---

(١) البيت فى (مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ١٩١ ب) قال عند تفسير قوله تعالى : « وإذا غشيهم موج كالظلل » : واحدتها : ظلة . ومجازه : من شدة سواد كثرة الماء ومعظمه . قال النابغة الجعدى وهو يصف البحر : « يما شيهن . . . فلق الدنان » . يريد : أن البحر يمتد معهن فى سيرهن . وظلال البحر : أمواجه ، لأنها ترفع فتظل السفينة ومن فيها . والدنان بالدال المهملة : جمع دن بالفتح : هو راقود الخمر الكبير .

(٢) البيت فى (مجاز القرآن لأبى عبيدة ، الورقة ١٩١ ب) عند تفسير قوله تعالى : « كل ختار كفور » قال : الختر : الكبر والغدر ، قال عمرو بن معد يكرب : « وإنك لو رأيت . . . . البيت » . وفى (اللسان : ختر) : الختر : شبيه بالغدر والخديعة . وقيل : هو الخديعة بعينها . وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه . ختر يختر ، فهو ختار ، وختار : للمبالغة . والفعل من بابى ضرب ونصر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلُّ خَتَّارٍ) قال : غدّار .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : غدّار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) الختار : الغدّار ، كلّ غدار بذمته ، كفور بربه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : كلّ جحاد كفور .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما يَجْحَدُ بآياتنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : الختار : الغدّار ، كما تقول : غَدَرَنى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مِسعر ، قال : سمعت قتادة قال : الذى يغدر بعهده .

قال : ثنا المحاربى ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، قال : الغدّار .

ثنا : أبى قال ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية الكاهلىّ ، عن علىّ رضى الله عنه قال : المكر غدر ، والغدر كفر .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : أيُّها المشركون من قريش ، اتقوا الله ، وخافوا أن يحِلّ بكم سخطه فى يوم لايغنى والد عن ولده ، ولا مولود هو مُغن عن والده شيئا ، لأن الأمر يصير هنالك بيد من لايغالَب ، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل ، إلا وسيلة من صالح الأعمال التى أسلفها فى الدنيا . وقوله (إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ) يقول : اعلموا أن مجىء هذا اليوم حقّ ، وذلك أن الله قد وعدا عباده ولا خُلْف لوعده (فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيا) يقول : فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها ، فتميلوا إليها ، وتدَعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم . وقوله (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) يقول : ولا يخدَعنّكم بالله خادع . والغَرور بفتح الغين : هو ما غرّ الإنسان من شىء ، كائنا ما كان ، شيطانا كان أو إنسانا ، أو دنيا ؛ وأما الغُرور بضمّ الغين : فهو مصدر من قول القائل : غَرَرْتُه غُرورا .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الغَرُور) قال : الشيطان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) : ذاكم الشيطان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المَرْوَزِىّ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (الغَرُورُ) قال : الشيطان .

وكان بعضهم يتأوّل الغَرور بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن لهَيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جُبَير ، قوله (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) قال : أن تَعْمل بالمعصية ، وتتمنى المغفرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : (يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، وَاخْشَوْا يَوْما لا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئا) هو آتيكم ، عِلْمُ إتيانه إياكم عند ربكم ، لايعلم أحد متى هو جائيكم ، لايأتيكم إلا بغتة ، فاتقوه أن يَفْجَأَكم بغتة ، وأنتم على ضلالتكم لم تنيبوا منها ، فتصيروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لاقِبل لكم به ؛ وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجىء الساعة . والمعنى : ما ذكرتُ لدلالة الكلام على المراد منه ، فقال (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) التى تقوم فيها القيامة ، لايعلم ذلك أحد غيره (ويُنزّلُ الغَيْثَ) من السماء ، لايقدر على ذلك أحد غيره (وَيَعْلَمُ ما فِى الأرْحام) : أرحام الإناث (وَما تَدْرِى نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا) يقول : وما تعلم نفس حىّ ماذا تعمل فى غد ، (وَما تَدْرِى نَفْسٌ بأىّ أرْضٍ تَمُوتُ) يقول : وما تعلم نفس حىّ بأىّ أرض تكون مَنِيَّتها (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) يقول : إن الذى يعلم ذلك كله ، هو الله دون كلّ أحد سواه ، إنه ذو علم بكلّ شىء ، لايخفى عليه شىء ، خبير بما هو كائن ، وما قد كان .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) : قال : « جاء رجل (قال أبو جعفر (: أحسبه أنا قال : إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنَّ امرأتى حُبْلى ، فأخبرنى

ماذا تلد؟وبلادنا مَحْلٌ جَدْبَةٌ ، فأخبرنى متى ينزل الغيث ؟ وقد علمتُ متى وَلَدت ، فأخبرنى متى أموت ؟ فأنزل الله (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ) . . . إلى آخر السورة ، قال : فكان مجاهد يقول : هنّ مفاتح الغيب التى قال الله (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ ، لايَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) . . . الآية ، أشياء من الغيب ، استأثر الله بهنّ ، فلم يُطْلِع عليهنّ مَلَكا مقرّبا ، ولا نبيا مرسلا (إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة ؟ فى أىّ سنة ؟ أو فى أىّ شهر ؟ أو ليل ؟ أو نهار؟ (وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ، ليلا أو نهارا ينزل ؟ (وَيَعْلَمُ ما فِى الأَرْحامِ) : فلا يعلم أحد ما فِى الأرحام ، أذكر أو أنثى ، أحمر أو أسود ، أو ما هو؟ (وَما تَدْرِى نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا) خير أم شرّ ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت ؟ لعلك الميت غدا ، لعلك المصاب غدا ؟ (وَما تَدْرِى نَفْسٌ بأىّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ليس أحد من الناس يدرى أين مَضْجَعُه من الأرض ؟ فى بحر أو برّ أو سهل أو جبل ؟ تعالى وتبارك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ ، قال : قالت عائشة : من قال : إن أحدا يعلم الغيب إلا الله فقد كذب ، وأعظم الفِرْية على الله ، قال الله (لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس بن عبيد ، عن عمرو بن شُعيب « أن رجلا قال : يا رسول الله ، هل من العلم علم لم تُؤته ؟ قال : لَقَدْ أُوتِيتُ عِلْما كَثِيرًا ، وَعِلْما حَسَنا ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ) . . . إلى (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) لايَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عمرو بن محمد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسَةٌ ، ثم قرأ هؤلاء الآيات (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) . . . إلى آخرها » .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لايَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللهُ ، إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ ما فِى الأَرْحامِ) . . . الآية ، ثم قال : لايَعْلَمُ ما فِى غَدٍ إلاَّ اللهُ ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى يَنْزِلُ الغَيْثُ إلاَّ اللهُ ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى قِيامُ السَّاعَةِ إلاَّ اللهُ ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما فِى الأَرْحامِ إلاَّ اللهُ ، وَلا تَدْرِى نَفْسٌ بأىّ أَرْضٍ تَمُوتُ »

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ ، لايَعْلَمُهَا إلاَّ اللهُ ، إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ ما فِي الأرْحامِ ، وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأيِّ أرْضٍ تَمُوتُ ، إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرّة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود قال : « كلّ شىء أُوتيه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، إلا علم الغيب الخمس : (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ ما فِي الأرْحامِ ، وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأيِّ أرْضٍ تَمُوتُ) » ؟

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : من حدّثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت (وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا) .

قال : ثنا جرير وابن عُلَية ، عن أبى خَبَّاب ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللهُ : (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ) . . . الآية » .

حدثنى أبو شُرَحبيل ، قال : ثنا أبو اليمان ، قال : ثنا إسماعيل ، عن جعفر ، عن عمرو بن مرّة ، عن عبد الله بن سَلَمة ، عن ابن مسعود ، قال : كلّ شىء قد أُوتى نبيكم ، غيرَ مفاتح الغيب الخمس ، ثم قرأ هذه الآية (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) . . . إلى آخرها . وقيل : بأىّ أرض تموت ؟ وفيه لغة أخرى : (بأيَّةِ أرْضٍ) فمن قال : (بأىّ أرْضٍ) اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يظهر فى أىّ تأنيث آخر ، ومن قال (بأيَّةِ أرْضٍ) فأنث : أى قال : قد تجتزى بأىّ مما أضيف إليه ، فلا بدّ من التأنيث ، كقول القائل ، مررت بامرأة ، فيقال له : بأية ، ومررت برجل ، فيقال له بأىّ ؛ ويقال : أىّ امرأة جاءتك وجاءك ، وأية امرأة جاءتك .

آخر تفسير سورة لقمان

تفسير سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الٓمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)

قال أبو جعفر : قد مضى البيان عن تأويل قوله (آلم) بما فيه الكفاية .

وقوله (تَنْزِيلُ الكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ) يقول تعالى ذكره : تنزيل الكتاب الذى نزّل على محمد صلى الله عليه وسلم ، لاشكّ فيه (مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ) : يقول : من ربّ الثقلين : الجنّ ، والإنس .

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (الم تَنْزِيلُ الكِتابِ لارَيْبَ فِيهِ) لاشكّ فيه. وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذى أُنزل على محمد لاشكّ فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تَخَرّصه محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما كذّب جلّ ثناؤه بذلك قول الذين (قالُوا أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها، فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلاً) وقول الذين قالوا (إنْ هَذَا إلاَّ إفْكٌ افْتَراهُ، وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ).

وقوله (أمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ) يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قِبَل نفسه، وتكذّبه، و «أم» هذه تقرير، وقد بيّنا فى غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام فى أضعاف كلام قد تقدّم بعضه، أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل فى مثل هذا الموضع، ثم أكذبهم تعالى ذكره، فقال: ماهو كما تزعمون وتقولون، من أن محمدا افتراه، بل هو الحقّ والصدق من عند ربك يامحمد، أنزله إليك، لتنذر قوما بأس الله وسَطْوته، أن يحلّ بهم على كفرهم به (ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يامحمد إليهم، وهم قومه من قريش، نَذِيرٌ ينذرهم بأسَ الله على كفرهم قبلك. وقوله (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) يقول: ليتبيّنوا سبيل الحقّ، فيعرفوه ويؤمنوا به.

وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة (لِتُنْذِرَ قَوْما ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) قال: كانوا أمَّة أُمِّيَّة، لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ؟ (٤)

يقول تعالى ذكره: المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له أيُّها الناس (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما) من خلق (فِي سِتَّةِ أيَّامٍ) ثم استوى على عرشه فى اليوم السابع، بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة (اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ) فى اليوم السابع، يقول: مالكم أيُّها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل، وخلَق هذا الخَلْق العجيب فى ستة أيام.

وقوله (ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ): يقول: ما لكم أيها الناس دونه ولىّ يلى أمركم، وينصُركم منه إن أراد بكم ضرّا، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه

فاتخذوا وليا ، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم ، فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو ، لأنه لايقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب (أفَلا تَتَذَكَّرُونَ) : يقول تعالى ذكره : أفلا تعتبرون وتتفكّرون أيها الناس ، فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولىّ ولا شفيع ، فتفردوا له الألوهة ، وتخلصوا له العبادة ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : الله هو الذى يدبر الأمر من أمر خلقه ، من السماء إلى الأرض ، ثم يعرُج إليه .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فقال بعضهم : معناه : أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ، ويصعد من الأرض إلى السماء فى يوم واحد ، وقدرُ ذلك ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا ، لأن ما بين الأرض إلى السماء خمس مئة عام، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك ، فذلك ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد (فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) يعنى بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد ، وذلك مقداره ألفُ سنة ، لأن مابين السماء إلى الأرض مَسيرة خمس مئة عام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرْضِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ) من أيامكم (كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) يقول : مقدار مسيره فى ذلك اليوم ألفُ سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا ،خمس مئة سنة نزوله ، وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : تعرج الملائكة إلى السماء ، ثم تنزل فى يوم من أيامكم هذه ، وهو مسيرة ألف سنة .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن سِماك ، عن عكرمة (أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : من أيام الدنيا.

حدثنا هَناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبى الحارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرْضِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ) من أيامكم هذه ، مسيرة مابين السماء إلى الأرض خَمسُ مئة عام .

وذكر عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : تنحدر الأمور وتصعد من السماء إلى الأرض فى يوم واحد ، مقداره ألف سنة ، خمس مئة حتى ينزل ، وخمس مئة حتى يعرُج .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه فى يوم من الأيام الستة، التى خلق الله فيهنّ الخلق ، كان مقدارُ ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : ذلك مقدار المسير . قوله (كألف سنة مما تعدّون)، قال : خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وكلّ يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : الستة الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) : يعنى هذا اليوم من الأيام الستة التى خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة ، ثم تعرج إليه الملائكة ، فى يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : هذا فى الدنيا، تعرُج الملائكة إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيام الآخرة . [1]

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية (يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض فى يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا ، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذى دبره .

ذكر من قال ذلك

ذُكر عن حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، أنه قال : يقضى أمر كل شىء ألف سنة إلى الملائكة ،

(١) الذى فى الدر المنثور : من أيام الدنيا ؛ وهو واضح اهـ .

ثم كذلك حتى تمضى ألف سنة ، ثم يقضى أمر كل شىء ألفا ، ثم كذلك أبدا ، قال : يوم كان مقداره ، قال : اليوم أن يقال لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة ، كن فيكون ، ولكن سماه يوما ، سماه كما بيّنا كل ذلك عن مجاهد ، قال : وقوله (إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : هو هو سواء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إلى الله فى يوم كان مقداره ألف سنة ، مقدار العروج ألف سنة مما تعدّون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال بعض أهل العلم : مقدار ما بين الأرض حين يُعْرُج إليه ، إلى أن يبلغ عروجه ، ألفُ سنة ، هذا مقدار ذلك المعراج فى ذلك اليوم حين يعرج فيه .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : معناه : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقدار ذلك اليوم فى عروج ذلك الأمر إليه ، ونزوله إلى الأرض ، ألفَ سنة مما تعدون من أيامكم ، خمس مئة فى النزول ، وخمس مئة فى الصعود ، لأن ذلك أظهر معانيه ، وأشبهها بظاهر التنزيل .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٦) ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ، وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : هذا الذى يفعل ما وصفت لكم فى هذه الآيات (هو عالم الغيب) يعنى عالم مايغيب عن أبصاركم أيها الناس ، فلا تبصرونه ، مما تكنه الصدور ، وتخفيه النفوس ، وما لم يكن بعد مما هو كائن . (والشهادة) : يعنى ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود (العَزِيزُ) يقول : الشديد فى انتقامه ممن كفر به ، وأشرك معه غيره ، وكذّب رسله (الرحيم) بمن تاب من ضلالته ، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله ، والعمل بطاعته ، أن يعذّبه بعد التوبة .

وقوله (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء مكة والمدينة والبصرة (أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ) بسكون اللام . وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين : (أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) . بفتح اللام .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنها قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، صحيحتا المعنى ، وذلك أن الله أحكم خَلْقَه ، وأحكم كل شىء خَلَقه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أتقن كلّ شىء وأحكمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا الحسين بن إبراهيم إشكاب[1] ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف

(١) فى التاج (شكب) : إشكاب ؛ لقب الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن زعلان العامرى ، شيخ أبى بكر بن أبى الدنيا .

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكن أحكَم خلقها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوالنضر ، قال : ثنا أبوسعيد المؤدّب ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكنه أحكمها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) قال أتقن كل شىء خلقه .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) : أحصى كلّ شىء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذى حَسَّن خلق كل شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) حسن على نحو ما خلق .

وذُكر عن الحجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن الأعرج ، عن مجاهد قال : هو مثل أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؛ قال : فلم يجعل خلق البهائم فى خلق الناس ، ولا خلق الناس فى خلق البهائم ، ولكن خلق كلّ شىء فقدّره تقديرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعلم كل شىء خلقه ، كأنهم وجّهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه ، وأن قوله (أَحْسَنَ) إنما هو من قول القائل فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) قال : أعطى كلّ شىء خَلْقه ، قال : الإنسان إلى الإنسان ، والفرس للفرس ، والحمار للحمار .

وعلى هذا القول ، الخَلق والكلّ منصوبان بوقوع أحسن عليهما .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب على قراءة من قرأه (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) : بفتح اللام قول من قال : معناه أحكم وأتقن ، لأنه لامعنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين : إما هذا الذى قلنامن معنى الإحكام والإتقان ، أو معنى التحسين الذى هو فى معنى الجمال والحُسن ؛ فلما كان فى خلقه ما لايشكّ فى قُبحه وسماجته ، علم أنه لم يُعْن به أنه أحسن كلّ ماخلق ، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته . وأما على القراءة الأخرى التى هى بتسكين اللام ، فإن أولى تأويلاته به قول من قال : معنى ذلك أعلم أولهم كلّ شىء خلقه ، هو أحسنهم ، كما قال (الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) لأن ذلك أظهر معانيه . وأما الذى وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى : الذى أحسن خَلْق كلّ شىء ، فإنه جعل الخَلْق نصبا ،

بمعنى التفسير ، كأنه قال : الذى أحسن كلّ شىء خلْقا منه . وقد كان بعضهم يقول : هو من المقدّم الذى معناه التأخير ، ويوجهه إلى أنه نظير قول الشاعر :

وَظَعْنِى إلَيْكَ اللَّيْلَ حِضْنَيْهِ أنَّنِى لِتِلْكَ إذَا هابَ الهِدانُ فَعُولُ [١]

يعنى : وظعنى حِضْنَىِ الليل إليك ؛ ونظير قول الآخر :

كأنَّ هِنْدًا ثَنَاياها وَبَهْجَتَها يَوْمَ الْتَقَيْنا عَلى أدْحالِ دَبَّابِ [٢]

أى كأن ثنايا هند وبهجتها .

وقوله (وَبَدأَ خَلْقَ الإنْسانِ مِنْ طِينٍ) يقول تعالى ذكره : وبدأ خلق آدم من طين (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) يعنى ذرّيته من سلالة ، يقول : من الماء الذى انسلّ فخرج منه . وإنما يعنى من إراقة من مائه ، كما قال الشاعر :

فجاءتْ بِهِ عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنْفَرًا سُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ [٣]

وقوله (مِنْ ماءٍ مَهِينٍ) يقول : من نطفة ضعيفة رقيقة .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَدأَ خَلْقَ الإنْسانِ مِنْ طِينٍ) وهو خلق آدم ، ثم جعل نسله : أى ذرّيته من سلالة من ماء مهين ، والسلالة : هى الماء المهين الضعيف .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن أبى يحيى الأعرج ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ سُلالَةٍ) قال : صفو الماء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ ماءٍ مَهِينٍ) قال : ضعيف نطفة الرجل ، ومَهين : فعيل من قول القائل : مَهُن فلان ، وذلك إذا زلّ وضعف .

---

(١) البيت (فى مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ١٩٢ – ١) قال عند تفسير قوله تعالى « الذى أحسن كل شىء خلقه » : مجازه : أحسن خلق كل شىء : والعرب تفعل هذا ، يقدمون ويؤخرون . قال : « وظعنى إليك . . . البيت » معناه : وظعنى حين حضنى الليل إليك . وفى (اللسان : حضن) : وحضنا المفازة شقاها ، والفلاة : ناحيتاها . وحضنا الليل : جانباه . وحضن الجبل ما يطيف به ، وحضنا الشىء : جانباه . والهدان بوزن كتاب : الأحمق الجافى الوخم الثقيل فى الحرب . وفى حديث عثمان : جبانا هدانا .

(٢) البيت فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ، (الورقة ١٩٢ – ا) عند تفسير قوله تعالى « أحسن كل شىء خلقه » . بعد الشاهد السابق : « وظعنى إليك . . . البيت » . ثم قال : كأن ثنايا هند وبهجتها . وهو أيضا فى (اللسان : دبب) قال : قال الأزهرى : وبالخلصاء رمل يقال له الدباب ، وبجذائه دحلان كثير (بضم الدال) ومنه قول الشاعر :

كأنَّ هِنْدًا ثَنَاياها وَبَهْجَتَها لَمَّا الْتَقَيْنا لَدَى أدْحالِ دَبَّابِ

مَوْلِيَّةٌ أُنُفٌ جادَ الرَّبِيعُ بِها على أبارِقَ قَدْ هَمَّتْ بأعْشابِ

والأدحال والدحلان : جمع دحل ، بالفتح ، وهو ثقب ضيق فمه ، ثم يتسع أسفله ، حتى يمشى فيه .

(٣) البيت : فى مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ١٩٢ – ب عند قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » فى سورة المؤمنين (الجزء ١٨ : ٨) فراجعه ثمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ، وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم سوّى الإنسان الذى بدأ خلقه من طين خلقا سويًّا معتدلا ، (ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) فصار حيا ناطقا (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبْصَارَ والأفْئِدَةَ ، قَلِيلاً ما تشْكُرُونَ) يقول : وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات ، والأبصار تُبصرون بها الأشخاص والأفئدة ، تعقلون بها الخير من السوء ، لتشكروه على ماوهب لكم من ذلك . وقوله (قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ) يقول : وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوٓا۟ : أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ؟ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقال المشركون بالله ، المكذّبون بالبعث (أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ) : أى صارت لحومنا وعظامنا ترابا فى الأرض ، وفيها لغتان : ضَلَلْنا ، وضَلِلْنا ، بفتح اللام وكسرها ، والقراءة على فتحها ، وهى الجوداء ، وبها نقرأ . وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ (أئِذَا صَلَلْنا) بالصاد ، بمعنى : أنتنّا ، من قولهم : صلّ اللحم وأصلّ : إذا أنتن . وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم : (أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْض) أى إذا هلكت أجسادنا فى الأرض ، لأن كلّ شىء غلب عليه غيره حتى خفى فيما غلب ، فإنه قد ضلّ فيه ، تقول العرب : قد ضلّ الماء فى اللبن : إذا غلب عليه حتى لايتبين فيه ؛ ومنه قول الأخطل لجرير :

كُنْتَ القَذَى فى مَوْجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالا (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت للأخطل (ديوانه طبعة بيروت ص ٥٠) . والقذى : ما يقع فى العين من تراب أو تبن ونحوه ، مما يطيره الريح . والأكدر : الكدر ، غير الصافى ، لأنه أتى من بعيد ، وهو شديد الجرى ، يخالطه التراب والغثاء ، ولذلك قال : « مزبد » ، وهو الذى علاه الزبد لتحركه واضطرابه . والأتى : السيل يأتى من مكان بعيد ، أو من بلد إلى بلد . وقبل هذا البيت بيت آخر مرتبط به فى المعنى ، قال الأخطل :

وَإذَا سَمَا لِلْمَجْدِ فَرْعا وَائِلٍ واسْتَجْمَعَ الوَادِى عَلَيْكَ فَسالا

فرعا وائل هما بكر وتغلب . يريد أنه إذا اجتمع فرعا وائل فى مكان يوم فخار مع القبائل ، وصاروا أشبه بالسيل فى كثرته ، لم تكن أنت ياجرير بالإضافة إليهم إلا كقذاة غرقت فى ذلك السيل الكدر ، فضلت فيه وغابت ، ولم يوقف لها على أثر . ولذلك قال شارح الديوان : والمراد من البيت أن أبا جرير حقير خسيس ، بالقياس إلى من ذكرهم . والبيت شاهد على أن الضلال : غياب الشىء فى الشىء ، حتى لا يحس له أثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ) يقول : أئذا هَلَكنا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ) هلكنا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد : قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ) يقول : أئذا كنا عظاما ورفاتا أنبعث خلقا جديدا ؟ يكفرون بالبعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (وقالُوا أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ أئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : قالوا : أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ؟

وقوله (بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء ، بل هم بلقاء ربهم كافرون ، حذرا لعقابه ، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه ، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم فى المعاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قُلْ : يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله (يتوفاكم ملك الموت) ، يقول : يستوفى عدد كم بقبض أرواحكم ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم ؛ ومنه قول الراجز :

إنَّ بَنِى الأَدْرَمَ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ[1]

(ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) يقول : من بعد قبض مَلَكَ الموت أرواحكم ، إلى ربكم يوم القيامة تردّون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم ، فيجازى المحسنَ منكم بإحسانه ، والمُسىء بإساءته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ) قال : ملك الموت يتوفاكم ، ومعه أعوان من الملائكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

---

(١) البيتان لمنظور الوبرى (اللسان : وفى) قال : وتوفيت عدد القوم إذا عددتهم كلهم . وأنشد أبو عبيدة لمنظور الوبرى (بسكون الباء) : * إن بنى الأدرد ليسوا من أحد * . . . البيتان » .

أى لا تجعلهم قريش تمام عددهم ، ولا تستوفى بهم عددهم . وفى رواية اللسان : الأدرد فى موضع الأدرم من رواية أبى عبيدة . ولم يصرح أبو عبيدة باسم الشاعر منظور الوبرى ، ولعل صاحب اللسان رأى نسخة من مجاز القرآن فيها اسم الشاعر . وأنشد البيت صاحب التاج فى (وفى) قال : وتوفيت عدد القوم : إذا عددتهم لهم ، وأنشد أبو عبيدة لمنظور العنبرى : * إن بنى الأدرد ليسوا من أحد * والأدرد فيه بالدال آخر الحروف ، لا بالميم ، كما فى نسخة مجاز القرآن التى بأيدينا . وفى (اللسان : وفى) : أورد ابن منظور البيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى منظور الوبرى . اهـ .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ) قال : حُويت له الأرض ، فجُعلت له مثل الطَّسْت ، يتناول منها حيث يشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، عن مجاهد ، بنحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ، رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ، إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (لَوْ تَرَى) يامحمد هؤلاء القائلين (أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) إذ هم (نَاكِسو رُءُوسِهِمْ عندَ ربهم) ، حياء من ربهم ، للذى سلف منهم من معاصيه فى الدنيا ، يقولون : يا (ربَّنا أبصَرْنا) ما كنا نكذّب به من عقابك أهل معاصيك ، (وسمعنا) منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به فى الدنيا ، (فارجعنا) : يقول : فارددنا إلى الدنيا (نعمل) ، فيها بطاعتك ، وذلك العمل الصالح ، (إِنَّا موقِنونَ) : يقول : إنا قد أيقنا الآن ما كنا به فى الدنيا جهالا من وحدانيتك ، وأنه لايصلح أن يُعبد سواك ، ولاينبغى أن يكون ربّ سواك ، وأنك تحيى وتميت ، وتبعث مَنْ فى القبور بعد الممات والفناء ، وتفعل ما تشاء .

وبنحو ما قلنا فى قوله : (ناكسُوا رُءوسِهِمْ) ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمونَ ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : قد حزنوا واستحيوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ، وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى : لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : (ولوْ شِئْنا) يامحمد (لآتينا) هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله (هُداها) ، يعنى : رشدها وتوفيقها للإيمان بالله (وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّى) يقول : وجب العذاب منى لهم ، وقوله (لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجمَعِينَ) يعنى من أهل المعاصى والكفر بالله منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها)

قال : لو شاء الله لهدى الناس جميعا ، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين ، (وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّى) حقّ القول عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا، إِنَّا نَسِينَاكُمْ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : يقال لهؤلاء المشركين بالله، إذاهم دخلوا النار : ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا فى الدنيا ، (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) يقول : إنا تركناكم اليوم فى النار . وقوله (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) يقول : يقال لهم أيضا : ذوقوا عذابا تُخَلَّدون فيه إلى غير نهاية (بِمَا كُنْتُمْ) فى الدنيا (تَعْمَلُونَ) من معاصى الله.

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ) قال : نُسُوا من كلّ خير ، وأما الشرّ فلم يُنْسَوْا منه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) يقول : تركناكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا ، بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها، ووُعظوا، (خرّوا) لله (سجّدا) لوجوههم ، تذلُّلا له ، واستكانة لعظمته، وإقرارا له بالعبودية (وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول : وسبّحوا الله فى سجودهم بحمده ، فيبرّئونه مما يصفه أهل الكفر به ، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) يقول : يفعلون ذلك ، وهم لايستكبرون عن السجود له والتسبيح ، لايستنكفون عن التذلل له والاستكانة .

وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة ، ذُكر ذلك عن حجّاج ، عن ابن جُرَيْج .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : تتنحّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله ، الذين وصفت صفتهم ، وترتفع من مضاجعهم التى يضطجعون لمنامهم ، ولا ينامون (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) فى عفوه عنهم ،

وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته (وِمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) فى سبيل الله ، ويؤدّون منه حقوق الله التى أوجبها عليهم فيه . (وتتجافَى) : تتفاعل من الجفاء ؛ والجفاء : النُّبُوّ ، كما قال الراجز :

وَصَاحِبِى ذَاتُ هِبابٍ دَمْشَقُ وَابنُ مِلاطٍ مُتجافٍ أَرْفَقُ[1]

يعنى : أن كرمها سجية عن ابن ملاط ، وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع ، لتركهم الاضطجاع للنوم ، شغلا بالصلاة .

واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم جلّ ثناؤه ، أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع ، فقال بعضهم : هى الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقال : نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يصلون فى ذلك الوقت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أبى عَروبة ، قال : قال قتادة ، قال أنس ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا يتنفّلون فيما بين المغرب والعشاء ، وكذلك تتجافى جنوبهم .

قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، فى قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال : يصلون ما بين هاتين الصلاتين .

حدثنى علىّ بن سعيد الكِنْدىّ ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال : مابين المغرب والعشاء .

حدثنى محمد بن خَلَف ، قال : ثنا يزيد بن حَيّان ، قال : ثنا الحارث بن وجيه الراسبىّ ، قال : ثنا مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية نزلت فى رجال من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة ، عن أنس : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال : كانوا يتطوّعون فيما بين المغرب والعشاء .

---

(١) البيتان للزفيان (انظرهما فى الملحق بديوان العجاج ١٠٠) . والهباب : النشاط والإسراع فى السير . والدمشق : الناقة الخفيفة السريعة ، وأنشد أبو عبيدة قول الزفيان :

وَمَنْهَلٍ طامٍ عَلَيْهِ الغَلْفَقُ يُنِيرُ أَوْ يُسْدِى بِهِ الخَوَرْنَقُ
وَرَدْتُهُ واللَّيْلُ داجٍ أَبْلَقُ وَصَاحِبِى ذَاتُ هِبابٍ دَمْشَقُ
كَأَنَّها بَعْدَ الكَلالِ زَوْرَقُ

ولم يذكر البيت الثانى ، وهو محل الشاهد عند المؤلف . وفى (اللسان : ملط) قال النضر : الملاطان : ما عن يمين الكركرة وشمالها . وابنا ملاطى البعير : هما العضدان ، وقيل كتفاه ، وابنا ملاط : العضدان والكتفان . الواحد : ابن ملاط . وقال ابن السكيت : ابنا ملاط : العضدان . والمتجافى : البائن عن جنبها ، وذلك أقوى لسيرها . والأرفق : المنفتل المرفق عن الجنب ، وهو أرفق ، وناقة رفقاء . اهـ . وقال الأزهرى : الذى حفظه بهذا المعنى : ناقة دفقاء ، وجمل أدفق ، إذا انفتق مرفقه عن جنبه . وفى (اللسان : دفق) ورجل أدفق : إذا انحنى صلبه من كبر أوغم . وأنشد المفضل * وابن ملاط متحاف أدفق * اهـ وأنشد أبوعبيدة البيتين فى مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - ا) ولم ينسبه . ثم قال : ادفق (بالدال) أى متنح عن كركرتها . اهـ .

قال : ثنا أ ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أنس (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال ما بين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال : كانوا يتنفّلون ما بين صلاة المغرب وصلا العشاء .

وقال آخرون : عُنِى بها صلاة المغرب [1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن طلحة ، عن عطاء (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال : عن العَتَمة .

وذُكر عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال يحيى بن صيفىّ ، عن أبى سلمة ، قال : العَتَمة .

وقال آخرون : لانتظار صلاة العَتَمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأُوَيْسىّ ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) نزلت فى انتظار الصلاة التى تُدْعَى العَتَمة .

وقال آخرون : عُنِى بها قيام الليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال : قيام الليل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال : هؤلاء المتهجّدون لصلاة الليل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) يقومون يصلُّون من الليل .

وقال آخرون : إنما هذه صفة قوم لاتخلو ألسنتهم من ذكر الله .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعا) وهم قوم لايزالون يذكرون الله ، إما فى صلاة ، وإما قياما ، وإما قعودا ، وإما إذا استيقظوا من منامهم ، هم قوم لايزالون يذكرون الله .

(١) لعله صلاة العتمة ، يعنى العشاء ، كما تفيده الآثار بعد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) . . . إلى آخر الآية ، يقول : تتجافى لذكر الله ، كلما استيقظوا ذكروا الله ، إما فى الصلاة ، وإما فى قيام ، أو فى قعود ، أو على جنوبهم ، فهم لايزالون يذكرون الله .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم ، شغلا منهم بدعاء ربهم ، وعبادته خوفا وطمعا ، وذلك نُبُوّ جنوبهم عن المضاجع ليلا ، لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه ، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم فى وقت منام الناس المعروف ، وذلك الليل دون النهار ، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك ، يدلّ على ذلك قول عبد الله بن رَوَاحة الأنصارىّ رضى الله عنه ، فى صفة نبىّ الله صلى الله عليه وسلم :

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ إذا اسْتَثْقَلَتْ بالْمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ[1]

فإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص فى وصفه هؤلاء القوم بالذى وصفهم به ، من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم ، من أحوال الليل وأوقاته ، حالا ووقتا دون حال ووقت ، كان واجبا أن يكون ذلك على كلّ آناء الليل وأوقاته . وإذا كان كذلك كان من صلّى ما بين المغرب والعشاء ، أو انتظر العشاء الآخرة ، أو قام الليل أو بعضه ، أو ذكر الله فى ساعات الليل ، أو صلى العَتَمة ، ممن دخل فى ظاهر قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) لأن جنبه قد جفا عن مضجعه ، فى الحال التى قام فيها للصلاة ، قائما صلى أو ذكر الله ، أو قاعدا بعد أن لايكون مضطجعا ، وهو على القيام أو القعود قادر ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن توجيه الكلام إلى أنه معنىّ به قيام الليل : أعجب إلىّ ، لأن ذلك أظهر معانيه ، والأغلب على ظاهر الكلام ، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنا به ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت عروة بن الزبير يحدّث عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ ، وَقِيامُ العَبْدِ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ » وتلا هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن سليمان ، عن حبيب بن أبى ثابت والحكم ، عن ميمون بن أبى شبيب ، عن مُعاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنى محمد بن خَلَف العسقلانىّ ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن الحكم بن عُتيبة ، عن ميمون بن أبى شبيب ، عن مُعاذ بن جَبَل ، قال : قال لى رسول الله صلى الله

(١) البيت لعبد الله بن رواحة الأنصارى أحد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم . ويجافى : يباعد . واستثقلت : ثقلت . والمضاجع : جمع مضجع ، وهو الفراش ينام فيه أو موضعه . والبيت شاهد ثان على التجافى فى قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع : » معناه : تبعد قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٩٥ - ب) أى ترتفع عنها وتتنحى ، لأنهم يصلون بالليل . اهـ .

عليه وسلم : « إنْ شِئْتَ أنبأْتُكَ بأبْوَابِ الخَيْرِ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ ، وَقِيامُ الرَّجُلِ فى جَوْفِ اللَّيْلِ ؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن حماد بن سلمة ، قال : ثنا عاصم بن أبى النجود ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) قال : قِيامُ العَبْدِ مِنَ اللَّيْلِ » .

حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى زياد بن خَيْثَمة ، عن أبى يحيى بائع القَتّ ، عن مجاهد ، قال : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ، ففاضت عيناه ، حتى تحادرت دموعه ، فقال (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) » .

وأما قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) . . . الآية ، فإن بنحو الذى قلنا (١) فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) قال : خوفا من عذاب الله ، وطمعا فى رحمة الله ، ومما رزقناهم ينفقون فى طاعة الله ، وفى سبيله .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : فلا تعلم نفسُ ذى نفسٍ ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم فى هاتين الآيتين ، مما تقرّ به أعينهم فى جنانه يوم القيامة (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ثوابا لهم على أعمالهم التى كانوا فى الدنيا يعملون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة (٢) ، قال : قال عبد الله : « إن فى التوراة مكتوبا : لقد أعدّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وما لم يسمعه ملك مقرّب . قال : ونحن نقرؤها (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) » .

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عُبيدة بن ربيعة ، عن ابن مسعود ، قال : « مكتوب فى التوراة : على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع

(١) أنظر تفسير المؤلف للآية فى صدر الكلام عليها ص ٩٩ .

(٢) عبيدة بن ربيعة بضم الباء . وقيل هو عبيد بفتحها وبلا هاء . وهو الذى يروى عنه أبو إسحاق كما فى فى الخلاصة . وفى الأصل أبى عبيدة . ولعل « أبى » زيادة من الناسخ .

ما لا عين رأتْ ، ولا أذن سمعتْ ، ولا خطَر على قلب بشر ، فى القرآن (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : خُبِّئَ لهم ما لاعين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال سفيان : فيما علمت : على غير وجه الشكّ .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق قال : سمعت أبا عبيدة ، قال : قال عبد الله ، قال : يعنى الله : « أعددت لعبادى الصالحين ما لم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب ناظر (لاتَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِما كانُوا يعْمَلونَ) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن صلت ، عن قيس بن الربيع ، عن أبى إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة الحارثى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « إن فى التوراة : للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة ، ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وإنه لفى القرآن (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) . »

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن ابن أبجر ، قال : سمعت الشعبىّ يقول : سمعت المغيرة ابن شُعبة يقول على المنبر : « إن موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أبخس أهل الجنة فيها حظا ، فقيل له : رجل يُؤتَى به وقد دخل أهل الجنة الجنة ، قال فيقال له : ادخل ، فيقول : أين وقد أخذ الناس أخذاتهم ؟ فيقال : اعدد أربعة ملوك من ملوك الدنيا ، فيكون لك مثل الذى كان لهم ، ولك أخرى شهوة نفسك ، فيقول : أشتهى كذا وكذا ، وأشتهى كذا ؛ ويقال : لك أخرى ، لك لذّة عينك ، فيقول : ألذّ كذا وكذا ، فيقال : لك عشرة أضعاف مثل ذلك . وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا ، فقال : ذاك شىء ختمت عليه يوم خلقت السموات والأرض . قال الشعبىّ : فإنها فى القرآن (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْملونَ) » .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسىّ ، قال : ثنا الحميدىّ ، قال : ثنا ابن عُيينة ؛ وحدثنى به القَرْقَسانىّ ، عن ابن عيينة ، عن مُطَرِّف بن طريف ، وابن أبجر : سمعنا الشعبىّ يقول : سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مُوسَى سأَلَ رَبَّهُ : أىْ رَبِّ ، أىُّ أهْلِ الجَنَّةِ أدْنَى مَنْزِلَةً ؟ قال : رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَما دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، فَيُقالُ لَهُ ادْخُلْ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ أدْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنازِلَهُمْ ؟ فَيُقالُ لَهُ أتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ ما كانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيا ، فَيَقُولُ : بَخٍ ، أىْ رَبِّ قَدْ رَضِيتُ ، فَيُقالُ لَهُ : إنَّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ أىْ رَبِّ رضيت ، فَيُقالُ لَهُ : إنَّ لَكَ هَذَا وَعَشَرَةُ أمْثالِهِ مَعَهُ ، فَيَقُولُ رَضِيتُ أىْ رَبِّ ، فَيُقالُ لَهُ : فإنَّ لَكَ مَعَ هَذَا ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، قالَ : فَقالَ مُوسَى : أىْ رَبِّ ، وأىُّ أهْلِ الجَنَّةِ أرْفَعُ مَنْزِلَةً ؟ قالَ : إيَّاها أرَدْتُ ، وسأُحَدِّثُكَ

عَنْهُمْ ، غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامَتِى بِيَدِى ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلا عَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . قالَ : وَمِصْدَاق ذلكَ فِى كِتابِ اللهِ (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبى قَيْس ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) وكان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة ؛ قال : ومن دونهما جنتان ؛ قال : وهى التى لاتعلم نفس ، أو قال : هما التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون . قال : وهى التى لاتعلم الخلائق مافيها ، أوما فيهما ، يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَير ، بنحوه .

حدثنا سهل بن موسى الرازىّ ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أبى اليمان الهَوْزنىّ أو غيره ، قال : « الجنة مئة درجة ، أوّلها درجة فضة ، أرضها فضة ، ومساكنها فضة ، وآنيتها فضة ، وترابها المسك . والثانية ذهب ، وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيتها ذهب ، وترابها المسك . والثالثة لؤلؤ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها لؤلؤ ، وآنيتها لؤلؤ ، وترابها المسك . وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عينٌ رأته ، ولا أذن سمعته ، ولا خطر على قلب بشر ، وتلا هذه الآية (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربى وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قالَ اللهُ أعْدَدْتُ لِعِبادِى الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ ، قالَ اللهُ (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو معاوية وابن نمير ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعْدَدْتُ لِعِبادِى الصَّالِحِينَ ، ما لا عَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) قال أبو هريرة : ومن بله ما أطلعكم عليه ، اقرءوا إن شئتم (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) قال أبو هريرة : نقرؤها : (قُرَّاتِ أعْيُنٍ) » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر ابن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، عن الروح الأمين ، قال : (يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ العَبْدِ وَسَيِّئاتِهِ ، فَيَنْقُصُ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ ، فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَسَّعَ اللهُ لَهُ فِى الجَنَّةِ ، قال : فدخلت على يزداد ، فحدّث بمثل هذا ؛ قال : قلت : فأين ذهبت الحسنة ؟ قال :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا، وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ) ، فى أصحاب الجنة (وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) ، قلت : قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : العبد يعمل سرّا أسرّه إلى الله لم يعلم به الناس ، فأسرّ الله له يوم القيامة قرّة عين .

حدثنى العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا مُعَلّى بن أسد ، قال : ثنا سلام بن أبى مطيع ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى عن ربه ، قال : « أَعْدَدْتُ لِعِبادِى الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ » .

حدثنى أبو السائب ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو صخر ، أن أبا حازم حدثه ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : « شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال فى آخر حديثه : فيها ما لاعَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ » ، ثم قرأ هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) . . . إلى قوله (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قالَ رَبُّكُمْ : أَعْدَدْتُ لِعِبادِى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، ما لاعَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ذلك عن ربه ، : « قالَ رَبُّكُمْ : أَعْدَدْتُ لِعِبادِى الصَّالِحِينَ ما لاعَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : أخفَوا عملا فى الدنيا ، فأثابهم الله بأعمالهم .

حدثنى القاسم بن بشر ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة ، قال حماد : أحسبه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ يَنْعَمْ وَلا يَبْؤُسْ ، لاتَبْلَى ثِيابُهُ ، وَلا يَفْنَى شَبابُهُ ، فى الجَنَّةِ ما لاعَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ » .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين (أُخْفَىَ) بضم الألف ، وفتح الياء ، بمعنى فُعِل . وقرأ بعض الكوفيين (أُخْفِى لَهُمْ) بضم الألف وإرسال الياء ، بمعنى أُفْعِل ، أُخْفِى لهم أنا .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، لأن الله إذا أخفاه فهو مُخْفًى ، وإذا أُخْفِىَ فليس له مُخْفٍ غيره ، «وما» فى قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ) فإنها إذا جُعِلت بمعنى الذى ، كانت نصبا بوقوع «تَعلَم» عليها ، كيف قرأ القارئ أخفى ، وإذا وجهت إلى معنى « أىّ » ،

كانت رفعا، إذا قرئ أُخْفِيَ بنصب الياء، وضم الألف، لأنه لم يسمّ فاعله، وإذا قرئ أُخْفِي، بارسال الياء، كانت نصبا بوقوع أخفى عليها.

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا؟لَّا يَسْتَوُونَ(١٨)أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ، نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ، كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا، وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، المصدّق بوعده ووعيده، المطيع له فى أمره ونهيه؟ كلاّ. لايستوُون عند الله: يقول: لايعتدل الكفّار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال (لايَسْتَوُونَ) فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنا، وفاسقا، لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنا واحدا، وبالفاسق: فاسقا واحدا، وإنما أريد به جميع الفسّاق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما، ذهبت بهما العرب مذهب الجمع.

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى علىّ بن أبى طالب، رضوان الله عليه، والوليد بن عُقبة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنى ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يَسار، قال: نزلت بالمدينة، فى علىّ بن أبى طالب، والوليد بن عُقْبة بن أبى معيط، كان بين الوليد وبين علىّ كلام، فقال الوليد بن عُقْبة: أنا أبسط منك لسانا، وأحدّ منك سنانا، وأرِدّ منك للكتيبة، فقال علىّ: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما (أفَمَنْ كانَ مُؤْمِنا كَمَنْ كانَ فاسِقاً لايَسْتَوُونَ)... إلى قوله (بِهِ تُكَذّبُونَ).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أفَمَنْ كانَ مُؤْمِنا كَمَنْ كانَ فاسِقاً؟ لايَسْتَوُونَ) قال: لا والله ما استوَوْا فى الدنيا، ولا عند الموت، ولا فى الآخرة.

وقوله (أمّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنّاتُ المأْوَى) يقول تعالى ذكره: أما الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله، فلهم جنات المأوى: يعنى بساتين المساكن التى يسكنونها فى الآخرة، ويأْوُون إليها. وقوله(نُزُلاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول بما نزلا: أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا فى الدنيا يعملون بطاعته. وقوله (وأمّا الّذِينَ فَسَقُوا) يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته (فَمأْوَاهُمُ النّارُ) يقول: فمساكنهم التى يأْوُون إليها فى الآخرة: النار (كُلّما أرَادوا

أنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعيدُوا فيها ، وَقِيلَ لَهُمْ : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ) فى الدنيا (تُكَذِّبُونَ) أن الله أعدّها لأهل الشرك به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) : أشركوا (وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) والقوم مكذّبون كما ترون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)

اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الأدنى ، الذى وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفَسَقة ، فقال بعضهم : ذلك مصائب الدنيا فى الأنفس والأموال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى) يقول : مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها ، مما يبتلى الله بها العباد حتى يتوبوا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : العذاب الأدنى : بلاء الدنيا ، قيل : هى المصائب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن ابن أبى ليلى ، عن أُبىّ بن كعب (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى) قال : المصيبات فى الدنيا . قال : والدخان قد مضى . والبطشة واللزام .

قال أبو موسى : ترك يحيى بن سعيد ، يحيى بن الجزار ، نقصان رجل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر ، قالا : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أبى لَيلى ، عن أُبىّ بن كعب ، أنه قال : فى هذه الآية (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ) قال : مصيبات الدنيا ، واللزوم والبطشة ، أو الدخان ؛ شكّ شعبة فى البطشة أو الدخان .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن يحيى بن الجزّار ، عن ابن أبى لَيلى ، عن أُبىّ بن كعب ، بنحوه ، إلا أنه قال : المصيبات واللزوم والبطشة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حُباب ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العُرَنىّ ،

عن يحيى بن الجزّار ، عن عبد الرحمن بن أبى لَيلى ، عن أُبىّ بن كعب ، قال : المصيبات يصابون بها فى الدنيا : البطشة ، والدخان ، واللزوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنَى) قال : المصائب فى الدنيا .

قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنَى دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ) قال : المصيبات فى دنياهم وأموالهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثه ، عن الحسن ، قوله (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنَى) : أى مصيبات الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الأدْنَى) قال : أشياء يُصابون بها فى الدنيا .

وقال آخرون : عُنِى بها الحدود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنَى دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ) قال : الحدود .

وقال آخرون : عُنِى بها القتل بالسيف ، قال : وقتلوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنَى) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف عمن حدثه ، عن الحسن بن علىّ ، أنه قال (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الأدْنَى دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ) قال : القتل بالسيف صبرا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنَى دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ) قال : القتل بالسيف ، كل شىء وعدَ اللهُ هذه الأمة من العذاب الأدنى ، إنما هو السيف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذابِ الأَكْبَرِ) قال : القتل والجوع لقريش فى الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مجاهد يحدّث عن أُبىّ بن كعب أنه كان يقول (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذابِ الأَكْبَرِ) يوم بدر .

وقال آخرون : عُنِى بذلك سنونَ أصابتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأَدْنَى دُونَ العَذابِ الأَكْبَرِ) قال : سِنونُ أصابتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : الأدنى فى القبور ، وعذاب الدنيا .

وقال آخرون : ذلك عذاب الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى) قال : العذاب الأدنى : عذاب الدنيا .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك أن يُقال : إن الله وعد هؤلاء الفَسَقة المكذّبين بوعيده فى الدنيا : العذاب الأدنى ، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر ، والعذاب : هو ما كان فى الدنيا من بلاء أصابهم ، إما شدّة من مجاعة ، أو قتل ، أو مصائب يصابون بها ، فكل ذلك من العذاب الأدنى ، ولم يخصص الله تعالى ذكره ، إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع ، وقد عذّبهم بكل ذلك فى الدنيا : بالقتل والجوع ، والشدائد ، والمصائب فى الأموال ، فأوفى لهم بما وعَدَهم .

وقوله (دُونَ العَذَاب الأَكْبَرِ) يقول : قَبْل العذاب الأكبر ، وذلك عذاب يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (دُونَ العَذابِ الأَكْبَرِ) قال : يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن مسروق ، عن عبد الله : مثلَه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) يوم القيامة فى الآخرة .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (دونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) يوم القيامة حدّث به قتادة ، عن الحسن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : العذاب الأكبر : عذاب الآخرة .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : كى يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : يتوبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا : أبى ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع ، عن أبى العالية (لَعَلَّهُمْ يَرْجعونَ) قال : يتوبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) : أى يتوبون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَٰتِ رَبِّهِ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ، إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : وأىّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه ، وآى كتابه ورسله ، ثم أعرض عن ذلك كله ، فلم يتعظ بمواعظه ، ولكنه استكبر عنها .

وقوله (إنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) يقول : إنا من الذين اكتسبوا الآثام ، واجترحوا السيئات ، منتقمون .

وكان بعضهم يقول : عُنِى بالمجرمين فى هذا الموضع : أهل القَدَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن مروان ابن سفيح ، عن يزيد بن رفيع ، قال : إن قول الله فى القرآن (إنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) هم أصحاب القَدَر ، ثم قرأ (إنَّ المُجْرِمِينَ فِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) . . . إلى قوله (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن ابن سفيح ، عن يزيد

ابن رفيع بنحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات (إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وسُعُرٍ) . . . إلى آخر الآيات .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثنى به عمران بن بَكَّار الكُلاعى ، قال : ثنا محمد بن المبارك ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبيد الله ، عن عبادة بن نسىّ ، عن جُنادة بن أبى أُميَّة ، عن معاذ بن جبل ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ أجْرَمَ : مَنِ اعْتَقَدَ لِوَاءً فِى غيرِ حَقٍّ ، أوْ عَقَّ وَالِدَيْهِ ، أوْ مَشَى مَعَ ظالِمٍ يَنْصُرُهُ فَقَدْ أجْرَمَ ، يَقُولُ اللهُ (إنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ مُنْتَقِمونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ، وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التَّوراة ، كما آتيناك الفُرقان يا محمد (فَلا تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ) يقول : فلا تكن فى شكّ من لقائه ، فكان قتادة يقول : معنى ذلك : فلا تكن فى شكّ من أنك لَقِيته ، أو تلقاه ليلة أُسْرى بك ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية الرياحىّ ، قال : حدثنا ابن عمّ نبيكم ، يعنى ابن عباس ، قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى مُوسَى ابْنَ عِمْرَانَ رَجُلاً آدَمَ طُوَالاً جَعْدًا ، كأنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ ، ورأيْتُ عِيسَى رَجُلاً مَرْبُوعَ الخَلْقِ ، إلى الحُمْرَةِ والبَياضِ ، سَبْطَ الرأسِ ، ورأيْتُ مالِكا خازِنَ النَّارِ ، والدَّجَّالَ فِى آياتٍ أرَاهُنَّ اللهُ إيَّاهُ ، فَلا تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ ، أنه قد رأى موسى ، ولقى موسى ليلة أُسرِى به » .

وقوله (وَجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِى إسْرائِيلَ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا موسى هُدًى لبنى إسرائيل ، يعنى : رشادا لهم يرشدون باتباعه ، ويصيبون الحقّ بالاقتداء به ، والائتمام بقوله .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة) وَجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِى إسْرائِيلَ) قال جعل الله موسى هُدًى لبنى إسرائيل .

وقوله (وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئِمَّةً) يقول تعالى ذكره : وجعلنا من بنى إسرائيل أئمة ، وهى : جمع إمام ، والإمام الذى يؤتمّ به فى خير أو شرّ ، وأريد بذلك فى هذا الموضع أنه جعل منهم قادة فى الخير ، يُؤْتمّ بهم ، ويُهْتَدى بهديهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا) قال : رؤساء فى الخير . وقوله (يَهْدُونَ بأمْرِنا) يقول تعالى ذكره : يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك ، وتقويتنا إياهم عليه .

وقوله (لَمَّا صَبَرُوا) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (لَمَّا صَبَرُوا) بفتح اللام وتشديد الميم ، بمعنى : إذ صبروا ، وحين صبروا . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم ، بمعنى : لصبرهم عن الدنيا وشهواتها ، واجتهادهم فى طاعتنا ، والعمل بأمرنا . وذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود (بِماصبرُوا) ، وما إذا كسرت اللام من (لِمَا) فى موضع خفض ، وإذا فتحت اللام وشدّدت الميم ، فلا موضع لها ، لأنها حينئذ أداة .

والقول عندى فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وتأويل الكلام إذا قُرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم : وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم ، وتقويتنا إياهم على الهداية ، إذ صَبَروا على طاعتنا ، وعزفوا أنفسهم عن لذّات الدنيا وشهواتها . وإذا قُرئ بكسر اللام [1] على ما قد وصفنا .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : قال أبى ، سمعنا فى (وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا) قال : عن الدنيا .

وقوله (وكانُوا بآياتِنا يُوقِنُونَ) يقول : وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا ، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحقّ ، وإيمان برسلنا ، وآيات كتابنا وتنزيلنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : إن ربك يامحمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه فى الدنيا يختلفون ، من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب ، وغير ذلك من أسباب دينهم ، فيفرق بينهم بقضاء فاصل ، بإيجابه لأهل الحقّ الجنة ، ولأهل الباطل النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ، كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ، أَفَلَا يَسْمَعُونَ ؟ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : أو لم يبين لهم ؟

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أوَلَمْ يَهْدِ

(١) لعله فيكون على الخ .

لَهُمْ) يقول : أو لم يبين لهم ، وعلى القراءة بالياء فى ذلك قرّاء الأمصار ، وكذلك القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القرّاء ، بمعنى : أو لم يبين لهم ، إهلاكُنا القرون الخالية من قبلهم ، سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا ، فيتعظوا وينزجروا . وقوله (كَمْ) إذا قُرئ (يهْدِ) بالياء : فى موضع رفع بيهد . وأما إذا قرئ ذلك بالنون (أوَ لَمْ نَهْدِ) فإن موضع « كم » وما بعدها نصب . وقوله (يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ) . يقول تعالى ذكره : أو لم يبين لهم كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون فى بلادهم وأرضهم ، كعاد وثمود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ القُرُونِ) عاد وثمود ، وأنهم إليهم لا يُرْجَعون .

وقوله (إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ) يقول تعالى ذكره : إن فى خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذّبين بآيات الله من قُريش ، من أهلها الذين كانوا سكانها وعمّارها ، بإهلاكنا إياهم لمّا كذّبوا رسلنا ، وجحدوا بآياتنا ، وعبدوا من دون الله آلهة غيره ، التى يمرّون بها فيعاينونها ، لآيات لهم ، وعظات يتعظون بها ، لو كانوا أولى حِجْا وعقول ، يقول الله (أفَلا يَسْمَعُونَ) عظاتِ الله ، وتذكيره إياهم آياته ، وتعريفهم مواضع حججه ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ، فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت ، والنشر بعد الفناء ، أنا بقُدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة ، التى لانبات فيها ، وأصله من قولهم : ناقة جُرُز : إذا كانت تأكل كلّ شىء ، وكذلك الأرض الجَروز : التى لايبقى على ظهرها شىء إلا أفسدته ، نظير أكل الناقة الجُراز كلّ ماوجدته ، ومنه قولهم للإنسان الأكول : جَرُوز ، كما قال الراجز :

خَبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا ١

---

(١) هذا جزء من بيت من مشطور الرجز ، أورده الشوكانى فى تفسيره المسمى فتح القدير (٤ : ٢٤٩ ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده) . وهاك البيت بتمامه مع ما يليه :

خَبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا جاعَ بَكَى وَيَأْكُلُ التَّمْرَ وَلا يُلْقِي النَّوَى

وهو شاهد عند تفسير قوله تعالى : « أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز » . قال أبوعبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - ا) الأرض الجرز : أى اليابسة الغليظة التى لم يصبها مطر . اه . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٥٣) : الجرز التى لا نبات فيها . ويقال للناقة إنها لجراز : إذا كانت تأكل كل شىء ، وللإنسان : إنه لجروز : إذا كان أكولا . وسيف جراز : إذا كان لايبقى شيئا إلا قطعه .

ومنه قيل للسيف إذا كان لايبقى شيئا إلا قطعه سيف جراز ، وفيه لغات أربع : أرض جُرُز ، وجَرْز ، وجِرز وجُرْز ، والفتح لبنى تميم فيما بلغنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس (الأَرْضُ الجُرُزُ) أرض باليمن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : أرض باليمن .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَسُوقُ الماءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ؟) قال : أبْيَن[1] ونحوها .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا عبد الرزاق بن عمر ، عن ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ونحوها من الأرض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن رجل ، عن ابن عباس ، فى قوله (إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) قال : الجرز : التى لا تُمْطر إلا مطرا لايغنى عنها شيئا ، إلا ما يأتيها من السيول .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) ليس فيها نبت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَسُوقُ الماءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) المُغْبَرَّة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَسُوقُ الماءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) قال : الأرض الجُرُز : التى ليس فيها شىء ، ليس فيها نبات ، وفى قوله (صَعِيدًا جُرُزًا) قال : ليس عليها شىء ، وليس فيها نبات ولا شىء ، (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأكُلُ مِنهُ أنعامُهُمْ وأنفُسُهُمْ) يقول تعالى ذكره ، فنخرج بذلك الماء الذى نسوقه إليها ، على يُبسها وغلظها ، وطول عهدها بالماء ، زرعا خَضِرا تأكل منه مواشيهم ، وتتغذّى به أبدانهم وأجسامهم ، فيعيشون به (أفَلا يُبْصِرُونَ) يقول تعالى ذكره : أفلا يرون ذلك بأعينهم ، فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التى بها فعلتُ ذلك ، لايتعذّر علىّ أن أحيى بها الأموات ، وأُنْشِرَهم من قبورهم ، وأعيدَهم بهيئاتهم التى كانوا بها قبل وفاتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٨) ، قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠)

(١) إبين بكسر الهمزة وفتحها وسكون الباء ، وياء مفتوحة : اسم رجل كان فى الزمان القديم ، ويقال : ذو أبين ، وهو الذى ينسب إليه عدن إبين من بلاد اليمن . فلعل راوى الأثر يريد هذا الموضع . (انظر البكرى فى المعجم) .

يقول تعالى ذكره : ويقولون هؤلاء المشركون بالله يامحمد لك : (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) واختلف فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : متى يجىء هذا الحكم بيننا وبينكم ، ومتى يكون هذا الثواب والعقاب ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال : قال أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ان لنا يوما أوشك أن نستريح فيه، وننعم فيه ، فقال المشركون (مَتَى هَذَا الفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : فتح مكة .

⁂ والصواب من القول فى ذلك: قول من قال: معناه : ويقولون متى يجىء هذا الحكم بيننا وبينكم ؟ يعنون العذاب ، يدلّ على أن ذلك معناه ، قوله(قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لاَيَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ) ولا شكَ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده ، ولو كان معنى قوله (مَتَى هَذَا الفَتْحُ) على ماقاله من قال : يعنى به : فتح مكة ، لكان لاتوبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ، ولا شكّ أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ،ونفعهم بالإيمان به وبرسوله؛ فمعلوم بذلك صحة ماقلنا من التأويل ، وفساد ماخالفه . وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يعنى : إن كنتم صادقين فى الذى تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وعبادتنا الآلهة والأوثان .

وقوله (قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهم يوم الحكم ، ومجىء العذاب : لاينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذى يحدثونه فى ذلك الوقت .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لاَيَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ) قال : يوم الفتح إذا جاء العذاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ الفَتْحِ) يوم القيامة ، ونصب اليوم فى قوله (قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ) ردّا على متى ، وذلك أن « متى » فى موضع نصب . ومعنى الكلام : أنّى حينُ هذا الفتح إن كنتم صادقين ؟ ثم قيل يوم كذا ، وبه قرأ القرّاء .

وقوله (وَلاهُمْ يُنْظَرُونَ) يقول: ولا هم يُؤَخرون للتوبة والمراجعة . وقوله (فأَعْرِضْ عَنْهُمْ وانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فأعرض يامحمد عن هؤلاء المشركين بالله ، القائلين لك: متى هذا الفتح ؟ المستعجليك بالعذاب ، وانتظر ما الله صانع بهم ، (إنهم منتظرون): يقول إن المشركين منتظرون ماتعدهم ، من العذاب ومجىء الساعة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) يعنى يوم القيامة .

آخر تفسير سورة السجدة ، و لله الحمد والمنة

تفسير سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ) بطاعته ، وأداء فرائضه ، وواجب حقوقه عليك ، والانتهاء عن محارمه ، وانتهاك حدوده (وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ) الذين يقولون لك : اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك، حتى نجالسك (وَالمُنافِقِينَ) الذين يظهرون لك الإيمان بالله، والنصيحة لك ، وهم لايألونك وأصحابك ودينك خبالا ، فلا تقبل منهم رأيا ، ولا تستشرهم مستنصحا بهم ، فإنهم لك أعداء (إنَّ اللهَ كانَ عَلِيما حَكِيما) يقول : إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم ، وما الذى يقصدون فى إظهارهم لك النصيحة ، مع الذى ينطوون لك عليه ، حكيم فى تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك ، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه (وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) يقول : واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه، وآى كتابه . (إنَّ اللهَ كانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) يقول : إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن ، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا : أى ذا خبرة ،لايخفى عليه من ذلك شىء ، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى هذا القرآن (إنَّ اللهَ كانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ، وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣)

يقول تعالى ذكره : وفوّض إلى الله يامحمد أمرك، وثق به . (وكَفَى بالله وَكِيلاً) : يقول : وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا ، وحفيظا بك .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ

أُمَّهَٰتِكُمْ ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ، ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ، وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (٤)

اختلف أهل التأويل فى المراد من قول الله (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق ، وصفوا نبىَّ الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين ، فنفى الله ذلك عن نبيه ، وكذّبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبا كُرَيب ، قال : ثنا حفص بن نفيل ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، عن قابوس بن أبى ظَبْيان نأ أباه حدثه ، قال : قلنا لابن عباس : « أرأيت قول الله (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فصلّى ، فَخَطَر خَطْرة[1] ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : إن له قلبين ، قلبا معكم ، وقلبا معهم ، فأنزل الله (ما جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) » .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : رجل من قريش كان يُدعى ذا القلبين من دَهْيِه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) قال : كان رجل من قريش يُسمَّى من دَهْيِه[2] ذا القلبين ، فأنزل الله هذا فى شأنه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) قال : إن رجلا من بنى فِهْر ، قال : إن فى جوفى قلبين أعقِل بكل واحد منهما أفضلَ من عقل محمد « وكذب » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ من قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) قال قتادة : كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

قال قتادة : وكان الحسن يقول : كان رجل يقول لى : نفْس تأمرنى ، ونفْس تنهانى ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة ، قال : كان رجل يسمى ذا القلبين ، فنزلت (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) .

(١) خطر خطرة : سها سهوة .

(٢) الدهو والدهى والدهاء : العقل .

وقال آخرون: بل عنى بذلك زيد بن حارثة، من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبنّاه، فضرب الله بذلك مثلا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزُّهرىّ، فى قوله (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) قال: بلغنا أن ذلك كان فى زيد بن حارثة، ضرب الله له مثلا يقول: ليس ابنُ رجل آخر ابنَك.

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل فى جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذى رُوى عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكذيبا من الله لمن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن يكون تكذيبا لمن سَمّى القرشىَّ الذى ذُكر أنه سُمّى ذا القلبين من دَهْيه، وأىّ الأمرين كان فهو نفى من الله عن خلقه من الرجال، أن يكونوا بتلك الصفة.

وقوله (وَما جَعَلَ أزْوَاجَكُمُ اللاَّئِى تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ) يقول تعالى ذكره: ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائى تقولون لهنّ: أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا، أمهاتكم، بل جعل ذلك من قِيلِكم كذبا، وألزمكم عقوبة لكم كفّارة.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَما جَعَلَ أزْوَاجَكُمُ اللاَّئِى تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ): أى ماجعلها أُمَّك؛ فإذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن الله لم يجعلها أمه، ولكن جعل فيها الكفّارة.

وقوله (وَما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ) يقول: ولم يجعل الله من ادّعيت أنه ابنك وهو ابن غيرك، ابنك بدعواك.

وذُكر أن ذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل تبنيه زيد بن حارثة.

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله ((أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ) قال: نزلت هذه الآية فى زيد بن حارثة.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ) قال: كان زيد بن حارثة حين منّ الله ورسوله عليه، يقال له: زيد بن محمد كان تبنّاه، فقال الله (ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ) قال: وهو يذكر الأزواج والأخت، فأخبره أن الأزواج لم تكن بالأمهات أمهاتكم، ولا أدعياءكم أبناءكم.

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ) وما جعل دعيّك ابنك ، يقول : إذا ادّعى رجل رجلا وليس بابنه (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهِكُمْ) . . . الآية ، وذُكر لنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقول : «من ادّعى إلى غَيرِ أبِيهِ مُتَعَمِّدًا، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن أشعث ، عن عامر ، قال : ليس في الأدعياء زيد ، وقوله (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهِكُمْ) يقول تعالى ذكره هذا القول، وهو قول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنُه، إنما هو قولكم بأفواهكم، لاحقيقة له، لايثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادُّعِيَتْ بنوّته، ولا تصير الزوجة أمًّا بقول الرجل لها : أنت عليّ كظهر أمي . (وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ) : يقول : والله هو الصادق الذي يقول الحقّ ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه ، وبه تكون المرأة للمولود أمًّا إذا حُكم بذلك . (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) يقول تعالى ذكره : والله يبين لعباده سبيل الحقّ ، ويرشدهم لطريق الرشاد .

القول في تأويل قوله تعالى

ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥)

⁂ يقول الله تعالى ذكره : انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألحق نسب زيد بأبيه حارثة، ولا تدعه زيدا بن محمد . وقوله (هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ اللهِ) : يقول دعاؤكم إياهم لآبائهم، هو أعدل عند الله ، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم، ونسبتكموهم إلى من تبنّاهم وادّعاهم وليسوا له بنين .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ اللهِ) : أي أعدل عند الله . وقوله (فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) يقول تعالى ذكره : فإن أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم، فتنسبوهم إليهم، ولم تعرفوهم، فتلحقوهم بهم، (فإخوانكم في الدين): يقول : فهم إخوانكم في الدين ، إن كانوا من أهل ملّتكم. (ومواليكم) إن كانوا محرّريكم وليسوا ببنيكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ

الله) : أى أعدل عند الله (فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) فإن لم تعلموا من أبوه ، فإنما هو أخوك ومولاك .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن عُيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال أبو بكرة : قال الله (ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ، فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فاخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) فأنا ممن لايُعرف أبوه ، وأنا من إخوانكم فى الدين ، قال : قال أبى : والله إنى لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا ، لانتمى إليه .

وقوله (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أخْطأْتُمْ بِهِ) يقول : ولاحَرَجَ عليكم ولا وِزْر فى خطأ يكون منكم فى نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه ، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه ، وهو ابن لغيره (وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) يقول : ولكن الإثم والحرَج عليكم ، فى نسبتكموه إلى غير أبيه ، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أخْطأْتُمْ بِهِ) يقول : إذا دعوت الرجل لغير أبيه ، وأنت ترى أنه كذلك . (وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) يقول الله : لاتدْعُه لغير أبيه متعمدا . أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به ، (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) قال فالعمد ما أتى بعد البيان والنهى فى هذا وغيره ، وما التى فى قوله (وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) : خفض ، ردّا على « ما » التى فى قوله (فِيما أخْطأْتُمْ بِهِ) وذلك أن معنى الكلام : ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن فيما تعمدت قلوبكم .

وقوله (وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيما) يقول الله تعالى ذكره : وكان الله ذا سَتْر على ذنب مَن ظاهر من زوجته ، فقال الباطل والزور من القول ، وذنب من ادّعى ولد غيره ابنا له ، إذا تابا وراجعا أمر الله ، وانتهيا عن قيل الباطل ، بعد أن نهاهما ربهما عنه ، ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك ، بعد توبتهما من خطيئتهما .

القول فى تأويل قوله تعالى

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ، وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ، إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ، كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : النبيّ محمد أولى بالمؤمنين ، يقول : أحقّ بالمؤمنين به من أنفسهم ، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم ، فيجوز ذلك عليهم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) كما أنت أولى بعبدك ماقضى فيهم من أمر جاز ، كما كلما قضيت على عبدك جاز .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (النَّبِيُّ أولى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) قال : هو أب لهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا فليح ، عن هلال بن علىّ ، عن عبد الرحمن ابن أبى عمرة ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما مِنْ مُؤْمِنٍ إلاَّ وأنا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِى الدُّنْيا والآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (النَّبِيُّ أَوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) وأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مالاً فَلِوَرَثَتِهِ وَعَصَبَتِهِ مَنْ كانُوا ، وَإنْ تَرَكَ دَيْنا أَوْ ضِياعاً فَلْيَأْتِنِى وأنا مَوْلاهُ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن علىّ ، عن أبى موسى إسرائيل بن موسى ، قال : قرأ الحسن هذه الآية (النَّبِيُّ أَوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) قال : قال الحسن : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم (أنا أَوْلَى بكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ) قال الحسن : وفى القراءة الأولى (أَوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال فى بعض القراءة (النَّبِيُّ أَوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَيُّمَا رَجُلٍ تَرَكَ ضِياعا فأنا أَوْلَى بِهِ ، وَإنْ تَرَكَ مالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ » .

وقوله (وأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) يقول : وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم ، فى أنهن يحرم عليهن نكاحهن من بعد وفاته ، كما يحرمُ عليهم نكاح أمهاتهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (النَّبِيُّ أَوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) يعظِّم بذلك حقهنّ ، وفى بعض القراءة (وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) محرّمات عليهم .

وقوله (وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُهاجِرِينَ) يقول تعالى ذكره : وأولوا الأرحام الذين وَرَّثْتُ بعضهم من بعض ، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا ، بالهجرة والإيمان دون الرحم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى ببَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ) لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابىّ المسلم لايرث من المهاجرين شيئا ، فأنزل الله هذه الآية ، فخلط المؤمنين بعضهم ببعض ، فصارت المواريث بالملل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم قد آخَى بين المهاجرين والأنصار أوّل ما كانت الهجرة ، وكانوا يتوارثون على ذلك ، وقال الله (وَلِكُلّ جَعَلْنا مَوَالِيَ مِمّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأقْرَبُونَ والّذِينَ عَقَدَتْ أيمَانُكُمْ ، فآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) قال : إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم ، قال : فكان هذا أوّلا ، فقال الله (إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) يقول : إلا أن تُوصُوا لهم (كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورًا) أنّ أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، قال : وكان المؤمنون والمهاجرون لايتوارثون إن كانوا أولى رحم ، حتى يهاجروا إلى المدينة ، وقرأ قال الله (وَالّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتى يُهاجِرُوا) . . . إلى قوله (وَفَسادٌ كَبِيرٌ) ، فكانوا لايتوارثون ، حتى إذا كان عام الفتح ، انقطعت الهجرة ، وكثر الإسلام ، وكان لايُقْبل من أحد أن يكون على الذى كان عليه النبىّ ومن معه إلا أن يهاجر ؛ قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بَعَثَ : « اغْدُوا عَلى اسْمِ اللهِ لاتَغُلُّوا وَلا تُوَلّوا ، ادْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ ، فإنْ أجابُوكُمْ فاقْبَلُوا وَادْعُوهُمْ إلى الهِجْرَةِ ، فإنْ هاجَرُوا مَعَكُمْ ، فَلَهُمْ مالَكُمْ ، وَعَلَيْهِمْ ما عَلَيْكُمْ ، فإنْ أبَوْا ولَمْ يُهاجِرُوا وَاخْتارُوا دَارَهُمْ فأقِرُّوهُمْ فِيها ، فَهُمْ كالأعْرابِ تَجْرِى عَلَيْهِمْ أحْكامُ الإسْلامِ ، ولَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الفَيْءِ نَصِيبٌ » . قال : فلما جاء الفتح ، وانقطعت الهجرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاهِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ » وكثر الإسلام ، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا ، ونسخ ذلك الذى كان بين المؤمنين والمهاجرين ، وكان لهم فى الفىء نصيب ، وإن أقاموا وأبَوا ، وكان حقهم فى الإسلام واحد ، المهاجر وغير المهاجر والبدوى وكلّ أحد ، حين جاء الفتح .

فمعنى الكلام على هذا التأويل : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة ، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين ، أوْلى بالميراث ، ممن لم يؤمن ، ولم يهاجر .

وقوله (إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إلا أن توصوا لذوى قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن حجّاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية (إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) قالوا : يُوَصِّى لقرابته من أهل الشرك .

قال : ثنا عبدة ، قال : قرأت على ابن أبى عَروبة ، عن قتادة (إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) قال : للقرابة من أهل الشرك وَصيةً ، ولا مِيراث لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) قال : إلى أوليائكم من أهل الشرك ، وصية ، ولا ميراث لهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأحمد الزبيرى ويحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى ابن أبى كثير ، عن عكرِمة (إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) قال : وصية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى محمد بن عمرو ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما قوله (إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) فقال : العطاء ، فقلت له : المؤمن للكافر بينهما قرابة ، قال : نعم ، عطاؤه إياه حباء : ووصية له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم ، بحقّ الإيمان والهجرة والحِلْف ، فتؤتونهم حقهم من النصرة والعَقْل عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) قال : حلفاؤكم الذين والى بينهم النبىّ صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، إمساك بالمعروف والعقل ، والنصر بينهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن تُوصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وَصية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) يقول : إلا أن تُوصُوا لهم .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخَى بينهم وبينكم ، من المهاجرين والأنصار ، معروفا من الوصية لهم ، والنصرة والعقل عنهم ، وما أشبه ذلك ، لأن كلّ ذلك من المعروف ، الذى قد حثّ الله عليه عباده .

وإنما اخترت هذا القول ، وقلت : هو أولى بالصواب من قيل من قال : عَنَى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك ، لأن القريب من المشرك ، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى ، وذلك أن الشرك يقطع ولاية مابين المؤمن والمشرك ، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليا بقوله (لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَاءَ) وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء ، ثم يصفهم جلّ ثناؤه بأنهم لهم أولياء . وموضع « أن » من قوله (إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا) نصب على الاستثناء . ومعنى الكلام : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفا .

وقوله (كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورًا) يقول : كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله : أى فى اللوح المحفوظ مسطورا : أى مكتوبا ، كما قال الراجز :

فى الصُّحُفِ الأُولى التى كانَ سَطَرْ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورًا) : أى أن أُولِى الأرحام بعضهم أَولَى ببعض فى كتاب الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : كان ذلك فى الكتاب مسطورا : لايرث المشرك المؤمن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ، وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (٧)

يقول تعالى ذكره : كان ذلك فى الكتاب مسطورا ، إذ كتبنا كلّ ما هو كائن فى الكتاب ، « وَإذْ أخَذْنا مِنَ النَّبِيينَ مِيثاقَهُمْ) كان ذلك أيضا فى الكتاب مسطورا ، ويعنى بالميثاق : العهد ، وقد بيَّنا ذلك بشواهده فيما مضى قبل (وَمِنْكَ) يامحمد (وَمِنْ نُوحٍ وإبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بنِ مَرْيَمَ ، وأخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقا غَلِيظاً) يقول : وأخذنا من جميعهم عهدا مؤكدا ، أن يصدّق بعضهم بعضا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإذْ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كُنْتُ أوَّلَ الأنْبِياءِ فِي الخَلْقِ ، وآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ » ، (وَإبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وأخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقا غَلِيظا) ميثاق أخذه الله على النبيين خصوصا ، أن يصدّق بعضهم بعضا ، وأن يتبع بعضهم بعضا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : كان قتادة إذا تلا هذه الآية (وإذْ

---

(١) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج الراجز ، من أرجوزته المطولة التى مدح بها عمر بن عبد الله بن معمر ، وقد بعثه عبد الملك لحرب أبى فديك الخارجى ، فانتصر عليه . (ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٩) . والبيت شاهد على أن معنى سطر : كتب . والسطر : الخط والكتابة .

أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ ، وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى أوّل النبيين فى الخلق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : فى ظهر آدم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأخذْنا مِنْهُمْ مِيثاقا غَلِيظا) قال : الميثاق الغليظ : العهد .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ، وَأَعَدَّ لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)

يقول تعالى ذكره : أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم ، كيما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم ، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة .

وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : المبلِّغين المؤدّين من الرسل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : المبلغين المؤدّين من الرسل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : الرسل المؤدّين المبلِّغين .

وقوله (وأعَدَّ للكافِرِينَ عَذَابا أليما) : يقول : وأعدّ للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)

يقول تعالى ذكره (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) : التى أنعمها على جماعتكم ، وذلك حين حُوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق (إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ) : يعنى

جنود الأحزاب : قُريش ، وغَطفان ، ويهود بنى النضير (فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا) وهى فيما ذكر : ريح الصَّبا .

كما حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، قال : قالتَ الجنوبُ للشمال ليلة الأحزاب : انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الشمال : إن الحرّة لاتسرى بالليل ، قال : فكانت الريح التى أُرسلت عليهم الصَّبا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنى الزبير ، يعنى ابن عبد الله ، قال : ثنى ربيح بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن أبى سعيد ، قال : «قلنا يوم الخندق : يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر ، فهل من شىء تقوله ؟ قال : نَعَمْ قُولُوا : اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنا ، وآمِنْ رَوْعاتِنا ، فَضَرَبَ اللهُ وُجُوهَ أعْدائِهِ بالرِّيحِ ، فهَزَمَهُمُ اللهُ بالرِّيحِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عبد الله بن عمرو ، عن نافع ، عن عبد الله ، قال : «أرسلنى خالى عثمان بن مظعون ليلة الخندق فى برد شديد وريح ، إلى المدينة ، فقال : ائتنا بطعام ولحاف قال : فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن لى وقال : مَنْ لَقِيتَ مِنْ أصحَابِى فَمُرْهُم يَرْجِعُوا ، قال : فذهبت والريح تَسْفِى كل شىء ، فجعلت لاألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : فما يَلْوِى أحد منهم عنقه ؛ قال : وكان معى تُرْس لى ، فكانت الريح تضربه علىّ ، وكان فيه حديد ، قال : فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفى ، فأنفذها إلى الأرض » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة : قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ ، قال : قال فتى من أهل الكوفة لحُذَيفة بن اليمان : يا أباعبد الله ، رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نَجْهَد ، قال الفتى : والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ، لحملناه على أعناقنا . قال حُذَيفة : يا بن أخى ، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله هَوِيًّا من الليل [1] ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يرجع أدخله الله الجنة ، فما قام أحد ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنا ما فَعَلَ القَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الرَّجْعَةَ ، أسأَلُ اللهُ أنْ يكُونَ رَفِيقِى فِى الجَنَّةِ ، فما قام رجل من شدّة الخوف ، وشدّة الجوع ، وشدّة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بدّ من القيام حين دعانى ، فقال : يا حُذَيْفَةُ اذْهَبْ فادْخُلْ فِى القَوْمِ فانْظُرْ ما يَفْعَلُونَ ، وَلا تُحْدِثَنَّ شَيْئا حتى تَأْتِيَنَا ، قال : فذهبت فدخلت فى القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل ، لاتُقِرّ لهم قِدرا ولا نارا ولا بناء ؛ فقام أبو سُفيان فقال : يامعشر قريش ، لينظر امرؤ من جليسه ، فقال حُذَيفة : فأخذت بيد الرجل الذى إلى جنبى ، فقلت :

(١) هويا ، بهاء مفتوحة أو مضمومة ، وياء مشددة ، وهو الساعة الممتدة من الليل (اللسان : هوى) .

من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ؛ ثم قال أبوسفيان : يامعشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، ولقد هلك الكُراع والخُفّ ، واختلفت بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ماترون، والله ما يطمئنّ لنا قِدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ أن لاأُحدث شيئا حتى تأتينى ، لوشئت لقتلته بسهم ؛ قال حُذَيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مِرْط لبعض نسائه؛ فلما رآنى أدخلنى بين رجليه ، وطرح علىّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإنى لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر ، وسَمِعتْ غَطفانُ بما فعلت قريش ، فانشمَروا راجعين إلى بلادهم » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ) قال : الأحزاب : عيينة بن بدر ، وأبوسفيان ، وقُريظة .

وقوله (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا) قال : ريحُ الصبا أُرْسِلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها ، ونزعت فساطيطهم ، حتى أظعنتهم . وقوله (وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْها) قال : الملائكة ولم تقاتل يومئذ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْها) قال : يعنى الملائكة ، قال : نزلت هذه الآية يوم الأحزاب ، وقد حُصِر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا ، فخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل أبوسفيان بقريش ومن تبعه من الناس، حتى نزلوا بعَقْوة[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عُيينة بن حصن ، أحد بنى بدر ، ومن تبعه من الناس، حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه ، فقال حيث يقول الله تعالى (إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) فبعث الله عليهم الرعب والريح ، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله، حتى لقد ذُكر لنا أن سيد كلّ حىّ يقول : يا بنى فلان هلمّ إلىّ، حتى إذا اجتمعوا عنده فقال : النجاءَ ،النجاء أتيتم ، لما بعث الله عليهم من الرعب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) . . . الآية ، قال : كان يوم أبى سفيان يوم الأحزاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان ، فى قول الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْها) والجنود قريش وغَطَفان وبنو قُريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح : الملائكة .

(١) العقوة : الساحة وما حول الدار . (عن اللسان : عقا) .

وقوله (وكانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الله بأعمالكم يومئذ ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجَهْد والشدّة ، وثباتهم لعَدُوّهم ، وغير ذلك من أعمالهم ، بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شيء ، يُحصيه عليهم ، ليجزيَهُمْ عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ، وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا (١٠) ، هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ، وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) ، وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا (١٢)

يقول تعالى ذكره : وكان الله بما تعملون بَصيرا ، إذ جاءتكم جنودُ الأحزاب من فوقِكم ، ومن أسفلَ منكم . وقيل : إن الذين أتَوْهم من أسفل منهم ، أبوسفيان فى قريش ومن معه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ) قال عيينة بن بدر[1] فى أهل نجد ، ومن أسفل منكم ، قال : أبوسفيان . قال : وواجَهَتْهم قُرَيظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : ذكرت يوم الخندق وقرأت : (إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ) قالت : هو يوم الخندق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلَمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان مولى آل الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، وعمن لا أتهم ، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزُّهرىّ ، وعن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كعب القُرَظىّ ، وعن غيرهم من علمائنا : أنه كان من حديث الخندق ، أن نَفَرا من اليهود ، منهم سلام بن أبى الحُقَيق النَّضَرىّ ، وحُيىّ بن أخطب النَّضَرى ، وكِنانة بن الرَّبيع[2] بن أبى الحُقَيق النضَرىّ ، وهَوْذَة بن قيس الوائلىّ ، وأبو عمار الوائلىّ ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدِموا مكة على قريش ، فدعَوْهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصلَه . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأوّل ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفَدِينُنا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحقّ منه . قال : فهم الذين أنزل الله فيهم : (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ

(١) نسبه إلى أبيه الأعلى . (٢) فى بعض نسخ السيرة لابن إسحاق ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وليس فيه ابن الربيع .
(٣) كذا فى السيرة . (٣ : ٢٢٥) طبعة الحلبى . وفى الأصل : منهم .

والطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) . . . إلى قوله (وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) . فلما قالوا ذلك لقريش، سرّهم ما قالوا، ونَشِطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك ، واتّعدُوا له . ثم خرج أولئك النفر من اليهود ، حتى جاءوا غَطَفان من قَيْس عَيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأنّ قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا فيه ، فأجابُوهم[1] . فخرجت قريش وقائدُها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غَطَفان وقائدها عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر، فى بنى فزارة، والحارث ابن عوف بن أبى حارثة المُرِّى فى بنى مُرّة، ومِسْعَر بن رُخَيلة بن نُوَيرة بن طريف بن سُحْمة بن عبد الله بن هلال بن خَلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما اجتمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة، بين الجُرُف والغابة[2] فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطَفان ومن تابعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذّراريّ والنساء، فرُفعوا فى الآطام، وخرج عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب النَّضَرى، حتى أتى كعب بن أسد القُرَظِيّ، صاحب عَقْد بنى قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب بحُيَيّ بن أخطب ، أغلق دونه حِصْنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَيّ : يا كعب افتح لى ، قال : وَيْحَك يا حيىّ، إنك امرؤ مشئوم ، إنى قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا ؛ قال : وَيْحَك ، افتح لى أكلِّمْك، قال : ما أنا بفاعل، قال : والله إن أغلقت دونى إلّا تخوّفت على جَشِيشتك أن آكل معك منها ، فأحفظَ الرجلَ ، ففتح له ، فقال : يا كعب جئتك بعزّ الدهر ، وببحر طَمّ ، جئتك بقُريش على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتُهم بمجتمع الأسيال من رُومة، وبغطَفان على قاداتها وساداتها، حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى إلى جانب أُحد، قد عاهدونى وعاقدونى ألّا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه . فقال له كعب بن أسد : جئتنى والله بذلّ الدهر ، وبجَهام قد هَراق ماءَه، يَرْعُد ويَبْرُق ليس فيه شىء ، فدعنى ومحمدا وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلا صِدْقا ووفاء ؛ فلم يزل حُيَيّ بكعب يَفْتِله فى الذِّروة والغارب، حتى سَمح له، على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا، أن أدخل معك فى حصنك، حتى يصيبنى ماأصابك ، فنقض كعب بن أسد عهدَه ، وبرِئ مما كان عليه ، فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد ابن مُعاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أحد بنى الأَشْهَل، وهو يومئذ سيدُ الأوس، وسعد بن عُبادة بن دُلَيم، أخى بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيدُ الخزرج، ومعهما عبد الله بن رَوَاحة أخو بَلْحارث

(١) فى السيرة (الحلبى ٣ : ٢٦) : فاجتمعوا معهم فيه ، وسقط منها قوله : فأجابوهم .

(٢) فى السيرة (الحلبى ٣ : ٢٣٠) زغابة ، بزاى مفتوحة ، وغين (وانظر السهيلى ٢ : ١٨٩) .

ابن الخزرج، وخوّات بن جُبَير أخو بنى عمرو بن عوف، فقال : انطلقوا حتى تنظروا : أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحَنوا لى لحْناً أعرفه، ولا تَفُتُّوا فى أعضاد الناس . وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجْهَروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ،ونالوا[1] من رسول الله صلى الله عليه وسلم،وقالوا : لاعهد بيننا وبين محمد ولا عَقد . فشاتمهم سعد بن عُبادة وشاتموه ، وكان رجلافيه حِدّة ، فقال له سعد بن مُعاذ : دع عنك مُشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل سَعْد وسَعْد ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،فسلّموا عليه، ثم قالوا : عَضَل والقارة . أى[2] كغدر عَضَل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرَّجِيع : خُبَيْب بن عدىّ وأصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ،أبشروا يا معشر المسلمين . وعظُم عند ذلك البلاء ، واشتدّ الخوف ، وأتاهم عَدوُّهم من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ ، ونجم النِّفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعَتِّب بن قُشَير ،أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوزَ كسرى وقَيْصَر ، وأحدنا لايقدرأن يذهب إلى الغائط ،وحتى قال أوسُ بن قَيْظىّ ،أحد بنى حارثة ابن الحارث : يارسول الله[2] ،إن بيوتنا لَعَوْرة من العدوّ،وذلك عن مَلإ من رجال قومه، فَأْذَن لنا فلنرجع إلى دارنا ، وإنها خارجة من المدينة ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضْعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمى بالنبل والحصار »[3] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، قوله (إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) فالذين جاءوهم من فوقهم : قُريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم : قريش وغَطَفان .

وقوله (وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ) يقول : وحين عَدَلتِ الأبصار عن مَقَرّها ، وشَخَصت طامحة . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ) : شخصت .

وقوله (وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ) يقول : نَبَتِ القلوب عن أماكنها من الرعْب والخوف ، فبلغت إلى الحناجر .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عِكرِمة : وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ) قال : من الفزَع .

وقوله (وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا) يقول : وتظنون بالله الظنونَ الكاذبة ، وذلك كظنّ من ظنّ منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغْلَب ،وأن ما وعده الله من النصر أن لايكون ، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التى ظنها من ظنّ ، ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسكره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا هَوْذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا)

(١) فى إحدى نسخ السيرة (الحلبى ٣ : ٢٣٣) : فيما نالوا . . . الخ .

(٢) كذا فى السيرة (الحلبى ٣ : ٢٣٣) . وفى الأصل بدون أى .

(٣) فى بعض المراجع : والحصا . وكتبها بالألف .

قال : ظنونا مختلفة : ظنّ المنافقون أن محمدا وأصحابه يُسْتَأْصَلُون ، وأيقن المؤمنون أن ماوعدهم الله حقّ ، أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَتَظُنُّونَ بالله الظُّنُونَا) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ، وبعض الكوفيين (الظُّنُونا) بإثبات الألف ، وكذلك (وأطَعْنا الرَّسُولا ، فأضَلُّونا السَّبيلا) فى الوصل والوقف . وكان اعتلال المعتلّ فى ذلك لهم ، أن ذلك فى كل مصاحف المسلمين بإثبات الألف فى هذه الأحرف كلها . وكان بعض قرّاء الكوفة يثبت الألف فيهنّ فى الوقف ، ويحذفها فى الوصل ، اعتلالا بأن العرب تفعل ذلك فى قوافى الشعر ومصاريعها ، فتلحق الألف فى موضع الفتح للوقوف ، ولا تفعل ذلك فى حَشْوِ الأبيات ، فإن هذه الأحرف ، حَسُن فيها إثبات الألفات ، لأنهنّ رءوس الآى ، تمثيلا لها بالقوافى . وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة والكوفة بحذف الألف من جميعه ، فى الوقف والوصل ، اعتلالا بأن ذلك غير موجود فى كلام العرب ، إلا فى قوافى الشعر ، دون غيرها من كلامهم ، وأنها إنما تفعل ذلك فى القوافى ، طلبا لإتمام وزن الشعر ، إذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يَصِحّ الشعر ، وليس ذلك كذلك فى القرآن ، لأنه لاشىء يضطرّهم إلى ذلك فى القرآن ، وقالوا : هنّ مع ذلك فى مصحف عبد الله ، بغير ألف .

⁂ وأَوْلَى القرَاءات فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بحذف الألف فى الوصل والوقف ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، مع شهرة القراءة بذلك فى قرّاء المِصْرين : الكوفة ، والبصرة ؛ ثم القراءة بإثبات الألف فيهنّ ، فى حالة الوقف والوصل ، لأن علة من أثبت ذلك فى حال الوقف ، أنه كذلك فى خطوط مصاحف المسلمين . وإذا كانت العلة فى إثبات الألف فى بعض الأحوال ، كونه مثبتا فى مصاحف المسلمين ، فالواجب أن تكون القراءة فى كل الأحوال ثابتة ، لأنه مُثْبَت فى مصاحفهم ، وغير جائز أن تكون العلة التى توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه فى بعض الأحوال ، موجودة فى حال أخرى ، والقراءة مختلفة ، وليس ذلك لقوافى الشعر بنظير ، لأن قوافىَ الشعر إنما تلحق فيها الألفات فى مواضع الفتح ، والياء فى مواضع الكسر ، والواو فى مواضع الضمّ ، طلبا لتتمة الوزن ، وأن ذلك لو لم يُفْعل كذلك ، بطل أن يكون شعرا ، لاستحالته عن وزنه ، ولا شىء يضطرّ تالِىَ القرآن إلى فعل ذلك فى القرآن .

وقوله (هُنالكَ ابْتُلِىَ المُؤْمِنُونَ) : يقول : عند ذلك اخْتُبِر إيمانُ المؤمنين ، وُمِّص القوم ، وعُرِف المؤمنُ من المنافق .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هُنالِكَ ابْتُلِىَ المُؤْمِنُونَ) قال : مُحِّصوا .

وقوله (وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) يقول : وحُرِّكوا بالفتنة تحريكا شديدا ، وابتُلُوا وفُتِنوا .

وقوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : شَكٌّ فى الإيمان ، وضعف فى اعتقادهم إياه : ما وعدنا الله ورسوله إلا غُرورا ، وذلك فيما ذُكِر قولُ معتِّب بن قُشَير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا) يقول : مُعَتِّب بن قُشَير ، إذ قال ما قال يوم الخندق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذْ يَقُولُ المنافقون والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : تكلُّمهم بالنفاق يومئذ ، وتَكَلّمَ المؤمنون بالحقّ والإيمان ، قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا) قال : قال ذلك أُناس من المنافقين : قد كان محمد يعدُنا فتح فارس والروم ، وقد حُصِرنا هاهنا ، حتى مايستطيع أحدُنا أن يبرُز لحاجته ؛ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبىّ صلى الله عليه وسلم : يافلان أرأيت إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ » . فأينَ هذا من هذا ، وأحدُنا لايستطيع أن يخرج يبول من الخوف؟ (ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا) . فقال له : كذبت ، لأُخْبِرَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرك ، قال : فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فدعاه فقال : ما قلت ؟ فقال : كذبَ علىّ يا رسول الله ، ما قلت شيئا ، ماخرج هذا من فمى قطّ ، قال الله : (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ) . . . حتى بلغ (وَما لَهُمْ فِى الأَرْضِ مِنْ وَلِىّ وَلا نَصِيرٍ) قال : فهذا قول الله : (إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عَثْمة ، قال : ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنىّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، قال : « خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام ذُكِرت الأحزاب ، من أحمر الشيخين[1] ، طرف بنى حارثة ، حتى بلغ المَذاد ، ثم جعل أربعين ذراعا بين كلّ عشرة ، فاختلف المهاجرون والأنصار فى سَلْمان الفارسىّ ، وكان رجلا قويّا ، فقال الأنصار : سَلْمان منا ، وقال المهاجرون : سلمان منا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « سَلْمانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ » . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسَلْمانُ وحُذَيفةُ بن اليمان والنُّعمانُ بن مُقَرِّن المُزَنىّ ، وستةٌ من الأنصار ، فى أربعين ذراعا ، فحفرنا

(١) فى المواهب اللدنية بشرح الزرقانى ٢ : ١٠٢ روى الطبرانى بسند لابأس به عن عمرو بن عوف المزنى ، أنه صلى الله عليه وسلم خط الخندق من أحمر الشيخين . . . وهما أطمان طرف بنى حارثة ، حتى بلغ المذاد . . .

تحت دوبار حتى بلغنا الصَّرَى[1]، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة[2]، فكسرت حديدنا، وشقَّت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارْقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لانحبّ أن نجاوز خطَّه. فرَقِيَ سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قُبَّةً تركية، فقال: يارسول الله بأبينا أنت وأمنا، خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق، مَرْوَة، فكسرت حديدنا، وشقَّت علينا، حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإنا لانحبّ أن نجاوز خطَّك. فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان فى الخندق، ورَقِينا نحن التسعة على شفَة الخندق، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المِعْوَل من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صَدَعها، وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، يعنى: لابتى المدينة، حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية، فصَدَعها وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة، فكسرها، وبَرَقَت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، ثم أخذ بيد سَلْمانَ فَرَقِى، فقال سلمان: بأبى أنت وأمى يارسول الله، لقد رأيت شيئا مارأيته قطّ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم، فقال: «هَلْ رأيْتُمْ ما يقُولُ سَلْمانُ؟ قالُوا نعم يا رسول الله، بأبينا أنت وأمنا؟ قد رأيناك تضرب، فيخرج بَرْق كالموج، فرأيناك تكبّر فنكبر، ولا نرى شيئا غير ذلك، قال «صَدَقْتُمْ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِى الأُولى، فبَرَقَ الَّذى رأيْتُمْ، أضَاءَ لى منْهُ قُصُورُ الحِيْرَة وَمَدَائِنُ كِسْرَى، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، فأخْبَرَنِى جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّ أُمَّتِى ظاهِرَةٌ عَلَيْها، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِى الثَّانِيَةَ، فبَرَقَ الَّذى رأيْتُمْ، أضَاءَ لى منْهُ قُصُورُ الحُمْرِ مِنْ أرْضِ الرُّومِ، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، وأخْبَرَنِى جَبْرائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّ أُمَّتِى ظاهِرَةٌ عَلَيْها، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِى الثَّالِثَةَ، وبَرَقَ مِنْها الَّذى رأيْتُمْ، أضَاءَتْ لى مِنْها قُصُورُ صَنْعاءَ، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، وأخْبَرَنِى جَبْرائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّ أُمَّتِى ظاهِرَةٌ عَلَيْها، فأبْشِرُوا، يُبَلِّغْهُمُ النَّصْرُ، وأبْشِرُوا، يُبَلِّغْهُمْ النَّصْرُ، وأبْشِرُوا يُبَلِّغْهُمُ النَّصْرُ». فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعود صدق، بأن وعَدَنا النصر بعد الحَصْر، فطبَّقت الأحزاب، فقال المسلمون (هَذا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسولُهُ) ... الآية، وقال المنافقون: ألا تعجبون. ؟يُحَدِّثكم ويمنيكم ويَعِدكم الباطل، يُخْبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق من الفَرَق، ولا تستطيعون أن تَبْرزُوا؟ وأنزل القرآن: (وَإذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إلا غُرُورًا).

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا، وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ،

(١) هكذا جاءت هذه العبارة، ولعلها محرفة. و «دوبار»: لفظة فارسية، معناها: مرتين. وقوله حتى بلغنا: لعلها: حتى إذا بلغنا. (٢) فى بعض المراجع: مدورة. والصرى: الماء.

يَقُولُونَ ، إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) ، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ، ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا ، وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ) : وإذ قال بعضهم : يا أهل يثرب . ويثرب : اسم أرض ، فيقال : إن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية من يثرب . وقوله (لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) : بفتح الميم من مُقام يقول : لامكان لكم ، تقومون فيه ، كما قال الشاعر :

فَأَيِّي مَا وَأَيُّكَ كَانَ شَرًّا فَقِيدَ إِلَى المَقَامَةِ لَا يَرَاهَا[1]

قوله (فَارْجِعُوا) يقول : فارجعوا إلى منازلكم . أَمَرَهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفرار منه ، وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن ذلك من قيل أوس بن قَيْظِيٍّ ومن وافقه على رأيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد ، بن رومان (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) . . . إلى (فِرَارًا) يقول : أوس بن قَيْظِيّ ، ومن كان على ذلك من رأيه من قومه : والقراءة على فتح الميم من قوله (لَا مَقَامَ لَكُمْ) بمعنى : لامَوْضِع قِيام لكم ، وهى القراءة التى لاأستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها . وذُكر عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، أنه قرأ ذلك (لَا مُقَامَ لَكُمْ) بضم الميم ، يعنى : لاإقامة لكم .

وقوله (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ ، يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ) يقول تعالى ذكره : ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإذن بالانصراف عنه إلى منزله ، ولكنه يريد الفِرار والهربَ من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ) . . . إلى قوله (إِلَّا فِرَارًا) قال : هم بنوحارثة ، قالوا : بيوتنا مُخْلِيَة ، نخشى عليها السَّرَقَ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

---

(١) البيت لعباس بن مرداس ، وقد سبق الاستشهاد به فى (٢٠ : ٦٦) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - ب) : عند تفسير قوله تعالى « لامقام لكم » : مفتوحة الأول . ومجازها : لامكان لكم تقومون فيه . ومنه : قوله « فإني ماوأيك كان شرا » . . . البيت .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ) قال : نخشى عليها السَّرَق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَسْتأذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بعَوْرَةٍ)، وإنها مما يَلِى العدوّ، وإنا نخاف عليها السُّرّاق، فبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم، فلا يجد بها عدوّا ، قال الله : (إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَارًا) يقول : إنما كان قولهم ذلك (إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ) إنما كان يريدون بذلك الفرار .

حدثنا محمد بن سنان القَزّاز ، قال : ثنا عبيد الله بن حُمْران ، قال : ثنا عبد السلام بن شدّاد أبو طالوت ، عن أبيه ، فى هذه الآية (إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ ، وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ) قال : ضائعة .

وقوله (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِها) يقول : ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين (إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ) من أقطارها ، يعنى : من جوانبها ونواحيها ، واحدها : قُطْر ، وفيها لغة أخرى : قُتْر ، وأقتار ؛ ومنه قول الراجز :

إنْ شِئْتَ أنْ تدهن أو تَمُرَّا فَوَلِّهِنَّ قُتْرَكَ الأشَرَّا[1]

وقوله (ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ) يقول : ثم سُئِلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك (لآتَوْها) يقول : لفعلوا ورجعوا عن الإسلام، وأشركوا . وقوله (وَما تَلَبَّثُوا بِها إلاَّ يَسِيرًا) يقول : وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا : قليلا ، ولأسرعوا إلى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِها) : أى لو دُخِل عليهم من نواحى المدينة (ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ) : أى الشرك (لآتَوْها) يقول : لأعْطَوها ، (وَما تَلَبَّثُوا بِها إلاَّ يَسِيرًا) يقول : إلا أعطَوْهُ طَيِّبة به أنفسهم ، ما يحتبسونه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِها) يقول : لو دُخلت المدينة عليهم من نواحيها (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْها) سُئلوا أن يَكْفُرُوا لكفروا ؛ قال : وهؤلاء المنافقون لو دَخَلت عليهم الجيوش، والذين يريدون قتالهم، ثم سُئلوا أن يكفروا لكفروا ؛ قال : والفتنة : الكفر، وهى التى يقول الله : (الفِتْنَةُ أشَدُّ مِنَ القَتْلِ) : أى الكفر . يقول : يحملهم الخوف منهم ، وخُبْث الفتنة التى هم عليها من النفاق ، على أن يكفروا به .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لآتَوْها) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة، وبعض قرّاء مكة : (لأتَوْها)

(١) البيتان من مشطور الرجز . ولم أقف على قائلهما . والشاهد فيهما فى قوله « قترك » بضم فسكون، بمعنى القطر، وهو الجانب والناحية . قال أبو عبيدة : « من أقطارها » أى من جوانبها ونواحيها . وواحدها . قطر ، وفى « اللسان : قتر » القتر « بضم فسكون » و (القتر) بضمتين : الناحية والجانب . لغة فى القطر . وهى الأقتار . اهـ . وفى (اللسان : قطر) : وفى التنزيل « من أقطار السموات والأرض » : أقطارها : نواحيها ، واحدها : قطر ، وكذلك أقتارها ، واحدها : قتر . اهـ .

بقصر الألف ، بمعنى جاءوها . وقرأه بعض المكيين ، وعامة قرّاء الكوفة والبصرة : (لآتَوْها) بمدّ الألف ، بمعنى : لأعْطَوْها ، لقوله : ثم سئلوا الفتنة ؛ وقالوا : إذا كان سؤال كان إعطاء ، والمدّ أعجب القراءتين إلىّ ، لما ذكرت ، وإن كانت الأخرى جائزة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصراف عنه ، ويقولون : إن بيوتنا عورة ، عاهدوا الله من قبل ذلك ، أن لا يولوا عدوّهم الأدبار ، إنْ لقوهم فى مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، فما أوفوا بعهدهم (وكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً) يقول : فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه .

وذُكر أن ذلك نزل فى بنى حارثة ، لما كان من فعلهم فى الخندق ، بعد الذى كان منهم بأُحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبارَ ، وكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً) وهم بنو حارثة ، وهم الذين هَمّوا أن يَفْشَلُوا يوم أُحد مع بنى سَلِمَة ، حين همّا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها ، فذكر الله لهم الذى أعطَوْه من أنفسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ ، لا يُوَلُّونَ الأدْبارَ ، وكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً) قال : كان ناس غابوا عن وقعة بدر ، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : لئن أشهدَنا الله قتالا لنقاتلنّ ، فساق الله ذلك إليهم ، حتى كان فى ناحية المدينة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك فى الانصراف عنك ، ويقولون : إن بيوتنا عورة : (لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْلِ) يقول : لأن ذلك ، أو ما كتب الله منهما ، واصل إليكم بكل حال ، كَرِهتم أو أحببتم . (وإذًا لا تُمَتَّعُونَ إلاّ قَلِيلاً) :

يقول : وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك فى أعماركم وآجالكم ، بل إنما تمتعون فى هذه الدنيا إلى الوقت الذى كُتِب لكم ، ثم يأتيكم ما كُتِب لكم وعليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ ، وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) وإنما الدنيا كلُّها قليل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رَزِين ، عن ربيع بن خَيْثَم (وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : إلى آجالهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى رَزِين ، عن ربيع ابن خَيْثَم (وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : ما بينهم وبين الأجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش ، عن أبى رَزِين ، عن الربيع بن خَيْثَم مثله ، إلا أنه قال : ما بينهم وبين آجالهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبى رَزِين ، أنه قال فى هذه الآية : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا ، وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : ليضحكوا فى الدنيا قليلا ، ولْيبكوا فى النار كثيرا . وقال فى هذه الآية (وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : إلى آجالهم . أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خُثَيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن الأعمش ، عن أبى رَزِين ، عن الربيع بن خَيْثَم (وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : الأجل ، ورفع قوله (تُمَتَّعُونَ) ولم ينصَب بإذن ، للواو التى معها ، وذلك أنه إذا كان قبلها واو ، كان معنى « إذن » التأخير بعد الفعل ، كأنه قيل : ولو فرّوا لايمتّعون إلا قليلا إذن ، وقد يُنصب بها أحيانا وإن كان معها واو ، لأن الفعل متروك ، فكأنها لأوّل الكلام .

وقوله (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) : يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون : إن بيوتنا عورة ، هربا من القتل : من ذا الذى يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سُوءا فى أنفسكم ، من قتل أو بلاء أو غير ذلك ، أو عافية وسلامة ؟ وهل ما يكون بكم فى أنفسكم من سُوء أو رحمة ، إلا من قِبَله ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَدَ بِكُمْ رَحْمَةً ؟) : أى أنه ليس الأمر إلا ما قضيتُ .

وقوله (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) : يقول تعالى ذكره : ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سُوءا فى أنفسهم وأموالهم ، مِنْ دون الله وليا يليهم بالكفاية ، ولا نصيرا ينصرهم من الله ، فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سُوْء فى ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

*قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ، فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ، كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ، فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ، أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ، أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟، فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ، وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (١٩)

⁂ يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يُعَوِّقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيصدّونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقا منهم، وتخذيلا عن الإسلام وأهله (والقائلينَ لإخْوَانِهِمْ: هَلُمَّ إلَيْنا): أى تعالوا إلينا، ودَعُوا محمدا، فلا تَشْهدوا معه مَشْهَدَه، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه. (وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قَلِيلاً) يقول: ولا يشهدُون الحرب والقتال إن شهدوا، إلا تَعْذِيرا، ودفعا عن أنفسهم المؤمنين.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ والقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ) قال: هؤلاء ناس من المنافقين، كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلّا أكْلَة رَأْس، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دَعُوا هذا الرجل فإنه هالك.

وقوله (وَلا يأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قَلِيلاً): أى لايشهدون القتال، يغيبون عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ): أى أهل النفاق (وَالقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنا، وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قَلِيلاً): أى إلا دَفْعا وتَعذيرا.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ، والقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ) ... إلى آخر الآية، قال: هذا يومَ الأحزاب. «انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد أخاه بين يديه شِواءٌ ورغيفٌ ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا فى الشواء والرغيف والنبيذ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرِّماح والسيوف؟ فقال: هَلُمّ إلى هذا: فقد بلغ بك وبصاحبك، والذى يُحلَفُ به لايستقبلها[1] محمد أبدا، فقال: كذبتَ والذى يُحلَف به؛ قال: وكان أخاه من أبيه وأمّه، أمَا والله لأُخبرَنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أمرك؛ قال: وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره؛ قال: فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره: (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ والقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنا، وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قَلِيلاً)».

(١) كذا فى الأصل، وفى الدر المنثور للسيوطى: لايستقى لها.

وقوله (أشِحَّةً عَلَيْكُمْ) اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به هؤلاء المنافقين، فى هذا الموضع من الشحّ ، فقال بعضهم : وصفهم بالشُّحّ عليهم فى الغنيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أشِحَّةً عَلَيْكُمْ) فى الغنيمة .

وقال آخرون : بل وصفهم بالشحّ عليهم بالخير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أشِحَّةً عَلَيْكُمْ) قال : بالخير ، المنافقون ، وقال غيره : معناه : أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشُّحّ ، ولم يخصُص وصفهم من معانى الشحّ ، بمعنى دون معنى ، فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة فى سبيل الله ، على أهل مسكنة المسلمين . ونصب قوله (أشِحَّةً عَلَيْكُمْ) على الحال من ذكر الاسم الذى فى قوله (وَلا يأْتُونَ البأْسَ) : كأنه قيل : هم جبناء عند البأس ، أشحاء عند قَسْم الغنيمة ، بالغنيمة . وقد يحتمل أن يكون قَطْعا من قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) فيكون تأويله : قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس عن القتال ، ويَشِحُّون عند الفتح بالغنيمة . ويجوز أن يكون أيضا قَطْعا من قوله : هلم إلينا أشحة ، وهم هكذا أشحة . ووصفهم جلّ ثناؤه بما وصفهم من الشحّ على المؤمنين ، لما فى أنفسهم لهم من العداوة والضِّغْن .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان (أشِحَّةً عَلَيْكُمْ) أى للضِّغْن الذى فى أنفسهم .

وقوله (فإذَا جاءَ الخَوْفُ) . . . إلى قوله (مِنَ المَوْتِ) يقول تعالى ذكره : فإذا حضر البأْس ، وجاء القتال ، خافوا الهلاك والقَتْل ، رأيتهم يامحمد ينظرون إليك لِواذا بك ، تَدُور أعينهم ، خوفاً من القتل ، وفرارا منه . (كالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) : يقول : كدَوَران عين الذى يُغْشَى عليه من الموت النازل به (فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ) يقول : فإذا انقطعت الحربُ واطمأنوا (سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذَا جاءَ الخَوْفُ رأيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أعْيُنُهُمْ) من الخوف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (فإذَا جاءَ الخَوْفُ رأيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أعْيُنُهُمْ ، كالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) : أى إعظاما وفَرَقا منه .

وأما قوله (سَلَقُوكُمْ بألْسنَةٍ حِدادٍ) . فإنه يقول : عَضُّوكم بألسنة ذَرِبة . ويقال للرجل الخطيب الذَّرِب اللسان : خطيب مِسْلَق ومِصْلَق ، وخطيب سَلاّق وصَلاّق .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يَسْلُقون المؤمنين به ، فقال بعضهم : ذلك سَلْقُهم إياهم عند الغنيمة ، بمسألتهم القَسْمَ لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ) أما عند الغنيمة ، فأشحّ قوم ، وأسوأ مُقاسَمَة ، أعطُونا أعطُونا ، فإنا قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم ، وأخذله للحقّ .

وقال آخرون : بل ذلك سَلْقُهُمْ إياهم بالأذَى .

ذكر ذلك عن ابن عباس

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَلَقُوكُم بألْسِنَةٍ حِدادٍ) قال : استقبلوكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ) قال : كلموكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يَسْلُقونهم من القول بما تُحبون ، نفاقا منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان (فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ) فى القول بما تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبة ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

⁂ وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل : قول من قال (سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ أشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ) فأخبر أن سَلْقَهُمْ المسلمين شُحًّا منهم على الغنيمة والخير ، فعلوم إذ كان ذلك كذلك ، أن ذلك لطلب الغنيمة . وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة ، دخل فى ذلك قول من قال : معنى ذلك : سَلَقوكم بالأذى ، لأن فعلهم ذلك كذلك ، لاشكّ أنه للمؤمنين أذى .

وقوله (أشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ) يقول : أشحّة على الغنيمة ، إذا ظفر المؤمنون . وقوله (لَمْ يُؤْمِنُوا فأحْبَطَ اللهُ أعمالَهُمْ) : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفتُ لك صفتهم فى هذه الآيات ، لم يصدّقوا الله ورسوله ، ولكنهم أهل كفر ونفاق ، فأحبط الله أعمالهم ، يقول : فأذهب الله أجورَ أعمالهم وأبطلها .

وذُكر أن الذى وُصِفَ بهذه الصفة كان بَدْرِيًّا ، فأحبط الله عمله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأحْبَطَ اللهُ أعمالَهُمْ ،

وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسِيرًا) قال : فحدثنى أبى أنه كان بَدْريا ، وأن قوله (أحْبَطَ اللهُ أعمالَهُمْ) : أحبط الله عملَه يوم بدر .

وقوله (وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكان إحباط عملهم الذى كانوا عَمِلوا قبل ارتدادهم ونفاقهم ، على الله يسيرا .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ، وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ، يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ، وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب ، وهم قريش وغَطَفان .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان : (يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) : قريش وغَطَفان .

وقوله (لَمْ يَذْهَبُوا) يقول : لم ينصرفوا ، وإن كانوا قد انصرفوا جُبْنا وهَلَعا منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) : قال : يحسبونهم قريبا .

وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا ، فإذَا وَجَدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا ، وَدُّوا لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ فِى الأعْرَابِ) .

وقوله (وَإنْ يَأتِ الأحْزَابُ يَوَدّوا لَوْ أنهُمْ بادُونَ فِى الأعْرابِ) يقول تعالى ذكره : وإن يأت المؤمنين الأحزابُ وهم الجماعة : واحدهم حِزْب . (يَوَدُّوا) يقول : يَتَمنَّوا من الخوف والجبن أنهم غُيِّب عنكم فى البادية مع الأعراب ، خوفا من القتل . وذلك أن قوله : (لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ فِى الأعْرَابِ) تقول : قد بدا فلان : إذا صار فى البدو ، فهو يبدو ، وهو بادٍ ؛ وأما الأعراب : فإنهم جمع أعرابىّ ، وواحد العرب : عربىّ . وإنما قيل أعرابىٌّ لأهل البدو ، فَرْقا بين أهل البوادى والأمصار ، فجعل الأعراب لأهل البادية ، والعرب لأهل المصر .

وقوله (يَسْألُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ) يقول : يستَخْبر هؤلاء المنافقون ، أيُّها المؤمنون ، الناس عن أنبائكم يعنى عن أخباركم بالبادية : هل هلك محمد وأصحابه ؟ نقول : يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم ، أن لايشهدوا معكم مشاهدكم . (وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إلاَّ قَلِيلاً) : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : ولو

كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم ، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا : يقول : إلا تعذيرا ، لأنهم لايقاتلونهم حِسْبَةً ولا رجاء ثواب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ) قال : أخباركم.

وقرأت قرّاء الأمصار جميعا سوى عاصم الجَحْدَرِىّ : (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ) بمعنى : يسألون من قدم عليهم من الناس ، عن أنباء عسكركم وأخباركم ، وذكر عن عاصم الجحدرىّ ، أنه كان يقرأ ذلك (يَسَّاءَلُونَ) بتشديد السين ، بمعنى : يتساءلون : أى يسأل بعضهم بعضا عن ذلك .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ، قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أُسْوَةٌ) : فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (إِسْوَةٌ) بكسر الألف ، خلا عاصم بن أبى النَّجود ، فإنه قرأه بالضمّ (أُسْوَةٌ) ، وكان يحيى بن وَثَّاب يقرأ هذه بالكسر ، ويقرأ قوله (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ) بالضمّ ، وهما لغتان . وذُكر أن الكسر فى أهل الحجاز ، والضمّ فى قَيْس ، يقولون : أُسوة ، وأُخوة . وهذا عِتاب من الله للمتخلِّفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكُره بالمدينة ، من المؤمنين به ، يقول لهم جلّ ثناؤه : لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوة حسنة ، أن تتأسَّوْا به ، وتكونوا معه حيث كان ، ولا تتخلَّفوا عنه (لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ) يقول : فإن من يرجو ثواب الله ورحمته فى الآخرة ، لايرغب بنفسه ، ولكنه تكون له به أُسوة فى أن يكون معه حيث يكون هو .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان ، قال : ثم أقبل على المؤمنين ، فقال (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَومَ الآخِرَ) أفلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هُوَ به (وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا) يقول : وأكثر ذكر الله فى الخوف والشدّة والرخاء .

وقوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ) يقول: ولمَّا عاينَ المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار، قالوا تسليما منهم لأمر الله، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذى وعدهم بقوله (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . إلى قوله (قَرِيبٌ): هذا ما وَعَدَنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيمانا بالله، وتسليما لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر، والظفر على الأعداء.

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ) . . . الآية قال: ذلك أن الله قال لهم فى سورة البقرة (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ) . . . إلى قوله (إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) قال: فلما مَسَّهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب فى الخندق، تأوّل المؤمنون ذلك، ولم يزدهم ذلك إلا إيمانا وتسليما.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنى يزيد بن رومان، قال: ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء، يختبرهم به: (قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَما زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمانا وَتَسْلِيما): أى صَبْرا على البلاء، وتسليما للقضاء، وتصديقا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ) وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة، فقال: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ، مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا، حتى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) خيرُهم وأصبرُهم وأعلمُهم بالله (مَتَى نَصْرُ اللهِ، أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ). هذا والله البلاء والنقصُ الشديد. وإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدّة والبلاء (قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَما زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمانا وَتَسْلِيما) وتصديقا بما وعدهم الله، وتسليما لقضاء الله.

القول فى تأويل قوله تعالى

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ، وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا (٢٣)، لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ، وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ، إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤)

⁂ يقول تعالى ذكره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بالله ورسوله (رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) : يقول : أوفَوا بما عاهدوه عليه ، من الصبر على البأساء والضرّاء وحين البأس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) : يقول : فمنهم من فرغ من العمل الذى كان نذره الله ، وأوجبه له على نفسه ، فاستشهد بعضٌ يوم بدر ، وبعض يوم أُحد ، وبعض فى غير ذلك من المواطن . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه والفراغ منه ، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده ، والنصر من الله ، والظفر على عدوّه . والنَّحْب : النذر فى كلام العرب . وللنحْب أيضا فى كلامهم وجوه غير ذلك ، منها الموت ، كما قال الشاعر :

قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى القَوْمِ هَوْبَرُ [1]

يعنى : منيته ونفسه ؛ ومنها الخَطَر العظيم ، كما قال جرير :

بِطَخْفَةَ جالَدْنا المُلُوكَ وَخَيْلُنا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ [2]

أى على خَطَر عظيم ؛ ومنها النحيب ، يقال : نحب فى سيره يومه أجمع : إذا مدّ ، فلم ينزل يومه وليلته ؛ ومنها التنحيب ، وهو الخِطار ، كما قال الشاعر :

وإذْ نَحَّبَتْ كَلْبٌ على النَّاسِ أيُّهُمْ أحَقُّ بِتاجِ المَاجِدِ المُتَكَوِّمِ ؟ [3]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) : أى وفّوا الله بما عاهدوه عليه . (فمنهم من قَضَى نَحْبَهُ) : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أُحد ؛ ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصره ، والشهادة على مامضى عليه أصحابه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : عهده ، فقتل أو عاش . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) يوما فيه جهاد ، فيقضى نحبه ، عهده فيُقْتل أو يَصْدُق فى لقائه .

(١) هذا عجز بيت لذى الرمة وصدره * عشية فر الحارثيون بعدما * وهوبر : اسم رجل ، أراد ابن هوبر (اللسان : هبر) . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ، عند قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » : أى نذره الذى كان . والنحب أيضا النفس : أى الموت . قال ذو الرمة : قضى نحبه . . » أى نفسه ، وإنما هو أيضا يزيد بن هوبر ، اهـ . وفى الديوان (طبعة كمبردج سنة ١٩١٩ ص ٢٣٥) أراد يزيد بن هوبر ، وهو رجل من بنى الحارث بن كعب .

(٢) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى (أبوعبيدة ، مجاز القرآن ، الورقة ١٧٤ ب) و (اللسان : نحب) قال : وجعله جرير ابن الخطفى : الخطر العظيم ، قال : « بطخفة . . البيت » ، أى خطر عظيم . وطخفة ، بفتح الطاء وكسرها : جبل أحمر طويل فى ديار بنى تميم . كانت به وقعة بين بنى يربوع ، وقابوس بن النعمان ، وكان النعمان قد بعث إليهم جيشا وأمر عليه ابنه قابوس ، وأخاه حسان ، فهزمتهم بنو يربوع بطخفة ، وأسروهما ، حتى منوا عليهما ، فذلك الذى أراد جرير (انظر معجم ما استعجم للبكرى : طخفة) .

(٣) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٧٥٩) والتنحيب هنا : مصدر نحب ، بشد الحاء ، أى صاح أو نادى بشدة . وأصل التنحيب : الدأب على الشىء ، والإكباب عليه لايفارقه (اللسان : نحب) . وجعله المؤلف بمعنى الخطار ، ولعله يريد المخاطرة بالنفس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : عهده . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قال : يوما فيه قتال ، فيصدُق فى اللقاء .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : مات على العهد .

قال : ثنا أبو أُسامة ، عن عبد الله بن فلان « قد سماه، ذهب عنى اسمه » ، عن أبيه (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : نَذْره .

حدثنا ابن إدريس ، عن طلحة بن يحيى ، عن عمه عيسى بن طلحة « أن أعرابيّا أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فسأله : مَن الذين قَضَوا نحبهم ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران ، فقال : هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : موته على الصدق والوفاء . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) الموت على مثل ذلك ، ومنهم من بدّل تبديلا[1] .

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قال : النحْب : العهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ماعاهَدوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) على الصدق والوفاء (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) من نفسه الصدق والوفاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : مات على ماهو عليه من التصديق والإيمان (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى بُكير ، قال شريك بن عبد الله ، أخبرناه عن سالم ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : الموت على ماعاهد الله عليه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) الموت على ماعاهد الله عليه .

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى قوم لم يشهدوا بدرا ، فعاهدوا الله أن يَفُوا قتالا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من أوفى فقضى نحبه ، ومنهم من بدّل ، ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه ، وكان منتظرا ، على ماوصفهم الله به من صفاتهم فى هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس « أن أنس بن النضر تغيب ، عن قتال بدر ، فقال : تغيبت عن أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئن رأيت قتالا لَيَرَيَنّ الله ما أصنع ؛ فلما كان يومُ أُحُد ، وهُزم الناس ، لقى سعد بن معاذ

(١) الذى فى الدر المنثور بدله : وآخرون مابدلوا تبديلا .

فقال : والله إنى لأجد ريح الجنة ، فتقدّم فقاتل حتى قُتل ، فنزلت فيه هذه الآية (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الله بن بكير ، قال : ثنا حميد ، قال : « زعم أنس بن مالك قال : غاب أَنَس بن النَّضْر ، عن قتال يوم بدر ، فقال : غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ، لَئِن أشهدنى الله قتالا ، لَيَرِينّ الله ما أصنع . فلما كان يوم أُحُد ، انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المسلمين ، فمشى بسيفه ، فلقيه سعد ابن مُعاذ ، فقال : أى سَعْد إنى لأجد ريح الجنة دون أُحُد ، فقال سعد : يا رسول الله ، فما استطعت أن أصنع ماصنع ، قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى ، به بِضْع وثمانون جراحة ، بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ، قال أنس : فكنا نتحدّث أن هذه الآية : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) نزلت فيه ، وفى أصحابه » .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت حُميدا يحدّث ، عن أنس بن مالك ، أن أنس بن النضر ، غاب عن قتال بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا طلحة بن يحيى ، عن موسى وعيسى بن طلحة ، عن طلحة : « أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانوا لايجرءون على مسألته ، فقالوا للأعرابىّ : سله (مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) من هو ؟ فسأله ، فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ثم دخلتُ من باب المسجد وعلىّ ثياب خُضر ؛ فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ ؟ قال الأعرابىّ : أنا يا رسول الله ، قال : هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الحميد الحِمّانىّ ، عن إسحاق بن يحيى الطَّلْحِى ، عن موسى بن طلحة ، قال : قام معاوية بن أبى سفيان ، فقال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ » .

حدثنى محمد بن عمرو بن تمام الكلبى ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثنى أبى ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة ، عن عمه موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة ، قال : لما قدِمنا من أُحُد ، وصرنا بالمدينة ، صعد النبىّ صلى الله عليه وسلم المنبر ، فخطب الناس وعزّاهم ، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر ، ثم قرأ (رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) . . . الآية ، قال : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ فالتفت وعلىّ ثوبان أخضران ، فقال : أيُّها السَّائِلُ هَذَا مِنْهُمْ » .

وقوله (وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) : وما غيروا العهد الذى عاقدوا ربهم تغييرا ، كما غيره المعوّقون القائلون لإخوانهم : هلمّ إلينا ، والقائلون : إن بيوتنا عورة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) يقول : ما شكُّوا وما تردّدوا فى دينهم ، ولا استبدلوا به غيره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) : لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون .

وقوله (لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) يقول تعالى ذكره : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ — لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) يقول : ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه ، ووفاءهم له به (وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إنْ شاءَ) بكفرهم بالله ونفاقهم (أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) من نفاقهم ، فيهديهم للإيمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إنْ شاءَ أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) يقول : إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان .

إن قال قائل : ما وجه الشرط فى قوله (وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ) بقوله (إنْ شاءَ) ، والمنافق كافر ، وهل يجوز أن لايشاء تعذيب المنافق ، فيقال : ويعذّبه إن شاء ؛ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمتَه . وإنما معنى ذلك : ويعذّب المنافقين ، بأن لايوفقهم للتوبة من نفاقهم ، حتى يموتوا على كفرهم إن شاء ، فيستوجبوا بذلك العذاب ، فالاستثناء إنما هو من التوفيق ، لامن العذاب ، إن ماتوا على نفاقهم .

وقد بين ما قلنا فى ذلك قوله (أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) فمعنى الكلام إذن : ويعذّب المنافقين إذ لم يهدهم للتوبة ، فيوفقهم لها ، أو يتوب عليهم ، فلا يعذّبهم .

وقوله (إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول : إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين ، رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ، وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ، وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)

يقول تعالى ذكره (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) به وبرسوله من قُرَيش وغَطَفان . (بِغَيْظِهِمْ) : يقول : بكربهم وغمهم ، بفوتهم ما أمّلوا من الظفر ، وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغَلَبة . (لَمْ يَنالُوا خَيْرًا) يقول : لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا إسارا (وكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتالَ) : بجنود من الملائكة ، والريح التى بعثها عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا) الأحزاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا) وذلك يوم أبى سفيان والأحزاب ، ردّ الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم ، لم ينالوا خيرا . (وكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ) : بالجنود من عنده ، والريح التى بعثت عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا) : أى قريش وغطفان .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن سعيد بن أبى سعيد المقْبُرى ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخُدْرىّ ، عن أبيه ، قال : « حُبِسنا يوم الخندق عن الصلاة ، فلم نصلّ الظهر ، ولا العصر ، ولا المغرب ، ولا العشاء ، حتى كان بعد العشاء بهوىّ كفينا ، وأنزل الله : (وكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ ، وكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ، فأقام الصلاة ، وصلى الظهر ، فأحسن صلاتها ، كما كان يصليها فى وقتها ، ثم صلّى العصر كذلك ، ثم صلّى المغرب كذلك ، ثم صلّى العشاء كذلك ، جعل لكل صلاة إقامة ، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف : (فإنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أوْ رُكْبانا) » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا ابن أبى فُديك ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن المقْبُرىّ ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد ، عن أبى سعيد الخُدرىّ قال : حُبِسنا يوم الخندق ، فذكر نحوه .

وقوله (وكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) يقول : وكان الله قويا على فعل ما يشاء فعله بخلقه ، فينصر من شاء منهم ، على من شاء أن يخذله ، لايغلبه غالب . (عزيزا) : يقول : هو شديدُ انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) : قويا فى أمره ، عزيزا فى نقمته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره: وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وذلك هو مظاهرتهم إياه ، وعنى بذلك بنى قُرَيظة ، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله (مِنْ أهْلِ الكِتابِ) يعنى : من أهل التوراة ، وكانوا يهود . وقوله (مِنْ صَياصِيهِمْ) يعنى : من حُصُونهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ) قال قُرَيظة ، يقول : أنزلهم من صياصيهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله « (وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ) وهم بنو قُرَيظة ، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه ، فنكثوا العهد الذى بينهم وبين نبىّ الله ، قال : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه ، وقد غسلت شقه ، إذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فقال : عفا الله عنك ، ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة ، فانهض إلى بنى قريظة ، فإنى قد قطعت أوتارهم ، وفتحت أبوابهم ، وتركتهم فى زلزال وبلبال ؛ قال : فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سلك سكة بنى غَنْم ، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب ؛ قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحاصرهم وناداهم : يا إخوان القِردة ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت فحّاشا ، فنزلوا على حكم ابن مُعاذ ، وكان بينهم وبين قومه حِلف ، فرَجَوْا أن تأخذه فيهم هَوادة ، وأومأ إليهم أبو لُبابة أنه الذَّبْح ، فأنزل الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فحكم فيهم أن تُقْتل مقاتلتهم ، وأن تُسْبَى ذراريهم ، وأنّ عقارهم للمهاجرين ، دون الأنصار . فقال قومه وعشيرته : آثرت المهاجرين بالعقار علينا ؟ قال : فإنكم كنتم ذوى عقار ، وإن المهاجرين كانوا لا عقار لهم . وذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبّر وقال : قَضَى فِيكُمْ بِحُكْمِ اللهِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : « لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرىّ « معتجرا بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من دِيباج ؛ فقال : أقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال جبريل : ماوضعت الملائكة السلاح بعد ، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يامحمد بالسير إلى بنى قُرَيظة ، وأنا عامد إلى بنى قُرَيظة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ،

فأذّن فى الناس : إن من كان سامعا مطيعا فلا يُصَلِّيَنّ العصر إلا فى بنى قريظة، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه برايته إلى بنى قريظة ، وابتدرها الناس، فسار علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حتى إذا دنا من الحصون، سمع منهامقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم، فرجع حتى لقِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال : يا رسول الله، لاعليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخباث، قال : لِمَ ؟ أظُنُّك سَمِعْتَ لى مِنْهُمْ أذًى ، قال : نعم يا رسول الله ، قال : لَوْ قَدْ رأَونِى لَمْ يَقُولوا مِنْ ذلكَ شَيْئا ؛ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : يا إخْوَانَ القِرَدَةِ، هَلْ أخْزَاكُمُ اللهُ ، وأنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ قالُوا: يا أبا القاسم : ما كنتَ جَهولا . ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصُّورين قبل أن يصل إلى بنى قريظة، فقال: هل مَرَّ بِكُمْ أحَدٌ ؟ فقالوا: يا رسول الله، قد مرّ بنا دِحية بن خليفة الكلبىّ، على بغلة بيضاء، عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذَاكَ جَبْرَائِيلُ بُعِثَ إلى بَنِى قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ ، وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِى قُلُوبِهِمْ ؛ فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة، نزل على بئر من آبارها، فى ناحية من أموالهم، يقال لها : بئر أنا ، فتلاحق به الناس ، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لايُصَلِّيَنّ أحَدٌ العَصْرَ إلاّ فِى بَنِى قُرَيْظَةَ، فصلّوا العصر، فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنّفهم به رسوله » .

والحديث عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارىّ ، قال: « وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة، حتى جَهَدهم الحصار، وقذف الله فى قلوبهم الرعب. وقد كان حُيَىّ بن أخطب دخل على بنى قريظة فى حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم؛ قال كعب بن أسد لهم : يامعشر يهود، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيّها؛ قالوا : وما هنّ ؟ قال : نبايعُ هذا الرجل ونصدّقه ، فوالله لقد تبين لكم إنه لنبىّ مرسل ، وإنه الذى كنتم تجدونه فى كتابكم ، فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم هذه علىّ ، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلتين بالسيوف، ولم نترك وراءنا ثقلا يُهمنَا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمرى لنتخذنّ النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإذا أبيتم هذه علىّ ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنوا، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غِرّة، قالوا: نفسد سَبتنا، ونحدث فيه ما لم يكن أحدَثَ فيه من كان قبلنا ؟ أمّا من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يَخْفَ عليك؟قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة راحدة من الدهر حازما . قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنِ ابعث إلينا أبا لُبَابة بن عبد المنذر، أخا بنى عمرو بن عوف، وكانوا من حلفاء الأوس، نستشيره

فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان ، يبكون فى وجهه ، فرق لهم ، وقالوا له : يا أبا لُبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذَّبْح . قال أبو لُبابة : فوالله ما زالت قدماى ، حتى عرفت أنى قد خُنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمده ، وقال : لاأبرح مكانى حتى يتوب الله علىّ مما صنعت ؛ وعاهد الله لايطأ بنى قريظة أبدا ، ولا يرانى الله فى بلد خُنْت الله ورسوله فيه أبدا . فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنَّهُ لَوْ كانَ جاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ ، أمَّا إذْ فَعَلَ ما فَعَلَ ، فَمَا أنا بالَّذِى أُطْلِقُهُ مِنْ مَكانِهِ ، حتى يَتُوبَ اللهِ عَلَيْهِ ؛ ثم إن ثعلبة بن سَعْية ، وأُسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بنى هذيل ، ليسوا من بنى قريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عمّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سَعْدىّ القُرَظِىّ ، فمرّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصارىّ تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : مَنْ هَذَا ؟ قال : عمرو بن سَعْدىّ ؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُرَيظة فى غَدْرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لاأغدر بمحمد أبدا ، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهمّ لاتحرمنى إقالَة عَثَرات الكرام . ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه ، حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب ، فلا يُدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا . فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللهُ بِوَفائِهِ . قال : وبعض الناس كان يزعم أنه كان أُوثِق برمّة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رِمته مُلقاة ، ولا يُدرَى أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، فالله أعلم .

فلما أصبحوا ، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى الخزرج بالأمس ماقد علمت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبْل بنى قريظة ، حاصر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبىّ ابن سلول ، فوهبهم له ؛ فلما كلّمته الأوس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأَوْسِ أنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ قالوا : بلى ، قال : فَذَاكَ إلى سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ ؛ وكان سعد بن مُعاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيمة امرأة من أسلم ، يقال لها رُفيدة فى مسجده ، كانت تداوى الجَرْحَى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضَيْعة من المسلمين ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجْعَلُوهُ فِى خَيْمَةِ رُفَيدَةَ حتى أعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ ؛ فلما حكّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُريظة ، أتاه قومه فاحتملوه على حمار ، وقد وَطَّئُوا له بوسادة من أَدَم ، وكان رجلا جسيما ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاّك ذلك ،

لتُحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لاتأخذه فى الله لومةُ لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعَى إليهم رجالَ بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ من كلمته التى سمع منه ؛ فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال : قوموا إلى سيدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاّك مواليك ، لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم كما حكمت ، قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرِض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتلَ الرجالُ ، وتقسَّم الأموالُ ، وتُسبَى الذرارىّ والنساءُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : فحدثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ . ثم استُنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار ابنة الحارث : امرأة من بنى النَّجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، التى هى سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، يُخْرَج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدوّ الله حُيىُّ بن أخطب ، وكعب بن أسد رأس القوم ، وهم ستّ مئة أو سبع مئة ، والمكثر منهم يقول : كانوا من الثمانِ مئة إلى التسع مئة ، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ما ترى مايُصنع بنا ؟ فقال كعب : أفى كلّ موطن لاتعقلون؟ ألا ترون الداعىَ لاينزِع ، وأنه من يُذْهَب به منكم ، فما يرجع ، هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدأب ، حتى فَرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُتى بحُيىّ بن أخطب عدوّ الله ، وعليه حُلّة له فُقّاحية ، قد شققها عليه من كل ناحية ، كموضع الأنملة ، أنملة أنملة ، لئلا يُسْلَبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يَخْذُل اللهُ يخْذَل ؛ ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لابأس بأمر الله ، كتاب الله وقدره ، وملْحَمة قد كُتِبت على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عُنقه ؛ فقال جَبَل بن جوّال الثعلَبى :

لعَمرُكَ ما لامَ ابنُ أخْطَبَ نَفْسهُ ولكنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ

لجَاهَدَ حتى أبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَها وقَلْقَلَ يَبغى العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ[1] »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلَمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : « لم يُقْتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندى

(١) البيتان لجبل بن جوال الثعلبى ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وكان يهوديا فأسلم ، وكانت له صحبة (عن الروض الأنف للسهيلى ، والاستيعاب لابن عبد البر . وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبى ٣ : ٢٥٢) ومعنى قلقل أى تحرك . وقد قال البيتين عند مقتل حيى بن أخطب ، رأس بنى قريظة .

تحدّث معى، وتضحك ظُهْرا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها، أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت قلت : ويْلَكِ مالكِ ؟ قالت : أُقْتل ؟ قلت : ولِمَ ؟ قالت : لحدث أحدثته؛ قال : فانطُلِق بها، فضُربت عُنُقها ، فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبى منها : طيبَ نفس، وكثرة ضحك ، وقد عرفت أنها تُقتل » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ) والصَّياصِى : الحصون والآطام التى كانوا فيها (وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) .

حدثنا عمرو بن مالك البكرى ، قال : ثنا وكيع بن الجرّاح ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة (مِنْ صَياصِيهِمْ) قال : مِن حصونهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ صَياصِيهِمْ) يقول : أنزلهم من صياصيهم ، قال : قُصورهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مِنْ صَياصِيهِمْ) : أى من حصونهم وآطامهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ) قال : الصَّياصِى : حصونهم التى ظنوا أنها مانعتهم من الله تبارك وتعالى . وأصل الصياصى : جمع صيصة، وعُنِى بها هاهنا : حصونُهم ؛ والعرب تقول لطرف الجبل : صِيصة ؛ ويقال لأصل الشىء : صيصة ؛ يقال : جزّ الله صيصة فلان : أى أصله ؛ ويقال لشوك الحاكة : صياصى ، كما قال الشاعر :

كَوَقْعِ الصَّياصِى فِى النَّسِيجِ المُمَدَّدِ (١)

وهى شوكتا الديك .

وقوله (وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) يقول : وألقى فى قلوبهم الخوف منكم (فَرِيقا تَقْتُلُونَ) يقول : تقتلون منهم جماعة ، وهم الذين قَتَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، حين ظهر عليهم (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقا) يقول : وتأسرون منهم جماعة ، وهم نساؤهم وذرارِيُّهم الذين سُبُوا .

(١) هذا عجز بيت لدريد بن الصمة ، وصدره * فجئت إليه والرماح تنوشه * (لسان العرب : صيص) . قال أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ، الورقة ١٩٤ ـ ا) عند قوله تعالى : « من صياصيهم » : أى من حصونهم وأصولهم . وهى أيضا شوكة الحاكة، قال : كوقع الصياصى فى النسيج المسدد * وهى شوكتا الديك ، وهى قرن للبقرة أيضا . اهـ . وفى (اللسان : صيص) : والصيصة : شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة ، قال دريد بن الصمة « فجئت إليه . . . البيت » . ومنه صيصية الديك التى فى رجله . وصياصى البقر : قرونها . وربما كانت تركب فى الرماح مكان الأسنة . والصياصى : الحصون . وكل شىء امتنع به، وتحصن به فهو صيصية . ومنه قيل للحصون الصياصى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرِيقاً تَقْتُلُونَ) الذين ضربت أعناقُهم (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقا) الذين سُبُوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقا) : أى قتل الرجال وسَبى الذرارىّ والنساء (وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ) يقول : وملككم بعد مهلكهم أرضهم ، يعنى مزارعَهم ومغارسَهم وديارَهم ، يقول : ومساكنهم وأموالهم ، يعنى سائر الأموال غير الأرض والدور .

وقوله (وأَرْضًا لَمْ تَطَئُوها) : اختلف أهل التأويل فيها ، أىّ أرض هى؟ فقال بعضهم : هى الروم وفارس ونحوها من البلاد التى فتحها الله بعد ذلك على المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها) قال : قال الحسن : هى الروم وفاوس ، وما فتح الله عليهم .

وقال آخرون : هى مكة .

وقال آخرون : بل هى خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وأَرْضًا لَمْ تَطَئُوها) قال : خيبر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ) قال : قُرَيظة والنضير أهل الكتاب (وأَرْضًا لَمْ تَطَئُوها) قال : خَيبر .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكرُه ، أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بنى قُريظة وديارهم وأموالهم ، وأرضا لم يَطئوها يومئذ ، ولم تكن مكة ولا خَيبر ، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن ، مما كان وطئوه يومئذ ، ثم وطئوا ذلك بعد ، وأورثهموه الله ، وذلك كله داخل فى قوله (وأَرْضًا لَمْ تَطَئُوها) لأنه تعالى ذكره لم يخصُص من ذلك بعضا دون بعض . (وكانَ اللهُ على كُلّ شَىْءٍ قَدِيرًا) يقول تعالى ذكره . وكان الله على أن أورثَ المؤمنين ذلك ، وعلى نصره إياهم ، وغير ذلك من الأمور ، ذا قدرة ، لايتعذّر عليه شىء أراده ، ولايمتنع عليه فعل شىء حاول فعله .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ : إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمدصلى الله عليه وسلم: (قُلْ) يامحمد (لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) يقول فإنى أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة ، عند فراقهم إياهنّ بالطلاق بقوله: (وَمَتِّعُوهُنَّ ، على المُوسِعِ قَدَرُهُ ، وَعلى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعا بالمَعْرُوفِ حَقًّا على المُحْسِنِينَ) . وقوله: (وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً) يقول: وأطلقكنّ على ما أذن الله به، وأدّب به عباده بقوله(إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) ، (وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول : وإن كنتنّ تردن رِضا الله ورضا رسوله وطاعتهما فأطعنهما (فإنَّ اللهَ أعَدَّ للْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ) وهن العاملاتُ منهنّ بأمر الله وأمر رسوله (أجْرًا عَظِيما) .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من عَرَض الدنيا، إما زيادة فى النفقة ، أو غير ذلك ، فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا فيما ذُكِر ، ثم أمره الله أن يخيِّرهنّ بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهنّ ، والعمل بطاعة الله ، وبين أن يمتِّعهنّ ويفارقهنّ إن لم يرضين بالذى يقسِمُ لهن . وقيل : كان سبب ذلك غَيرة كانت عائشة غارتها .

ذكر الرواية بقول من قال : كان ذلك من أجل شىء من النفقة وغيرها

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن أبى الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَخْرُجْ صَلَواتٍ ، فقالوا: ما شأنه ؟ فقال عمر : إن شئتم لَأَعْلَمَنّ لكم شأنه؛ فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم، فجعل يتكلم ويرفع صوته ، حتى أَذِن له . قال : فجعلت : أقول فى نفسى : أىّ شىء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك ، أو كلمة نحوها ، فقلت : يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتنى النفقة فصكَكْتُها صَكَّة، فقال : ذلكَ حَبَسَنِى عَنكُمْ ؛ قال : فأتى حفصة، فقال : لاتسألى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ما كانت لكِ من حاجة فإلىّ ، ثم تَتَبَّع نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم، فجعل يكلِّمهنّ ، فقال لعائشة : أيغرّك أنك امرأة حسناء، وأن زوجك يحبك ؟ لتنتهينَ ، أو لينزلَنّ فيك القرآن ؛ قال : فقالت أمّ سلمة : يا بن الخطّاب ، أوَ ما بقى لك إلا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه ، ولن تسأل المرأةُ إلا لزوجها ؟ قال: ونزل القرآن (يا أيُّها النَّبِىُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) . . . إلى قوله (أجْرًا عَظِيما) قال : فبدأ بعائشة فخيَّرها ، وقرأ عليها القرآن ، فقالت : هل بدأتَ بأحد من نسائك قبلى ؟ قال : لا، قالت: فإنى أختار الله ورسوله، والدار الآخرة ، ولا تُخْبِرْهنّ بذلك؛ قال : ثم تتبعهنّ فجعل يخيِّرُهنّ ويقرأ عليهنّ القرآن ،ويخبرهن بما صنعت عائشة ، فتتابعن على ذلك » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها النَّبِىُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحا جَمِيلاً) . . . إلى قوله (أجْرًا عَظِيما) قال : قال الحسن وقتادة : خَيَّرَهنّ بين الدنيا والآخرة والجنة والنار فى شىء كنّ

أردنه من الدنيا . وقال عكرمة فى غَيرة : كانت غارتها عائشة ، وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قُريش : عائشة ، وحفصة ، وأمّ حبيبة بنت أبى سفيان ، وسَوْدة بنت زَمعة ، وأمّ سلمة بنت أبى أميَّة ، وكانت تحته صفية ابنة حُيىّ الخَيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجُوَيرية بنت الحارث من بنى المصطَلِق ، وبدأ بعائشة ، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، رُؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتابعن كلهنّ على ذلك ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة ، فى قول الله : (يا أيُّها النَّبِىُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) . . . إلى قوله (عَظِيما) قالا : أمره الله أن يخيِّرهنّ بين الدنيا والآخرة والجنة والنار . قال قتادة : وهى غَيْرة من عائشة فى شىء أرادته من الدنيا ، وكان تحته تسع نسوة : عائشة ، وحفصة ، وأمّ حبيبة بنت أبى سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأمّ سلمة بنت أبى أميَّة ، وزينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجُوَيرية بنت الحارث من بنى المصطَلِق ، وصفية بنت حُيىّ بن أخطب ؛ فبدأ بعائشة ، وكانت أحبهنّ إليه ؛ فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، رُؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتابعن على ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة قال : « لما اخترن الله ورسوله شكرهنّ الله على ذلك ، فقال : (لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) فقصره الله عليهنّ ، وهنّ التسع اللاتى اخترن الله ورسوله . »

ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد « فى قول الله (تُرْجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِى إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) . . . الآية ، قال : كان أزواجه قد تغايرن على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فهجرهنّ شهرا ، نزل التخيير من الله له فيهنّ (يا أيُّها النَّبِىُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) فقرأ حتى بلغ (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى) فخيرهنّ بين أن يخترن أن يُخَلِّىَ سبيلهنّ ويسرّحهنّ ، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله ، على أنهنّ أمَّهات المؤمنين ، لا يُنْكَحْن أبدا ، وعلى أنه يُؤْوِى إليه من يشاء منهنّ ، لمن وهب نفسه له ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويُرْجِى من يشاء ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هى عنده وعزل ، فلا جناح عليه ، ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ، ولا يحزنّ ، ويَرْضَيْن إذا علمن أنه من قضائى عليهنّ ، إيثار بعضهنّ على بعض ، أدنى أن يرضين ؛ قال : ومن ابتغيت ممن عزلت ؛ من ابتغى أصابه ، ومن عزل لم يصبه ، فخيرهنّ بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقهنّ ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت ، وكان على ذلك وقد ، شرط له هذا الشرط ، ما زال يعدِل بينهنّ حتى لَقِى الله » .

حدثنا أحمد بن عبدة الضَّبِّى ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : « لما نزل الخِيار ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى أُرِيدُ أنْ أذْكُرَ لَكِ أمْرًا ، فَلا

تَقْضِي فِيهِ شَيْئًا حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ ؛ قالت : قلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : فردّه عليها ، فقالت : ما هو يا رسول الله ؟ قال : فقرأ عليهنّ (يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) . . . إلى آخر الآية ؛ قالت : قلت : بل نختار الله ورسوله ؛ قالت : ففرح بذلك النبيّ صلّى الله عليه وسلم » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، قالت : « لما نزلت آية التخيير ، بدأ النبيّ صلى الله عليه وسلم بعائشة ، فقال : يا عائشةُ إنّي عارضٌ عليكِ أمرًا ، فلا تفتاتي فيه بشيءٍ حتى تعرضيه على أبويكِ ، أبي بكرٍ وأمّ رومانَ ، فقالت : يا رسول الله وما هو ؟ قال : قال الله (يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) إلى (عَظِيمًا) ، فقلت : إني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ولا أؤامر في ذلك أبويّ أبا بكر وأمّ رُومان ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقرأ الحُجَرَ فقال : إن عائشة قالت كذا ، فقلن : ونحن نقول مثل ماقالت عائشة » .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عَمْرة ، عن عائشة « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم « لما نزل إلى نسائه أُمر أن يخيرهنّ ، فدخل عليّ فقال : سأذكر لكِ أمرًا ولا تعجلي حتى تستشيري أباكِ ، فقلت : وما هو يانبيّ الله ؟ قال : إنّي أُمِرْتُ أنْ أُخَيِّرَكُنَّ ، وتلا عليها آية التخيير ، إلى آخر الآيتين ؛ قالت : قلت : وما الذى تقول : لاتعجلي حتى تستشيري أباكِ ؟ فإني أختار الله ورسوله ؛ فسُرّ بذلك ، وعرض على نسائه ، فتتابعن كلُّهنّ ، فاخترن الله ورسوله » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني موسى بن عليّ ، ويونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن « أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت : لما أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه ، بدأ بي ، فقال : إنّي ذاكرٌ لكِ أمرًا ، فلا عليكِ أنْ لاتعجلي حتى تستأمري أبويكِ . قالت : قد علم أن أبويّ لم يكونا ليأمراني بفراقه ؛ قالت : ثم تلا هذه الآية (يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) قالت : : فقلت : فى أيّ هذا أستأمر أبويّ ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ؛ قالت عائشة : ثم فعل أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت ، فلم يكن ذلك حين قاله لهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخترنه طلاقا ، من أجل أنهنّ اخترنه » .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ، وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

⁂ يقول تعالى ذكره لأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم : (يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) يقول : من يَزْنِ منكنّ الزنا المعروف الذى أوجب الله عليه الحدّ ، يضاعف لها العذاب على فجورها فى الآخرة ضعفين ، على فجور أزواج الناس غيرهم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ) قال : يعنى عذاب الآخرة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ) بالألف غير أبى عمرو ، فإنه قرأ ذلك (يُضَعَّفْ) بتشديد العين تأوّلا منه فى قراءته ذلك أن يضعّف ، بمعنى : تضعيف الشىء مرّة واحدة ، وذلك أن يجعل الشىء شيئين ، فكأن معنى الكلام عنده : أن يجعل عذاب من يأتى من نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة فى الدنيا والآخرة ، مثلى عذاب سائر النساء غيرهنّ ، ويقول : إنّ (يُضَاعَفْ) بمعنى أن يُجْعَل إلى الشىء مثلاه ، حتى يكون ثلاثة أمثاله ، فكأن معنى من قرأ (يُضَاعَفْ) عنده كان ، أن عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء ، من غير أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اختار يضعّف على يضاعَف . وأنكر الآخرون الذين قرءوا ذلك يُضَاعَفْ ، ما كان يقول فى ذلك ، ويقولون : لانعلم بين ويُضَعَّفْ يُضَاعَفْ فرقا .

والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قرّاء الأمصار ، وذلك (يُضَاعَفْ) . وأما التأويل الذى ذهب إليه أبو عمرو ، فتأويل لانعلم أحدا من أهل العلم ادّعاه غيره ، وغير أبى عُبيدة معمر بن المُثَنّى ، ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذى يجب التسليم له .

وقوله (وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهنّ على الله يسيرا ، والله أعلم .

تمّ الجزء الحادى والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثانى والعشرون

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ)

Columbia University Libraries
0040583724

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES